

من تراجم الأئمة

١٨

تعريف الحنف

بِحِكْمِ الْإِسْلَامِ

عقيدته

عشان بطيخ

محمد أبو الأحسان

مجاز في الشريعة وعلومها

شؤون الفقه والكلمة النبوية

الكتاب المقدس

مؤسسة الرسالة

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا - بناية صدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢١١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برفقيا: بيوشيران



٦١ نهج جامع الزيتونة - تونس - هاتف ٢٤٠٦٧٩

المكتبة العتيقة

تعريف الخلف
بِحجج السلف
بقسم الأول

تأليف

أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول
عافه الله بلطفه آمين



مدرس بالجامع الكبير لمدينة الجزائر من سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م)
ومرجع الإفتاء المالكي بالجزائر سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م).

المكتبة العتيقة

مؤسسة الرسالة

132058

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله على نواله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله . أما بعد :
فالظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديماً في طلب العلم بجميع أسبابه ،
وأتاه من سائر أبوابه ، ووقف على معقوله ومنقوله ، فتمكّن من أصوله
وفصوله ، وكان لعلوم وقته جامعاً ، ولرايتها رافعاً . مثل أخويه المغربين
الأقصى والأدنى ، فظهر في الأقاليم بدره . واشتهر في التاريخ قدره . بعلماء
بنوا تآليفهم على أركان التحقيق ، وحصنوها بأسوار التدقيق . فكانوا في
عصرهم نجوم اهتداء ، وأئمة اقتداء ، ولكن طواهم وأضرابهم فلك الانقلاب
في مغارب الأفول ، فذهبوا ولسان حالهم يقول :

تلك آثارنا تدلُّ علينا * فانظروا بعدنا إلى الآثارِ

هذه ضرائحهم ينادي لسان صدقها بأن أهل زمنهم ، وما أدراك ما هم ،
قد أجمعوا على أنهم رجال ، كان العلم قوتهم ، والعمل الصالح ياقوتهم ،
فأفنوا أعمارهم في إرشاد الأمة وتنوير بصائرهم ، وخلد الحق ذكرهم ،
فلهجت بذكرهم أقلامه على السنة خلقه .

هذه أسماؤهم وتراجمهم مزاحمة لأسماء وتراجم أعيان الزمان في كتب

المتيقظين لحفظ الطبقات العليا من عالم الإسلام في بطون الدفاتر ، لثلا تقع في أغوار التناسي وآبار الإهمال ، وهم رجال التاريخ وعدوله ، الذين قيدهم النظر إلى ميزان الحسنات والسيئات بين يدي ملك يوم الدين عن ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وعن تقصيرهم في تحصيله بما يعلمونه منه مباشرة أو بواسطة من لا يُتَّهم في درايته وروايته .

هذه تأليفهم نثراً ونظماً ، منتفع بها في المغرب والمشرق تعليماً وتعليماً ، مشهورة فيهما اشتهار مؤلفيها عند كل طالب علم وفي كل كتاب :

المرء بعد الموت أخذوثه * يَفْنَى وتَبْقَى منه آثاره
فأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ * تَطِيبُ بعدَ الموتِ أخباره

ولمَّا آلت ولاية القطر الجزائري^(١) للحازم الخطير سمو الوالي العام جونار ، المجتهد في جلب المهمات ، ودفع الملمات ليل نهار . صوب نظره السامي نحو مسلمي بر الجزائر بمزيد الإمعان ، وأحيا لجيلهم خير ما كان لأسلافه من مدنية الإسلام ، وأحسن إليه بما يناسبه من العصر الجديد لاجتماع كسوره وانتظام أموره ، وليمكنه الارتقاء في مدارك العمران ومدارج العرفان ، والتقدم في طريق النجاح المادي والمعنوي تقدماً محسوساً بحركات علمه وعمله ، عساه أن يكون تلميذ العصرين ومجمع البحرين : عصر الشرق القديم وبحره ، وبحر الغرب الجديد وعصره ، وتكون السعادة وطاؤه ، والاستقامة غطاؤه ، إذ هما مطمح نظر كل إقليم نهضت به العلوم ، ومدار كل مدنية في العالم . ولم يصر الغرب إلى ما صار إليه في التاريخ الجديد إلا بالتلمذة لأهل العلم وبالمنافسة في المظاهر والمناظر المستنبطة من المعارف ، ولولا ذلك ما بزغت فيه شمس الحياة الحاضرة ، ولما سرت في أهله روح الشعور بآفاق أخرى من

(١) بعد فترة طويلة لم يكن فيها من رسوم العلم إلا كِبَرُ العمامة . للولاية والإمامة . ولا من رسوم الرفاهية إلا الطبايسة والقفاطين ، المنافية لاستثمار الماء والطين . وهما في هذا العالم مادة الخلق وجادة الرزق .

فضاء المعقولات ، لا ينتهي فيها الفكر إلى حد ، ولا يقنع الذهن بها عما وراءها ، فتسابقوا بين طرفي الضروريات والنظريات ، يُنقبون عن نسب الممكنات وخواصها ، ويبحثون عن أسرارها ، حتى وقفوا على كثر من كنوز الموضوعات والمحمولات ، اكسيرة المسابير الرياضية ، وابريزه النواميس الطبيعية ، فهزوا الأطواد ، وطووا الأبعاد ، وطافوا بأجرام السماء ، وأبصروا أمعاء الخفاء ، وفتقوا رتق الأثير ، وحرّكوا بسيله الجوامد ، وأناروا بتموجه المظلمات ، وتخطبوا بواسطته على بعد القطبين ، فضلاً عن اخضاع الصياصي ، والأخذ بجميع النواصي .

من الحسنات الخالدة المتخلد بها ذكر سمو الوالي العام الجناب جونار ، تشييد « المدرسة الثعالبية » التي لوحظ في تخطيطها قبل الشروع فيها أساليب البناء الأندلسي ومحاسنه ، فتمت على غاية الإحكام والإتقان ، مزدانة بنسكت الملاحه ومواقع الاستحسان في بقعة بجوار الولي العارف القطب الشهير الإمام سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، وسميت « بالثعالبية » نسبة إليه ، وهي مشرفة على البحر لتروح بنسيمه ، ومواجهة لجبال البر على مسيرة أيام ليسرح التلامذة أنظارهم في الأفق وقت الاستراحة ، فتشرح صدورهم ، ولما تم بناؤها تسامع بها أهل العلم والمعرفة في القطر ، وتخابروا عنها ، فمنهم من زارها وما انصرف حتى هنا أبناء بلاده الجزائرية وأعقابهم بوجودها ، ومنهم من عزم على زيارتها عند أول مناسبة .

هذه المدرسة أعجبت أهل الذوق السليم ، بمنظر ظاهرها الجميل ، ورونق داخلها ، فأول ما يراه الزائر عن يمينه قبل دخولها أبيات بالعربية للجامع هذا الكتاب الفقير الحفناوي ، وعن يساره بالفرنسوية تاريخ البناء في عهد سمو الوالي الحالي .

ونص الأبيات :

في كلِّ جيلٍ من الأجيالِ أخبارٌ * وخيرهم من له في العلمِ أخبارٌ
بالعلمِ شادَ بنوا اليونانِ دورهم * وكان للعربِ فيه بعدُ آثارٌ
كلُّ مضي تاركاً في العلمِ منقبةً * كأنَّها علمٌ في رأسه نثارٌ
واستخلفوا دولةَ الجمهورِ قائمةً * بكلِّ علمٍ له في العصرِ أنوارٌ
وهذه آيةُ العرفانِ مُشرقَةٌ * بالثعلبية^(١) نعمَ الاسمِ والجارِ
شيدتُ وتاريخها لجنسنا فتحت * وذو الولايةِ نجمُ العصرِ جوناُ

١٩٠٤

١٣٢٢

فإذا دخلها وجمال في أكنافها شاهد ما لا يغني فيه البيان عن العيان ، كترتيب البيوت ، وتفصيل القاعات ، واتساق الأساطين وارتفاعها ، وتوازن القسي وتوازيها ، وانتظام غرفها وفساحتها ، وعلو قبابها وتركيبها ، ونقش جدرانها بالأمثال ، على مثال عجيب الاشتباك ، غريب الاحتباك ، يقرؤه من له ملكة فيه، فيستفيد منه مواعظ بليغة وحكماً بالغة ، ثم إذا رفع بصره نحو القباب الخمسة يرى في قواعدها بالخط الأندلسي أسماء أجلة من رجال العلم العربي في القطر الجزائري وما في حكمه :

هممُ الملوكِ إذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسنن البنيانِ
إن البناء إذا تعاظم شأنه * أضحى يدلُّ على عظيم الشأنِ

ففي قواعد القبة الكبرى وهي الوسطى ١٢ اسماً ، وفي قواعد القباب الأربعة التي في زوايا المدرسة ٣٢ اسماً ، في كل منها ٨ أسماء على عدد قواعدها ،

(١) لضرورة الوزن عبر بالثعلبية عن الثعلبية .

ومع الأسماء تواريخ الولادة مرقومة قبلها ، وتواريخ الوفاة بعدها ، وترتيب الأسماء في القباب سنوي ، وترتيبها هنا هجائي ، وهي أسماء المترجمين في القسم الأول من هذا الكتاب الجامع لما تيسر نقله من الكتب الموجودة باليد ، وخصوصاً «عنوان الدراية» و«البستان» و«الديباج» و«نيل الابتهاج» و«كفاية المحتاج» و«خلاصة الأثر» و«سلك الدرر وصفوة من انتشر» و«جذوة الاقتباس» و«نشر المثاني» و«نفع الطيب» و«وفيات الأعيان» و«فواتها» و«الجبرتي» و«سلوة الأنفاس» .

ولم أعر على غير هذه الجملة من كتب التاريخ بعد البحث الطويل في مظانه ، ومحاولة مساجن المؤلفات بكل حيلة ووسيلة ، لأن المستحوزين عليها يفضلون بقاءها ذخيرة للأرضية على إفادة طالبها بها واستفادتهم منها ، ولا يباليون بما وراء ذلك ، زاعمين أنهم باستعارتها فقدوا منها كتباً نفيسة المواضيع عزيزة الوجود . نسأل الله توفيقنا وإياهم لما فيه رضاه .

لهذا السبب لم أقف على تراجم علماء أشهر كالرماصي والأخضري وغيرهما ، ولا يسعني تجاوزهم فأذكرهم بما أعلمه ، وإن قل فعذراً يا أهل الإطلاع وطول الباع ، عذراً لمن لم يساعده الحال على ذكر آباء ، أحياء في الأوراق أموات في الآفاق ، وشكراً لحكومتنا الجزائرية على هذه المساعدة الجليلة بطبع ما يسر أبناء وطننا وديننا من معارف الاعتبار ومآثر الاختبار ، وشكراً للسادة الذين أعاننا بعضهم بقائمتها فيها أسماء ، جلها مجرد عن الوصف والزمان والمكان ، وهم لطف الله بنا وبهم يظنون أنهم أتوا بشيء لم يسبقهم إليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق ، وإذ شرحت عذري للمطلعين الكرام فليكن اسم هذا المجموع بهذا اللفظ .

تعريف الخلف برجال السلف

وبعضهم تلقى طلبنا بالترحيب والتقريب ، ولم يشح علينا بما عنده وخصوصاً
وحيد عصره ، وعلامة عصره ، بقية السلف ، وبركة الخلف ، الرجل الصالح
الأستاذ الناصح سيدي علي بن أحمد بن الحاج موسى ، قِيم الروضة الثعالبية
في مدينة الجزائر ، متعنا الله بحياته وأعاد علينا من بركاته ، فأعارني كتابه
« ربح التجارة في مناقب سيدي أحمد بن يوسف الرّاشدي الملياني » و« سلك
الدرر » و« نشر المثاني » و« كتاب الملاي في مناقب سيدي محمد بن يوسف
السنوسي التلمساني » و« عنوان الدراية » و« البستان » . ومثله في هذه الشيمة
الكريمة التقي النقي طيب الأعراق والأخلاق المفيد المستفيد سيدي علي بن
الحداد الجزائري فأعارني « جذوة الاقتباس » و« كفاية المحتاج لمعرفة من
ليس في الديباج » وغيرهما من الكتب العزيزة . وأعانني الشريف ابن الشريف
السيد أبو طيبة الحاج بن آمنة بكتاب « الياقوتة الوهاجة » فاقتطفت منه ترجمة
جده سيدي محمد ابن علي مولى مجاجة . وأعارني السيد محمد الهواري التاجر
في مدينة الأصنام « مختصر النجم الثاقب » لابن سعد ، فقابلت فيه ترجمة
جده سيدي محمد بن عمر الهواري الوهراني بترجمته في « نيل الابتهاج » .
كما أفادني قاضي حنفية الجزائر بترجمة عمه سيدي عبدالله الدراجي المدني
رضي الله عنه وعن جميع عباد الله الصالحين .

هذا الكتاب قسمان :

أولهما : في تراجم العلماء المكتوبة أسماؤهم في المدرسة الثعالبية .
وثانيهما : في تراجم غيرهم من علماء البر الجزائري ، وما يليه من الأقطار
كالسودان ونحوه :

همُ الرجالُ وَغَبْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ . لَمْ يَتَصَفَّ بِمَعَانِي وَضَفِيهِمْ رَجُلٌ

تَبْيِيهِ

أذكر تحت اسم كل عالم الكتاب الذي نقلت منه ترجمته ، إن كان
مذكوراً في كتاب ، وأضع عند تمامها لفظة « انتهى » ، أو مختصرها ،
وأعطف عليها ترجمته في كتاب آخر ، إن كانت . وقد اجتنبت النقل من
« البستان » و« عنوان الدراية » لما في نسختيهما لديّ من المسخ الفاحش في
غالب الكلمات ، أو لا أنقل منهما إلا ما لا شك فيه عندي ، أو ما أستخرجه
بمحاولة طويلة إذا لم أجده في غيرهما ، ودعتني إليه الضرورة كما أن الكتب
المطبوعة على الحجر في المغرب لا تخلو من خلل في الحروف والأرقام ،
فكانها لم تطبع مع نفاسة موضوعها وعزة وجودها ، وشدة الحاجة إليها ،
ومع ذلك فرحم الله الساعين في نشرها ، وشكر الله صنيعهم ، وباليتم يتحفون
عالم العلم بالذخائر المكنونة في الخزائن المغربية لإحيائها وإحياء أهلها اللهم آمين .

القسم الأول

من تعريف الخلف برجال السلف

إبراهيم بن أبي بكر التلمساني

من «ديباج ابن فرحون»

إبراهيم بن أبي بكر بن عبدالله بن موسى الأنصاري ، تلمساني ، وقشي الأصل ، نزيل سبته ، يكنى أبا اسحاق ، ويعرف بالتلمساني .

كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط ، مبرزاً في العدد والفرائض ، أديباً شاعراً محسناً ماهراً في كل ما يحاول ، ونظم في الفرائض وهو ابن ٢٠ سنة أرجوزة « هي التلمسانية المشهورة » ، محكمة بعملها ضابطة عجيبة الوضع .

قال ابن عبد الملك : وخبرت منه في تكراري عليه تيقظاً وحضوراً ذكر ، وتواضعاً وحسن اقبال ، واشتغالاً بما يعنيه في أمر معاشه ، وتخاملاً في هيئته ولباسه .

قال ابن الزبير كان أديباً فاضلاً لغوياً إماماً في الفرائض .

لقي أبا بكر بن محرز ، وأجاز له ، وكتب إليه مُجيزاً أبو الحسن بن طاهر الدباج ، وأبو علي الشلوين ، ولقي بسبته أبا العباس علي بن عصفور الهواري ، وأبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة . وسمع علي أبي يعقوب

يوسف بن موسى المحاسني الغماري ، وروي عنه الكثير ممن عاصروه ، كأبي
عبدالله بن عبد الملك ، وغيره .

وله تواليف منها : الأرجوزة الشهيرة في الفرائض ، لم يصنف في فنها
مثلها ، ومنظوماته في السير ، وأمداح النبي ﷺ ، من ذلك العشریات علی
أوزان المغرب « الملحون » ، وقصيدته في المولد الكريم ، وله مقالة في علم
العروض الدوبيتي ، وله شعر ، منه قوله :

الغدرُ في الناسِ شيمةٌ سلفتُ * قد طالَ بين الورىِ تصرفُها
ما كلُّ مَنْ قد سرت له نَعَم * منك يرى قدرَها ويعرفُها
بلُ ربَّما أعقبَ الجزاءَ بها * مَضْرُةٌ عزَّ عنك مَضْرِفُها
أما ترى الشمسَ كيفَ تعطفُ بالنُّورِ على البدرِ وهو يكسِفُها

ومولده سنة ٦٩٩ . هـ .

وفي « البستان » إنه قرأ بمالقة على أبي بكر بن دحمان - الصواب ابن
محرز - ، وأبي صالح بن الزاهد ، وأبي عبد الله بن حميد ، وأبي الحسن
سهل بن مالك وانتقل به أبوه إلى الأندلس ، وهو ابن تسعة أعوام ، فاستوطن
غرناطة ثلاثة أعوام ، ثم انتقل إلى مالقة ، ثم إلى سبتة ، وتزوج أخت مالك
ابن المرحل ، وهي أم بنيه ، وبها توفي بعد الستين وتسع مئة (لعله وسبع مئة) ،
وكان مولده بتلمسان سنة ٩٠٦ (لعله ٦٩٦) هـ .

وفي « نفع الطيب » إن ابن مسدي قال : أنشدني أبو الحسن سهل بن
مالك لنفسه سنة ٦٣٧ بداره بغرناطة :

مُنْغَصُ العيشِ لا يأوي إلى دَعَةٍ * مَنْ كَانَ ذا بَلَدٍ أو كَانَ ذا وَلَدٍ
والسَّاكنُ النَّفْسِ مَنْ لم تَرْضَ هِمَّتَهُ * سُكْنَى مَكَانٍ ولم يَسْكُنْ إلى أَحَدٍ

وباحث سهل بن مالك هذا أبا الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي ،
متمم كتاب « المغرب في أخبار المغرب » عن نظمه إلى أن أنشده في صفة نهر ،
والنسيم يردده ، والغصون تميل عليه :

كَأَنَّمَا النَّهْرُ صَفْحَةً كُتِبَتْ * أَسْطَرُّهَا وَالنَّسِيمُ يُنْشِئُهَا
لَمَّا أَبَانَتْ عَنْ حُسْنِ مَنَظَرِهَا * مَالَتْ عَلَيْهَا الْغُصُونُ تَقْرُؤَهَا
فَطَرِبَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

وكان مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة ٦١٥ ، ووفاته بتونس في حدود
٦٨٥ هـ . فيؤخذ من هذا أن المترجم من أهل القرن السابع مولداً ، والثامن
وفاة ، وأن التسع مئة في نسخة البستان محرقة عن سبع مئة .

أبو القاسم بن الإمام أبي عبد الله
ابن الإمام الحافظ سيدي عبد الجبار
الفيجيجي البرزوني
من « صفوة من انتشر »

أحد المشاهير ، ومن له الصيت في كل أفق ، تجول في الآفاق . فأخذ عن
علمائها ، وأخذ الناس عنه ، مع الدين المتين ، والصلاح الظاهر ، وعمدته في
الطريق العارف الكبير الإمام الجليل سيدي محمد ابن أستاذ الطائفة البكرية
ولي الله أبي الحسن البكري .

وهو يروي عن أبيه ، عن الشيخ زروق . ومن فوائده أن الشيخ نجم
الدين الغيطي صنع وليمة فكتب بهذين البيتين للشيخ البكري المذكور ، يستدعيه
بهما إلى منزله :

فَإِنْ زُرْتُمْ وَتَفَضَّلْتُمْ • وَشَرَّفْتُمُونَا بِنَقْلِ الْقَدَمِ
فَلَيْسَ بَعَارٍ وَلَا مُنْقِصٍ • دَخُولُ الْمَوَالِي بِيُوتِ الْخَدَمِ

ومن شعر شيخه البكري قوله في صدر رسالة كتب بها لسلطان مراکش
أحمد المنصور :

وَلَمَّا نَأَيْتُمْ وَلَمْ اسْتَطِيعْ • وَصُولًا لِحَضْرَتِكُمْ بِالْقَدَمِ
سَعَيْتُ إِلَيْكُمْ بِرِجْلِ الرَّسُولِ • وَخَاطَبْتُكُمْ بِلِسَانِ الْقَلَمِ

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضاً والده ، عن ابن غازي ، والونشريسي ،
والدقون ، والسنوسي ، وابن مرزوق ، والقلصادي ، وغيرهم ، وبيت بني
عبد الجبار بفجيج ، له شهرة بالعلم والدين .

توفي رحمه الله عام ١٠٢١ .

أبو العباس أحمد بابا التنبكي من « خلاصة الأثر »

أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت ابن عمر بن علي بن
يحيى بن كذالة بن مكّي بن نبق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن حيراني
ابن النجر بن نصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي ، الماسي ، السوداني .
يُعرف بابا صاحب كتاب « نيل الابتهاج ذيل الديباج » و تكملته « كفاية
المحتاج » .

وقد ترجم نفسه في آخرها فقال : مولدي كما وجد بنخط والدي ليلة
الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام ٩٦٣ ، ونشأت في طلب
العلم ، فحفظت بعض الأمهات ، وقرأت النحو على عمي أبي بكر الشيخ

الصالح ، والتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف وغيرها على شيخنا العلامة بغيغ ، ولازمته سنين ، وقرأتُ عليه جميع ما تقدم عني في ترجمتي ، وأخذتُ عن والدي الحديث سماعاً ، والمنطق ، وقرأتُ « الرسالة » و« مقامات الحريري » تفقهاً على غيرهم . واشتهرتُ بين الطلبة بالمهارة على ككل وملل في الطلب ، وألّفتُ عدة كتب تزيد على أربعين تأليفاً :

كشرحي على « مختصر خليل » من أول الزكاة إلى أثناء النكاح ممزوجاً محرراً ، وحواشي على مواضع منه ، والحاشية المسماة « مننُ الربِّ الجليل في مهمات تحرير خليل » يكون في سفرين ، و« فوائد النكاح على مختصر كتاب « الوشاح للسيوطي » وغيرها .

قال الثقة أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي في « فهرسته » في ترجمتي : كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام الحسن ، حسن التصنيف ، كامل الحظ من العلوم ، فقهاً وحديثاً وعربية ، وأصلين ، وتاريخاً ، مليح الاهتداء لمقاصد الناس ، مثابراً على التقييد والمطالعة ، مطبوعاً على التأليف ، ألف تأليف مفيدة جامعة ، فيها أبحاث عقلية ونقلات ، وهي كثيرة :

كشرحه على « مختصر خليل » من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين ، و« تنبيه الواقف على تحرير نية الحالف » في كراس ، وتعليق على أوائل الألفية سماه « النكت الوفية بشرح الألفية » وآخر سماه « النكت الزكية » لم يكملاً . و« نيل الأمل في تفضيل النية على العمل » و« غاية الإجابة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة » في كراسين ، وآخر سماه « النكت المستجادة في مساواتهما في شرط الإفادة » ، و« التحديث والتانيس في الاحتجاج بابن إدريس » يريد بألفاظه على العربية ، في ورقات ، و« جلب النعمة ودفع النعمة بمجانبة

الظلمة أولى الظلمة» في كراسين ، و«مختصر ترجمة السنوسي» في ثلاثة كراسيس ، و«شرح الصغرى» للسنوسي في أربعة كراسيس ، و«نيل الابتهاج بتذليل الديباج» ، و«المطلب المأرب في أعظم أسماء الرب تعالى» في كراسة ، و«ترتيب جامع (الميعاد^(١))» للونشريسي ، كتب منه كراسيس . وله أسئلة في المشكلات ، ثم امتحن في طائفة من أهل بيته بثقافتهم في بلادهم في المحرم سنة ١٠٠٢ على يد محمود بن زرقون ، لما استولى على بلادهم ، وجاء بهم أسرى في القيود ، فوصلوا مراکش أول رمضان من العام ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقافة إلى أن أحجم أمر المحنة ، فسرخوا يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان سنة ١٠٠٤ ، فقرحت قلوب المؤمنين بذلك ، جعلها الله لهم كفارة لذنوبهم ، ثم ذكر مقروءاته على صاحب الترجمة قال : وكان من أوعية العلم صان الله مهجته اه .

قال المترجم : ولم ألف بالمغرب أثبت منه ولا أوثق ولا أصدق ولا أعرف بطريق العلم منه ، ولما خرجنا من المحنة طلبوني للإقراء ، فجلست بعد الإبادة بجامع الشرفاء بمراكش ، أقرأ كتباً ، ثم قال : وازدحم الخلق علي وأعيان طلبتها ، ولازموني^(٢) بالإقراء على قضاتها ، كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، وهو كبير ينيف على ستين ، وكذا قاضي مكناس الرحلة المؤلف صاحب أبي العباس بن القاضي المكناسي ، له رحلة للشرق لقي فيها الناس ، وهو أسنٌ مني ، ومفتي مراکش الرجراجي ، وغيرهم ، وأفتيتُ بها لفظاً وكتباً بحيث لا تتوجه الفتوى فيها غالباً إلا إلي ، وعينت إلي مراراً ، فابتهلت إلى الله تعالى أن يصرفها عني ، واشتهر اسمي في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية ، والجزائر وغيرهما . وقد قال لي بعض

(١) هكذا في الأصل ولعله المعيار .

(٢) لعله ولازمي .

طلبته^(١) لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا مَرَاكِشَ لَا نَسْمَعُ فِي بِلَادِنَا إِلَّا بِاسْمِكَ فَقَطْ اهـ هَذَا
مَعَ قَلَّةِ التَّحْصِيلِ وَعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مُصَدِّقٌ لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِنَّ
اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ... » الْحَدِيثُ^(٢) وَقَدْ نَاهَزْتُ الْآنَ خَمْسِينَ سَنَةً ، بِتَارِيخِ
يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلِ صَفَرِ عَامِ ١٠١٢ هـ كَلَامِهِ .

قَلْتُ وَمَنْ لَطَائِفُهُ مَا نَقَلَهُ عَنْهُ بَعْضُ الشُّيُوخِ إِذَا حَضَرَ طَالِبُ الْعِلْمِ مَجْلِسَ
الدَّرْسِ غَدْوَةً ، وَلَمْ يَفْطُرْ ، نَادَى مُنَادٌ مِنْ قَعْرِ جَوْفِهِ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَيِّتِ الْحَاضِرِ .
وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي سَابِعِ شَعْبَانَ سَنَةِ ١٠٣٢ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِي « نَشْرِ الْمَثَانِي » : الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْمُحَقِّقُ أَحْمَدُ بَابَا التَّنْبُكْتِي ، رَفَعَ نَسَبَهُ فِي
كِتَابِهِ « كِفَايَةُ الْمُحْتَاجِ » وَذَكَرَ عِدَّةَ آبَاءٍ ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالصَّنَهَاجِيِّ ، الْمُسَوْفِيِّ .
وَذَكَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَقَارِبِهِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا بِالْعِلْمِ ، وَتَوَلَّى مِنْهُمْ خِطَّةَ الْقَضَاءِ جَمَاعَةً
بِبِلَدِهِمْ ، فَكَانَتْ دَارُهُمْ دَارَ عِلْمٍ ، وَلَا إِشْكَالٍ .

أَخَذَ بِيَلَدِهِ عَنْ أَقَارِبِهِ النُّحُوَّ وَالتَّفْسِيرَ وَالحَدِيثَ وَالفِقْهَ وَالأَصُولَ وَالبَيَانَ
وَالتَّصَوُّفَ ، وَأَلْفَ نَحْوِ أَرْبَعِينَ تَأْلِيفًا مِنْهَا :

شَرَحَهُ عَلَى « مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ » مِنْ أَوَّلِ الزَّكَاةِ إِلَى النِّكَاحِ ، فِي سَفَرَيْنِ ،
وَحَاشِيَةً عَلَى « مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ » أَيْضًا فِي سَفَرَيْنِ ، وَ« تَنْبِيهِ الْوَاقِفِ عَلَى تَحْرِيرِ
[وَخِصَصَتْ] نِيَّةَ الْحَالِفِ » فِي كِرَاسِينَ ، وَتَعْلِيقَ عَلَى الأَلْفِيَّةِ ، لَمْ يَكْمُلْ
وَ« غَايَةُ الأَمَلِ فِي تَفْضِيلِ النِّيَّةِ عَلَى الْعَمَلِ » وَ« غَايَةُ الإِجَادَةِ فِي مَسَاوَاةِ الْخَبَرِ^(٢) »
لِلْمُبْتَدَأِ فِي اشْتِرَاطِ الإِفَادَةِ » وَ« التَّحْدِيثُ وَالتَّنْزِيلُ فِي الْإِحْتِجَاجِ بِابْنِ إِدْرِيسٍ »
يُرِيدُ بِأَلْفَاظِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ . وَ« جَلْبُ النِّعْمَةِ وَدَفْعُ النِّقْمَةِ بِمُجَانِبَةِ الظُّلْمَةِ » وَ« شَرْحُ
الصَّغْرِيِّ » لِلْسَّنُوسِيِّ ، وَ« نَيْلُ الْإِبْتِهَاجِ بِالدَّيْلِ عَلَى الدِّيْبَاجِ » وَ« الْمَطْلَبُ وَالمَأْرَبُ

(١) هَكَذَا فِي الأَصْلِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ١٧٤/١ ، ١٧٥ فِي الْعِلْمِ بِبَابِ كَيْفِ يَقْبِضُ الْعِلْمَ وَمُسْلِمٌ ٢٦٧٣ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (ش) .

(٣) انظُرْ هَذَا وَقَابِلْهُ بِمَا فِي السُّطْرِ ١٩ مِنْ الصَّفْحَةِ ١٧ .

في معظم أسماء الرب .

وله مسائل وأجوبة ، وامتحن رضي الله عنه في طائفة من أهل بيته بثقافتهم في بلادهم ، في محرم اثنين وألف على يد محمود بن زرقون ، لما استولى على بلادهم ، وجاء بهم أسارى في القيود ، فوصلوا مراکش أول رمضان من العام المذكور ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقافة إلى أن انصرم أمر المحنة ، فسرحوا يوم الأحد الحادي والعشرين لرمضان سنة أربعة وألف ، فقرحت قلوب المؤمنين لذلك ، جعلها الله لهم كفارة ذنوبهم .

ثم لما خرج من المحنة درس بجامع الشرفاء « مختصر خليل » و« تسهيل ابن مالك » و« الفية العراقي » و« تحفة الحكام » لابن عاصم ، و« جمع الجوامع » للسبكي ، و« حكم ابن عطاء الله » و« الجامع الصغير » للسيوطي ، و« الصحيحين » و« مختصرهما » و« الموطأ » و« الشفا » و« الخصائص الكبرى » للسيوطي ، و« شمائل الترمذي » و« الاكتفاء » للكلاعي ، وازدحم عليه الخلق وأعيان الطلبة ولازموه .

وقرأ^١ عليه القضاة ، كأبي القاسم بن أبي النعيم ، وكان حينئذ أناف على الستين سنة ، وكأبي العباس بن القاضي ، وعين للفتوى مراراً ، فابتهل إلى الله أن يصرفها عنه ، واشتهر اسمه ونعته من سوس إلى بجاية والجزائر .

ولد في الحادي والعشرين (٢١) من ذي الحجة عام ستين وتسع مئة (٩٦٠) . كل هذا وصف هو به نفسه لما ترجم لنفسه آخر كتابه « كفاية المحتاج » . وأثنى عليه جماعة من الناس بهذا ، وأكثر منهم تلميذه الإمام الزاهد الورع سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي ، وقال : ليس هو من السودان بل هو من صنهاجة من قبيلة منهم ، يقال لها : مسوفة ، ثم ذكر نحو ما تقدم ،

(١) قابله بما في السطر ١٢ من الصفحة ١٨ .

قال : وكان كثيراً ما يزور سيدي أبا العباس السبتي ، نقل عنه أنه قال :
 زرتُه أزيد من خمس مئة مرة ، قال : وكانت عنده بطاقة ، مختوم عليها إذا
 جاء القبر يضعها عليه ، فيقول : إني أسألك ما في هذه البراءة لأنه قد يحضر
 معه غالباً بعض الملازمين له ، قال : ولما كتبت له تاريخه في أعيان العلماء
 تذييلاً لديجاج ابن فرحون أكد علي في إخفائه قلت : وهذا المناسب في العمل الذي
 يكون لله لا يظهره ، إذ ربما وافق هوى أحد ، وربما خالفه ، فيستريح من
 آفات ذلك ، فإذا ظهر بعد موته فلا حرج .

وبيت صاحب الترجمة بيت علم وصلاح ، توارث العلم فيه نحو خمس مئة
 سنة ، وقد انفصل رحمه الله عام أربعة عشر وألف (١٠١٤) من المغرب ،
 قال : وسمعتُه يقول : أنا أقل عشيرتي كتباً ، وذهبت لي ست عشرة مئة مجلد . اهـ .
 وناهيك ببيت علم تجمع فيه الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء مئين من
 السنين . اهـ . كلام المحقق سيدي أحمد بن علي السوسي من تأليفه المسمى
 « بذل المناصحة في فعل المصافحة » .

قلت : ولمثل هذا تبكي البواكي ، فلو احترم إقليم بعد جنابة أهله بما
 يوجب عقوبة جميعهم ، لمثل هذا العالم الوحيد القدر العلي الذكر ، الذي به
 وبأمثاله يحق الفخر ، لقله وجود مُشَاكِلِهِ في الدهر ، لكان ذلك أمراً أكيداً
 وفعلاً حميداً ، ثم استولى على من تعرض لهذا الأمر الفظيع ، والفعل الخسيس
 الشنيع ، داعي الهوى والشيطان حتى باء بالبعد والخسران ، فكان ختام أمره
 وفي مثالب ذكره ، فأصبح من العار بمكان ، وكان من أمره ما كان ، ولا بد
 لكل عامل أن يقدم على عمله ، ويسعى ما هيأه لغيره دون أمله . حفظنا الله
 من معاداة أوليائه ، وجعلنا من أهل قربه واصطفائه . اهـ .

وفي « الصفوة » : الإمام الفقيه العلامة أبو العباس سيدي أحمد بابا التنبكتي ،
 وليس هو من السودان ، بل من صنهاجة من قبيلة يقال لها : مسوفة ، ممن

برع في الفنون ، وتضلع بجميع العلوم ، وبيت أسلافه بيت علم وصلاح ، قال في « بذل المناصحة » : سمعته يقول : أنا أقل عشيرتي كتباً ، نهبت لي ست عشر مئة مجلد ، وناهيك ببيت علم جمعت فيه الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء ، وقد عرّف بنفسه في آخر « كفاية المحتاج » فقال : ولدت ليلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسع مئة ، ونشأت في طلب العلم ، واشتهرت بين الطلبة بالمناظرة على ملل وكلل في الطلب ، وألفت عدة كتب .

وقال صاحبنا الثقة أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي في « فهرسته » في ترجمته : كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام ، حسن التصنيف ، كامل الحظ من العلوم فقهاً وحديثاً وعربية وأصلين وتاريخاً ، مثابراً على التقييد والمطالعة ، مطبوعاً على التأليف ، ألف تأليف مفيدة ، وله أجوبة عن إشكالات ، وكان من أوعية العلم . اهـ . ملخصاً .

قال سيدي أحمد بابا : وصاحبنا الناقد المذكور لم ألق بالمغرب أثبت ولا أعرف بطرق أهل العلم منه اهـ .

قال أبو زيد في « الفوائد » : وقوله في ابن يعقوب لم ألق الخ جموح عن شهادة العيان ، فإن أبا يعقوب لم يبلغ مبلغ نعل الأئمة الذين كانوا يأخذون عنه ، كأبي الحسن ، وأبي عمران ، وأبي عبد الله الرجراجي ، وأبي العباس بن القاضي ، وابن أبي نعيم ، وأضرابهم . وبمثل هذه الغفلة كان يفتي رحمه الله بحلّية دخان التبغ المنتن الخبيث ، الذي أجمع فقهاء الأمصار من الحرمين إلى بلد جزولة على حرمة لخبثه ، والجواد يكبو والسيف الصارم ينبو ، وأبو يعقوب المذكور من أدباء الدولة المنصورية . انظر التعريف به في كتابنا « النزهة » .

أخذ صاحب الترجمة عن أبيه ، وعن محمد بن محمود بغيغ ، كلاهما عن الشيخ محمود بن عمران المنسوب له شرح المختصر المسمى « بالسوداني » ، وأخذ محمود عن النور السهوري ، عن البساطي ، عن تلامذة خليل . كان رحمه الله دؤوباً على نشر العلم ، معتنياً بالمطالعة ، حريصاً على التأليف .

وامتحن رحمه الله مع أهل بيته فحملوا مصفدين في الحديد ، ومعهم حريمهم ، ونهبت خزائن كتبهم ، وسقط هو عن الجمل الذي كان يحمله ، فانكسرت رجله ، وبقوا في مراكش مسجونين عامين ، ثم سُرحوا ، وكان القبض عليهم في آخر المحرم عام اثنين وألف (١٠٠٢) ، ولما دخل على السلطان أبي العباس أحمد المنصور داره المسماة « بالبديع » ، وجده قد اتخذ حجاباً بينه وبين الناس ، وهو من وراء الستارة يتكلم ، فقال الشيخ : قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ (١) وأنت تشبهت بربّ الأرباب ، وإن كانت لك حاجة في الكلام معنا ، فأنزل لنا وارفع الحجاب عنا ، فنزل السلطان ، فقال له الشيخ : أي حاجة في نهب متاعي وتصفيدي من تنبكتو إلى هنا ، حتى سقطت من على ظهر الجمل وانكسرت رجلي ، فقال له السلطان : أردنا كي تجتمع الكلمة ، فقال له الشيخ : هلاً جمعتها بترك تلمسان ، فقال له السلطان : قال النبي ﷺ : « اتركوا الترك ما تركوكم » (٢) فقال له الشيخ : ذلك زمان ، وبعده هذا زمان . قال ابن عباس : لا تركوا

(١) سورة الشورى الآية : ٥١ .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢) من حديث أبي سكينه رجل من المحرّرين . عن رجل من الصحابة . عن النبي ﷺ قال : « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » . ورواه النسائي ٤٣٠٦ في الجهاد مطولاً . . . وهو عند الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » من حديث الأعمش . عن زيد ابن وهب . وشقيق بن سلمة . كلاهما عن ابن مسعود رفعه . وله شاهد عند الطبراني من طريق ابن لهيعة . عن كعب بن علقمة . عن حسان بن كريب . عن ابن ذي الطلاع . عن معاوية بن أبي سفيان مرفوعاً به . قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » : وبعضها يشهد لبعض . ولا يسوغ معها الحكم عليه بالوضع (ش) .

الترك وإن تركوكم . فسكت السلطان . ولما سُرح صاحب الترجمة من السجن بمراكش تصدر للتدريس فتنافس كبار طلبة مراكش في الأخذ عنه ، مع كون لسانه معقداً لا يفهم إلا بعد ممارسة .

قال في « تكميل الديباج » : ولما خرجنا من المحنة ، طلبوا مني الإقراء ، فجلست بعد الإجابة بجامع الشرفاء بمراكش من أقوى جوامعها ، أقرأ « مختصر خليل » قراءة بحث وتحقيق ، ونقل وتوجيه ، وكذا « تسهيل ابن مالك » ، و« ألفية العراقي » ، فحُتمت علي نحو عشر مرات ، و« تحفة الحكام » لابن عاصم ، و« السبكي » و« الحكم » و« الجامع الصغير » قراءة تفهم مراراً ، و« الصحيحين » مراراً ، و« مختصرهما » و« الشفا » ، و« الموطأ » و« الخصائص الكبرى » للسيوطي و« الشماثل » و« الكلاعي » ، وغير ذلك . وازدحم علي الخلق وأعيان طلبتها ، ولازموني وأفتيت فيها لفظاً وكتابة ، بحيث لا تتوجه الفتوى غالباً إلا إليّ ، وعينت لها مراراً فابتهلت لله أن يصرفها عني ، واشتهر اسمي في البلاد ، من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها ، اهـ . ولم يزل رحمه الله بعد تسريحه بمراكش إلى أن توفي المنصور ، فأذن له ولده زيدان في الرجوع إلى وطنه ، فرجع له ، وكان مدة إقامته بمراكش كثير الزيارة لقبور الصالحين ، خصوصاً سيدي أبي العباس السبتي ، رأيت بخطه قال : زرتة أزيد من خمس مئة مرة ، وكانت عنده بطاقة مختوم عليها : إذا جاء للقبر يضعها عليه فيقول : إني أسألك ما في هذه البراءة ، لأنه قد يحضر له بعض الملازمين ، وإذا كان يوم الجمعة ، لا تشاء أن تلقاه في أي ناحية من المدينة إلا لقيته يطلب المزارات الكامنة ، واستخرج منها عدة من شدة اعتناؤه . وكان يحكي عن والده كرامة وقعت له مع الشيخ البكري بمصر ، وإن والده كان بمصر يتردد إلى الإمام البكري ، فدخل عليه يوماً واجماً ، فقال له البكري : مالك ؟ فقال له : هذه مدة انقطع عني فيها خبر تنبكتو ، واستوحشت الأقارب

كأنني اتوقع في نفسي نازلة بهم ، قال : فمدّ له الشيخ فم كم قميصه ، وقال له : ادخل رأسك هاهنا ، فأدخل رأسه في كفه ، فرأى تنبكتو ، ورأى الدار والعشائر يتصرفون على حال السلامة ، لم يطرقهم طارق . وهذه الحكاية كان يذكرها عند ذكر قول أبي العباس المرسي : لو حجب عني رسول الله ﷺ الخ . فإذا استغرب الحاضرون ذلك . وقالوا : هل بالبصر أو بالبصيرة ؟ ذكر لهم الحكاية .

وله رحمة الله تأليف منها : « حاشية المختصر » من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين ، و« تنبيه الواقف على [وخصصت] نية الحالف » و« تعليق على أوائل الألفية » و« نيل الأمل في تفضيل النية على العمل » و« النكت المستجادة في إلحاق الفاعل بالمتبدا في شرط الإفادة » و« الحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس » يريد بألفاظه في العريية ، و« جلب النعمة في مجانبة الظلمة » و« المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب » و« ترتيبه جامع المعيار » و« تذييل الديباج » و« الدر النظير » و« خمائل الزهر » و« نشر العبير » الثلاثة في الصلاة على النبي ﷺ ، وغير ذلك .

قال سيدي أحمد بن علي السوسي : لما نسخت له تاريخه « تذييل الديباج » أكد علي في إخفائه ، وله شعر وسط ، أخذ عنه جماعة ، وتوفي رحمه الله بتنبكتو سنة ست وثلاثين وألف هـ .

أبو العباس أحمد الغبريني
من « وفيات ابن الخطيب القسنطيني »

المئة الثامنة - العشرة الأولى - الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني صاحب « عنوان الدراية » وغيره ، توفي سنة ٧٠٤ . هـ .

وأقول : الذي رأيت في نسخة « العنوان » إنه العالم النحرير المؤلف الشهير أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عمر الغبريني ، وكتابه « عنوان الدراية في علماء بجاية » .

ذكر فيه مشايخه ، من لقيه وأخذ عنه ، وبدأ فيه بذكر أبي مدين ، وأبي علي المسيلي ، وأبي محمد عبد الحق المتوفى سنة ٥٨٢ ، وعمارة الشريف أبي الطاهر ، وابنته عائشة الشاعرة (بعثت إلى ابن^(١) الفكون شعراً ليعارضها ولم يفعل) ، وسيدي العربي أبي عبد الله ، وأبي الفضل محمد بن علي بن طاهر ابن تميم القيسي ، المولود سنة ٥٤٠ المتوفى سنة ٥٩٨ ، فهؤلاء ستة .

وذكر بعدهم مشايخه وهم : عبد الحق بن ربيع المتوفى سنة ٦٧٥ ، وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف أبو فارس خزانة مذهب مالك ، ولد في تلمسان سنة ٦٠٢ ، وتوفي في الجزائر سنة ٦٨٦ ، وعبد الله بن محمد بن عبادة القلعي المتوفى سنة ٦٦٩ ، وعمر بن الحسن القلعي المتوفى سنة ٦٧٣ (قرأ هذا على أبي عبد الله بن منداس الجزائري) ، وأحمد بن خالد المالقي ، وابن الدراس المرسي المتوفى في تونس سنة ٦٧٤ ، ومحمد بن صالح الكناني الشاطبي (ولد في شاطبة) المتوفى سنة ٦١٤ ، وأحمد الصدي الشاطبي المتوفى في بجاية سنة ٦٧٤ ، وأبو العباس الغماري المتوفى في تونس سنة ٦٨٢ ، والقاضي ابن زيتون المتوفى سنة ٦٩١ (تونسي) ، وأحمد بن عجلان القيسي ، استوطن بجاية ، وتوفي في تونس سنة ٦٧٠ ، وأبو زكرياء السطيفي بن محجوبة باطنة الشيخ الحرالي توفي سنة ٦٨٧ ، وعبيد الله الأزدي من أهل رندة ، استوطن بجاية وتوفي سنة ٦٩١ ، وعبد المجيد الصدي الطرابلسي المتوفى في تونس سنة ٦٨٠ ، وعبد المنعم بن عتيق الغساني الجزائري ، (مشايخه مشايخ أبي

(١) قبل سيدي محمد بن عبد الكريم الفكون بقرون وهو أصله .

محمد عبد الحق بن ربيع ، وأخذ عن أبي علي بن عبد النور الجزائري) ،
وقاضي بجاية محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الشاطبي المتوفى
في تونس سنة ٦٩١ ، وأبو العباس ابن الغماز البَلَنَسِي (لقي أبا بكر بن محرز ،
وأبا المطرف بن عميرة ، وابن أبي نصر) ، وتوفي في تونس سنة ٦٩٣ ،
وابن أبي القاسم السلجماسي (تلميذ أبي محمد صالح الأسفي) ، توفي في
قلعة بني حماد ، وسيدي علي الزواوي اليتورغي .

ثم ذكر بعدهم يحيى بن علي الزواوي المتوفى سنة ٦١١ ، ومحمد بن
عبد الله المعافري ابن الخراط القلعي ، (لقي في « القلعة الحمادية » مشايخ
منهم : علي بن عثمان التميمي ، والأستاذ علي بن شكر بن عمر ، وأخذ عن
الخطيب المقرئ بن عفراء ، ومحمد بن معطي ابن الرماح مستوطن بجاية) ،
وعطية الله بن منصور الزواوي اليراتي ، (من بني يراتن إحدى قبائل زواوة) ،
وعلي بن أحمد بن إبراهيم الحرّالي التّجيبّي المتوفى سنة ٦٨٨ ، وابن عربي
الحاتمي ابن سراقه المرسي الإشبيلي (الذي خلصه من المحنة أبو الحسن علي
ابن أبي نصر) ، وفتح بن عبد الله البجائي المتوفى في حدود سنة ٦٤٠ ،
وأبو الفضل قاسم القرطبي المتوفى سنة ٦٦٢ ، (قبره قريب من قبر أبي زكرياء
ابن محجوبة الزواوي) ، وأبو زيد المرجاني الموصلي تقي الدين ، وأبو العباس
ابن الشريف الأصبهاني المتوفى في المغرب ، وهلال بن يونس الغبريني من
أصحاب أبي زكرياء الزواوي (كان يسكن دار المقدسي بحومة باب باطنه ،
وتعرف بدار الفقيه هلال) ، وأبو عبد الله القصيري من خواص الحرّالي ،
وأحمد بن عثمان الملياني المتوفى سنة ٦٤٤ ، وأبو عبد الله بن شعيب ، وابن
فتوح النفزي ، وعبد الله الشريف ، وابن الزيّات حافظ مذهب مالك ،
(استوطن بجاية وكان يدرس « التهذيب » و« التلقين » و« الجلاب » و« الرسالة »
و« تنبيه ابن بشير » و« منتقى الباجي » وهو تلو ابن عجلان في الفقه والدين

والعلم) ، وأبو تمام الواعظ الوهراني ، وعمر بن عبد المحسن الوجهازي المتوفى في عشر ٦٩٠ ، وعلي بن قاسم الأنصاري ابن السراج المتوفى ببجاية سنة ٥٦٠ ، وإبراهيم بن بهلول الزواوي المتوفى ببجاية سنة ٦٨٦ ، وميمون ابن جيارة^(١) بن خلوف البردوي المتوفى ببجاية سنة ٥٨٢ ، ومحمد بن إبراهيم الفهري البجائي ، ومحسن بن أبي بكر بن شعبان ، وعبد الكريم بن عبد الله بن الطيب الأزدي ابن بيكين القلعي (من نظراء محمد بن عبد الحق التلمساني) ، ومحمد بن عمر بن صمغان القلعي ، وأبو عبد الله بن أمة الله ، وأبو جعفر بن أمية ، ومحمد بن علي بن حماد بن عيسى ابن أبي بكر الصنهاجي من قرية «الحمراء» كان حياً سنة ٥٣١ ، (لعلها هي قرية الحمراء الموجودة اليوم قرب المنصورة في دائرة البيان) ، وعبدُ الحق الأزدي الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨ ، وعبد الله بن أحمد بن عبد السلام بن الطير ، وعبدُ الرحمن بن علي القرشي الصقلي ابن الحجري ، وعبدُ الله بن محمد بن يحيى الاغماتي ، وأبو عثمان سعيد بن عبد الله الجمل ، وابن ملك المرساوي ، وعلي بن عمران ابن موسى الملياني المتوفى سنة ٦٧٠ ، ومنصور بن أحمد المشدالي ، (معاصر للغبريني) ، وعبدُ الوهَّاب بن يوسف بن عبد القادر المتوفى في تونس نحو سنة ٦٧٠ ، وأبو زيد عبد الرحيم بن أبي دلال ، (من أصحاب الغبريني) ، وابنُ سبعين المرسي المتوفى يوم الخميس ٩ شوال عام ٦٠٩ ، وعليُّ النميري الششتري المتوفى يوم ١٦ صفر عام ٦٦٨ ، وأحمدُ بن أبي قاسم عبد الرحمن ابن عثمان التَّميمي الخطيب ، (وهو أول بيت ابن الخطيب ببجاية) ، وابنه عبد الله المتوفى في تونس سنة ٧٢٠ ، وعبدُ الله بن حجاج بن يوسف (كان قاضياً في الجزائر بعد أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي ، وتولى قضاء بجاية) وعبدُ الكريم بن عبد الواحد الحسيني (من أصحاب أبي زكرياء الزواوي

(١) أوخيارة .

ذي القصة المعروفة مع ابن حزم) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأريسي (من نظراء أبي علي بن عزون) ، وأبو علي عمر بن عزون السلمي ، وعلي بن عبد الله الأنصاري من أهل بونة (عنابة) ، وعبدُ الله محمد بن محمد بن الحسين الحسيني البجائي ، ويحيى بن علي بن حسن بن حبوس الهمداني (نظير الخشني وكان موجوداً سنة ٦١٥) ، وأبو إسحاق بن العرافة ، وأبو سعيد بن تونارت الدكالي المدرس ببجاية ، وعبدُ الرحيم بن عمر اليزناتي^(١) ، وأبو زكرياء اللمني (كان حياً سنة ٦٣٠) ، وأبو سليمان داود بن مطهر الوجهاني ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح الجزائري ، المتوفى سنة ٦٢٩ ، ويعقوبُ بن يوسف الزواوي المنجلاني المتوفى في تيكلات يوم ١١ جمادى الأولى عام ٦٩٠ ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي المتوفى في بجاية نحو سنة ٦٦٠ ، وعمر بن أحمد البجائي المتوفى في بجاية نحو سنة ٦٦٠ ، وعمر بن حسن بن علي بن دحية الكلبي ، (عالم كبير استوطن بجاية) ، وأبو الربيع سليمان بن كثير الأندلسي ، ومحمدُ بن إبراهيم الوغليسي ، ومحمدُ بن أحمد بن عبد الرحمن بن محرز (استوطن بجاية بعد سنة ٦٤٠ ، وتوفي بها يوم ١٨ شوال عام ٦٥٥ ، وكان مولده يوم ٣٠ جمادى الأولى أو الثانية عام ٥٦٩) ، وأبو عثمان سعيد بن علي بن محمد ابن زاهر^(٢) الأنصاري (استوطن بجاية وبها توفي يوم ٣ جمادى الأولى عام ٦٥٤ ، ودفن خارج باب اميسون ، بمقبرة عبد الله بن حجاج ، وولد في بلنسية سنة ٥٧٧) ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي (ولد في نحو سنة ٦٠٠ ، وتوفي في تونس يوم ٢٣ جمادى الثانية سنة ٦٥٩ ، أبوه سبط اللخمي ، وروى عنه) ، وأبو المطرف أحمد

(١) أو اليزناسني .

(٢) أو زاهد .

ابن عبد الله بن عميرة المخزومي المتوفى في تونس يوم ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٥٨ (ولد في شقر سنة ٥٨٢) ، وسعيد بن حكيم بن عمر القرشي دخل بجاية (ولد يوم ٦ جمادى الثانية سنة ٦٠١ ، وتوفي يوم ٢٧ رمضان سنة ٦٨٠) ، والحسن بن موسى بن معمر أبو علي الإفريقي ، ومحمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبار المتوفى يوم ٢٠ محرم عام ٦٥٨ ، (ولد في ربيع الأول سنة ٥٧٥) ، وعبد الله بن علوان (من أصحاب الغبريني) ، وأحمد بن محمد بن عبد الله المعافري ، (قرأ في الجامع الأعظم ، وارتحل إلى بجاية ، ولقي أبا زكرياء الزواوي) ، وعلي بن مومن الحضرمي (ابن عصفور) الإشبيلي (استوطن بجاية وتوفي في تونس نحو سنة ٦٧٠) ، وعبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبريني ، ومروان بن عمار بن يحيى البجائي ، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن عميرة المعروف بابن برطلة سكن بجاية (ولد في نحو سنة ٥٨٠ ، وتوفي في نحو سنة ٦٨٠) ، ومحمد بن عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي المتوفى في قسنطينة سنة ٦٣٦ ، ومحمد بن محمد بن أحمد الأريسي الجزائري ، حفيد الأريسي المتقدم ذكره ، (من نظراء أبي عبد الله التميمي) ، وأحمد بن يوسف الفهري الإبلي ، وأحمد بن محمد القرشي الغرناطي ، ومحمد بن محمد بن أحمد (ابن الجنان) .

هذا حاصل ما في «عنوان الدراية» من المترجمين ، وكلهم من أهل القرن السادس والسابع ، بعضهم من بجاية ، وبعضهم من خارجها ، نزل بها ثم استوطنها أو فارقها ، ومنهم من ذكر مولده ووفاته ، ومنهم من لم يذكر له مولداً ولا وفاة كما رأيت هنا ، وكتابه كتاب رجل خير بما يقول ، ودليل على أنه من الفحول ، وباليثني أقف على ترجمته أو أسمع بها في كتاب ، فأستعيره لأطالعها فيه ، أو أنقلها منه ، ولكن من ذا الذي يقرض إخوانه في هذا الوجود المقطوع الطرفين ، المضغوط بين عدمين قرصاً حسناً ، يقضيه

الله له في ذلك الوجود ، الذي وضع القدم على رقبة كل عدم ، نعم هناك
أشخاص يعدونك بالإعارة ويُشيدونك على سبيل الإشارة :

إذا استعرت كتابي وانتفعت به * فاحذرْ ووقيت الردى من أن تُغيره
واردْهُ لي سالماً إني شُغفتُ به * لولا مخافة كتم العلم لم تره

ثم لا تجد لهم (١) ظلاً فضلاً عن فيء ، دليلاً على أنهم في وعدهم ليسوا
بشيء ، وكأني بأحدهم يقول : متى طلبنا فأجبنا بلا ، وكيف يجوز في حقنا
هذا مثلاً . ولا يدري أنه لا يعير كتابه لنفسه ، فكيف لبني جنسه . وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أحمدُ بنُ أحمدِ الندرومي من « نيل الابتهاج »

الإمام العالم النحرير أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأستاذ
الندرومي .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد ، ورحل للقاهرة ، وتصدر فيها
للإقراء .

ومن تأليفه « اختصار شرح جمل الخونجي » لشيخه ابن مرزوق الحفيد
وكان حياً سنة ٨٣٠ .

(١) حاشا شيخنا سيدي شعيب قاضي تلمسان وعلامتها . فلولاه ما اطلعت على وفاة صاحب « عنوان
الدراية » في وفيات ابن قنفذ القسنطيني .

أحمد بنُ حسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ
القسنطيني
من « نيل الابتهاج »

أبو العباس الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ ، الإمام العلامة المتفنن الرحلة
القاضي الفاضل المُحدِّث المبارك المصنّف .

أخذ عن جماعة كأبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس ، والإمام
الأوحد الشريف أبي القاسم السبتي ، والإمام العلامة الشريف أبي عبد الله
التمساني ، والشيخ الحافظ الحجة أبي عمران موسى العبدوسي ، والعلامة الحافظ
القباب ، والإمام المُحدِّث الرحلة الخطيب بن مرزوق الجد ، والإمام النَّظَّار
أبي عبد الله بن عرفة ، والحافظ المفتي أبي عبد الله الوانغيلي الضرير ، والشيخ
أبي زيد اللجائي ، والإمام النحوي ابن حياتي ، في جماعة آخرين من الأعلام ،
ولقي جماعة كثيرة من الأولياء ، وتبرك بهم ، كالسيد الزاهد أحمد بن
عاشر وغيره .

ارتحل من بلاد أفريقية عام ٧٥٩ إلى المغرب الأقصى ، وبقي هناك ١٨ عاماً ،
فحصّل علوماً كثيرة ، واعتنى بقاء الصالحين ، وجال بلادها ، فلقى بها
الشريف أبا القاسم السبتي وأخذ عنه . وقال في « وفياته » بعد الثناء عليه :
وبالجملة فهو ممّن يحصلُ الفخر ببقائه اهـ .

وألف تأليف عدة في فنون منها : « شرح الرسالة » في أسفار ، و« شرح
الخونجبي » في جزء صغير ، و« شرح أصلي ابن الحاجب » و« شرح تلخيص
ابن البنا » و« شرح ألفية ابن مالك » و« أنوار السعادة في أصول العبادة »

في شرح بُني الإسلام على خمس و « تيسير المطالب في التعديل والكواكب » ،
وذكر أنه لم يهتد أحد من المتقدمين إلى مثله ، وكتاب « بغية الفارض من الحساب
والفرائض » و« تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد » و« وسيلة
الإسلام بالنبي عليه السلام » وقال : إنه من أجل الموضوعات في السير مع
اختصاره ، و« أنس الفقير وعزُّ الحقير » في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه .

وروى عنه الإمام ابن مرزوق الحفيد ، وغيره .

مولده في حدود ٧٤٠ وتوفي عام ٨١٠ ذكره الونشريسي في « وفياته » ،
ونقل عنه المازوني في « نوازله » ، والقلشاني في « شرح الرسالة » ومن شعره :

الفقه إن فكرت فيه رأيتَهُ * قد دارَ بينَ قواعدٍ مُتتاليَةٍ
فاطلُبُهُ في القرآنِ أو في سُنَّةِ * واعقدُهُ بالإجماعِ واتركُ خاليَةٍ

وله أيضاً :

مَضَتْ سِتُونَ عاماً مِنْ وُجُودِي * وما أَمَسْتُ عَنْ لَعِبٍ وَلَهْوٍ
وَقَدْ أَصْبَحْتُ يَوْمَ حُلُولِ إِحْدَى * وثامنةٌ على كَسَلٍ وَسَهْوٍ
فَكَمْ لابنِ الخطيبِ مِنَ الخطايا * وَفَضْلُ اللَّهِ يَشْمَلُهُ بِعَفْوٍ

قال العالم العلامة الحبرُ الفهامة أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن
الإمام سيدي عبدالسلام الشريف القادري ، رحمهم الله ، ورضي عنهم آمين
في أول تاريخه « نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني » رأيت تأليفاً
صَغُرَ جرماً وغَزُرَ علماً ، مرتباً على المثين ، بوجه لم يُسبق إليه من الهجرة النبوية
إلى المئة التاسعة ، الذي ألفه العلامة الإمام أحمدُ بنُ حسن بن علي بن الخطيب

ابن قنفذ القسطنطيني ، وذيلُه العلامة المؤرخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي^(١) ، وابتدأه من أول المئة الثامنة إلى تمام المئة العاشرة ، كما ذيل أيضاً بكتابه المسمى « بدرة الحجال » كتاب « وفيات الأعيان » للإمام شمس الدين بن خلّكان ، فكان من مجموع ذلك التاريخ من الهجرة النبوية إلى تمام المئة العاشرة ، وقد بنياه على الاختصار والتقريب ، وإفادة « وفيات الأعيان » على أحسن ترتيب اه .

وفي أخير « البستان » ما نصه : قال ابن الخطيب : وقد سألتني رجل عمّا وقع لي من التّأليف ليكتب ذلك في رحلته ، فأملت عليه ما صادفه زمانه من ذلك ، لحرصه على هذه المسائل ، ولنسردها هنا تكملة للغرض فمنها : « تقريب الدلالة في شرح الرسالة » في أربعة أسفار و« اللباب في اختصار الجلاب » و« معونة الرائض في مبادئ الفرائض » و« إيضاح المعاني وبيان المباني » في سفر شرح أرجوزة في المنطق نظم صاحبنا الأستاذ أبي عبدالله محمد بن الفقير أبي زيد عبد الرحمن الضرير المراكشي من أهل بلدنا (قسطنطينة) ومنها : « تلخيص العمل في شرح الجمل » في المنطق و« انس الفقير وعزّ الحقير » في ترجمة رجال من أهل التصرف كأبي مدين وأصحابه ، و« أنوار السعادة في أصول العبادة » وهو شرح لقوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس »^(٢) الحديث ، وفي كل قاعدة من الخمس أربعون حديثاً وأربعون مسألة ، ومنها

(١) تأليفه نحو ١٨ ، بعضها مذكور في ظهر كتابه « جذوة الاقتباس » المطبوع بفاس ، ومنها « لقطة الفرائد من حقائق (أو حقائق) الفوائد » ، ذيل به « وفيات ابن قنفذ » ، ومن مشايخه في المغرب سيدي أحمد بابا التنبكتي ، وفي المشرق النور القرافي . ومن تلاميذه سيدي أحمد المقرئ . رحمهم الله أجمعين .

(٢) هذا حديث صحيح متفق على صحته . فقد أخرجه البخاري ٤٧/١ في الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » . ومسلم (١٦) في الإيمان : باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام . وأخرجه الترمذي ٤١/٥ باب ما جاء « بني الإسلام على خمس » (ش) .

« هداية المسالك في بيان ألفية ابن مالك » ومنها : « المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدية » ومنها : « سراج الثقات في علم الأوقات » ومنها « تسهيل العبارة في تعديل السيارة » اشتمل على أربعين باباً وستين فصلاً ، ومنها « أنس ^(١) الحبيب عن عجز الطبيب » ومنها « تيسير المطالب في تعديل الكواكب » ولم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين ، ومنها « بسط الرموز الخفية في عروض الخزرجية » ، ومنها « وقاية الموقت ونكاية المنكت » ، ومنها « العبودية في إبطال الدلالة الفلكية » ومنها « حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب » وهو شرح تلخيص ابن البنا ، وقد سبق إليه ابن زكرياء الأندلسي ، وكان أخذ من كتابي نسخة عند مجاوزته لمدينة فاس بعد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة ، ومنها « التلخيص في شرح التلخيص » ، ومنها « الإبراهيمية في مبادئ العربية » ، ومنها « تفهيم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب » قيّدته زمن قراءتنا على الشيخ أبي محمد عبد الحق المسكوري بمسجد البليدة من مدينة فاس ، وكان الابتداء في أول سنة تسعين ^(٢) وسبع مئة ، ومنها « علامة النجاح في مبادئ الاصطلاح » ، ومنها « بغية الفارض من الحساب والفرائض » و« الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية » و« تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد » وهو غريب ، ومنها « وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام » وهو من أجلّ الموضوعات في السيرة لاختصاصه ، ومنها هذا المختصر الذي سمّيته « شرف الطالب في أسنى المطالب » ، ومنها « تقييدات في مسائل مختلفات » ، وكل ذلك بتوفيق الله تعالى ، وقد أذنت لمن رأي أو رأى من رأيي وهما درجتان أن يحدث عني إن شاء الله بما شاء من مصنفاتي أوضح لديه من رواياتي ^(٣) اهـ .

(١) هكذا في الأصل .

(٢) الذي في وفياته سبعين لا تسعين .

(٣) ما ذكره صاحب « البستان » في أخيره ذكره المترجم في أخير « وفياته » وبه ختمها .

وقد أطلعني العلامة الفقيه البركة التزيه شيخنا سيدي شعيب بن أبي بكر قاضي مدينة تلمسان على « وفيات ابن قنفذ » هذا واستفدت منها نقولاً وتحقيقات تاريخية ، وهي أوراق ستة من القالب النصفى ، ذكر فيها من علماء المغرب الأوسط عشرين ، أولهم في العشرة الثانية من المئة السادسة أبو الفضل ابن النحوي الشيخ الصالح ابن الشيخ الصالح أبي الفضل البسكري توفي سنة ٥١٣ ، وفي العشرة العاشرة شيخ المشايخ أبو مدين شعيب بن الحسن ، ودفن بعباد تلمسان وفي العشرة الثانية من المئة السابعة الشيخ الفقيه الولي أبو زكرياء الزواوي توفي ببجاية سنة ٦١١ ، وفي العشرة الثالثة القاضي محمد بن عبد الحق التلمساني توفي في سنة ٦٢٥ بتلمسان ، والفقيه الراوية أبو الحسن بن أبي نصر البجائي توفي سنة ٦٥٢ ، وفي العشرة السابعة المحدث أبو الحسن علي بن علي بن ميمون ابن القنفذ توفي سنة ٦٦١ ، وفي العشرة الثامنة الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي ببجاية ، توفي في سنة ٦٧٥ ، وفي العشرة الأولى من المئة الثامنة الفقيه المحدث الجليل الشهر الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد ابن محمد الغبريني ، وفي العشرة الرابعة الشيخ الفقيه العالم أبو علي منصور ابن أحمد ، ويعرف بناصر الدين المشدالي توفي ببجاية سنة ٧٣١ ، وخطيب قصبة بجاية الممتع بالدراية والرواية أبو عبد الله محمد بن محمد بن غريون البجائي توفي في سنة ٧٣٣ ، والفقيه الجد والد والد علي بن حسن بن القنفذ توفي في سنة ٧٣٣ ، والقاضي أبو زكرياء بن محمد بن الشيخ بن زكرياء بن يحيى بن عصفور العبدي توفي سنة ٧٣٤ ، وفي العشرة الخامسة الشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المفسر البجائي توفي ببجاية سنة ٧٤٤ والشيخ محمد بن علي البجائي توفي سنة ٧٤٧ ببجاية ، وفي العشرة الثامنة أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني توفي سنة ٧٧١ ، والإمام أبو عبد الله محمد الشريف الحسني التلمساني توفي سنة ٧٧١ ، والفقيه الجليل الخطيب أبو عبد الله محمد

ابن الشيخ الصالح أبي العباس أحمد بن مرزوق توفي سنة ٧٨٠ ، وفي العشرة التاسعة الفقيه الحاج أبو علي حسن بن خلف الله بن باديس بقسنطينة توفي سنة ٧٨٤ ، والفقيه الصالح المفتي أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي توفي سنة ٧٨٦ ، والمحدث المقرئ المدرك قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن أبي القاسم توفي سنة ٧٨٧ ، والفقيه أبو عمار المسيلي توفي سنة ٧٨٧ ، وفي العشرة الأولى من المئة التاسعة الفقيه الحافظ الأستاذ الجليل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي القسنطيني الضرير توفي في عنابة سنة ٨٠٧ .

الشيخ أحمدُ السُّوداني شارح الآجرومية

من « نشر المثاني »

الشيخ العالم النحوي أحمد قيد محمد ، وكان هذه اللفظة عند أهل السودان من الألفاظ الدالة على التعظيم ، ورأيت في بعض التقايد ما يدل على أن معناها سيدي أحمد ، وهو ابن أحمد السُّوداني قاضي تنبكتو . كان جامعاً للنحو ، وأصول الفقه ، وأصول الدين .

قرأ على الفقيه محمد بن محمود بغيغ ، قرأ عليه « مختصر خليل » و « الرسالة » و « الشافية » ، وقرأ على غيره من أهل بلده .

وكان أبيضَ ، جميل الملبس ، فصيح اللسان ، وعليه الهيبة ، وتولَّى تنبكتو بعد موت أخيه القاضي محمد عام ١٠٢٠ يجيد قراءة الألفية لابن مالك ، والبحث مع شُرَّاحها ، وكان يدرس « قطر الندى » و « شذور الذهب » كلاهما لابن هشام ، و « التسهيل » و « الرسالة » و « المختصر » و « تحفة الحكام » و « شرح الآجرومية » ، وله تعليقات على المرادي .

ولد عام ٩٧١ ، وتوفي عام ١٠٤٤ ، كذا أخبر به بعض أهل بلده ،

وشرحه على الجرومية متداول بفاس ، وهو مُعْتَنَى به ، ودال على ما ذكرته هنا ، والله تعالى أعلم اه .

أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الجزائري الزواوي « نيل الابتهاج »

الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو العباس ، ظريف العارفين ، صاحب العقيدة المنظومة اللامية المشهورة (التي أولها :

الحمدُ لله وهو الواحدُ الأزلي * سبحانهُ جَلَّ عن شبهٍ وعن مثل
فليس يُحصى الذي أولاه من نِعَم * أجلُّها نِعْمَةُ الإيمانِ بالرُّسُلِ
وهي تنيف على أربع مئة بيت)^(١) .

قال فيه بعض العلماء وقد ذكر أبا زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي :
هو نظيره علماً وعملاً .

وقال الشيخ زروق : كان شيخنا أبو العباس أحمد الجزائري من أعظم العلماء إتباعاً للسنة ، وأكبرهم حالاً في الورع ، وكان يُشير علينا بأنه ينبغي لمن وسع الله عليه من الدنيا أن يظهر عليه أثر نعمة الله تعالى ، باستعمالها على وجه يباح ، ولا يخل بالحق ولا بالحقيقة بأن يلبس أحسن لباس جنسه ، أو وسطه ، ويتخذ مِرْقَعَةً إن أمكنه يجعلها عُذَّتَهُ وأصل لباسه ، فما دام غنياً عنها استغنى ، وإلا فهي المرجع عنده . اه وقد شرح الإمام السنوسي المنظومة المذكورة شرحاً حسناً ، وأثنى فيه على ناظمها بالعلم والصلاح توفي سنة ٨٨٤ هـ .

أقول : ولما بعث سيدي أحمد بن عبدالله منظومته الجزائرية إلى العلامة سيدي محمد السنوسي طالباً منه شرحها أجابه الشيخ إلى مطلوبه ، وأرسل إليه
(١) ما بين القوسين غير مذكور في نيل الابتهاج .

الشرح ، فقرظه بقوله :

شَرَحُ الْكِفَايَةِ أَيُّهَا الْمُتَدَيِّنُ * تحصيله فرض عليك معين
تجلو معانيه القلوب من الصدا * وتيرها واللفظ سهل بين
ما هو إلا السروض يحسن منظراً * من ذا يرى حسناً ولا يستحسن
يا ناظر به وكاسيه يغبطه * فأعز من ثمن النفس المثنى
يجزي مؤلفه الإله بجنه * دار النعيم بها تقر الأعيان

وقال أيضاً يرثي شيخه سيدي عبد الرحمن الثعالبي :

لقد جزعت نفسي لفقدي أحبتي * وحق لها من مثل ذلك تجزع
ألم بنا ما لا نطبق دفاعه * وليس لأمر قدر الله مرجع
جری قدر المولى بإنفاذ حكمه * ومن حكمه أنا نطيع ونسمع
فلا تعجبنا إلا لغفلتنا التي * دهتنا فصرنا لا نخاف ونسمع
قلوب قست ما إن تلين وإنها * لتعلم أن القبر مثوى ومضجع
وإن فناء الخلق حتماً وإنما * دوام البقا حقاً إلى الله يرجع
ومن بعده هول القيامة واللقا * فيا هول ما نلقى وما نتوقع
فدع عنك دنياً لا تدوم وإنها * وإن أظهرت حسناً يروق ستخدع
ودع عنك آمالاً فقد لا تنالها * وإن نلتها نلت الذي ليس ينفع
وبادر لتقوى الله إن كنت حازماً * هي العروة الوثقى بها النار تدفع
وشمر لأخرى واستمع قول ناصح * وحاذر هجوم الموت إن كنت تسمع
فأين خيار الخلق رسلاً وأنبياء * وأين رواة العلم في اللحد أودعوا
فليس ذهاب الخير إلا بفقدهم * وتشتت شمل العلم قل كيف يجمع
ولا خير في الدنيا إذا لم يكن بها * شمس بأنوار الشريعة تسطع
ليوشك قبض العلم عنا بقبضهم * كما قاله خير الأنام المشفع

لقد بان أهل العلم عنا وأقفرت *
 كما بان عنا شهمننا العالم الذي *
 أبو زيد المشهور بالعلم والتقى *
 هو العالم الموصوف بالنفع للورى *
 صبور كريم النفس يكسى مهابة *
 إذا ما بدا كالبدري بين صحابه *
 بمجاسيه نور ورائق لفظيه *
 فوائده ترى عليهم وكلهسا *
 مجالس علم قد مضت فلو أنها *
 نتيجة إخلاص وصدق كأنها *
 ويلمغ في أثنائها بمواعظ *
 فيا له قبر الشيخ طوبى لمعشر *
 أعزى أبا عبد الإله محمداً (١) *
 ونحن وإن كنا جميعاً نحبّه *
 أصبنا به فالله يعظم أجرنا *
 فيا سيدي إني رثيتك راجياً *
 ولي فيك حب زائد متمكّن *
 لئن كان حظ العين منك فقدتّه *
 على أنني بالإثر لا شك لا حق (٢) *
 فنسأله سبحانه بنبيّه *
 ويغمرنا والسامعين برحمته *
 منازهم إننا إلى الله نرجع *
 سناه بأنوار الحقيقة يسطع *
 له العلم فينا والمقام المرفع *
 به عنهم خطب الحوادث يرفع *
 فما إن يراه المرء إلا ويخضع *
 وهم هالة دارت به حين يطلع *
 ضياء نفيس الدر بل هو أرفع *
 لها عند أهل العلم والفهم موقع *
 تعود ولكن ما مضى ليس يرجع *
 سهام بها يرمي القلوب فتخشع *
 تنفر عن فعل القبيح وتردع *
 لهم من جوار الشيخ لخذ ومضجع *
 ومن بجميل الصبر نرجو سجمع *
 فقلبك أشجى للفراق وأوجع *
 ويلهمنا الصبر الجميل ويوسع *
 سلو قلب من فراقك توجع *
 حوته سويداء الفؤاد وأضلع *
 فإني برؤيا الروح في النوم أقنع *
 ومن ذا الذي يرجو البقاء ويطمع *
 عسى بفراديس النعيم سنجمع *
 نال بها الفوز العظيم ونرتع *

(١) نجل سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهما .

(٢) توفي بعده بثماني سنوات .

وأهدي صلاتي للنبي محمد * لعلَّ بها في حوضه العذب نكرعُ
وأصحابه الغر الكرام وآله * ومن كان للإحسان والحق يتبعُ
عليكم أبا زيد الإمام تحية * ورحمة مولانا الكريم تُشفعُ

أحمدُ بنُ عثمان بن عبد الجبار الملباني

من « كفاية المحتاج »

أحمدُ بن عثمان بن عبد الجبار الملباني المتوسي^(١) قال أبو العباس الغبريني
كان فاضلاً كاملاً متقناً محصلاً مجتهداً جليلاً ، رحل للشرق ، ولقي جلة
فضلاء ، ثم سكن بجاية ، وأقرأ بها وأسمع .

له علم بالفقه والعربية والأصلين ، وحظ من التصوف والعبادة ، موقراً
محترماً مهاباً ، مع تقدم في معرفة التلقين ، لم يكن لغيره ، وهو وإن كان
إماماً في الفقه لكنه في هذا الكتاب أجلى من غيره ، له عليه تقييد ونكت ، وذكر
أنه كملَّ بعض ما فات المازري عليه ، توفي عام أربعة وأربعين وست مئة اه .

وفي « عنوان الدراية » : الشيخ الفقيه الجليل الفاضل الكامل المحصل
المتقن المجتهد أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملباني رحمه الله ،
رحل إلى المشرق ، ولقي الفضلاء والجللة ، ثم رجع إلى المغرب ، وسكن بجاية ،
وأقرأ وأسمع ، له علم بالفقه وأصول الدين ، وحظ من التصوف ، ونصيب من
العبادة ، وكان موقراً محترماً مهاباً ، وكان له في التلقين تقدم ونظر لم يكن
لغيره ، ولم يكن له مثل في غيره من الكتب ، وإن كان الرجل إماماً في الفقه
ولكنه في هذا الكتاب أجلى من غيره من الكتب ، وله عليه تقييد فيه تنبيهات
خفية ، وسمعتُ أنه كملَّ بعض ما فات المازري على « التلقين » غير أني سمعت

(١) هكذا في بعض النسخ ، وفي بعضها التونسي الملتاني .

شيخنا الفقيه أبا محمد بن عبادة، يحكي عن بعض أشياخه أنه سئل عن كلام الرجلين على التلقين فقال : بينهما ما بين بلديهما . هكذا سمعتُ منه رحمه الله في مجالس متكررة .

والفقيه أبو العباس ممن لا يُجهل قدره ، ولا يُنكر خيره ، ولقد استدعاه رضي الله عنه الأمير الأجلُّ أبو زكرياء رحمه الله إلى حضرة إفريقية ، وحضر مجلسه ، وجعل بعض الحاضرين يلقي بعض المسائل النحوية بحضرتة ليحركه للكلام ، فلم يتحرك للجواب ، وكانت المسائل من المبادئ ، فرأى أن الكلام في المبادئ لا يفيد ولا يجدي ، ولا تظهر فيه فضيلة الفاضل ، ولا جهل الجاهل ، فظهر ذلك للحاضرين ، فأجلوه إجلاله ، وعرفوا فضله وكماله . وقبره بمليانة ، وتوفي بها سنة ٦٤٤ ، وهو ممن تلمس البركة في شهوده ، ويظفر زائره بمقصوده ، ويتصل إسنادي عنه من جهة شيخنا الفقيه أبي محمد عبد العزيز ، وأبي محمد عبد الحق بن ربيع ، وغيرهما رحم الله جميعهم اهـ .

أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ زكري

« نيل الابتهاج »

عَلَّامَتها ومفتيها العالم الحافظ المتفنن الإمام الأصولي الفروعِي المفسر الأبرع المؤلف الناظم الناثر .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق ، والمفتي الحجة قاسم العقباني ، والعلامة الصالح أحمد بن زاغو ، والعالم الأعراف المفتي محمد بن العباس ، وغيرهم . ويذكر أنه كان في أول أمره حائكاً ، فدفع له شيخه ابن زاغو غزلاً ينسجه له ، ثم إنه حضر عند ابن زاغو يطلب منه غزلاً يكمل به ، فوجده يدرس ويقرر قول ابن الحاجب : وخرج في الجميع قولان . فأشكل معناه على الطلبة ،

وعسر عليهم فهمه . فقال له ابن زكري : أنا فهمته ، ثم قرره أحسن ما ينبغي .
فقال له الشيخ : مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة ، وكانت أم ابن زكري
أيماً . فذهب إليها الشيخ ابن زاغو وحثها أن تُحرّض ولدها على طلب العلم ،
فاشتغل حينئذ بالعلم ، فكان منه ما كان .

وله تأليف كتأليفه في « مسائل القضاء والفتيا » و« بغية الطالب في شرح
عقيدة ابن الحاجب » و« المنظومة الكبرى في علم الكلام » تنيف على ألف
 وخمس مئة بيت ، وغيرها ، وله فتاوى كثيرة منقولة في « المعيار » وغيره ،
توفي في صفر سنة ٨٩٩ ، قاله الونشريسي في « وفياته » .

وقال تلميذه أحمد بن أطاع الله توفي سنة ٩٠٠ ، وأخذ عنه خلق من
أجلهم الإمام أحمد زروق ، والخطيب العلامة محمد بن مرزوق ، حفيد
الحفيد ، والشيخ العالم أبو عبد الله الإمام محمد بن العباس ، وغيرهم ،
ووقع له منازعة ومشاحنة مع الإمام السنوسي في مسائل ، كل منهما يرد
على الآخر ، لولا خوف الإطالة لذكرنا بعضها اه .

وفي « البستان » : مات أبوه وتركه صبياً في حضانة أمه ، ثم إن أمّه
أتت به تعلمه الصنعة ، وأدخلته في طراز عند معلم ليتعلم الحياكة ، وبقي
عنده حتى تعلم النسيج ، ثم إن الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد بن عبد
الرحمن بن زاغو أتى بغزل ينسجه عند المعلم ، فسمع سيدي أحمد بن زكري
يُغني فأعجبه حسن صوته ، فقال : ما أحسنَ هذا الصوت لو كان صاحبه
يقرأ ، ثم إنه سأل عن المعلم فلم يجده ، فأعطى الغزل للمتعلم (ابن زكري) ،
وأوصاه فقال له : قل لمعلمك يقول لك ابن زاغو : انسج لي هذا الغزل ،
فلما أتى المعلم أخبره بالقصة ، وسفح المعلم الغزل ، وصار ينسجه فخصت
الطعمة ، وبعث متعلمه سيدي أحمد بن زكري ياتيه بالطعمة ، فوجد الشيخ

في المسجد يُقرئ الطلبة ابن الحاجب الفرعي في مسألة ثوب الحرير والنجس ، وهو قول ابن الحاجب : فإن اجتمعا فالمشهور ابن القاسم بالحرير ، وأصبح بالنجس ، فخرج في الجميع قولين . فقرر الشيخ مسألة التخريج للطلبة . فلم يفهموها ، وفهمها سيدي أحمد بن زكري . قال له ابن زكري : يا سيدي فهمتُ تلك المسألة ، فقال له الشيخ : قررها لأعلم كيف فهمتها فقررها له ، فقال له : بارك الله فيك يا ولدي ، فقال له أين أبوك؟ فقال له : مات ، وأمك؟ فقال له : حية ، وما أجرتك في الطراز؟ قال له : نصف دينار في الشهر ، فقال له : أنا أعطيك نصف دينار في كل شهر ، وارجع يا ولدي تقرأ وسيكون لك شأن ، وقال له : أين أمك نذهب إليها؟ قال له : نعم ، فذهب معه إلى العجوز في دارها ، وقال لها : ولدك هذا ما أجرته في الطراز؟ قالت له : نصف دينار في كل شهر ، قال لها : أنا أعطيك مسبقاً في كل شهر نصف دينار ، ونرده يقرأ ، فقالت له : أو تنصفي فيه؟ قال لها : نعم ، وأخرج النصف من جيبه ودفعه لها ، وشرع يقرأ ، ثم بعد مدة مات شيخه سيدي أحمد بن زاغو فانتقل سيدي ابن زكري إلى سيدي محمد بن أبي العباس في العباد يمشي من تلمسان كل يوم صباحاً ، ويروح مساء ، ثم إنه في يوم من الأيام نزلت ثلجة كبيرة ، فذهب ابن زكري على عادته يقرأ دويلته^(١) على سيدي محمد ابن أبي العباس ، ثم إنه رضي الله عنه استصعب الذهاب إلى تلمسان ، والرجوع من الغد في الثلج ، ولم يقدر أن يبطل دويلته ، فلما خرج الشيخ لداره خرج خلفه ، حتى دخل الشيخ فدخل خلفه ، والشيخ لم يشعر به ، ثم إن فرس الشيخ مربوط في الاسطوان ، والتبن أمامه ، فرقد في التبن في المذود وإذا بالخدام^(٢) جاءت بالتبن للفرس ، فوجدته نائماً ورجعت للشيخ وقالت له :

(١) الدويلة في عرف المغرب بمعنى الدرس .

(٢) الخادم في لسان العامة بمعنى الخديمة السوداء .

هذا رجل راقد في تبن الفرس ، فخرج الشيخ فوجده نائماً ، وأيقظه فعرفه ، وقال له يا ولدي ! ما حملك على هذا ؟ قال له : يا سيدي البرد ، فقال له وهلا أعلمتني ، ثم إن الشيخ بعث إلى السلطان رحمه الله ، وطلب منه أن يكتب لسيدي أحمد بيتاً في المدرسة ، فكتب له البيت برتبته وفرشه وسمنه وزيته ولحمه ، وجميع ما يمونه ، وهذا كله من بركة العلم ، والحرص في طلبه ، لخبر « تكفل الله برزق طالب العلم ، يأتيه من غير تعب ، ولا مشقة ، وغيره لا يناله إلا بالتعب والعناء والمشقة » وهذا كله من دعاء الشيوخ له ورضاهم عن خدمته . ويحكى أنه ذهب مع الطلبة لجبل بني ورنيد ، لشراء الفحم للشيخ سيدي محمد بن أبي العباس ، فحملوه على الدواب ، فنزل عليهم مطر وابتل الفحم في الطريق ، فلم تقدر الدواب على حمله ، فجعل ابن زكري الفحم في حائكه ، وحمله على ظهره ، وزاد عليهم المطر ، وصار حائكه أسود كله بالفحم ، فلما أقبل على الشيخ سيدي محمد ابن أبي العباس في تلك الحالة ، صاح الشيخ صيحة عظيمة ، وضمه إلى صدره ، ودعا له بالفتح .

وكان رضي الله عنه مشتغلاً بالعلم والتدريس ، يكرر المسألة الواحدة ، ثلاثة أيام وأربعة ، حتى يفهمها الخاص والعام ، وانتفع به المسلمون كلهم ، وجميع من يحضر مجلسه إلا طالب واحد لم يحصل له شيء ، لأنه كان يقول ابن زكري كل يوم ، يعاود المسألة ، ولم يكن منه شيء ، ومن مؤلفاته « شرح الورقات » لإمام الحرمين أبي المعالي في أصول الفقه ، ومن أخذ عنه سيدي أحمد بن الحاج المنوي أصلاً الورنيدي داراً اه باختصار .

أقول : وقد شاع أن صاحبنا الفقيه النحوي الشيخ ابن زكري محمد السعيد الزواوي المدرس في المدرسة الثعالبية ، ينتسب إلى المترجم ، لأنه من قرية آيت زكري ، ومعنى آيت في لسانهم ابن ، والناس مُصدِّقون في أنسابهم .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ الشَّهْرِزُورِيِّ بَابِنِ زَاغُو
« نيل الابتهاج »

المغراوي التلمساني الإمام العالم الفاضل الولي الصالح الصوفي الزاهد ،
العلامة المحقق ، المتفنن القدوة ، المنصف الناسك العابد .

أخذ عن إمام المغرب أبي عثمان سعيد العقباني ، وعن السيد العارف
المفسر أبي يحيى الشريف ، وغيرهما .

له تأليف منها « تفسير الفاتحة » في غاية الحسن ، كثير الفوائد ، و« شرح
التلمسانية » في الفرائض . وله فتاوى عدة في أنواع العلوم ، أثبت منها في
« المازونية » و« المعيار » جملة توفي سنة ٨٤٥ .

وأخذ عنه جماعة كالشيخ العالم يحيى ابن يدير ، والعالم المنصف أبي
زكرياء يحيى المازوني ، والحافظ التنسي ، وابن زكري ، والشيخ العالم
أبي الحسن القلصادي ، وذكره في « رحلته » فقال شيخنا وبركتنا الفقيه
الإمام المصنّف المدرّس المؤلّف ، أعلم الناس في وقته بالتفسير ، وأفصحهم ،
فاق نظراءه وأقرانه في « دلائل السبيل والمسالك » إلى سبق في الحديث والأصول
والمنطق ، وقدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم ، والفهم المستقيم ،
يضرب به المثل في الزهد والعبادة ، وعند كلامه يقف الفتى في الأذكار والإرادة ،
مقبل على الآخرة ، معرض عن الدنيا ، عار عن زخرفها إلا ما يتخذه من
ثوب حسن ، أو هيئة فيها جمال ، أكرمه المولى بقراءة القرآن ، وشرفه
بملازمة قراءة العلم ، والتصنيف والتدريس والتأليف . له نسب أشهر من
الشمس في السماء ، وحسب كاتساق عقد النجوم في نحر الظلماء ، وخلق
أندى من الزهر ، وأسوغ من الماء ، ونزاهة الهمة العالية ، والمشاركة المباركة

للخاصة والعامّة . من هذه الأمة مع إيثار الخلوة ، وإجابة الدعوة ، ولما رأيت نجاح دعواته وصلاح حاله بالتماس بركاته ، لازمته وترددت إليه ، فكنت أجد في مجالسته فوائد تُنسي الأوطان ، وأردُّ من بحر فيضه ما يحيى به الظمآن ، وسرت إلى خدمته مسرعاً فصيرني كـبعض أولاده ، وأنزلي منزلة أصدقائه ، فقرأتُ عليه « صحيح البخاري » كلّهُ ، ومن أول « صحيح مسلم » إلى أثناء الوصايا .

ومن تأليفه « مقدمة في التفسير » و« تفسير الفاتحة » و« التذيل عليه في ختم التفسير » و« منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح » غير مرة و« شرح التلخيص » لوالده و« حكم ابن عطاء الله » و« شرحها » لابن عباد ، و« لطائف المنن » وتأليف أبي يحيى « الشريف على المغفرة والإحياء » و« مختصره » للبلالي و« أقضية مختصر خليل » لآخره و« ابن الحاجب الفرعي » و« بعض الأصلي » .

ولازمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقّه شتاء ، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفاً ، وفي الخميس والجمعة للتصوف ، وتصحيح تأليفه وأوقاته معمورة ، وأفعاله مرضية ، وسجاياه محمودة ، لولا عجائب صنعه تعالى ما ثبتت تلك الفضائل في لحم وعصب ، ولا أعلم منه أنه كان يأمر بفعل ويخالفه ، اقتداء بالسلف الصالح أنشدنا لبعضهم :

رأيتُ الانقباضَ أجلَّ شيءٍ * وأدعى في الأمورِ إلى السَّلامِ
فهذا الخلقُ سالمُهُم ودَعُهُم * فخلطتُهُم تقودُ إلى النَّدامِ
ولا تُعنى بشيءٍ غيرَ شيءٍ * يقودُ إلى خلاصِكَ في القيامةِ

وأنشدني لبعضهم ، وكان يستحسنه :

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي * فِدَامَ الْأَنْسِ لِي وَنَمَى السُّرُورُ
وَأَدْبَسِي زَمَانِي فَمَا أَبَالِي * هُجِرْتُ فَلَا أُزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا * أَسَارَ الْجَنْدُ أُمَّ رَكِبَ الْأَمِيرُ

وأنشدني يوم الجمعة :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ * فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
فَلَمْ يَشْهَدْ بَعْدَهَا جُمُعَةً أُخْرَى وَآخِرَ مَا قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ « لَطَائِفِ الْمَنَنِ »
وَيُشِيرُ إِلَيْنَا بِأَحْوَالِ تَدَلُّ عَلَى مَوْتِهِ ، وَكَانَ يَتَأَهَّبُ لِذَلِكَ .

وتوفي يوم الخميس وقت العصر رابع عشر ربيع الأول عام ٨٧٥^(١) في
الوباء وصلي عليه بعد الجمعة ، وشهد جنازته العام والخاص ، وأسيف الناس
على فقده ، وعمره نحو ٦٣ سنة اه ملخصاً ومولده على هذا في حدود ٧٨٢
والله أعلم .

أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ المَقْرِي صاحبُ « نفع الطيب » من « خلاصة الأثر »

الشيخ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أحمدِ بنِ يحيى بن عبد الرَّحْمَنِ بن أبي العيش
ابن محمد ، أبو العباس المَقْرِي ، التلمساني المولد ، المالكي المذهب ، نزيل
فاس ، ثم القاهرة ، حافظ المغرب ، جاحظ البيان ، ومن لم ير نظيره في
جودة القريحة ، وصفاء الذهن ، وقوة البديهة .

كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزاً باهراً في الأدب
والمحاضرات .

(١) هي سنة وفاة سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهما .

وله المؤلفات الشائعة منها : « عرف الطَّيب^(١) » في أخبار ابن الخطيب « وفتح المتعال^(٢) » الذي صنَّفه في أوصاف نعل النبي ﷺ و« إضاءة الدُّجَّة في عقائد أهل السنة » و« أزهار الكمامة » و« أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » و« قطف المهتصر في أخبار المختصر » و« اتحاف المغرى في تكميل شرح الصغرى » و« عرف النشوق في أخبار دمشق » و« الفثُ والسَّمين والرثُ والَّثمين » و« روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراکش وفاس » و« الدرُّ الثَّمين في أسماء الهادي الأمين » و« حاشية شرح أم البراهين » و« كتاب البداية والنشأة » كله أدب ونظم ، وله رسالة في « الوفق الخمس الخالي الوسط » وغير ذلك .

ولد بتلمسان ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، وقرأ وحصل بها على عمه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ ، مفتي تلمسان ستين سنة ، ومن جملة ما قرأ عليه « صحيح البخاري » سبع مرات ، وروى عنه « الكتب الستة » بسنده ، عن أبي عبد الله التنيسي ، عن والده حافظ عصره محمد بن عبد الله التنيسي ، عن البحر أبي عبد الله بن مرزوق ، عن أبي حيَّان ، عن أبي جعفر بن الزُّبير ، عن أبي الربيع ، عن القاضي عياض ، بأسانيده المذكورة في كتاب « الشفا » ، والأحاديث المسندة في « الشفا » جميعها ستون حديثاً ، أفردتها بعضهم في جزء ، من أراد رواية « الكتب الستة » من طريقه فليأخذها من كتاب « الشفا » أو من الجزء المذكور ، وكان يُخبر عن بلده تلمسان أنها بلدة عظيمة من أحاسن بلاد المغرب ، ورحل إلى فاس مرتين مرة سنة ١٠٠٩ . ومرة سنة ١٠١٣ ، وكان يُخبر أنها دار خلافة المغرب ،

(١) ذكر في « كشف الظنون » أنه سمَّاه بعد ذلك « نفع الطيب » اه من هامش « خلاصة الأثر » .
(٢) رأيت منه في الجزائر سنة ١٣٢٤ نسخة فيها أمثلة النعل الشريف ، مصورة بشكل مُحكم الصنع ، متقن الوضع ، وذلك في دكان أخينا المحب سيدي علي بن الحداد . أطال الله عمره في نعمة وعافية آمين .

وكان بها الملك الأعظم مولاي أحمد المنصور الشهير بالفضل والأدب ،
 المقدم ذكره ، وان الفتوى صارت إليه في زمنه ، ومن بعده لما اختلت أحوال
 المملكة بسبب أولاده إلى حديث يطول ذكره . ارتحل تاركاً للمنصب والوطن
 في أواخر شهر رمضان سنة ١٠٢٧ قاصداً حج بيت الله الحرام . وأنشد صاحب
 مراکش متمثلاً قول علي بن عبد العزيز الحضرمي :

محبتي تقتضي مقامي * وحالتي تقتضي الرحيل
 فأجابه صاحب مراکش بقوله :

لا أوحش الله منك قوماً * تعودوا صنعك الجميلا

قلتُ : وبيت الحضرمي أول أبيات ثلاثة ، كتب بها لعز الدولة ابن
 سقمون ، وكان في خدمته وبعده :

هذان خصمان لست أقضي * بينهما خوف أن أميلا
 فلا يزالان في خصامٍ * حتى أرى رأيك الجميلا

فوقع عز الدين على ورقته أن تمنع من الرحيل وتوسع الإقامة في ظل
 دوحة وإحسان غمامة . قال المقرئ وكتب إلى الفقيه الكاتب أبو الحسن علي
 الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي بما كتبه أبو جعفر أحمد بن خاتمة المرّي
 المغربي إلى بعض أشياخه :

أشمس الغرب حقاً ما سمعنا * بأنك قد سئمت من الإقامة
 وأنك قد عزمْتَ على طلوعٍ * إلى شرق سموت به علامه
 لقد زلزلت منا كل قلبٍ * بحق الله لا تُقم القيامة

ثم ورد إلى مصر بعد أداء الحج في رجب سنة ١٠٢٨ ، وتزوج بها

وسكنها ، وقد سُئِلَ عن حظه بها ، فقال : قد دخلها قبلنا ابنُ الحاجب وأنشد فيها قوله :

يا أهلَ مصرَ وجدتُ أيدِيكُمْ * في بذليها بالسَّخَاءِ مُنْقَبِضَةً
لَمَّا عَدِمْتُ القِرَى بِأَرْضِكُمْ * أَكَلْتُ كُتْبِي كَأَنِّي أَرْضَةً

وأنشد هو لنفسه :

تركتُ رسومَ عَزِّي في بلادي * وصيرتُ بمصرَ مَنَسِيَّ الرُّسُومِ
ونفسي عَفْتُهَا بِالذُّلِّ فِيهَا * وَقُلْتُ لَهَا عَنِ العِلْيَاءِ صُومِي
ولي عزمٌ كحَدِّ السِّيفِ ماضٍ * وَلَكِنَّ اللَّيَالِي مِنْ خُصُومِي

ثم زار بيت المقدس في شهر ربيع الأول سنة ١٠٢٩ ، ورجع إلى القاهرة ، وكرر منها الذهاب إلى مكة ، فدخلها بتاريخ سنة ١٠٣٧ خمس مرات ، وأملى بها دروساً عديدة ، ووفد على طيبة سبع مرات ، وأملى الحديث النبوي بمراى منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومسمع ، ثم رجع إلى مصر في صفر سنة ١٠٣٩ ، ودخل القدس في رجب من تلك السنة ، وأقام خمسة وعشرين يوماً ، ثم ورد منها إلى دمشق فدخلها في أوائل شعبان ، وأنزلته المغاربة في مكان لا يليق به ، فأرسل إليه أحمد بن شاهين مفتاح « مدرسة الجقمقية » وكتب مع المفتاح هذه الأبيات :

خفيف

كَنَفُ المَقْرِيَّ شَيْخِي مَقْرِيَّ * وَإِلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ مَقْرِيَّ
كَنَفٌ مِثْلُ صَدْرِهِ فِي اتِّسَاعٍ * وَعِلُومٌ كَالْبَحْرِ فِي ضِمْنِ بَحْرِ
أَيُّ بَدْرِ قَدْ أَطْلَعَ الدَّهْرُ مِنْهُ * مَلَأَ الشَّرْقَ نورهُ أَيُّ بَدْرِ
أحمدُ سَيْدِي وشَيْخِي وَذُخْرِي * وَسَمِيَّ وَذَلِكَ أَشْرَفُ فَخْرِي

لو بغير الأقدام يسعى مشوقاً • جثته زائراً على وجهه شكري
فأجابه المقرئ بقوله :

أي نظم في حسنه حاراً فكري • وتحلى بدرة صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينمي • من بروض الندى له خير ذكرى
أحمد الممتطين ذروة مجسد • لعوان من المعالي وبكرى
حل مفتاح فضله باب وصل • من معاني تعريفه دون نكرى
يا بديع الزمان دم في ازدياد • بالعلی وازدياد تجنيس شكرى

ولما دخل إليها أعجبت ، فنقل أسبابه إليها ، واستوطنها مدة إقامته ، وأملى « صحيح البخاري » بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح ، ولما كثرت الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تجاه القبة المعروفة « بالباعونية » وحضره غالب أعيان علماء دمشق ، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد ، وكان يوم ختمه حافلاً جداً ، اجتمع فيه الألوف من الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن ، إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعات ، من رجب وشعبان ورمضان ، وأني له بكرسي الوعظ ، فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره قط ، وتكلم على ترجمة البخاري ، وأنشد له بيتين ، وأفاد أن ليس للبخاري غيرهما ، وهما :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع • فعسى أن يكون موتك بفتته
كم صحيح قد مات قبل سقيم • ذهبت نفسه النفيسة فلتته

قلت : ورأيت في بعض المجاميع نقلاً عن الحافظ ابن حجر أنه وقع للبخاري ذلك ، أو قريب منه ، وهذه من الغرائب انتهى ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر ، ثم ختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى

صلى الله عليه وسلم وهي قوله :

يا شفيع العُصاة أنت رجائي * كيف يخشى الرجاء عندك خيبة^(١)
وإذا كنتَ حاضرًا في فؤادي * غيبةُ الجسمِ عنك ليستَ بغيبة
ليسَ بالعيشِ في البلادِ انقطاعُ * أطيبُ العيشِ ما يكونُ بطيبة

ونزل عن الكرسي ، فازدحم الناس على تقبيل يده ، وكان ذلك نهار الأربعاء سابع عَشْرِي رمضان سنة ١٠٣٧ ، ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس ، وكان بعدما رأى من أهلها ما رأى يكثر الاهتمام بمدحها ، وقد عقد في كتابه « نفع الطيب » فصلاً يتعلق بها وبأهلها ، وأورد في مدحها أشعاراً ، ومن محاسن شعره في حقها قوله :

محاسِنُ الشَّامِ جَلَّتْ * عن أن تُقاسَ بحَدِّ
لولا حِمَى الشَّرْعِ قُلْنَا * ولم نَقِفْ عندَ حَدِّ
كأنَّها مُعْجِزاتُ * مُقْرُونَةٌ بالتَّحَدِّي

وجرى بينه وبين أدبائها وعلمائها مطارحات شتى ، فمن ذلك ما كتبه إلى الشاهيني مع خاتم وسُبْحَة أرسلهما إليه :

يا نجلَ شاهينَ الكندي * حازَ المعالي والمعاليَمُ
يا مَنْ دمشقُ بطيبِ ما * يُبديهِ عاطرةُ النَّواسِمِ
فالنَّهرُ منها ذو صفَا * والزَّهرُ مُفْتَرُّ المَباسِمِ
والغُصنُ يثني عِطْفَه * طرباً لتغريدِ الحمائمِ
يا أحمدَ الأوصافِ يا * مَنْ حازَ أنواعَ المَكَّارِمِ
أنتَ الكندي طوقَني * مِنَّا لها تعنو الأعاضِمِ

فمتى أؤدي شكرها * والعجز لي وصف مُلازم
والعذرُ بادٍ إن بعثت * ت إليك من جنس الرثائم
تسيحة الذكر التي * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتمٍ داعٍ إلى * فيض الندى من كف حاتم
فامدّد على جهد المُقـ * ل رواق صفح ذا دعائم
لا زلت سابق غايـ * بين الأعراب والأعاجم

سيدي لا يخفك أني بعثتُ بها رتيمة ، ولو أمكنتني لأهديتُ من الجواهر
ما ينوف على قدر القيمة ، فهما - أعني الخاتم والسُّبحة - تذكيرٌ ليد العلى بخالص
الوداد ، وفي المثل : لا كلفة بين مَنْ تَبَّتْ بينهم الألفة حتى في الورق والمداد ،
والله يقيقك البقاء الجميل ، ويبلغك غاية التأمل ، والعمو مطلوب ، والله
عند منكسرة القلوب ، وهو المسؤول أن يحرسكم بعين عنايته التي لا تنام ،
بجاه من ترقى إلى أعلى مقام ، والله درُّ القائل :

هدية العبدِ على قـ * والفضلُ أن يقبلها السيّدُ
فالعينُ مع تعظيمِ مقدّارها * تقبلُ ما يُهدي لها المرؤدُ
فكتب إليه الشاهيني قصيدة مطلعها :

يا سيِّداً شعري لـ * ما إن يقاوي أو يُقاومُ
ومنها وهو محل ذكر ما أهداه إليه :

قد جاء ما شرفتنسي * بخصوصه دون الأعاضم
من نخاتمٍ كفي به * ورثت سليمان العزائم
وبسبحةٍ شبّهتها * بالشهب في أسلاك ناظم

ورأيتُ في بعض المجاميع نقلاً عن خط المقرئ قال : أنشدني صاحبنا
العلامة البليغ الناظم النائر القاضي محمد المنوفي لبعض من قصده الدهر بسهامه ،
ولم يجد صبراً لإشكال صبره وانبهامه ، قوله :

وأخفيتُ صبري ساعةً بعدَ ساعةٍ * ولكنَّ عيني في الأحياءِ تدمعُ
فقلت مضمناً وفيه لزوم ما لا يلزم :

وقائلةٍ مالي رأيتُكَ ذا شجسى * ولم يكُ قدماً فيكَ للشَّجرِ مطمَعُ
فقلتُ : أصابني من الدهرِ عينُه * وخالفتُ ذا نُصحٍ له كُنتُ أسمعُ
فقلتُ : تصبّرْ واكتمِ الأمرَ تسريحُ * ولا تسأمنُ فالخيرُ في ذاك أجمعُ
فقلتُ لها : أرشدتِ من ليسَ جاهلاً * وأنشدتها والحيُّ للسَّيرِ أزمعوا
« وأخفيتُ صبري ساعةً بعدَ ساعةٍ * ولكنَّ عيني في الأحياءِ تدمعُ »

قال وكان شيخ مشايخنا القاضي الأجلُ سيدي عبد الواحد بن أحمد الوشرسي
التمساني ، قاضي قضاة فاس المحروسة ، نظم بيتاً ، ورمز فيه للمواضع
التي لا يُصلَّى فيها على النبي ﷺ فقال :

على عاتقي حُمَلْتُ ذَنْبَ جوارِحِ * تعبتُ بها والله للذنبِ غافِرُ

وهذا بيان ما رمز إليه على الترتيب : عطاس ، عبرة ، حمام ، ذبح ،
جماع ، تعجب ، بيع . فقلت : إن قوله « والله للذنب غافر » لا محل له في
الرمز ، مع أنه بقيت أشياء أُخر ، لو جعلت مكان هذا الكلام لكان أحسن ،
وأيضاً فإن بيته ليس فيه ما يفهم منه مراده ، فلما رأيت ذلك وطأتُ له بيت ،
صرحتُ فيه بالمراد ، وأبدلت قوله « والله للذنب غافر » بالرمز لما أغفله ،
فقلت : - والفضل بالتقدم له - :

بُنَزَّ ذِكْرُ المصطفى في مواضعٍ * لها رمزُ ألفاظٍ تبدى شمولُها
على عاتقي حُمَلْتُ ذَنْبَ جوارِحِ * تعبتُ بها قد أثقلتني حمولُها

رمزت : للقدر ، والأكل ، وحاجة الإنسان ، لا يقال : إن الحاجة تدخل
في قوله : حملت ، لأنا نقول : إنه كرر في قوله على عاتقي ، وذلك يدل على أنه
لا يكتفي باللفظ الواحد . وذكر في بعض محاضراته أن لسان الدين بن الخطيب

ذكر في « الكتيبة الكامنة في أبناء الثامنة » جواباً عن البيتين المشهورين ، وهو قوله :

كسرتَ لِمَا قد قلتَ قلبي • ولم تُضِفْهُ إلى فُلَانٍ
ما يملكُ المُستَهَامُ قلباً • يا ظالمَ اللفظِ والمعاني

قال : والبيتان المشهوران اللذان هذان جواب عنهما هما قول القائل :

يا ساكناً قلبي المعنى • وليسَ فيه سِوَاهُ ثانِي
لأَيِّ معنى كسرتَ قلبي • وما التقى فيه ساكِنَانِ

وأجاب المقرئ بقوله :

نحلتني طائعاً فـؤادي • فصار إذ حُزنته مكاني
لا غرو إن كان لي مضافاً • إني على الكسرِ فيه بانسي

وذكر الخفاجي في ترجمة أحمد بن الجيعان بيتين في هذا المعنى ، وهما :

إنَّ ذا الدَّهرِ لا يزالُ يَـرى • جمعَ شملِ الكِرَامِ مُمتنعاً
فهو حتماً مُحركٌ أبداً • أَحَدَ السَّاكِنِينَ ما اجتمعاً

ولسان الدين بن الخطيب هو الذي ألف صاحب الترجمة كتابه « عرف

نفع الطيب » في أخباره ، ومن غريب خبره ، والأيام تري الغريب من أفعالها ، وتسمع العجيب من أحوالها ، أنه رحل من غرناطة ودخل إلى مدينة فاس ، فبالغ سلطانها في إكرامه ، فتمكن منه أعداؤه بالأندلس ، وأثبتوا عليه كلمات منسوبة إلى الزندقة ، تكلم بها فسجل القاضي بثبوت زندقته ، وحكم بإراقة دمه ، وأرسل به إلى سلطان فاس فسجن بها ، ودخل إليه بعض الأوغاد السجن وقتله خنقاً ، وأخرجوا رِمَّتَه فدفنت ، فأصبح غدوة دفنه طريحاً على شفير قبره ، وقد ألقيت عليه الأحطاب وأضرمت فيها النار ، فاحترق شعره ، واسودت بشرته ، ثم أعيد إلى حفرة ، وكان ذلك سنة ٧٧٦ ومن أعجب ما وقع له أنه كان نظم هذا المقطوع وهو :

قِفْ لَتَرَى مَغْرِبَ شَمْسِ الضُّحَى * بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ
 وَاسْتَرْحِمِ اللَّهَ قَتِيلًا بِهَا * كَانَ إِمَامَ الْعَصْرِ فِي الْمَغْرِبِ
 فاتفق أنه قتل بين هاتين الصلاتين ، فالمراد من شمس الضحى نفسه ،
 وقوله : واسترحم الله قتيلاً بها . معناه : اسأل الله رحمة للقتيل بشمس الضحى ،
 فضمير بها عائد إلى شمس الضحى على سبيل الاستخدام ، وكلا المعنيين
 مجازي .

(قلت : وأخبرني صاحبنا الشيخ الجرومي يحيى بن محمد قاضي تيزي
 وزو في التاريخ ، وهو من أبناء العصر وحيد ، يتحلّى بذكره جيداً الجزائر ،
 ويفرح بوجوده فيها القاطن والزائر : إن ابن الخطيب قال يوم خنقه في سجنه
 هذه الأبيات :

بَعُدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ * وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
 وَأَنْفَاسُنَا سَكَنْتُ دُفَعَةً * كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهُ الْقُنُوتُ
 وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا * وَكُنَّا نَقُوتُ فِيهَا نَحْنُ قُوتُ
 وَكَمْ سَيْقَ اللَّقْبِرِ فِي خِرْقَةٍ * فَتَى مُلِثَتْ مِنْ كِسَاهُ التُّخُوتُ
 وَكَمْ جَدَلْتُ ذَا الْحُسَامِ الظُّبَى * وَذُو الْبَخْتِ كَمْ جَدَلْتَهُ الْبُخُوتُ
 فَقُلْ لِلْعَدَى ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ * وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
 وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَـهُ * فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ

ورأيت لها تشطيرات قديمة وحديثة تركها أبلغ من ذكرها .

ولنرجع إلى بقية خبر المقرئ فنقول : وكانت إقامته بدمشق دون الأربعين
 يوماً ، ثم رحل منها في خامس شوال سنة ١٠٣٩ إلى مصر ، وعاد إلى دمشق
 مرة ثانية في أواخر شعبان سنة ١٠٤٠ ، وحصل له من الإكرام ما حصل في
 قدومه الأول ، وحين فارقتها أنشد قوله :

إِنْ شَامَ قَلْبِي عَنْكَ بَارِقَ سَلْوَةٍ ۝ يَا شَامُ كُنْتُ كَمَنْ يَخُونُ وَيَغْدِرُ
كَمْ رَاحِلٍ عَنْهَا لَفَرَطٌ ضَرُورَةٌ ۝ وَعَلَى الْقَرَارِ بغيرِهَا لَا يَقْدِرُ
مُتصَاعِدُ الزَّفَرَاتِ مَكْلُومِ الحَشَا ۝ وَالذَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَحَدَّرُ

ودخل مصر واستقر بها مدة يسيرة ، ثم طلق زوجته الوفائية ، وأراد
العود إلى دمشق للتوطن بها ، ففاجأه الحِمَام قبل نيل المرام ، وكانت وفاته
في جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ ، ودفن « بمقبرة المجاورين » وقال الأديب
إبراهيم الأكرمي في تاريخ وفاته :

قَدْ خَتِمَ الفَضْلُ بِهِ ۝ فَأَرْخُوهُ خَاتَمِ

١٠٤١

والمقري بفتح الميم وتشديد القاف وآخرها راء مهملة ، وقيل بفتح الميم
وسكون القاف لغتان أشهرهما الأولى نسبة إلى قرية من قرى تلمسان^(١) ،
وإليها نسبة آبائه اه . مختصراً من « خلاصة الأثر » مع زيادة من غيرها وتصرف
قليلين .

وفي « صفوة من انتشر » ما نصه : أحمد بن محمد المقري بفتح القاف
المشددة من ذرية القاضي أبي عبد الله المقري التلمساني .

ولد بتلمسان وقرأ بها على عمه سيدي سعيد المقري ، ثم رحل لفاس
سنة ١٠٠٩ ، وأخذ بها عن القصار ، وابن أبي النعيم ، وأبي العباس بابا
السوداني ، وأحمد القاضي ، وابن عمران ، وغيرهم ، ثم رحل لمراكش
عام ١٠١٠ فأقام بها سنتين ، ثم رجع إلى فاس فتولّى بها الفتوى والخطابة
بـ « جامع القرويين » عام ١٠٢٢ ، فلم يزل كذلك إلى أن خرج للحج عام ١٠٢٧
لموجب اقتضى خروجه عن فاس ، وهو أنه اتهم بالميل لجماعة شراكة وأضرابهم ،

(١) وفي غير « خلاصة الأثر » قرية من قرى الزاب .

على ما كانوا عليه من الفساد بفاس حياة السلطان الشيخ ، فلما رأى ذلك خاف على نفسه من أهل فاس ، فخرج منها مزعجاً وهو الذي قال عند خروجه من فاس : دخلت كمائها وخرجت كمائها مشيراً لذلك .

كان رحمه الله آية الزمان في حفظ النقول والاطلاع على غرائب الفروع ، مستحضراً للفقهاء والنوازل متفتناً ، له ولوع بالأدب فلا ترى بخطه إلا مسائل الأدب ، ولما دخل مصر في توجهه للحجاز وقعت بينه وبين أهل مصر منازعات ، أسفرت عن تسليم حفظه ، وذلك أنه لما دخل مصر قبل أن يعرف حضر يوماً سوق الكتب فوجد تفسيراً غريباً ففتحه ، فإذا بسورة النور فتكلم ذلك المفسر على مسألة فقهية استطردها وحرر فيها القول ، فحفظ ذلك كله صاحب الترجمة ، فكان من غريب الاتفاق أنه بقرب ذلك اجتمع علماء البلد في دعوة ، وحضر معهم فلما استقر بهم المجلس إذا بسائل في يده بطاقة ، يسأل عن تلك المسألة التي حفظها المقرئ من ذلك التفسير فدفعت للأول من أهل المجلس ، فنظر فكأنه لم يستحضر فيها شيئاً فدفعها لمن يليه ، ثم دفعها هذا لهذا إلى أن بلغت صاحب الترجمة ، فلما نظرها استدعى بالدواة فكتب فيها الجواب كما حفظ ، فجعلوا ينظرون إليه متعجبين ، فلما فرغ تعاطوها ، فقالوا : من ذكر هذا ، فقال لهم فلان في تفسير سورة النور ، فأحضر التفسير فإذا هو كما قال ، فدخلهم من ذلك ما هو من شأن النفوس ، ولم يزل بمصر إلى أن حصلت له بها شهرة تامة ، وتزوج من السادة الوفائيين أعظم بيوتات مصر بعد البكرين ، وذلك نهاية الشرف عندهم ، ثم إنه طلق الزوجة لأمر اقتضى ذلك ، فغضب لذلك أهلها ، وامتنع لهم أهل مصر ، وصرموا حباله ، فكتب صاحب الترجمة لطلبة فاس يخبرهم بذلك ، وهو يقول : لما طَلَّقْتُهَا لم يبق في مصر أحد يسلم علي إلا رجل حداد ، أو كما قال . وكان لصاحب الترجمة معرفة بعلم الجدول واطِّلاع على أسرارهِ ، حتى إنه ربما رقم الجدول

في التراب ويشير منه الدنانير .

وذكر الشيخ أبو سالم العياشي في « رحلته » عن الشيخ عبد القادر بن غصين ، قال : من قوة تواضع صاحب الترجمة أنه لما جاء من مصر إلى الشام جاء بكتاب من عند شيخ التجار بمصر أبي طاقبة إلى والدي ، فأنزله والدي عندنا وأكرمه ، ثم إن والدي أتاه بولده الصغير أخي عبد الرحمن ، وسأله أن يدعو له ودعا له ، وكتب له وفقاً في صحيفة من فضة ، وأمر بتعليقه عليه ، فحصل لذلك الولد جاه عظيم ، وحظوة كبيرة عند الأمراء وأرباب الدولة ، وهو الآن شيخ التجار بتلك البلاد ، وكلمته نافذة عند العام والخاص اه .

وذكر في « الرحلة » أيضاً أن صاحب الترجمة لما كان بالشام خرج مرة من المدينة لزيارة بعض الأولياء خارجها ، فبدأ بقراءة القرآن ، فما وصل لضريح ذلك الولي حتى ختم القرآن مع قرب ما بينهما ، وفي « المحاضرات » للشيخ أبي علي اليوسي قال : حدثني الرئيس الأجلُّ أبو عبد الله الحاج محمد بن أبي بكر الدلائي قال : لما نزلنا في طلعتنا للحجاز بمصر خرج للقائنا صاحب الترجمة ، قال : وكنتُ أعرفه عند والدي لم يشب ، فوجدته قد شاب ، فقلت له : شَبَّتَ فاستضحك ، ثم قال :

شَيْبَتْنِي عَرْنَدَلٌ وَنَجَارٌ * وَبِحَارٌ فِيهَا اللَّيْبُ يَحَارُ

قال : وحدثت أنهم ركبوا بحر سويس ، فهال لهم مدة من نحو ستة أشهر ، وهم يدورون دوراناً ، وأنه أَلَّفَ في تلك المدة موضوعاً في علم الحياة ، وسارت به الركبان ، فلما خرج من البحر وتصفحته ، وجد فيه الخطأ الفاحش ، وقد فات تداركه وذلك لما وقع له من الهول ، قال : وإذا هو قد خرج معه بضير ، فقال : هذا الضير من أعاجيب الزمان في بديهة الشعر ، فالتق عليه أي بيت شئت ، يأتي عليه ارتجالاً بما شئت من الشعر ، ثم عهده

به أن يقرأه فلا يبقى شيء منه في حفظه ، فأتيتكم به لتشاهدوا من عجائب
هذه البلاد ، ونوادرها وتذهب بنجر ذلك إلى بلادكم ، قال : فاقترحوا مني
شيئاً يقول عليه ، فحضر في لساني يائبة ابن الفارض :

سائق الأظعان يطوي البيد طي * مُسرِعاً عرَّجٌ على كُثبانِ طي

قال : فاندفع على هذا الروي مع صعوبته ، حتى إنه أتى بنحو مئة بيت
ارتجالاً ، وحدثني أن صاحب الترجمة كان أيام مقامه بمصر قد اتخذ رجلاً
عنده بنفخته وكسوته ، وما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب يقترى
البلاد أسواقاً ورحاباً وأزقة ، وكلما رأى أو سمع يقصه عليه بالليل اه .

لطيفة ذكر أبو سالم في « الرحلة » أن صاحب الترجمة كان إذا أفتى في
بازلة ، فسئل عنها مرة أخرى يمتنع من الجواب ثانياً ، مخافة أن يكون في
الثانية ما يقتضي الفتوى بما يخالف الأولى ، فنسبه الكاشحون لما لا يليق .
قال أبو سالم : وكنتُ أنا أجيب عن الثانية أيضاً ، وأنبه على أنه صدر مني
الجواب عن أخرى بخلاف هذا لكذا اه بالمعنى .

وله تأليف منها : « نفع الطيب في أخبار الأندلس وابن الخطيب » و« فتح
المتعال في النعال » و« أزهار الرياض في ترجمة عياض » و« أزهار الكمامة
في العمامة » في مجلد ، ألفه تجاه رأس النبي ﷺ بالمدينة . ولا يخفى حسن
مناسبه ، و« إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة » درَّسها بالشام ومصر والحجاز ،
وكتبت منها أكثر من ألفي نسخة ، وكتب خطه على أكثرها ، ومن شعره قوله :

بادِرْ إلى التَّوبَةِ واستَجْنِهَا * فالمرءُ مأخوذٌ بما قد جَنَاهُ
وانتهزَ الفرصةَ في وقتها * ما فازَ بالكرمِ سوى من جَنَاهُ

وله غير ذلك ، وفوائده لا تسعها مجلدات ، فلنقتصر على هذا القدر .

وتوفي رحمه الله بالشام مسموماً على ما قيل سنة ١٠٤١ ، وأما ما ذكره

الشيخ ميارة من أنه توفي بمصر فسهاه .

أحمدُ بنُ يحيى النشريسي « نيل الابتهاج »

أحمدُ بنُ يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي النشريسي العالم العلامة ،
حامل لواء المذهب على رأس المئة التاسعة .

أخذ عن شيوخ بلده تلمسان ، كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني ، وولده
القاضي العالم أبي سالم العقباني ، وحفيد الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم
العقباني ، والإمام محمد بن العباس ، والعالم أبي عبد الله الجلاب ، والعالم
الخطيب الصالح ابن مرزوق الكفيف ، والغرابلي والمرّي ، وغيرهم .

ثم حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم عام ٨٧٤ ، فانتهبت
داره ، وفرّ إلى مدينة فاس ، فاستوطنها . قال أحمد المنجور في « فهرسته »
وأكبَّ على تدريس « المدونة » و« فرعي لهن الحاجب » . وكان مشاركاً
في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه ، يقول من لا يعرفه : إنه لا يعرف
غيره . وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضره يقول : لو حضر
سيبويه لأخذ النحو من فيه ، وتخرج به جماعة من الفقهاء ، كالفقيه أبي
عباد ابن مليح اللمطي ، قرأ عليه « ابن الحاجب » والشيخ المتفنن الأستاذ
أبي زكرياء السوسي ، والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الورترغيري ،
والفقيه عبد السميع المصمودي ، والفقيه العلامة القاضي محمد بن الفرديس
التغلي ، وبخزانة هذا الرجل انتفع لاحتوائها على تصانيف الفنون ، وبها
استعان في تصنيف كتابه « المعيار » لا سيّما فتاوى فاس والأندلس ، فإنما
تيسّرت له من هذه الخزانة . وأخذ عنه ولده عبد الواحد أيضاً هـ .

قلت : أما فتاوى إفريقية وتلمسان فاعتمد فيها على « نوازل البرزلي »
و« المازوني » فيما يظهر لمن طالعهما .

وله تأليف كثيرة منها « المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس
والمغرب » في ستة أسفار ، جمع فأوعى ، وحصل فوعى ، و« تعليق على
ابن الحاجب الفرعي » في ثلاثة أسفار ، ووقفت على بعضها و« غنية المعاصر »
و« التالي على وثائق الفشتالي » وكتاب « القواعد في الفقه » صغير محرر ،
ووثائقه المسماة بـ « الفائق في أحكام الوثائق » ولم يكمل ، وتأليف له في
« الفروق في مسائل الفقه » وقفت عليه وغيرها .

توفي عام ٩١٤ وفي هذه السنة استولى الفرنج على مدينة وهران ، وعمره
نحو ٨٠ سنة ، أخبرنا بذلك صاحبنا الشيخ المسن مفتي فاس محمد بن قاسم
القصار الفاسي ، زادني بعض أصحابنا أن وفاته يوم الثلاثاء موافق عشرين
من صفر ، وأنجب ولده عبد الواحد . اهـ .

حسنُ بنُ عليّ المسيلي « نيل الابتهاج »

الشيخ الفقيه القاضي العالم العابد المتقن المحصل المجتهد الإمام أبو علي ،
كان يسمى أبا حامد الصغير ، جمع بين العلم والعمل والورع .
له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة ، منها : « التذكرة في علم أصول
الدين » كتاب حسن من أجل الموضوعات في فنه ، ومنها « النبراس في الرد
على منكر القياس » كتاب حسن ما رأيته في الكتب الموضوعية في هذا الشأن
مثله ، وكتاب في علم التذكير سماه « التفكير في ما تشتمل عليه السور والآيات
من المبادئ والغايات » كتاب جليل سلك فيه مسلك إحياء الغزالي ، وكانت

الجن تقرأ عليه .

ولي قضاء بجاية ، ودخل عليه الموارقة ، وهو قاضيا فألجؤوه لبيعتهم وأكرهوه مع غيره عليها ، وكانوا يتلثمون ، ولا يبدون وجوههم ، فامتنع من البيعة ، وقال : لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة ، فكشف له الميوروقي ، وهذا منتهى ما بلغ من توقفه ، وهو أمر كبير عند مطالبته بالبيعة لولا علو منصبه ، وتأخر عن القضاء وبقي على دراسة العلم والاشتغال ، واحتاج إليه الناس في أمر دينهم ، فقالوا إليه وعولوا في أمرهم عليه . وكان يقول إذا أشير إليه بالتفرد في العلم والتوحد في الفهم : أدركت ببجاية سبعين مفتياً ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي ، ومرض في زمن ولايته القضاء فاستتاب حفيده على الأحكام ، وكان له نبل فتحاكمت عنده يوماً امرأتان ، ادعت إحداهما على الأخرى أنها أعارتها حلياً ، وأنها لم تُعدهُ إليها ، وأنكرت الأخرى فشدد على المنكرة وأوهمها حتى اعترفت ، وأعدت الحلبي . وكان من سيرة هذا الحفيد أنه إذا انفصل عن مجلس الحكم ، يدخل لجده الفقيه أبي علي ويعرض عليه ما يلقى من المسائل ، فدخل عليه فرحاً ، وعرض عليه هذه المسألة ، فاشتد نكيرُ الفقيه رضي الله عنه ، وجعل يعيب على نفسه تقديمه ، وقال له : إنما قال النبي ﷺ : « البينة على المدعي واليمين على من أنكر » (١) ، واستدعى شاهدين وأشهد بتأخيره ، وهذا من ورعه ووقوفه مع ظاهر الشرع ، وعلى هذا يجب أن يكون العمل ، وهو مذهب مالك وظاهر مذهب الشافعي تجويز مثل هذا ، فإنه يرى أن القصد إنما هو الوصول إلى حقيقة الأمر ، فأَي شيء وصل إليه حصل القصد ، ولأجل هذا يجيزون قضاء الحكام بعلمهم ،

(١) أخرجه الشافعي ٢/٢٣٣ . في الدعاوى والبيئات : باب البينة على المدعي واليمين على المدعي عليه .
ومسلم (١٧١١) وذلك بلفظ « البينة على المدعي . واليمين على المدعي عليه » ، وأخرجه الترمذي ٦٢٦/٣ في كتاب الأحكام (ش) .

والحق خلافه لحديث « فإنما أقضي له على نحو ما أسمع » (١) . وقريب من هذا ما يحكى أن والياً كان بالإسكندرية يسمى فراجة ، وكان عالماً رفيع القدر والهيأة ، معرضاً عن أبناء الدنيا ، لا يخاف في الله لومة لائم . فاتفق أن عامل بها رجل يباعاً ، ودفع له درهماً فوضعه البياع في قبضه ، ثم لم تتم بينهما المعاملة ، فقال الرجل للبياع : أصرف علي درهمي ، فقال له البياع : لا أعرف الدرهم ، ولكن هذا مكانه ، فحلف الرجل بطلاق زوجته لا يأخذ إلا درهمه بعينه ، وكثرت بينهما المراجعة إلى أن ترافعا إلى هذا الوالي فراجة ، فوصفا له قصتهما فأطرق ساعة ، ثم قال للبائع ادفع للرجل جميع ما في قبضك من الدراهم ، ويدفع لك مكانها دراهم من عنده ، ليتحلل بذلك من يمينه ، وكانت فتوى مرضية صاحبها ذكاء ، فنهى المجلس بحاله إلى الفقيه أبي القاسم ابن جارة ، فاستحسن فتواه وصوبها ، ثم خاف أن يحمله العجب على أن يفتي في غيرها من المسائل بغير علم ولا موافقة شرعية ، فتوجه إلى الوالي حتى وصل إلى باب داره ، فقال له : أنت المفتي بين الرجلين في كذا ؟ فقال : نعم ، فقال له : من أباح لك التسور على فتاوى العلماء والدخول في أحكام الشرع ؟ إياك أن تتعرض لما لست له أهلاً ، فقال له : يا فقيه أنا تائب ، فقال : أما إذا تبت فانصرف ، واحتفل بالجد في ما كُلفت به ، ولا تتعرض لما ليس من

(١) أخرجه الشافعي (٦٢٦) بترتيب السندي . ومالك في « الموطأ » ٧١٩/٢ في الأقضية : باب الترغيب في القضاء بالحق . والبخاري ٢١٢/٥ في الشهادات : باب من أقام البينة بعد اليمين . وفي المظالم : باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه . وفي الحبل : باب إذا غضب جارياً فرغم أنها ماتت . فقضى بقيمة الجارية . ثم وجدها صاحبها فهي له . وفي الأحكام : باب موعظة الإمام للخصم . وباب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه . وباب القضاء في كثير المال وقليله . وأخرجه مسلم (١٧١٣) في الأقضية : باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة . وأبو داود (٣٥٨٣) . والترمذي (١٣٣٩) . والنسائي ٢٣٣/٨ . وأحمد ٢٩٠/٦ . ٣٠٧ . ٣٠٨ . ٣٢٠ . وأخرجه أحمد أيضاً ٣٣٢/٢ من حديث أبي هريرة . ولفظه عند البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجة من بعض . فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » (ش) .

شأنك ، توفي ببجاية ودفن بباب انيسون اه .

أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة
« صفوة من انشر »

الجزائري الدار ، التونسي النجار ، كان رحمه الله عالماً متفناً زاهداً
ورعاً موصوفاً بالصلاح ، ولي الفتوى بالجزائر ، فأحسن فيها .
أخذ عن سعيد المقرئ .

وله حواشٍ على « الصغرى » وعلى « خطبة اللقاني » و« شرح الأخضري »
وهو شهير .

وأخذ عنه الفقيه محمد بن إبراهيم الهشوكي وغيره ، وتوفي عام ١٠٦٦ اه .
وفي « نشر المثاني » ما نصه : الشيخ العالم المحقق مفتي الإسلام وخطيب
الأنام سيدي سعيد المعروف بقدورة بفتح أوله وتشديد ثانيه ابن إبراهيم الجزائري
الدار ، التونسي الأصل ، أجد أئمة المعقول ، صاحب « الشرح على السلم
في المنطق » و« الحاشية على شرح صغرى » للشيخ السنوسي ، وبالغ رحمه الله
في بسط العبارة في « شرح السلم » فكان ذلك مما انفرد به . أخذ رحمه الله
عن سعيد المقرئ وغيره . وأخذ عنه ولده الشيخ أبو عبد الله ، وسيدي أبو مهدي
عيسى الثعالبي . توفي في شوال سنة ١٠٦٦ اه .

عبدُ الحقِّ بنُ عليٍّ قاضي الجزائر
« نيل الابتهاج »

الفقيه العالم المفتي ابن الشيخ الصالح أبي الحسن علي .
كان في طبقة محمد بن العباس التلمساني ، ونقل عنه المازوني والونشريسي
في كتابيهما ، ووقع اسمه في كتاب « العلوم الفاخرة » للثعالبي ، ووصفه
بالفقيه القاضي ، ولم أقف على ترجمته اه .

عبدُ الرَّحْمَنِ الأَخْضَرِي
« لم اطلع على ترجمته ^(١) »

عالم صالح زاهد ورع ، ذو قدم راسخ في المعقول والمنقول .
له تأليف تلقاها المعلمون بالقبول ، والمتعلمون بالحفظ ، والاستفادة ،
منها « الدررة البيضاء في الحساب والفرائض » و« الجواهر المكنون في الثلاثة
فنون المعاني والبيان والبديع » و« السلم المروتنق في علم المنطق » و« المنظومة
القدسية في طريق السنة » و« التحذير من البدع » وله شروح على مؤلفاته ،
ووضع العلماء عليها حواشي ، وانتفع الناس بالجميع .
كان حياً أواسط القرن العاشر ، وضريحه مشهور مزار في زاوية بنطيوس
من قرى زاب بسكرة .

(١) انظر الأعلام ، ٣٣٢/٣ ، ٣٣٣ للزركلي .

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف
الثعالبي الجزائري
« نيل الابتهاج »

الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ، ولي الله الناصح الصالح العارف بالله أبو زيد ، شهر بالثعالبي ، صاحب التصانيف المفيدة ، كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها ، ومن خيار عباد الله الصالحين .

قال السخاوي : كان إماماً علامة مصنفاً اختصر « تفسير ابن عطية » في جزأين ، و« شرح ابن الحاجب الفرعي » في جزأين ، وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها .

قال الشيخ زروق : شيخنا الفقيه الصالح ، والديانة عليه أغلب من العلم ، يتحرى في النقل أتم التحري ، وكان لا يستوفيه في بعض المواضع .

قال ابن (١) سلامة البسكري : كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً زاهداً عالماً عارفاً ولياً من أكابر العلماء ، له تأليف جمّة أعطاني نسخة من « تفسير الجواهر » لا بشراء ولا عوض ، عاوضه الله بالجنة ، وقال غيره : سيدنا ووسيلتنا لربنا الإمام الولي العارف بالله .

قلت : وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته ، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح ، كالإمام الأبي ، والولي العراقي ، والإمام الحفيد ابن مرزوق ، وقد عرف هو بنفسه في مواضع من كتبه فقال : رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن ثامن ، فدخلت بجاية عام ٨٠٢ ، فلقيتُ بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع ، أصحاب الفقيه الزاهد

(١) سيدي عيسى بن سلامة .

الورع عبد الرحمن الوغليسي ، وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس متوافرين يومئذ أصحاب ورع ووقوف مع الحد ، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم ، وسلك أتباعهم مسلكهم ، كشيخنا الإمام الحافظ أبي الحسن علي ابن عثمان المنكلاتي ، وشيخنا الولي الفقيه المحقق أبي الربيع سليمان بن الحسن ، وأبي الحسن علي بن محمد الليلتي ، وعلي بن موسى ، والإمام العلامة أبي العباس النقاوسي ، حضرت مجالسهم وعمدتي على الأولين ، ثم دخلت تونس عام تسعة أو عشرة ، وأصحاب ابن عرفة متوافرون ، فأخذت عنهم كشيخنا واحد زمانه أبي مهدي عيسى الغبريني ، وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله الأبي ، وأبي القاسم البرزلي ، وأبي يوسف يعقوب الرغي وغيرهم ، وأكثر عمدتي على الأبي ، ثم رحلت للمشرق ، وسمعت « البخاري » بمصر على البلالي ، وكثيراً من اختصار « الاحياء » له . وحضرت مجلس شيخ المالكية بها أبي عبد الله البساطي ، وحضرت كثيراً عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي ، وأخذتُ عنه علوماً جمّة ، معظمها علم الحديث ، وفتح لي فتح عظيم وأجازني ، ثم رجعت لتونس فإذا في موضع الغبريني الشيخ أبو عبد الله القلشاني ، خلفه فيه عند موته فلازمته وأخذت « البخاري » إلا يسيراً عن البرزلي ، ولم يكن بتونس يومئذ من يفوقني في علم الحديث إذا تكلمت أنصتوا ، وقبلوا ما أرويه تواضعاً منهم ، وإنصافاً واعترافاً بالحق ، وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي لما قدمتُ من الشرق : أنت آية في علم الحديث ، وحضرت أيضاً شيخنا الأبي وأجازني ، ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام ٨١٩ فأقام بها نحو سنة ، فأخذتُ عنه كثيراً . وسمعت عليه « الموطأ » بقراءة الفقيه أبي حفص عمر القلشاني ابن شيخنا أبي عبد الله وغير شيء ، وأجازني وأذن لي هو والأبي في الإقراء ، وأخذتُ عن غيرهم اه ملخصاً . قلت : ومن شيخه المحدث عبد الواحد الغرياني ، وحافظ المغرب

أبو القاسم العبدوسي ، وابن قرشية .

وأما تأليفه فكثيرة كـ « تفسير الجواهر الحسان » في غاية الحسن ،
اختصر فيه « ابن عطية » مع زوائد وفوائد كثيرة ، و« روضة الأنوار ونزهة
الأخيار » وهو قدر « المدونة » ، فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين
المعتمدة ، وهو خزانة كتب لمن حصله . قال : وجمعه سنين كثيرة ، فيه
بساتين وروضات اهـ . وكتاب « الأنوار في معجزات النبي المختار » صلى الله عليه وسلم
و« الأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة » في جزء و« رياض الصالحين »
جزء ، وكتاب « التقاط الدرر » وكتاب « الدرر الفائق » في الأذكار والدعوات
و« العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة » مجلد ضخمة و« شرح ابن الحاجب
الفرعي » في سفرين جمع فيه نُخب كلام ابن راشد وابن عبد السلام وابن
هارون وخليل وغرر ابن عرفة مع جواهر « المدونة » و« عيون مسائلها في
سفرين ، وفي آخره جامع كبير نحو عشرة كراريس من القلب الكبير فيه
فوائد و« إرشاد السالك » جزء صغير و« الأربعون حديثاً مختارة » و« المختار
من الجوامع في محاذات الدرر اللوامع » وكتاب « جامع الفوائد » وكتاب
« جامع الأمهات في أحكام العبادات » وكتاب « النصائح » وكتاب « تحفة
الإخوان في إعراب بعض آي من القرآن » و« الذهب الإبريز » في غرائب القرآن
وكتاب « الإرشاد في مصالح العباد » ذكر جميعها في « فهرسته » .

ولد عام ٧٨٦^(١) أو ٧٨٧ ، وتوفي كما ذكر الشيخ زروق سنة ٨٧٥ ،
فعمره نحو ٩٠ سنة ، كما ذكره السخاوي ، وقال زروق : ٩٣ ، والأول
أشبه لما تقدم من ولادته ، وقد ذكر هو عن نفسه أنه في عام ٨٤١ ابن ٥٥ أو ٥٦
سنة فاعرفه .

(١) هي سنة وفاة سيدي عبد الرحمن الوغليسي البجائي المترجم بعده .

أخذ عنه جماعة كالشيخ العالم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، والإمام السنوسي ، وأخيه لأمه عليّ التالوتي ، والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي . ومن فوائده ما ذكره في كثير من كتبه قال : ومما تجربته من الخواص أن من أراد أن يستيقظ أي وقت شاء من الليل فليقرأ عند نومه عند غلبة النعاس ، بحيث لا تتجدد عقبها خواطر آية ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الخ (١) السورة فإنه يستيقظ في الوقت الذي نواه ، بلا شك وهو من العجائب المقطوع بها . قال : وفي الصحيح « إن في الليل ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » (٢) فإذا أردت معرفة هذه الساعة فاقراً عند نومك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٣) إلى آخرها ، فإنك تستيقظ في الساعة بفضل الله تعالى ، وربما تكرر تيقظك لأمر أراده الله تعالى ، وهذا مما ألهمت ، وما كتبه إلا بعد استخارة ، وإياك أن تدعو فيه على مسلم وإن ظالماً وإلا فالله حسيبك ، وأنا بين يديه خصيمك ، وهي فائدة عظيمة اه ملخصاً .

فائدة : ذكر صاحب الترجمة في ورقات جمعها عدة مرثي رأيتها في فضل تفسيره فما قال فيها : حدثني والدي وعمي عن عمر بن مخلوف قال : بشرنا بك والدنا مخلوف ، وقال : يولد لولدي محمد ولد يكون من شأنه كذا وكذا من أوصاف الخير ، وكان جدي المذكور من أفراد الأولياء الراسخين ، وعباده المتقين بلغ في سلوك الطريق الغاية والنهاية ، وظهر له كرامات من أهل الرسوخ والتمكين ما يخبرني بشيء إلا كان كذلك ، كأنه ينظر اللوح المحفوظ ، وتأولت ذلك ما يسر الله لي من التصانيف ، لا سيما تفسير القرآن لانتفاع

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٢ .

(٢) أخرجه مسلم ٥٢١/١ في الصلاة : باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً ، إلا أعطاه إياه » (ش) .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٠٧ .

المسلمين به ، ورأيتهُ ﷺ مراراً على نحو صفاته المذكورة في الكتب ، لم يختلف حاله عليّ قطُّ لا في خَلْقٍ ولا في خُلُقٍ ، وما رأيتُهُ إلا رأيت منه بشاشةً وخلقاً كريماً إلا مرة واحدة . فرأيتُهُ وأنا في تأليف هذا التفسير وقراءة « البخاري » ، وأنا في موضع عال مع أناس كثيرين ، وهو يُفرِّق طعاماً في يده الكريمة ، وطمعت في نيل شيء منه ، وخشيت نفاذه قبل وصوله إليّ لكثرة الناس ، فما كمل الخاطر إلا وهو ﷺ واقف مقبل عليّ مسرور ، فسألته أن يطعمني من الطعام ، فناولني من يده الكريمة ، وأكلت منه ونظر إليّ ﷺ ، قائلاً : أليس إذا أطعم النبي أحداً شيئاً يتقبَّوه ، فقلت له أفأتقبَّوه ؟ ، وتهبَّات للقي ، فقال لي ليس هذا أريد ، ففهمت أنه لم يرد القبيء بظاهره ، وأولته بنشر العلم ، وبثه وفرحت ، ورأيتُهُ مرة أيضاً عام ٨٣٣ ، وهو يحض ﷺ على علم الطب قائلاً وواعداً من اشتغل بتحصيله أن يسأل الله تعالى أن يجعله في جواره أو قال في درجته ﷺ . وذكر الفقيه الصالح سعيد الهواري عن إنسان رأى رؤيا في فضل كتاب « الجواهر الحسان » كأن منادياً يُنادي ان الله تعالى قضى أنه لا يأتي بعده مثله ، وأنه تعالى جعل عليه القبول ، أو نحو ذلك ، ثم ذكر سعيد المذكور أنه رأى لهذا التفسير ثلاثة آلاف رؤيا تقتضي خيره اه ملخصاً وقد ذكر كثيراً من ذلك اه .

عبدُ الرَّحْمَنِ الوغليسي

« نيل الابتهاج »

الوغليسي البجائي عالمها ومفتيها ، الفقيه العالم الصالح أبو زيد قال ابن الخطيب القسنطيني : توفي سنة ٧٨٦ ببجاية .

وله « المقدمة المشهورة » وفتاوى .

أخذ عنه جماعة ، كأبي الحسن علي بن عثمان ، وأبي القاسم بن محمد
المشدالي فقيه بجاية وغيرها اه .

ومن خط صاحبنا الشيخ محمد السعيد ابن زكري الزواوي ما نصه :
الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد
الوغيلسي ، شيخ الجماعة في بجاية ، تلامذته علماء أجلاء مشهورون ، وتآليفه
كثيرة منها : « الجماعة » في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك ، وتسمى
« الوغيلسية » نسبة إلى بني وغيلس ، توفي في تربته المشهورة أواخر القرن
الثامن . وعلى قبره قبة ظاهرة ، وبينه وبين سيدي عيش نحو ميل ، قال العارف
سيدي عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره « الجواهر الحسان » عند قوله تعالى
﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (١) ما نصه : رحلت في طلب العلم أواخر القرن
الثامن ، ودخلت بجاية أوائل القرن التاسع ، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم
في العلم أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغيلسي متوافرين ، فحضرت مجالسهم اه .

علي الأنصاري

« صفوة من انتشر »

الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري ،
ينسب لسعد بن عبادة ، السلجماسي الجزائري ، ونشأ بسلجماسة ، ثم ارتحل
لفاس ، فأخذ بها عن عبد الله بن طاهر الحسيني ، وابن أبي بكر الدلائي ،
قرأ عليه « البخاري » نحو إحدى وعشرين مرة و « الشفا » و « الموطأ » و « رسالة
القشيري » و « التنوير » و « الحكم » ، وعن أبي العباس أحمد المقرئ قرأ عليه
« الموطأ » و « الرسالة » و « مختصر خليل » و « ابن الحاجب » وغير ذلك ،
ثم سافر للحجاز بعد الأربعين ، فأخذ عن الغنيمي والأجهوري ، ثم عاد

(١) الشورى : ٥٣ .

للجزائر ، واستقر بها لإفادة العلم ، إلى أن توفي شهيداً بالطاعون عام ١٠٥٤ .
 وله تآليف غالبها نظم و« شرح على الأجرومية » و« ابن عاصم » و« ابن بري » و« تفسير » لم يكمل ، و« منظومة في السير » وفي « اصطلاح الحديث » و« التصريف » و« الطب » و« التشریح » و« الأصول » وغير ذلك مما يطول .
 أخذ عنه جماعة اه .

وفي « خلاصة الأثر » : علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن يحيى بن أبي يحيى بن أحمد بن السراج أبو الحسن الأنصاري السلجماسي الجزائري . قال تلميذه الإمام العلامة عيسى أبو مهدي بن محمد الثعالبي نزيل مكة : رأيت بخطه نسبه مرفوعاً إلى سعد بن عبادة ، سيد الخزرج . وكان عالماً محدثاً أخبارياً أديباً . قال الفيومي والشلي : ولد بتافلالت ، ونشأ بسلجماسية ، ثم رحل إلى فاس ، وأدرك بها جلّة العلماء ، فأخذ عنهم بها عدة فنون ، وكان جُلَّ أخذه عن الأستاذ الكبير نخبه الشرف السيد أبي محمد عفيف الدين عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني السلجماسي ، والعالم الولي بقية السلف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي الصنهاجي ، وحافظ العصر أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، وبلغ الغاية القصوى في الرواية والمحفوظات ، وكثرة القراءة ، وحكى بعض تلامذته أنه قرأ « الستة » على مشايخه دراية ، وقرأ « البخاري » سبع عشرة مرة بالدرس قراءة بحث وتدقيق ، ومرّ على « الكشاف » من أوله إلى آخره ثلاثين مرة منها قراءة ، ومنها مطالعة ، ثم رحل بعد الأربعين من بلاده فحج ، ودخل مصر في سنة ١٠٤٣ ، وأخذ بها عن الشهابين أحمد الغنيمي ، وأحمد بن عبد الوارث البكري ، وعن النور علي الأجهوري المارّ ذكرهم ، وغيرهم . ولقيه الشيخ الإمام عبد القادر بن مصطفى الصفوري الدمشقي في مرتحله إلى القاهرة ، فأخذ عنه مع جمع ، ثم عاد إلى المغرب ، ووصل إلى فاس ، ثم صار مفتياً بالجليل الأخضر ، وبقي هناك .

وكان آية باهرة في جميع العلوم ، وجميع أحواله كلها مرضية ، وله مؤلفات كثيرة ، غالبها نظم منها « التفسير » بلغ فيه إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ (١) و « شرح التحفة » لابن عاصم ، ولم يخرج من « المسودة » ، و « تقييد على مختصر خليل » لم يكمل ، و « المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية » ومنها نظم السيرة النبوية ، سماه « الدررة المنيفة في السيرة الشريفة » افتتحها بقوله :

قال عليّ حاملاً الأوزار * هو ابن عبد الواحد الأنصاري

ومنظومة « جامعة الأسرار في قواعد الإسلام الخمس » و « اليواقيت الثمينة » في العقائد و « الأشباه والنظائر » في فقه عالم المدينة وهو نظم ، و « عقد الجواهر في نظم النظائر » لم يتم ، و « السيرة الصغرى » نظم أيضاً ، والنظم المسمى بـ « مسالك الوصول إلى مدارك الأصول » ونظم « أصول الشريف التلمساني وشرحه » و « منظومة في وفيات الأعيان » وأخرى في « التفسير » وأخرى في « مصطلح الحديث » وأخرى في « الأصول » غير ما تقدم وأخرى في « النحو » وأخرى في « الصرف » وأخرى في « المعاني والبيان » وأخرى في « الجدل » وأخرى في « المنطق » وأخرى في « الفرائض » وأخرى في « التصوف » وأخرى في « الطب » وأخرى في « التشريح » و « شرح الأجرومية » وشرح « الدرر اللوامع » لأبي الحسن ابن برّي و « ديوان خطب » و « نظم في مسألة الأوتاد والأبدال » وغير ذلك .

وكانت وفاته في أواخر شعبان سنة ١٠٥٧ شهيداً بالطاعون في الجزائر من الديار المغربية اه .

وفي « نفع الطيب » ما نصه : ومن ذلك ما كتبه لي بعض الأصحاب ممن كان يقرأ علي بالمغرب ، وصورته : سيدنا وسيد أهل الإسلام ، حامل

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

راية علوم الأمة الأحمدية ، على صاحبها الصلاة والسلام ، آية الله في المعاني والمعالي ، وحسنة الأيام والليالي ، وواسطة عقود الجواهر والآلي . إمام مذهب مالك والأشعري والبخاري والواقدي والخليل العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجليل ، ذو الأخلاق العذبة المذاق ، والشمائل المفصحة عن طيب الأصول والأعراق ، كبير زمانه دون منازع ، وعالم أوانه من غير منكر ولا مدافع ، شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبیب قلوبنا ، مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ المغربي التلمساني نزيل فاس ، ثم الديار المصرية حفظه الله ، في مواطن استقراره ، ورفع درجته بإشادة فخاره على مناره ، عن شوق يودُّ له الكاتب أن لو كان في طي كتابه ، وتوق إلى مشاهدتكم هو الغاية في بابه بعد إهداء السلام المحفوف بأنواع التحيات والكرامات والبركات ، الدائم ما دامت في الوجود السكنات والحركات لمقامكم الأكبر ومحفلكم الأشهر ، ومن تعلق بأذيالكم ، أو كان مستمطراً لنوالكم ، أو صُبت عليه شآبيب أفضالكم ، من أهل ومحب وصاحب وخديم ، هذا وإنه ينهي إلى الوداد القديم أن أهل المغرب الأدنى والأقصى حاضرة وبادية كلهم يتفكّهون بل يتقوتون بذكركم ، ويشتاقون لرؤية وجوهكم ، ويتلذذون بطيب أخباركم ، وإن كان المغرب الآن في تفاقم أحوال وتراكم أهوال ، في الغاية مدائن ، وبوادي سيما مدينة فاس فإنها في شر عظيم ، وأميرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذي الحجة قبلها ، وفي المحرم من سنة ٣٧ توفي ملك المغرب السلطان أبو المعالي زيدان ، وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك ، وتقاتل مع أخويه الأميرين الوليد وأحمد وهزمهما ، وإلى الله عاقبة الأمور ، وأهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم ضافية ، سوى ما أدركهم من طول الغيبة نسأل الله أن يملأ بقدمكم العيبة ، ومحبتكم الأكبر ووليكم الأصغر سيد أهل المغرب اليوم ، وشيخ الطريقة والمربّي في سلوك أهل الحقيقة

العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات والمقامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يُحِبُّكُمْ ، ويعظم قدركم ، ولسانه لكم ذاكر ناشر شاكر ، وهو على خير ، وقد اجتمعت علي من بركتكم في مدينة سلا جماعة من طلاب العلم ، وفتح الله علي بتأليف عديدة منها « كفاية الطالب النبيل في حل ألفاظ مختصر خليل » ومنها شرح علي « المنهج المنتخب » للزقاق في قواعد مالك ، ومنظومة أكثر من ألف بيت في « السير والشمائل » ومنها في رجال البخاري ، ولا كنسج الكلاباذي ، ومنها خطب وغير ذلك ، والكل من بركتكم ، ونسبته إليكم في صحيفتكم ، والسلام من ولدكم المقر بفضلكم ، تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الأنصاري عن قلق لطف الله به ، وحامله كبير كبراء قومه ممن يحبكم ويعرفكم ، و تفعلوا معه من خير فلن تكفروه والسلام اه .

عليُّ بنُ عثمان المنقلاتي

« نيل الابتهاج »

الزواوي البجائي من علماء بجاية وفقهائها الجلة .

أخذ عن الشيخ عبد الرحمن الوغليسي وغيره ، وهو والد العلامة أبي علي منصور مفتي بجاية ، قال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في حقه : شيخنا أبو الحسن الإمام الحافظ ، وعليه كانت عمدة قراءتي ببجاية اه وله فتاوى نقل بعضها في « المازونية » و « المعيار » اه .

عمران بن موسى المشدالي

« نيل الابتهاج »

البجائي الأصل ، نزيل تلمسان ، أبو موسى صهر ناصر الدين المشدالي ، كان فقيهاً حافظاً علامة محققاً كبيراً ، أخذ عنه العلامة المقرئ وغيره .

قال المقرئ : رأيتُه إذا دخل المسجد بعد الغروب قبل الإقامة يثبت قائماً إلى أن تقام الصلاة ، وأنا لا أدري ذلك ، بل يركع الداخل لانتهاؤ وقت المنع بالغروب ، وما وقع في المذهب في ذلك فللمبادرة للصلاة ، وهو لم يفعل ، فإن كان ترك الركوع حسماً للذريعة فلا فرق بين قيامه وجلوسه ، ألا ترى أن داخل المسجد إذا تحدّث قائماً حتى انصرف ، أو بدأ في المسجد بغير صلاة ، ولم يجلس ما امتثل الأمر على ما مر ، والمراد بحديث « لا يجلسُ داخلُ المسجدِ حتّى يُصليَ ركعتين »^(١) افتتاحه بالصلاة ، وذكر الجلوس خرج مخرج الغالب لا مفهوم له ، فله صلاة التحية جالساً ، والجلوس إن لم يتمكن من الصلاة اه .

قال المقرئ : فر صاحب الترجمة من حصار بجاية إلى الجزائر ، فبعث إليه صاحب تلمسان وقربّه ، وأحسن إليه ، فدرّس بها الحديث والفقه والأصلين والفرائض والمنطق والجدل ، وكان كثير الإتيان في الفقه والجدل ، مديد الباع في غيرهما ، مما ذكر . سألتُه عن قول ابن الحاجب في السهو : فإن ائحال الإعراض فيبطل عمده . فقال : معناه : ان ائحال غيره أنه معرض فحذف المفعول

(١) أخرجه مالك في « الموطأ » ١٦٢/١ من حديث أبي قتادة السلمي بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « وإذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » وأخرجه البخاري ٤٤٧/١ في الصلاة : باب إذا دخل المسجد فليركع ركعتين . ومسلم (٧١٤) في صلاة المسافرين : باب استحباب تحية المسجد بركعتين . وأخرجه الترمذي (٣١٦) (ش) .

الأول وأقام المصدر مقام المفعولين ، كما يقوم مقامهما ما في معناه من نحو ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾^(١) ، وأقوى من هذا كون المصدر هو المفعول الثاني ، وحذف الثالث اختصاراً للدلالة المعنى ، أي : ائحال الإعراض كائناً كقولهم : خِلْتُ ذلك ، وقد أعربت الآية بالوجهين ، وهذا عندي أغرب ، ومنه قول القضاة : أعلم باستقلاله ، أي : أعلم الواقف عليه بأنه مستقل ، فحذفوا الأول ، وصاغوا المصدر مما بعده .

المقري : شهدتُ مجلسَ أبي تاشفين صاحب تلمسان ، ذكر فيه أبو زيد ابن الإمام أن ابن القاسم مقلدٌ لمالك . ونازعه أبو موسى عمران المذكور ، وادّعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج بمخالفته لمالك في كثير ، وذكر منه نظائر ، قال : فلو قلده لم يخالفه لغيره ، فاحتجَّ أبو زيد بنصر الشرف التلمساني أنه مثل مجتهد المذهب بابن القاسم في مذهب مالك ، وبالمرني في مذهب الثافعي ، ومحمد بن الحسن في مذهب أبي حنيفة ، فأجابه عمران بأنه مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح عليه أبو موسى ابن الإمام وقال لأبي عبد الله بن عمر : تكلم ، فقال : لا أعرف ما قاله هذا الفقيه ، والذي ذكره أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل ، فقال أبو موسى للسلطان : هذا كلام أصولي محقق ، قال المقري : فقلتُ لهما وأنا يومئذ حديث السنن : ما أنصفتماه ، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق ، يؤخذ أيضاً على جهة التقريب ، ومن ثم جاء ما قاله ابن أبي عمرو ، كيف لا وهذا سيبويه يقول : وهذا مثال . ولا يتكلم فيه ، فإذا صح أن المثال يكون تقريباً ! يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل بفساده ، فالقولان من أصل واحد اه . نقل ابن الخطيب في « الإحاطة » .

قلت : وبنحو ما استدل به عمران على اجتهاد ابن القاسم من مخالفته لمالك ، استدل ابن عبد السلام لذلك ، وتعقبه ابن عرفة بأنه مزجي البضاعة

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢ .

في الحديث ، ونكت ابن غازي على تعقبه بأنه: كيف يُثبت الاجتهاد لشيوخه كإبن عبد السلام وغيره ، وينفيه عن شيخ هداية المالكية بعبارة فظيعة . قلت : ولا ريب في إمامة إبن القاسم في الحديث ، وناهيك ببناء النسائي عليه فيه كما تقدم ، والعجب من الإمام إبن عرفة كيف يثبت الاجتهاد لإبن دقيق العيد ونظرائه ، ثم يقول : وفي المازري نظر ، هل لحقه أم لا ، ومعلوم أن إبن عبد السلام وإبن دقيق العيد لا يبلغان درجة المازري في تفقهه وإمامته ، قال بعض شيوخ العصر : من الأدلة القطعية عندي أن إبن دقيق العيد والسُّبكي ما بلغوا رتبة الاجتهاد المطلق ، فأحرى للجلال السيوطي وأضرابه الذين ادَّعوا هذه المرتبة ، وأين مرتبتهم من مرتبة الغزالي وإمام الحرمين في الفقه والإمامة ، وقوة الذهن ، تالله لا نسبة بينه وبينهما في شيء من ذلك اه .

قلت : الذي يظهر أن الاجتهاد المذهبي مرتبة متسعة ، تتفاوت بقوة التمكن وضعفه ، فبالاتصاف بأدنى درجاتها يدعيها مدعيها ، ومع الاتساع في الحفظ ومعرفة الأحاديث ، بل والوقوف على الأحاديث ربّما يخيل لصاحبها مع ذلك وصول درجة الاجتهاد المطلق ، مع كونه من فوقه في تمكن النظر ، وقوة التفقه ، ومعرفة المذهب وتداركه ، لا يدعي تلك الرتبة لعدم اتساعه في الحفظ ، ومعرفة الأحاديث ، فتأمل ذلك ، فهذا قاسم العقباني والمسنوي والبجائي من أهل المئة التاسعة يُصرِّحون ببلوغ درجة الاجتهاد ، والإمام الشاطبي والحفيد إبن مرزوق ينهون ذلك عن أنفسهما ، ومعلوم أنهما أقوى علماً وأوسع باعاً من الذين ادَّعواها . والله أعلم فتأمل ذلك .

مولد عمران المشدالي سنة سبعين وست مئة (٦٧٠) ، وتوفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة (٧٤٥) ، وله مقالة مفيدة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة ، نقل عنه في « المعيار » في مواضع اه .

عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَمَادِ
الأنصاري القسطنطيني عرف بالوزان
« نيل الابتهاج »

قال المنجور في « فهرسته » : هو الفقيه العالم الكبير المتفنن المحقق الراسخ الصالح أبو حفص ، كان آية يهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول ، من عباد الله الصالحين ، رحل إليه شيخنا أبو زكرياء الزواوي ، وسمعه يقرر الفقه بنقل اللخمي وغيره ، ويقرى الفنون ، فكان إذا ذكره يعجب ويعجب ، ويرجحه على كل علماء عصره . حدثني من أثقُ به من أهل بلده أنه يقري الجن . أخذ عنه شيخنا اليسيتي « الأصلين » و« البيان » وغيرهما ، وقرأ عليه « معالم الفخر » قراءة بحث وتحقيق .

توفي بقرب الستين وتسع مئة (٩٦٠) . له تأليف منها « الرد على المرابط عرفة القيرواني وصحبه » كتاب جليل ختمه بالتصوف ومدَّ فيه النفس بما يعلم منه أنه من أهل التصوف ، ومنها تأليف على طريق الطوائع والمواقف سماه « البضاعة المزجاة » في غاية التحقيق والإيضاح لتلك الأغراض ، ومنها « فتاوى في الفقه والكلام » وغيرهما أبدع فيها ما شاء ، سأله عن بعضها الفقيه الكبير المحقق الصالح أبو زكرياء يحيى بن عمر الزواوي اهـ . قلت ومن تأليفه « تعليق على قول خليل وخصصت نية الحالف » و« حاشية على شرح الصغرى » للسنوسي .

أخذ عنه جماعة كعبد الكريم الفكون ، وأبي الطيب البسكري ، ويحيى ابن سليمان ، وأخبرني بعض أصحابنا أن وفاته سنة ٩٦٠ والله أعلم اهـ .

أبو مهدي عيسى الثعالبي

« نشر المثاني »

الشيخ الإمام ، نخبة الفضلاء ، وواسطة عقد النبلاء ، حسنة الليالي والأيام ،
وواحد العلماء الأعلام ، سيدي أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري .
بهذا وصفه أبو سالم في « فهرسته » وقال في « رحلته » : وأخبرني الشيخ
الراوي أبو مهدي يعني صاحب الترجمة عن بعض أكابر مشايخه أنه كان
يقول : إن للقصائد خصوصاً إذا كانت عن حضور قلب أثراً عظيماً في
تفريج الكربات ، ونيل الرغبات ، أعظم من أثر الأوقاف والدعوات ،
وترتيبها في الخلوات ، وقد جرّب ذلك فظهر صدقه ، ولا يبعد أن يكون
لترتيب الألفاظ على وزن مخصوص ، ينشرح معه الصدر للتضرع ، واللجأ
إلى الله ، ويقوي معها الرجاء في حصول المطلوب ، قال : وأغرب من ذلك
ما رأيته في بعض التقايد بعد قول الشاعر :

وكنْتُ إذا ما جئتُ سَعْدَى أزوْرُها * أرى الأرضَ تطوى لي ويَدنو بعيدُها
من الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيْسُها * إذا ما انقَضَتْ أُحدوثُ لو تُعيدُها

قال ابن عريس رحمه الله : إن هذا الشعر ما قيل في طريق الإسْهلت ، ولا
أمان مخيف إلا أمين فيه ، ولا مجاعة إلا وحصل الشَّبَع ، ولا معطشة إلا وحصل
الرِّيُّ ، وذلك لخاصية في حروفه ، وهي مما سمع من كلام العرب ، قال : ومن
هذا المهيع أن هذا الشعر الآتي ما قيل ثلاث مرات في ضيقة إلا فرج الله عن
قائله وهو :

كَمْ حاصرتني شِدَّةٌ بجَيْشِها * وضاقَ صَدْرِي من لِقَاها وانزعَجُ
حتَّى إذا أيستُ مِنْ زَوَالِها * جاءتْ لها الألفافُ تسعى بالفرَجِ

قال : وما ذكر من الخاصية في ترتيب الحروف ، قد ذكر نحوه بعض أهل الطريق في كون بعض الأذكار يُعزى إليها من الخواص ما ليس لغيره ، مع اشتماله على ما فيه وزيادة ، والله أعلم . ثم قال وظفرت في بعض التقايد بسر من أسرار أسماء الله الحسنى ، وذلك اسمه تعالى الكافي الغني الفتح الرزاق ، ومن لازم ذكر هذه الأسماء وهو يتمنى شيئاً حصل له بفضل الله اه كلام أبي سالم في « رحلته » .

وقال أيضاً في « فهرسته » لقبته أعني صاحب الترجمة أول رحلتي وذاكرته ، ولم آخذ عنه شيئاً ، ثم لقبته بعد ذلك بأعوام في الوجهة الثانية بمصر ، وقرأت عليه واستفدت منه كثيراً ، وشاركته في كثير من مشايخه وسمعت منه بعض « مسند ابن حنبل » وأجاز لي بجميع مروياته عن جميع أشياخه ، وكتب لي بذلك بخطه ، ومن أشياخه سوى من شاركته فيه سيدي أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري ، دفين الجزائر ، ومنهم سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري ، وهو يروي عن سيدي سعيد المقرئ وغيره ، ومنهم الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن محمد الهواري ، وهو يروي عن الشيخ خالد المكِّي ، عن الشيخ سالم السنهوري ، ومنهم الشيخ عبد العزيز محمد بن عبد العزيز الزمزمي المكِّي ، وهو يروي عن ولده ، عن أبي زكرياء ، ومنهم الشيخ علي ابن الجمال الشافعي نزيل مكة المشرفة ، يروي عن العلامة محمد بن أحمد ابن عبد القادر القرشي الزبيري الشافعي إمام المحراب الشريف بالروضة المطهرة رضي الله عنهم ، وشيخنا أبو مهدي هذا مستوطن الآن أرض الحجاز ، يتردد بين الحرمين ، وله في قلوب أهلها محبة وإجلال ، نفعنا الله به آمين اه كلامه في « فهرسته » .

توفي صاحب الترجمة رابع وعشرين من رجب عام ثمانين وألف (١٠٨٠) ، على ما في « فهرسة » الشيخ سيدي الطيب الفاسي اه .

وفي « الصفوة » : العالم الكبير والمحقق الشهير أبو مهدي عيسى بن محمد
الثعالبي نسبة إلى وطن الثعالبة ، من عمالة الجزائر ، الجعفري نسبة لجعفر بن
أبي طالب رضي الله عنه .

نشأ رحمه الله في وطنه المذكور ، وتاقت نفسه للرحلة في طلب العلم
بعد أن حصل ما عند أهل وطنه ، فدخل الجزائر ، فأخذ بها عن أسيانها ،
وصادف أيام دخوله الشيخ العلامة حافظ وقته أبي الحسن علي بن عبد الواحد
الأنصاري المتقدم الذكر بها ، فاتصل به ولازمه ، وكان أبو الحسن لماً
دخل الجزائر تصدى لنشر العلم ، فخرج الناس إليه وحصلت له وجاهة عظيمة
عند أرباب الدولة ، ولم يزل أبو مهدي في صحبة أبي الحسن إلى أن زوجه ابنته
فبقي معها مدة إلى أن وقع له ما أوجب تطليقها بإشارة والدها أبي الحسن ، ولم
ينقطع بذلك أبو مهدي عن ملازمته ، ولما مات أبو الحسن نادته العناية إلى
الحرمين ، فجاور بهما سنين ، ودرّس العلم وحصل له إقبال عند أهلها لجودة
فهمه ، وحسن تقريره ، وهناك تجددت له رغبة في علم الحديث ، وكان
فيه قبل ذلك من الزاهدين ، فأخذ عن شيوخ الحرمين كالقشاهلي ، والزين ،
الطبري والزمزمي ، والبابلي ، وغيرهم ثم آض إلى مصر فأخذ بها عن الأجهوري
والخفاجي والميموني وغيرهم ، وكان الشيخ البابلي يقول له : ما وصل إلينا
من المغرب أحفظ من الشيخ المقرئ ولا أذكى منك ، وكان إذا دخل على
الأجهوري يقول له : شئت الأسماع علماً منه أنه لا يأتي إلا لسماع حديث
أو رواية غريب ، وهكذا عاداته ما دخل على أحد من المشايخ إلا استفاد وأفاد ،
قال أبو سالم : ولو قيل : إن شيوخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يفيدونه
لم يبعد ، لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرواية ، وهم يستفيدون منه الدراية ،
وأخذ بالصعيد عن الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن أبي الحسن علي
المصري ، ثم عاد للحجاز ، وألقى بالحرمين عصى التسيار ، وبث هناك

ما تحمّل عن أسيانحه .

وبالجملة فهو نادرة الوقت ، ومسند الزمان ، وله فهرسة سماها « كنز الرواة » وسلك في ترتيبها مسلكاً غريباً ، وهو أنه رتبها على أسماء شيوخه ، فيبدأ بالتعريف بشيخه ، وذكر مؤلفاته ومقروءاته ، وأسماء شيوخه ، ثم يذكر كل كتاب قرأه عليه ، فيذكر سنده إلى مؤلف الكتاب ، فيعرف بهذا المؤلف ، ويذكر طرفاً من أول الكتاب ، وكان ينشد في عد أحاديث البخاري :

وعدُّ أحاديثِ البخاري خالصاً * من العودِ والتكرارِ ألفان مع نصفِ
وزد عشرةً من بعدها وثلاثئة * أضفها إليها تنجُ من شبه الخلفِ

وكان يستحسن قول حسان في مدح مولانا إبراهيم بن النبي ﷺ :

مضى ابنك محمودَ العواقبِ لم يشب * بعبٍ ولم يُذمَّ بقولٍ ولا فعلِ
رأى أنه إن عاش ساواك في العُلا * فأثرَ أن تبقى وحيداً بلا مثلِ

وينشد :

قَرَابَةُ السُّوءِ شَرُّ دَاءٍ * فَاحْمَلْ أَذَاهُمْ تَعِشْ حَمِيداً
وَمَنْ لَقِيَ قَرُصَةً بِفِيهِ * يَصْبِرْ عَلَى مَصِّهِ الصَّديدا

وفوائده رحمه الله كثيرة ، قال : وقد لقني الشيخ البكري الذّكر وهو استغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيّ القيومَ وأتوبُ إليه ثلاثاً ، ولا إله إلا الله ثلاثاً ، ويدي في يده ورداؤه من (١) اه . وتوفي سنة ثمانين وألف (١٠٨٠) .

وفي « خلاصة الأثر » : عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر جار الله أبو مكتوم المغربي الجعفري الثعالبي الهاشمي ، نزيل المدينة المنورة ، ثم مكة المشرفة ، إمام الحرمين ، وعالم المغربين والمشرقين ، الإمام العالم العامل

(١) بياض بالأصل .

الورع الزاهد المتفنن في كل العلوم ، الكثير الإحاطة والتحقيق ، ولد بمدينة زواوة من أرض المغرب ، وبها نشأ ، وحفظ متوناً في العربية والفقہ والمنطق والأصليين وغيرها ، وعرض محفوظاته على شيوخ بلده منهم : الشيخ عبد الصادق ، وعنه أخذ الفقه ، ثم رحل إلى الجزائر ، وأخذ بها عن المفتي الكبير الشهير الشيخ سعيد قدّورة ، وحضر دروسه ، وروى عنه الحديث المسلسل بالأولية والضيافة على الأسودين الماء والتمر ، وتلقين الذكر ، ولبس الخرقه ، والمصافحة والمشابكة ، ولازم دروس الإمام الشهير والصدر الكبير أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي مدة تزيد على عشر سنين ، فشارك ببركته في فنون عديدة ، وأخذ عنه « صحيح البخاري » إلى نحو الربع منه ، على وجه من الدراية بديع ، التزم الكلام فيه على إسناده بتعريف رجاله ، من ذكر سيرهم ومناقبهم ومواليدهم ووفياتهم ، وما في الإسناد من اللطائف ، من كونه مكياً أو مديناً ، وفيه رواية الأكابر عن الأصاغر ، والصحابي عن الصحابي ونحو ذلك ، وعلى متنه بتفسير غريبه ، وبيان محل الاستدلال منه ، ومطابقته للترجمة ، وما يحتاج إليه من إعراب وتصريف ، وما فيه من القواعد الأصولية ، وما يُبنى عليها من الفروع ، والإلماع بما فيه من الإشارات الصوفية ، وغير ذلك مما يبهر العقول ، وسمع عليه جميع الصحيح غير مرة ، على طريق مختصر بين الدراية والرواية ، وسمع عليه طرفاً من « الشفا » تفقهاً فيه بمراجعة شروحه : التلمساني والدلجي والشمي وغيرهم . وأخذ عنه في علوم الحديث ألفية العرّاقى تفقهاً فيها ، وفي شرحها للمصنف ، وشيخ الإسلام ، وفي الفقه جميع « مختصر خليل » تفقهاً فيه بمطالعة شروحه : بهرام ، والتناثي ، والمواق ، وابن غازي ، والحطاب ، وغيرهم ، و« الرسالة » إلى نحو النصف منها تفقهاً فيها كذلك بمراجعة : شروحها الجزولي ، وأبي الحسن ، وغيرهما ، ونبذة من « تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام »

لابن عاصم ، وفي أصول الفقه جميع « جمع الجوامع » للسُّبكي مرتين قراءة بحث ، وطرفاً من « أصول ابن الحاجب » مع نبذة من شرحه للعقباني ، وشرحه للقاضي عَضُدُ الدين ، و« حاشية المحقق التفتزاني » عليه ، وفي أصول الدين « أم البراهين » بشرحها للسُّبكي من قوله : ويجمع معاني هذه العقائد كلّها قولُ لا إله إلا الله إلى آخره ، وجميع المقدمات بشرحها له ، وطرفاً من « الكبرى » له ، وطرفاً من « اختصار الطوالع » للبيضاوي ، وفي النحو « الألفية » لابن مالك سماعاً من لفظه من أولها إلى ترجمة الكلام . وما يتألف منه ، مع الإلماع بلطائف ونكت ، و« اللامية » من أولها إلى باب أبنية الفعل المجرد وتصاريفه ، وفي فن البلاغة جميع « تلخيص المفتاح » بشرحه « المختصر » وفي المنطق جميع « الجمل » للخونجي مرتين ، بمراجعة شروحه : التلمساني ، وابن مرزوق الحفيد ، وابن الخطيب القسنطيني ، وجميع « مختصر السنوسي » ومن « ايساغوجي » من القياس الخ . ومن « البردة » من أولها إلى قوله : نبينا الأمر الناهي . وكان يأتي فيها بالعجائب والغرائب ، وربما يمر عليه الأيام في البيت الواحد منها بمراجعة شرحها لابن مرزوق الحفيد ، وغيره . وفي التصوف « المباحث الأصلية » نظم ابن البنا في « آداب السلوك » وغير ذلك مما لا يُحصى في فنون شتى ، كالرسم والضبط والبديع والعروض والقوافي والتفسير ، وأجازه مرات ، بل أنابه عنه في مباشرة وظيفة تدريس له ، وزوجه ابنته واختص به ، ولم يفارقه حتى مات ، وماتت زوجته ، فرحل عن الجزائر ، وتبعه للقراءة عليه في المنطق شيخنا العلامة المحقق المدقق يحيى ابن محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن أبي البركات الشهير بالشاوي ، وقال : إنه سارمعه نحو ثمانين مراحل حتى أكمل قراءته عليه ، ودخل تونس وأخذ عمّن بها من أجلائها ، كالشيخ زين العابدين وغيره ، ولما دخل إلى قسنطينة أخذ بها عن الشيخ المعمر عبد الكريم اللفكوني ، ولم يزل على ذلك ،

كلما اجتمع بأحد من العلماء استفاد منه ، وأفاده حتى وصل إلى مكة المشرفة و حجَّ في سنة اثنتين وستين وألف (١٠٦٢) ، وجاور بها سنة ثلاثٍ وستين ، وسكن بخلوة في رباط الداودية ، وأخذ عنه إذ ذاك الشيخ علي باحاج ، وقرأ عليه «الصحيحين» و«الموطأ» ثم رحل إلى مصر ، وأخذ بها عن أكابر علمائها ، كالنور علي الأجهوري والقاضي الشَّهاب أحمد الخفاجي ، والشمس محمد الشوبري ، وأخيه الشَّهاب ، والبرهان المأموني ، والشيخ سلطان المزاحي ، والنور الشبراملسي ، وغيرهم ممن يطول ذكر أسمائهم ، وأجازوه بمروياتهم ، وأثنوا عليه بما هو أهله ، بل اتفق له مع شيخ الشافعية محمد الشوبري وأخيه شيخ الحنفية أحمد أنه اجتمع بهما في وليمة عند بعض الكبراء ، فقدم إليهما استدعاءً بخطه ، فلما رآه الكبير منهما وهو الشمس محمد قال معتذراً عن كتابة الإجازة : قد جاء في الحديث « ان الله كتب الإحسان على كل شيء »^(١) الخ وإني لا أحسن كتابة إجازة تناسب الاستدعاء الحسن ، فطلب من أخيه الكتابة عليه ، فقال : أنا على مذهب الأخ ، وكتب له البرهان المأموني في إجازته أنه ما رأى منذ زمان من يُماثله ، بل من يقاربه ، ورحل إلى منية ابن الخصيب ، وأخذ بها عن الشيخ علي المصري ، وهو الشيخ العارف بالله تعالى الورع الزاهد ، المشهور بالولاية ، العظيم القدر ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، صاحب التصانيف ، منها « تحفة الأكياس في حسن الظنِّ بالناس » و« رسالة الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار » وغير ذلك ، ثم رحل إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وأخذ بها عن أجلائها كالقاضي تاج الدين المالكي والإمام زين العابدين الطبري ، والشيخ عبد العزيز الزمزمي ، والشيخ علي ابن الجمال المكيين ، وأجازوه بمروياتهم ، ولازم بها خاتمة المحدثين الشمس

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥) عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه . عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (ش) .

البابلي ، وخرج له فهرسة بمقروءاته ، واشتغل بالتدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة ، وكان يزور النبي ﷺ في أثناء كل سنة ، ويتردد على الأستاذ الصفي أحمد القشاشي ، ويأخذ عنه ، وكان يقول : ما رأيتُ مثل سيدي الشيخ أحمد يكتب ما أراد من غير احتياج إلى تفكير ، قال : وكان شيخنا علي بن عبد الواحد يقول : ما دام القلم في يدي ، ومُدَّتُهُ فيه ، كتبت به ، فإذا جف احتجت إلى التأمل والاستحضار ، وأما سيدي الشيخ أحمد فلا يقف وارده عند جفاف قلمه . ومكث بمكة بمكة سنين عزباً ، ثم ابتنى له داراً ، واشترى جارية رومية ، واستولدها وحصل كتباً كثيرة ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، حتى إن العارف بالله السيد محمد باعلوي كان يقول في شأنه : إنه زروق زمانه ، وكان السيد عمر باحسن باعلوي يقول : من أراد أن ينظر إلى شخص لا يُشكُّ في ولايته فلينظر إليه ، وكفى بذلك فخراً له ، من شهد له خزيمة فحسب ، وقد شوهدت له كرامات ، وكانت سائر أوقاته معمورة بأنواع العبادة .

وانتفع به جماعة من العلماء الكبار، منهم الأستاذ الكبير إبراهيم بن حسن الكوراني ، وشيخنا الحسن بن علي العجمي ، وشيخنا أحمد بن محمد النخلي فسح الله تعالى في أجلهما ، والسيد محمد الشلي باعلوي ، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان ، والسيد محمد بن شيخنا عمر شيخان ، والشيخ عبد الله الطاهر العباسي ، وغيرهم .

وله مؤلفات منها «مقاليد الأسانيد» ذكر فيه شيوخه المالكيين ، وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة ، و«فهرست البابلي» .

وكانت وفاته يوم الأربعاء ، لِسِتِّ بقين من رجب سنة ثمانين بعد الألف ، ودفن بالحجون عند قبر الأستاذ المشهور الشيخ محمد بن عراق .

قاسمُ بنُ سعيدِ بنِ مُحَمَّدِ العقباني التلمساني

« نيل الابتهاج »

الإمام أبو الفضل وأبو القاسم شيخ الإسلام ، ومفتي الأنام ، الفرد العَلَّامة
الحافظ القدوة العارف المجتهد المُعَمَّر ، ملحق الأحماد بالأجداد ، القدوة
الرحلة الحاج .

أخذ عن والده الإمام أبي عثمان وغيره ، وحصل العلوم حتى وصل
درجة الاجتهاد ، وله اختيارات خارجة عن المذهب ، نازعه في كثير منها
عصره الإمام ابن مرزوق الحفيد .

قال في حقه تلميذه محمد بن العباس : شيخنا مفتي الأمة عَلَّامة المحققين
وصدر الأفاضل المبرزين آخر الأئمة اه . وقال يحيى المازوني : شيخنا شيخ
الإسلام ، علم الأعلام ، العارف بالقواعد والمباني ، أبو الفضل العقباني .
وقال الحافظ التنسي : شيخنا الإمام العَلَّامة وعيدُ دهره وفريد عصره . وقال
القلصادي في « رحلته » : شيخنا وبركتنا الفقيه الإمام المُعَمَّر ملحق الأصاغر
بالأكابر ، العديم النظر والأقران ، مرتقي ذروة الاجتهاد بالدليل والبرهان ،
أبو الفضل ، كان ذا أبهة وبهاء وجودة مملوءة من علم ، خالية من الازدهاء ،
وخلاقة سمت في مطالع الحسن إلى أنهى كمال ، وأكمل انتهاء ، انفرد بفني
المعقول والمنقول ، واتحد في علمي اللسان والبيان ، وهو في ما عداه من الفنون
يفوق الصدور ، ويفيض على مزاحمه البحور ، ولي خطة القضاء بتلمسان
في صغره ، ورأى أمله من ذريته في كبره ، وأحرز في العلوم قصب السبق ،
وحازه وقطع فيها صدر العمر ، واستقبل أعجازه . عكف على تعليم العلوم ،
وعلى تدريس المعدوم منها والمعلوم ، فأفاد الأفراد ، وأمتع جهابذة النقاد ،

وأسمع كل الأسماع ما اشتهى وأراد ، لازمته بعد وفاة أحمد بن زاغو ، حتى رحلت من تلمسان ، ولما عدت إليها وجدته حياً ، وقرأت عليه بعض « مختصر المدونة » لابن أبي زيد ، و« مختصر خليل » و« حكم ابن عطاء الله » مع شرح ابن عباد والحوفي بطريق الصحيح ، والمكسور والمناسخات من شرح والده ، و« مختصره في أصول الدين » وغيرهما . وحضرته في كتب عديدة في فنون شتى وكانت خلقته حسنة مرضية قلَّ أن يُرى مثلها . توفي في ذي القعدة عام ٨٥٤ ، وصُلِّيَ عليه في الجامع الأعظم ، وحضر جنازته السلطان فن دونه ، ودفن قرب الشيخ ابن مرزوق اهـ . ملخصاً ، وتوفي عن سن عالية ، رحل للحج سنة ٨٣٠ ، وحضر بمصر إملاء ابن حجر ، واستجاز ابن حجر فأجازه ، وحضر أيضاً درس العلامة البساطي^(١) ، وله تعليق على « ابن الحاجب الفرعي » و« أرجوزة » تتعلق بالصوفية في اجتماعهم على الذكر وغيره .

أخذ عنه جماعة منهم أبو البركات النابلي ، وولده أبو سالم العقباني ، وحفيده محمد بن أحمد ، والعلامة ابن زكري ، والكفيف ابن مرزوق ، وأبو العباس والونشريسي ، ومن تقدم ذكره في خلق اهـ .

(١) في نيل الابتهاج : ولد البساطي بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٧٦٠ ، وقيل في بساط أواخر محرم ، واشتهر أمره في الأقطار بالعلم الأصلي والفرعي ، النقلي والعقلي ، وعاش دهرأ في بؤس ينام على قشر القصب ، ثم تحرى له الحظ وجاور بمكة ، وولي قضاء مصر ٢٠ سنة ، ولما رجع من المجاورة لمكة قال :

ولم أنسَ ذاك الأنسَ والقومُ هَجَّعُ . ونحنُ ضيوفُ والقُرَى تنوُّعُ
وعشاقُ ليلى بين بكِّ وصارخ . وأحسنُ مصروعٍ بوصلٍ يُمنَعُ
وآخرُ في السرِّ الإلهي مُتَيَّمُ . تفوصُ بهِ الأُممُ أجُ حيناً وترَفَعُ
وتوفي ليلة الجمعة ١٣ رمضان سنة ٨٣٢ ، ورثاه الشهاب ابن أبي مسعود المنوفي بقوله :

مات قاضي القضاة يا علم فاهجَّع . واطوٍ من بعده بساط البساطِ
وابكِّ شمساً أغارها القبرُ وافرُش . للثرى وجتيتك بعد البساطي

اهـ

أقول : وهو ثاني العقبانين العلماء الخمسة ، وأولهم أبوه سعيد ، والثالث والرابع ولداه أحمد وإبراهيم ، والخامس حفيده القاضي محمد ، وفي « نفع الطيب » عند ذكر أمة العزيز ، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب « المطرب من أشعار المغرب » : أنشدني أخت جدِّي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها :

ألحاظنا تجرحكم في الحشا • ولحظكم يجرحنا في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا • فما الذي أوجب جرح الصدود

قلت (المقرئ) : هذا السؤال يحتاج إلى جواب ، وقد رأيت لبلدينا القاضي أبي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه ، والغالب أنه من نظمه وهو قوله :

أوجبه مني ياسيدي • جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قتله مدع • فأين ما قلت؟ وأين الشهود؟

قاسم بن عيسى بن ناجي
من « البستان في علماء تلمسان »

أبو الفضل وأبو القاسم شارح « المدونة » و« الرسالة » و« الجلاب » الشيخ العالم الفقيه العلم الحافظ البارع الزاهد الورع القاضي .

أخذ بالقيروان عن أبي محمد الشيباني وعن ابن عرفة ، وكثير من أصحابه ، وغيرهم كأبي مهدي الغبريني ، والحافظ البرزلي والعلامة الأبي ، والقاضي يعقوب الزغبي ، وقاضي الجماعة قاسم القسنطيني ، وأبي القاسم السلاوي ، والفقيه المدرس أبي عبد الله محمد الوانوشي ، وعن القاضي أبي عبد الله بن قليل الهم ، والفقيه العدل عمر المسراتي القيرواني ، وأبي علي الشنواني ، وأبي

عبد الله محمد بن بندار المرادي القيرواني والقاضي ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الفاسي القيرواني ، وغيرهم . ولي القضاء بمواضع كباحة وجربة والقيروان ، وكان معه تفقه عظيم ، وقيام تام على « المدونة » ، واستحضر للفروع .

له شرح حسن على « الرسالة » مفيد ويذكر أن المغيلي بالغ في الثناء على هذا الشرح ويقول له : المذهب ^(١) ، وشرحان على « المدونة » الشتوي في أربعة أسفار ، والصيني في سفرين أخذ عنه غير واحد كالشيخ حلولو ، وغيره . توفي سنة ٨٣٧ قاله الونشريسي في و « فياته » اه . ومثله في « نيل الابتهاج » ، زاد في « البستان » فائدة قد كتب في زمن قاضي الجماعة بتونس يعقوب الزغبي مسألة ، وهي أن رجلاً أوصى لأول ولد يولد عند ابنته ، فولدت ولداً ميتاً ، فاختلفت فتاويهم يومئذ ، وبقيت المسألة إلى أن تولى صاحب الترجمة القضاء ، فحكم فيها بأن المراد أول ولد يولد حياً ، لأن القصد الانتفاع ، ولا ينتفع بها إلا من كان حياً اه . قلت : وقد ذكر هذا الفرع الشيخ حلولو في « شرح المختصر » فانظره . اه .

محمد بن إبراهيم بن أحمد
العبدري التلمساني عُرف بالابلي
من « نيل الابتهاج » ومثله في « البستان »

الإمام العلامة ، المُجمع على إمامته ، أعلم خلق الله بفنون المعقول . قال تلميذه الإمام المقرئ : هذا الإمام نسيج وحده ، ورحلة وقته ، في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره ، قال ابن خلدون : أصله من الأندلس من أهل إبلة من بلاد الجوف ، انتقل منها أبوه وعمه ، فخدما

(١) في نيل الابتهاج « المذهب » .

يغمراسن صاحب تلمسان ، وتزوج أبوه بنت القاضي محمد بن غلبون ، فولدت له شيخنا هذا ، ونشأ في كفالة جده القاضي بتلمسان ، فانتحل العلم فسبق لذهنه محبة التعاليم ، فبرع فيها ، وعكف الناس عليه في تعلمها ، فلما أخذ يوسف بن يعقوب تلمسان ، استخدمه ، فكره ذلك ، وسار إلى الحج ، قال : فلما ركبت البحر من تونس للاسكندرية اشتدت علي الغلظة في البحر ، واستحييت من كثرة الغسل ، فأشير علي بشرب الكافور ، فشربت منه غرفة فاختلطت ، فقدمت الديار المصرية وبها ابن دقيق العيد ، وابن الرفعة ، والصفي الهندي ، والتبريزي ، وغيرهم من فرسان المعقول ، فلم يكن قصاراي إلا تمييز أشخاصهم ، فحججت ورجعت لتلمسان ، وقد أفقت من اختلاطي ، فقرأت المنطق والأصلين على أبي موسى ابن الإمام . ثم أراد أبو حمو صاحب تلمسان إكراهه على العمل ، فقرأ لفاس واختفى هناك عند خلوف اليهودي ^(١) شيخ التعاليم ، فأخذ فنونها ، وحذق ، ثم دخل مراکش في حدود عشرة وسبع مئة ، ونزل على شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف علماً وحالاً ابن البنا ، فلأزمه وتضلع عليه في المعقول والتعاليم والحكمة ، ثم صعد على الجبل عند علي بن محمد شيخ الهساكرة ، فقرأ عليه ، واجتمع عليه طلبة العلم ، فكثرت إفادته واستفادته ، ثم رجع لفاس فانتال عليه طلبة العلم من كل ناحية ، فانتشر علمه واشتهر ذكره ، ولما لقي السلطان أبو الحسن عند فتح تلمسان أبا موسى ابن الإمام أثنى عليه ^(٢) ووصفه بتقدمه في العلوم ، وكان يعتني بجمع العلماء في مجلسه ، فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة ، فعكف على التدريس والتعليم ، ولأزمه وحضر معه وقعة طريف والقيروان .

قال ابن خلدون : لأزمته وأخذتُ عنه فنوناً ، ثم طلبه أبو عنان بتلمسان ،

(١) المغيلي هـ «بستان» .

(٢) يعني اثنى أبو موسى على المترجم .

فنظمه في طبقة علماء أشياخه ، وكان يقرأ عليه حتى مات بفاس سنة سبع وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) ، وأخبرني أن مولده سنة إحدى وثمانين وست مئة (٦٨١) هـ .

قال تلميذه المقرئ : أخذ بتلمسان عن أبي الحسن التنسي ، وابن الإمام ، ورحل في آخر السابعة للشرق ، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ، ثم رجع لتلمسان ثم للغرب ، فأخذ عن ابن البناء ، وسأل كثيراً من علمائه قال له ، قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهدي ؟ فقال : عالم سلطان ، ولقيته بعد فتح تلمسان ، وأخذت عنه هـ .

قال المقرئ : ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي فاساً رسولاً عن صاحب بجاية ، زاره الطلبة فحدثهم أنهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في « تفسير الفخر » في سورة الفاتحة ، ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل ، وإن الجنس أقوى من الفصل ، فلما رجعوا إلى الشيخ الإبلي أخبروه بذلك ، فاستشكله ثم تأمله فقال : فهمته وهو كلام مصحّف ، وأصله : إن المركب قبل البسيط في الحس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وإن الحس أقوى من العقل ، فرجعوا إلى المسفر فأخبروه فلجّ ، فقال لهم الشيخ : اطلبوا النسخ ، فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ هـ بنقل ابن الخطيب في « الإحاطة » .

قال المقرئ : وحدثني الإبلي أن عبد الله بن إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع من ابن تيمية ينشد لنفسه :

مُحَصَّلٌ فِي أَصُولِ الدِّينِ حَاصِلُهُ * مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِهِ عِلْمٌ بِلا دِينِ
أَصْلُ الضَّلَالَةِ وَالإفْكَ المَبِينِ فَمَا * فِيهِ فَأَكْثَرُهُ وَحْيُ الشَّيَاطِينِ

قال : وبیده قضیب ، فقال : والله لو رأيتہ لضربتہ بهذا القضیب ، کذا
ثم رفعه ووضعہ ا هـ .

قال المقری وسمعتہ يقول : ما فی الأمة المحمدیة أشعر من ابن الفارض
قال : وقال طالب يوماً : مفهوم اللقب صحیح ، فقال له الشیخ : قل : زید
موجود ، فقال : زید موجود ، فقال له الشیخ : أما أنا فلا أقول شیئاً ، فعرف
الطالب ما وقع فیہ فخجل ، قال : وقال لی كنتُ عند القاسم بن محمد الصنهاجی
إذ وردت علیہ رقعة من القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فیها « خیرات ما
ما تحتویہ مبدولة ومطلبي فیها تصحیف مقلوبها » فقال لی : ما مطلبه ؟ فقلت
له : نارنج ا هـ أي فإن مقلوبه تاریخ ، وتصحیفه نارنج ، قال أيضاً : وسمعتہ
يقول : إنما أفسد العلم كثرة التالیف ، وأذهبہ بنیان المدارس ، وكان ینتصف
من المؤلفین والبانین ، وإنه لكما قال ، بید أن فی شرحه طولاً وذلك أن التالیف
نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ینفق فیها مالاً كثيراً ،
وقد لا یحصل له من العلم إلا نزرٌ يسیر ، لأن غایتہ علی قدر مشقتہ فی طلبه ،
ثم یشتری أكبر دیوان بأبخس ثمن ، فلا یقع منه أكثر من موقع عوضه ،
فلم یزل الأمر كذلك حتی نسی الأول بالآخر ، وأفضى الأمر إلى ما یسخر
منه الساخر ، وأما البناء فلأنه یجذب الطلبة لما فیہ من مرتب الجریات ، فقبل
بهم علی ما یعینه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم ، أو من یرضی لنفسه
دخوله فی حکمهم ، ویصرفهم عن أهل العلم حقیقة ، الذین لا یدعون إلى
ذلك ، وإن دعوا لم یجیبوا ، وإن أجابوا لم یوفوا لهم بما یطلبون من غیرهم ا هـ .

قلت : ولعمري لقد صدق فی ذلك وبر ، فلقد أدی ذلك لذهاب العلم
بهذه المدن الغریبة ، التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان كفاس ، وغیرها
حتى صار یتعاطى الإقراء علی کراسیها من لا یعرف « الرسالة » أصلاً فضلاً
عن غیرها ، بل من لم یفتح کتاباً للقراءة قط ، فصار ذلك ضحکة ، وسبب

ذلك أنها صارت بالتوراث والرياسات أعادنا الله ، حتى نخلت هذه الساعة ممن يعتمد عليه في علمه ، مصداق قوله ما ورد في ذلك .

قال المقرئ : ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها ، ونسبوا ظواهرها فيها لأمهاتها ، وقد نبه عبد الحق في « التعقيب » على منع ذلك لو كان من يسمع ، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ، ثم تركوا الرواية فكثرت التصحيف ، وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يُدرى ما زيد فيها مما نقص منها ، لعدم تصحيحها وقلة الكشف . كان أهل المئة السادسة وصدر السابعة لا يُسوِّغون الفتيا من « تبصرة اللّخمي » لأنها لم تصحح على مؤلفها ، ولم تُؤخذ عنه ، وأكثرها يعتمد اليوم هذا النمط ، ثم انضاف إلى ذلك عدم اعتبار الناقلين ، فصار يُؤخذ من كتب المسخوطين ، كالأخذ من المرضيين ، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ، ولم يكن هذا فيمن قبلنا ، حتى تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير « التهذيب » وهو « المدونة » اليوم لشهرة مسائله ، وموافقته في أكثر ما خالف فيه « المدونة » لأبي محمد ، ثم كَلَّ أهل هذه المئة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، وشق الشروح ، والأصول الكبار ، فاقترضوا على حفظ ما قلَّ لفظه ونزر حظه ، وأفنوا عمرهم في حل لغوزه ، وفهم رموزه ، ولم يصلوا الرد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح فضلاً عن معرفة الضعيف والصحيح ، بل حل مقفل ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات . زعموا أنها تستنهضُ النفوس ، فبينما نحن نستكثر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ أُتيحت لنا تقييدات للجهلة ، بل مسودات المسوخ ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . فهذه جملة تهديك إلى أصل العلم ، وتريك ما غفل الناس عنه اهـ

قال المقرئ : وسمعت العلامة الإبلي أيضاً يقول : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل ، لأننا أتينا أكثر مما أتوا ، يشير إلى

افتراق هذه الأمة على أكثر مما افتقرت عليه بنو إسرائيل ، واشتهار بأسهم بينهم إلى يوم القيامة ، حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم ، وتعدّد ملوكهم لاتساع أقطارهم ، واختلاف أنسابهم وعوائدهم ، حتى غلبوا بذلك على الخلافة ، فترعت من أيديهم ، وساروا في الملك بسير من قبلهم ، مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى ، لكننا آخر الأمم أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما ستر منا ، وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ، ولا يرفع جميل ستره عنا ، فمن أشد ذلك إتلافاً لغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيحة ، إذ ذاك لم يكن بتبديل اللفظ ، إذ لا يمكن ذلك في مشهورات كتب العلماء المستعملة ، فكيف في الكتب الإلهية ، وإنما ذلك بالتأويل ، كما قال ابن عباس وغيره . وأنت تنظر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف ، وما حملت الآي والأخبار عليه من ضعف التأويلات . قيل لملك : لم يختلف الناس في تفسير القرآن ؟ فقال : قالوا بآرائهم فاختلفوا . أين هذا من قول الصديق : أي سماء تظلني وأي أرض تظلني إذا قلت في كتابه عز وجل برأيي . كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل ، وأقرب ما يحمل عليه معظم خلافهم كون بعضهم علم ، فقصده إلى تحقيق نزول الآية بسبب أو حكم أو غيرهما ، وبعضهم لم يعلموا ذلك تعييناً ، فلما طال بحثهم ، وظنوا عجزهم ، صوّروا المسألة بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة ، ليخرجوا عن حد الإبهام المطلق ، فذكروا ما ذكروه تمثيلاً لا قطعاً بالتعيين ، بل منه ما لا يعلم أنه أريد لا عموماً ولا خصوصاً ، لكنه يجوز أن يكون المراد أو قريباً منه ، وما يعلم أنه مراد بحسب الشركة والخصوصية ، ثم اختلط الأمران . والحق أن تفسير القرآن من أصعب الأمور ، فالإقدام عليه جرأة ، وقد قال الحسن لابن سيرين : تعبر الرؤيا كانك من آل يعقوب . فقال له : تُفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل . وقد صح أنه عليه السلام لم يفسر من القرآن إلا آيات معدودة ، وكذا أصحابه

والتابعون بعدهم ، وتكلم أهل النقل في صحة ما نسب لابن عباس من التفسير إلى غير ذلك ، ولا رخصة في تعيين الأسباب ، والناسخ والمنسوخ ، إلا بتوقيف صحيح أو برهان صريح ، وإنما الرخصة في تفهيم ما تعرفه العرب بطبائعها من لغة وإعراب وبلاغة ، لبيان إعجاز ونحوها اه^(١) .

قلتُ : وأخذ عن صاحب الترجمة من لا يُعد كثرةً من الأئمة : كابن الصباغ المكناسي ، والشريف التلمساني ، والشرف الرهوني ، وابن مرزوق الجدي ، وأبي عثمان العقباني ، وابن عرفة ، والوليُّ ابن عباد ، وابن خلدون في خلق أجلاء . اه .

وفي « الجذوة » ما نصه : محمدُ بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالإبلي ، الإمام العلامة ، أعلم أهل عصره بالفنون المعقولية ، قال ابن خلدون : أصله من الأندلس من إبله من بلاد الجوف ، منها انتقل أبوه وعمه فاستخدمهم يغمراسن بن زيان ، صاحب تلمسان ، وأصهر إبراهيم إلى القاضي محمد بن غلبون في ابنته فولدت له محمداً ، ونشأ بتلمسان في كفالة جده القاضي فقال إلى محبة التعاليم ، فبرع وعكف الناس عليه في تعلمها ، وقصد إلى الحج فلقى بالديار المصرية ابن دقيق العيد ، والصفى الهندي ، والتبريزي ، وغيرهم . وقرأ المنطق والأصلين على أبي موسى ابن الإمام بعد رجوعه لتلمسان ، ثم أراد أبو حمو إكراهه على العمل ، ففرَّ إلى مدينة فاس ، واختفى بها عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي ، فأخذ فنونها ومهر فيها ، ولحق بمراكش في حدود عشر وسبع مئة ، ونزل على الإمام ابن البنا ، فلامه وتضلع عنه في علم المعقول والتعاليم والحكمة ، ثم رجع إلى مدينة فاس فانتال عليه طلبة العلم . فانتشر علمه واشتهر ذكره ، ثم إن أبا موسى ابن الإمام مدحه للسلطان أبي الحسن

(١) زاد في « البستان » هنا ما نصه : والظاهر أن أول هذا الكلام للإبلي صاحب الترجمة ، وما بعده من كلام المقرئ ، فتأمل مع الكلام السابق والله أعلم . اه

المريني ، فاستدعاه من فاس ، ونظّمه في طبقات العلماء ، فعكف على التدريس والتعليم ، ولازم أبا الحسن ، وحضر معه وقعة طريف ، وكان أبو عنان يقرأ عليه إلى أن هلك بفاس ، أخذ عن أبي الحسن التنسي بتلمسان ، وتوفي بفاس سنة (٧٥٧) هـ .

وفي « بغية الرواد »^(١) ما نصه : شيخنا العالم الأعلى الشيخ أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم الإيلي المعلم الأصغر من بيت نباهة في الجند ، أخذ ببلده عن الشيخين العالمين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وبمراكش عن أبي العباس أحمد ابن البنا وارتحل إلى العراق في زِيِّ الفقراء السفارة ، فلقني به وبغيره من بلاد المشرق العلماء ، وأخذ عنهم ، وعاد فاستخدمه السلطان أبو حمو ابن السلطان أبي سعيد في قيادة بني راشد من كور بلده ، ففرّ لذلك عنه ، واستقر بجبال المسكرة عند علي بن محمد بن تاروميت ، وكان طالباً للعلم جماعة لكتبه ، فعكف عنده على النظر إلى أن فاق أهل زمانه في العلوم العقلية بأسرها ، حتى إني لا أعرف بالمغرب وإفريقية فقيهاً كبيراً إلا وله عليه مشيخة ، توفي رحمة الله عليه ورضوانه بفاس في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) هـ .

وقد رأيت في « نفع الطيب » ما لا ينبغي إغفاله من الكلام على العبدري التلمساني وعلى عبدريين آخرين ، رفعاً للإيهام والالتباس ، وإفادة لبعض الناس ونصه : ولنختم فصل من لقبته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة : أحدهما عالم الدنيا ، والآخر نادرتهما ، أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن أحمد العبدري الإيلي التلمساني ، سمع جده لأمه أبا الحسين ابن

(١) « بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد » تأليف الشيخ الفقيه العلامة أبي زكرياء يحيى بن خلدون أخي العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ الكبير الشهير ، الأول مات قتيلاً في تلمسان سنة ٧٨٠ ، وعمره نحو ٣٥ سنة ، والثاني مات سنة ٨٠٨ عن ٧٦ سنة غير أشهر ، وكانت ولادته قبل أخيه المذكور بعامين .

غلبون المرسي القاضي بتلمسان ، وأخذ عن فقهاؤها أبي الحسين التنسي وابني الإمام ، ورحل في آخر المئة السابعة ، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ، ثم قفل إلى المغرب ، فأقام بتلمسان مدة ، ثم فرّ أيام أبي حم موسى بن عثمان إلى المغرب ، حدثني أنه لقي أبا العباس أحمد بن إبراهيم الخياط شقيق شيخنا أبي عثمان المتقدم ذكره ، فشكاه ما يتوقعه من شرّ أبي حم ، فقال له : عليك بالجليل ، فلم يدر ما قال ، حتى تعرّض له رجل من غمارة ، فعرض عليه الهروب به قال : فخفت أن يكون أبو حم قد دسّه علي ، فتنكرت له ، فقال لي : إنما أسير بك على الجبل ، فتذكرت قول أبي إسحاق ، فواطأته ، وكان خلاصي على يده ، قال : ولقد وجدت العطش في بعض مسيري به حتى غلظ لساني ، واضطربت ركبتي ، فقال لي : إن جلست قتلتك لكلا افتضح بك ، فكنت أقوى نفسي فر على بالي في تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس ، وتوسله به ، فوالله ما قلت شيئاً حتى وقع لي غدیر ماء ، فأريته إياه فشربنا ونهضنا ، ولما دخل المغرب أدرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه ، وشافه كثيراً من علمائه ، قال لي : قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهديّ؟ فقال : عالم سلطان ، فقلت له : قد أبنت عن مرادي ، ثم سكن جبال الموحدين ، ثم رجع إلى فاس ، فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه ، فقال لي الإيلي : كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصنهاجي فوردت عليه طومارة^(١) من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيراتُ ما تحويه مبدولةٌ * ومطلبي تصحيفُ مقلوبها

فقال لي : ما مطلبه؟ قلت : نارنج .

دخل على الإيلي وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدبّاغ المالقي المتطبب ،

(١) رقعة .

فأخبرنا أن أديباً استجدى وزيراً بهذا الشطر « ثم حبيب قلماً ينصف » فأخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته ، فإذا هو : قصبتا ملف شحمي * ومر الدباغ علينا يوماً بفاس فدعاه الشيخ فلبّاه فقال : حدثنا بحديث اللطافة ، فقال : نعم ، حدثني أبو زكريا بن السراج الكاتب بسجلماصة أن أبا إسحاق التلمساني وصهره مالك بن المرحل ، وكان ابن السراج قد أتاهما اصطحبا في مسير ، فأواهما الليل إلى مجشر^(١) ، فسألا عن طالبه^(٢) فدُلا ، فاستضافاه فأضافهما ، فبسط قطيفة بيضاء ثم عطف عليهما بنجيز ولبن ، وقال لهما : استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما ، وانصرف فتحاورا في اسم اللطافة لأي شيء هو منهما ، حتى ناما فلم يرع أبا إسحاق إلا مالك يوقظه ويقول : قد وجدت اللطافة ، قال : كيف ؟ قال : ابعدت في طلبها حتى وقعت بما لم يمر قطُّ على مسمع هذا البدوي ، فضلاً عن أن يراه ، ثم رجعت القهقري حتى وقعت على قول النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بِنَانَسَهُ * عَنَّمُ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

فسنح لبالي أنه وجد اللطافة ، وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين ، فجعل إحدى النقطتين للطاء فصارت اللطافة اللطافة واللّين اللّين ، وإن كان قد صحّف عنم بغنم ، وظن أن يعقد جبن فقد قوي عنده الوهم ، فقال أبو إسحاق : ما خرجت عن صوبه . فلما جاء سألاه فأخبر أنها اللين ، واستشهد بالبيت ، كما قال مالك ، ولا تعجب من مالك ، فقد ورد فاساً شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر رسولاً عن صاحب بجاية ، فزاره الطلبة فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاماً وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ، ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في

(١) مدشر يعني قرية أو دشرة .

(٢) عالمه .

الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل وأن الجنس أقوى من الفصل .
فرجعوا به إلى الشيخ الإيلي فتأمله ، ثم قال : هذا كلام مصحّف ، وأصله : إن
المركب قبل البسيط في الحس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وإن الحسّ
أقوى من العقل . فأخبروا ابن المسفر فلجّ فقال لهم الشيخ : التمسوا النسخ
فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ ، والله يُؤتي فضله من يشاء .

قال لي الإيلي : لما نزلت تازي بتُّ مع أبي الحسن بن بري وأبي عبد الله
الترجالي ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قطعهما عن الكلام ، فاستكشفتها
عن معنى هذا البيت^(١) للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا * ونحن بوادي عبد شمس وهاشم^(٢)

فجعلنا يفكران فيه ، فتمت حتى أصبحا ، ولم يجداه ، فسألاني عنه ، فقلت
معناه : أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شم لنا برقا .
قلت : وفي جواز مثل هذا نظر .

سمعت الإيلي يقول : دخل قطب الدين الشيرازي والدينيران على أفضل
الدين الخونجي ببلده ، وقد تزيا بزّي القونوية ، فسأله أحدهما عن مسألة
فأجابه ، فتعايا عن الفهم ، وقرب التقرير فتعايا ، فقال الخونجي متمثلاً :

عليّ نحت المعاني من معادنها * وما عليّ لكم أن تفهم البقر

(١) البيت لتميم بن رافع المخزومي ، انظر شرح شواهد المغني الشاهد رقم (٤٥٧) .

(٢) هذا البيت امتحنني به شيخنا سيدي محمد المكي ابن عزوز في حدود سنة ١٢٩٣ . ونحن مسافرون
من بسكرة إلى الديس ، قرية أولاد سيدي إبراهيم لزيارة جدة والذي سيدي الشيخ ابن أبي القاسم .
ثم لزيارة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي ، ولما ألقاها عليّ وأنا حديث السن لم أجد إلى
حلها سبيلاً فأفادني رضي الله عنه ، كما أفادني بكثير غيرها من الألفاظ ، وكنا إذ ذاك بوادي الأبيض
في معاطفه المسماة سبع كديات ، وبتنا في أخيره وتلك أول سفرة معه ، وأول زيارته قرى أبي
سعادة أطال الله عمره ، وجمعنا به آمين .

فقال له : ضَمَّ التاء يا مولانا ، فعرفهما فحملهما إلى بيته . قلت : سمعت
الشيخ شمس الدين الأصبهاني بختناه قوصون بمصر يقول : إن شيخه القطب
توفي عام أحد عشر وسبع مئة (٧١١) ، وله سبع وسبعون سنة ، وهذا يضعف
هذه الحكاية عندي . سمعت الإيلي يقول : إن الخونجي ولي قضاء مصر بعد
عز الدين بن عبد السلام ، فقدم شاهداً كان عز الدين أخره فعذله في ذلك ،
فقال : إن مولانا لم يذكر السبب الذي رفع يده من أجله ، وهو الآن غير
متمكن من ذكره . سمعت الشيخ الإيلي يحدث عن قطب الدين القسطلاني
أنه ظهر في المئة السابعة من المفاصد العظام ثلاث : مذهب ابن سبعين ، وتملك
التر للعراق ، واستعمال الحشيشة . سمعت الإيلي يقول : قال أبو المطرف بن
عميرة :

ففضلُ الجمالِ على الكمالِ بوجهِهِ * فالحقُّ لا يخفى على مَنْ وَسَّطَهُ
وبطرفِهِ سُقْمٌ وسحرٌ قد أتى * مستظهِراً بهما على ما استنبطَهُ
عجباً له برهانه بِشروطِهِ * معهُ فما مقصودهُ بالسَّقْطَةِ

قال : فأجابه أبو القاسم بن الشاط فقال :

عِلْمُ التَّباينِ في النُّفوسِ وإِنَّهَا * منها مُغْلَطَةٌ وَغَيْرُ مُغْلَطَةٍ
فئةٌ رأتُ وجهَ الدَّلِيلِ وفرقةٌ * أصغتُ إلى الشُّبُهاتِ فِيهِ مَوْرَطَهُ
فأراد جمعَهُمَا معاً في مُلْكِهِ * هذي بمنتجةٍ وذي بمُغْلَطَةٍ

يعني قولهم في التام : هو ما تحمل فيه البرهان الفصل . وأخبار الإيلي
وأسمعي منه تحتل كتاباً ، فلنقف على هذا القدر منها .

وأما النادرة فأبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاطر الجُمحي المراكشي ،
صحب أبا زيد الهزميري كثيراً ، وأبا عبد الله بن تيجان ، وأبا العباس بن البناء ،
وأضراجه من المراكشين ، ومن جاورهم ، ورزق بصحبة الصالحين حلاوة

القبول ، فلا تكاد تجد من يستثقله ، وربما سُئِلَ عن نفسه فيقول : وليّ مفسود . قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح ، وقال : الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض ، وقد أخذنا بمجامع الخلقِ يَجُرُّانهم إلى القيامة ، وإن مرَدَّنا إلى الله تعالى .

وسمعتَه يقول : المؤذنون يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته ، فلا يصدُّهم عن دعائهم ظلُّمة ولا شتاء ولا طين ، ويصرفونهم عن الاشتغال بما لم يُبَيَّن لهم ، فيخرجونهم ويغلقون الأبواب دونهم . ووجدته ذات يوم في المسجد ذاكرًا ، فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : (فَهْمٌ فِي رَوْضَةٍ يُخْبِرُونَ) (١) فهمتُ بالانصراف ، فقال : أين تذهب من روضة من رياض الجنة ، يقام بها على رأسك بهذا التاج ، وأشار إلى المنار مملوءاً بالله أكبر . مرَّ ابنُ شاطر يوماً على أبي العباس أحمد بن شعيب الكاتب ، وهو جالس في جامع الجزيرة ، طهره الله تعالى ، وقد ذهب به الكفرة فصاح به ، فلما رفع رأسه إليه قال له : انظر إلى مركب عزرائيل ، وأشار إلى نعش هنالك قد رُفِعَ شراعه ، ونُودِيَ عليه الطلوع يا غزي . وأكل يوماً مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم : إن في هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقت ؟ وسُئِلَ عن العِلَّةِ في نضارة الحدَّائَةِ فقال : قُربُ عهدِها بالله ، فقليل له : فمِمَّ تغيّر الشيوخ ؟ فقال : من بعد العهد من الله ، وطول الصحبة مع الشياطين ، فقليل له : فبَخْرُ أفواهِهِمْ ؟ فقال : من كثرة ما تفل الشياطين فيها . وكان يُسَمِّي الصغيرَ فار المصطكى . قال لي ابن شاطر : لقيتُ عمي ميموناً المعروف بديير لقرب موته ، وقد اصفرَّ وجهه ، وتغيّرت حالته ، فقلت له : ما بالك ؟ وكان قد خدم الصالحين ، ورزق بذلك القبول ، فقال : انسَدَّتْ الزرْبَطَانَةُ فطلع ، يعني العذرة يشير

(١) سورة الروم : الآية ١٥ .

إلى الاحتقان للطبيعة . أنشدني ابن شاطر قال : أنشدني أبو العباس بن البناء
لنفسه : قصدت إلى الوجازة في كلامي الأبيات . وأخبار ابن شاطر عندي
تحتل كراسة فلنقتنع منها بهذا القدر .

فصل ولما دخلتُ تلمسان على بني عبد الواد ، تهيأ لي السفر منها ، فرحلت
إلى بجاية ، فلقيت بها أعلاماً درجوا ، فأمست بعدهم خلاءً بلقياً . فمنهم الفقيه
أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر ، باحثه واستفدت منه ،
وسألني عن اسم كتاب الجوهرى فقلت له : من الناس من يقول « الصَّحاح »
بالكسر ، ومنهم من يفتح ، فقال : إنما هو بالفتح بمعنى الصحيح ، كما ذكره
في باب: صح. قلت : يحتمل أن يكون مصدر صح كحنان . وكتب إلي بعض
أصحابه بجواب رسالة صدره بهذين البيتين :

وَصَلَّتْ صَحِيفَتُكُمْ فَهَزَّتْ مِعْطَنِي * فَكَأَنَّمَا أَهَدَتْ كُؤُوسَ الْقُرْقُفِ
وَكَأَنَّهَا لَيْلُ الْأَمَانِ الْخَائِفِ * أَوْ وَصَلُ مَحْبُوبٍ لَصَبٍ مُدَنَّفِ

ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي ،
فقيه ابن فقيه ، كان يقول : من عرف ابن الحاجب أقرأ به « المدونة » قال :
وأنا أقرأ به « المدونة » . ومنهم أبو علي حسين بن حسين إمام المعقولات بعد
ناصر الدين . ومنهم خطيبها أبو العباس أحمد بن عمران ، وكان قد ورد تلمسان ،
وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم : صفة توجب تمييزاً لا يحتمل
النقيض الخاصة إلا أن يزداد في الحد : « لمن قامت به » لأنها إنما توجب فيه تمييزاً
لا تمييزاً ، وهذا حسن . ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى بن فرحان ،
وغيرهم من أهل عصرهم .

العبدري التونسي : قال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد
ابن علي بن عمر العبدري التونسي الشاطبي الأصل ما نصه : غَدِي نِعْمَةَ هَامِيَةَ ،

ومرّيع رتبة سامية ، صرفت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق من إفريقية إلا من يخافه ويرجوه ، وبلغ هو مدة ذلك الشرف الغاية من الترف ، ثم قلب الدهر له ظهر المجن ، واشتد به الخمار عند فراغ الدن ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوط مبيرة وشدة كبيرة ، فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات به ما لم ينله في أوطانه واكتسب الشمائل العذاب ، وكان كابن الجهم بُعث إلى الرصافة ليرق فذاب ، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر ، وألمّ بهذه البلاد إمام الخيال الزائر ، فاغتنمت صفقة ودّه لحين وروده ، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده ، فحصلت منه على دُرّة تُقتنى ، وحديقة طيبة الجنى ، أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببرّه فقال :

لِكُلِّ أَناسٍ مذهبٌ وسجِيَّةٌ * ومذهبُ أولادِ النَّظامِ المكارِمُ
 إذا كنتَ فيهمِ ثاوياً كنتَ سيِّداً * وإنْ غبتَ عنهمِ لم تنلِكَ المظالمُ
 أولئكِ صَحْبِي لا عَدِمْتُ حياتَهُمُ * ولا عَدِمُوا السَّعدَ الذي هو دائِمُ
 أغنيَ بذكراهمِ وطيبَ حديثَهُمُ * كما غرَّدتُ فوقَ الغصونِ الحمائمُ
 وقال :

أَحَبُّنا بمصرٍ لو رأيتُم * بكائي عندَ أطرافِ النَّهارِ
 لكنَّتمُ تُشْفِقُونَ لِفِرطٍ وجدي * وما ألقاهُ منْ بَعْدِ الدِّيَارِ

العبدري الغرناطي : وقال لسان الدين رحمه الله في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري الغرناطي ما صورته : معلم مدرّب ، ومسهل مقرب ، له في صنعة العربية باع مديد ، وفي هدفها سهم سديد ، ومشاركة في الأدب لا يفارقها تسديد ، لخاص للمنازع مختصرها ، مرتب الأحوال مقررها ، تميز أول وقته بالتجارة في الكتب ، فسلمت منه عليها أرضة آكلة ، وسهم أصاب من رميتها الشاكلة ، أترب بسببها وأثرى ،

وأغنى جهة وأفقر أخرى ، وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى مسقط رأسه
ومنت غراسه ، وجرت عليه جرابة من أحباسها ، ووقع عليه قبول من ناسها ،
وبها تلاحق به الحمام ، فكان من ترابها البداية ، وإليها التمام .

وله شعر لم يقصر فيه عن المدى ، وأدب توشح بالإجادة وارتدى ، أنشدني
بسبته تاسع جمادى الأولى عام اثنين وخمسين وسبع مئة (٧٥٢) يجيب عن بيتي
ابن العفيف التلمساني :

يا ساكناً قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لأي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان
نحلتني طائعاً فؤاداً * فصار إذ حزته مكاني
لا غرو إذ كان لي مضافاً * إني على الكسر فيه بانسي

وقال يخاطب الشريف أبا العباس وأهدى أقلاماً :

أناملك الغر التي سبب جودها * يفيض كفيض المزن بالصيب القطر
أتني منها تحفة مثل عدها * إذا انتضيت كانت كمرهفة السمر
هي الصقر لكن تعلم البيض أنها * مُحَكَّمَةٌ فيها على النفع والضر
مهذبة الأوصال مشوقة كمسا * تصوغ سهام الرمي من خالص التبر
فقبلتها عشراً ومثلت أنسي * ظفرت بلثم في أناملك العشر

وقال في ترتيب حروف الصحاح :

أساجعة بالواديين تبوئسي * ثماراً جنتها حالات خواصب
دعي ذكر روض زاره سقي شربه * صباح ضحى طير ظماء عواصب
غرام فؤادي قاذف كل ليلتي * متى ما نأى وهنا هواه يراقب

مولده في حدود ثمانين وست مئة (٦٨٠) ، وتوفي بفرناطة في رجب عام

ثلاث وخمسين وسبع مئة (٧٥٣) هـ. قلت : رأيتُ بخط الجلال السيوطي على هامش جوابه عن بيتي ابن العفيف التلمساني ما صورته : قلت : في هذا البيت تصريح بأن المضاف إلى الياء مبني على الكسر ، وهو رأي مراجوح عند النحاة ، ذهب إليه الجرجاني ، والصحيح أنه معرب ، على أن ذلك لا يحتاج إلى جواب ، كما يظهر بالتأمل ، قاله عبد الرحمن السيوطي . انتهى ويعني بذلك أن الساكنين إنما يُكسر أحدهما لا محلُّهما . والله سبحانه أعلم هـ .

مُحمَّدُ بنُ أبي القاسمِ المُشدَّالي من « نيل الابتهاج »

محمدُ بنُ أبي القاسمِ بن محمد بن عبد الصمد المُشدَّالي ، وبه عرف البجائي علامتها وفقهها وإمامها وخطيبها ومفتيها وصالحها ومحققها الفقيه العلامة المحقق الناظر الورع الزاهد البركة ، شُهر بالمشدَّالي بفتح الميم المعرفة وشدُّ الدال نسبة لقبيلة من زواوة .

أخذ عن أبيه بل ترقى معه في بعض شيوخه ، وكان إماماً كبيراً مقدماً على أهل عصره في الفقه وغيره ، ذو وجهة عند صاحب تونس ، كمل « تعليقه الوانوغني على البراذعي » واستدرك ما صرح فيه ابن عرفة في « مختصره » بعدم وجوده ، وتتبع ما في « البيان والتحصيل » بغير مظانه وحوله لهما ، وحاذى به ابن الحاجب ، وخطب بالجامع الأعظم ببجاية ، وتصدَّر فيه وفي غيره بالتدريس ، وتخرج به ابناه وأئمة ، وكان يُضرب به المثل حتى يقال : أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المُشدَّالي ، رأيت من أرَّخه بسنة بضع وستين وثمان مئة هـ . من السخاوي ، يعني أرَّخ وفاته .

قلت : وفي « وفيات النورثريسي » ما نصه : وفي سنة ست وستين وثمان

مئة توفي ببجاية مفتيها وخطيب جامعها الأعظم أبو عبد الله المشدّالي اهـ . والله أعلم .
 وأما تأليفه فمنها « تكملة حاشية أبي مهدي عيسى الوانوغى على المدونة »
 في غاية الحسن والتحقيق ، تدل على إمامته في العلوم في مجلد ذكر في آخره
 أنه فرغ منه عام ستة وثلاثين ، وهي مراد السّخاوي بقوله : كملّ تعليقه إلى
 آخره ومنها « مختصر البيان » لابن رشد ربّته على مسائل ابن الحاجب ، وجعله
 شرحاً له ، أسقط التكرار منه ، ورد كل مسألة إلى موضعها من الإحالات ،
 فجاءت في غاية الاتقان واليسير . وترك من المسائل ما لا تعلق له أصلاً بكلام ابن
 الحاجب ، ولا يقرب إليه بوجه ، فجاء في أربعة أسفار في مقدار تسعين
 كراساً ، وقفت على ما عدا الثاني منها ، فله الحمد وإياه . أراد السخاوي
 بقوله : تتبع ما في البيان إلى آخره ، ومنها اختصار أبحاث ابن عرفة في « مختصره
 المتعلقة بكلام ابن شاس ، وابن الحاجب » وشرحه مع زيادة شيء يسير في
 بعض المواضع ، مما لم يطلع عليه ابن عرفة ، وهو الذي أراد السّخاوي بقوله :
 واستدرك ما صرّح به ابن عرفة إلى آخره ، وهو في مجلد نحو سبعة عشر كراساً
 من القالب الكبير .

وأخذ عنه جماعة من الأئمة كالإمام أبي الربيع الحسناوي ، وأبي مهدي ،
 وعيسى بن الشّاط ، والعالم محمد بن مرزوق الكفيف ، وولديه الآتين
 قريباً ، وغيرهم ، وله فتاوى نقلها في « المازونية » « والمعيار » اهـ .

الشَّريفُ التَّلْمَساني

« نيل الابتهاج »

مُحمَّدُ بنُ أحمدِ بنِ علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود
 ابن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن
 الحسن بن علي بن أبي طالب . هكذا وجدته بخط ولده عفا الله عنه الشريف

أبو عبد الله التلمساني .

قال ابن خلدون : يُعرف بالعلوني نسبة لقربة من أعمال تلمسان ، تسمى العلونيين ، ونسبة بيته لا يدافع فيه ، وربما غمّص فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه ، ولا معرفته بالأنساب فيعدُّ من اللغو اهـ . ويُعرف أيضاً بالشريف التلمساني علامة تلمسان ، بل إمام المغرب قاطبة ، قال الإمام ابن مرزوق الحفيد : شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره بإجماع اهـ .

وقال السراج في « فهرسته » : شيخنا الفقيه الإمام العالم العلامة الشهير الكبير الصدر القدوة ، الشريف نسباً ، العظيم قدراً ومنصباً ، أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل الوجيه العاقل العدل المبرز أبي العباس ، كان أحد رجال الكمال علماً وذاتاً وخلقاً وخلقاً عالماً بعلوم جمّة من المنقول والمعقول ، بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد ، بل هو أحد العلماء الراسخين ، وآخر الأئمة المجتهدين .

نشأ بتلمسان ، وقرأ القرآن على الشيخ أبي زيد بن يعقوب ، وأخذ عن الإمامين ابني الإمام ، والقاضي أبي عبد الله بن هدية القرشي ، والولي الصالح عبد الله المجاصي ، والقاضي التميمي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد البروني ، وعمران المشدّالي ، والقاضي ابن عبد النور ، والقاضي أبي العباس بن الحسن ، والقاضي علي ابن الرماح ، وابن النجّار ، ولازم الإمام الإبلي كثيراً ، وانتفع به ، وأخذ أيضاً عن ابن عبد السلام التونسي ، والعالم السطي بمدينة فاس ، وغيره ، حضر عليه « الأحكام الصغرى » لعبد الحق « والتهذيب » وبعض « الموطأ » و« الصحيحين » لما قدّم رسولاً لفاس عام سبعة وستين وسبع مئة (٧٦٧) اهـ .

قلت : ومن صرّح ببلوغه درجة الاجتهاد عصره الإمام الخطيب ابن مرزوق الجد في رسالته التي رد فيها على أبي القاسم الغبريني ، وأثنى عليه كثيراً .

قال ابنُ خلدون : أخذ العلم بتلمسان عن مشيختها ، واختص بابني الإمام ، وتفقه عليهما في الأصول والكلام ، ثم لزم شيخنا الإيلي ، وتصلع من معارفه ، واستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ، ثم رحل لتونس سنة أربعين ، فلقي شيخنا ابن عبد السلام ، وأفاد منه ، واستعظم رتبته في العلم ، وكان ابن عبد السلام يصغي إليه ويؤثر محله ، ويعرف حقه ، حتى زعموا أن ابن عبد السلام يخلو به في بيته فيقرأ عليه ، أي : على الشريف فصل التصوف من إشارات ابن سينا ، لأن الشريف قد أحكم الكتاب على الإيلي ، وقرأ عليه ابن عبد السلام أيضاً فصل التصوف من « شفاء » ابن سينا ، ومن تلاخيص أرسطو لابن رشد ، ومن الحساب والهندسة والهيئة والفرائض ، علاوة على ما كان الشريف يحمله من الفقه والعربية ، وسائر علوم الشريعة ، وله اليد الطولى في الخلافات ، وقدم عالية ، فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله ، وأوجب حقه ، فرجع لتلمسان وانتصب للتدريس وبث العلم ، فملاً المغرب معارف وتلاميذ ، إلى أن اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ، ثم ملك أبو عنان تلمسان بعد مهلك أبيه سنة ثلاث وخمسين ، فاختار الشريف لمجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة ، ورحل به لفاس فبهرم الشريف من الغربة واشتكى ، فغضب السلطان لذلك ، ثم بلغه أن عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان أوصاه على ولده وأودع مالا له عند بعض الأعيان من التلمسانيين ، وأن الشريف عالم بذلك ، فسخط على الشريف واعتقله ثم سرحه عام أول ست وخمسين ، وأقصاه ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة ، فردّه لمجلسه ، ثم هلك أبو عنان ، وملك أبو حمو بن عبد الرحمن تلمسان ، فاستدعى الشريف من فاس ، فسرحه الوزير القائم بالأمر عمر بن عبد الله ، فرجع لتلمسان فلتقاه أبو حمو براحتيه ، وأصهر له في بنته فزوجها له وبني له مدرسته ، فقام يدرس ، حتى هلك سنة إحدى وسبعين . وأخبرني أن مولده عام سبع مئة وعشرة (٧١٠) هـ .

قال الونشريسي : هذا هو الصحيح في ولادته ، وأما وفاته فراجع ذي الحجة مُتِمُّ عام أحد وسبعين وسبع مئة (٧٧١) ، وكان شيخاً حبراً إماماً محققاً نظاراً شرح « جمل الخونجي » وألف كتاب « المفتاح » في أصول الفقه اهـ .

ومن أخذ عنه ولده أبو محمد ، والإمام الشاطبي ، وابن زمرك ، وإبراهيم الثغري ، وأبو عبد الله القيسي ، وابن خلدون ، وابن عباد ، وابن السكاك ، والفقير ابن محمد بن علي الميورقي ، والولي إبراهيم المصمودي ، وغيرهم . وذكر أبو زكرياء السراج والمسيلي أن مولده عام ستة عشر ، وما تقدم أصح .

وبعد أن كتبتُ ما تقدم ، وقفت على جزء لبعض التلمسانين عرف صاحبه بالشريف وولديه ، فلخصته في جزء سميت « القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف » فلنذكر هنا بعض ما تيسر منه .

قال صاحب الجزء المذكور : وكان آخر الأئمة المجتهدين ، ولد عام عشرة وسبع مئة (٧١٠) ، فنشأ عفيفاً صينياً ، فتعلم العلم في صغره بأخلاق مرضية ، نسيج وحده وفريد عصره ، انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب ، وضربت إليه آباط الإبل شرقاً وغرباً ، فهو علم علمائها ، ورافع لوائها ، أحيا السنة ، وأمات البدعة ، وأظهر من العلم ما بهر العقول ، نجب في القرآن على ابن يعقوب ، فلما ظهرت نجابته أحبه خاله عبد الكريم ، فكان يلازمه في مجالس العلم صغيراً ، حضر يوماً مجلس أبي زيد ابن الإمام في تفسير القرآن ، فذكر نعيم الجنة فقال له الشريف وهو صبي : هل يُقرأ فيها العلم ؟ قال له : نعم فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين ، فقال له : لو قلت : لا ، قلت لك : لا لذة فيها ، فعجب منه الشيخ ، ودعا له ، ثم قبض الله له الإيلي بما عنده من العلوم الجزيلة والتحقيق التام ، فانتفع به انتفاعاً عظيماً ، واعتمد عليه ، ثم استفرغ وسعه في طلب العلم حتى حدث بعضهم أنه لازمه

أربعة أشهر فلم يره نزع ثوبه ولا عمامته ، لشغله بالنظر والبحث ، فإذا غلبه النوم نام نوماً خفيفاً فإذا أفاق لم يرجع إليه أصلاً ، ويقول أخذت النفس حقها ، فيتوضأ ، والوضوء من أخف الأشياء عليه ، ثم رجع للنظر . ابتداء الإقراء وهو ابن أحد عشر عاماً أخذ عن ابني الإمام ، وكانا من أجلة العلماء ، لم يكن في زمانهما أعظم منهما ، ولا أعلى قدراً ولا أوقع عند الملوك نبياً وأمراً ، فتصلح وأخذ عن غيرهما . فذكر من تقدم ، وشهد له شيوخه كلهم بوفور العقل وحضور الذهن ، فاتسع في العلم بآبائه ، وعظم قدره ، فأقرأ العلوم في زمن شيوخه ، وأقبل عليه الخلق مع سلامة العقل جارياً على نهج السلف ، عالماً بأيام الله ، مائلاً للنظر والحجة ، أصولياً متكلماً جامعاً للعلوم العقلية القديمة والحديثة .

لقي بتونس ابن عبد السلام فلازمه وانتفع به ، وذكر ولده أبو محمد عبد الله أنه لما حضر مجلس ابن عبد السلام ، جلس حيث انتهى به المجلس ، فتكلم الشيخ في الذكر هل هو حقيقة في ذكر اللسان ؟ فقال له أبو عبد الله : يا سيدي الذكر ضد النسيان ، ومحل النسيان القلب لا اللسان ، وتقرر أن الضدين يجب اتحاد محلهما ، فعارضه ابن عبد السلام بأن الذكر ضد الصمت ، والصمت محله اللسان ، فيجب كون اللسان محل ضده الذي هو الذكر ، فيكون حقيقة فيه . قال أبو عبد الله : فسكت عن مراجعته تأدباً معه ، وقد علمت أن الصمت إنما ضده النطق لا الذكر ، فلما جاء في الغد جلس في موضعه ، فقام نقيب الدولة فأجلسه بجانب ابن عبد السلام بأمره بذلك ، فلما فرغ من القراءة قال : أنت أبو عبد الله الشريف ؟ قال : نعم ، فأكرمه ، فكان يجلس بجانبه ، وكان يقرأ على الشيخ في داره ، ولقي أكابر التونسيين بمجلسه فتعجبوا منه ، فكل يوم يزداد عندهم جلالة ، ثم رجع لبلده فدرّس العلوم وأحيا الشريعة ، فكان من أحسن الناس وجهاً وقدراً مهيباً ، ذا نفس

كريمة ، وهمة نزيهة ، رفيع الملبس بلا تصنع ، سري الهمة بلا تكبر ، حليماً
 متوسطاً في أموره ، قوي النفس مؤيداً بطهارة ، ثقة عدلاً ثباتاً ، سلم له الأكارب
 بلا منازع ، أصدق الناس لهجة ، وأحفظهم مروءة ، مشفقاً على الناس رحيماً
 بهم ، يتلطف في هدايتهم ، ويعينهم بجهده ، حسن اللقاء كريم النفس ، طويل
 اليد يعطي نفقات عديدة ، ذا كرم واسع ، وكنف لين ، وصفاء قلب . دخل
 عليه طالب فصيح فأعطاه وقرأ ، ثم دخل عليه مرة بفاس فسأله عن حاله ،
 فذكر له أنه قرأ القرآن بالقرويين ، فما أعطاه أحد شيئاً ، فتأسف الشيخ لحاله ،
 ففي الغد بعث أربعة من طلبته بأربعة قراطيس دراهم ، وقال لهم احضروا
 مجلسه فإذا قرأ فارموا القراطيس بين يديه ، ففعلوا فأخذها الطالب
 ودعا لهم ، فعرف الناس حالته ، فاثالت عليه العطايا ، وسأله السلطان
 يوماً عن مسألة من ابن الحاجب الأصلي ، فقال له : إنما يفهم هذه المسألة
 الطالب الفلاني ، وكان محتاجاً ، فطلبه السلطان ، فقيل إنه بسجلماسة ،
 فوجه لعاملها أن يعطيه نفقة وكسوة ويوجهه ، فوصل في أسرع وقت ، فبين
 المسألة بين يدي السلطان ، فسئل عن استفادها فقال عن سيدي أبي عبد الله
 الشريف ، وكان الطلبة في وقته أعز الناس وأكثرهم عدداً وأوسعهم رزقاً ،
 فنشروا العلم ، واستعانوا بحسن لقائه وسهولة فيضه وحلاوته ، مع بشاشة
 لا يؤثر عن الطلبة غيرهم ، يحملهم على الصدق ، ويبث لهم الحقائق ، يرتب
 كلاً في منزله ، ويحمل كلامهم على أحسن وجوهه ، يبرزه في أحسن صورة ،
 يترك كل أحد وما يميل إليه من العلوم ، ويرى الكل من أبواب السعادة ،
 ويقول : من رزق في باب فليلازمه ، مع كرم أخلاق ، قائماً بالعدل ، لا
 يغضب وإذا غضب قام وتوضأ ، جميل العشرة بساماً منصفاً ، يقضي الحوائج
 سمحاً متورعاً ، يوسع في نفقة أهله ، ويصل رحمه لله ، ويواسيهم بجزايات
 كثيرة من ماله ، يكرم ضيفه ، ويقرب له ما حضر ، ويطعم الطلبة طيب

الأطعمة ، وبيته مجتمع العلماء والصلحاء ، كان أشياخه يجلسون له حتى قال ابن عبد السلام : ما أظن أن في المغرب مثل هذا ، وكان الإيلي يقول : هو أوفر من قرأ علي عقلاً وأكثرهم تحصيلاً ، وقال أيضاً : قرأ علي كثير شرقاً وغرباً ، فما رأيت فيهم أنجب من أربعة : أبو عبد الله الشريف ، أنجحهم عقلاً وأكثرهم تحصيلاً ، وإذا أشكلت مسألة على الطلبة عند الإيلي ، أو ظهر بحث دقيق يقول : انتظروا أبا عبد الله الشريف ، قال له الشيخ ابن عرفة : غايتك في العلم لا تدرك ، ولما سمع بموته قال : لقد ماتت بموته العلوم العقلية ، وحضر بفاس في بدايته مجلس عبد المؤمن الجاناني ، فاتفق بحث فأبدى فيه وجهاً بديعاً ، فنظر إليه الشيخ عبد المؤمن ، فقال : ما ذكرته من عندك أو من نقل ؟ فقال : من عندي ، فسأله عن بلده ونسبه ، ولأي شيء جاء ، فقال : جئت للقراءة على الأيلي ، فقال له : الحمد لله الذي وفقك ، ودعا له وبحث يوماً مع أبي زيد ابن الإمام في حديث ، وتجادبا فيه الكلام جواباً واعتراضاً ، حتى ظهر فأنشده الشيخ :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ • فَلَمَّا أَشْتَدَّ (١) سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال الشيخ أبو يحيى المطفري : لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر الفقيه العالم المقرئ بإقراء التفسير فامتنع منه ، وقال : الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك ، فقال له السلطان : تعلم أنت علوم القرآن وأهل تفسيره فأقرته ، قال له : إن أبا عبد الله أعلم بذلك مني ، فلا يسعني الإقراء بحضرته ، فعجبوا من إنصافه ، ففسر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان ،

(١) في « حاشية المحقق الصبان على الأشموني » أنه بالسین المهملة ، أي قوِي ، كما في شيخ الإسلام وبعده :

وكم علّمته نظم القرواني • فلما قال قافية هجاني
قال : وهما لمن بن أوس في ابن أخته اهـ .

ونزل عن سرير ملكه ، وجلس معهم على الحصر ، فأتى بما أدهش الحاضرين ، حتى قال السلطان عند فراغه : إني لأرى العلم من منابت شعره ، وجاء إليه القاضي الفشتالي بعد خروجهم ، فطلب منه تقييد ما صدر منه ذلك اليوم ، فقال : إنه من كتاب كذا وكذا ، وذكر كتباً معروفة عندهم ، فعلم القاضي أن الحسن للشنب وأن الأمر غير مكتسب .

قال الخطيب ابن مرزوق : لما سافر أبو عبد الله لتونس كرهت مفارقتة ، ولكن حمدت الله على رؤية أهل إفريقية مثله من المغرب ، وكان الفقيه الكبير الصالح موسى العبدوسي كبير فقهاء فاس يبحث عما يصدر من أبي عبد الله من تقييد أو فتوى فيكتبه ، وهو أسنُّ من أبي عبد الله ، وكان الفقيه المحدث القاضي أبو علي منصور بن هدية القرشي يقول : كل فقيه قرأ في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم إلا أبا عبد الله الشريف فإن اجتهاده يزيد ، والله أعلم حيث ينتهي أمره . وسمعت أبا يحيى المطغري يقول : حضرت مجلس كثير من كبار العلماء فما رأيت مثل أبي عبد الله وولديه اه .

ووصل في التفتن في العلوم إلى الغاية ، جمع بين الحق والحقيقة ، لا يُشقُّ غباره ، بل حفظ العلماء السماع منه ، فسر القرآن خمساً وعشرين سنة بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة ، لا يتخلف منهم أحد ، عالماً بقراءته ورواياته وفنون علومه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها ، مع إمامته في الحديث وفقهه وغريبه ومتونه ورجاله ، وأنواع فنونه إلى الإمامة في أصول الدين ، قائماً بالحق ، صحيح النظر ، كثير الذب عن السنة ، وإزاحة الإشكال متدرجاً في تعليم غوامضها ، حسن البسط في التأليف ، ألف كتاباً في « القضاء والقدر » ، وحقق فيه مقدار الحق بأحسن تعبير عن تلك العلوم الغامضة ، وإليه يفرع علماء المغرب في حل المشكلات .

وجه العالم المحقق يحيى الرهوني من بلاد توزر أسئلة ، فأوضح مشكلها ، وكان من أئمة المالكية ومجتهديهم ، فقيه النفس قائماً على الفروع والأصول ثبناً وتحصيلاً ، عالماً بالأحكام واستنباطها ، قوي التوجيه سريع النظر ، متورعاً في الفتوى متحريراً في مسائل الطلاق ، يدفعها عن نفسه ما استطاع ، يدرس الفقه في كثير أوقاته ، وغالبها يقرأ « المدونة » بعد التفسير حتى مات . لم ينتفع الطلبة بأحد في مصر من الأمصار ما انتفعوا به في زمانه ، وذكر بعض فقهاء فاس للسلطان أبي عنان أنه غير متبحر في الفقه حسداً ، فبعث السلطان حينئذ للفقهاء فحضروا ، وأمره بإقراء حديث « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم »^(١) يختبر به حاله في الفقه ، فأخذ فيها من غير نظر ، فأول ما قال : في هذا الحديث خمس وعشرون فرقة فسردها ، ثم تكلم على أخذها من الحديث ، وترجيح ما رجح كأنه يُملئها من كتاب ، فلما رأى السلطان ذلك أقبل على الطاعين ، وقال لهم : هذا الذي قُلتُم إنه قاصر في الفقه ، وكان لكلامه حلاوة ورونق وطلاوة ، قوة علمه فيه ظاهرة ، وأنواره باهرة ، ألف في أصول الفقه « مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول » طَبَّقَ فيه مسائل الفقه مع الأصول ، من أعلم الناس بالعربية وعلوم الأدب نحواً وبيانياً ، حافظاً للغة والغريب والشعر والأمثال ، وأخبار الناس ، ومذاهبهم ، وأيام العرب وسيرها وحروبها ، وأخبار الصالحين وسيرهم ، وإشارات الصوفية ومذاهبهم ، حسن المجلس كثير الحكايات ، ممتع المحضر ، عذب الكلام ، منصفاً في البحث والمناظرة ، كثير البسط بلا عار ولا سرف ، خبيراً بأخبار النفس وتركيتها وتطهيرها ، مذلاً صعاب الأمور ، إماماً في العلوم العقلية كلها منطقاً وحساباً وفرائض وتنجيماً وهندسة وموسيقى

(١) حديث صحيح ، أخرجه مسلم (٢٧٨) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليضله سبع مرات أولاهن أو أخراهن بتراب » وهو في مستد الشافعي ٢١/١ (ش) .

وتشريحاً وفلاحة ، وكثيراً من العلوم القديمة . « شرح جمل الخونجي » من أجل كتب الفن .

انتفع به العلماء قراءة ونسخاً وتأليفاً في المعاضات ، وكان قليل التأليف ، أكثر اعتنائه بالإقراء ، فتخرج به من صدور العلماء وأعيان الفضلاء ونجباء الأولياء من لا يُحصى ، وكان مهيباً محبباً جعل الله محبته في القلوب ، من من رآه أحبه وإن لم يعرفه ، يجله الملوك ويقدمونه في مجالسهم ، يلاطفهم تارة ويفصح بالحق تارة ، وينصر المظلوم ويقضي الحوائج ، وقال لبعض الملوك ، وقد أمر بضرب فقيه : إن كان عندك صغيراً فهو عند الناس كبير ، وإنه من أهل العلم فنجا الفقيه وسرّح مكرماً ، ودخل بعض المرابطين على السلطان أبي حمو في أول أمره ، فلم يقبل يده ولا بايعه بل سلم وانصرف ، فاشتد عليه غضبه ، فقال : ما له لا يبايعني وهم بشر ، فقال له أبو عبد الله : هذه عادته مع من تقدم من الملوك ، وهو من أهل الله فانكسر غضبه ، وأكرم المرابط وولاه قبيلة كلها ، وكان يجلسه الملوك في أرفع المجالس ، ينصتون له فيقيم الحق ، لا يخدمهم بدينه ولا يسألهم حوائج نفسه ، ولا يخاطبهم إلا بما يسوغ شرعاً يعظم أهل الحق في قلوبهم ، ولا ينتصر لنفسه ، ويدفع حاسده بالتي هي أحسن ، يلتمس لأولى الفضل في عثرتهم أحسن الوجوه ، ويتغافل عن غيره مع ما له من جميل الذكر ، وبعد الصيت وعلو المنصب ، لا يُماري العلماء في مجالس الملوك ، ولا يرد على أحد ولا يُخطئ المفسرين ، ولا ينصر العامة ولا يجرّئهم على المعاصي ، بل يعظم منصب العلم .

مجلسه مجلس نزاهة ودراية وتحقيق ، إذا تكلم في مسألة أوضحها ، نهاره كله بين إقراء ومطالعة وتلاوة ، يقسم الوقت على الطلبة بالرملية ، ينام ثلث الليل ، وينظر ثلثه ، ويصلي ثلثه ، يقرأ كل ليلة ثمانية أحزاب في صلاته ،

ومثله في أول النهار ، ويواظب قراءة الحزب دائماً ، ويقرئ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم مع البحث ، وإذا طال بحث الطلبة أمرهم بالتقييد في المسألة ثم يفصل بينهم ، يطالع كتباً كثيرة ، حدثني بعضهم : أنه وجد بين يديه سبعين كتاباً . قويّ اليقين ، بعيد النفس عن الطمع ، لا يشغله أمر الرزق ، ارتاض نفسه للطلب حتى سهل عليه ، فنال خيرات الدنيا والآخرة ، وكان علماء الأندلس أعرف الناس بقدره ، وأكثرهم تعظيماً له ، حتى إن العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة والتأليف البديعة إذا أُلِّف تأليفاً بعثه إليه ، وعرضه عليه ، وطلب منه أن يكتب عليه بخطه ، وكان الشيخ الإمام الصدر المفتي أبو سعيد ابن لبّ شيخ علماء الأندلس كلما أشكل عليه شيء كاتبه ليبين له ما أشكل ، فأقرّ له بالفضل ، وأما زهده ومروءته ودينه فمعلوم .

كان غني النفس بربه ، ساكن الجأش ، كثير النفقة ، لا يهتم في أمرها حتى ذكر ولده عبد الله أنه بقي في بعض الأزمنة ستة أشهر مشتغلاً بالعلم ، لم ير فيها أولاده ، لأنه يقوم صباحاً وهم نائمون ، ويأتي ليلاً وهم نائمون ، وذكر أنه لم يأخذ مرتباً في مدرسته ولا غيرها في زمن طلبه ، وإنما ينفق من مال أبيه ، وربما وضع له طيب الطعام ليفطر به في رمضان وغيره ، فيشتغل عنه بالنظر حتى بسحوره فيتركهما حتى يصبح ، ويواصل الصوم بالنظر مصون العرض منزهاً عن الرتب ، اتفق العدو والصديق على نزاهته ، وصدق لهجته ، وتساوى في محبته البرّ والفاجر ، مواظباً على الفكرة واقفاً مع الحدود ، مسلماً للعبودية ، كثير الجِد في الأمر والنهي لا تعدل الدنيا عنده شيئاً ، يتباعد عن الملوك مع إقبالهم عليه وحرصهم على قربه ورفعته ، ما تولّى أمراً من أمور الدنيا بل يقف مع العلم حيث وقف مع تمكنه ، وكان السلطان أبو سعيد يحبه حباً عظيماً ويخاطبه بسيدي ، فلما انحل ملكه عرض عليه مالاً وديعة فامتنع

بالكلية ، فأودعه عند غيره وأشهد ثم رفع الأمر لأبي عنان بعد ملكه ، وأخبر به فوجه فيه وعاتبه شديداً حين لم يرفع الأمر إليه ، وامتن عليه بتقريبه ورفعته على العلماء فأجابه وقال : إنما عندي شهادة لا يجب علي رفعها بل سترها ، وأما تقريبك إياي فقد ضرني أكثر مما ينفعني ، ونقص به ديني وعلمي ، وشدت القول عليه أي على السلطان ، فغضب لذلك وسجنه ، ثم ورد إثر ذلك يعقوب ابن علي شيخ أعراب إفريقية على السلطان ، فسأله عما يقول الناس فيه بإفريقية ، فقال : خيراً غير أنهم سمعوا بسجنك عالماً شريفاً كبير القدر فلامك فيه الخاصة والعامه ، فأمر بإطلاقه والإحسان إليه بلا تسبب منه ولا معرفة ، وهي أعظم محنة امتحن بها . وما زال السلطان يعتذر له عنها حتى مات ، وكان أميناً مأموناً حافظاً لسره مالكاً لنفسه مقبلاً على شأنه ، يركن إليه أهل الدين والدنيا من القريب والبعيد ، وكان قاضي قسطنطينة حسن بن باديس وضع عنده أمانة في قرطاس ، فوضعها في بيته فلما طلبه صاحبه أخرجها فوجد مكتوباً على ظاهر القرطاس مئة ذهب فحلّه وعدها فإذا خمس وسبعون ذهباً فزاد فيها خمسة وعشرين ، فأعطاه له فمكث عنده يومين فرجع إليه وقال : يا سيدي وجدت في الأمانة زيادة خمسة وعشرين ، فقال : إنما لم أعدها عند أخذها منك فلما وقع بصري على الخط اختبرتها فلم أجد العدد فكملتها ظاناً ضياعها عندي ، فقال : يا سيدي لم أعط إلا خمسة وسبعين فرد الزيادة وشكره ، وحمد الله على وجود مثله ، وكان متمسكاً في أموره بالسنة ، راکناً لأهلها كثير الاتباع شديداً على أهل البدع ، ذا باس وقوة في نصر الحق ، لا تشاهد في قطره بدعة ، ولا يضع أسرار الشريعة في غير محلها ، ولا يشوش على أحد ويزجر من أخذ فوق قدره . سأله بعضهم عن تفضيل أبي بكر على عمر فزجره ، وكان يحضر مجلسه كبير وزراء الدولة ، فطال يوماً على بعض الأئمة ، فنظر إليه نظرة غضب وعنفه فسكت الوزير ، ولم يقطع المجلس ، وقرأ

عليه بعض الطلبة كتب الغزالي على وجه التجميل بها ، فرأى الشيخ في المنام كأنه يضع كتبه في موضع قدر فتركه ولم يعد لتعليمه ، وكان كثير التدبر للآيات والنظر في الملكوت بعبارة وفكرة .

له كرامات كثيرة منها : أنه اشتد الغلاء بقسنطينة في محلة أبي عنان حتى بلغ الفول ثمانية بدرهم ، وعظم الحال فكانت تصله الكتب وفي عنوانها تدفع لسيدي أبي عبد الله ، فإذا فتحها وجد أيضاً فيها ذهب لا يعرف من أين هي ، فيستعين بها على شأنه حتى خلصه الله ، ومنها أنهم أتوا في واد حامل لا يجوزه إلا الفرسان ، وكانت معه حمارة يحمل عليها ، فجازت مع الفرسان سالمة ، فنزلت المحلة قرب الوادي فاتفق ضرب خبائه بموضع مرتفع هناك ، ففي نصف الليل جاء سيل عمّ المحلة وطلع في أخبيتهم وانهدت أبنية السلطان ، فباتوا في أسوأ حال ، وهو في منزله لم يصله الماء فكان السلطان ينظر إليه في تلك الحال ، ويقول : كيف علم بما يتفق الليلة ولم يعلمنا به .

ولما وصل في تفسيره الأخير إلى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (١) مرض ثمانية عشر يوماً ثم مات ليلة الأحد وابع ذي الحجة متمم عام أحد وسبعين ، وحدث الخطيب الصالح علي بن مزية ، والفقير راشد وغيرهما ، أنهم رأوا حين موته كأنه يُجلس من يدخل عليه ، فكانوا يظنونه الملائكة ، وذكر ولده أبو يحيى أنه في مرضه قبل المصحف ومسح به وجهه وقال : اللهم كما عززني به في الدنيا فاعززني به في الآخرة ، وراه بعض الصلحاء بعد موته فقال له : أين أنت ؟ فقال : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٢) وتأسف لموته السلطان ، وقال لولده عبد الله : ما مات من خلفك ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧١ .

(٢) سورة القمر : الآية ٥٥ .

وإنما مات أبوك لي لأني أباهي به الملوك ، ثم أعطاه المدرسة ورَّتب له جميع مرتبه اه ملخصاً من الجزء المذكور .

فائدة : سئل رحمه الله من غرناطة عن قول الإمام المرجوع عنه ، وما ينقله أهل المذهب عنه في مسألة واحدة قولين مختلفين وثلاثة ، يقولون : وقع له في « المدونة » كذا ، وفي « الموازية » كذا ، ويعتقدونها خلافاً فيفتون بها من غير تعيين للمتأخر منها الذي يجب الأخذ به ، من المتقدم الذي يترك مع التقليد لصاحبها وهو واحد ، مع اتفاق أهل الأصول على أنه إذا صدر القولان عن عالم لم يعلم المتأخر منهما لا يؤخذ بواحد منهما ، لاحتمال كون المأخوذ المرجوع عنه فصاراً كدليلين ، نُسخ أحدهما فلم يعلم بعينه ، لا يعمل بمقتضى واحد منهما ، وأما المجتهد فيأخذ برأيه من حيث اجتهاده ، وقد وقعت هذه عندنا وتردد النظر فيها أياماً فلم يوفق إلا أن الضرورة داعية إلى ذلك ، وإلا ذهب معظم فقه مالك ، ومستند الأخذ مع الضرورة أن مالكا لم يقل بالأول إلا بدليل وإن رجع عنه فنأخذ به من حيث الدليل ، وأيضاً غالب أقواله قال بها أصحابه فيعمل بها من حيث اجتهادهم ، وأيضاً فجميع المصنفين سطوراً هذه الأقوال واقتدوا بها من غير تعرض لهذا الإشكال ، فبعيد اجتماعهم على الخطأ ، هذا ما ظهر لنا ، وقد أجاب القرافي عن هذا الأخير في « شرح التنقيح » بما في علمهم . فأجاب رحمه الله : اعلموا أن المجتهد إما مطلق ، وهو من اطلع على قواعد الشيخ وأحاط بمداركها ووجوه النظر فيها ، فهو يبحث عن حكم نازلة بنظره في دلالتها على المطلوب ، فينظر في معارض السند والتخصيص والتقييد والترجيح وغيرها ، إن لم يعلم المتأخر فيعمل بالراجح أو الناسخ حيث ظهر ، وبصير المتقدم لغواً كأنه لم يذكر البتة ، هذا نظره ، وإما مجتهد في مذهب معين وهو من اطلع على قواعد إمامه وأحاط بأصوله ومآخذه ، وعرف وجوه النظر فيها ، ونسبته إليها كالمجتهد المطلق في قواعد الشريعة كابن

القاسم وأشهب في المذهب ، والمزني وابن شريح في مذهب الشافعي ، وقد كان ابن القاسم وأشهب والشافعي قرؤوا على مالك ، فأما الشافعي فترقى للاجتهاد المطلق ، فكان ينظر في الأدلة مطلقاً بما أداه إليه اجتهاده ، وأما ابن القاسم فيقول : سمعت مالكا يقول كذا أو بلغني عنه هذا ، وقال في كذا كذا ، ومسألتك مثلها ، فهذه رتبة الاجتهاد المذهبي ، وقد قال في غصب « المدونة » في الغاصب والسارق يركبان المغصوبة أو المسروقة ، بعد حكايته قول مالك : ولولا ما قاله مالك لجعلت على الغاصب والسارق كراء ركوبه الخ . فأنت ترى شدة اتباعه لمالك وتقليده له ، وأما مخالفته له في بعض المسائل كقوله : يتعين ثلاث بنات لبون في مئة وإحدى وعشرين من الإبل كقول ابن شهاب ، ومالك يخيره في ذلك ، أو حقتين وفيمن قال لعبده أنت حربتلاً وعليك مئة دينار ، وقال مالك : هو حر ويتبع بها ، وابن القاسم لا يتبع بشيء كقول ابن المسيب ، وفي الغرماء يدعون على الوصي التقاضي يُحلفهم مالك في القليل ، وتوقف في الكثير ، ويُحلفهم ابن القاسم مطلقاً كقول ابن هرمز وغيرها ، فيُحتمل أنه رأى أن ما قاله هو في هذه المسائل هو الجاري على قواعد مالك ، فلذا اختاره فلم يخرج عن تقليده فيها ، ويُحتمل أنه اجتهد فيها مطلقاً بناء على جواز تحري الاجتهاد ، ، وأما أصبغ فقال : أخطأ أبو القاسم ، لما رآه خالف فيها مالكا ، إما لأنه رآه خارجاً عن أصوله وصريح قوله ، وأما أشهب فالمحققون على أنه مقلد لمالك غير مجتهد ، وقوله في مسألة : من حلف بعتق أمته أن لا يفعل كذا ، فولدت بعد اليمين وقبل الحنث لا يعتقدون معها ، فقبل له إن مالكا قال يعتقدون معها ، قال وإن قاله مالك فلسنا له بمالك ، يقتضي اجتهاده كما قال ابن رشد خلاف ما قاله الجمهور أنه مقلد له ، فإذا تقرر هذا فالقولان لمالك ، والذي لم يعلم المتأخر منهما ينظر مجتهد المذهب أيهما أجرى على قواعد إمامه ، ويجتهد له أصوله فيرجعه ويفتي به ، وإذا علم المتأخر من قولي الإمام فلا

ينبغي اعتقاد أنهما كأقوال الشارع ، بحيث يلغى الأول البتة ، لأن الشارع واضح ورافع لا تابع ، فإذا نُسخ الأول رفع اعتباره أصلاً وإمام المذهب لا واضح ولا رافع بل هو في اجتهاده طالب حكم الشرع متبعٌ لدليله في اعتقاده ، وفي اعتقاده ثانياً أنه غالط في اجتهاده الأول ويجوز على نفسه في اجتهاده الثاني من الغلط ما اعتقده في اجتهاده الأول ، ما لم يرجع لنص قاطع ، وكذلك مقلدوه يُجوزون عليه في كلا اعتقاده ما جوزه هو على نفسه من غلط ونسيان ، فلذلك كان لمقلده اختيار أول قوله إذا رآه أجرى على قواعده إن كان مجتهداً في مذهبه ، وإن كان مقلداً صرفاً تعين عليه العمل بآخر قوله لأغلبية إصابته على الظن .

فهذا سرُّ الفرق بين صنفى الاجتهاد ، وفصل القضية فيهما وحاصله أن أقوال الشارع إنشاء ، وأقوال المجتهد إخبار ، وبهذا يظهر غلط من اعتقد من الأصوليين أن حكم القول الثاني من المجتهد حكم الناسخ من قولي الشارع ، ويظهر صحة ما ذكره ابن أبي جمرة في « إقليد التقليد » أن المجتهد إذا رجع عن قول أوشك فليس رجوعه عنه مما يبطله ما لم يرجع لقاطع ، قال : لأنه رجع من اجتهاد لاجتهاد عند عدم النص ، فترجع اصطحابه ، فيأخذ بعضهم بالأول ، قال : وفي « المدونة » من ذلك مسائل ، هذا كلامه . ولم أرَ من اعترض عليه بأن من أخذ بالقول المرجوع عنه فإن ذلك لقوة مداركه عنده لا أنه قلد مالكاً فيها ، كما أشير إليه في السؤال ، وإنما لم يصب لأن نظر من أخذ بالقول الأول من أصحابه نظرٌ مقيد بقواعده ، لا نظر مطلق كالمجتهد ، فلذا كان مقلداً له لتمسكه بأصول مذهبه وقواعده ، وإن خالف نص إمامه ففي العتبية في سماع عيسى فيمن قال لامرأته : أنت طالق إن كلمتني حتى تقولي أحبك ، فقالت : غفر الله لك إني أحبك ، فقال : حانث لقولها غفر الله لك قبل قولها أحبك ، ولقد اختصمت أنا وابن كنانة لمالك فيمن قال : إن كلمتُك حتى تفعلني

كذا فانت طالق ، ثم قال لها نسقاً : فاذهي الآن ، فقلت : حانث ، وقال أبو كنانة : لا يحنث ، ففضى لي مالك عليه ، فمسألتك أين من هذا .

وصوب أصبح قول ابن كنانة ، ولما تكلم ابن رشد على هذه المسائل ، وشبهها اختار قول ابن كنانة ، ثم قال : يوجد في المذهب مسائل ليست على أصوله تنحو لمذهب أهل العراق ، فانت ترى ابن رشد اختار خلاف قول ابن القاسم ، كما اختاره أصبح جرياً على أصل المذهب ، ولم يبألوا بقضاء مالك لابن القاسم لما رأوه خارجاً عن أصول مذهبه ، حتى قال ابن رشد : إن في المذهب مسائل ليست على أصوله ، أترى من خالف في تلك المسائل جرياً منه على قواعد المذهب ومداركة يعد شاقاً لإمام المذهب ، كلاً بل هو أولى بالاتفاق وأحق بالتقليد ، وقولكم اتفق أهل الأصول على عدم العمل بمقتضى القولين المتضادين اللذين لا يُعلم المتأخر منهما فلا أعرف في كتبهم إلا في المقلد تفریباً على أن أحدهما مرجوع عنه ، قالوا لا يعمل بواحد حتى يظهر المتأخر ، وقد قدّمنا أن مجتهد المذهب ينظر في ترجيح أحدهما ، فيعمل بما يوافق المذهب كفعل المجتهد في أقوال الشارع ، وبيّننا أنّ قولي الإمام ليسا كنسبة الناسخ والمنسوخ بما لا مزيد عليه ، وقولكم : إن الضرورة داعية إلى العمل بمثل ذلك وإلا بطل معظم الفقه ، قلنا : كان ماذا ؟ وأين هذه الضرورة من وجوب التوقف في أقوال الشارع إذا لم يُعلم المتأخر إذا لا يعمل بواحد منهما قبل التبين ، وقولكم في مستند الأخذ بها إن مالكا لم يقل بكل إلا بدليل ، فلنأخذ به من حيث ذلك الدليل ، قلنا : لا يصح هذا المستند عند من يقول : إن القولين كدليلين نسخ أحدهما الآخر ، ولم يعلم الناسخ ، وأي اعتبار للدليل مع نسخه ، نعم إنما يتم ذلك المستند على ما أصّلناه من أن الشارع رافع وواضع ، والإمام بان على دليله وتابع ، وقولكم : إن غالب أقوال مالك أخذ بها أصحابه فنعمل بها من حيث اجتهادهم فأين هذا من قولكم أولاً: إنهم يعملون بها مع تقليد

صاحبها ، اللهم إلا أن يحقق بما ذكرنا من عمل أصحابه بأول أقواله بناء على اعتقادهم جريه على قواعده وأصوله ، فلم يزالوا في درك التقليد وإن اجتهدوا في المذهب ، وأما إن عملوا به بناء على الاجتهاد المطلق فقد بطلت وحدة الإمام ولزم الخروج عن مذهبه ، وقولكم : إن المصنفين سَطَّروا الأقوال إلى قولكم : بعيداً أن يجمعوا على الخطأ فهو ردُّ إجمالي ما تبين فيه نكته مستندها الإجماع السكوتي ، وهي ما أشرنا إليه ، وأما جوانب القرافي فضعيف عند التأمل ، والله أعلم .

انتهت فتواه ملخصة فتأملها مع ما فيها من التحقيق ، فبعض الشيء يُؤذن بكلمة وربك الفتح العليم اه .

وفي « سلوة الأنفاس » : أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد المعروف بالشريف التلمساني العلامة الشهير والقدوة الكبير أحد راسخي العلماء وآخر الأئمة المجتهدين العظماء ، إمام أهل المغرب قاطبة ، وأعلم أهل عصره بإجماع ، وأوحد رجال الكمال علماً وذاتاً وخلقاً وخلقاً ، أفرد بعضهم ترجمته في جزء في عدة كراريس ، وترجمه أيضاً في « كفاية المحتاج » وأطال في ترجمته ، وبالغ في الثناء عليه ، ووصفه ببلوغ رتبة الاجتهاد ، توفي رحمه الله بتلمسان في ذي الحجة متم سنة إحدى وسبعين وسبع مئة (٧٧١) .

مُحمَّدُ الجلاب التلمساني

« نيل الابتهاج »

محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الجلاب التلمساني الفقيه العلامة .

أخذ عن شيوخ الونشريسي ، والإمام السنوسي ، وكان السنوسي يقول عنه : إنه حافظ لمسائل الفقه ، قال الملاي : ختم عليه السنوسي « المدونة » مرتين اه .

وله فتاوى في « المازونية » و « المعيار » و وصفه المازوني بصاحبنا الفقيه ،
قال الونشريسي في « وفياته » : شيخنا الفقيه المحصل الحافظ توفي سنة ٨٧٥ هـ .

مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ « نيل الابتهاج »

محمدُ بنُ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق
الحفيد العجيسي التلمساني الإمام المشهور العلامة الحجّة الحافظ المحقق
الكبير الثقة الثبت المطلع النظار المصنّف التقي الصالح الزاهد الورع البركة
الخاصي لله الخاشع الأواب القدوة النبيه الفقيه المجتهد الأبرع الأصولي
المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجود النحوي المقرئ
البياني العروضي الصوفي المسلك ، المتخلق الولي الصالح العارف بالله ،
الآخذ من كل فن بأوفر نصيب ، الراعي في كل علم مرعاه الخصيب ، حجة
الله على خلقه ، المفتي الشهير السنّي السنّي الرحلة الحاج فارس الكراسي ، والمنابر
سليل أفاضل الأكابر ، سيد العلماء الجلة ، وصفي أئمة الملة ، وآخر السادات
الأعلام ، ذوي الرسوخ الكرام ، بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول
والحقيقة والشريعة بأوفر محصول ، شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول ،
صاحب التحقيقات البديعة ، والاختراعات الأنيقة ، والأبحاث الغريبة ،
والفوائد الغزيرة ، المتفق على علمه وصلاحه وهديه ، السيد الزكي الفهامة
القدوة الذي قل سماح الزمان بمثله أبداً ، أحد الأفراد العلية في جميع الفنون
الشرعية ، ذو المناقب العديدة والأحوال الصالحة العتيدة ، شيخ الإسلام
وإمام المسلمين ومفتي المسلمين ومفتي الأنام ، ذو القدم الراسخ في كل مزلق
ضيق ، والرحب الواسع في حل كل مشكل مقفل ، صاحب الكرامات

والاستقامات ، حامل لواء السنة وداحض شبه البدعة ، سيف الله المسلول على أهل البدع والأهواء الذائعة ، الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ، ورفع بين البرية محله ودرجته ، ووسع على خليقته به نحلته . معدن العلم ، ووزن الفهم ، وكيمياء السعادة ، وكثر الإفادة ابن الشيخ الفقيه العالم أبي العباس أحمد بن الإمام العلامة الرحلة المحدث الكبير الخطيب الشهير محمد شمس الدين ابن الشيخ العالم الولي الصالح المجاور أبي العباس أحمد ابن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد ابن الولي الكبير ذي الأحوال الصالحة والكرامات محمد بن أبي بكر بن مرزوق .

كان رحمه الله آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المُفْرِط على النقول ، والقيام الأكمل على الفنون بأسرها ، أما الفقه فهو فيه مالك ولأزمة فروع حائز ومالك ، فلو رآه الإمام لقال له : تقدم فلك العهد والولاية ، وتكلم فمَنك يُسمع فقهي لا محالة ، أو ابن القاسم لقرَّ به عيناً ، وقال له : طالما دفعت عن المذهب عيباً وشيناً ، أو أدرك الإمام المازري لكان من أقرانه الذي معه يجارى ، أو الحافظ ابن رشد لقال له : هلمَّ يا حافظ الرشد أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة ، أو القرافي لاستفاد منه قواعد المقررة إلى ما انضم لذلك من معرفة التفسير ودُرره والاطلاع بحقائق التأويل وغرره ، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد ، أو لاقاه مقاتل لقال : تقدّم أيها المقاتل ، أو الزمخشري لعلم أنه كشف النكت على الحقيقة ، وقال لكتابه تنع لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة ، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية ، أو أبو حيان لاختفى عنه أن أمكنه في نهره ، ولم يسئل له نقطة من بحرهِ ، إلى الإحاطة بالحديث وفنونه ، وحفظ رواياته ومعرفته متونه ، ونظم أنواعه ورصف فنونه ، فإليه الرحلة في رواياته ودرائاته ، وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته ، وأما الأصول فالعضد ينقطع عند

مناظرته ساعده ، والسيف يكلُّ عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ، ويساعده
والبرهان لا يهتدي معه لحجة ، والمقترح لا يقترح عنده بحجة ، وأما
النحو فلو رآه الزمخشري لتلجلج في قراءة المفصل ، واستقل ما عنده من
القدر المحصَّل ، أو الرُّمَّاني لاشتاق لمفاكته وارتاح واستجدى من ثمار
فوائده وامتاح ، أو الزَّجَّاج لعلم أنَّ زجاجه لا يقوِّم بجواهره ، وأنه لا يجري
معه في الفن إلا في ظواهره ، بل لو رآه الخليل لأثنى عليه بكل جميل ، وقال
لفرسان النحو : مالكم إلى لحوقه من سبيل ، وأما البيان فالمصباح لا يظهر
له ضوء مع هذا الصبح ، وصاحب « المفتاح » لا يهتدي عنده للفتح ، وأما
فهمه فعنه تنحط الشهب الثواقب ، وبمطالعة تحقيقاته يتحير الناظر ، فيقول
كم لله تعالى من مواهب لا تسعها المكاسب ، إلى غيرها من علوم عديدة وفضائل
مأثورة عتيدة ، وأما زهده وصلاحه فقد سارت به الركبان ، واتفق على تفضيله
وخيرته الثقلان ، هو فاروق وقته في القيام بالحق ، ومدافعة أهل البدع
بالصدق ، هو البحر بل دون علمه البحر ، هو البدر بل دون فلقه البدر ،
هو الدرُّ بل دون منطقته الدرُّ ، وبالجملة فالوصف يتقاصر عن مزاياه ،
ويعجز عن وصفه ويتجافاه ، فهو شيخ العلماء في أوانه ، وقطب الأئمة
والزهاد في زمانه ، شهد بنشر علومه العاكف والبادي وارتوى من بحر
تحقيقاته الظمان والصادي :

حلف الزمان ليأتينَ بمثلِهِ * حَيْثُ يَمِينُكَ يا زمانُ فَكَفَّرِ

وربك الفتاح العليم ، غير أنه كما قيل : يا له من عالم وإمام جمع العلوم
بأسرها ولكن بخسته الدار ، قاله تعالى يرحمه ويرضى عنه وينفعنا به آمين .

وما قلناه من أوصافه فمما عُلِمَ من حاله فلا يحتاج لنقله عن معين ، ومتى
احتاجت شمس الضحى للدليل ، على أنا نذكر بعض ما قيل فيه شاهداً لما قلنا .

قال تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني شيخنا الإمام
العالم العَلَم ، جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية ، حفظاً وفهماً وتحقيقاً ،

راسخ القدم ، رافع لواء الإمامة بين الأمم ، ناصر الدين بلسانه وبنانه وبالعلم ، محيي السنة بفعاله ومقاله وبالشيم ، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الأقوم ، مستمر الإرشاد والهداية والتبليغ والإفادة . ذو الرواية والدراية والعناية ، ملازم للكتاب والسنة على نهج الأئمة المحفوظين في زمن من لا عاصم فيه لأمر الله إلا من رحم ، ذو همة عليّة ورتبة سنيّة ، وخلق رضية ، وفضل وكرم ، إمام الأئمة وعالم الأمة ، الناظر للحكمة ومبصر الظلمة ، سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين ، نتيجة مقدمات البنين . حجة الله على العلم والعالم ، جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة . متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه ، الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد ابن أحمد ، اتصلت به فأويت منه إلى ربوة ذات قرار ومعين . فقصرتُ توجُّهي عليه ومثلتُ بين يديه ، فأنزلي أعلى الله قدره منزلة ولده ، رعاية للذمم وحفظاً على الود الموروث من القدم ، فأفادني من بحر علمه ما تقصّر عنه العبارة ، ويكل دونه القلم ، فقرأتُ عليه جملة من التفسير ، ومن الحديث « الصحيحين » والترمذي ، وأبي داود ، بقراءتي و « الموطأ » سماعاً وتفقهاً و « العمدة » وأرجوزته « الحديقة في علم الحديث » وبعض أرجوزته « الروضة » فيه تفقهاً ، ومن العربية نصف « المغرب » وجميع « كتاب سيبويه » تفقهاً ، و « ألفية ابن مالك » وأوائل « شرح الإيضاح » لابن أبي الربيع ، وبعض « مغني ابن هشام » ، وفي الفقه « التهذيب » كله تفقهاً « وابن الحاجب » وبعض « مختصر خليل » و « التلقين » وثلاثي « الجلاب » وجملة من « المتبطينة » و « البيان » لابن رشد ، و « الرسالة » تفقهاً ، وتفقهت عليه في كتب الشافعية في « تنبيه الشيرازي » و « وجيز الغزالي » من أوله إلى كتاب الإقرار ، ومن كتب الحنفية « مختصر القدوري » تفقهاً ، ومن كتب الحنابلة « مختصر الحوفي » تفقهاً ، ومن الأصول « المحصول » و « مختصر ابن الحاجب » و « التنقيح » وكتاب

« المفتاح » لجدي و « قواعد عز الدين » وكتاب « المصالح والمفاسد » له و « قواعد القرافي » وجملة من « الأشباه والنظائر » للعلائي ، و « إرشاد العميري » ، وفي أصول الدين « المحصل » و « الإرشاد » تفقهاً ، وفي القراءات « الشاطبية » تفقهاً و « ابن بري » ، وفي البيان « التلخيص » و « الإيضاح » و « المصباح » كلها تفقهاً ، وفي التصوف « إحياء الغزالي » إلا الربع الأخير منه ، وأبسنى خرقة التصوف كما ألبسه أبوهما وعمه ، وهما ألبسهما أبوه جده اه ملخصاً .

وكتب الإمام صاحب الترجمة تحته صدق السيد أبو الفرج بن السدي فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبر ، وقد أجزته في ذلك كله فهو حقيق بها مع الانصاف وصدق النظر ، جعلني الله وإياه ممن علم وعمل لآخرته واعتبر ، قاله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق اه .

وقال تلميذه الإمام الثعالبي وقدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله ابن مرزوق فأقام بها وأخذت عنه كثيراً ، وسمعت عليه جميع « الموطأ » بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشني ، وختمت عليه « أربعينيات النووي » قراءة عليه في منزله قراءة تفهم ، فكان كلما قرأت عليه حديثاً يعلوه خشوع وخضوع ، ثم يأخذ في البكاء ، فلم أزل أقرأ وهو يبكي حتى ختمت الكتاب ، وهو من أولياء الله تعالى الذين إذا رؤوا ، ذُكرَ الله ، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية ، واشتهر فضله في البلاد ، فكان بذكره تطرز المجالس ، جعل الله حبه في قلوب العامة والخاصة ، فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس متشوقة لما يُحكى عنه ، وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية ، لا أعلم له نظيراً في ذلك في وقته فيما علمت ، ثم ذكر كثيراً جداً مما سمعه عليه من الكتب ، وأطال فيه .

وقال أيضاً في موضع آخر : هو سيدي الشيخ الإمام الحبر الهمام حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمهم ، ورحلة النقاد وخلصتهم ، ورئيس المحققين وقادتهم ، السيد الكبير والذهب الإبريز ، والعلم الذي نصبه التمييز . ابن البيت الكبير والفلك الأثير ، ومعدن الفضل الكثير ، سيدي أبو عبد الله محمد بن الإمام الجليل الأوحى الأصيل ، جميل الفضلاء ، سليل الأولياء ، أبي العباس أحمد ابن العالم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبي عبد الله ابن مرزوق .

وقال أيضاً في موضع آخر شيخنا الإمام العلم الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين ، وإمام الحفظة الأقدمين والمحدثين ، سيد وقته وإمام عصره وورع زمانه ، وفاضل أقرانه ، أعجوبة وقته وفاروق أوانه ، ذو الأخلاق المرضية ، والأحوال الصالحة السنية ، والأعمال الفاضلة الزكية ، أبو عبد الله بن سيدنا الفقيه الإمام أبي العباس أحمد بن مرزوق اه .

وقال المازوني : في أول « نوازله » شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ، ذو التأليف العجيبة والفوائد الغريبة ، مستوفي المطالب والحقوق اه .

وقال تلميذه الحافظ التنسي بعد ذكره قضية مالك في أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين لا أدري ما نصه : لم نرَ فيما أدركنا من شيوخنا من تمرّن على هذه الخصلة الشريفة ، وكثر استعمالها غير شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق اه .

وقال تلميذه أبو الحسن القلصادي في « رحلته » : أدركت بتلمسان كثيراً من العلماء والزهاد والعباد والصلحاء ، وأولاهم بالذكر والتقديم الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله بن مرزوق العجيسي رضي الله عنه ، حل كنف العلم والعلاء ، وجلّ قدره في الجلة الفضلاء ،

قطع الليالي ساهراً ، واقتطف من العلم أزاهراً ، فثمر وأورق وغرب وشرق ، حتى توغل في فنون العلم واستغرق ، إلى أن طلع للأبصار هلالاً ، لأن المغرب مطلعته وسما في النفوس موضعه ، فلا ترى أحسن من لقائه ، ولا أسهل من إلقائه ، لقي الشيوخ الجلة الأكابر ، وبقي حمده مغترفاً من بطون الكتب وألسنة الأقلام ، وأفواه المحابر . كان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة وأوقاته كلها معمورة بالطاعة ليلاً ونهاراً ، من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف ، وله أوراد معلومة ، وأوقات مشهودة ، وكانت له بالعلم عناية تكشف بها العماية ، ودراية تعضدها الرواية ، ونباهة تكسب النزاهة . قرأت عليه بعض كتابه في « الفرائض » وأواخر « إيضاح الفارسي » وشيئاً من « شرح التسهيل » ، وحضرت عليه إعراب القرآن ، و « صحيح البخاري » و « الشاطبيتين » و « فرعي ابن الحاجب » و « التلقين » و « تسهيل ابن مالك » و « الألفية » و « الكافية » و « ابن الصلاح في علم الحديث » و « منهاج الغزالي » و « الرسالة » وغيرها . توفي يوم الخميس عصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمان مئة (٨٤٢) ، وصلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة ، حضر جنازته السلطان فمن دونه ، ثم أمثله قبل ، وأسف الناس بفقده وآخر بيت سمع منه عند موته :

إِنْ كَانَ سَفْكَ دَمِي أَقْصَى مَرَادِكُمْ • فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي

اهـ ملخصاً .

وفي « فهرسة ابن غازي » في ترجمة شيخه أبي محمد الورياجلي ما نصه : أنه لقي بتلمسان الإمام العلامة العلم الصدر الأوحى المحقق النظار الحجة العالم الرباني أبا عبد الله بن مرزوق ، وأنه حدثه بكثير من مناقبه وصفة إقرائه ، وقوة اجتهاده ، وتواضعه لطلبة العلم ، وشدة على أهل البدع ، وما اتفق

له مع بعضهم ، إلى غيره من شيمه الكريمة ، ومحاسنه العظيمة اه .

وقال غيره : كان يسير سيرة سلفه في العلم والعمل ، والشفقة والحلم ، وحب المساكين ، آية الله في الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة ، واتباع السنة في الأقوال والأفعال ، ومحبة أهلها في جميع الأحوال ، مبغضاً لأهل البدع ومحباً لسد الذرائع اه .

أخذ العلم عن جماعة كالسيد الشريف العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام العالم الشريف التلمساني ، والإمام عالم المغرب سعيد العقباني ، والولي الصالح أبي إسحاق المصمودي ، أفرد ترجمته بتأليف ، والعلامة أبي الحسن الأشهب الغماري ، وعن أبيه وعمه ابني الخطيب بن مرزوق ، وبتونس عن الإمام ابن عرفة ، وأبي العباس القصار ، وبفاس عن الأستاذ النحوي ابن حياتي الإمام ، والشيخ الصالح أبي زيد المكودي ، والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجي الفيلاي في جماعة ، وبمصر عن الأئمة السراج البلقيني ، والحافظ أبي الفضل الحراقي ، والسراج ابن الملقن ، والشمس الغماري ، والمجد الفيروز آبادي صاحب القاموس ، والإمام محب الدين بن هشام ولد صاحب المغني ، والنور النويري ، والولي ابن خلدون ، والقاضي العلامة ناصر الدين التنسي وغيرهم . وأجازه من الأندلس الأئمة كابن الخشاب ، وأبي عبد الله القيحاوي ، والمحدث الحفار ، والحافظ ابن علاق ، وأبي محمد بن جزري ، وغيرهم .

وأخذ عنه جماعة من السادات كالشيخ الثعالبي ، وقاضي الجماعة عمر القلشاني ، والإمام محمد بن العباس ، والعلامة نصر الزواوي ، وولي الله الحسن أبركان ، وأبي البركات الغماري ، والعلامة أبي الفضل المشدالي ، والسيد الشريف قاضي الجماعة بفرناطة أبي العباس ابن أبي يحيى الشريف ، وأخيه أبي الفرج ، وإبراهيم بن فايد الزواوي ، وأبي العباس أحمد بن

عبد الرحمن الندرومي ، والعلامة المؤلف علي بن ثابت ، والشهاب بن كحيل التجاني ، وولده العلم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، والعلامة أحمد بن يونس القسطنطيني ، والعلم يحيى بن يدير ، وأبي الحسن القلصادي ، والشيخ عيسى بن سلامة البسكري ، والعالم يحيى المازوني ، والحافظ التنسي ، والإمام ابن زكري في خلق كثيرين من الأجلاء .

وقال الحافظ السخاوي : هو أبو عبد الله حفيد ابن مرزوق ، وقد يختص بابن سرزوق ، ويقال له أيضاً : ابن مرزوق تلا بنافع على عثمان الزروالي ، وانتفع في الفقه بابن عرفة ، وأجازته ابن الخشاب والحفار والقيجاطي ، وحج قديماً سنة تسعين وسبع مئة (٧٩٠) رقيقاً لابن عرفة ، وسمع من البهاء الدماميني ، والنور العقيلي بمكة ، وقرأ بها البخاري على ابن صديق . لازم المحب ابن هشام في العربية ، ثم حج عام تسعة عشر وثمان مئة ، ولقيه رضوان الزيني بمكة ، وكذا لقيه ابن حجر اه .

وأما تأليفه فكثيرة منها : شروحه الثلاثة على البردة ، الأكبر المسمى « إظهار صدق المودة في شرح البردة » استوفى فيه غاية الاستيفاء ، ضمنه سبعة فنون في كل بيت ، والأوسط والأصغر المسمى « بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب » و « المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية » و « المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية » ، ورجزان في علوم الحديث الكبير سماه « الروضة » جمع فيه بين ألفيتي ابن ليون والعراقي ومختصره « الحديقة » اختصر فيه ألفية العراقي ، وأرجوزة في الميقات سماه « المقنع الشافي » في ألف وسبع مئة بيت ، و « أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية » وأرجوزة « نظم تلخيص المفتاح » وأرجوزة « نظم تلخيص ابن البناء » ، و « أرجوزة نظم جمل الخونجي » وأرجوزة في « اختصار ألفية ابن مالك » و « نهاية الأمل في شرح جمل الخونجي » و « اغتنام الفرصة في محادثة عالم

قفصة» ، وهو أجوبة على مسائل في الفقه والتفسير وغيرهما ، وردت عليه من عالم قفصة أبي يحيى ابن عقيبة الأتي ، فأجابه عنها « والمعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج » أجاب فيه العالم قاضي الجماعة بفرناطة ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية و« نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين » تأليف ألفه في شأن البدلاء ، تكلم فيه على حديث في أول الحلية و« الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي » و« النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص » في سبعة كراريس ألفه في الرد على عصره وبلديه الإمام قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية في أشياء صوب العقباني صنيعهم فيها فخالفه ابن مرزوق ، و« مختصر الحاوي في الفتاوي » لابن عبد النور التونسي و« الروض البهيج في مسألة الخليج » في أوراق نصف كراس ، و« أنوار الدراري في مكررات البخاري » ، وتأليف في « مناقب شيخه الزاهد الولي إبراهيم المصمودي » في مقدار كراس و« تفسير سورة الإخلاص » على طريقة الحكماء ، وهذه كلها تامة .

وأما ما لم يكمل من تأليفه ف« المتجر الربيع والسعي الرجيع » و« الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح » صحيح البخاري و« روضة الأريب في شرح التهذيب » و« المتزع النبيل في شرح مختصر خليل » شرح منه الطهارة في مجلدين ، ومن الأفضية لآخره في سفرين في غاية الإتقان والتحرير ، والاستيفاء والتنزل لألفاظ الكتاب والنقول لا نظير له أصلاً لخصه العلامة الراعي كما يأتي ، و« إيضاح المسالك في ألفية ابن مالك » انتهى إلى اسم الإشارة أو الموصول مجلد في غاية الإتقان ، ومجلد في « شرح شواهد شراحها » إلى باب كان وأخواتها ، وله خطب عجيبة .

وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المتنوعة فقد سارت بها الركبان شرقاً وغرباً بدواً وحضراً ، ذكر المازوني والونشريسي منها جملة وافرة في كتابيهما ،

وله أيضاً عقيدته المسماة « عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد »
وعلى منحاه بنى السنوسي « عقيدته الصغرى » و « الآيات الواضحات في
وجه دلالة المعجزات » و « الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم »
و « أسماء الصُّمِّ في إثبات الشرف من قبل الأم » وذكر السخاوي أن من تأليفه
« شرح فرعي ابن الحاجب » و « شرح التسهيل » والله أعلم .

ومولده كما ذكره هو في « شرحه على البردة » ليلة الاثنين رابع عشر
ربيع الأول عام ستة وستين وسبع مئة (٧٦٦) قال : وحدثني أمي عائشة
بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد بن الحسن المديوني - وكانت سالحة ألفت
مجموعاً في أدعية اختارتها ، ولها قوة في تعبير الرؤيا ، اكتسبتها من كثرة
مطالعة كتب الفن - أنه أصابني مرض شديد أشرفت منه على الموت ، ومن شأنها
وأبيها أنهما لا يعيش لهما ولد إلا نادراً ، وسموني أبا الفضل أول الأمر ،
فدخل عليها أبوها أحمد المذكور ، فلما رأى مرضي وما بلغ بي غضب وقال :
ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ! ما الذي رأيتموه له من الفضل حتى تسموه
أبا الفضل ، سموه محمداً لا أسمع أحداً يناديه بغيره إلا فعلت به وفعلت ،
يتوعد بالأدب ، قالت : فسميناك محمداً ، ففرج الله عنك اهـ ملخصاً .

وتوفي كما قاله القلصادي وزروق والسخاوي وغيرهم يوم الخميس
رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمان مئة (٨٤٢) ، ولم يخلف بعده مثله
في فنونه في المغرب ، وصُلِّيَ عليه يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان رحمه
الله تعالى ، وسيأتي ترجمة ولده الكفيف وحفيده ابن ابنته محمد بن مرزوق
الخطيب ابن حفصة إن شاء الله تعالى .

فائدة : قال صاحب الترجمة : حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان
ابن عرفة ، رحمه الله ، أول مجلس حضرته فقرأ : ﴿ وَمَنْ يَعْمُرْ عَن ذِكْرِ

الرَّحْمَنِ ﴿١﴾ فجرى بيننا مذاكرة رائقة ، وأبحاث حسنة فائقة ، منها أنه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ، ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته ، وذكر في النسخة خلافاً وذكر بعض ذلك الكلام ، فاهتديت إلى تمامه ، فقلت : يا سيدي معنى ما ذكر أن جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنتها من معنى الشرط ، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك ، فما يشبه لفظه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله وفرح ، كما أن الإنصاف كان طبعه ، وعند ذلك أنكر علي جماعة من أهل المجلس وطالبوني بإثبات معاملة الموصول معاملة الشرط ، فقلت : نصهم على دخول الفاء في خبر الموصول في نحو : الذي يأتيني فله درهم من ذلك ، فنازعوني في ذلك ، وكنت حديث عهد بحفظ « التسهيل » فقلت : قال ابن مالك فيما يشبه المسألة وقد يجزمه متسبب عن صلة الذي تشبيهاً بجواب الشرط ، وأنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر :

كذلك الذي يبغى على الناس ظالماً * تُصَبُّه على رُغْمٍ عواقبُ ما صَنَعُ

فجاء الشاهد موافقاً للحال اه من « اغتنام الفرصة » .

وقد ذكر الشيخ ابن غازي الحكاية في « فهرسته » في ترجمة شيخه النيجي الشهير بالصغير ، وفيها بعض مخالفة لما تقدم ، فلنسقه ، قال : حدثني أنه بلغه عن ابن عرفة أنه كان يدرس من صلاة الغداة للزوال يقرئ فنوناً يتدئ بالتفسير ، وأن الإمام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وجده يفسر آية ﴿ وَمَنْ يَعْشُ ﴾ فكان أول ما فاتحه أن قال : هل يصح كون « مَنْ » هنا موصولة ؟ فقال ابن عرفة : كيف وقد جزمت ، فقال له : تشبيهاً لها بالشرط ، فقال ابن عرفة : إنما يقدم على هذا بنص من إمام أو شاهد من كلام العرب ، فقال :

(١) الزخرف : ٣٦ .

أما النص فقول « التسهيل » كذا ، وأما الشاهد فقول الشاعر :

فلا تحفرن بئراً تريد بها أحماً . فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ تَقَعُ
كَذَلِكَ الَّذِي يَبْغِي عَلَى النَّاسِ ظَالِماً . تُصِيبُهُ عَلَى رُغْمِ عَوَاقِبُ مَا صَنَعَ

فقال ابن عرفة : فانت ابن مرزوق ، قال : نعم فرحب به اه . وهو
خلاف ما تقدم ، ورأيت في بعض المجاميع زيادة وهي أن ابن عرفة اشتغل
بضيافته لما انفصل المجلس اه .

فائدة أخرى: ذكر الشيخ ابن غازي أن الإمام ابن مرزوق صاحب الترجمة
كان يصرف لفظ أبا هريرة ، وأن الأشياخ الفاسيين بلغهم ذلك فخالفوه فيه ،
قال : وما لمذهبهم شيخاي النيجي والقوري لوجوه طال بحثي معه فيها ،
ليس هذا موضعه اه .

وفي ترجمة يعقوب^(١) الزغبي التونسي قاضي الجماعة أبو يوسف الإمام
العلامة المحقق الفقيه القاضي المفتي ما نصه : ويقال : إنه يعني الزغبي اجتمع
في وليمة مع الإمام ابن مرزوق الحفيد ، فمثلاً عن رأي مصحفاً في نجاسة
وهو غير ظاهر فهل يأخذه فوراً أو يتيمم ، فقال صاحب الترجمة : يجري على
محتلم انتبه . وهو في المسجد فقيل : يجب خروجه فوراً ، وقيل : يتيمم ،
فرد عليه ابن مرزوق بأن هذه الصورة أشد فيجب عليه خلاصه من المفسدة
فوراً ، لأنه إن تركه اختياراً كان ردة ، بخلاف بقاءه في المسجد فلا يعد ردة ،
وهو ظاهر نقله الرصاع اه من « نيل الابتهاج » .

(١) بعد وصفه بأنه من أكابر أصحاب ابن عرفة وتوليته قضاء القيروان ، ثم قضاء الجماعة بثونس ،
وراء أبي مهدي الغبريني ، وتوفي عن قضائها ، وأنه أخذ عنه أبو القاسم القسنطيني وابن ناجي ،
وأكثر النقل عنه في « شرح المدونة » وأبو زيد الغرياني والثعالبي وغيرهم . وقال : رأيت لعصره
أحمد الشماع الثناء عليه ، ولم أقف على وفاته اه من « نيل الابتهاج » .

ابن مرزوق الخطيبُ جدُّ الحفيد

وفي « نيل الابتهاج » ما نصه : محمدُ بنُ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق ،
ابن مرزوق الخطيب شمس الدين ، شهر بالخطيب ، وبالجد ابن مرزوق ،
شارح « العمدة » في الحديث و « الشفا » ذكره ابن فرحون في الأصل أي
في « الديباج » وأثنى عليه ، وذكر شيوخه ولُنذيله هنا بما لم يذكره .

قال ابن خلدون : صاحبنا الخطيب أبو عبد الله التلمساني كان سلفه نزلاء
أبي مدين بالعباد متوارثين تربته من زمن جدّهم خادمه في حياته ، وجده
الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروف بالولاية فيهم ، ووُلد صاحب
الترجمة على ما أخبرني عام عشرة وسبع مئة ، ورحل مع والده للشرف سنة
ثمانية عشرة ، وسمع ببجاية على ناصر الدين ، ولما جاور أبوه بالحرمين رجع
هو للقاهرة ، فأقام وقرأ على البرهان الصفاقسي وأخيه ، وبرع في الطلب
والرواية ، وكان يجيد الخطين ، ورجع سنة ثلاث وثلاثين للمغرب ، ولقي
السلطان أبا الحسن محاصراً لتلمسان ، وقد بنى مسجداً عظيماً بالعباد ،
وكان عمه محمد بن مرزوق خطيباً به على عادتهم ، وتوفي فولاه السلطان
خطابة ذلك المسجد مكان عمه ، وسمعتُه يُشيد بذكره في خطبته ويشني عليه
فقربه ، وهو مع ذلك يلازم ابني الإمام ، ويلقى أكابر الفضلاء ، ويأخذ
عنهم ، وحضر معه وقعة طريف ، وأرسله للأندلس وقشتالة في الصلح وفكّ
ولده المأسور ، ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصاري وافدين على أبي
عنان بفاس مع أمه حظية أبي الحسن ، ثم رجع لتلمسان وأقام بالعباد ، وبها
يومئذ أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت ، والسلطان أبو الحسن بالجزائر ،
وقد حشد هناك فأرسل أبو سعيد بن مرزوق إليه سرّاً في الصلح فلما اطلع أبو

ثابت على الخبر أنكره على أخيه ، فبعثوا من حبس ابن مرزوق ، ثم أجازوه البحر للأندلس فنزل على أبي الحجاج سلطان غرناطة ، فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فبقي عليها حتى استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها ، فنظمه في أكابر أهل مجلسه ، ثم بعثه لتونس عام ثمان ليخطب له بنت السلطان أبي يحيى ، فردت الخطبة واختفت بتونس ، ووشى لأبي عنان أنه مطلع على مكانها ، وسخطه وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته ، ولما تولى أبو سالم إثره وجعل الأمور بيده فوطئ الناس أعتابه وغشي أشراف الدولة بابه ، وصرخوا إليه الوجوه ، فلما وثب الوزير عمر بن عبد الله بالسلطان آخر اثنين وستين حبس ابن مرزوق ، ثم أطلقه بعد طلب كثير من أهل الدولة قتله ، فمنعه منهم ، ولحق بتونس سنة أربع وستين ، ونزل على السلطان أبي إسحاق وصاحب دولته أبي محمد بن تافراكين ، فأكرموه وولّوه خطابة جامع الموحدين ، وأقام بها حتى هلك أبو يحيى سنة سبع ، وولي ابنه خالد ، ثم لما تولى أبو العباس الأمر بعد قتله خالداً وبينه وبين ابن مرزوق شيء ليله مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ، عزله عن الخطبة بها فأجمع الرحلة للشرق ، وسرّحه السلطان فركب السفينة لاسكندرية ، ثم للقاهرة ، ولقي أهل العلم وأمراء الدولة ، فنفتت بضائعه عندهم ، وأوصلوه للسلطان الأشرف فولاه الوظائف العملية ، موقراً المرتبة معروف الفضيلة ، مرشحاً للقضاء ملازماً للتدريس ، حتى هلك سنة إحدى وثمانين اهـ ملخصاً .

وقال في « الإحاطة » : كان من طرف دهره طرفاً وخصوصية ولطفاً ، مليح التوسل حسن اللقاء ، مبدول البشر كثير التودد ، نظيف البزة لطيف التاني ، خير السميت طلق الوجه ، حلو اللسان طيب الحديث ، مقدر الألفاظ عارفاً بالأبواب ، درباً بصحبة الملوك والأشراف ، ممزوج الدعابة بالوقار ،

والفكاهة بالنسك ، والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل وُدّه ، والتعصب لإخوانه ، أليفاً مألوفاً ، كثير الأتباع ، غاصّ المنزل بالطلبة ، منقاداً للدعوة ، بارع الخط أنيقه ، عذب التلاوة متسع الرواية ، مشاركاً في فنون من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف ، فلا يعدو السداد في ذلك ، فارس منبر غير جزوع ولا هيأبه ، رحل للشرق في كنف وحشمة مع والده فحج وجاور ، ولقي جِلَّةً ثم فارقه ، وقد عرف حقه بالشرق ورجع للمغرب فاشتمل عليه أبو الحسن ، وجعله مفضي سرّه وإمام جُمعته وخطيب منبره وأمير وأمين رسالته ، وقدم الأندلس وسط عام اثنين وخمسين فقلده سلطانها خطبة مسجده ، وأقعدته للإقراء بمدرسته ، ثم صرف عنه جفن سرّه من أسلوب طماح ودالة ، فأغشم الفترة ، وانتهر الفرصة ، فانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب في شعبان عام أربعة وخمسين ، فاستقر عند أبي عنان في محل تجلّة ، وبساط قرية ، مشترك الجاه ، مجرى التوسط . انتهى ملخصاً .

قال الحافظ ابن حجر : ولما وصل تونس أكرم إكراماً عظيماً ، فخطب ودرس في أكثر المدارس ، ثم قدم القاهرة فأكرمه الأشرف شعبان ، ودرس بالشيخونية والضرعتشية والنجمية ، وكان حسن الشكل جليل القدر ، مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين هـ .

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخنا الفقيه الجليل الخطيب توفي بالقاهرة ، ودفن بين ابن القاسم وأشهب ، له طريق واضح في الحديث ، ولقي أعلاماً سمعنا منه « البخاري » وغيره في مجالس ، ولمجلسه لباقة وجمال ، وله شرح جليل على « العمدة » في الحديث هـ .

وقلت : وقرأت بخط العالم أبي عبد الله ابن الإمام ابن العباس التلمساني ما ملخصه : كتب بعض السادات للإمام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق أنه وجد بخط

جده الخطيب ابن مرزوق لما تفقه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصه : الحمد لله على كل حال ، خرَّج الطبري في منسكه ، وأبو حفص العلابي في سيرته ، عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو قالوا : وقف رسول الله ﷺ على الثنية التي بأعلى مكة ، وليس بها يومئذ مقبور ، فقال : « يبعث الله من هاهنا سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر : مَنْ هم يا رسول الله ؟ فقال : هم الغرباء من أمتي الذين يُدفنون هاهنا » ففي الموضع دفن والذي رحمه الله بعد سماعه الحديث بسبعة أيام ، أقرأه لا يشفع فيمن أقال عثرة ولده ؟ أفما يشتري هذا بأموال الأرض ؟ أفلا يراعى لي ثمانية وأربعين منبراً في الإسلام شرقاً وغرباً وأندلساً ؟ أفلا يراعى لي أنه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح قراءة وسماعاً من باب اسكندرية إلى البرين والأندلس غيري ؟ وقرأت عن نحو مئتين وخمسين شيخاً والله ما أعلمه لكني حرمني الله منه فنبذت الاشتغال به وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهويت ، اللهم غفرانك أفلا يراعى لي مجاورة نحو اثني عشر عاماً ، وختم القرآن في داخل الكعبة ، والإحياء في محراب النبي ﷺ والإقراء بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيري ؟ أفلا يراعى لي الصلاة بمكة ستاً وعشرين سنة وغرْبتي بينكم ومحنتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم من ذا الذي خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه استغفر الله استغفر الله استغفر الله من ذنوبي ، ذنوبي أعظم ، وربّي أعلم ، وربّي أرحم والسلام اه . وفيه دليل على قدر الرجل ومكانته ديناً ودنياً .

ورأيت له في بعض المجاميع ما ملخصه : ومن أشياخ والدي سيدي محمد المرشدي لقيه في ارتحالنا للشرق ، وحملني إليه وأنا ابن تسع عشرة سنة ، فترلنا عنده وقت صلاة الجمعة ، ومن عادته أن لا يتخذ إماماً للمسجد ، وحضر حينئذ

من أعلام الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم في غير ذلك المشهد ، فقرب وقت الصلاة فتشوف من حضر من الفقهاء والخطباء للتقديم ، فخرج الشيخ فنظر يمينا وشمالاً وأنا خلف والذي فوق بصره علي ، فقال لي : يا محمد تعال فقمتم معي إلى موضع خلوة ، فباحثني في الفروض والشروط والسنن ، قال فتوضأت وأخلصت النية ، فأعجبه وضوئي ، ودخل معي المسجد وقادني للمنبر ، وقال لي : يا محمد ارق المنبر ، فقلت له : يا سيدي والله ما أدري ما أقول ، فقال لي : ارقه ، وناولني السيف الذي يتوكأ عليه الخطيب عندهم ، وأنا جالس مفكر فيما أقول إذا فرغ المؤذنون ، فلما فرغوا ناداني بصوته ، وقال لي : يا محمد قم وقل باسم الله ، قال : فقمتم وانطلق لساني بما لا أدري ما هو إلا أنني أنظر إلى الناس ينظرون إليّ ويخشعون من وعظي ، فأكملت الخطبة ، فلما نزلت قال لي : أحسنت يا محمد وقرارك عندنا أن نوليك الخطابة ، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ، ثم سافرنا فحججنا وأراد والذي الجوار وأمرني بالرجوع لتلمسان لتونس عمي ، وأمرني بالوقوف على سيدي المرشدي هناك ، فوقفت عليه وسألني عن والدي ، فقلت له : يقبل أيديكم ويسلم عليكم ، فقال لي تقدم يا محمد واستند لهذه النخلة فإن شعبياً يعني أبا مدين عبد الله عندها ثلاث سنين ، ثم دخل خلوته زماناً ، ثم خرج فأمرني بالجلوس بين يديه ، ثم قال لي : يا محمد أبوك من أحبنا وإخواننا إلا أنك يا محمد فكانت إشارة منه لما امتحنت به من مخالطة أهل الدنيا والتخليط ، ثم قال : يا محمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ، ومن (جهة) بلدك ، أما أبوك فبخير وعافية ، وهو الآن عن يمين منبر الرسول عليه السلام ، وعن يمينه خليل المكي وعن يساره أحمد قاضي مكة ، وأما بلدك فباسم الله وخط دائرة في الأرض ، ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلهما خلف ظهره ، وجعل يطوف بتلك الدائرة ، ويقول : تلمسان تلمسان حتى

طاف بها مرات ، ثم قال لي : يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها . فقلت له : كيف يا سيدي ؟ فقال : ستر الله ، إن شاء الله ، على ما فيها من الذراري والحريم ، ويملكها هذا الذي حصرها ، فهو خير لهم ، ثم جلس وجلست بين يديه ، فقال : لله يا خطيب ، فقلت له : يا سيدي عبدك ومملوكك ، فقال : كن خطيباً أنت الخطيب ، وأخبرني بأمور ، وقال لي : لا بد أن تخطب بالجانب الغربي وهو الجامع الأعظم بالاسكندرية ، ثم أعطاني شيئاً من كعيكات صغار ، زودني بها وأمرني بالرحيل ، وأما خبر تلمسان فدخلها المريني كما ذكر ، وستر الله على ما فيها من الذراري والحريم ، وكان هذا المرشدي يتصرف في الولاية كتصرف أبي العباس السبتي نفعنا الله بهما اه .

ولصاحب الترجمة تآليف « كشرحه الجليل على عمدة الأحكام » في أسفار خمسة ، جمع فيها بين ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد ، و « شرحه النفيس على الشفا » ولم يكمل ، و « شرح الأحكام الصغرى » لعبد الحق وشرح فرعي ابن الحاجب سماه « إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب » ولا أدري كمل أم لا ، وبيته بيت علم ودراية ، ودين وولاية ، كعمه وأبيه وجدته وجد أبيه ، وكولديه محمد وأحمد ، وحفيده الإمام النظار الحفيد ابن مرزوق ، وولد حفيده المعروف بالكفيف ، وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر فقهاءهم فيما أعلم اه .

وفي « جذوة الاقتباس » ما نصه : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي ، من أهل تلمسان ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين ، كان مليح الترسل ، مبدول البشر ، كثير التودد ، نظيف البزة ، خير السمّت ، طلق الوجه ، طيب الحديث ، درباً على صحبة الملوك ، عارفاً بالأبواب ، ممزوج الدعابة بالوقار ، والفكاهة بالنسك ، والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل وُدّه ، والتعصب لإخوانه ، غاصّ المنزل بالطلبة ، بارع

الخط أنيقه ، متسع الرواية مشاركاً في فنون من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويُقَيّد ويؤلّف ويُشعر ، فلا يعدو السداد ، رحل إلى المشرق فحج وجاور ولقي الجلة مع والده ، ثم فارقه وعرف بالمشرق فضله ، أخذ بالمدينة المشرفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام عن خطيبها عزّ الدين أبي محمد الحسين بن علي الواسطي ، وعن جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف المصري ، وعن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد الحجار الفراش بالحرم النبوي ، وعن قاضي المدينة شرف الدين الأسيوطي اللخمي ، وعن الشيخين أبي محمد وأبي ابني فرحون . وبمكة عن الشيخ شرف الدين عيسى ابن عبد الله الحجبي المكي ، توفي وقد قارب المئة ، وعن خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري ، وعن الشيخ عثمان النويري المالكي ، وعن شهاب الدين أحمد بن الحراني اليميني ، وعن أبي الربيع بن يحيى المراكشي ، وعن أبي القماح ، وعن شرف الدين عيسى بن محمد المغيلي ، وعن إبراهيم بن محمد الصفاقسي ، وبمصر عن علاء الدين القونوي ، وعن جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المصنف ، وعن ابن منير الحنفي ، وعن شهاب الدين أحمد بن منصور الحلبي الجوهري ، وعن الشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي ، وعن الشيخ النسابة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن طي بن حاتم ابن حبيش الزبيدي المصري ، تبلغ شيوخه نحو ألفي شيخ ، وعن الشيخ محمد بن أحمد ابن ثعلب ، وعن شمس الدين محمد بن كشافزي الخطابي الصيرفي ، وعن عماد الدين محمد بن علي بن المنجم الدمياطي ، عن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، وعن برهان الدين الحكري ، وعن محمد بن جابر الوادي آشي ، وعن أبي القاسم بن علي البراء ، وعن قاضي القضاء ناصر الدين بن منصور ابن محمد بن قيس الاسكندري ، وبتونس عن المُحدِّث النسابة أبي عبد الله

محمد بن حسين الزبيدي ، وعن قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرفيح ،
والقاضي أبي محمد بن عبد السلام ، وأبي محمد بن راشد القفصي ، وبيجاية
عن الإمام ناصر الدين المشدالي ، وعن الحافظ أبي عبد الله الزواوي وعن أبي
عبد الله المسفر ، وبيلد تلمسان عن ابني الإمام ، والخطيب أبي عبد الله المجاصي ،
وغيرهم ، وبفاس عن أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي . ولما قدم المغرب
اشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالاً خصه بنفسه ، وجعله محل سره
وإمام جماعته وخطيب منبره ، وأمير رسالته ، ورحل بعد أبي الحسن إلى الأندلس ،
وألف « المسند الحسن على مآثر السلطان أبي الحسن » ثم رجع للمغرب أيضاً
بخدمة أبي عنان فارس ، فكان في محل تجلة ، وكان عند أخيه أبي سالم بعد
فارس ، وكان قد غضب عليه أبو عنان فاعتقله ، وأخذ أمواله وضيق عليه ،
وأجمع على قتله ، وتمادى عليه ذلك إلى أن شملته عوائد الله تعالى معه في الخلاص
من الشدة ، وظهرت عليه بركة سلفه .

قال ابن الخطيب : أخبرني أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال : عرض لي والدي
رحمه الله في النوم فقال : يا ولدي اشفع في الفقيه ابن مرزوق ، فعينت لوجهة
ذلك قاضي الحضرة ، فكان ذلك ابتداء الفرج . قال : وحدثني الثقة من
خدام أبي عنان مخبراً عن نفسه يعني أبا عنان أنه رأى رسول الله ﷺ فأمره
بتسريحه ، ثم ترك سبيله ، وأبيح له ركوب البحر إلى البلاد المشرقية بأهله
وولده ، فسار في كنف الستر عام أربع وستين وسبع مئة ، وتصانيفه عديدة
منها « شرح العمدة » جمع فيه بين الفاكهاني وتقي الدين بن دقيق العيد و « شرح
كتاب « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » ولم يكمل ، توفي بعد الثمانين
وسبع مئة .

ابن مَرْزُوقِ حَفِيدُ الحَفِيدِ

وفي « نيل الابتهاج » ما نصه : أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق ، ولد العالم الكفيف ابن مرزوق ، ابن الإمام الشهير الحفيد ابن مرزوق .
كان نجيباً صالحاً من أهل تلمسان ، أخذ عن والده الكفيف ، وعن السنوسي ، والتنسي ، وابن زكري ، ومات مغبوطاً به ، وقع اسمه في « فهرسة ابن غازي » ووصفه بالفقيه أبي العباس ، ونقل عنه صاحبه أبو عبد الله ابن العباس في مسائله ، وتوهمَّ الشيخ بدر الدين القرافي هذا المصري العصري أنه ولد الإمام الحفيد ابن مرزوق ، وليس كذلك ، بل هو حفيده ، وولد ولده الكفيف ، كما علمت والله أعلم .

ابن مَرْزُوقِ الكَفِيفُ

وفي « نيل الابتهاج » ما نصه : محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الشهير ، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني عرف بالكفيف ، ولد الإمام أبي الفضل قطب المغرب الحفيد ابن مرزوق شارح « المختصر » المتقدم .

كان ولده صاحبُ الترجمة إماماً عالماً علامة وصفه ابن داوود البلوي بشيخنا الإمام ، علم الأعلام ، فخر خطباء الإسلام ، سلالة الأولياء ، وخلف الأتقياء ، المسند الراوية المحدث العلامة القدوة الحافل الكامل أبو عبد الله ابن سيدنا شيخ الإسلام ، خاتمة العلماء الأعلام ، الحبر البحر الناقد التحرير ، المشاور العمدة الكبير ، ذي التصانيف العديدة والأنظار السديدة ، أبي عبد الله ابن مرزوق .

أخذ العلم عن جماعة منهم : أبوه شيخ الإسلام قرأ عليه « الصحيحين » و « الموطأ » وغير كتاب من تأليفه ، وغيرها ، وتفقه عليه وأجاز له ما يجوز له عنه روايته ، والإمام العالم النظَّار الحجة أبو الفضل ابن الإمام ، والإمام العلامة قاضي الجماعة المعمر المشاور أبو الفضل قاسم العقباني ، والأستاذ المقرئ العالم أحمد بن محمد بن عيسى البجائي الفاسي ، والإمام العالم الولي الصالح المحدث عبد الرحمن الثعالبي ، والإمام العالم الفقيه النظَّار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المَشْدَّالي ، والإمام قاضي الجماعة العالم المحقق أبو عبد الله بن عقاب الجذامي التونسي ، والإمام العالم الرَّاوية الرَّحَّال قاضي الأنكحة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري التونسي . قرأ وسمع إليهم وأجازوه عامة ، وأجازوه مكاتبة من مصر شيخ الإسلام الحافظ ابن مجد ، مع أولاد مرزوق عام تسعة وعشرين .

ومولده ليلة الثلاثاء غرة ذي القعدة عام أربع وعشرين وثمان مئة (٨٢٤) هـ . قلت : ومن شيوخه الإمام ابن العباس . قال السخاوي : قدِمَ صاحب الترجمة مكة فعرض عليه ظهيرة ، وأخذ عنه في الفقه وأصوله والعربية والمنطق في سنة إحدى وستين ، وسمعت إحدى وسبعين أنه حي هـ .

قلت وفي « وفيات الونشريسي » أن وفاته عام أحد وتسع مئة ، ووصفه بالفقيه الحافظ المصنِّع ، وأخذ عنه الخطيب ابن مرزوق ابن أخيه ، وابن العباس الصغير ، ووصفه بشيخنا علم الأعلام ، وحجة الإسلام آخر حفاظ المغرب ، قرأت عليه « الصحيحين » وبعض « مختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي » ، وحضرت عليه جملة من « التهذيب » و « الخونجي » وغيرها هـ . وبالإجازة ابن غازي نقل عنه في « المازونية » ، وتقدمت ترجمة جده وأبيه الخطيب قريباً .

ابنُ سعد التلمساني

« نيل الابتهاج »

محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني الفقيه العالم المحصل
العلامة .

أخذ عن الإمام خاتمة المحققين محمد بن العباس ، والحافظ التنسي ،
والإمام السنوسي ، وألف كتاب « النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب » ،
و « روضة النسرین في مناقب الأربعة الصالحين » وهم الهواري ، وإبراهيم
التازي ، والحسن أبركان ، وأحمد بن الحسن الغماري .

وله تأليف في الصلاة على النبي ﷺ . وفيه يقول محمد العربي الغرناطي :
« إذا جئت لتلمسان فقل لصنديدها ابن سعد علمك فاق كل علم ، ومجدك
فاق كل مجد » .

توفي بالديار المصرية في رجب سنة ٩٠١ قاله الونشريسي في « وفياته » .

محمد بن أحمد ابن مريم المديوني

(لم أقف على ترجمته)

الفقيه الصالح المؤرخ المؤلف محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف
المليتي المديوني صاحب كتاب « البستان في علماء وصلحاء تلمسان » الذي
انتقاه من « نيل الابتهاج » للتنبكتي ومن « بغية الرواد » ليحيى بن خلدون
وغيرهما .

ولم أقف على ترجمته ، ومن تاريخ فراغه من تأليف « البستان » يُعلم أنه

كان حياً سنة ١٠١٤ ، وقد ذكر في أخيره نبذة من الأدب أعقبها بذكر تأليفه ،
وهي نحو الأحد عشر تأليفاً فقال :

« وما يتزين به الطالب حفظ اليسير من الشعر ، ينشد من سأل منه الرواية :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ • إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا قِيلَ فِيهِ قَالَ حَدِيثُنَا • وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأُسُ الشَّيَاطِينِ

ودخل جماعة على بعض المحدثين يسألونه الرواية فأنشدهم من حفظه :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِينَ أَحَبُّهُمْ • وَأَوْدُهُمْ فِي اللَّهِ ذِي الْآلَاءِ
أَهْلًا بِقَوْمٍ صَالِحِينَ ذَوِي التُّقَى • خَيْرِ الرِّجَالِ وَزَيْنِ كُلِّ مَلَاءِ
يَسْعُونَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ بَعْفَةً • وَتَوَقُّرِ وَسَكِينَةِ وَحَيَاءِ
لَهُمُ الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالَةُ وَالنُّهَى • وَفَضَائِلُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ
وَمَدَادُ مَا يَجْرِي بِهِ أَقْلَامُهُمْ • أَعْلَى وَأَفْضَلُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ
يَا طَالِبِي عِلْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ • مَا أَنْتُمْ وَسِوَاكُمْ بِسِوَاءِ

وأنشد أبو زرعة الرازي :

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أُنَارٌ • نِعْمَ الْمَطِيئَةُ لِلورى الْأَخْبَارِ
لَا تَغْفُلْنَ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ • فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارٌ

وأنشد أبو العباس بن العريف الصوفي :

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْمَخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ • زُرْتُمْ جِسُومًا وَزَرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا
إِنَّا أَقْمْنَا عَلَى شَوْقٍ وَعَنْ قَدَرٍ • وَمَنْ أَقَامَ عَلَى شَوْقٍ كَمَنْ رَاحًا

وأنشد أبو الحسن القابسي لنفسه :

أَنْسَتْ بُوْحَدَّتِي فَلزِمْتُ بِيَّتِي • وَطَابَ الْعَيْشُ وَاتَّصَلَ السُّرُورُ
وَأَدْبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبْسَالِي • تَرَكْتُ فَلَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ

وأنشد أبو الطاهر أحمد السلبي لنفسه :

أنا من أهل الحديد * ثم وهم خير البرية
عشت تسعين وأرجو * أن أعيش بعد مية

وأنشد أبو بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » :

أترك الهمة إذا ما طرقك * وكل الأمر إلى من خلقك
وإذا ملك قوم أبداً * فإلى ربك فامدد عنقك

وأنشد ابن مرزوق في مجلسه :

أصبحت عند الحسان رقما * قد غير الحدان نقشي
وكنت أمشي ولست أعيانا * فصرت أعيانا ولست أمشي

وأنشد أبو بكر بن المختار في عمره :

مضت لي ست بعد سبعين حججة * ولي حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى * يُقدر ما لا بُدَّ أن سيكون

ولي (١) في هذا المعنى بعد مضي ثمانين سنة :

مضت ستون عاماً من وجودي * وما أمسكت عن لعب ولهو
وقد أصبحت يوماً حول إحدى * وثامنة على كسل وسهو
فكم لابن الخطيب من الخطايا * وفضل الله يشمل به غهو

وأنشد أبو عبد الله بن إبراهيم الأندلسي :

رأيت الإنقباض أجمل شيء * وأدعى في الأمور إلى السلامة
فهذا الخلق سألهم ودعهم * فخلطتهم تعود إلى الندامة

(١) هكذا في الأصل ، وأنت ترى ابن الخطيب في البيت الثالث ، وقد قاسيت من النصيب في تصحيح هذه الصفحات المنقولة من نسخة « البستان » ما إن مثله ليعجز عنه الضعيف مثلي ، ولكنني استعنت بالله تعالى في تصويب ما حرفة الناسخون . عفا الله عنا وعنهم .

وأنشد سيبويه :

سيفني لسانُ كان يُعربُ لفظَه * فيا ليتَه من وقعِ العَرَضِ يَسْلَمُ
وما يَنْفَعُ الإعرابُ إن لم يَكُنْ تُقَى * وما ضَرَّ ذا تقوى لسانُ مُعْجِمُ

وأنشد الغزالي عند انصرافه لبيت المقدس :

لأن كان لي من بَعْدُ عودُ إليكُمْ * قضيتُ لُباناتِ الفُؤادِ لديكُمْ
وإن تَكُنِ الأخرى ولم تَكُ أوبى * وكان مماتي فالسَّلامُ عليكم

وأنشد ابن الخطيب القرطبي :

ليسَ الخُمولُ بعيبٍ * على امرئٍ ذي جلالِ
فليلةُ القَدْرِ تَخْفَى * وتلك خَيْرُ اللَّيالي

وأنشد أبو الفضل بن العمري :

من شاء عَيْشاً سعيداً يَسْتَفِيدُ بِهِ * مناهلَ العَيْشِ إِدباراً وإقبالاً
فليَنْظُرَنَّ إلى مَنْ فَوْقَهُ أدباً * وليَنْظُرَنَّ إلى مَنْ دُونَهُ مالاً

وأنشد بعضهم :

إذا المرءُ لم يَلْبَسْ ثياباً من التُّقَى * تجرَّدَ عُرياناً ولو كان كاسِيَا
وخيرُ خِصَالِ المرءِ طاعةُ رَبِّهِ * ولا خَيْرَ فِيمَنْ كانَ لله عاصِيَا

وللآخر :

قد أحدثَ الناسُ أموراً فلا * تعملُ بها إني امرؤُ ناصِحُ
ما مَجْمَعُ الخَيْرِ إلا الذي * كانَ عليه السَّلْفُ الصَّالِحُ

ثم قال : وهاهنا انتهى الغرض فيما قصدناه على الوجه الذي بيناه ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله . وفي سنة أربع عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه ،

نسأله سبحانه جلّت قدرته أن يجعله خالصاً لوجهه على الوجه الذي يتقبله ويرضاه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأواه ، وعلى آله وأصحابه الرفقاء له في دنياه وأخراه ، وقد انتقيته من « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » للشيخ أحمد بابا السوداني ، ومن « بغية الورد في شرف بني عبد الواد » ومن تقييد سيدي محمد السنوسي في « مناقب الأربعة المتأخرين » ومن « النجم الثاقب » ومن « الكواكب الوقادة فيمن كان نسبه من العلماء والصالحين القادة » ومن كتب عديدة .

وقد سألتني ولدي رضي الله عنه وعليه ، وبارك فيه وأنعم عليه ، عما وقع لي من التأليف ليكتب ذلك ، فأملت ما صادفه زمانه لحرصه على هذه المسائل ، ولنسرد هنا تكملة للغرض ، فمنها « غنية المرید لشرح مسائل أبي الوليد » ، ومنها « تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار » ، ومنها « فتح الجليل في أدوية العليل » لعبد الرحمن السنوسي المعروف بالرقعي ، ومنها « فتح العلام لشرح النصح التام للخاص والعام » لسيدي إبراهيم التازي ، ومنها « كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد » ومنها « التعليقة السنوية على الأرجوزة القرطبية » ومنها « شرح على مختصر الصغرى » اختصرتها لسيدي سليمان بن بوسماحة للنساء والعوام ، ومنها تأليف حديث نبوي ، وحكايات الصالحين ، ومنها تعليق « مختصر على الرسالة » في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها ، ومنها « شرح المرادية » للتازي ، ومنها « تفسير بعض ألفاظ الحكم » لم يكمل ، ومنها « تفسير الحسام » في ترتيب وظيفة التازي وما يحصل من الأجر لقارئها ، ومنها هذا التأليف المشتمل على عدد أولياء تلمسان وفقهائها في حوزها وعمالاتها الأحياء منهم والأموات اهـ .
وجملة العلماء الذين ترجمهم في « بستانه » رضي الله عنه نحو مئة واثنين وخمسين عالماً ، وهم :

أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد المناوي أصلاً ،
الورنيدي مولداً ، عُرف بابن الحاج المتوفى قريباً من ٩٣٠ (دفن مع أبيه
في بني إسماعيل من جبل بيدر) ، وأحمد بن عيسى الورنيدي يعرف بأبركان ،
وأحمد أبو العباس حفيد الشيخ محمد بن مرزوق المولود أول محرم سنة ٨٨١
(أخذ ببلده عن ابني الإمام زيد وأبي موسى) ، وأحمد ابن موسى الأريسي ،
تلميذ أحمد بن الحاج (توفي بعد ٩٥٠) ، وأحمد بن صالح بن إبراهيم (الذي
ثقفه السلطان أبو يعقوب المريني) ، وأحمد القيسي (من أكابر علماء تلمسان) ،
وأحمد بن الحسن الغماري المتوفى ثاني عشر شوال سنة ٨٧٤ (دفن بخلوة
من شرق الجامع الأعظم منها) ، وأخذ عليه سيدي أحمد زروق ، وأحمد
ابن محمد بن زكري ، وأحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي
التلمساني المتوفى يوم الخميس وقت العصر رابع عشر ربيع الأول عام ٨٤٥ ،
وعمره نحو ٦٣ سنة ، فمولده على هذا سنة ٧٨٢ (أخذ عن أبي عثمان سعيد
العقباني وعن أبي يحيى الشريف) ، وأحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأستاذ
التلمساني الندرومي (كان حياً بعد ٨٣٠) ، وأحمد بن أبي يحيى بن محمد
الشريف التلمساني (أخذ عن الإمام الحفيد ابن مرزوق) ، وأحمد بن محمد بن
يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي يُكنى أبا العباس (توفي بتلمسان سنة ٨٦٨) ،
وأحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي شهر بزروق (ولد يوم
الخميس عند طلوع الشمس الثامن والعشرين من المحرم سنة ٨٤٦ ، وتوفي
بتكران موضع من طرابلس في صفر عام ٨٩٩) ، وأحمد بن قاسم بن سعيد
العقباني قاضي تلمسان (توفي بتلمسان سنة ٨٤٠) . وأحمد بن محمد المصمودي
التاجوري التلمساني (روى بالمدينة على الجمال الكازروني ، وأخذ عن أبي
عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني) ، وأحمد بن عيسى البطوي
التلمساني (كان حياً سنة ٨٤٣) ، وأحمد بن العباس الشهير بالمريض (أحد

تلامذة ابن عرفة) ، وأحمد بن محمد بن مرزوق (مات مقبوضاً ، أخذ عن والده الشيخ العالم محمد بن مرزوق الكفيف) ، وأحمد بن محمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن جيدة (توفي سنة ٩٥١ أخذ عن الإمام السنوسي ، وعن أحمد المنجور) ، وأحمد بن يحيى بن عبد الواحد بن علي الونشريسي (توفي سنة ٩١٤ ، وكان عمره نحو ٨٠ سنة) أخذ عن أبي الفضل قاسم العقباني وغيره ، وأحمد بن إبراهيم الوجديجي (توفي بعد دخول النصارى تلمسان) كان يُدرّس العلم بالجامع الكبير ، وأحمد بن حاتم السطي (مولده في جمادى الثانية سنة ٨٥١) أخذ بتلمسان عن جماعة ، وأحمد بن منصور صاحب الصلاة الخزرجي التلمساني ، وإبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني (ولد آخر ليلة من جمادى الآخرة بتلمسان سنة ٩٠٩ وتوفي بعد ٩٦٠) ، وإبراهيم الغوث أبو إسحاق الطيّار (توفي قبل كمال ٧٠٠ وقبره مزار بالعباد) ، وإبراهيم بن علي الخياط (قبره معروف بتلمسان) ، وإبراهيم ابن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني (توفي سنة ٨٨٠) أخذ عن والده وغيره من علماء تلمسان ، وإبراهيم بن محمد بن علي اللتي التازي نزيل وهران (توفي يوم الأحد تاسع شعبان سنة ٨٦٦) أخذ بمكة والمدينة وتونس ، وإبراهيم الوجديجي التلمساني (كان شاعراً ماهراً له مولديات في مدح النبي ﷺ) ، وإبراهيم بن محمد المصمودي (توفي سنة ٨٠٤ ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان) ، وإبراهيم بن محمد بن يحيى الإدريسي التلمساني (قاضٍ عدل من قضاة الدين) ، وإبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التونسي المطماطي (توفي بتونس) ، وأبو عبد الله الشوذني المعروف بالحلوي الإشبيلي (مات رحمه الله بتلمسان وقبره خارج باب علي) له مناقب كثيرة لا تحصى ، وأبو العلاء المديوني (توفي رحمه الله في جمادى الأولى عام ٧٣٥) وقبره بالعباد الفوقي ، وأبو عبد الله الشامي أصلاً التلمساني مسكناً

وداراً (أخذ عنه محمد بن عبد الرحمن السويري وغيره) ، وبلال الحبشي (قبره بالعبادي مزار) ، وبلقاسم بن محمد الزواوي الشريف (توفي في صفر سنة ٩٢٢) ، وأبو سعيد الشريف الحسني (دفن شرق باب القرماد) ، وأبو جمعة الكواش المطفري (مدفون مع سيدي الحاج ابن عامر في باب كشوط) ، وجعفر الفقيه يُعرف بالذهبي (من فقهاء تلمسان وأعيانها) ، وجعفر ابن يحيى الأندلسي (قرأ عليه^(١) القلصادي) ولازمه إلى أن سافر ، والحسن ابن مخلوف بن مسعود بن سعد بن سعيد المزيلي الراشدي (أخذ عن الإمام إبراهيم المصمودي والإمام ابن مرزوق الحفيد والسنوسي) ، وحمزة بن المغراوي (وقيل المديوني نسباً الورنيدي مولداً وداراً) أجداده كلهم علماء وأولياء ، وحمد بن الحاج بن سعيد المنوي (توفي يوم الأربعاء عام ٩٩٨ ، ودفن في روضة سيدي أحمد بن الحاج) أخذ عن والده وغيره ، وحدادة بن محمد بن الحاج البيدري (توفي في البحر حاجاً ودفن في جربة عام ١٠٠٨) أخذ عن الشيخ علي بن يحيى وغيره ، وداود بن سليمان بن حسن (ولد سنة ٨٥٢ ومات في ربيع الأول سنة ٨٦٣ ، وزيان العطافي (أخذ عن الأستاذ محمد بن محمد بن مجبر وغيره) ، وزيان بن أحمد بن يوسف الجيزي (دفن بروضة بمصر) ، وسعيد البجاوي أصلاً التلمساني (من أكابر الأولياء) ، وسعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش (مفتي تلمسان وخطيبها بالجامع الأعظم خمساً وأربعين سنة) ، وسليمان بن الحسين البوزيدي أبو الربيع (توفي عام ٨٤٥) ، وسعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني (ولد بتلمسان سنة ٧٢٠ وتوفي سنة ٨١١) أخذ عن أبي عبد الله الإيلي وغيره ، وسليمان المدعو خدموم الشريف (نسبه من بني عد) ، وشعيب بن أحمد بن جعفر بن شعيب أبو مدين (ولد في شعبان سنة ٧٢٧ ، وكانت وفاته سنة ٧٧٥)

(١) أو قرأ هو على القلصادي .

أخذ عن ابن عبد السلام وغيره ، وشقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي (توفي سنة ٩٦٩) أخذ عن الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي ، وصالح بن محمد بن موسى بن محمد بن الشيخ بن محيي الدين الحسيني الزواوي (ولد ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة ٨٣٩) ، وظاهر بن زيان الزواوي (توفي بعد ٩٤٠) ، أخذ عن الإمام أحمد زروق ، وعبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسيني التلمساني (ولد سنة ٧٤٨ ، وتوفي غريقاً في البحر حين كان راجعاً من مالقة إلى تلمسان بلده في صفر سنة ٧٩٢) ، أخذ عنه القاضي أبو بكر بن عاصم وغيره ، وعبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم المجاصي (قبره بعين وانزوته من باب الجياد) أخذ عنه الخطيب ابن الجلد ، وعبد الله بن محمد التلمساني الشريف المدعو حم (توفي سنة ٨٦٨) ، وعبد السلام التونسي (دفن سيدي أبي مدين) ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام (توفي سنة ٧٣٤) ، وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني المشهور بابن يحيى (ولد ليلة تاسع عشر رمضان المعظم سنة ٧٥٧ ، وتوفي عند الفجر ليلة السادس أو يوم السادس والعشرين من رجب عام ٨٢٦) وأخذ عنه جماعة ، وعبد الرحمن بن محمد بن موسى (ولد في حدود ٩٦٩ ، وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ١٠١١ ، ودفن في روضة سيدي إبراهيم المصمودي) أخذ على الشيخ سيدي علي بن يحيى السلكتيني ، وعبد الله بن منصور الحوتي بن عيسى بن عثمان المغاوري (كان معاصراً لسيدي أحمد بن الحسن الغماري) ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي (شيخه سيدي أحمد بن الحاج البيدري داراً المناوي أصلاً) ، وعلي بن محمد التالولي الأنصاري (توفي في صفر سنة ٨٩٥) أقرأ أخاه محمد السنوسي في صغره « الرسالة » ، وعلي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي (آخر من ألف التأليف الكثيرة من أئمة الأندلس) ، وعلي بن

محمد بن منصور الغماري الصنهاجي التلمساني الشهير بالأشهب (توفي
 بفاس يوم الجمعة خامس رمضان سنة ٧٩١) ، وعلي بن عبد النور من أكابر
 العلماء التلمسانيين (مات بمكة المشرفة رحمه الله) ، وعلي بن السيد الشريف
 أبي يعقوب يوسف بن يحيى (توفي بتلمسان رحمه الله) ، وعلي بن منصور
 ابن علي بن عبد الله الزواوي (لا يخفى على أحد في زمانه وعصره) ، وعلي بن
 يحيى السلكسني (توفي يوم اثنين وعشرين من رجب سنة ٩٧٦) أخذ عن
 الشيخ علي أحمد بن ملوكة الندرومي وغيره . وعلي بن رحو الزكوطي (توفي
 في حدود ٩٥٠) أخذ عن سيدي أحمد بن الحاج ، وقاسم بن سعيد بن محمد
 العقباني التلمساني (توفي في ذي القعدة سنة ٨٥٤) أخذ عن والده الإمام أبي
 عثمان ، وقاسم بن عيسى بن ناجي (توفي سنة ٨٣٧) أخذ بالقيروان عن أبي
 محمد الشيباني وابن عرفة وعن كثير ، وأبو القاسم بن أحمد بن المعتد البلوي
 (وفاته بتونس سنة ٨٤٤) ، وأبو القاسم الكنباشي التلمساني (أخذ عن الإمام
 السنوسي) ، وابن المكروب (له مختصر يسمى « الكافي ») ، وكريم الدين
 البرموني الحصري (كان حياً بمكة سنة ٩٩٨) أخذ عنه الناصر اللقاني ، ومحمد
 ابن يحيى بن علي بن النجاري التلمساني (نادرة الأعصار) ، ومحمد بن
 محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني الشهير
 بالمقرئ (أخذ عنه جماعة كالإمام الشطي وابن الخطيب السلماني وابن خلدون
 وغيرهم) ، ومحمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القاسم بن حماد بن علي بن عبد
 الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن إدريس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 (ووجد بخطه الشريف الحسيني التلمساني) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن
 محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب الجدد شمس الدين (مولده بتلمسان عام
 ٧١٠) ، ومحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (توفي سنة ٨٠٣) ،
 ومحمد أبو عبد الله القاضي التلمساني المدعو حم (توفي سنة ٨٣٣) أخذ عنه

أبو زكرياء المازوني ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن
مرزوق الحفيد التلمساني (مولده ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول سنة ٧٦٦ ،
وتوفي يوم الخميس رابع عشر شعبان سنة ٨٧٢ ، ودفن يوم الجمعة بالجامع
الأعظم من تلمسان رحمه الله تعالى) ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد العبدي
التلمساني الشهير بالإبلي (وفاته سنة ٦٨١) ، ومحمد بن أحمد بن أبي يحيى
التلمساني الشهير بالحباك (توفي كما قال الونشريسي سنة ٨٦٧) ، ومحمد
ابن الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان (توفي سنة ٨٦٨) ، ومحمد بن إبراهيم
ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبي الفضل التلمساني
(توفي سنة ٨٤٥) ، ومحمد ابن النجار التلمساني (توفي عام ٨٤٦) ، ومحمد
ابن عبد الله الشريف التلمساني (توفي سنة ٨٤٧ ودفن بباب الجياد) ، ومحمد
ابن يوسف التلمساني عرف بالثغري (أخذ عن الإمام الشريف التلمساني) ،
ومحمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني
(توفي بالطاعون سنة ٨٧١ ودفن بالعباد) ، ومحمد بن أحمد بن قاسم بن
سعيد العقباني التلمساني (توفي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٧١)
أخذ عن جده قاسم ، ومحمد بن عيسى من سكان أجادير (قبره بباب العقبة)
حج خمسة وعشرين حجة ، ومحمد بن عمر بن خمسين (شاعر المئة السابعة
مات قتيلاً بغرناطة) ، ومحمد بن منصور علي بن هدية القرشي (من ولد
عقبة بن نافع الفهري) ولي قضاء بلده ومات بها ، ومحمد بن عبد الحق بن
ياسين (قبره عند باب زير داخل البلد) ، ومحمد بن عبد الله (توفي ببجاية
رحمه الله أميراً عليها ٧٥٠) وسيقت جنازته إلى تلمسان ، فدفن فيها في الزاوية
الكائنة بطريق العباد ، ومحمد بن عمر الهواري (توفي بوهران سنة ٨٤٣)
أخذ بفاس عن موسى العبدوسي وببجاية عن أحمد بن إدريس وغيره ، ومحمد
ابن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (توفي سنة ٨٧٥) ، ونقل

عنه المازوني والونشريسي ، ومحمد بن قاسم بن تومرت التلمساني (قال
 تلميذه السنوسي ما رأيت قط . نظر في كتاب إلا مرة واحدة) ، ومحمد بن
 يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (توفي في يوم الأحد ثامن عشر جمادى
 الأخير سنة ٨٩٥) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن
 مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بالكفيف (مولده يوم الثلاثاء غدوة ذي
 القعدة سنة ٨٢٤ وكانت وفاته سنة ٩٠١) ، ومحمد بن أحمد بن أبي الفضل
 ابن سعيد بن سعد وبه شهر التلمساني (توفي بالديار المصرية في رجب سنة ٩٠١) ،
 ومحمد بن عبد الرحمن التلمساني (وفاته في ذي القعدة سنة ٩١٠) ، ومحمد
 ابن أبي العيش الخزرجي التلمساني (توفي في صفر سنة ٩١١) ، ومحمد بن
 عبد الكريم بن عمر المغيلي التلمساني (توفي بتوات سنة ٩٠٩) ، ومحمد بن
 أبي البركات النابلي التلمساني أحد المشهورين بها (له نظم حسن) ، ومحمد بن
 ابن أبي مدين التلمساني (توفي في جمادى الآخرة سنة ٩١٥) وهو تلميذ الشيخ
 السنوسي ، ومحمد بن محمد بن العباس التلمساني الشهير بأبي عبد الله (كان
 حياً في حدود ٩٢٠) أخذ عن علماء تلمسان ، ومحمد بن موسى الوجديجي
 التجيبي (فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها) أخذ عن مفتي تلمسان سيدي محمد
 ابن عيسى وغيره ، ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني
 (توفي في ثامن رمضان سنة ٩٨١ ومولده سنة ٨٠٨) ، ومحمد بن شقرون
 ابن هبة الوجديجي التجيبي التلمساني (كان فقيهاً علامة) ، ومحمد بن يحيى
 المديوني المدعو أبو السادات (توفي بعد ٩٥٠) ودفن عند ضريح سيدي محمد
 ابن يوسف السنوسي) ، ومحمد بن عبد الرحمن الوهراني التلمساني (يدرس
 « الرسالة » بالجامع الأعظم بتلمسان) ، ومحمد بن العباس الصغير (توفي يوم
 الجمعة سنة ١٠١١) ، ومحمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (وصفه ابن غازي
 في كتابه بالشيخ الفقيه الصالح الزاهد ولي الله) ، ومحمد بن محمد بن موسى

الوجديجي المدعو بالصغير (توفي في الوباء سنة ٩٨١) ، ومحمد بن محمد بن يحيى السنوسي عرف بالوجديجي (أخذ عن مفتي تلمسان وعالمها محمد بن موسى الصغير ، وعن والده محمد بن يحيى السنوسي) ، ومحمد بن أحمد ابن محمد الشريف الملبتي (توفي رحمه الله وغفر له صبيحة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة ٩٨٥) ، ومحمد المعروف القلعي (من أكابر تلامذة الإمام محمد بن يوسف السنوسي) ، ومحمد بن محمد بن عيسى البطيوي نسباً التلمساني داراً (توفي في المدينة ودفن في البقيع) ، ومحمد بن عياد الكبير العمراني الراشدي الشريف (توفي سنة ٩٦٤ في الوباء) ، ومحمد بن يحيى ابن موسى المغراوي التلمساني (ثم الراشدي داراً) ، ومحمد بن أحمد بن داود العطايفي التلمساني (أخذ عن محمد بن عبد الرحمن الكفيف السوبري وغيره) ، ومحمد بن عبد الله المديوني من جبل مديونة (مات بعد ٩٦٠) ، ومحمد بن عبو الورنيدي السلاوي (توفي بعد ٩٦٠) أخذ عن أحمد أبركان وغيره ، ومحمد بن محمد بن الشرقي (توفي سنة ٩٦٤) أخذ عن محمد بن موسى الوجديجي وغيره ، ومحمد بن زايد الجادري التلمساني (توفي في حدود حدود ٩٥٠) ، ومحمد بن عزوز الديلمي (توفي بمدينة فاس) أخذ عن محمد ابن موسى الوجديجي . ومحمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري (مات سنة ٨٩٤) ، ومحمد أبو عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي أصلاً الورنيدي مولداً وداراً (توفي سنة ١٠٠٩) ، ومحمد بن محمد بن الحاج المكني بامزيان (توفي سنة ٩٦٤ في الوباء) ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن عرف بابن الرحمة (توفي ضحى يوم الثلاثاء الأحد وعشرين من شوال سنة ١٠٠١) ، ومحمد بن أحمد الكتاني المعروف بوربوع (توفي بعد ٩٨٠) ، ومحمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني (توفي في الوباء سنة ٩٨١) أخذ الفقه عن والده ، ومحمد بن عاشور بن علي بن يحيى السلكسيني الجادري التلمساني

(توفي سنة ١٠١٤) ، ومحمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الحجازي (توفي سنة ٩٥٠) ، ومحمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي (توفي سنة ٩٤٥) ، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأدغم السويدي (توفي في حدود ٩٨٠) ، ومحمد بن علي رحو الزكوطي (توفي في حدود ٩٩٠) . ومنصور بن علي بن عبد الله الزواوي أبو علي نزيل تلمسان (وكان حياً في حدود ٧٧٠) ، وميمون بن جبارة التلمساني (مات ودفن بتلمسان) ، وموسى النجار من أكابر العلماء والصالحين ومن فقهاء تلمسان المحدثين في عصره ، وموسى المشدالي من أكابر العلماء والصالحين (مشهور في جميع البلاد) ، ومحمد بن يوسف الزواوي من أكابر العلماء والأولياء بتلمسان ، ومحمد بن ... التهامي (تقضى بتونس وسكن تلمسان ومات فيها) ، ومحمد بن بلال (في بلاد تاسلامات بها وقبره مزار) ، ويوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي أبو الفضل (توفي بقلعة حماد في المحرم سنة ٥٠٣ عن ٨٠ سنة) .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ التَّنْسِي

« نيل الابتهاج »

الفقيه الجليل الحافظ الأديب المطلع من أكابر علمائها الجلَّة .

أخذ عن الأئمة أبي الفضل ابن مرزوق ، وقاسم العقباني ، وابن الإمام ، والإمام الأصولي محمد النجاري ، والولي إبراهيم التازي ، والإمام ابن العباس وغيرهم ، واشتهر علمه حتى لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال : العلم مع التنسي ، والصلاح مع السنوسي ، والرياسة مع ابن زكري والله أعلم بصحته . ووصفه ابن داود المذكور في ما رأيت بخطه : بشيخنا بقية الحفاظ ، قدوة الأدياء

العالم الجليل ابن الإمام العلامة أبي محمد اه .

وله تأليف منها «نظم الدرر والعقيان في دولة آل زيان» و «تأليف في الضبط» و «راح الأرواح» ، وسمعت له تعليقا على فرعي ابن الحاجب ، وجواب مطول عن مسألة يهود توات (١) أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق ، وأثنى عليه عصره الإمام السنوسي غاية ، فمما قال : لقد وفق لإجابة المقصد ، وبذل وسعه في تحقيق الحق ، وشفى غليل أهل الإيمان في المسألة ، ولم يبال لقوة إيمانه ونصوح إيقانه بما يشير إليه الوهم الشيطاني ، الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبو عبد الله التنسي جزاه الله خيراً ، قد أمد لإبانة الحق ، ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلاً وفهماً ، وبالغ فأبدي من نور إيمانه الماحي ظلمة الكفر أعظم قبس اه ملخصاً .

أخذ عنه جماعة كالعلامة أبي عبد الله بن سعد ، والخطيب ابن مرزوق السبط ، وابن العباس الصغير قال : لازمت مجلس الفقيه العلم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام ، وحضرت إقراءه تفسيراً وحديثاً وفقهاً وعربية وغيرها . اه ، وعن الشيخ أبي القاسم الزواوي وعبد الله بن جلال ، وغيرهم . قال الونشريسي في «وفياته» : توفي الفقيه الحافظ التاريخي الأديب الشاعر أبو عبد الله التنسي في جمادى الأولى سنة ٨٩٩ هـ ، ونقل عنه في «المعيار» عدة من فتاويه .

(١) هي مسألة كبرى تضاربت لأجلها أفكار الأبطال ، وتصادمت فيها أنظار الفحول ، وكل ما قبل في حكمها سؤالاً وجواباً مسطور في «معيار الونشريسي» . وكانت العاقبة على اليهود ثم على سيدي عبد الكريم المغيلي المترجم في هذا القسم .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْفَكُونِ

« جذوة الاقتباس »^(١)

الشيخ الفقيه المشارك العلامة الفهامة سيدي محمد ابن العلامة الفهامة الناسك الخاشع ، الجامع بين علمي الظاهر والباطن ، سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون ، هكذا وصفه أبو سالم في « رحلته » ثم قال فيه :
ومن لقيته بطرابلس الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن رضي الله عنه ونفعنا به قدمها حاجاً ، وهو أمير ركب الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي ، على نهج أبيه وعادته محافظاً على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار ، فأحبه القلوب ومالت إليه النفوس ، ولم يطلع أميراً إلا في هذه السنة ، وقبل ذلك إنما كان يطلع بالركب والده رضي الله عنه ، فلما توفي قام ولده هذا مقامه أعانه الله وسدده ، وكانت وفاته رضي الله عنه عشية الخميس ٢٤ ذي الحجة سنة ١٠٧٣ شهيداً بالطاعون ، وكانت لنا به رضي الله عنه وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح ، لما حججنا معه في سنة ٦٤ ، وقال رضي الله عنه لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك أهل خدمته : إني أقول لك كما قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه : لك من الناس الحرمة ، وعليك ما علينا من الرحمة ، وكان رضي الله عنه في غاية الانقباض والاتزواء عن الخلق ، ومجانبة علوم أهل الرسوم بعد ما كان إماماً يقتدى به فيها ، وله فيها تأليف كثيرة ، شهد له فيها بالتقدم أهل عصره ، وألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب ، والتردد إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن ، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قرأناها لله وتركناها لله ، وقنعت منه رضي الله عنه بالكلمة التي قالها لي لما علمت حاله

(١) في الأصل بقلم الرصاص ما نصه : بل من نشر المثاني .

وخشيت أن أثقل عليه وأكلفه بما لا تطيب به نفسه ، فإنه رضي الله عنه من أهل القلوب .

ومروياته رضي الله عنه مستوفاة في « فهرسة » شيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي فنحن نروي عنه جميعها بواسطة ، فلما لقيت ولده هذا تقربت له ، وانتسبت إليه بمعرفة والده ، فوجدت عنده بعض علم بي ، وقال لي : أنت الذي وصل إلى الوالد كتابك المبعوث من وادي أم ربيع قبل موته بسنة ؟ فقلت : نعم ، ورحب بي وبش وهش وأنس ، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده ، بعضها بخطه رضي الله عنه ، فأعارها لي مدة إقامته هناك ، ولم تطل إقامته فمنا « شرحه على أرجوزة المكودي » في التصريف ، وهو مجلد أجاد فيه غاية الإفادة ، وأحسن كل الإحسان ، وأعطى النقل والبحث فيه حقهما ، ولم يهمل شيئاً مما يقتضيه لفظ المشروح ومعناه إلا تكلم عليه وأجاد كما هو شأنه ، وأول خطبته : الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال ، وأوضح بيان افتقارها إليه بتغير حالاتها من حركة وصحة وإعلال ونوع وإشكال ، وعين وجودها إلى ضمّ الانظام إليه وكسر الانكسار لديه ، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال اه .

ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه هذا المطلع من براعة الافتتاح ، ولطيف الإشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف ، وقد فرغ من تأليفه أوائل صفر عام ١٠٤٨ ، وشرح صاحب الترجمة هذا أوسع نقلاً وأكثر بحثاً وأتم تحريراً من شرح العلامة سيدي محمد المرابط الدلائي ، ولا أدري أيهما سبق إلى شرحه ، ومن تأليفه « ديوان في مدح النبي ﷺ » وجزء في تحريم الدخان سماه « محدد السنان في نحور إخوان الدخان » ، وهو في عدة كراريس مشتمل على أجوبة عدة من الأئمة ، ثم قال في « الرحلة » المذكورة : وقد كثر خوض المتأخرين من علماء هذا القرن في أمر هذا الدخان بين مبيح ومحرم ، والأكثر على التحريم ، منهم علامة زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني ، وشيخنا المحقق

الشيخ سالم السنهوري ، ومن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري ، انظر تمامه فقد أطل في الرد على من أباحه وأجاد .

قلت : والشيخ علي الأجهوري رجع عن تأليفه المذكور في إباحة الدخان إلى تحريره ، حدثنا شيخنا العلامة الثبت الضابط الحجّة سيدي محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري ، عن الشيخ العالم الضابط الثبت الحجّة سيدي أبي بكر ابن محمد الدلائي ، عن الشيخ محمد التركي أحد كبار تلامذة الشيخ الأجهوري المذكور أن الشيخ الأجهوري المذكور رجع عن القول بحلية « طابة » إلى القول بتحرّمها . حدثنا بذلك شيخنا السرغيني المذكور ، وحدثنا شيخنا المذكور ، عن شيخه السيد الخير الثقة سيدي العافية عن أخيه العلامة الأنور العالم المحقق الأشهر سيدي محمد بن عبد الرحمن الصومعي التادلي أنه لما حج ودخل مصر ، لقي بها الشيخ محمد الخرشي شارح « مختصر خليل » ، وسُئل بحضرته عن « طابة » فقال للسائل : دعنا من الخبائث . حدثنا بذلك شيخنا بالسّندين المذكورين إلى الشيخين المذكورين مراراً وأذن لنا في التحديث عنه بذلك ، وقد وقع خبط كثير من ظهور هذه العشة إلى الآن . ولم يزل الخلاف في ذلك بين المتأخرين ، ولم يقع كلام فيها في القديم لحديث ظهورها ، والذي ندين الله به هو المنع ، وكفى دليلاً لمنعها كونها تغيب الحواس ، سألنا عن ذلك حتى تحقّقناه ممن نراه يتعاطاها ، والشيخ العافية وأخوه الشيخ محمد المذكوران في السند كلاهما من أعيان العلماء لمن تحقّق ضبطه وثقته اهـ .

وفي « الصفوة » : محمد بن عبد الكريم البكّون بفتح الباء^(١) وضم الكاف المشددة القسطنطيني من العلماء المنتفعين بعلمهم ، حصل طرفاً من الفنون ودرس فيها مرة ، ثم ألقى الله في قلبه تركها ، والعكوف على حضرته بالقلب ،

(١) لعل الناسخ قطع رأس الفاء فصارت باء .

وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قرأناها لله وتركناها لله . وكان
 رحمه الله في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ، وله تأليف منها : « شرح
 نظم الشيخ المكودي » في علم التصريف ، وهو في غاية الاتقان معنى وإعراباً ،
 وأول خطبته : الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال ،
 وأوضح بيان افتقارها إليه بتغيير حالاتها من حركة وصحة واعتلال ونوع
 إشكال ، عيّن وجودها إلى ضم الانظام إليه ، وكسر الانكسار لديه ، وفتح
 الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال ، ولا يخفى عليك حُسن هذا المطلع ،
 ولطف مترعه ، وله أيضاً « محدد السنان في نحور إخوان الدخان » كراريس
 اشتمل على أدلة عقلية ونقلية على الجزم بتحريمه ، وقال منها : إن الدخان تنفر
 منه طبائع الحيوان البهيمي كالنحل ، فكيف بأعقل الحيوانات ، قال : وقد
 ورد علينا جراد عام أربع وخمسين سد الآفاق كثرة ، وكسا السهل والجبال
 حتى كان قنطرة على الوادي يعبر الناس عليها ، وتغير منه ماء الوادي ما يزيد
 على شهر ، وصار كالقطران ففقو الماء وعلا ، ولم يندفع إلا بالدخان ، وله « شرح
 على شواهد الشريف على « الآجرومية » والترم عقب كل شاهد ذكر حديث
 مناسب له ، و« شرح الجمل للمجرادي » وكتاب في « حوادث فقراء الوقت »
 وغير ذلك ، وقد ذكره في « نفع الطيب » واثني عليه ، أخذ عن والده عن
 سيدي عمار الوزان القسنطيني ، وتوفي عام ثلاث وسبعين وألف اه .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ

المغربي التلمساني التواتي

« نيل الابتهاج »

خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني ، أحد الأذكياء ، ممن له بسطة في الفهم والتقدم ، متمكن المحبة في السنة وبغض أعدائها ، وقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات ، وألزمهم الدل بل قَلَّتْهُمْ^(١) وهدم كنائسهم ، ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله العصوني قاضي توات ، وراسله في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان ، فكتب في ذلك الحافظ التنسي كتابه مطولة كما تقدم بصواب رأي صاحب الترجمة ، وواقفه عليه الإمام السنوسي ، فمما كتب السنوسي له : من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية ، والغيرة الإسلامية ، وعمارة القلب بالإيمان ، السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغربي حفظ الله حياته ، وبارك في دينه ودنياه ، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه ، بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود أذلم الله كنيسة في بلاد الإسلام ، وحرصكم على هدمها ، وتوقف أهل تنظيطة فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء ، فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه ، فلم أر من وُفِّق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة ، ولم يلتفت لقوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني

(١) اهلكهم .

من مداهنة من يتقي شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق علم الأعلام أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ، أمتع الله به إلى آخر كلامه المتقدم بعضه ، ومن أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس ، وأبو مهدي الماوسي مفتي فاس ، وابن زكري مفتي تلمسان ، والقاضي أبو زكريا يحيى ابن أبي البركات الغماري ، وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان ، وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات ، أمر صاحب الترجمة جماعته فلبسوا آلات الحرب ، وقصدوا كنائسهم وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها ، ولم يتناطح فيها عنزان ، ثم قال لهم : من قتل يهودياً فله علي سبع مثاقيل ، وجرى في ذلك أمور فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي ﷺ ودم اليهود ومن ينصر اليهود ، ثم دخل بلاد أهر ، ودخل بلاد تكده ، واجتمع بصاحبها ، وأقرأ أهلها وانتفعوا به ، ثم دخل بلاد كنو وكشن من بلاد السودان ، واجتمع بصاحب كنو ، واستفاد عليه ، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على اتباع الشرع ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده ، ثم رحل لبلاد التكرور ، فوصل إلى بلدة كاغو ، واجتمع بسطانها ساسكي محمد الحاج ، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف وألف له تأليفاً أجابه فيه عن مسائل ، وبلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود ، فانزعج لذلك وطلب من السلطان قبض أهل توات الذين بكأغو حينئذ ، فقبض عليهم وأنكر عليه ذلك سيدنا أبو المحاسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئاً ، فرجع عن ذلك وأمر بإطلاقهم ، ورحل لتوات فأدركته المنية بها ، فتوفي هناك سنة تسع وتسع مئة (٩٠٩) ، ويقال : إن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقبره فبال عليه ، فعمي مكانه ، وكان رحمه الله مقداماً على الأمور جسوراً جري القلب ، فصيح اللسان ، محباً في السنة ، جدلياً نظاراً محققاً .

له تأليف منها : « البدر المنير في علوم التفسير » و « مصباح الأرواح في
 في أصول الفلاح » كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي
 فقرظاه ، وشرح « مختصر خليل » مزجاً سماه « مغني النبيل » اختصر فيه جداً ،
 وصل فيه : القسم بين الزوجات ، وله عليه قطع آخر من البيوعات وغيرها ،
 بل قيل : إنه شرح ثلاثة أرباع المختصر ، وحاشية سماها « إكليل المغني »
 وقفت منها إلى التيمم ، و « شرح بيوع الآجال » من ابن الحاجب فبحث فيه مع
 ابن عبد السلام و خليل ، وتأليف في « المنهيات » ومختصر « تلخيص المفتاح »
 وشرحه و « مفتاح النظر » في علم الحديث ، فيه أبحاث مع النووي في تقريبه ،
 و « شرح الجمل » في المنطق ، ومقدمة فيه ، ومنظومة فيه سماها « فتح الوهاب »
 و « ثلاثة شروح عليها » وقد شرحها والذي بشرح حسن ، استوفى فيه ، وله أيضاً
 « تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين » و « شرح خطبة
 المختصر » و « مقدمة في العربية » وكتاب « الفتح المبين » و « فهرسة مروياته »
 وعدة قصائد كالميمية على وزن البردة ، ورواها في مدحه صلى الله عليه وسلم .

أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي ، والشيخ يحيى بن يدبر ، وغيرهما .
 وأخذ عنه جماعة كالفقيه أيد أحمد ، والشيخ العاقب الانصني ، ومحمد بن
 عبد الجبار الفجيجي ، وغيرهم ، ووقع له مراسلة مع الجلال السيوطي في علم
 المنطق ، فمما كتب للسيوطي فيه قوله :

سمعتُ بأمرٍ ما سمعتُ بِمِثْلِهِ • وكلُّ حديثٍ حكمُهُ حكمُ أصلِهِ
 أَيْمَكْنُ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ • وَيُنْهَى عَنِ الْفِرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ
 هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَعْنَى إِلَّا عِبَارَةٌ • عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ
 مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَهَلْ تَسْرَى • دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لِشَكْلِهِ
 أَرِنْسِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةٌ • عَلَى غَيْرِ هَذَا تَنْفِيهَا عَنْ مَحَلِّهِ

وَدَعَّ عَنْكَ اِبْدَاهُ كُفُورٍ وَذَمُّهُ * رَجَالٌ وَإِنْ أَثْبَتَ صِحَّةَ نَقْلِهِ
 خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كُفُورٍ وَلَا تَقُمْ * دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ
 عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ لَا الْعَكْسِ فَاسْتَبِينَ * بِهِ لَا بِهِمْ إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجْلِهِ
 لَئِنْ صَحَّ عَنْهُمْ مَا ذَكَرْتَ فَكَمْ هُمْ * وَكَمْ عَالَمٌ بِالشَّرْعِ بَاحٌ بِفَضْلِهِ

في أبيات تركتها ، فأجابه السيوطي بقوله :

حَمَدْتُ إِلهَ الْعَرْشِ شُكْرًا لِفَضْلِهِ * وَأَهْدِي صَلَاةً لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِهِ
 عَجِبْتُ لِنَظْمٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ * أَتَانِي عَنْ حَبْرٍ أَقْرَبُ بِنْيَلِهِ
 تَعَجَّبَ مِنِّي حِينَ أَلْفَتْ مُبْدِعًا * كِتَابًا جَمُوعًا فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ
 أَقْرَرُ فِيهِ النَّهْيَ عَنْ عِلْمٍ مَنْطِقِي * وَمَا قَالَهُ الْأَعْلَامُ مِنْ ذَمِّ شَكْلِهِ
 وَسَمَّاهُ بِالْفُرْقَانِ يَا لَيْتَ لَمْ يَقُلْ * فَذَا وَصَفُ قُرْآنٍ كَرِيمٍ لِفَضْلِهِ
 وَقَالَ بِهِ فِيمَا يَقْرُرُ رَأْيَهُ * مَقَالًا عَجِيبًا نَائِيًا عَنْ مَحَلِّهِ
 وَدَعَّ عَنْكَ اِبْدَاهُ كُفُورٍ وَبَعْدَ ذَا * خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كُفُورٍ بِخِثْلِهِ
 وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ حَوَى * عُلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لِأَجْلِهِ
 يُعَزِّزُ بِهِ عِلْمًا لَدَيْهِ وَإِنِّي * يَعَذِّبُ تَعْذِيبًا يَلِيقُ بِفَعْلِهِ
 وَقَدْ مَنَعَ الْمُخْتَارُ فَارُوقَ صَخْبَهُ * وَقَدْ خَطَّ لَوْحًا بَعْدَ تَوْرَاةِ أَهْلِهِ
 وَقَدْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَاعِ لِكَافِرٍ * وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ حَقًّا بِأَصْلِهِ
 أَقَمْتُ دَلِيلًا بِالْحَدِيثِ وَلَمْ أَقُمْ * دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ
 سَلَامٌ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَكُهُ * لَدَيَّ ثَنَاءٌ وَاعْتِرَافٌ بِفَضْلِهِ

مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْهُوَارِي

« نيل الابتهاج »

الشيخ الولي الصالح العارف بالله القطب أبو عبد الله ، كان كثير السياحة شرقاً وغرباً براً وبحراً .

أخذ بفاس عن موسى العبدوسي ، والقباب ، وبيجاية عن شيخه أحمد ابن إدريس ، وعبد الرحمن الواغليسي ، وكان يثني على أهل بجاية كثيراً لمحببتهم الغرباء والفقراء ومحافظتهم في معاملاتهم على الحلال ، وسافر من فاس للشرق للحج ، فدخل مصر فلقني بها الحافظ العراقي وغيره ، وأخذ عنهم وجاور مدة بالحرم الشريف بين مكة والمدينة ، ثم سافر للقدس وجال ببلاد الشام ، وكان في جامع بني أمية . يأوي في سياحته لغيضة ملتفة ، فتأوي إليه السباع والوحوش العادية ، ثم استقر أخيراً بوهران مثابراً على العلم والعمل والصدق في الأحوال ، وانتفع به جمع ، وعند قرب أجله كان أكثر كلامه في مجالسه في التبشير بسعة رحمة الله وعفوه ، قال بعضهم : وكان مقطوعاً بولايته وعنه أخذ الإمام إبراهيم التازي كما تقدم في ترجمته ، وهو صاحب « التنبيه » المتقدم ، قال الشيخ أبو عبد الله بن الأزرق : ووقفت لبعض العصريين أن الشيخ الولي الشهير الهواري نزيل وهران لما ألف « السهو » الذي عمل عليه « التنبيه » أخذه الفقيه أبو زيد عبد الرحمن المغراوي المقلashi فوزن فيه أشياء ، وأعرب فيه أشياء ، فأتى به الشيخ ، وقال له : يا سيدي إني أصلحت سهوك ، فقال له الشيخ : هذا السهو يقال له : سهو المقلashi وأما سهوي فهو (١) .

الفقراء إنما ينظرون فيه إلى المعنى ، ومن أين العربية والوزن لمحمد الهواري

(١) بياض بالأصل .

بل سهوي يبقى على ما هو عليه اه .

قال ابن الأزرقي : وفي مراعاة هذا المعنى على الجملة أنشد غير واحد :
وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى * وما ضرَّ ذا تقوى لسانٌ مُعْجَمٌ
وذكر أبو عبد الله الملاي أن شيخه أبا الحسن التالولي كان كثير المطالعة
لكتاب « السهو والتنبيه » للهوراري كل يوم ، ورأيت بخطه ما نصه : ضمن
مؤلفه رحمه الله لكل من قرأ سهوه ، واعتنى به أن لا يجوع ولا يعرى ولا
يعطش ، وأنه ضامنه في الدنيا والآخرة ، كذا نص عليه في « التنبيه » الذي
جعله في فضل السهو ، وسمعناه من سيدي إبراهيم التازي ، ورأيناه يخطم
السهو بالنظر في كل يوم للتبرك غير مرة اه .

وذكر أيضاً أن هذا السهو جعله المؤلف للأولاد ، ولم يتعرض لوزن
شعر ولا عربية ، فإياك والاعتراض ، تأمل واقرأ تنتفع ، كذا سمعناه من
سيدي إبراهيم التازي اه وقال بعضهم كان الشيخ آية الله في فنونه ومكاشفاته ،
ومن كراماته أن بعض العرب ومفسديهم أخذ مال بعض أصحابه ، فبعث فيه
الشيخ إليه فأخذ رسوله فقيده ، وحبسه حين أغلظ القول ، فبلغ الخبر الشيخ
فقام من مجلسه ، وقد اسودَّ وجهه لشدة غضبه ، قال سيدي إبراهيم التازي : فلما
دخل خلوته سمعته يقول : مفرطخ مفرطخ يكرره مراراً ففي الوقت قام الظالم
يلعب بخيله في بعض عرسهم ، فلما حرك خيله والناس ينظرون فإذا رجل
أبيض الثياب أخذه على فرسه ، وضرب به الأرض أسرع من طرفة عين ،
فإذا هو ميت بلا روح مفرطخ ، دخل رأسه في جوفه من شدة ضربه منكساً ،
فأطلقت أمه رسول الشيخ ، وقالت لولدها الميت : حذرتك دعوة الشيخ
وشوكته ، فأبيت فلا حيلة لي فيك اليوم اه .

وتوفي بوهران سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة (٨٤٣) وقد استوفى كراماته

مع صاحبه إبراهيم التازي ، والحسن أبركان ، وأحمد بن الحسن المغراوي
الشيخ ابن سعد في « روضة النسرین في مناقب الأربعة الصالحین » فليُنظر
فيها .

مُحَمَّدُ بْنُ الْمَسْبُوحِ الْقَسَنْطِينِي
(من خط الشيخ أحمدان الونيسي القسطنطيني)

أبو عبد الله الشيخ العلامة الجليل الأديب الواعظ الخطيب قاضي السادة
الحنفية ببلد قسنطينة .

كان رحمه الله أديباً بليغاً عارفاً بالعربية واللغة والحديث مطّلعاً على علله ،
مشاركاً في فنون من العلم جليّة ، خطيباً مصقّقاً فارس المنابر ، رقيق القلب كثير
الخشوع ، له باع مديد في صناعة الخطابة والإنشاء ، ذو صوت حسن فائق ،
وتذكير مؤثر رائق ، إذا وعظ، لَبَّن القلوب ، وأزال الكروب ، ولم يكن في
زمانه وبعده مثله .

أخذ عن الشيخ عبد القادر الراشدي ، وشيخ الإسلام أبي الحسن الونيسي
والإمام الحفصي وغيرهم ، وكان مالكي المذهب فحوّله عثمان باي إلى
المذهب الحنفي ، وولاه الخطابة بجامع سوق الغزل ، وبه كان يصلي الأمير ،
وولي قضاء الحنفية بقسنطينة مراراً ، وتوفي رحمه الله عام ١٢٤٢ .

مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْمَلِيكِي
في « نيل الابتهاج »

محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم ، عُرف بابن عمر المليكشي
البجاني ، ثم التونسي الجزائري ، كذا بخطه نسبة إلى جزائر إفريقية لا
إلى بلد الجزيرة ، لأن النسب إليها جزيري .

قال الحضرمي في « مشيخته » كان صدرأ في الطلبة والكتاب ، فقيهاً كاتباً أديباً حاجاً راوية متصوفاً فاضلاً ، صاحب خطة الإنشاء بتونس شهيراً ، ذا تواضع وإيثار وقبول حسن ، رحل وحج ، وروى عن جماعة بالحجاز ومصر والاسكندرية كالرضي الطبري ، سمع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن طراد قاضي المدينة وخطيبها ، وأبي محمد الدلاصي ، والنجم الطبري وغيرهم ، وله شعر رائق ونثر فائق ، وكتابة بليغة ، وتآليف مستظرفة ، توفي بتونس غرة المحرم فاتح أربعين وسبع مئة (٧٤٠) اهـ ملخصاً ، وقد ذكره خالد في « رحلته » فأثنى عليه فانظره اهـ .

وعرفه في « نفع الطيب » بقوله : أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي كاتب الخلافة ، ومشعشع الأدب الذي يزري بالسلافة ، كان بطل مجال ، وربّ روية وارتهال ، قدم على هذه البلاد وقد نبا به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عطنه ، فتلّوم به تلّوم النسيم بين الخمائل ، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ، ولبت مدة إقامته تحت جراية واسعة ، وميرة يانعة ، ثم آثر قطره فولّى وجهه شطره ، واستقبله دهره بالإنابة ، وقلّده خطة الكتابة ، فاستقامت حاله ، وحطّت رحاله ، وله شعر أنيق ، وتصوف وتحقيق ، ورحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق ، ونسبها في الصالحات عريق ، ومن شعره قوله :

رضي نلت ما ترضين من كل ما يهوى * فلا توقيني موقف الذلّ والشكوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه * كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
ففي أتشكى لوعة البين ساعة * ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى

قفي ساعة في عرصة الدَّارِ وانظري • إلى عاشقٍ ما يستفيقُ مِنَ البُلُوَى
 وكم قد سألتُ الرِّيحَ شوقاً إِلَيْكُمْ • فما حنَّ مسراها عليَّ ولا أَلَوَى
 فيا رِيحُ حتَّى أنتِ مِمَّنْ يغارُ بي • ويانجدُ حتَّى أنتِ تهوى الذي أهوى
 خلقتُ ولي قلبٌ جليدٌ على النَّوى • ولكنَّ على فِقدِ الأُحْبَةِ لا يَقْوَى

وحدَّث بعض من عني بأخباره ، أيام مقامه بمالقة واستقراره ، أنه لقي
 بباب الملعب من أبوابها ظبية من ظبيات الأنس ، وقينة من قينات هذا الجنس ،
 فخطب وصالها ، واتقى بفؤاده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت
 انعطاف الغصن المياد ، فأبقى على نفسه وأمسك ، وأنف من خلع العذار بعد
 ما تنسك ، وقال :

لَمْ أَنَسَ وَقَفْتَنَا بِيَابِ الْمَلْعَبِ • بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَأْسِ مِنْ مِتْجَنِّبِ
 وَعَدْتُ فَكُنْتُ مَرَاقِباً لِحَدِيثِهَا • يَا ذَلَّ وَقَفَةَ خَائِفٍ مُتْرَقِّبِ
 وَتَدَلَّلْتُ فَذَلَّلْتُ بَعْدَ تَعَزُّزِ • يَأْتِي الْغَرَامُ بِكُلِّ أَمْرٍ مُعْجَبِ
 بِلَوِيَّةِ أَبَدِي الْجَمَالِ بُوْجْهَهَا • مَا شَتَّ مِنْ خَدِّ شَرِيقِ مُذْهَبِ
 تَدُنُو وَتَبْعُدُ نَفْرَةً وَتَجَنَّبَا • فَتَكَادُ نَحْسِبُهَا مَهَاةَ الرَّبْرِ
 وَرَنْتُ بِلِحْظِ فَاتِنٍ لَكَ فَاتِرِ • أَنْضَى وَأَمْضَى مِنْ حَسَامِ الْمَضْرِبِ
 وَأَرْتِكَ بَابِلَ سَحْرَهَا بِجُفُونِهَا • فَسَبَتْ وَحُقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ تَسْتَبِي
 وَتَضَاحَكْتَ فَحَكَّتْ بِنِيرِ ثَغْرِهَا • لِمَعَانَ نَوْرِ ضِيَاءِ بَرْقِ خُلَّبِ
 بِمَنْظَمٍ فِي عَقْدِ سَمَطِي جَوْهَرِ • عَنْ شِبْهِ نَوْرِ الْأَقْحَوَانِ الْأَشْنَبِ
 وَتَمَايَلْتُ كَالْغُصْنِ أَخْضَلَهُ النَّدَى • رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ مُخْصَبِ

تشنيه أرواحُ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا • قَرَاهُ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبِ
 أبت الروادفُ أنْ تَمِيلَ بِمِيلِهِ • فَرَسَتْ وَجَالَ كَأَنَّهُ فِي لَوْلَسِ

متوجّاهً بهلالٍ وجهٍ لاحٍ في * حلل السحابٍ لحاجبٍ ومُحجّبٍ
يا مَنْ رأى فيها مُحبّاً مُفرماً * لم ينقلبٍ إلا بقلبٍ قلبٍ
ما زال مُذْ ولى يُحاولُ حيلةً * تُدنيه من نيلِ المنى والمطلبِ
فأجال نارَ الفكرِ حتى أوقدت * في القلبِ نارَ تشوقٍ وتلهّبِ
فتلاقتِ الأرواحُ قبل جُسومِها * وكذا البسيطُ يكونُ قبلَ مُركّبِ

وقال :

أرى لك يا قلبي بقلبي محبةً * بعثتُ بها سِرِّي إليك رسُولا
فقابلهُ بالبُشرى وأقبلُ عشيةً * فقد هبَّ مسكِي النَّسيمِ عليلا
ولا تعتذرُ بالقطرِ أو بللِ الندى * فأحسنُ ما يأتي النَّسيمُ بليلا

توفي عام ٧٤٠ بتونس رحمه الله تعالى اه من « نفع الطيب » للمقرّي ،
والمقرّي نقله من « الإكليل الزاهر فيما فضل من نظم التاج من الجواهر » للشيخ
لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب القرطبي المتوفى سنة ٧٢٦^(١) كما
في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » .

مُحمَّدُ السَّنوسِي التَّوحيدي

« نيل الابتهاج »

محمدُ بنُ يوسف بنِ عمر بنِ شعيب ، اشتهر بالسَّنوسِي نسبةً لقبيلةٍ بالمغرب ،
الحسني نسبةً للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه .

قاله تلميذه الملاي في تأليفه التلمساني : عالمها وصالحها وزاهدها وكبير
علمائها الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع
أبو يعقوب يوسف ، نشأ خيراً مباركاً فاضلاً صالحاً ، أخذ كما قاله تلميذه
الملاي عن جماعة منهم والده المذكور ، والشيخ العلامة نصر الزواوي ، والعلامة

(١) في « نيل الابتهاج » توفي سنة ٧٧٦ هـ .

محمد بن تومرت (١) ، والسيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس ابن محمد الشريف الحسيني ، أخذ عنه القراءات ، وعن العالم المعدل أبي عبد الله الحباك علم الاسطرلاب ، وعن الإمام محمد بن العباس الأصول والمنطق ، وعن الفقيه الجلاب الفقه ، وعن الولي الكبير الصالح الحسن أركان الراشدي ، حضر عنده كثيراً وانتفع به وببركته ، وكان يحبه ويؤثره ويدعو له ، فحقق الله فيه فراسته ودعوته ، وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوتي أخيه لأمه « الرسالة » ، وعن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكناشي « إرشاد أبي المعالي » والتوحيد ، وعن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه « الصحيحين » وغيرهما من كتب الحديث ، وأجازه ما يجوز له وعنه ، وعن الإمام العالم العلامة الولي الزاهد الناصح إبراهيم التازي ألبسه الخرقة ، وحدثه بها عن شيوخه ، وبصق في فمه ، وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات وغيرها ، وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب ، وأجازه جميع ما يرويه وغيرهم .

وكان آية في علمه وهدية وصلاحه وسيرته وزهده وورعه وتوقيه ، جمع تلميذه الملاي في أحواله وسيره وفوائده تأليفاً كبيراً في نحو سبعة عشر كراساً من القالب الكبير سماه « المواهب القدسية في المناقب السنوسية » واختصرته في جزء نحو ثلاثة كراريس ، فلنذكر هنا طرفاً من ذلك قال : له في العلوم الظاهرة أوفر نصيب ، جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب ، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه انه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول ، شارك غيره فيها وانفرد بعلوم الباطن ، بل زاد على الفقهاء مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد ، لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة . سمعته يقول : ليس علم من علوم الظاهر يورث

(١) غير ابن تومرت مهدي الموحدين .

معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد ، وبه يفتح في فهم العلوم كلها ، وعلى قدر معرفته يزداد الخوف منه تعالى اه وانفرد بمعرفته إلى الغاية ، وعقائده كافية فيه خصوصاً الصغرى لا يعادها شيء من العقائد ، كما أشار إليه وسمعتة يقول : العالم حقاً من يستشكل الواضح ، ويوضح المشكل ، لسعة فهمه وعلمه وتحقيقه ، فهو الذي يحضر مجلسه وتستمع فوائده اه . وبموته فقد من يتصف بها وإن كان العلماء الحافظون موجودين ، لكن المراد العلم النافع المتصف صاحبه بالخشية ، فهو في علوم الباطن قطب رحاها وشمس ضحاها ، قد غاب بكلامه فيها في غيب الله تعالى ، واطلع على معادن أسرارها ومطالع أنواره ، يؤثر حب مولاه ويراقبه ، لا يأنس بأحد بل يفر كثيراً إلى الخلوات ، يطيل الفكرة في معرفته فانكشفت له عجائب الأسرار ، وتجلت له الأبصار ، فصار من وارثي الأنبياء جامعاً بين الحقيقة والشريعة على أكمل وجه ، له لطائف الأحوال وصالح الأقوال والأفعال ، باطنه حقائق التوحيد ، وظاهره زهد وتجريد ، وكلامه هداية لكل مرید ، كثير الخوف طويل الحزن ، يسمع لصدره أنين من شدة خوفه ، مستغرقاً في الذكر فلا يشعر بمن معه ، مع تواضع وحسن خلق ورقة قلب ، رحيماً متبسماً في وجه من لقيه ، مع إقبال وحسن كلام ، يتراحم الأطفال على تقبيل أطرافه ليئناً هيئناً حتى في مشيه ، ما ترى أحسن خلقاً ولا أوسع صدرأ وأكرم نفساً وأعطف قلباً وأحفظ عهداً منه ، يوقر الكبير ويقف مع الصغير ، ويتواضع للضعفاء ، معظماً جانب النبوة ، غاية لا يعارضه أحد إلا أجمه ، جمع له العلم والعمل والولاية إلى النهاية ، مع شفقتة على الخلق وقضاء حوائجهم عند السلطان ، والصبر على أذيتهم ، وضع له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزهاده ، ارتحل الناس إليه وتبركوا به ، وسمعتة آخر عمره يقول : من الغرائب في زماننا هذا أن يوجد عالم جمع له علم الظاهر والباطن على أكمل وجه بحيث ينتفع به في العلمين ، فوجود

مثله في غاية الندور ، فمن وجدته ، فقد وجد كثيراً عظيماً دنياً وأخرى ، فليشدَّ عليه يده لئلا يضيع عن قرب ، فلا يجد مثله شرقاً وغرباً أبداً اهـ . وكأنه أشار به لنفسه ، فلم يلبث بعده حتى خُطف ، فكأنه كاشفنا بذلك ، ولا شك أنه لا يوجد مثله أبداً ، وأما زهده وإعراضه عن الدنيا فمعلوم ضرورة عند الكافة ، بعث إليه السلطان في أخذ شيء من غلات مدرسة الحسن أبركان ، فامتنع فألحوا عليه ، فكتب في الاعتذار كتابة مطولة ، فقبل منه ، وسمعته يقول :
الولي الحقيقي من لو كشف له على الجنة وحوورها ما التفت إليها ولا ركن لغيره تعالى ، فهذه حقيقة العارف اهـ فهذا حاله .

وأما وعظه ، فكان يقرع الأسماع ، وتقشعر منه الجلود ، كل من حضره يقول : معي يتكلم وإياي ، يعني جلّه في الخوف والمراقبة وأحوال الآخرة ، لا تخلو مجالسه منه مع حلاوة له لا توجد في كلام غيره ، يعظ كل أحد بحسب حاله ، ما رأيت قط إلا وشفته متحركتان بالذكر ، وربما يكلمه إنسان وأسمعه يذكر الله تعالى ، وتسمع لقلبه أنيناً من شدة خوفه ومراقبته على الدوام ، سمعته يقول : الحقيقة امثال الأمر واجتناب النهي مع كمال الذلة والخضوع اهـ .

كان أورع زمانه ، يبغض الاجتماع بأهل الدنيا والنظر إليهم وقربهم ، خرجنا معه يوماً إلى صحراء فرأى على بعد ناساً راكبين على خيول مع ثياب فاخرة ، فقال : من هؤلاء ؟ قلنا : خواصُّ السلطان ، فتعوذ بالله ورجع لطريق آخر ، ولقيهم مرة أخرى وما تمكن من الرجوع ، فجعل وجهه للحائط وغطاه حتى جازوا ولم يروه ، ولما وصل في تفسيره سورة الإخلاص ، وعزم على قراءتها يوماً ، والمعوذتين يوماً سمع به الوزير وأراد حضور الختم ، فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوماً واحداً خيفة حضوره عنده ، وطلبه السلطان أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته على عادة المفسرين ، فامتنع فألحوا عليه ، فكتب إليه معتذراً بغلبة الحياء له ، ولا يقدر على التكلم هناك ، فأيسوا منه ،

وإذا سمع بوليمة أحد من أبناء الدنيا تخلف يومه على الحضور خيفة أن يدعى فلا يظهر بالكلية حتى تمر أيام الوليمة ، وربما تخلف قبله أياماً ، ولا يقبل عطية السلطان ومن لاذ به ، وربما تأتي لداره وهو غائب فإذا وجدها أنكر على أهل داره ، وتغير كثيراً ، ويقبل عطية غيرهم ويدعو لهم . وكان رفيع الهمة عن أهل الدنيا ، يتطرحون عليه فيعرض عنهم ، وأتى إليه ابن الخليفة يوماً ومعه عين ، فقبل يديه ورجليه ، وطلب منه قبوله فتبسم في وجهه ، ودعا له وأبى ، فلما أيس منه ، قال له : تصدق بها يا سيدي على من شئت من الفقراء ، فامتنع منها مع ما جبل عليه من الحياء ، حتى لا يقدر أن يخالف الناس في أغراضهم أو يقابلهم بسوء ، وكان يكره الكتب للأمرء ، فإذا طولب بذلك كتب لهم حياء ، وعاتبه أخوه علي التالوتي قائلاً يوماً : لأي شيء تكثر الكتب للسلطان وغيره ، فقال : كلفت به ، فقال : لا توافق عليه ، وقل لا أكتب ، فقال : والله يا أخي يغلب علي الحياء ، ولا أقدر على المنع ، قال : لا تستح من أحد ، فقال له : إذا دخل النار أحد بالحياء فأنا أدخلها .

وبالجمللة فرغ همته عن الخلق معلوم عند الكافة ، لا يأنس بأحد ، ولا يتسبب في معرفته ، ويود أن لا يراه أحد ، وقال لي يوماً : والله يا ولدي أتمنى أن لا أرى أحداً ولا يراني أحد ، بل اشتغل وحدي ، وما يأتيني من قبل الناس إن قصدوا به نفعي سلمت لهم فيه ، لا حاجة لي بأحد ولا بماله اه .

وكان مع ذلك حليماً كثيراً الصبر ، ربما يسمع ما يكره فيتصامم عنه ، ولا يؤثر فيه بل يتبسم ، وهذا شأنه في كل ما يُغضبه ، ولا يلتقي له بالأبوجه ، ولا يحقد على أحد ، ولا يعبس في وجهه ، يفتح من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام حتى يعتقد أنه صديقه ، وقع له ممن يدعي أنه أعلم أهل الأرض لينقصه فما بالي به ، ولما ألفت بعض عقائده أنكر عليه كثير من علماء أهل وقته ، وتكلموا بما لا يليق ، فتغير لذلك كثيراً وحزن أياماً ، ثم رأى في منامه عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه ، واقفاً على رأسه بيده سيف أو عصي ، فهزها على رأسه وهدده بها ، وكأنه قال : ما هذا الخوف من الناس فأصبح وقد زال حزنه ، واشتد قلبه على المنكرين ، فخرست حينئذ ألسنتهم ، فحلم عنهم وسمح ، فأقروا بفضلها ، وبلغ من شفقتة أنه مر به ذئب يجري معه الصياد والكلاب ، فحبسوه وذبح ، فوصل إليه ملقى على الأرض فبكى ، وقال : لا إله إلا الله ، أين الروح التي يجري بها ، وسمعتة يقول : ينبغي للإنسان أن يمشي برفق ، وينظر أمامه لئلا يقتل دابة في الأرض ، وإذا رأى من يضرب دابة ضرباً عنيفاً تغير ، وقال لضاربها : ارفق يا مبارك ، وينهى المؤذنين عن ضرب الصبيان ، وسمعتة يقول : لله تعالى مئة رحمة ، لا مطمع فيها إلا لمن اتسم برحمة جميع الخلق وأشفق عليهم ، وما رأيت قط دعا على أحد إلا مرة رأى في مسكن منكرأ ، لا يقدر على صبره ، فغضب ودعا عليه بالخلا ، فنفذ في أقرب مدة ، وأتاه في مرضه بعض من يذمه من علماء عصره ، فطلب منه أن يسمع له فسمع له ودعا له ، ولما مات ، بكى عليه هذا العالم شديداً وتالم ، ومتى ذكره بكى ، ويقول : فقدت الدنيا بفقدك ، وسمعتة يثني كثيراً على رجلين من علماء عصره ممن يذمونه ويسبون إليه ، وكان يُصلح بين الخصوم ، ويقضي الحوائج . ذكر أنه كتب يوماً ثلاثين كتاباً بلا فترة ، قال : كلفني بها إنسان لم أقدر على رده ، قال : ولو كان إنسان ينسخ مثل هذا في كل يوم لظفر بعدة أسفار ، وهذه مصائب ابتلينا بها ، ومن صبره كثرة وقوفه مع الخلق ، ولا يفارق الرجل حتى ينصرف ، وهذا كله مع إدامة الطاعات ، وسداد الطريقة ، وشدة التحرز ، والإسراع بوفاء حقوق العباد قبل استحقاقها ، إذا استعار كتاباً رده في أقرب مدة قبل طلب صاحبه ، وربما كان سفرأ ضخماً لا يمكن مطالعته إلا في ثلاثة أيام ، فيطالعه في يوم واحد ويرده ، وكان يأمر أهله بالصدقة سيما وقت الجوع ، ويقول : من أحب الجنة فليكثر الصدقة

خصوصاً في الغلاء ، كثير التصدق بيده ، ويكثر الخروج للمخلوات ، ومواقع الحرب الباقية آثارها للاعتبار ، وإذا رأى ما كان منها متقناً ذكر حديث « رَجِمَ اللهُ عَبْدًا صَنَعَ شَيْئًا فَاتَّقَنَهُ »^(١) ويقول : أين سُكَّانُهَا ؟ وكيف كانوا يتنعمون ؟ وسمعتة يقول : كم من ضاحك مع الناس وقلبه يبكي خوف ربه ، فهذا شأن العارفين مثله .

سأله بعض أصحابه ممن يبحث عن أحواله لأي شيء يتلوّن وجهك وتتغير كثيراً مع الانقباض ، فأجابه بعد تمنع بشرط أن لا يخبر به أحداً فقال : نعم ، فقال الشيخ : أطلعني الله تعالى على رؤية جهنم وما فيها ، نعوذ بالله منها ، فمن حينئذ صرت أتغير وأحزن إلى الآن ، فهذا سبب تغيّري ، وقال شيخنا أبو القاسم الزواوي حفظه الله من أكابر أصحابه : سمعتة يقول : ضاقت علي العوالم كلها من العرش إلى الفرش ، ولم أر منها ما يسرّني ، فلم أمل لشيء منها بالكلية اهـ .

وحاله في الدنيا كالمسجون لشدة خوفه ومراقبته كل لحظة وكثرة تفكره ، كان يصوم يوماً بيوم صوم داود عليه السلام ، ويفطر على يسير طعام ، ولا يطلب يوم فطره ما يأكله ، وربما بقي ثلاثة أيام أو أزيد لا يأكل ولا يشرب إن أتى بطعام أكل ، وإلا بقي كذلك ، وربما سألوه بعد مضي جُلِّ النهار أمفطر هو ؟ فيقول : لا مفطر ولا صائم ، فيقال له : لم لا تعلمنا بفطرك ؟ فيتبسم وربما مازح بعض أصحابه فلا ترى أحسن منه حينئذ ، لا يرفع صوته بل يعتدل فيه ، ويصافح الناس ولا يمنع من قبل يده ، وليس له لباس مخصوص يعرف به ، بل معتاد الناس اليوم ، ويكره الكلام بعد صلاة الصبح والعصر ، ويتراخى في تكبيرة الإحرام بعد الإقامة ولا يكبر إلا بعد حين ، وأخبرتني

(١) أخرجه البيهقي من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » وهو حديث حسن (ش) .

زوجته أنه في بدأ أمره إذا قام من الليل نظر السماء ويقول : يا سعيد كيف تنام وأنت تخاف الوعيد ، ثم التزم صوم عام إن رجع إلى النوم متى استيقظ منه ، فمن حينئذ لا يرجع إليه إذا استيقظ حتى مات ، ينام أول الليل وبحيه كله إلى الفجر ، حتى أثر في وجهه اه . وكان لكثرة انقباضه لا ينسط مع أحد ، ويشق عليه الخروج للمسجد للإقراء والصلاة ، ولا يخرج في بعض الأيام إلا حياء ممن ينتظره ، ولما أحس بمرض موته انقطع عن المسجد ، ولازم فراشه حتى مات ، ومرض عشرة أيام ولما احتضر لقنه ابن أخيه مرة بعد مرة ، فالتفت إليه وقال له : وهل ثم غيرها ، وقالت له بنته : تمشي وتركني ؟ فقال لها : الجنة مجمعنا عن قرب إن شاء الله تعالى ، وكان يقول عند موته : نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها ، وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخيرة عام ٨٩٥ ، وشمَّ الناس المسك بنفس موته ، رحمه الله ومولده بعد الثلاثين وثمان مئة ، ومن عادته أنه إذا صَلَّى الصبح في مسجده وفرغ من ورده أقرأ العلم إلى وقت الفطور المعتاد ، ثم خرج ووقف مع الناس ساعة بباب داره ، ثم دخل وصَلَّى الضحى قدر قراءة عشرة أحزاب ، ثم اشتغل بالمطالعة في وقت طول النهار ، وربما زالت الشمس وهو في الضحى ، وخرج بعد الزوال للخلوات ، فلا يرجع إلا للغروب أو يبقى في بيته فيتوضأ ويصلي أربع ركعات ، ثم خرج لمسجده وصَلَّى بالناس الظهر ، وتنفل أربعاً ويقري ، ثم تنفل وقت العصر أربعاً ويصلي العصر ويقراً ، وخرج لداره واشتغل بالورد إلى الغروب ، ثم خرج للمغرب وتنفل بست ركعات ، ويبقى هناك حتى يصلي العشاء ويقراً ما تيسر ، ورجع لداره ونام ساعة ، ثم اشتغل بالنظر أو النسخ ساعة ، وتوضأ ويصلي أو يذكر إلى طلوع الفجر ، هذا أكثر حاله ، وأخبرني قبل موته بنحو عامين أن سنه خمس وخمسون سنة اه . من الجزء الذي لخصته من تأليف الملاي .

قلت : ورأيت مقيداً عن بعض العلماء أنه سأل الملاي المذكور عن سن الشيخ فقال له : مات عن ثلاث وستين سنة . والله أعلم ورأيت مقيداً في موضع آخر من كراماته أن رجلاً اشترى لحماً من السوق فسمع الإقامة في المسجد فدخل واللحم في قبه ، فخاف من طرحه فوات ركعة ، فكبر كذلك ، فلما سلم ذهب لداره فطبخ اللحم فبقي إلى العشاء ، فأرادوا طرحه فإذا هو بدمه لم يتغير ، فقالوا : لعله لحم شارف فباتوا يوقدون عليه إلى الصبح فلم يتغير عن حاله حين وضعوه في القدر ، فتذكر الرجل فذهب إلى الشيخ فأعلمه فقال له : يا بني أرجو الله أن كل من صلى ورائي أن لا تعدو عليه النار ، ولعل هذا اللحم من ذلك ، ولكن اكنتم ذلك اه . وسمعت أيضاً أنه كان في صغره إذا مرَّ مع الصبيان على الإمام ابن مرزوق الحفيد وضع يده على رأسه ويقول : نقرة خالصة .

وأما تأليفه فقال الملاي : منها شرحه الكبير على الحوفية المسمى « المقرب المستوفي » كبير الجرم كثير العلم ألفه وهو ابن تسعة عشر عاماً ، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبركان تعجب منه ، وأمر بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة لثلا يصاب بالعين ، وقال : لا نظير له في ما أعلم ودعا لمؤلفه ، ومنها عقيدته الكبرى التي سماها « عقيدة أهل التوحيد » في كراريس من القالب الرباعي ، أول ما صنفه في الفن ثم « شرحها » ثم « الوسطى » وشرحها في ثلاثة عشر كراساً ثم « الصغرى » وشرحها في ست كراريس ، وهي من أجل العقائد لا تعادها عقيدة كما أشار إليه هو .

حدثني بعضهم : أنه مات قريبه وكان صالحاً فرآه في النوم ، فسأله عن حاله فقال : دخلت الجنة فرأيت إبراهيم الخليل عليه السلام يقرئ صبياناً عقيدة السنوسي ، يدرسونها في الألواح ويجهرون بقراءتها اه . قال الشيخ : لا شك أن لا نظير لها في ما علمت ، تكفي من اقتصر عليها عن سائر العقائد ،

وقد نظم سيدي محمد بن يحيى التازي في مدحها أبياتاً ، وعقيدته المختصرة أصغر من الصغرى ، وشرحها أربع كراريس ، وفيه فوائد ونكت ، والمقدمات المبينة لعقيدته الصغرى قريبة منها جرماً ، وشرحها خمس كراريس ، و« شرح الأسماء الحسنى » في كراسين يفسر الاسم ويذكر حظ العبد منه و« شرح التسييح دبر الصلوات » تكلم على حكمته و« شرح عقيدة الحوضي » خمس كراريس و« شرحه الكبير على الجزائرية » فيه نكت نفيسة و« مختصر الأبى على مسلم » في سفرين فيه نكت حسنة ، و« شرح ايساغوجي » في المنطق تأليف البرهان البقاعي كثير العلم و« مختصره » العجيب فيه زوائد على الخونجي وشرح أحسن جداً و« شرح قصيدة الحباك في الاسطرلاب » شرح جليل و« شرح أبيات الإمام الأليري » في التصوف وشرح الأبيات التي أولها « تطهر بماء الغيب » و« شرحه العجيب على البخاري » وصل فيه إلى باب : من استبرأ لدينه و« شرح مشكلات البخاري » في كراسين و« مختصر الزركشي على البخاري » .

قلت : وقد وقفت على جميع هذه الكتب ، ثم قال الملاي : ومنها « عقيدة أخرى » فيها دلائل قطعية ، يرد على من أثبت تأثير الأسباب العادية ، كتبها لبعض الصالحين و« مختصر حاشية التفتراني على الكشاف » و« شرح مقدمة الجبر والمقابلة » لابن الياسمين و« شرح جمل الخونجي » في المنطق و« شرح مختصر ابن عرفة » فيه حل صعوبته ، وقال لي : إن كلامه صعب سيما هذا المختصر ، تعبت كثيراً في حله لصعوبته إلى الغاية لا أستعين عليها إلا بالخلوة ، ومنها « شرح رجز ابن سينا في الطب » لم يكمل و« مختصر في القراءات السبع » و« شرح الشاطبية الكبرى » لم يكمل و« شرح الوغليسية في الفقه » لم يكمل و« نظم في الفرائض » و« اختصار رعاية المحاسبي » و« مختصر الروض الأنف » للسهيبي لم يكمل و« مختصر بغية السالك في أشرف المسالك » للساحلي و« شرح المرشدة » و« الدر المنظوم في شرح الآجرومية » و« شرح جواهر العلوم »

للعضد في علم الكلام ، على طريقة الحكماء وهو كتاب عجيب جداً في ذلك ، إلا أنه صعب متعسر على الفهم جداً و« تفسير القرآن » إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١) في ثلاثة كراريس ، ولم يمكن له التفرغ له وتفسير سورة ص وما بعدها . فهذا ما علمت من تأليفه مع ماله من الفتاوى والوصايا والرسائل والمواعظ ، مع كثرة الأوراد وقضاء الحوائج والإقراء اهـ . قلت : سمعت أن له تعليقا على فرعي ابن الحاجب وغيره ، نفعنا الله به .

أخذ عنه أعلام كابن سعد ، وأبي القاسم الزواوي ، وابن أبي مدين ، والشيخ يحيى بن محمد ، وابن الحاج البيدري ، وابن العباس الصغير ، وولي الله محمد القلعي ريحانة زمانه ، وإبراهيم الوجديجي ، وابن ملوكة وغيرهم من الفضلاء اهـ .

يحيى المازوني من « نيل الابتهاج »

يحيى بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني قاضيها الإمام العلامة الفقيه .

أخذ عن الأئمة كابن مرزوق الحفيد ، وقاسم العقباني ، ابن زاغور ، وابن العباس ، وغيرهم ونجب وبرع وألف « نوازله » المشهورة المفيدة في فتاوى المتأخرين أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم في سفرين ، ومنه استمد الونشريسي مع « نوازل البرزلي » فيما يظهر لي ، وأضاف إليه ما تيسر من أي من فتاوى أهل فاس والأندلس والله أعلم .

توفي كما قال الونشريسي عام ٨٨٣ بتلمسان ، ووصفه بالفقيه الفاضل اهـ .

(١) سورة البقرة : الآية ٥ .

يحيى الشاوي « خلاصة الأثر »

يحيى ابن الفقيه الصالح محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء
النائلي الشاوي الملياني الجزائري المالكي ، شيخنا الأستاذ الذي ختمت بعصره
أعصر الأعلام ، وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام ،
المقرر براهين التطبيق بتوحيده فلا تمنع فيه إلا من معاند ، علم مرجعه عن
الحق ومحيدته آية الله تعالى الباهرة في التفسير والمعجزة الظاهرة في التقرير
والتحرير ، من روى حديث الفخار مرسلأ ، ونقل خبر الفخار مرتلاً ،
وهو في الفقه إمامه ومن فمه تؤخذ أحكامه ، وأما الأصول فهو فرع من علومه ،
والمنطق مقدمة من مقدمات مفهومه ، وإن أردت النحو فلا كلام فيه لأحد
سواه ، وإن اقترحت المعاني والبيان فهما أنموذج مزاياه ، إذا استخدم القلم
أبدى سحر العقول ، وإن جرت الحروف على وفق لسانه وفق بين المعقول
والمقول ، وإذا ناظر عطل من مجاربه مجاري الأنفاس ، واستنبط من بيان
منطقه علم الجدل والقياس ، وبالجملة فتقصر همم الأفكار عن بلوغ أدنى
فضائله ، وتعجز سوابق البيان عن الوصول إلى أوائل فواضله .

ولد في مدينة الجزائر من أرض المغرب ، وقرأ بها وبمليانه بلده على شيوخ
أجلاء صالحين ، منهم العلامة المحقق سيدي الشيخ محمد اهلول^(١) ، والشيخ
سعيد مفتي الجزائر ، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري ، والشيخ مهدي
وغيرهم ، وروى عنهم الحديث والفقه وغيرهما من العلوم ، وأجازه شيوخه
وتصدر للإفادة ببلده ، وكانت حافظته مما يقضى منها بالعجب ، وقدم مصر في

(١) لعله سيدي محمد بن علي اهلول صاحب مجاجة .

سنة ١٠٧٤ قاصداً الحج ، فلما قضى حجه رجع إلى القاهرة ، واجتمع به فضلائها وأخذوا عنه ، وروى هو عن علمائها كالشيخ سلطان ، والشمس البابلي ، والنور الشبراملي ، وأجازوه بمروياتهم ، ثم تصدر للإقراء بالأزهر ، واشتهر بالفضل ، وحظي عند أكابر الدولة ، واستمر على القراءة مدة قرأ فيها « مختصر خليل » و « شرح الألفية » للمراذي و « عقائد السنوسي » وشروحها و « شرح جمل الخونجي » لابن عرفة في المنطق ، ثم رحل إلى الروم فمر في طريقه على دمشق ، وعقد بجامع بني أمية مجلساً اجتمع فيه علماءها ، وشهدوا له بالفضل التام ، وتلقوه بما يجب له ، ومدحه شعراؤها ، واستجاز منه نبلاؤها ، ثم توجه إلى الروم فاجتمع به أكابر الموالى ، وبالغ في إكرامه شيخ الإسلام يحيى المنقاري والصدر الأعظم الفاضل . وحضر الدرس الذي يجتمع فيه العلماء للبحث بحضرة السلطان ، فبحث معهم واشتهر بالعلم ، ثم رجع إلى مصر مبجلاً معظماً مهاباً موقراً ، وقد ولي تدريس الأشرفية والسلمانية والصرغتمشية وغيرها ، وأقام بمصر مدة ، ثم رجع إلى الروم فأنزله مصطفى باشا صاحب السلطان في داره ، وكنت الفقير إذ ذاك بالروم فالتمت منه القراءة ، فأذن فشرعت أنا وجماعة من بلدتنا دمشق وغيرها ، منهم الأخ الفاضل أبو الاسعاد ابن الشيخ أيوب ، والشيخ زين الدين البصري ، والشيخ عبد الرحمن المجلد ، والسيد أبو المواهب سبط المرضي الحلبي في القراءة عليه ، فقرأنا تفسير سورة الفاتحة من « البيضاوي » مع « حاشية العصام » و « مختصر المعاني » مع « حاشية الحفيد » و « الخطائي » و « الألفية » وبعض « شرح الدواني على العقائد العضدية » ، وأجازنا جميعاً بإجازة نظمها لنا ، وكان ما كتبه لي هذا (١) .

(١) مثل هذا النظم يذكر تبركاً لا دلالة على أن صاحبه شاعر .

الحمد لله الحميد والصلاة والسلام على الطاهر المجيد

وعلى آله أهل التمجد

- أجزتُ الإمامَ اللُّوذعيَ المعبراً • أميناً أمينَ الدينِ رُوحاً مُصَوِّراً
 سليلَ مُحِبِّ الدينِ بيتَ هدايةٍ • وبيتَ منارِ العلمِ قِدماً تَقَرُّراً
 بإقراءهِ متنَ البُخاريِّ الذي بِهِ • تقاصرَ عنه من عَدَاةٍ وَقَصِّراً
 موطأً شفاءً والشفاءَ لمسلمٍ • إذا مسلمٌ تقريبه حقاً تصدَّراً
 وباقي رجالِ النَّقلِ حقاً مَبِيناً • وتفسيرَ قولِ اللهِ في الكُلِّ قُرَّراً
 أجزتُ المسمَى البدرَ في الشرعِ كُلَّهُ • كما صحَّ لي فاتركُ مِرَاءَ مَكْدَرَا
 وعِلْمَ كلامِ خالٍ عَن أَكاذِبِ الـ • فلاسِفَةِ الضُّلالِ والعدلِ نَكْرَا
 أقولُ لكلِّ فلسفيٍّ بدينسِهِ • الألعنةُ الرَّحْمَنِ تَعْلُو مُزَوِّراً
 أَجبريلُ مُلْكُ عاشرُ يا عاداتنا • أعاديَ شرعَ اللهِ نلتُمُ تحيِّراً
 بأيِّ طريقٍ قُلْتُمُ عاشرَ عَشْرَةٍ • ونفيَ صفاتِ والقديمِ تحجِّراً
 حكمتُمُ على الرَّحْمَنِ حَجْراً مَحْجَرًا • ومنعُكمُ خَلَقَ الحوادثِ دَمَّراً
 أبري الحبيبَ اللُّوذعيَ عَن الردي • مجازاً بدينِ الشَّرْعِ كُلاً مُحَرِّراً
 ولكنْ عليه النَّصْحُ والجِدُّ والتُّقى • وإن نالَهُ أمرُ القَضَاءِ تصبِّراً
 حماهُ إلهُ العرشِ مِن كُلِّ فتنَةٍ • ونجَّاهُ من أسواءِ سُوءِ نَسْتِراً
 وصلِّ وسلِّمُ بكرةً وعشيةً • على مَنْ به أحيَا القُلُوبَ تحيِّراً

ثم رجع إلى مصر وصرف أوقاته إلى الإفادة والتأليف ، وله مؤلفات عديدة في الفقه وغيره ، منها حاشية على « شرح أم البراهين » للسنوسي نحو عشرين كراساً ، و« نظم لامية في إعراب الجلالة » جمع فيها أقاويل النحويين ، وشرحها شرحاً حسناً أحسن فيه كل الإحسان ، وله مؤلف صغير في « أصول

النحو» جعله على أسلوب «الاقتراح» للسيوطي، أتى فيه بكل غريبة وجعله باسم السلطان محمود، وقرظ له عليه علماء الروم، منهم العلامة المنقاري قال فيه: لا يخفى على الناقد البصير أن هذا التحرير كنسج الحرير، ما نسج على منواله ناسج في هذه العصور، تنشرح بمطالعة الصدور، وله «شرح التسهيل لابن مالك» وحاشية على «شرح المرادي» وكان له قوة في البحث، وسرعة الاستحضار للمسائل الغريبة، وبداهة الجواب لما يسأل عنه من غير تكلف ومحاضرة بديعة.

وسافر في آخر أمره إلى الحج بحراً فمات وهو في السفينة يوم الثلاثاء عشري شهر ربيع الأول سنة ١٠٩٦، وأراد الملاحون إلقاءه في البحر لبعث البر عنهم، فقامت ريح شديدة قطعت شراع السفينة، فقصدوا البر وأرسوا بمكان يقال له: رأس أبي محمد فدفنوه به، ثم نقله ولده الشيخ عيسى بعد بلوغه خبره إلى مصر، ودفنه بها بالقرافة الكبرى بتربة السادة المالكية، ووصل إلى مصر ولم يتغير جسده، واتفق أنه لما أرسل ولده بعض العرب ليكشف له عنه القبر، ويأتوا به إليه تاهوا عن قبره، فإذا هم برجل يقول لهم: ما تريدون؟ فقالوا: قبر الشيخ يحيى، فأراهم إياه فكشفوا عنه فوجدوه بحاله لم يتغير منه شيء، فوضعوه في تابوت وأتوا به إلى مصر فدفنوه بتربة المالكية، التي كان جددها ورممها، ولم يلبث بعده ولده الشيخ عيسى إلا نحو ستة أشهر، فمات فدفنوه على أبيه، ووجدوه على حالة لم يتغير منه شيء رحمهما الله تعالى.

وترجم له في «نشر المثاني» بما نصه: ومنهم (ممن لم يقف على وفياتهم) الشيخ العالم الشهير أبو زكرياء يحيى الشاوي صاحب «الحواشي على الصغرى» ومدرس الأزهر، وكان له صيت عند المغاربة، وتوصل بأرباب الدولة إلى ولاية قضاء المالكية، ثم ولي إمارة الحاج المغربي، وحج بالركب مرتين،

وانتشرت القالة فيه . وكثر مادحوه وأكثر منهم ذاموه ، وكان من أذكىاء الطلبة النجباء . له معرفة حسنة في علم النحو ، ومشاركة في غيره ، مواظب على العلم والتعليم إلا أن الرياسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه . قال جميع ذلك أبو سالم في « رحلته » ولم أقف على تعيين زمن وفاته ، وفي بعض التقايد أنه ورد الخبر بوفاته ثاني عشر ذي القعدة عام ١٠٩٧ .

وترجم له في « صفوة من انشر » بقوله : ومنهم الفقيه العلامة أبو زكرياء يحيى الشاوي الجزائري ، كان رحمه الله فقيهاً متضلماً بفنون العربية وغيرها ، أخذ عن الشيخ التواتي النحوي ، ثم رحل إلى الحجاز فدخل مصر ودرس بالأزهر ، فاعصوبت عليه جماعة من طلبة المغاربة ، فصار له صيت عند المغاربة إلى أن توصل لأرباب الدولة ، فتولّى قضاء المالكية ، وترقّت به الحال إلى أن تولى إمارة الحاج المغربي ، وحج بالركب مرتين ، وانتشرت القالة فيه وكثر مادحوه وأكثر منهم ذاموه ، ولا شك ، أنه من نجباء الطلبة إلا أن الرياسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه ، ولم تزل حالته في ازدياد إلى أن بلغه أن بعض الفقهاء بالمدينة المنورة أنشأ محراباً في المسجد النبوي ، فذهب إليه من مصر بنية قتله ، فأدركته المنية في الطريق سنة ١٠٩٧ . وله تأليف حسنة منها « حاشية على الصغرى » وحاشية على التفسير سماها « الحاكمة » وغير ذلك اه .

يحيى التدلسي (من تدلس)

« نيل الابتهاج »

يحيى بن يذير بن عتيق التدلسي أبو زكرياء الفقيه العالم العلامة قاضي توات .

أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره ، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الكريم

المغيلي . وتوفي في قسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال ١٠ صفر عام ٨٧٧ ، كذا وجدته بخط تلميذه ابن عبد الكريم المغيلي المذكور .

يُوسُفُ أَبُو الْفَضْلِ بْنِ النَّحْوِيِّ « نيل الابتهاج »

يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل ، عرف بابن النحوي ناظم « المنفرجة » ، توزري الأصل من قلعة بني حماد ، صحب اللخمي . قال ابن الأَبَّار : أخذ « صحيح البخاري » عن اللخمي ، ولما جاء سأله اللخمي ما جاء بك ؟ فقال : جئت لنسخ تبصرتك ، فقال له : تريد أن تحملني في كفك للغرب أو كلاماً هذا معناه ، يشير إلى أن علمه كله فيها .

وأخذ عن المازري ، وأبي زكرياء الشقراطسي ، وعبد الجليل الربيعي ، وكان عارفاً بأصول الدين والفقه ، يميل إلى النظر والاجتهاد ، له تأليف ، حدث وأخذ عنه ، وروى عنه القاضي أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي ، وتوفي عن ثمانين سنة بقلعة بني حماد في محرم سنة ثلاث عشرة وخمسة مئة (٥١٣) هـ .

وقال أبو العباس الغبريني في « عنوان الدراية » : كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين ، مجاب الدعوة حاضراً مع الله في غالب أمره ، له اعتقاد تام بإحياء الغزالي ، دخل قاضي الجماعة يوماً في الجامع وهو يقرر للطلبة علم الكلام ، فسأل القاضي عن الحلقة ، فأخبر ، فأمر بإبطال الدرس ، فقال أبو الفضل : كما تسبب في إهانة العلم فأرنا فيه العلامة ، وخرج فتبعه ولد القاضي ، وله اعتقاد في أبي الفضل فقال له : ارجع لوالدك لتواريه ، فرجع فوجد أباه قتل صبراً ، قتله بعض أعدائه ، ويذكر أن أبا الفضل ما دعا

قط إلا استجيب وهو ناظم : « اشتدِّي أزمة تنفّرجي » ١ هـ

وقال أبو العباس النقاوي توفى بالقلعة الحمادية سنة ثلاث عشرة وخمس مئة (٥١٣) ، وقبره مشهور بها بالبركة أحد أئمة الإسلام وأعلام الدين ، قال القاضي أبو عبد الله بن علي بن حماد : كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علماً وعملاً ، وقال عياض : أخذ هو والمازري عن اللخمي ، كان من أهل العلم والفضل ، شديد الخوف من الله ، غالب حاله الحضور معه تعالى ، لا يقبل من أحد شيئاً إنما يأكل مما يأتيه من توزر^(١) .

أصبحتُ فيمن لهم دينٌ بلا أدبٍ • ومَنْ له أدبٌ عارٍ مِنَ الدِّينِ
أصبحتُ فيهم غريبَ الشَّكلِ منفرداً • كبيتِ حَسَّانَ في ديوانِ سَحْنُونِ
أشار لقوله في الجهاد :

وهانَ على سِراةِ بني لُـؤيٍ * حريقٌ بالبُويرَةِ مُستطيرٍ

وكان يصلي فيكثر رفع الصوت من داره باللفظ ، فقال ضيف عنده لابنه : أما تشغلون خاطر الشيخ ؟ قال : إذا دخل في الصلاة لم يشعر بذلك ، ثم أدنى السراج من عينيه ، فما شعر لحضوره مع ربه وغيبته عن غيره .

وأقرأ بسجلماسة « الأصلين » فقال ابن بسام أحد رؤساء البلد : يريد هذا أن يدخل علينا علوماً لا نتعارفها فأمر بطرده من المسجد ، فقال : أمت العلم أماتك الله هنا ، فجلس ثاني اليوم لعقد نكاح سحراً فقتلته صنهجة ، وجرى له مثله بفاس مع قاضيا ابن دبوس ، فدعا عليه فأصابته أكلة في رأسه فوصلت لحلقه فمات ، وقطع ليلة خروجه في صبحها بسجدة قائلاً فيها : اللهم عليك بابن دبوس ، فأصبح ميتاً ، ولما أفتى الفقهاء بحرق الإحياء فأحرق في صحن مراکش ، ووصل كتاب سلطان لتونة بذلك ، وتحليف الناس بمغلف اليمين

(١) هكذا في الأصل المطبوع بفاس : وانظر ترجمته المنقولة هنا من « الجدوة » .

أن ليس عندهم الإحياء ، انتصر وكتب للسلطان وأفتى بعدم لزوم تلك الأيمان ،
ونسخ الإحياء ثلاثين جزءاً يقوم كل يوم في رمضان ، فينسخ جزءاً قائلاً
وددت أني لم أنظر في عمري سواه ، وكان إذا تأخر ما يأتيه من بلده دعا بدعاء
الخضر : اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء الخ فيفرج عنه ، وشكى
إليه بعض أهله الضيق من فراره من ظالم بلده ، ورغبه في رفع الأمر للظالم
ليأذن له بالرجوع ، فقال : سأفعل وتضرع لله تعالى في تهجده فقال :

لبستُ ثوبَ الرِّجاء والنَّاسُ قد رَقَدُوا * وقتُ أشكو إلى مولاي ما أجيدُ
وقلتُ يا سيدي يا منتهى أملي * يا مَنْ عليه بكشفِ الضَّرِّ أعتيدُ
أشكوا إليك أموراً أنت تعلمُها * مالي على حَمْلِها صبرٌ ولا جَلْدُ
وقد مددتُ يدي للضَّرِّ مشتكياً * إليك يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يدُ

ونظم « منفرجه » وأعاد أهله السؤال ، فقال : بلغ الأمر أهله ، وسترى
فمن يسير ورد الكتاب من توزر بالتلطف للشيخ ، ورغبته أن يرجع فقال
للسائل : قضيت الحاجة ، ورأى الباغي في نومه فارساً يحمل عليه بيده حربة
من نار فتنبه مذعوراً ويتعوذ ثم ينام ويعاوده إلى أن قال : إنما يتعوذ من الشيطان ،
وأنا ملك ومالك وللعبد الصالح .

قال الشيخ أبو القاسم ابن الملجوم الفاسي : ورد أبو الفضل فاساً فلزمه أبي
وحفظ « لُمع » الشيرازي عام أربعة وتسعين وأربع مئة ، وسافر منها للقلعة
فأخذ نفسه بالتقشف ، ولبس خشن الصوف ، وكانت جبهته إلى ركبته ، فر يوماً
بالفقيه أبي عبد الله بن عصمة المفتي فلم يُسلم عليه لشغل باله ، فعظم عليه فلما
رجع ناداه محقراً يا يوسف ! فجاءه فقال له : يا توزري صفرت وجهك ،
ورققت ساقيك ، وصرت تمر ولا تسلم ، فاعتذر فلم يقبل وأغلظ له في
القول ، فقال : غفر الله لك يا فقيه يا أبا محمد فانصرف . وكان مجاب الدعوة
حتى يقال : نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي . وحصلت له المزية في الفقه

والنظر ، وأخذ عنه جماعة من الأئمة الأعلام النظار كالفقيه أبي عبد الله محمد ابن الرمامة رئيس مفتي فاس ، والأخوين الفقيهين أبي بكر ومحمد ابني مخلوف ابن خلف الله ، والفقيه أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي ، قال الحافظ الزاهد أبو الحسن ابن حرزهم : أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل متى لقيته ، ولو لقيته في اليوم مئة مرة ، فبعثني إليه يوماً ليدعوني ، فأتيته عند الغروب فأذن وأقام وصليت معه ، فلما أراد أن يكبر نظرت لثوبه على كتفه يتحرك حركة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف ، فلما سلم دعا لي فانصرفت لأبي ، وقلت له : رأيتك صلياً قبل وقت صلاة أهل البلد فقال لي : أتتكلم في ولي الله ، وهل وقت المغرب إلا الذي صلى فيه ، وإنما ابتدعوا التأخير عنه ، ثم قال لأمي هذا صبي نرجو أن ينفع الله به فإني وجدت بركة أبي الفضل ، ولقد دخل وعليه نور فعلمت إجابة دعوته فيه اه . فكان كذلك ومن كريم خلقه أن شاباً من الطلبة بادر السلام عليه فأراق الحبر على ثوبه ، وكان أبيض فخجل فقال الشيخ : كنت أقول أي لون أصبغ ثوبي فالآن أصبغه حبرياً فبعث به للصباغ اه ملخصاً .

وفي « جذوة الاقتباس » : يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي ، يكنى أبا الفضل من قلعة حماد ، وأصله من توزر ، ودخل سجلماسة ، ومدينة فاس ثم عاد إلى القلعة وبها توفي . صحب أبا الحسن اللخمي وأخذ عن عبدالله المازري ، وأبي زكرياء الشقراطيسي ، وعن عبد الجليل الربيعي ، وأخذ عن أبي الفضل أبي عبد الله محمد بن علي عرف بابن الرمامة ، وموسى ابن حماد الصنهاجي وغيرهما .

وكان أبو الفضل من أهل العلم والعمل ، وكان ممن انتصر لعدم إحراق « الإحياء » للغزالي ، وكتب علي بن يوسف إلى مدينة فاس بالتحرج على الناس في كتاب « الإحياء » ، وأن يحلف الناس بالإيمان المغلظة أن الإحياء

ليس عندهم ، قال أبو الحسن بن حرزهم : لما وقع هذا ذهبت إلى أبي الفضل
أستفتيه في تلك الأيمان فأفتاني بأنها لا تلزم ، وكانت على محمله أسفار ،
فقال لي : هي من الإحياء ، ووددت أني لا أنظر في عمري سواها ، قال ابن
الرمامة المذكور وأنشدني أبو الفضل :

أصبحتُ فيمنَ له دينٌ بلا أدبٍ * ومَنَ له أدبٌ عارٍ منَ الدينِ
وقد غدوتُ لفقْدِ الشَّكلِ منفرداً * كبيتِ حسانَ في ديوانِ سَحُونِ

وكان يقال : نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي ، ولما التقى بأبي الحسن
اللخمي سأله ما جاء به ، فقال : جئت لأنسخ تأليفك المسمى بـ « التبصرة »
فقال له : إنمّا تريد أن تحملي في كفك إلى المغرب ، يشير إلى أن علمه كله
في هذا الكتاب .

حكى عن ابن حرزهم أنه قال : كان أبو الفضل يلبس البياض ، فدخل
عليه شابٌ من طلبة العلم ، فبادر أن يسلم عليه فأراق الحبر على ثوب أبي
الفضل ، فخجل الطالب فقال له أبو الفضل مزيحاً عنه الخجل : كنتُ أقول
أيّ لون أصبغ به هذا الثوب ، فالآن أصبغه حبرياً ، فجرّده وبعث به إلى
الصباغ ، وببركة دعائه انتفع أبو الحسن ابن حرزهم ، وكان نزوله بفاس
بعقبة ابن دبوس ، وكان عارفاً بأصول الدين والفقّه ، ولقي من أهل فاس
أموراً يطول ذكرها ، فدعا على القاضي ابن دبوس فأصابته أكلة في قرن
رأسه ، فانتهدت إلى حلقه فمات ، وله « المنفرجة الجيمية » ونظمه في مدينة فاس :

يا فاسُ منكِ جميعُ الحُسْنِ مُسْتَرَقُ * وساكنوكِ أهنئهم بما رزقوا
هذا نسيمُكِ أم رَوْحٌ لراحَتِنَا * وماؤكِ السلسلُ الصافي أم الورقُ
أرض تخللها الأنهارُ داخلُها * حتّى المجالسُ والأسواقُ والطُّرُقُ

توفي رحمه الله بقلعة بلده سنة ٥١٣ .

هذا ما وجدته في كُتب من أشرت إليهم في المقدمة ، وكله منقول منها بالحرف ، ولم أتصرف فيه بزيادة أو نقص إلا قليلا ، والقليل الزائد نسبه إلى قائله إن كان منقولاً ، وقد أدرجت تراجم بعضهم في هذا المجموع ، وفي المدرسة الثعالبية تذكراً وشكراً وهم الغبريني والتنبكتي والمديوني والمقري وابن الخطيب القسنطيني ، ولترجم باقيهم هنا باختصار كثير ، إلا الكتاني صاحب « سلوة الأنفاس » لوفاته رحمه الله قبل اليوم بسنتين أو ثلاث فقط .

إبراهيمُ ابنُ فرحون في « نيل الابتهاج »

إبراهيمُ بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليغمري (بفتح الياء وسكون العين وفتح الميم) الأياني (بضم الهمزة وشد الياء) ، ثم الجياني الأصل ، المدني ، من أهل التحقيق يعرف ببرهان الدين ، أبوه وعمه وجدّه علماء .

كان واسع العلم ، فصيح القلم ، كريم الأخلاق ، حلو المنظر . رحل إلى مصر مراراً وإلى القدس ودمشق سنة ٧٩٢ ، وتولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣ ، ومات سنة ٧٩٩ .

أخذ رحمه الله ورضي عنه عن والده ، وعمه ، والجمال الدمنهوري ، وابن جابر الهواري ، ومحمد بن عرفة نزيل الحرمين .

ومن تأليفه شرح مختصر ابن الحاجب « تسهيل المهمات على جامع الأمّهات » جمع فيه ابن عبد السلام وابن راشد وابن هارون وخليل ، وغيرهم و « تبصرة الحكام » و « الديباج المذهب في أعيان المذهب » فيه نيف وثلاثون وست مئة نفس ، جمعه من نحو عشرين كتاباً و « كشف انتقاب الحاجب

عن مصطلح ابن الحاجب « مقدمة من عرفها سهل عليه مشكلات الكتاب ،
ومما لم يكمل اختصار « تنقيح » القرافي سماه « اقليد الأصول » وصل إلى الناسخ .
وتأليفه في غاية الإفادة لاتساع علمه ، عاش لم يملك داراً ولا نخلاً ، إنما
يسكن بالكراء ويأكل بالسلف والدين مع كثرة عياله ، وأمه شريفة وكذا
أم أبيه ، ذكره الإمام عمه أبو محمد ابن فرحون في « تاريخ المدينة » اهـ .

أحمدُ ابنُ القاضي في « نشر المثاني »

العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشهير بابن القاضي ، صرَّح في كتابه
« جذوة الاقتباس » أنه من نسل موسى ابن أبي العافية ، وتبراً من فعل جده
مع أهل البيت (وليس من نسله كما في « السلوة ») .

كان فقيهاً مؤرخاً ضابطاً أخذ عن عدة شيوخ في المغرب ، منهم أبو العباس
المنجور ، ويحيى السراج ، وابن جلال ، وابن مجبر المساري ، والقصار ،
وأحمد بابا السوداني ، ورحل إلى المشرق وأخذ عن عدة شيوخ ، منهم العلقمي ،
والسنهوري ، والحطاب ، والبدر القرافي أيضاً .

وَأَلْف تَأَلِيف مَفِيدَة مِنْهَا « جَذْوَة اِاقْتَبَاس فِيمَنْ حَلَّ مِنْ اَلْاَعْلَام مَدِينَة
فَاس » وَ « دُرَّة الْحَجَّال فِي اَسْمَاء الرِّجَال » نَظْم ذَيْل بِه رَقْم الْحَلَل لابن الخطيب
وَ « نَيْل اَلْاَمَل فِيمَا بِه بَيْن المَالِكِيَة جَرَى الْعَمَل » .

ولد رحمه الله عام ٩٦٠ ، وتوفي سنة ١٠٢٥ ، وأشار المكلاطي لوفاته
بقوله :

وَخَرَّ شَهَابُ الدِّينِ اَحْمَدُ مَنْ بِـ * وَهُوَ شَهَابٌ ظَلَمَةُ اللَّيْلِ تَنْجَلِي

٥١ . باختصار وترجمته في « سلوة الأنفاس » (صفحة ١٣٣ من الجزء ٣ بطبع فاس سنة ١٣١٦ هجرية) أحسن منها وأطول .

محمد أمين المُجَبِّي

من « سلك الدرر في أعيان القرن ١٢ للمرادي »

ترجمه ترجمة حافلة مختصرها أنه محمد أمين المُجَبِّي بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود المُجَبِّي الحموي الأصل ، الدمشقي المولد والدار ، الحنفي ، العلامة الأديب المفضل المؤرخ الفاضل الشاعر الماهر ، أعجوبة الزمان .

ولد سنة ١٠٦١ ، وقرأ على شيوخ منهم الشيخ عبد الغني النابلسي ، وأخذ الطريق الخلوتية عن الشيخ محمد العباسي الخلوتي ، وأجاز له الشيخ يحيى الشاوي ، والشيخ محمد بن سليمان المغربي ، وكان له خط عجيب ، وألف مؤلفات حسنة كـ « ذيل ربحانة الخفاجي » و« خلاصة الأثر في تراجم أهل الحادي عشر » فيه زهاء ستة آلاف ترجمة ، وناب في القضاء بمكة ومصر ودرّس بالأمينية في دمشق إلى أن توفي رحمه الله سنة ١١١١ .

مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ القَادِرِي

من « سلوة الأنفاس للكتاني »

سيدي محمد بن الطَّيِّبِ بن عبد السلام الحسني القادري .

ولد رحمه الله يوم ٧ ربيع النبوي عام ١١٤٤ ، وتفقه على جماعة كأبي العباس ابن المبارك ، ومحمد بن عبد السلام البناني ، والمصمودي المعروف بالفندور : ومحمد الكبير بن محمد السرغيني العنبري ، وهو والذي قبله

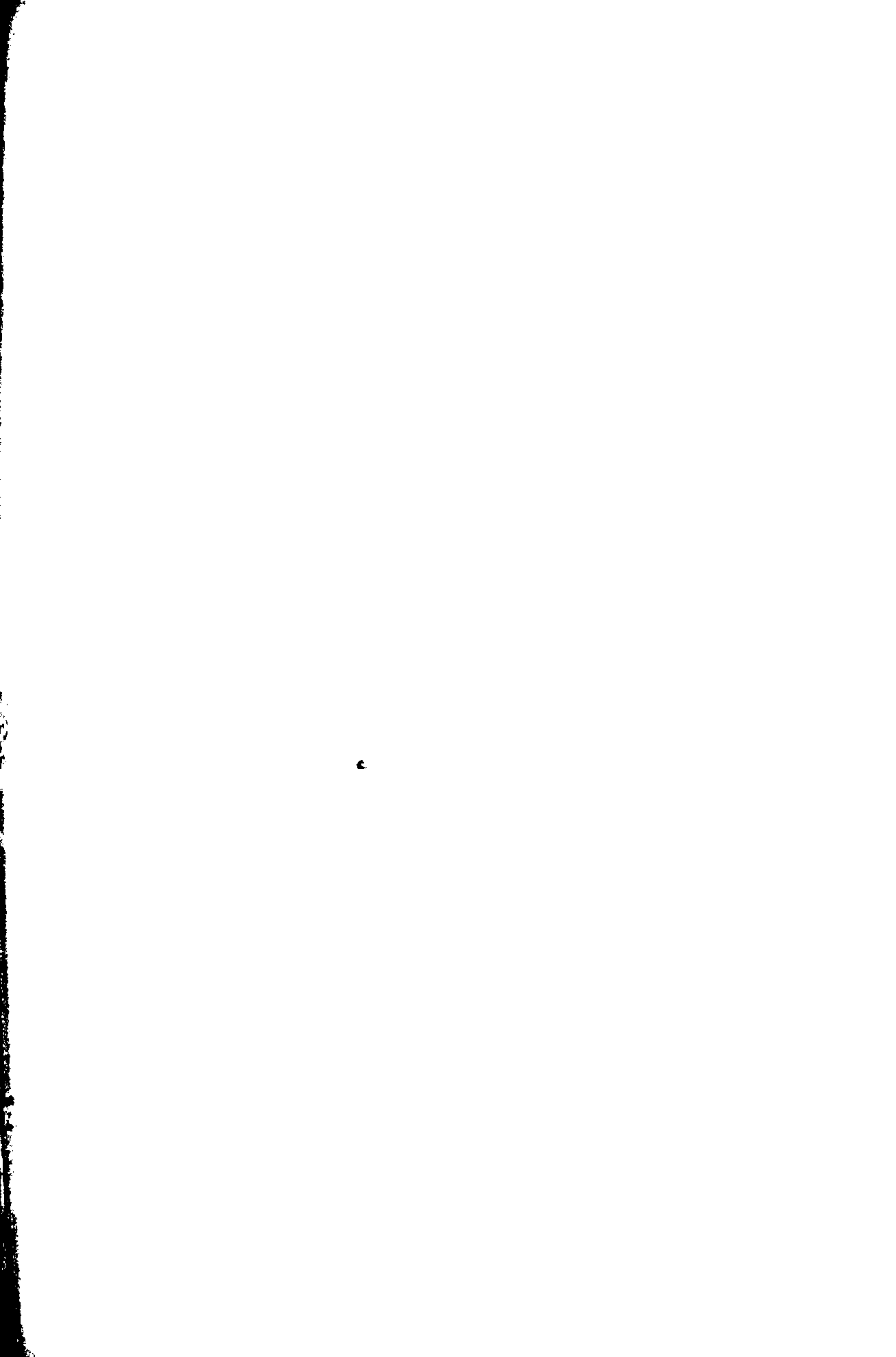
عمدته ، وأبي عبد الله جسوس وأضرابهم . وكان جليلاً جميلاً مشاركاً أديباً
مؤرخاً صوفياً واسع الحلم كاظماً للغيظ زكياً ذكياً غواصاً على الدقائق في
كل فن .

ولقي جماعة من الأسيخ كالدلائي والمدرع الأندلسي ، وعبد السلام
التواتي ، وانتفع بإرشادهم قولاً وفعلاً ، واستدعى الإجازة من الشيخ أبي
عبد الله محمد بن سالم الحفناوي فأجازه بالإجازة العامة في جميع ما تجوز له
وعه روايته ، وكان قلمه أبلغ من لسانه .

وألف رحمه الله تأليف عديدة في فنون مختلفة ، منها « نشر المثاني لأهل
القرن الحادي والثاني » في سفرين و« استفاد المواعظ والعبر في أخبار أعيان
أهل المئة الحادية والثانية عشر » و« الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج » .
وتوفي رحمه الله عشية يوم الخميس ٢٥ من شعبان سنة ١١٨٧ ، ودفن يوم
الجمعة بعد صلاتها .

انتهى القسم الأول

من كتاب تعريف الخلف برجال السلف



تعريف الخلف
بِرَجَالِ السَّلَفِ
القسم الثاني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٤

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بريقياً : بيوشران



٦١ نهج جامع الزيتونة - تونس - هاتف ٤٤٠٦٧٩

المكتبة العتيقة

تعريف الخلف

بِرِّحَالِ السَّلَفِ

القِسمُ الثَّانِي

تأليف

أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ أبي القاسم الديلمي بن سيدي إبراهيم الغول
عكفله الله بلطفه أمين

تحقيق

عثمان بطيخ

مجازي الشريعة ومجازي الحقوق
من الجامعة التونسية

محمد أبو الأجران

مدرس الفقه بالكلية الزيتونية
للشريعة وأصول الدين

المكتبة العتيقة

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فلما كان القسم الأول من كتاب « تعريف الخلف برجال السلف » الخاص بالمقيدين من علماء البر الجزائري في المدرسة الثعالبية قد التزمت فيه تحت أسمائهم بذكر التأليف التي نقلت منها تراجمهم ، رأيت أن أشير هنا إلى أن هذا القسم الثاني العام مقتطف منها ومن غيرها كـ « وفيات الأعيان » و « فوات الوفيات » و « الجبرتي » و « عقد الجمان النفيس » و « الملالي » و « الصباغ » و « مختصر النجم الثاقب » و « روضة النسرين » و « مغناطيس الدر النفيس » و « الرحلة الورتيلانية » و « الياقوتة الوهاجة في نسب سيدي محمد بن علي مولى مجاجة » ، ونقول أخرى جمعها من أجوبة المحبين كما سيأتي أثناء الكتاب ، غير أنني التزمت في هذا القسم أن لا أذكر بعض الكتب المنقولة منها تراجم أهله استغناء بذكرها في القسم الأول ، فمن شاء مراجعتها فعليه بها ، يجد ما هنا مسطوراً فيها إلا ما استفدته من المعاصرين الذين أجابوا النداء بما في استطاعتهم قياماً بوظيفة القلم الذي علم الله به الإنسان ما لم يعلم ، ولم ينخدعوا لخناس الجنة والناس ، فأذكره منسوباً إليهم .



القِسمُ الثَّانِي

مِنْ تَعْرِيفِ الْخَلْفِ بِرِجَالِ السَّلَفِ

[٢]

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَجِيحِيِّ

الشريف الرحالة المحدث الناظم الناثر .

أخذ بمدينة فاس عن الأستاذ الصغير ، وعن الشيخ ابن غازي ، وأبي العباس أحمد الونشريسي ، ولقي بتلمسان شيوخاً جلّة كالإمام السنوسي أبي عبد الله محمد بن يوسف ، وابن مرزوق ، والعقباني وغيرهم كالتنسي ، وأخذ بمصر عن الإمام السيوطي جلال الدين ، والبساطي ، وابن النجار الحنفي ، وبالمدينة المشرفة عن السخاوي ، والأشموني ، وله عن الجميع إجازات ومناولات وسلسلات ، وله قصيدة صيدية مطلعها ^(١) :

يلوموني في الصيدِ والصيدُ جامعٌ • لأشياء للإنسان فيها منافعُ
فأولها كسبُ الحلالِ أتتْ بهِ • نصوصُ كتابِ الله وهي قواطعُ
وهي طويلة جداً عليها شرح للراوية أبي القاسم الفجيجي ، وذكر أبو القاسم هذا أن من نظمه هذين البيتين في نسب المصطفى ﷺ وهما :

(١) أطلعتني عليها بشرحها محب العلم والعلماء ، ذو الطبع الطاهر والنفس الزكية الأخ المرحوم عبد القادر ابن محمد المبارك ، قائد أولاد سيدي عيسى بن محمد ، توفي رحمه الله صيف هذه السنة ١٣٢٤ ، عن أولاد أكبرهم أحمد ، وفيه نجابة ، وكأنه نسخة من أبيه ، أطل الله عمره ووقفه لما يرضيه آمين .

عَلِقْتُ شَفِيعاً هَالِ عَقْلِي قَرَأْتُهُ • كِتَابٌ مِينُ كَسْبُ لُبِّي غَرَائِبُهُ
فِدَاً مَعَشِرِ نَفْسِي كِرَامِ خُلَاصَتِي • مَنِي إِلَيْهِمْ مَذْ نَيْلَ مَجْدُ عَوَاقِبُهُ
ضَمَّنَ أَوَائِلَ الْكَلِمِ حَرْفًا مِنْ أَسْمِ أَبٍ مِنْ آبَائِهِ الْكِرَامِ ﷺ ، فَالْعَيْنُ مِنْ عَلَقْتُ
لِوَالِدِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالشَّيْنُ لِشَيْبَةَ وَهُوَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، وَالْهَاءُ لِهَاشِمٍ ، وَالْعَيْنُ لِعَبْدِ
مَنَافٍ ، وَالْقَافُ لِقَصِي ، وَالْكَافُ لِكَلَّابٍ ، وَالْمِيمُ لِمَرَّةٍ ، وَالْكَافُ أَيْضًا لِكَعْبٍ ،
وَاللَّامُ لِلْوَيِّ ، وَالغَيْنُ لِعَالِبٍ ، وَالْفَاءُ لِفَهْرٍ ، وَالْمِيمُ أَيْضًا لِمَالِكٍ ، وَالنُّونُ لِلنُّضْرِ ،
وَالْكَافُ لِكِنَانَةَ ، وَالخَاءُ لِحَزِيمَةَ ، وَالْمِيمُ لِمَدْرِكَةَ ، وَالْأَلْفُ لِإِلْيَاسٍ ، وَالْمِيمُ
لِمَضْرٍ ، وَالنُّونُ لِنِزَارٍ ، وَالْمِيمُ لِمَعْدٍ ، وَالْعَيْنُ لِعَدْنَانَ ، الْجِدُّ الْمُتَّفِقُ فِي النِّسْبَةِ إِلَيْهِ
الْمُخْتَلَفُ فِيمَا فَوْقَهُ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقِيلَ : إِنْ الْبَيْتَيْنِ لِلوَنَشْرِيْسِي
أَوْ الزَّرْقَاقِ . وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمَذْكُورِ مِنْ قَصِيدَةِ يَرْتِي بِهَا عَبْدِ الْحَقِّ السَّكُونِي الشَّرِيفِ
الْفَجِيحِي :

تَغَيَّرَتِ الْبُلْدَانُ وَاحْلَوْلَكَ اللَّيْلُ • وَشَبَّ ضِرَامُ الشَّرِّ وَانْهَمَرَ السَّبِيلُ
وَدَانَ الرَّحِيلُ مِنْ بِلَادٍ تَأَمَّرَتْ • بِهَا الْمَفْسُدُونَ وَاسْتَمَرَّ بِهَا الْهَوْلُ
[٣] فَلَ فَتْكَ إِلَّا وَتُنْسِيكَ فَتْكَ • وَلَا فَتْنَةٌ إِلَّا وَيَدْخُلُهَا الْعَوْلُ
وَلَا صَلَحَ إِلَّا إِثْرُهُ أَلْفُ غَدْرَةٍ • وَلَا قَوْلَ إِلَّا غَيْرُهُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
سَلَامٌ عَلَيْهَا لَا تَجَاوِرِ جِيرَةَ • مِنْ الْجَوْرِ عُنْبَاهُمْ إِذَا عَاتَبُوا الْقَتْلُ
أَتَسْكُنُ أَرْضًا لَيْسَ يُنْهَى سَفِيهَةٌ • وَلَا يُتَّقَى فِيهَا قِصَاصٌ وَلَا عَقْلُ
وَلَا بِأَمْنٍ الْأَخْيَارُ شَرَّ شَرَارِهَا • عَلَى خَطَرٍ يَبْقَى بِهَا مِنْ لَهِ الْقَضْلُ

وله كتاب منظوم في الديانات سماه ب « المفيد » ضمنه عيون الفقه ونوادير
المسائل ، توفي ببلد السودان بعد التسع مئة .

إبراهيمُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ التلمساني

إبراهيمُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ الإمامِ التلمساني .
الفقيه الحافظ الحجة المشارك المتفنن ، له علوم جمّة ، توفي بمدينة فاس ،
ودفن بباب الجيزمين سنة ٧٩٧ .

إبراهيمُ بنُ فائدِ القسطنطيني

إبراهيمُ بنُ فائدِ بنِ موسى بنِ هلالِ الزواوي القسطنطيني شارح « مختصر
خليل » .

قال السخاوي : ولد في جبل جرجر سنة ست وتسعين وسبع مئة (٧٩٦) ،
وأخذ الفقه عن أبي الحسن علي بن عثمان يعني المنجلاتي فقيه بجاية ، قال : ثم
رحل لتونس فأخذ الفقه أيضاً والمنطق عن الأبي ، والفقه والتفسير عن القاضي
أبي عبد الله القلشاني ، والفقه وحده عن يعقوب الزغبي ، والأصول عن عبد
الواحد الغرياني ، ثم رحل لجبال بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراج ،
ثم دخل قسنطينة فقطنها ، وأخذ الأصول والمنطق عن حافظ المذهب أبي
زيد عبد الرحمن الملقب بالباز ، والمعاني والبيان عن أبي عبد الله القيسي ،
والأصول والمنطق والمعاني والبيان مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي
عبد الله بن مرزوق عالم المغرب ، لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها ثمانية أشهر ،
ولم ينفك عن الاشتغال والاشغال حتى برع في جميع الفنون ، لا سيما الفقه .
وعمل تفسيراً و« شرح ألفيه ابن مالك » و« تلخيص المفتاح » في مجلد
وشرح « مختصر خليل » في ثمان مجلدات وسماه « تسهيل السبيل لمقتطف أزهار

روض خليل « وشرحاً آخر كمل في مجلدين سماه « فيض النيل » . وحجّ مراراً
وجاور وتوفي سنة سبع وخمسين وثمان مئة (٨٥٧) هـ .

قلت : وقد وقفت على السفر الثالث من شرحه المسمى « تسهيل السبيل »
من القسمة حسن من جهة النقول يستوفيا . يعتمد فيها على ابن عبد السلام
[٤] والتوضيح وابن عرفة وغيرهم . وفي آخره جامع كبير محتو على فوائد لخصها
من « البيان » لابن رشد وغيره . ورأيت في خزانة جامع الشرفاء بمراكش
السفر الأول من شرح آخر له على خليل ، قدر الثلث إلى الجهاد سماه « تحفة
المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق » مجلد ضخيم .

ابراهيمُ بنُ قاسمِ التلمساني

إبراهيمُ بنُ قاسمِ بنِ سعيدِ بنِ محمدِ العقباني التلمساني قاضي الجماعة بها
أبو سالم الإمام العلامة الحافظ ابن شيخ الإسلام مفتي الأمة أبي الفضل قاسم .
أخذ رحمه الله عن والده وغيره من عثماء تلمسان ، وحصل وبرع وألف
وأفتى ، وتولّى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة محمد بن أحمد بن قاسم
الآبي . قال الشيخ أحمد زروق : وكان أبو سالم هذا فقيهاً تولّى قضاء تلمسان
وكان شكوراً هـ .

ونقل عنه المازوني في « نوازله » : وممن أخذ عنه العلامة أحمد الونشريسي
وأثنى عليه ، ونقل عنه في كتبه ، وذكر عنه في تعليقه على ابن الحاجب أنه
كان هو وأبوه الإمام قاسم يشددان النكير على ابن العربي في قوله بجواز إرسال
الريح في المسجد . توفي سنة ثمانين وثمان مئة (٨٨٠) ، ذكره الونشريسي في
« وفياته » وغيره . مولده سنة ثمان وثمان مئة (٨٠٨) ، والله أعلم .

إبراهيمُ بنُ محمدِ التَّازِي

إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ علي اللّثمي التّازي نزيل وهران ، الشيخ أبو سالم وأبو اسحاق الإمام العالم العلامة الناظم البليغ الورع الزاهد الولي الصالح العارف القطب . صاحب الكرامات والأحوال البديعة ، والقصائد الرائقة الأنيقة .

قال أبو عبد الله بن سعد في « النجم الثاقب » : كان سيدي إبراهيم من الأولياء الزاهدين وعباده الصالحين ، إماماً في علوم القرآن ، مقدماً في علم اللسان ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفقه وأصوله ، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين ، إماماً من أئمة المسلمين ، وقفت على كثير من تقايبه في الفقه والأصول وعلم الحديث بخطه الرائق ، من أهل الحفظ العظيم معروفاً بجودة النظر والفهم الثاقب ، جامعاً لمحاسن العلماء ، ممتعاً بآداب الأولياء ، فلا نظير له في كمال العقل ، ومثانة الحلم ، والتمكن في المعارف ، وبلوغ الدرجة العليا في حسن الخلق ، وجميل العشرة ، والمعرفة بأقدار الناس ، والقيام بحقوقهم ، وحسبك من جلالته وسعاده أن المثل ضرب بعقله وحلمه . واشتهر في الآفاق ذكر فضله وعلمه حتى الآن ، إذا بالغ أحد في وصف رجل قال : كأنه سيدي إبراهيم التازي ، وإذا امتلأ أحدهم غيظاً قال : لو كنت في منزلة سيدي إبراهيم التازي ما صبرت لهذا ، لما كان يتحملة من أذاية الخلق ، والصبر على المكاره ، واصطناع المعروف للناس ، والمداراة فهو أحد من أظهره الله لهداية خلقه ، وأقامه داعياً لبسط كراماته ، مجللاً برداء المحبة والمهابة ، مع ما له من القبول في قلوب الخاصة والعامة . فدعاهم إلى الله ببصيرة ، وأرشدهم لعبوديته بعقائد التوحيد ووظائف الأذكار .

كان أحسن الناس صوتاً وأنداهم قراءة ، آية في فصاحة اللسان والتجويد ،

ذكر أنه أيام مجاورته إذا قرأ البخاري أو غيره انحشر الناس إليه لحسن قراءته وجودته ، وصلى الأشفاع هناك في رمضان بالناس لحسن تلاوته وطلاوة حلاوته ، وأصله من بني لنت قبيلة من بربر تازا ، وشهر بالتازي لولادته بها . وقرأ بها القرآن على العالم الصالح الولي العارف أبي زكرياء يحيى الوازعي . وكان هذا الشيخ يعتني به على صغر سنه ويقول لأقرانه : هذا سيدكم وصالحكم . وما زال على حاله الحسنة ، ونشأته الصالحة وهدية القويم إلى أن رحل للشرق . وعلمائه على ساق ، وعُرفت صدّيقته هناك ، واشتهر ذكره . وكان رفيقه في وجهته للبلاد المشرقية نظيره في العلم والدين الولي الصالح الزاهد الناصح أحمد الماجري اه . كلام ابن سعد ملخصاً .

قلت : ولما حج لبس الخرقة من شرف الدين الداعي ، ولبسها من الشيخ صالح بن محمد الزواوي بسنده إلى أبي مدين ، وأخذ عنه حديث المشابكة ، وتبرك بالشيخ الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري ، وتلمذ له فنال بركته ، وكان عالماً زاهداً متصرفاً له كرامات ومكاشفات كثيرة ، وقصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم ، أخذ عنه جماعة من الأئمة كالحافظ التنسي ، والإمام السنوسي ، وأخيه سيدي علي التالوتي ، والإمام أحمد زروق ، وغيرهم .

قال القلصادي في « فهرسته » : أقيمت بوهران مع الشيخ المبارك سيدي إبراهيم التازي خليفة الهواري في وقته ، كان له اعتناء بكلام شيخه ، ومن حكمه : العالم لا تعاديه ، والجاهل لا تصافيه ، والأحمق لا تواخيه اه .

قال ابن سعد : وأخذ بمكة عن علامة علمائها ، وكبير محدثيها ، قاضي القضاة المالكية سيدي الشريف تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي ، قرأ عليه كثيراً من الحديث والرقائق ، وأجازته . وبالمدينة على جماعة كإمام

الأئمة أبي الفتح ابن أبي بكر القرشي وغيره . وكان كلامه في طريق التصوف .
ومقام العرفان لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته . وقويت عارضته .
[٦] وذاق من طعم الحب ما توفرت به مادته . وأخذ بتونس عن شيخ الإسلام الحافظ
العلامة عبد الله العبدوسي . وبتلمسان عن علامة وقته خاتمة العلماء محمد بن
مرزوق . وأجازاه معاً . وزار بوهران شيخ المشايخ جنيد أقرانه وحكيم زمانه
الحواري اه .

قلت : قوله عبد الله العبدوسي لعل صوابه أبي القاسم عبد العزيز العبدوسي .
فهو نزيل تونس في ذلك الوقت . وأما عبد الله العبدوسي ، فهو ولد أخيه .
لم أعرف له رحلة لتونس ، ولا ذكره أحد . وإنما كان بفاس وبها توفي .
والله أعلم . وتوفي سيدي إبراهيم تاسع شعبان سنة ست وستين وثمان مئة (٨٦٦)
رحمه الله تعالى . ونفعنا به . هكذا ذكره غير واحد . ومن شعره رضي الله عنه :

أما آن ار عواؤك عن شنار
أبعد الأربعين تروم هزلأ
فخل حُظوظ نفسك واله عنها
وعد عن الرباب وعن سعاد
فما الدنيا وزخرفها بشيء
وليس بعاقلي من بصطفيهـا
فنب واخلع عذارك في هوى من
جمال الله أكمل كل حُسن
وحب الله أشرف كل انس
وذكر الله مرهم كل جرح
ولا موجود إلا الله حقاً

كفى بالشيب زجراً عن عوار
وهل بعد العشيّة من عرار
وعن ذكر المنازل والديار
وزينب والمعازف والعقار
وما أيامها إلا عواري
أتشري الفوز ويحك بالتبار
له دار النعيم ودار نار
فله الكمال ولا مُماري
فلا تنس التخلق بالوقار
وأنفع من زلال للأوار
فدع عنك التعلق بالشنار

وله من قصيدة :

يا صاح من رزق التقي وقلی الدُّنَا
فاصرف هوى ذنباك واصرم حبلها
وودادها رأس الخطايا كلها
لا تغترر بغرورها فمتاعها
لعب ، ولهو ، زينة ، وتفاخر
خداعة ، غدارة ، نكارة
اليوم عندك جاهها وحطامها
فاقبل نصيحة مخلص واعمل بها
يدخلك جنات النعيم بفضله

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

له خيرة بالوقت والعلم والحال
أراد وصولاً أو بنى نيل آمال
وآخرهم شيخي وموضع إجلالي
وذا منذ أعوام خلون وأحوال
عليه من الله الرضى ما تلا تالي

وله أيضاً من أخرى :

حسامي ومنهاجي القويم وشرعني
محبة رب العالمين وذكره
وأفضل أعمال الفتى ذكر ربه
وما من حسام للمريدين غيره
وكم بددوا شملاً لدي جرأة وكم

وَكَمْ دافعَ اللهُ الكَرِيمُ بذكرِهِم
وأفضلُ ذِكْرٍ دعوةُ الحيِّ فلتَكُنْ
فكثرةُ ذِكْرِ الشَّيْءِ آيةٌ حَبِّهِ
وله أيضاً من أخرى رحمه الله :

عَنْ الخَلْقِ من مَكروهَةٍ ومُبيرَةٍ
بها لَهَجاً في كلِّ وقتٍ وحالَةٍ
وحسبُ الفتى تَشْرِيفُهُ بالمَحَبَّةِ

وخيرةُ الخَلْقِ مَنْ مِنْ أَجلِهِ خُلِقُوا
مَنْ خَصَّهُ بلِواءِ الحمدِ حامِـدُهُ
ويومَ حَشْرِ الوَريِّ للفضلِ يُرَشِدُهُ
وكثرةُ الحمدِ مِنْ أوصافِ أُمَّتِهِ
صَلَّى الحَمِيدُ على المَحمودِ أَحْمَدَ ما
للهِ عبدٌ شُكُورٌ حامِـدٌ وَعَلَى

محمداً خيراً محمودٍ وَمَنْ حَمِداً
وبالمقامِ القِيامِيِّ الذي حَمِداً
إلى محامداً لم يُرشد لها أحداً
في اليُسْرِ والعُسْرِ في الكُتُبِ العِلا وَجِداً
بالحمدِ أَفصحَ حَمَّادٌ وما سَجِداً
قُرباهِ والصَّحْبِ أَعلا الأُمَّةِ الحَمِداً

وله أيضاً قَدَسَ اللهُ سره من أخرى :

فَدَعُ عَنْكَ لومي والنَّفوسِ وما تَقوى
وعَلَقَمُهُ أحلاماً مِنَ المَنِّ والسَّلوى
وسعيُّ اللِّواحِي في السَّلِيِّ مِنَ العَدوى
فلوَعَتُهُ إِنْكَ وَصَبوتُهُ دَعوى
للَّهُو الدُّنا ، فاخترَ لِنَفْسِكَ ما تَهوى
وأملاكه والأَنْبياءِ وأوليِّ التَّقوى
مُحمداً الهادي إلى جَنَّةِ المَأوى

أَبَتْ مُهَجَتِي إِلاَّ الوَلوعَ بِمَنْ تَهوى
هوَانُ الهوى عَزٌّ ، وَعَذْبُ أَجاجُهُ
وتَعذِيبُهُ لِلصَّبِّ عَيْنُ نَعِيمِهِ
وَمَنْ لَمْ يَجُدْ بِالنَّفْسِ في حُبِّ حَبِّهِ
وليسَ بحرٌّ مَنْ تَعَبَّدَهُ الهوى
فما الحُبُّ إِلاَّ حُبُّ ذِي الطَّوْلِ والغِنى
وخيرةُ رُسُلِ اللهِ أَفضلُ خَلْقِهِ

وله أيضاً قَدَسَ اللهُ روحه من أخرى :

وجنَّتِي مِنْ سرورِ الإنسِ والجانِ
ذَكَرُ المَهيمِينَ في سرِّ وإعلانِ
وذُو المقامِ الذي ما قامَهُ ثاني

روحي وراحةُ رُوحِي ثم رَيباني
ومَأْمَنِي وأماني مِنْ سَعيرِ لَظْئِي
ومَدْحُ أَحْمَدِ أَحْمَى العالمينَ حِمْسِي

هذا السراجُ هو المنجى لمُعْتَصِمٍ • هذا المعاذُ ومَلْجَا الخائفِ الجاني
يا رحمةَ اللهِ إني خائفٌ وجيلٌ • يا نعمةَ اللهِ إني مُفْلِسٌ عانسي

إلى غيرها من قصائده الكثيرة ، وقد ذكرت كثيراً من أحواله في غير هذا
الموضع ، بل عرّف به الشيخ ابن سعد في نحو كراسين من « النجم الثاقب » .

إبراهيمُ بنُ موسى المصمودي التلمساني

الشيخ العالم الصالح الوليّ الزاهد أبو إسحاق ، أحد شيوخ الإمام ابن
مرزوق الحفيد ، أفرد ترجمته بتأليف .

قال الشيخ أبو عبدالله بن سعد التلمساني في كتابه « النجم الثاقب » :
كان هذا الوليّ أحد من أوتي الولاية صبيّاً ، وحل من رئاسة العلم والزهد مكاناً
عليّاً ، عرّف به شيخ شيوخنا الإمام ابن مرزوق في جزء قال فيه : ومن شيوخه
الذين انتفعت بهم الإمام العالم العلامة المحقق المدرس ، رئيس الصالحين
والزاهدين في وقته ، ذو الكرامات الماثورة والديانة المشهورة ، الولي بإجماع
المجانب الدعوة إبراهيم المصمودي من صنهاجة المغرب ، قرب مكناسة ،
بها ولد ونشأ ، ثم طلب العلم ، وأخذ بفاس عن جماعة من الأكابر ، كالإمام
حامل راية الفقهاء في وقته موسى العبدوسي ، والإمام الشهير محمد الإيلي ،
وقرأ كثيراً على الإمام شريف العلماء أبي عبدالله الشريف التلمساني . ثم
انتقل بعد وفاته للمدرسة التاشفينية ، فقرأ بها على العلامة خاتمة قضاة العدل
بتلمسان سعيد العقباني ، ثم لبّوئته المعروفة . وما زال مقبلاً على العلم والعبادة
والاجتهاد في المجاهدة آخذاً بالغاية القصوى . ورعاً وزهداً وإيثاراً . مثابراً

على البرّ ، متبعاً طريق السلف ، أحب الناس مذاكرة للعلم ، لا يسمع بكبير في علم أو منفرد بفن إلا اجتمع به وذاكره ، أعلم أهل وقته بالسير وأخبار السلف والصالحين والعلماء كافة من متقدمين ومتأخرين ، كفاه الله ما أهمه كما ضمن لمن انقطع لخدمته . وله كرامات كثيرة ، وحدثني كبير أصحابه الشيخ أبو عبد الله بن جميل أنه عرض له شيء منعه من اتباع المشهور في مسألة ، واضطر لفعله فبحث حتى وجد جوازه لابن حبيب وأصبع فقلدهما ، قال : ثم مضيت لزيارة أُمِّي وسقط علي حجر آلني شديداً ، واعتقدت أنه عقوبتي لمخالفة المشهور وتقليد غيره ، وما علم بذلك أحد ، ثم زرت الشيخ وأنا متأم ، فقال لي : مالك يا فلان ؟ قلت له : ذنوبي ، فقال لي فوراً : أما من قلّد أصبع وابن حبيب فلا ذنوب عليه ، وهذا من أكبر الكرامات . وحدثني [٩] بعض صالحى أصحابه قال : كنت جالساً معه في بيته ليس معنا أحد ، وهو يقرأ القرآن ويشير بقضيب في يده إلى محل الوقف ، ضارباً على عادة أشياخ التجويد ، فقلت في نفسي : لِمَ يفعلُ هذا أترأه يقرأ عليه أحد من الجن ، فما تم الخاطر حتى قال لي : يا محمد كان بعض الشيوخ يجود عليه الجن القرآن ، وذكر لي عن غير واحد ممن يهدي طعاماً من لبن أو غيره وربما رده عليهم ، فيتفقدون أنفسهم ، فيجدون موجب الرد من شبهة من ضجر أهل البيت أو غيره ، وحدثني غير واحد أنه كان خارج البلد في وقت لا يدرك الباب عادة إلا وقد غلقت ، ثم يروونه في البلد اه .

قال ابن سعد عن حده أبي الفضل : إن الشيخ أبيض اللون طويل ، لا يلبس سوى الكُما الجيدة ، يعري رأسه أكثر الأوقات ، وذكر جماعة من الفضلاء أنه في ملازمته للجبل إذا وجد نوار الربيع أمعن النظر في أنواعه وألوانه وصنعتة ، فيغلبه الحال ويتواجد ويتبختر ويقرأ حينئذ ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ . وقال عن جده عنه : توفي عام خمس وثمان

مئة (٨٠٥) ، وحضر جنازته السلطان ماشياً على قدميه اه .

وذكر الونشريسي في « وفياته » أن وفاته سنة أربع وثمان مئة (٨٠٤) .

إبراهيمُ بن ميمونِ الزواوي

الشيخ الفقيه الصالح الأديب المبارك الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون ابن بهلول الزواوي ، رحل إلى المشرق ، ولقي أكابر العلماء وأخيار الفضلاء ، كالرشيد بن عوف ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيرهم . كان منقطعاً عن الدنيا متعبداً متزهداً ، وكف بصره في آخر عمره ، وكان حسن الحديث ، مستطرف الرواية ، بديع الحكاية ، وله نظم حسن ، وكلام في النثر مستحسن ، ولقد رأيتُه نظم شعراً تفرس فيه معاني ، ودرس فيه على وقوع أمر فيه تواني ، واستكتم من نظمه أن لا يظهره إلا بعد ظهور ما فيه ، فكان علم الله كما نظم ، وعلى نحو ما توسم ورسم ، ويحتمل عندي والله أعلم أن يكون ذلك من جملة المكاشفات ، ومما شاهدته في مرآته الصقيلة كما يشاهد في المرآة ، فإنه كان أهلاً لذلك لسلكه من سبيل الخير والبر أقفل المسالك .

توفي رحمه الله ببجاية يوم الاثنين الرابع من شعبان المكرم عام ستة وثمانين وست مئة (٦٨٦) اه .

إبراهيمُ بن يُخلفِ المطماطي التنسي

إبراهيمُ بن يُخلفِ بن عبد السلام التنسي المطماطي ، انتهت إليه رئاسة التدريس [١٠] والفتوى في أقطار المغرب كلها ، ترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد افريقية كلها .

شرح « التلقين » لعبد الوهاب في عشرة أسفار ، فضاع الشرح في حصار تلمسان . وما زال السلطان يغمراسن بخطبه للورود على تلمسان فيمتنع ، يردُّ زائراً ويُقيم أشهراً وينصرف إلى تنس ، ثم لما كان شأن مغراوة رحل لتلمسان فطلب منه الفقهاء والسلطان القيام بها فأجابهم ، فاستوطنها ودرّس بها ، وانتفع به خلق لا يحصون ، وإليه الرحلة شرقاً وغرباً ، وكان من أولياء الله الجامعين بين علم الباطن والظاهر ، ومن تلاميذه الشيخ أبي عبدالله ابن الحاج صاحب « المدخل » ، وله كرامات كثيرة ، منها ما حدث به ابن القطان عنه أنه قال : لما دخلت إلى مكة وطففت بالبيت ذكرت قوله تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (١) فقلت في نفسي : تعارضت الأقوال واختلفوا في معنى الأمن ، فصرت أكرر وأقول آمناً آمناً ماذا؟ فسمعت صوتاً خلف ظهري : آمناً من النار يا إبراهيم ثلاث مرات أو مرتين . قال ابن الحاج : ورحم الله شيخنا أبا إسحاق التنسي من ورعه أنا مضينا معه في قرى مصر ، فأصابنا عطش شديد ، فأدركنا بعض تلاميذه بلبن مشوب بسكر ، فامتنع من شربه ، فقلت له : كيف يا سيدي تركه وأنت في غاية الحاجة إليه؟ فقال : خفت أن يكون فعله جزاء القراءة علي ، فركته لذلك خوفاً أن ينقص من أجري ، ورد له الإناء اه .

لقي في رحلته أعلاماً بمصر والشام ، وروى عن ابن كحيل ، وناصر الدين المشدالي ، وقرأ بتونس على جماعة ، وبالقاهرة « المحصول » على الشمس الأصبهاني ، والمنطق والجدول على القرافي ، وحضر على السيف الحنفي « الإرشاد » للعميري حتى ختمه ، ولم يتكلم بكلمة ، فلما أعادوا قراءته ، فأول ما قرر به السيف الحنفي كلام المصنف قال الشيخ أبو إسحاق : عندي تقريركم لهذا الموضوع بغير هذا ، فطلب منه تقريره ، فقرّره ثم أحضر لهم غداً تقييداً قبده

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٧ .

على الشيخ في المرة الأولى ، فأمر الشيخ بقراءته ، فقرأ عليه حتى ختم ، واستحسنه كل من حضر ، وهو الشرح الموجود الآن بيد الناس ، ينسبه بعضهم للسيف .

وتوفي رحمه الله بتلمسان ، كذا وجدت هذه الترجمة في بعض المجاميع ، وذكره الشيخ أبو عبدالله العبدري الحاجي في « رحلته » فقال : كان الشيخ أبو إسحاق التنسي وأخوه أبو الحسن فقيهين مشاركين في العلم ، مع مروءة تامة ودين متين ، وأبو إسحاق أسنهما وأسناهما ، وهو ذو صلاح وخير ، وكان [١١] شيخنا الزين بن المنير حفظه الله يثني عليه خيراً كثيراً ، وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم ، فقال لي : بلاد فيها مثل أبي إسحاق التنسي ما نلت من العلم ، ولقيتهما بمصر وكان أبو الحسن لم يحجَّ فحجَّ معنا ، فلقيت منه خيراً فاضلاً ، لازم شيخنا أبا الفتح ابن دقيق العيد بمصر مدة ، وأخذ عنه كثيراً .

إبراهيم بن يوسف الوهراني

إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الله بن إدريس بن القايدي الوهراني شهر بالحمزي ، لأن أصله من حمزة موضع بناحية المسيلة من عمل بجاية ، يكنى أبا إسحاق ، ويعرف بابن قرقول من أهل المرية ، وبها ولد ونشأ .

سمع من جده لأمه أبي القاسم بن ورد ، ومن أبي الحسن بن نافع ، وروى عن أبي عبد الله بن زغبية ، وأبي الحسن بن معدان ، ويعرف بابن اللوان ، وعن أبي الحجاج القضاعي ، وأبي الحسن بن موهب ، وأبي العباس بن العريف ، وأبي محمد الرشاطي ، وأبي عبد الله بن وضاح ، وأبي محمد بن عطية ، وأبي الحجاج بن سعدن ، وأبي الفضل بن شرف ، وأبي عبد الله بن الحاج

الشهير ، وأبي الحسن بن مغيث ، وأبي عبد الله بن مكّي ، وأبي بكر بن زيدان ، وأبي جعفر بن العزيز ، وأبي بكر بن العربي . وأبي إسحاق بن حبيش ، وأبي الحسن بن بادش ، وممن كتب له بالإجازة أبو محمد بن عتاب ، وأبو بكر الأسدي ، وأبو الطاهر السلفي ، وأبو عبد الله المازري ، وله رواية عن طارق بن يعيش ، وأبي الحسن بن هذيل ، وأبي الوليد بن الدباغ . وأبي الفضل عياض بن موسى ، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن النعمة . ولقي بجزيرة شقر أبا إسحاق الخفاجي ، فحمل عنه ديوان شعره . وبمكناسة أبا القاسم بن الأبرش ، وكان رحالاً في طلب العلم ، حريصاً على لقاء الشيوخ . وله معرفة بالأدب والحديث ورجاله .

ولد بالمرية في صفر سنة ٥٠٥ هـ ، وخرج من اشبيلية إلى تلمسان ، وبها أخذ عن ابن غزلون صاحب أبي الوليد الباجي ، ثم عاد إلى الأندلس ، ولم يزل بمالقة إلى أن انتقل منها إلى سبته سنة ٥٦٤ هـ ، ثم إلى سلا ، وتوفي بمدينة فاس عند العصر من يوم الجمعة السادس لشعبان سنة ٥٦٩ هـ ، ودفن قريباً من برج الكوكب الذي يقال له اليوم : سيدي علي المزالي ، وقد تكلم فيه بعضهم من جهة كتاب « المطالع » ، وهو ولا بد كتاب « مشارق القاضي أبي الفضل عياض » ، كان القاضي قد تركه في مبيضته فاستعارها ، وجرّد منها ما أمكن نقله لاستعمائها وصعوبتها ، ثم نقل الناس من كتابه . قال ابن خاتمة : ولم يتصل بنا أنه نسب الكتاب إلى نفسه ، ذكره ابن الأبار ، وابن خاتمة ، وابن مؤمن في « مزينه » .

سيدي إبراهيم الحنفي

الوليّ عند الناس بلا شك ، وهو والله أعلم كذلك ، وقلوبنا تشهد بذلك [١٢] الشيخ سيدي إبراهيم الساكن في ناحية احنيف ، مشهور معلوم أحواله مرضية ،

وأنفاسه زكية ، ولطائفه وهبية ، وأولاده مشهورون بالصلاح إلى الآن ،
وقد أدركت منهم فضلاء كالفقيه سيدي أبي القاسم ، محبٌ ذو ودٍّ وصدق اه .
ورتيلائي .

سيدي إبراهيم بن عمار

الولي الصالح والفاضل الناصح ذو البركة البينة ، والأحوال المزينة ،
والأمور المستحسنة ، المجاهد نفسه حق الجهاد ، سيدي إبراهيم بن عمار
وقد قيل : إنه في محله المعلوم ما فاتته صلاة الصبح مع شيخه سيدي يحيى
العبدلي صيفاً وشتاءً وغيرهما ، اغتناماً لبركة الشيخ ، وإن ذلك خارق للعادة ،
إذ لا يمكن ذلك في النهار دائماً فضلاً عن الليل ، وقد قيل : إن الشيطان يصنع
النار له لعله يعوقه عن اللحوق به ، فيشعر به ولا يلتفت له أصلاً ، ويلعنه
ويستعيد من شره . نفعنا الله به آمين ، وأولاده أهل بركة وخير ، وفق الله
الكل إلى صالح القول والعمل ، وحفظ جميعنا من الزبغ والزلل اه . ورتيلائي

سيدي إبراهيم الغول

ابن سيدي إبراهيم السلامي

قال القطب سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة : إنما سُمِّي سيدي
إبراهيم الغول لأنه تغول في الولاية ، ووصفه بحر الحقيقة سيدي الحاج عيسى
الأغواطي بمخ الشرفاء في قصيدة قالها عند ضريحه يستغيث به ، لما أهمله
أهل أبي سعادة ولم يكرموا مثواه . وهي من الشعر الملحون كسائر قصائده ،
ويحفظها كثير من الناس في الناحية . ولكن شرفه من قبل أمه لا يختلف فيه

[١٣]
 اثنان ، لأنها بنت شريف أبي سعادة ، وثبوت الشرف من قبل الأم قال به
 المحققون ، والحقيقة تشهد بثبوته لأن ثبوت البنوة للأم ، أقوى من ثبوتها
 للأب ، ولا يعارض هذه القوة إلا المتمسكون بالظواهر ، والحاكم بها يحتاج
 إلى قوة من العلم والفهم ، يدرك بها مقتضيات الأحوال ، ويعتمد عليها في
 استخراج أدلة الأقوال ، مثل عالم الأولياء وسيد العلماء الجامع بين الشريعة
 والحقيقة سيدي الحفيد بن مرزوق التلمساني مؤلف رسالة « إسماع الصم في
 إثبات الشرف من قبل الأم » ولا شك أن المسألة ذات وجهين : أحدهما يرى
 في مرآة الحقيقة والآخر في مرآة الشريعة ، وتلازمهما معلوم ، والمقتصر على
 إحداهما ملوم ، وقد سئل سيدي إبراهيم الغول عند موته عن شرفه الأبوي
 فأجاب بأن الشريف يظهر غداً أي : في الآخرة ، ولهذا تجد بنيه لا يعتمدون على
 الشرف ، فلا ينحدرون في ما انحدر فيه غيرهم من الخصال المنافية له .

تواتر أن سيدي إبراهيم الغول تركه أبوه في بطن أمه وأوصاها بتسميته
 باسمه إن لم يرجع إليها قبل سنة ، وسافر يريد حج بيت الله الحرام ، وزيارة
 سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ولما وصل إلى الجزائر ذاهباً
 أو آيماً استشهد في مرساها ، وأقبر في موضعه ، وضريحه مقصود للزيارة
 والتبرك ، وكانت لخير الدين معرفة به في الديار المشرقية ، فبنى عليه قبة
 فخيمة ، ورتب لها قيماً ونفقات ، ووجد بخط يد سيدي محمد بن علي الخروبي
 خطيب الجزائر في وقته أن سيدي إبراهيم هذا جاء من الصحراء ، قاصداً
 حج البيت واستشهد في الجزائر اه . وهو مطابق لما كان يحكيه لنا أسلافنا
 الصالحون ، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وكاتبني به الوالد قدس الله سره ،
 وذكر لي بعض الأصدقاء في الجزائر عفى الله عنه أن عنده كراريس من كتاب
 ألفه بسكري في رجال الصحراء ، وتعرض فيه لذكر أبي سعادة وسيدي
 إبراهيم وللحكاية السابقة نفسها ، ويقال : إنه ساح في الصحراء ودخل توات ،

وزاد في السياحة إلى تنبكتو ، ورجع إلى المغرب الأوسط ، ونزل في أبي سعادة ، وكانت وقتئذ قصراً صغيراً فيه دويرات وعين ومسجد ، يُسمى اليوم جامع النخلة ، وهو العتيق ، ولما استقرَّ زوجه سيدي سليمان بن ربيعة منهم ، وحملت منه زوجته ، وذهب إلى الحج كما تقدم ، ولما وضعت حملها سمته باسمه إبراهيم السلامي نسبة إلى دار السلام ، مقام سلطان الصالحين سيدي عبد القادر الجيلاني ، رضي الله عنه ونفعنا بركاته ، وكان والياً عليها ، ومنها جاء أبوه في البحر على طريق ازمير مع سيدي محمود بوفاله دفين المسيلة ، قيل : وسيدي والي دادة دفين الجزائر ، والثلاثة أتراك ، ولعل سيدي والي دادة كان صغيراً وطال عمره بعدهما ، حتى ظن من ظن أنه متأخر عنهما بكثير ، والله أعلم ، ولما تُوفيت أمه رحمها الله تعالى تركته في كفالة أخيها ، وربته أم سيدي عيسى بن محمد (بالفتح) القطب الشهير ، وكانا يقرآن معاً على سيدي محمد بن دحيمين الرجل الصالح المتبرك بتربته إلى الآن في أبي سعادة ، فحفظا القرآن ، وكَبِرا أخوين في الله إلى أن سارا إلى رحمة الله تعالى ، وكان سيدي إبراهيم رضي الله عنه ذهب إلى دار السلام ، واستبطأه سيدي عيسى ، [١٤] وقد كبرت أخته وخطبها بنو قبيلتها أولاد سيدي سعيد ، فنادهه وجاءه ، وقال لهم : هذا زوجها قد حضر فبني بها ، وبعد مدة مات سيدي إبراهيم عن ثلاثة بنين ، سيدي محمد (بالفتح) ، وسيدي التواتي ، وسيدي رابع ، وكثر بنوهم وصاروا قبيلة ، ومثلهم أولاد سيدي عيسى بن محمد ، وفي القبيلتين رجال اشتهروا بالعلم والولاية .

فمن أولاد سيدي محمد سيدي أبو القاسم ، وسيدي محمد بن مرزوق ، وسيدي الزيتوني ، وسيدي أحمد بن عروس ، وأولاد سيدي أبي القاسم سيدي محمد المبارك ، وسيدي عبد القادر ، وسيدي الزروق ، وسيدي عبد الله ، وسيدي محمد ، وسيدي رحمون ، وأولاد سيدي محمد هم أهل قرية الديس

ونواحيها ، وتسميهم الدولة أولاد سيدي بلقاسم . وأولاد سيدي التواتي هم أولاد سيدي اللعوبي ، وهم أهل أبي الزراريع والتريبة . وأولاد سيدي رابع هم أهل قرية أبي التزوة ونواحيها ، فالفرق ثلاثة . وفي كل منها رجال علم وولاية .

فمن أولاد سيدي محمد الشيخ سيدي أبو القاسم ، وقبته متبرك بها في الدير ، وسيدي محمد المبارك ، وقبته في الجبانة الكبرى المعمورة بالصالحين والصالحات ، ومن أولاد سيدي محمد المبارك القطب الأكبر مراد الله المجذوب إليه المجرّد عن الدنيا سيدي البشير بن السعيد ، وله كرامات كثيرة ، ومكاشفات لا تحصى ، ولم يزل في قيد الحياة ، أطال الله عمره ، ونفعنا ببركاته وجمعنا به مؤمنين آمين آمين ، ومن أولاد سيدي رحمون سيدي أحمد بن سليمان ، من تلاميذ الشيخ ابن عزوز البرجي ، ومثله ولده شيخنا سيدي محمد الصديق ، وولد ولده حفيدي الشيخ محمد بن الصديق (حي) ، وأخوه التقي سيدي عبد الله (حي) ، ومن أولاد سيدي عبد القادر ، سيدي محمد الشلالي ، شاعر الحضرة النبوية ، وعاشقها ، نفعنا الله ببركته ، وسيدي دحمان بن الشريف ، وسيدي دحمان بن الفيصل (حي) ، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الأول ، وولده سيدي محمد السنوسي ، وولد ولده شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمن الثاني ، وابن أخيه الشيخ الحاج ابن السنوسي (حي) ، وسيدي إبراهيم بن المسعود (حي) ، ومن أولاد سيدي عبد الله سيدي عبد الله بن مرزوق ، وسيدي محمد بن بطو بن فرار ، دفين المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وسيدي عبد الحق بن محمد المحراك ، حامل كتاب الله تعالى (حي) ، ومن أولاد سيدي الزيتوني سيدي البشير بن عبد الملك ، ومن أولاد سيدي ابن عروس سيدي محمد بن [١٥] أبي العباس ، وسيدي الطيّب بن الخرشبي . وسيدي محمد بن الصالح . ومن

أولاد سيدي ابن مرزوق العلامة سيدي محمد السنوسي ، شاعر الحضرة النبوية ،
والمقام الجبلاني ، وجددي المازري بن يطو شيخ الجماعة وإمامها في وقته ،
وهو من مشايخ أستاذ الطريقة والحقيقة وحافظ الشريعة شيخنا سيدي محمد
ابن أبي القاسم الهاملي ، وشيخنا سيدي محمد الصديق ، ومنهم والدي سيدي
الشيخ ابن أبي القاسم رضي الله عنه ، وهو جد الشيخ المكي بن عزوز لأمه
(حي) ، وستأتي ترجمته ، ومن أولاد سيدي التواتي سيدي اللعوبي ، وقبته
ظاهرة في بسيط الحضنة الغربية ، ومن أولاده سيدي محمد بن عبد الله ،
وابنه سيدي النذير ، وابنا ابنه سيدي الشيخ ابن النذير ، وسيدي محمد الطيّب ،
ومن أولاد سيدي الزروق سيدي أحمد ابن أبي خروبة ، ومن أولاد سيدي
رابح سيدي محمد المبارك بن أحمد بن الطيّب ، والأربعة الأخيرون أحياء
الآن ، فهؤلاء هم المشاهير في علمي من عهد سيدي إبراهيم إلى اليوم ،
وأما غيرهم من أهل الخمول ، فكثيرون ذكوراً وإناثاً ، وقصصهم
متواترة في الحي أباً عن جد ، ولأولاد سيدي إبراهيم شهرة زائدة بالعلم
والعمل ، ولأهل الديس منهم أنظار دقيقة ، يتنبهون بها لما يتنبه له أهل التدقيق
والتحقيق ، ومن طبعم التنزه عن التظاهر بزري الواصلين ، ولكن لا يصبرون
على تبجح المتفقيين ، ولا يقبلون عثار المخطئين ، وقريتهم في سفح جبل
يسمى أبا العرعار ، من فروع جبل سالات المذكور غير ما مرة في تاريخ
العلامة ابن خلدون ، وهو جبل شامخ كثير السواعد ، وفيه آثار للأولين ،
وأقربهم إلينا في التاريخ بنو برزال المنتقلون إلى الأندلس ، كما ذكره ابن
خلدون ، ومن فروع جبل القليعة ، وهو جبل رفيع ، قمته مربعة ، وفي
سطحها ديار ، كانت لأحد رؤساء زناتة ، ثم صارت إلى بعض رؤساء العرب ،
ومنهم قتيل ذئاب في محل الرمل واليراع ، ويعني بذلك كدية بانيو التي اكتشف
فيها اليوم عنصر عجيب من صنع قدماء المهندسين ، وسيكون له لهذه الناحية

شأن عظيم الاعتبار في باب الاستعمار ، ولا يبعد أن ستكون فيها مدينة خاصة بالسكان ، والسكة الحديدية مارة بها من المسيلة إلى أبي سعادة .

سيدي ابن الأمين التواتي

الوليّ المجذوب سيدي ابن الأمين بن أحمد التواتي . كان من أهل التلوين والحال العجيب ، وكان كثيراً ما يجري على لسانه : الله يسامح بالشيء وبلا شيء ، ومن عادته أنه يسأل بالأسواق كثيراً ، وكان يتبعه من يأخذ منه كل ما يعطيه الناس .

[١٦] توفي رحمه الله عام ثمانية وستين ومئتين وألف (١٢٦٨) في شهر الله صفر ، ودفن أسفل ضريح سيدي الدرّاس ، وشهد جنازته خلق كثير بعد النداء عليها ، وجهّزه سيدي محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن العلوي اه . « نشر المثاني » .

أبو إسحاق ابن العرافة البجائي

الشيخ الفقيه الخطيب العارف المحصل ، كان له منصب وحظ ووجاهة وتخصّص ، وولي صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم من بجاية ، وكان معتكفاً على ما هو بسبيله منزوياً عن الناس ، ولقي من أفاضل أهل العلم ببلده من أخذ عنه واستفاد منه ، وكان له مجلس للتدريس بالجامع الأعظم يدرس الرواية والدراية .

أبو البركات التلمساني

أبو البركات ابن أبي يحيى الملاي التلمساني شارح « خطبة خليل » .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد ، والحجة قاسم العقباني ، والفقيه المحقق سليمان البوزيدي الشريف ، وغيرهم ، رحل للشرق ودرّس هناك « مختصر خليل » ، واعتنى به أي ب « الشرح الكبير » لبهرام وتصحيحه ، ولقي جماعة كالشيخ أبي الجود الفرضي ، وأبي القاسم النويري وغيرهما . ألف شرحاً على « الرجز » للضرير المراكشي في علم البيان ، ولم أقف على وفاته ، وأنجب محمداً ولده اه . « نيل الابتهاج » .

أبو بكر بن أحمد التنبكتي

قال في « نيل الابتهاج » : أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت التنبكتي الأصل ، نزيل المدينة الشريفة ، عمي الرجل الصالح الزاهد الورع التقى الأواه الولي المبارك . نشأ رحمه الله ونفعنا به خيراً صيناً ورعاً متواضعاً معروف الصلاح متين الدين مبرزاً فيه ، لم يزل عن حاله ، ولا مال عن الاستقامة ، بل استمر على حالته المرضية من نشأته إلى وفاته .

ارتحل للشرق وحجّ وجاور ، ثم رجع لبلاده فبقي نحو أربعة أشهر ، ثم رحل بأولاده وعياله للمدينة الشريفة ، فجاور هناك حتى مات فاتح إحدى [١٧] وتسعين وتسع مئة (٩٩١) ، مولده عام اثنين وثلاثين (٩٣٢) ، وهو أول من قرأت عليه علم العربية ، فنلت بركته ، ففتح لي فيه في مدة قريبة بلا عناء ، وكانت له أحوال جلييلة ، كثير الخوف والمراقبة لله والنصح لعباده ، يردف

الزفرات بعضها بعضاً . رطب اللسان بالتهليل على الدوام ، من خيار عباد الله الصالحين ذوي المقامات العلية . إلى زهد ورفض للدنيا والرغبة عن زهرتها مع ما أوتي أهل بيته حينئذ من الرئاسة والدولة . ما رأيت قط مثله ولا من يقرب منه في معناه .

له تأليف صغار في التصوف وغيره . منها « معين الضعفاء في القناعة » وغيره اهـ .

أبو تمام الواعظ الوهراني

الشيخ الفقيه العابد الصالح المبارك المتعفف المذكور ، من أهل وهران ، سكن بجاية ، واشتغل بها يعلم التذكير واستدعاء الخلق لباب الله تعالى . وكان له مجلس يروق الحاضرين ويسر الناظرين . وكان جلوسه في المسجد بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره ، ولكلامه في النفس أثر . وكان الغالب عليه الخوف ، وكذلك كان أكثر مجلسه إنما هو التخويف ، وكان له أتباع من الجمهور ، وكان له تبثُّل وكدُّ في العبادة ، ورأيت من أصحابه المتعبدين من كاشفني بالكرامات ، ورأيتها منه غير ما مرة ، رحم الله جميعهم . « عنوان » .

أبو الحجاج الجزائري

الشيخ أبو الحجاج بن سعيد بن يخلف الجزائري .

قال في « عنوان الدراية » : شيخنا الفقيه الأستاذ الأديب النحوي اللغوي ، له علم بعلم العربية اللغة والنحو والأدب . وكان يقرأ عليه الفقه ، وكانت بضاعته فيه مزجاة ، وأما علم اللغة والنحو والأدب فكان فيه خبيراً ، وكان

له مجلس واسع الحضور ، ويحضره كثير من الطلبة ، ويقراً كل واحد منهم باختياره . يقرأ فيه « الإيضاح » و« الجمل » و« المفصل » و« قانون أبي موسى الجزولي » و« مقدمة ابن بابشاد » و« إصلاح المنطق » ، ويعرف فيه شعر حبيب والمنتبي والأشعار الستة والمقري والحامسة لغير واحد ، ويقراً فيه من الأدب المقامات والأُمالي وغير ذلك من الكتب الأدبية والنحوية واللغوية ، ويبطل مجلسه لكثرة الطلبة وكثرة تفننهم فيما يقرؤون ، وكان حسن الإيراد مبارك الإقراء ، انتفع عنه خلق كثير ، كلُّ على قدره ، ولقد حضرت مجلسه يوماً فذكر القارئ عليه من الطلبة واستكثرهم ، وأخذ يعد من علا منهم ممن له نبل وقدر ، فعد منهم نحو الثمانين ما منهم إلا قد تخطط أقلها الكتابة خلاف الغائبين ، ومن لم يحضر ذكره وهو من غير تخطط .

[١٨] قرأت عليه ، وسمعت منه ، وأخذت عنه ، ولم يكن له رحمه الله عمل إلا الاشتغال بالإقراء ، وكان يلي قضاء بعض النواحي بتولية قضاة البلد ، وكانت له نفس طيبة وأخلاق حسنة ، وله فكاهة مستعذبة مستملحة ، رحمه الله اه .

أبو العباس الجزائري

أبو العباس المغربي الجزائري نسبة إلى بر الجزائر .

قال الجبرتي : ومات (أي في سنة ١٢٠٢) الشيخ العلامة المتفنن البهّاث المتقن أبو العباس المغربي ، أصله من صحراء عمالة الجزائر ، دخل مصر صغيراً فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي ، فتفقه عليه ولازمه ، ومهر في الآلات (العلوم العربية) والفنون ، وأذن له في التدريس ، فصار يقرئ الطلبة في رواقهم ، وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه ، وتميز في الفضائل وحج

سنة ١١٨٢ ، وجاور بالحرمين سنة ، واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي .
 ولازمه في دروسه وباحثه ، وعاد إلى مصر ، وكان يحسن الثناء على المشار إليه .
 واشتهر أمره ، وصارت له في الرواق كلمة ، واحترمه علماء مذهبه لفضله
 وسلاطة لسانه ، وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرواق .
 وتعصّب له جماعة فلم يتم له الأمر ، ونزل له السيد عمر أفندي الأسيوطي عن
 نظر الجوهريّة ، فقطع معاليم المستحقين (يعني مرتباتهم) ، وكان محجّاجاً عظيم
 المراس ، يُتّقى شره ، توفي ليلة الأربعاء حادي عشري شعبان غفر الله لنا وله اه .

سَيِّدِي أَبُو عَزِي التَّلْمَسَانِي

قال العلامة الكتاني في « سلوة الأنفاس » : الشيخ النزيه المعظم المحترم
 الوجيه الشريف الأصيل البركة النبيل العارف بالله تعالى أبو عبد الله سيدي
 أبو عزي التلمساني المهاجى من مهاجرة ، وهي قبيلة من بني عامر بقرب تلمسان .
 له زاوية بوجدة ، وأخرى بتلمسان ، وله فيها أصحاب وأتباع ، وكان هو من
 أصحاب الشيخ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي ، وإليه ينتسب ، وكان
 من أهل الحقائق والعرفان وجلالة القدر ، وعِظَم الشأن ، يتكلم بما يبهر العقول
 [١٩] وبما لا يقدر عليه إلا الفحول ، ويقول : لو نزل إلينا الملائكة من السماء
 لتذاكرنا معهم ، وكان مهما جالس العلماء أفحهمهم ، ولا يقدر أحد منهم
 أن يجادله في شيء ، ويقال : إنه كان في أول أمره ممن يغلب عليه الصمت حتى
 قال له شيخه المذكور يوماً من الأيام : تكلم ، فانطلق حينئذ لسانه ، وتنسب
 له تصرفات عديدة وأحوال صادقة ، وخصال حميدة .

توفي رحمه الله يوم الجمعة ، وكان موافقاً للخامس عشر من شهر شتنبر
 عام سبعة وسبعين ومئتين وألف (١٢٧٧) ، ودفن بمسجد سيدي أبي مدين

الغوث المعروف بأقصى حومة الرميلة من عدوة فاس الأندلس ، بقوس منه
عن يمين المحراب ، وهو مزار متبرك به .

تنبية : هذا المسجد من المساجد المباركة ، وهو من مزارات هذه الحومة ،
وبه كان الشيخ سيدي أبو مدين المذكور لما كان قاطناً بفاس ، وبهذه الحومة
منها كان يدرس العلم ويرقى المريدين اه .

سيدي أبو علي المجاجي ابن سيدي علي ابهلول

الشيخ الفقيه وارث علوم أخيه سيدي محمد بن علي . له حاشية على الشيخ
خليل اختصرها جداً رأيتها عند بعض علماء شرشال ، وزمانه الذي كان فيه هو
زمن أخيه المتقدم . ومن ذريته سيدي هني صاحب زاوية كبيرة القدر كثيرة
البذر ، يقصدها المتعلمون والمضطرون ، وشهرتها تُغني عن التعريف ، ثم
صار أمرها إلى ولده السيد محمد قاضي الناحية ، وهو رجل صموت ، وله جاه
معتبر وهمة هامتها في الثريا ، وثروة لا تطاول . ولم يزل في قيد الحياة ،
وكان مدرّسها قريبه علامتها الفقيه الشيخ محمد بن عشيظ ، وفارقها لعله
لا محل لها من الإعراب هنا .

أبو القاسم بن محمد البجائي

أبو القاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدّالي البجائي .
ولد العلامة محمد بن أبي القاسم صاحب « تكملة حاشية المدونة » للوانوغي
الآتي . أخذ صاحب الترجمة عن العالمين أحمد بن عيسى . وعبد الرحمن

الوغيلسي وغيرهما ، وأخذ عنه الإمام أبو زيد الثعالبي وغيره ، وكان موصوفاً بحفظ المذهب ، وهو في بجاية كالبرزلي بتونس ، انتفع به جماعة منهم ولده الإمام العلامة محمد بن أبي القاسم الآتي ، وأبو القاسم بن محمد الزواوي من أكابر أصحاب الإمام السنوسي وقدمائهم ، وأخذ عنه محمد بن عمر الملاي .

[٢٠] أبو القاسم الفجيجي

الفقيه أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي . له شرح على قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي « الصيدية » التي مطلعها :
يلوموني في الصيدِ والصيدُ جامعٌ - لأشياء للإنسان فيها منافعُ

أبو القاسم الكناشي البجائي

ذكر الملاي : أنه كان إماماً عالماً صالحاً ورعاً ، قرأ عليه الإمام السنوسي ، وأخوه أبو الحسن التالوتي « إرشاد أبي المعالي » وعنه أخذ السنوسي التوحيد اه .

أبو القاسم المجاجي

الفقيه الشيخ أبو القاسم الزراغتي ، ولد في أول القرن الثالث عشر . ومات عام أربعة وثمانين منه ، ودفن بمجاجة ، وتفقه بأمر عسكر وتلمسان . وتضلع بالمنقول والمعقول ، وصارت الفتوى إليه من كل ناحية . وتقلد قضاء القضاة بمدينة الأصنام أوائل الاستيلاء الفرنسي ، وله شرح على « كشف الأستار عن علم الغبار » في علم الحساب للقلصادي الذي اختصره من كتابه « كشف

الجلباب عن علم الحساب « وله أيضاً شرح « ملحة الإعراب » للحريري
وشرح « نظم مقدمة ابن آجروم » لابن الفخار ، أجاد فيها .

أبو القاسم بن محمد بن عيسى

الشيخ العلامة ، كان أعجوبة الزمان في الحفظ والاطلاع ، وقوة الفهم
والإدراك ، ارتحل مغرباً ، ودخل الجزائر ومازونة ومليانة ووهران ،
ثم رجع إلى زواوه ، فأخذ بها عن علامة وقته الشيخ محمد أبي داود ، ثم
رجع واشتغل بالتدريس ، وتولى الكتابة للحاج أحمد باي . توفي رحمه الله
في قسنطينة سنة ١٢٣٤ .

[٢١] أحمد بن أحمد التلمساني

أحمد بن أحمد بن محمد المصمودي الملاجري التلمساني ، الشيخ الفقيه
الحاج الرحلة أبو العباس ، روى بالمدينة على الجمال الكازروني المدني الشافعي ،
وعن أبي الفرج ابن الإمام أبي بكر العثماني ، هكذا وقع في « فهرسة » ابن
غازي ، وذكر أن شيخه أبا عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني أخذ عنه .

أحمد بن إدريس البجائي

الإمام العلامة الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته ، كان ورعاً
زاهداً جليلاً إماماً علامة بارعاً .

أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي وأضرابه ، ذكره ابن فرحون

في الأصل وأثنى عليه كثيراً . وذكر أنه توفي بعد الستين وسبع مئة (٧٦٠) ،
وأن له تعليقا على البيوع من « مختصر ابن الحاجب » اه .

وله شرح على ابن الحاجب نقل عنه الناس كالشيخ أبي العباس القلشاني
في شرحه . والإمام محمد بن أبي القاسم المَشْدَّالي في اختصاره لمختصر ابن
عرفة . والعلامة أحمد ابن زاغو التلمساني وغيرهم ، وأخذ عنه يحيى الرهوني ،
وابن خلدون . ونقل عنه ابن عرفة . وسماه الفقيه الصالح ، وذكر الشيخ
عيسى بن سلامة البسكري في منافع أن ثقة حدثه أن الشيخ الإمام العالم الورع
أحمد بن إدريس مرَّ بمصاب ومعه بعض الطلبة ، فقرأ في أذنه فأفاق ، فقال
له الطالب : يا سيدي وما قرأت في أذنه ؟ فقال : الفاتحة ، ففي يوم آخر
مر الطالب على مصاب ، فقرأ الفاتحة في أذنه ، فتكلم الجان ، وقصد الطالب
وقال له : هذه الفاتحة وأين قلب ابن إدريس . ويشهد لهذا ما قاله الصفاقسي
الشهير بابن التين في « شرح البخاري » قال : الرقي بالمعوذات وغيرها من
أسماء الله هو الطب الروحاني ، وإذا كان على لسان الأبرار حصل الشفاء بإذن
الله ، فلغزوة هذا النوع فرع الناس للطب الجسماني . قال الشيخ السيوطي
ويشير إليه حديث « لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » (١) اه .

ومن فوائد صاحب الترجمة ما ذكره المسيلي وغيره عنه من نظر إلى جدي
بنات نعش ، وقال : أيها النجم الثاقب [إن كل نفسٍ لَمَّا عليها حافظٌ] (٢)

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » ٣١٣/١٢ . من طريق عفيف بن سالم الموصلي . عن ابن لهيعة .
عن عبد الله بن هبيرة ، عن حنش الصنعاني قال : مر عبد الله بن مسعود بمصاب ، فقرأ عليه في
أذنه : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ قال : فبرأ . فبلغ ذلك النبي ﷺ
فقال : « لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ، ١٧/٥ .
وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم ، وابن السني ، والحكيم الترمذي . وأبي يعلى ، وابن مردويه (ش) .

(٢) سورة الطارق : الآية ٤ .

(فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) (١) (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٢) (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [(٣) لم تلدغه عقرب ما بقي من عمره ، وإن لدغته لم تضره وذكر أنه جرب فصح .

[٢٢] أحمدُ ابنُ الأستاذِ الندرومي

أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الأستاذ الندرومي . أخذ عن الحفيد ابن مرزوق ، وارتحل إلى القاهرة ، وتصدر فيها للإقراء . وله تأليف منها « اختصار شرح شيخه الحفيد علي جمل الخونجي » اختصاراً حسناً ، وكان حياً بعد سنة ٨٣٠ .

أحمدُ أبيت التنبكتي

أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أبيت بن عمر بن علي بن يحيى ، قال سيدي أحمد بن بابا والدي الفقيه العالم ابن الفقيه العالم بن أحمد ابن الفقيه أبي حفص : كان رحمه الله علامة فهامة ذكياً دراكاً محصلاً مفناً محدثاً أصولياً بيانياً منطقياً مشاركاً .

أخذ عن إمام بلده وبركة عصره عمه محمود بن عمر وغيره . ورحل سنة ست وخمسين للمشرق ، فحج وزار ، ولقي هناك جماعة كالناصر اللقاني . والشريف يوسف الأرميوتي تلميذ السيوطي ، وجمال الدين ابن الشيخ زكرياء .

(١) سورة الطور : الآية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٧ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٣ .

والشيخ التاجوري ، والأجهوري وتلك الطبقة واستفاد منهم . ولقي بمكة وطيبة خلقاً كأمين الدين الميموني ، وابن حجر المكي والعلائي . وبركات الحطاب ، وعبد العزيز اللمطي ، وعبد المعطي السخاوي . وعبد القادر الفاكحاني ، وغيرهم وأجازهم بعضهم . ولازم أبا المكارم محمد البكري . وتبرك به ، وقيد عنه فوائد ، ثم رجع .

سيدي أحمد التارفي اللمتوني

الشيخ الولي الجليل الشهير القدوة العالم العارف بالله الكبير أبو العباس أحمد المدعو بالصادق ، ولقباً له ، ابن الشيخ الولي الكبير أويس بن عبد القادر التارفي اللمتوني القاطن بأفزر ، بالقاف المعقودة والزاي بعدها ، مدينة بصرف بلاد السودان ، زاويته هناك شهيرة وهو وأولاده بها مزاراة كبيرة .

ومن أخذ عنه الشيخ الفقيه العارف أبو العباس اليميني ، كان كثيراً ما يعظم صاحب الترجمة ، ويثني عليه التعظيم البالغ والثناء الكثير ، ويذكر مآثره ومفاخره ، سمعه عمٌ والدنا يقول : إن طريقته - أي صاحب الترجمة - سهروردية ، رأيت ذلك بخطه قال سيدنا الجد في « نزهة الفكر » : وأخبرني بعض الفضلاء والثقات الضابطين الأثبات ممن دخل بلاد السودان ، ومرّ بأرض التوارق .

[٢٣] ولقي أولاد الشيخ الصادق عنه أنه كان يقول : إن بالمغرب الأقصى داراً شهيرة ، هم منا ، وهم أولاد الشيخ أبي بكر الدلائي ، وناهيك به صدقاً وبصيرة ، هو العمدة فيما يقول وإليه منتهى صدق هذا المنقول . فقوله رضي الله عنه : هم منا ، يحتمل من عشيرته وبني عمه الأقربين ، وإن بين الدارين نسباً قريباً ، وأما أن يكون نسبهما لقراءة العلم إذ كل من الدارين دار علم وولاية ، ويحتمل أنه من جملة لمتونة ، جماع جميعهم ، والتوارق

بالقاف المعقودة . كلهم من لتونة بلا ريب . حسبما ذكره المؤرخون .
وهو معلوم أيضاً عند جميعهم ، وهم ذوو عدد وشوكة وجرأة اه .

سيدي أحمد التجاني

الشيخ الواصل القدوة الكامل الطود الشامخ العارف الراسخ ، جبل السنة
والدين . وعلم المتقين والمهتدين ، العلامة الدراكة المشارك الفهامة ، الجامع بين
الشريعة والحقيقة ، الفائض النور والبركات على سائر الخليفة ، الواضح الآيات
والأسرار ، معدن الجود والافتخار ، البحر الزاخر الطام ، المعترف بخصوصيته
الخاص والعام . نادرة الزمان ومصباح الأوان ، القطب الجامع الغوث النافع ،
أبو العباس مولانا أحمد بن الولي الكبير والعالم الخير أبي عبد الله محمد فتحا
ابن المختار بن أحمد بن محمد فتحا ابن سالم الشريف الحسيني الكامل التجاني ،
يرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل .

كان رحمه الله من العلماء العاملين ، والأئمة المجتهدين ، ممن جمع بين
شرف الجرثومة والدين ، وشرف العلم والعمل واليقين والأحوال الربانية
الشريفة والمقامات العلية المنيفة والخوارق العظام والكرامات الجسام ، قوي
الظاهر والباطن ، كامل الأنوار والمحاسن ، عالي المقام راسخ التمكين والمرام ،
بهيم المنظر جميل المظهر ، منور الشيبة عظيم الهيبة ، جليل القدر شهير الذكر ،
ذا صيت بعيد وعلم وحال مفيد ، وكلمة نافذة في الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر عائدة .

ولد سنة ١١٥٠ بقرية عين ماضي ونشأ بها في عفاف وأمانة وحفظ وصيانة ،
مقبلاً على الجد والاجتهاد . مائلاً إلى العزلة والانفراد ، مشتغلاً بالقراءة معتاداً
للتلاوة . فحفظ القرآن وهو ابن سبعة أعوام ، ثم اشتغل بطلب العلوم حتى

رأس فيها ، وحصل معانيها ، ومن شيوخه فيها العلامة العارف سيدي المبروك ابن بوعافية المضاوي التجاني ثم ارتحل إلى ناحية المغرب لفاس وأحوازها سنة ١١٧١ . وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وسمع فيها شيئاً من الحديث . وبقي يجول بقصد الزيارة والبحث عن أهل الخير ، وأول من لقي حينئذ [٢٤] من المشايخ الكُمَّل القطب مولاي الطَّيِّب الوزاني بوزان . وتبرك به . وأخذ عنه ، وأذن له في تلقين الأوراد إلا أنه امتنع من التلقين لاشتغاله بنفسه . ولقي أيضاً القطب مولاي أحمد الصقلي إلا أنه لم يأخذ عنه شيئاً . بل لم يكلمه بشيء أصلاً . ولقي الولي الصالح سيدي محمد بن الحسن الوانجلي من بني وانجل ، من جبال الزيب بمحله . وتبرك به ، ولم يأخذ عنه ، ولقي بفاس العارف بالله سيدي العربي ابن عبد الله معن الأندلسي . وتبرك به ودعا له بخير ، وأخذ بها الطريقة القادرية على يد من كان يُلقِّنها في ذلك الوقت . ثم تركها بعد حين ، ثم أخذ الطريقة الناصرية عن الولي الصالح سيدي محمد ابن عبد الله التزاني الشهير بالريف . ثم تركها بعد حين أيضاً . ثم أخذ طريق القطب سيدي أحمد الحبيب السجلماسي الصديقي عن بعض من له الإذن فيها ، ثم تركها بعد مدة . ثم أخذ عن أبي العباس سيدي أحمد الطواش نزيل تازة ودفنها . ثم انتقل من المغرب قاصداً بلد الأبيض في ناحية الصحراء . حيث ضريح سيدي الشيخ . ومكث هناك خمسة أعوام مشغلاً بالقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة ، وزار في خلالها بلده عين ماضي دار آبائه . ثم ارتحل منها إلى تلمسان ، وأقام بها مدة يدرس فيها التفسير والحديث وغيرهما . ويعبد ربه تبارك وتعالى ، إلى أن لاحت عليه بوارق الفتح ومباده . وظهر عليه من الخوارق ، وما دان له به شأنه ومعاده . وذلك أوائل سنة ١١٨١ . ثم انتقل من تلمسان قاصداً الحج سنة ست وثمانين (١١٨٦) فمر بتونس فحبسته الأقدار هناك سنة كاملة . ثم بعدها حج وزار سنة سبع وثمانين . ولم يزل

يبحث في طريقه عن العلماء والأخيار ، ويتبرك بهم في سائر النواحي والأقطار
 حتى تبرك بعدد كثير منهم ، فلقى بزواوة الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد
 [٢٥] ابن عبد الرحمن الأزهري (دفين الجزائر) ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية .
 وهو أخذها عن الشيخ الحفناوي ، وبتونس الشيخ عبد الصمد الرحوي .
 وبمصر الشيخ محمود الكردي المصري العراقي ، وأخذ عنه ، وأخذ أيضاً
 بمكة عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الهندي المكي من غير ملاقة
 له ، إنما كان الشيخ المذكور يرأسه مع خادمه ، قال في « جواهر المعاني » :
 وهو معتمده في العلوم والأسرار والخواص والأنوار . ثم لما كان بالمدينة
 لقي بها القطب الشهير والعالم الكبير أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم
 الشهير بالسَّمَّان أحد تلاميذ سيدي مصطفى البكري الصديقي . فأخذ عنه
 وتبرك به ، ثم لما رجع من حجّه ووصل تلمسان سنة ثمان وثمانين أقام بها
 مجتهداً في العبادة والدلالة على الله تعالى ، ثم سافر منها إلى مدينة فاس بقصد
 [٢٥] زيارة قطبها وقطب المغرب بأسره مولانا إدريس رضي الله عنه ، وذلك سنة
 إحدى وتسعين ، فوصل إليها وزاره ، وبقي بها يتردد لزيارته مدة ، ثم رجع
 لتلمسان ، وأقام بها مدة ، ثم ارتحل منها لناحية الصحراء سنة ست وتسعين ،
 ونزل بقرية القطب الكبير سيدي أبي سمغون بالسين ، ويقال بالصاد ، ثم
 سافر منها إلى بلاد توات ، فلقى بعض الأولياء بها منهم سيدي محمد الفضيل
 بالتصغير ، وأخذ عنهم بعض الأمور الخاصة ، واستفادوا منه علوماً وأسراراً
 في الطريق ، ثم رجع إلى قرية أبي سمغون ، وأقام بها واستوطنها ، وفيها
 وقع له الفتح الكبير ، وأذن له صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق بعد أن كان فاراً من
 ملاقاتهم ، وذلك في السنة المذكورة ، وهي سنة ست وتسعين ومئة وألف ،
 ثم لما كان رأس المئة الثانية عشرة وهو بأبي سمغون وقع له الفتح الأكبر والمدد
 الأغزر على يده عليه الصلاة والسلام ، ومن هذا الوقت والأسرار والأنوار

ترادف عليه . والوفود من جميع النواحي تقصده وتأتي إليه . ثم انتقل من بلاد الصحراء من قرية أبي سمغون سبع عشر ربيع النبوي عام ثلاثة عشر ومئتين وألف قاصداً استيطان مدينة فاس . وكان دخوله لها سادس ربيع الثاني من العام المذكور . وفي محرم الحرام من السنة التي بعدها وهي سنة أربع عشرة حلّ رضي الله عنه مقام القطبانية الغوثية . فنال بذلك من مطلوبه كل أمنية . وقد كان رضي الله عنه يقول : أخذنا عن مشايخ عدّة . فلم يقض الله عز وجل منهم بتحصيل المقصود . وسندنا وأستاذنا في هذا الطريق هو سيد الوجود ﷺ . وقال أيضاً : سندنا في الورد المعلوم النبي ﷺ . وأما المسبّعات العشر فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ ميمود الكردي المصري ، وهو أخذها عن الخضر مشافهة . وأما أحزاب الشاذلي . ووظيفة زروق . ودلائل الخيرات . والدور الأعلى . فكلها أخذناها بالإجازة فيها عن شيخنا القطب سيدي محمد بن عبد الكريم السّمّان قاطن المدينة المنورة . وكان رضي الله عنه يذكر أن النبي ﷺ ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب . وأن الله تعالى أعطاه الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين وفاته . وزيادة عشرين سنة بعد وفاته .

وذكر في الأشراف أن والده العلامة الأكبر الصوفي المحدث الأشهر أبا الفيض سيدي حمدون بن الحاج كان يُثني عليه في العلم والمعرفة بالله ويقول : إنه من الكَمَل ، ومدحه بقصيدة حين كان متوجهاً للحج سنة ١٢٠٥ .
مطلعها :

إِنْ شِئْتَ تُصْبِحُ فِي رِيَاضِ أَمَّانِ ۝ وَأَرَدْتَ تَغْدُو فِي مَنَى وَأَمَّانِ
فَعَلَيْكَ بِالْبَدْرِ الْمُنِيرِ سَنَّا أَبِي الْعَبَّاسِ أَعْنِي أَحْمَدَ التَّجَانِي
شَمْسُ السِّيَادَةِ قُطْبُ دَائِرَةِ الْهُدَى ۝ بَدْرُ السَّعَادَةِ كَوْكَبُ الْإِحْسَانِ
بَحْرُ النَّدى مُبْدٍ لَنَا حِكْمًا سَمَتْ ۝ كَفَرَائِدٍ فِي الْعَقْدِ وَالتَّجَانِ

حَبْرُ إِمَامٍ قَد سَمَّا بِمَعَارِجٍ ۝ فِي الصَّالِحَاتِ وَلَمْ يَكُنْ مُتَوَانٍ

[٢٦] ومناقبه رضي الله عنه وأحواله كثيرة ، ومن أراد بسطها فعليه بكتب أصحابه .

توفي رحمه الله صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال الأبرك سنة ١٢٣٠ ، وحضر جنازته من لا يحصى من علماء فاس وصلحائها وأعيانها وفضلائها وأمرائها ، وصلى عليه إماماً الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي ، وازدحم الناس على حمل نعشه ، وكسروا أعواده تبركاً ، ودفن بزاويته المشهورة من حومة البليدة ، وضريحه بها مشهور معظم محترم مزار متبرك به اهـ . من « سلوة الأنفاس » .

سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ جَبْدَةَ الْمَدْيُونِي

سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمَعْرُوفِ بَابِنِ جَبْدَةَ الْمَدْيُونِي الْجِيزَرِيِّ الْوَهْرَانِيِّ ، الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْمَوْحَدِ الْمُسَيَّبِ الصَّالِحِ الْبَرَكَةِ أَبُو الْعَبَّاسِ .

كان رحمه الله يدرس علم الكلام بفاس ، وكان من أهل الفضل والدين والعلم المتين ، أخذ عن فقهاء وهران وتلمسان كالشيخ أبي عبد الله السنوسي ، سمع منه « مقدمته الصغرى » في العقائد لما قدم الشيخ على وهران لزيارة سيدي إبراهيم التازي ، وكتلميذ السنوسي أبي عبد الله محمد بن أبي مدين ، والكفيف ابن مرزوق ، وهو الذي كان يطالع له ، وأبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الوهراني ، وأخذ التصوف عن ابن تاغزوت ، عن أبي إسحاق إبراهيم التازي ، عن الهواري ، وحضر كثيراً عند من أدرك من فقهاء فاس ، وكان يدرس « العمدة » و« الرسالة » بكرسي ابن غازي ، وليه بعد موت أبي عبد الله

الغزال تلميذ ابن غازي المذكور ، وأخذ عنه الشيخ أبو العباس المنجور .
والشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الخباز القصري وغيرهما .

قال في كتاب « الدوحة » : توفي رحمه الله في العشرة الرابعة بفاس اه .
وقال في « الجذوة والنيل » توفي سنة ٩٥١ هـ . زاد في « الجذوة » بمدينة
فاس ، وأورده أيضاً في « لقط الفرائد » فيمن توفي في السنة المذكورة في
رجب منها ، ويؤيده ما ذكره المنجور في « فهرسته » من أنه توفي قريباً من وفاة
شيخه أبي محمد عبد الواحد الونشريسي قبلها ، عن سن عالية تزيد على السبعين
بحسب الظن ، ووفاته أبي محمد هذا كما تقدم سنة ٩٥٥ . وبه يرد ما ذكره في
« ابتهاج القلوب » من أن صاحب الترجمة توفي وعمره يزيد على السبعين سنة
خمس وخمسين أو ست وخمسين وتسع مئة ، والله أعلم .

[٢٧]
أحمد بن الحاج البيدي

أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد البيدي الوريدي .
عرف بابن الحاج .

أخذ عن سيدي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني الأصول والمنطق
والمعاني والبيان والعربية والحساب . وكان شاعراً ماهراً ومعاصراً للإمام
محمد بن غازي ، وكل منهما يُلغز لصاحبه بالمسائل نظماً ، ويحبيه نظماً .
فما بعث به إليه ابن غازي قوله :

وَمَيّتُ قَبْرَ طَعْمِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ • إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَا
يَنْقُومُ فَيَمْشِي صَامِتاً مَتَكَلَّمَا • وَيَأْوِي إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي مِنْهُ قُومَا
فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةً • وَلَا هُوَ مَيّتٌ يَسْتَحِقُّ تَرْحُمَا

فأجابه سيدي أحمد بن الحاج :

بِحَمْدِ الْإِلَهِ أَيْتَدِي ثُمَّ بَعْدَهُ • أَصْلِي عَلَى خَيْرِ الْأَنْسَامِ مُسَلِّمًا
هُوَ الْقَلَمُ الْقَبْرُ الدَّوَاةُ وَطَعْمُهُ • مِدَادُ كَلَامِهِ الْكِتَابَةُ فَأَفْهَمَا
وَكَاتِبُ هَذَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ سِيدِ • عَفَا اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ مَا كَانَ أَجْرَمًا

وتخرّج عليه جماعة كسيدي الحاج بن سعيد ، ولد أخته ، وسيدي محمد
ابن جلال المديوني ، أخذ عنه القراءات السبع والعربية والتصوف ، وسيدي
عبد الرحمن البقوي ، وشرح «سنية ابن باديس» وشرح «البردة»
ولم يكمله ، فقيل له : في ذلك ، فقال : انتقلت من رتبة إلى رتبة أعلى منها ،
جمع فيه بين شرح الحفيد ابن مرزوق وشرح العقباني ، وشرح سيدي علي بن
ثابت رضي الله عن الجميع ، وزاد فيه معنى وإعراباً رضي الله عنه وأرضاه
عنا ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، والمعاصرون له يسمونه سيدي أحمد الجبلي
لأنه من جبل بني ورنيد .

توفي في حدود سنة ٩٣٠ ودفن في روضة فيها أبوه سيدي الحاج في
بلد بني إسماعيل من جبل بيدر ، وله يطلب الإجازة من سيدي أحمد بن زكري :

إِجَازَةٌ نَعْمُهُ وَنَسْلُهُ • حَاوِيَةٌ مَعْنَى الَّذِي سَيِّقَتْ لَهُ
تَقْضِي لَهُ بِالْمَجْدِ وَالتَّعَزُّزِ • وَتَبَسُّطُ الْبَدَلِ بُوْعْدٍ مُنْجَزِ
وَتَقْضِي رِضَى بِغَيْرِ سُخْطِ • تُغْنِيهِ عَنِ نَوَالِ كُلِّ مُعْطِ
مُطْلَقَةً فِي الْفَقْهِ وَالنَّحْوِ وَمَا • سِوَاهُمَا وَالْقَيْدُ لَنْ يُلْتَزَمَا
لَأَنَّهَا كُلَّ الْعُلُومِ شَمِلَتْ • إِنْ تَكُ مِمَّا قَبِدَتْ بِهِ حَلَتْ
وَلَا تُخَصِّصُ نَوْعَ مَا قَدْ يَخْشَنُ • لِأَنَّ قَصْدَ الْجِنْسِ فِيهِ يَنْ
وَمَا يَكُونُ مِنْهُ مَنْقُوصًا فَفِي • صُحَيْتِهِ إِيَّاكَ مَا بِهِ يَفِي
وَأَنْقَلُ بِهَا لِلثَّانِي حُكْمَ الْأَوَّلِ • مِمَّا رَوَى عَنِ الشُّيُوخِ الْأَوَّلِ
حَتَّى يَرَى إِذَا بَهَا يَنْفَصِلُ • كَحَالِهِ إِذَا بَهَا يَتَّصِلُ

[٢٨] عَجَّلَ بِهَا فَإِنِّي بِهَا كَلِّفْتُ
وما يُرى مِنْ نَسْلِهِ قَدْ تَبِعَهُ
وما يَكُونُ لِلذِّي قَدْ سَبَقَا
جَوَازُ ذَا عَنِ الْمَشَايخِ اتَّضَحَ
وقَدْ مَضَى بِالشَّرْطِ ذِكْرُ مَا اتَّفَقَ
واللهُ ثُمَّ اللهُ فِي الإِمْضَاءِ
وَرِغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلٌ
فَأَنْتَ إِذْ بَلَّغْتَنِي السَّيِّئَاتِ
واللهُ يَقْضِي بِهِاتِ وَإِفْرَةَ
وما بِجَمْعِهِ عُنَيْتُ قَدْ كَمَلْتُ
يَا مَنْ يُنَادِي طَالِبًا لَنْ يُقْصَدَا
اقْصِدْ أبا العباسِ بَيْتَ العُرْفِ
وسَيْدِي يُدْنِي القَصِيَّ إِنْ دَنَا
وَأُبْسُ ثَوْبٍ لِلْمَعَالِي وَالهُدَى
وَتَابِعْ هَدْيِي النَّبِيَّ المَقْدَسَا
ما إِنْ تَرَى عَيْنَاكَ مِنْ كُتُبِ المَلَا
حَبْرُ العُلُومِ فِي لَيْسَالٍ تَذَكَّرُ
وَهُوَ لِكُلِّ مُعْضَلٍ شَرِيفِ
وَحَائِدٌ عَنِ القِيَّاسِ كَلَّمَاسَا
وَصَادِعٌ أَرَبِيٌّ عَلَى الأَكَابِرِ
أَقْسِمُ بِاللَّهِ الذِّي هَدَى لَنَا
وما لَنَا غَيْرُهُ نَرْجُو أَبَدَا
وما سِوَاهُ نَاقِصٌ وَالنَّقْصُ فِئِي

وأولها ما كان قبل قد ألف
كالأول اجعله بلا منازعه
للثاني والثالث أيضا حقا
فما أبيع أفعل ودع ما لم يبع
والغرض الآن بيان ما سبق
ولو توالى زمر الأعداء
بر يزين من يثق به اشتمل
مستوجب ثنائي الجميلا
لي ولكم في هذه والآخرة
فالحمد لله الذي أعطى الأمل
ما للناس يصلح نحو أحمد
فذاك ذو تصرف في العرف
ورجل من الكرام عندنا
ولا يلي إلا اختيارا أبدا
فهو به في كل حكم ذو اتسا
ما ليس معناه له محصلا
وذاك في ظرف الزمان يكثر
مبدي تأول بلا تكليف
وجد ذلك ثابتا مسلما
ثبوت قصر بقياس ظاهر
لقد سما على العدا مستحوذا
فمالنا إلا اتباع أحمد
متبعيهم ظاهر غير خفي

فَلَ تَقِسْ حَبْرًا بِهِ وَلَوْ نَفَذُ وَعَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ مَنْ قَاسَ انْتَبَذُ
 وَزَكَّهِ تَزْكِيَةً وَأَجْمِلًا فِي وَصْفِهِ إِجْمَالًا مَا قَدْ فَصَّلَا
 يَا مَنْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى لَهُ أَتَى زَيْدٌ مَنِيرٌ وَجْهُهُ نِعْمَ الْفَتَى
 كُلُّ امْتِنَانٍ مِنْ لَدُنْكَ قَدْ حَصَلُ مِنْ صِلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا نِلْتَ الْأَمَلُ
 فَرَجَّ دُعَاءَ مُسْتَغِيثٍ وَجِـلِ مُرَوِّعِ الْقَلْبِ قَلِيلَ الْحَيْلِ
 وَجَوَزْنَهُ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَا يُجِيزُ فِيهِ مَنْ لِيْذَاكَ كَلَّمَ مَا
 أَحْصَى مِنَ الْكَافِيَةِ الْخُلَاصَةِ كَمَا اقْتَضَى غِنَى بِلَا خِصَاصَةِ
 ثُمَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ قُلْ عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ نَبِيٍّ أُرْسِلَا
 وَإِلَيْهِ وَالتَّابِعِينَ إِثْرَةَ وَصَحْبِهِ الْمُتَخَبِّينَ الْخَيْرَةَ

[٢٩] أحمدُ بنُ أبي حجلة التلمساني

هو كما في كتابه « مغناطيس الدرّ النفيس » : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدًا بالدمشقي منشأً ، نزيل القاهرة ، الشهير بابن أبي حجلة ، مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبع مئة (٧٢٥) بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبي حجلة عبد الواحد ، قدّس الله روحه ونور ضريحه ، وكني جده بذلك لصلاح حاله ، وتعلق الحجل والوحوش بأذياله ، وزاوية جدّه بالمغرب مشهورة ، وأحاديث بركته ماثورة ، يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء ، وقدم من المغرب مع أبويه وإخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول ﷺ ، ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال ، وشاهد بمصر بعد رؤية أبي الهول الأحوال ، فصنف كتابه « غرائب العجائب وعجائب الغرائب » وفيه يقول :

هذا الكتابُ ذكرتُ فيه عجائباً تُغني النديمَ عن المدامةِ والطربِ

يَهْتَزُ سَامِعُهَا لِطِيبِ حَدِيثِهَا إِلَّا حَسُوداً لَيْسَ يُعْجِبُهُ الْعَجَبُ
 وله أكثر من ثمانين مصنفاً في الحديث والفقہ والنحو والأدب . وله
 شعر ونثر في كتابه « ديوان الصباية » . انتهى ما كتبه سيدي مصطفى عبد الله
 التفهناوي على ظهر كتاب « تزيين الأسواق في تفصيل أحوال العشاق »
 للشيخ داوود الأنطاكي المهمش « بديوان الصباية » للمترجم . وهو مطبوع
 بالمطبعة البهية العامرة الأزهرية بمصر المحروسة المحمية . إدارة درة الفضل
 والامتنان السيد محمد رمضان آخر شهر الحجة سنة ١٣٠٨ هجرية . على
 صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية آمين .

أقول ومن نظم ابن أبي حجلة ونثره في « ديوان الصباية » ما يأتي ذكره :
 الحمد لله الذي جعل للعاشقين بأحكام الغرام رضى ، وحب إليهم الموت في
 حب مَنْ يَهْوَوْنَهُ ، فلا تكن يا فتى بالعدل معترضاً . فكم فيهم من عاشق .
 ومحب صادق :

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الْوَصْلَ فَاْمْتَنَعُوا « فَسَامَ صَبْرًا فَأَعْيَا نَيْلَهُ فَقَضَا
 (أحمده) حمد مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . وَشَبَّ
 بِذِكْرِ مَحْبُوبِهِ إِنْ كَانَ تَهَامِيًّا فِي حِجَازٍ أَوْ شَامِيًّا فِي نَوَى :

طَوْرًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَنِ « وَإِنْ لَقَيْتَ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ . شَهَادَةٌ مَنْ
 أَصْبَحَ مَوْتَهُ لِبَعْدِهِ أَقْرَبَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَقَالَ لِعَاذِلِهِ : لَقَدْ عَلِمْتُ مَا لَنَا
 فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَزِيدُ :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ حَيْبٍ مُقَنَّعٍ « عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَيْبٍ مُعَمَّمٍ
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . شَهَادَةٌ مِنْ أَخْلَصَ فِي مَوَالَاتِهِ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ

الإثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ، ويقفون عندما أمرهم ولا يتعدونه ، ماذر شارق ، وهام عاشق ، (أما بعد) : فإن كتابنا هذا كما قيل :

كتابٌ حوى أخبارَ مَنْ قَتَلَ الهوى • وسارَ بهم في الحُبِّ في كلِّ مذهبٍ
مقاطيعُهُ مثلُ المواصِلِ لم تـزَلْ • تُشَبَّبُ فيه بالربِّابِ وزَيْنَبِ

فهم ماهم ، تعرفهم بسيماهم ، قد تركهم الهوى كهشيم محتظر ، وأصبحوا من علة الجوى على قسمين : فمنهم مَنْ قضى نحبه ، ومنهم مَنْ ينتظر ، فهم ما بين قتيل وشهيد ، وشقي وسعيد ، على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم ، وتباين مراتبهم وأحوالهم ، وغير ذلك مما تصبح به أوراقه يانعة الثمر ، وتمسي به صفحاته في كل ناحية من وجهها قمر :

فإذا نظرتَ إلى الوجودِ بأسـرِهِ • شاهدتَ كلَّ الكائناتِ ملاحًا
على أن جماعة من العصرين غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب ، ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب :

وكلُّ يدَّعي وضلاً بليلى • وليلى لا تُقرُّ لهم بِذاكا

فربح كتابنا هذا بذكر العامرية معمور ، وهو بالنسبة إلى ما ألفه الشهاب محمود مشكور ، ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام ، وأنشد في تصديق هذه الدعوى إذا قالت حذام ، مؤلف « طوق الحمامة » بالنسبة إلى حجلته يخجل ، وصاحب « منازل الأحياب » ممن عرف المحل فبات دون المنزل :
وعذرتَ طيفك في الجفاء لأنـه • يسري فيصبحُ دوننا بمراجل

(آخر)

فيا دارها بالخيف إن مزارها • قريبٌ ولكنْ دُونَ ذلكَ أهوالُ

فإن قلت : الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ، قلت :
 نعم في الخمر معنى ليس في العنب ، وأحسن ما في الطاووس الذنب :
 فَدَعِ كُلَّ صَوْتٍ بَعْدَ صَوْتِي فَإِنِّي * أَنَا الصَّائِحُ المَحْكِيُّ وَالآخِرُ الصَّدَا
 فكم ترك الأول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر :

نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى * مَا الحُبُّ إِلَّا للحيبِ الأوَّلِ
 كَمْ مَنزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلِفُهُ الفَتَى * وَحَيْنُهُ أبدأً لأوَّلِ مَنْزِلِ
 فقد سَقَطَ فِي يَدِيهِ ، وَقِيلَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ :

افخِرْ بِآخِرٍ مَنْ كَلِفْتَ بِحُبِّهِ * لَا خَيْرَ فِي حُبِّ الحيبِ الأوَّلِ
 أَتَشْكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا * سَادَ البريَّةَ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلِ

[٣١] وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم :

كَذَبَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا إِنَّ الهَوَى * لَا شَكَّ فِيهِ للحيبِ الأوَّلِ
 مَا لِي أَجِنُّ إِلَى خَرَابٍ مُقْفِرٍ * دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَنَّ لَمْ يُوهَلِ

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور :

كَذَبَ الَّذِينَ تَخَرَّصُوا فِي قَوْلِهِمْ * مَا الحُبُّ إِلَّا للحيبِ المُقْبِلِ
 أَطْيَبُ فِي الطَّعْمِ مَا قَدْ ذُقْتَهُ * مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ طَعْمٍ مَا لَمْ يُؤْكَلِ

فقال ديك الجن أيضاً حين بلغه قول حبيب هذا :

ارغَبْ عَنِ الحُبِّ القَدِيمِ الأوَّلِ * وَعَلَيْكَ بِالمُسْتَأْنَفِ المُسْتَقْبِلِ
 نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى * كَهَوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوْضَلِ مُقْبِلِ

وقال أبو البرق وسلك بينهما جادة الإنصاف ، وبقوله يجب الاعتراف ،
 لأنه أحسن في المقال ، حيث قال :

زادوا على المعنى فَكُلُّ مُحِسِّنٌ ۝ وَالْحَقُّ فِيهِ مَقَالَةٌ لَمْ تُجْهَلِ
الْحُبُّ لِلْمُحِبِّ سَاعَةً وَضَلِيلُهُ ۝ مَا الْحُبُّ فِيهِ لِأَخِرٍ وَلَاوَلِّ

على أني لم أجحد ما في « منازل الأحباب » من ذكرى حبيب ومترل ،
ولا تحملت على منصبه فواعجبا من قلبي المتحمل ، ولكن قصدت التنبية على
أن حسن التأليف مواهب ، وأن للناس فيما يعشقون مذاهب ، ومعلوم أن
الجنون فنون ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته
منذ حجج ، وبيوته من بحورها في لجج ، لا أبيع ما فيه من منازل الأحباب
لساكن ، ولا أمكن عاشقاً من المرور بتلك الأماكن :

أغارُ إذا آنت في الحسي ناره ۝ حذارٍ وخوفاً أن تكون لجه

حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري أدام الله نشر أعلامه
ولا أخلى كنانه من سهامه ، ما نفذت مراسم سهام المقل ، وتثنى قوام الحبيب
الذي طاب به الزمان واعتدل ، فبادرت إلى تجهيزه ، وسبك إبريزه حسب
المرسوم الشريف ، من غير تسويق ولا تكليف ، ولم أبح زهر منشوره لغير
حضرتة الشريفة من الأنام ، لأنه كان يقال : كل ما يصلح للمولى على العبد
حرام ، لا جرم أنه جاء بنظره السعيد نزهة النظر ، وقال الواقف على عتبة
بابه : إن السعادة لتلحظ الحجر ، فهو للسلطان بستان ، وللعاشق سلوان ،
وللمحب الصادق حبيب موافق ، وللمهجور نجوة ، وللنديم قهوة ، وللناسي
تذكرة ، وللأعمى تبصرة ، وللشاعر المجيد بيت القصيد ، وللأديب الماهر
مثل سائر ، وللمحدث قصص ، وللحاسد غصص ، وللفقيه تنبيه ، وللحبيب
بالقمر تشبيه :

[٣٢] نَبَادِرُهُ بِالْبَدْرِ مِنْهُ بِنَوَادِرِهِ ۝ وَتَحَلُّو لَهُ عِنْدَ الْمُرُورِ نَوَادِرُهُ
فَقِيَهُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ۝ حَيْبٌ مُلِمٌّ أَوْ نَدِيمٌ يُسَامِرُهُ

ولي فيه نظم إن تَضَوَّعَ نَشْرُهُ * وفي فيه نظم إن تَضَوَّعَ نَشْرُهُ
ولي فيه مثورٌ غَدَاً في مَقَامِهِ * ولي فيه مثورٌ غَدَاً في مَقَامِهِ
ولي فيه من سِحْرِ الْبَيَانِ رَسَائِلُ * ولي فيه من سِحْرِ الْبَيَانِ رَسَائِلُ
ولي فيه أسرار الحروفِ لِأَنَّه * ولي فيه أسرار الحروفِ لِأَنَّه
فَنَثُورٌ دَمْعِي مِثْلُ نَظْمِ سَطُورِهِ * فَنَثُورٌ دَمْعِي مِثْلُ نَظْمِ سَطُورِهِ
تَمَدُّ مَدَادِ الدَّمْعِ أَقْلَامُ هُدْبِهِ * تَمَدُّ مَدَادِ الدَّمْعِ أَقْلَامُ هُدْبِهِ
خَدَمْتُ بِدِيْوَانِ الصَّبَابَةِ عَامِلاً * خَدَمْتُ بِدِيْوَانِ الصَّبَابَةِ عَامِلاً
فَلَوْلَا الْهَوَى مَا مَاتَ مِثْلِي عَاشِقٌ * فَلَوْلَا الْهَوَى مَا مَاتَ مِثْلِي عَاشِقٌ
وَفِي غَزَلِي ذِكْرُ الْغَزَالِ وَمَرْبَعٌ * وَفِي غَزَلِي ذِكْرُ الْغَزَالِ وَمَرْبَعٌ
أَنْزَهُهُ عَن وَصْفِ خِذْرِ عُنَيْزَةٍ * أَنْزَهُهُ عَن وَصْفِ خِذْرِ عُنَيْزَةٍ
تَجْرُ قَوَافِيهِ مَعَانَ غَدَاً بِهَا * تَجْرُ قَوَافِيهِ مَعَانَ غَدَاً بِهَا
يَشِيبُ بِهَا فَوْذُ الْوَلِيدِ لِأَنَّه * يَشِيبُ بِهَا فَوْذُ الْوَلِيدِ لِأَنَّه
وَلَسْتُ أَرَى يَوْمًا بَدَارَةَ جُلْجُلٍ * وَلَسْتُ أَرَى يَوْمًا بَدَارَةَ جُلْجُلٍ
إِذَا مَا نَسِي ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزَلٍ * إِذَا مَا نَسِي ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزَلٍ
أَجَاوِرُ فِي سَفْحِ الْمُقَطَّمِ جِيْرَةً * أَجَاوِرُ فِي سَفْحِ الْمُقَطَّمِ جِيْرَةً
فِيَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَاهُ طَرْفِي إِنْ غَفَا * فِيَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَاهُ طَرْفِي إِنْ غَفَا
وَحَقِّكَ لَوْ سَايَرْتَهُ بَعْضَ لَيْلَةٍ * وَحَقِّكَ لَوْ سَايَرْتَهُ بَعْضَ لَيْلَةٍ
يُمَثِّلُكَ الشُّوقُ الشَّدِيدُ لَطَرْفِهِ * يُمَثِّلُكَ الشُّوقُ الشَّدِيدُ لَطَرْفِهِ
وَيَأْتِيهِ طَيْفٌ مِنْ خِيَالِكَ طَارِقٌ * وَيَأْتِيهِ طَيْفٌ مِنْ خِيَالِكَ طَارِقٌ
وَبِي مَنْ يَحُجُّ الْغُصْنَ رَمَحُ قَوَامِهَا * وَبِي مَنْ يَحُجُّ الْغُصْنَ رَمَحُ قَوَامِهَا
إِذَا أَقْبَلْتَ فِي الْحَلِيِّ وَالطَّيْبِ قِيلَ لِي : * إِذَا أَقْبَلْتَ فِي الْحَلِيِّ وَالطَّيْبِ قِيلَ لِي :
فَإِنْ رُمْتَ مِنْهَا وَهِيَ غَضْبَى التَّفَاتَةِ * فَإِنْ رُمْتَ مِنْهَا وَهِيَ غَضْبَى التَّفَاتَةِ
أَبْرُدُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حَرِّ هَجْرِهَا * أَبْرُدُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حَرِّ هَجْرِهَا

- تحصنت في حصن الهوى من عواذلي • وبات لقلبي جيش هم يحاصره
ولو لم يكن أعمى البصيرة عاذلي • لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندها • يشاهدتها بغضبي ويطلق ناظره
وللغصن خد كالشقيق إذا بدا • وشعر كجنع الليل سود غدائره
لئن طاب ذلي في هواها فإنني • وحقك ممن عز في مضر ناصره
ملك يهز الرمح أعطاف قده • كما اهتر غصن طار في الحب طائره
ملك تربه قبل ما هو كائن • بصيرته أضعاف ما هو ناظره
ملك إذا ما جئته حسن اللقا • جميل المحيا بارع الحس باهره
ملك إذا ما سار كالبدر في الدجا • فأولاده مثل النجوم تسابره
ملك أرى من حوله كل عالم • يذكره في العلم ما هو ذاكره
ملك له في كل يوم وليله • بشير توالت بالهناء بشائره
ملك أسود الغاب تحذر بأسه • لأن ملوك الأرض طراً تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه • وما هي إلا سمره وبواتره
إذا اقترعت أشكال حال اجتماعهم • فأني ضمير لم يدس فيه ضامره
وأي كمامة لم يرعهم نزاله • وأي مكان ما علته منابره
وأي قصيد بحر لها لم يرق له • وغائص فكري ناظم الدر نايره
ولي فيه من غر التصانيف خمسة • وهذا الذي طوق الحمامة عايره
يضوع به المنثور كالزهر عندما • تراوحه ربح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حول مطرب • بتشبيه في الحي يطرب زاميره
ولو لم يكن مثل السكر دان ما غدا • بحضرتيه يوماً تطيب حواضيره

نعم اللفتة باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح . وتوليت لأجله عمله
بنفسي فجاء كما قيل عمل الروح للروح :

أهيمُ بِمَنْ هَامَ الْحَيْبُ بِحُبِّهِ * أَلَا فَاغْجَبُوا مَنْ ذَا الْغَرَامِ الْمُسَلِّ

وسلكت في تأليفه الاختصار على النوادر القصار لأنه كان يقال : الوضع وضعان ، وضع له افتخار ، ووضع له نجار ، وقال يحيى بن خالد لولده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون . وحدثوا بأحسن ما تحفظون ، وخذوا من كل شيء طرفاً ، فإنه من جهل شيئاً عاداه ، (وسميته) « ديوان الصباية » ليصبح الواقف عليه مولهاً ، ويعلم أنه إن لم أكن أنا للصباية من لها :

مَا يَعْلَمُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ * وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

وفي آخر « ديوان الصباية » ما نصه : (ومنهم قتيل) وهو مما رآته عيناى وسمعتة أذناى ووعاه قلبى ، وذلك أنى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة اتفق أن شاباً من أبناء دمشق جميل الصورة ، عدا على إنسان كان يحبه فقتله ، فحمل إلى الوالى ، فلما سأله أنكر ، فعراه ليضربه بالسياط فتقدم إنسان كان يعشق ذلك الشاب ، وقال للوالى : لا تضربه فإنه ما قتله ، وإنما قتلته أنا ، فأحضر الوالى الشهود ، وكتب عليه محضراً بإقراره بالقتل ، وأطلق الشاب ، وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ ، فلما حكيت له هذه القصة ، وأطلع على باطنها توقف فى قتله ، وأمر بحبسه فلم تمض إلا أيام قلائل حتى حضر أروعون الكاملى من حلب عوضاً عن ايتمش فى نيابته بدمشق ، فكان أول شيء حكم فيه من الدماء ، فشئق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه . ولقد رأيت تحت القلعة وهو مشنوق ، والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ، ويتعجبون منها ، وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال

[٣٤] الدين بن النحاس ، فتعجب منها . وأخبرنى عن القاضى زين الدين بن السفاح وأخيه القاضى شمس الدين وجماعة من أهل حلب الموجودين الآن أنهم أخبروا

أن ناصر الدين محمد بن يكتوب ، أحد كتاب المنسوب المعروف بالقلندري ، كان يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه ، في كيس حرير أطلس معلق في رقبتة تحت ثيابه ، فإذا حضر في مجلس ولم يتفق حضورها فيه أخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه ، وجعل يبكي فإن لم يتفق له بكاء شديد أنشد :

لا مُتَّعَتْ عَيْنٌ مُجِبٌّ بِمَا يَسُرُّهَا إِنْ هِيَ لَمْ تُسْجِمِ

ثم إنه يأمر من حضر بربط رجله وضربه عليهما حتى يبكي . انتهى ما أخبرني به القاضي كمال الدين .

قلت : ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهي ما حكاها المسترد عن النميري أن رجلاً قدم على الملك كسرى أنوشروان ، وكان عالماً بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى ، فعجب الملك من كمال أخلاقه المحمودة ، فحبسه عن وطنه مدة من دهره . فشكا إليه غلبة الوجد وطول الكمد ، يالف فارقه في بلدة ، فطلبه كسرى بالإذن ، وحمله على التسوية ، فبينما هو على هذه الحالة إذ قدم عليه رجل من بلده ، ونعى إليه حبيبه ودفع إليه خاتمه ، فإذا فيه كتابة بالهندية ، فترجمت لكسرى فإذا هي كلام موزون بالموسيقى ، يشاكل من الشعر العربي :

لا مُتَّعَتْ عَيْنٌ مُجِبٌّ بِمَا يَسُرُّهَا إِنْ هِيَ لَمْ تُسْجِمِ
على حبيبٍ تَلِفَتْ نَفْسُهُ من التَّباريحِ ولم يَضْرَمِ

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفاً وجزعاً ، فأسعدته عينه اليسرى ولم تسعده اليمنى ، فأقسم أن لا ينظر بها ما عاش في الدنيا إن لم تسعده بالبكاء على حبيبه ، وهي أقوى حاسة من اليسرى ، فكان يسمى الصابر .

(قلت) : ومن غريب ما يحكى أن ناصر الدين القلندري المتقدم ذكره كان يضع المحبرة في يده الشمال ، والمجلد من الكتاب على زنده ، ويكتب

منه وهو يغني ويضرب برجله الأرض ، ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط .
 ولا يلحن ، وأخبرني بعض من كتب عليه أن من غريب ما شاهد من حاله .
 أنه كان يهوى شاباً من أولاد الجند بطرابلس ، كان يكتب عليه وكان آخر
 ما تمثل به ، ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبع مئة (٧٣٥) قول الصاحب
 ابن عباد :

يا مَنْ وَهَبْتُ لَهُ نَفْسِي فَعَدَّ بِهَاسَا ۞ وَرَمْتُ تَخْلِيصَهَا مِنْهُ فَلَمْ أُطِقِ
 أَذْرِكُ بَقِيَّةَ نَفْسٍ فِيكَ قَدْ تَلَفَسْتُ ۞ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ

[٣٥] إلى أن قال : وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي حجلة حين
 سقط بمصر أوطار ، وكيف لا وقد سقطت منه على الخير ، وأتيت من أخبار
 من غفر الله لنا ولهم بالجحيم الغفير ، فشهداءؤه من أعيان المشاهد ، وقتلاه وإن
 اختلفت أسباب موتهم داؤهم واحد ، ففي ذلك والحمد لله كفاية ، وإن
 كان التقصير قصراً غير مقصود عن الغاية ، على أن في رحلتي نشر العلمين في
 زيارة الحرمين ما هو كقص الخاتم لهذه الخاتمة ، والأمواج العظيمة لهذه
 الأبحر المتلاطمة ، لا جرم أني لم أذكر من أخبار أهل الحجاز إلا ما أشار
 إليه هذا الكتاب ببيان بيانه ، وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات
 لسانه ، فكم في الرحلة المذكورة في ذكر من مات على هذه الصورة من أخبار
 متمم امتنع من هجوعه ، وأصبح غريقاً بسحاب دموعه .

وقال بعد ذلك :

لدى سَمَرَاتِ الْحَيِّ بَرَقَ يُسَامِرُهُ ۞ يُذَكِّرُهُ بِالثَّغْرِ مَا هُوَ ذَاكِرُهُ
 يُذَكِّرُهُ عَهْدَ الْعُدَيْبِ وَمَا حَاوَى ۞ عَلَى حَاجِرٍ سَالَتْ عَلَيْهِ مَحَاجِرُهُ
 إِذَا مَابَدَا الْبَرَقُ الْيَمَانِي لَعِينِهِ ۞ فَمَا هُوَ إِلَّا وَشِيءٌ وَحَبَائِرُهُ
 سَقَى السَّفْعَ مِنْ ذَيْلِ الْمُقَطَّمِ عَارِضٌ ۞ تُعَارِضُهُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي مَوَاطِرُهُ

فكم فيه من صبّ قضي ، وغرامه
 تطاول ليلى في هواه ولو يشأ
 فيا للهوى العذري ما العذر عندما
 صحا ما صحا من نال في الحب عقله
 أبرد ما ألقاه يا جارتى وقد
 أحاول منه وصله كل ساعة
 ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى
 بجود عليهم حين يسري جواده
 فلولا ما أمضى أمير ذوي الهوى
 ولولا سطا السلطان في مصر ما مشى
 هو النصر والمنصور والعدل الذي
 له في سبيل الله خير ذخيرة
 ودرياقه في الثغر أقرب نبيله
 جزى الله عنه مصر ما هو أهله
 جواد غدت نعماء منا قريبة
 فما عابه أن الجنود جنايب
 له من بياض الصبح والليل أدهم
 فلا جابر يوماً لما هو كاسر
 [٣٦] والله سير في علاه لأجل ذا
 وتستقبل الآمال كعبة جوده
 فأي نوال ما أضاعت شمسك
 هو البحر إلا أن منهل جوده
 ولو لم يكن يجري ونظمي ذره

أوائله لا تنقضي وأواخره
 لقصره من حجبته مقاصره
 تغادر يومي مثل ليلى غدائره
 بسكرة حب لا تزال تخامره
 سباني ظبي فاتن الطرف فاتره
 فتمنعني أستاره وستائره
 بمصر وكل العاشقين عساكره
 فيحضر في قلب المتيم حافره
 ولا نفذت في العاشقين أوامره
 مع الذئب ظبي كان قبل يحاذره
 بباطنه ما جار في الملك ظاهره
 وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
 وسمر عواليه بمصر نواشيره
 فكم أميت في قطرها من يجاوره
 وإن بعدت في السبق عنا ضوامره
 وما نصره أن البروق ضرائره
 وأشهب كالبازي ينقض كاسره
 ولا كاسر يوماً لما هو جابره
 تباهي به فوق السرور سرائره
 كما استقبل البيت المعظم زائره
 وما هي إن حققت إلا دنائره
 موارد راقته به ومصاديره
 لما عرضت يوماً عليه جواهره

أَجْوَدُ فِيهِ الْمَدْحُ كُلُّ عَشِيَّةٍ * وَأَذْكَارُ فِكْرِي بِالثَّنَاءِ تُبَاكِرُهُ
 إِذَا تَاهَ مَدْحِي فِي دُجَى لَيْلٍ نَفْسِيهِ * عَنِ الْقَصْدِ دَلَّتُهُ عَلَيْهِ مَائِرُهُ
 عَبَرْتُ عَلَى الشُّعْرَى الْعَبُورَ فَأَوْمَأَتْ * إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ شَاعِرُهُ
 فَمَدْحِي لَهُ مَدْحُ الْمُحِبِّ حَيِّيهِ * إِذَا زَارَهُ وَاللَّيْلُ قَدْ نَامَ سَاهِرُهُ
 وَحُبِّي لَهُ مَا إِنْ يُقَاسُ بغيرِهِ * لِأَنِّي قَيْسُ الْحُبِّ فِيهِ وَعَامِرُهُ
 وَقَدْ مَاتَ قَلْبِي أَوَّلَ الْحُبِّ وَانْقَضَى * وَلَوْ مَاتَ أَمْسَى الْحُبُّ قَدْ مَاتَ آخِرُهُ

وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ سعيدِ المديوني

جد الحفيد الإمام ابن مرزوق لأمه ، قال هو : جدي هذا قاضي تلمسان ،
 كان فقيهاً محدثاً صالحاً قاضياً عدلاً . أجازته أبو جعفر بن الزبير ، ولقي
 أبا حيان ، والجلال القزويني ، وغير واحد من الأكابر ، وكان معمرًا توفي
 سنة ثمان وستين وسبع مئة (٧٦٨) هـ .

وقال غيره : نشأ بتلمسان ، وأخذ عن ابني الإمام ، واستعمله أبو الحسن
 المريني في الزكوات وسمع الشكاة إلى أن ولي قضاء تلمسان في زمن أبي عنان ،
 واستمر عليه إلى أن توفي .

أحمد بن الحسن الغماري التلمساني

أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري التلمساني . الولي الكبير الشأن .
 ذوات الكرامات الظاهرة ، والآيات الباهرة .

بقي بندرومة زمناً طويلاً ملازماً للتهجد في المساجد ليلاً . شاهد له أهل

عصره كراماتٍ كثيرةً ظاهرة ، وآيات باهرة .

وتوفي بتلمسان ثاني عشر شوال سنة أربع وسبعين وثمانمائة (٨٧٤) ،
ودفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم منها .
أخذ عنه الإمام أحمد زروق .

[٣٧] أحمد بن سعيد التنبكتي

أحمد بن سعيد التنبكتي ، سبط البركة سيدي محمود بن عمر .
كان رحمه الله عالماً بالفقه ، مطلعاً عليه ، حافظاً ، مدرساً ، حضر على
جده لأمه في « الرسالة » و« خليل مرة » ، ثم أخذ عن غيره « المختصر » و« المدونة »
وقعد وجلس للتدريس من عام ستين إلى وفاته في المحرم فاتح ست وسبعين
وتسعمائة (٩٧٦) ، وتزاحم عليه الناس وانتفعوا به .
أخذ عنه الأخوان الشقيقان الفقيهان شيخنا العلامة محمد وأخوه أحمد قرءا
عليه « الموطأ » و« المدونة » و« مختصر خليل » وغيرها .
وله استدراقات في الفقه ، وحاشية لطيفة على خليل اعتنى فيها بالنقل ،
واعتمد على نقل البيان والتحصيل .
مولده عام إحدى وثلاثين أدر كته وحضرتُ درسه وأنا صغير رحمه الله .

سيدي أحمد بن سعيد العفيفي

سيدي أحمد بن سعيد ، وليّ معظم ، عند بني عفيف ، ضريحه مشهور
بُزار ، وأولاده أفاضل على الخير والطاعة ، وهو من أولاد سيدي علي حمانة ،
محب النبي ﷺ وأصحابه ، الذي أشغف القوى من أجله حتى ظهر ذلك

للعامّة والخاصّة ، بحيث لا يشك أحد في ولايته .

أخذ من قرنا هذا ومن القرن الحادي عشر ، نعم الزوارُ وفقراءُ زمانه انتنعوا به أيّ انتفاع ، وسمعت من بعضهم أنه قال : كان الشيخ علي يجتمع مع رجال الغيب ، ويحضر ديوانهم ، والله أعلم .

وكان كريماً إذا لم تأته الضيوف يبعث إليهم ، ومهما أبطؤوا عليه ضاق وحزن ، وإن أتوا إليه سرّاً وفرح ، وقد سمعت حكاية عنه إن صحت ، وهي مشهورة لدى العامّة ونصها : أن الشيخ علي المهاجري كان زماراً في الأعراس ، بأن تبلغ الغاية في صنّعه بحيث يشترطه أهل الأعراس دائماً ، حيث فاق أهل صنّعه ، وهي صنّعة محرمة لأن مثل زمارته تُلهي كلّ اللهو على ما حكوا عنه ، ولو على قول ابن كنانة الذي يقول بجوازها إن لم تُله كل اللهو ، لا سيما مع انضمام مفسد إليها ، كحضور النساء والشبان والرقص وذكر الخدود والقُدود ، فإن كان ذلك كذلك فحرام لا يقول أحد بحليّته أبداً ، قد أتى إلى هذا الشيخ في حاجة عرس أو غيرها ، ففضى حاجة الشيخ على أحسن ما يريد ، فعطفه الله عليه وقال له : إن مررت بمحل كذا في طريقك تمرّغ بالموضع الفلاني ، فلما وصل إليه تمرّغ فيه ، وكان قبله مجتمع الأولياء ديواناً هنالك ، فآثر فيه الحب لله بأن صبغ حينئذ قال : وبعد ذلك لا أحضر إلاّ عند العروس لزوجها ، وأذهب بعد إلى المسجد فأشغل بالصلاة والعبادة إلى أن يطلع الفجر أو ما شاء [٣٨] الله ، والناس يظنون أنه هو الذي يرقص ويشطح ويغني ، وليس كذلك ، وإنما خلقت صورةً شيطانية مثل صورته مع أنه لا إثم عليه ، كما يخلق الله الملائكة على صورة الإنسان تفعل الطاعة ، ويكون الثواب للإنسان ، فقد قال صلى الله عليه وآله : « إن الإنسان إذا اغتسل من حلال يخلق الله من كلّ قطرة منه ملكاً يعبد الله تعالى ، وثوابُ ذلك للمغتسل » أو كما قال صلى الله عليه وآله أي تفعل ما

يفعل ، وهذا إن صح عنه غير بعيد ، غير أنه واقع والله أعلم ، وبدلك عليه
أني صغير في بني عيذل ، فذهب كلب إلى قبره فاستخرجه منه كما دفن ،
ولم يتغير منه شيء ، والمدة التي بين إخراجه وإقباره سبعون أو ثمانون سنة ،
فالغالب من ذلك أنه من الذين يحبون الله ، ومن أحبه فلا سبيل للأرض عليه ،
وأحوال الشيخ كثيرة ، نفعنا الله به آمين .

وولده علي الطاعة والخير والحمد لله ، وقد أدركتهما ، أحدهما
سيدي إبراهيم وهو كبير السن ، والناس يعتقدونه ويعظمونه ، والآخر قد
مات ، وكانت طريقته كأبيه سيدي محمد السعيد ، نفعنا الله بهم اه . ورتلاني .

ثم ذكر بعض من لقيهم بقوله : ومنهم الولي الصالح ذو الكشف الواضح سيدي
محمد أمشالي أو أمشاي ، ومثله في ذلك مع زيادة في العبادة سيدي محمد بن
علي ، ومثلهما في ذلك أو أعظم سيدي يخلف إذ كلهم في القرن الحادي عشر ،
متعاصرون نفعنا الله بهم ، غير أن طريقهم مختلفة ، أما الشيخ سيدي محمد
ابن علي فتبع لسان العلم ، وكثرت عليه المجاهدة حتى أثرت فيه تأثيراً قوياً ،
إذ غلب عليه حال الخوف ، وأما سيدي محمد أمشالي فقد غلب عليه الجمال ،
وأما سيدي يخلف فقد كثرت عليه الخلوة والاعتزال ، بحيث إذا بقي في
موضع مرثي للناس جازوا عليه ولا يرونه أصلاً ، وهو صاحب كشف عظيم
لا يكاد يخفي عليه أمر ، كما أخبرني من رآه وصحبه وهو أمي لا يقرأ ،
وهو من المغرب ، ومثله ولده سيدي الطاهر في الخلوة والاعتزال . ورؤية
رجال الغيب ، وقوة الكشف ، وأما أمشالي فإنه من بني يعدل ، أي بني جعفر .
وأما سيدي محمد بن علي فمن بني يعلى . وأولاد الجميع على الخير والطاعة
والحمد لله تعالى . تنمة .

أما سيدي محمد صالح الدكالي فمعلوم . وأما سيدي أحمد بن سعيد

ابن سعيد وأولاده فن أولاد دراج ، لأن طائفة من بني عفيف منهم ، وأما سيدي
السعيد ابن الحبيب فن وانوغة ، وأما سيدي علي الصافي فلا أدري من أين هو ،
والله أعلم اهـ .

[٣٩] سيدي أحمد الشريف الورتيلاني

قال العلامة الورتيلاني ما نصه : الولي الصالح جدنا سيدي أحمد الشريف
نسباً إذا ثبت ذلك ، وهو الشريف الحسيني والذي سمعناه من أعالي أسلافنا
أنه من شرفاء تافيلالت ، وأما مقره ومقر أوائله ففي بجاية ، وجدنا هذا نجل
الشيخ سيدي علي البكاي ، وكان له زاوية عظيمة ، وقد سمعنا أنه قدم بخمس مئة
طالب إن صح ، وقد ثبت عن بعض الثقات من بني يعلى أن طلبة الشيخ في
محلّه إذا قرؤوا الحزب سمعوه من بني يعلى ، يعني من مدشرة الخميس ،
وهو الكدية ، ومدشر الزراع .

وكان رحمه الله يجتمع مع النبي ﷺ ، والمحل الذي يجتمع فيه إلى الآن
معروف بعلامة ظاهرة ، وقبره يُزار ، وقد سمعت من العدل الصالح بلا شك
سيدي محمد الحاج حين بتنا معه ليلة الجمعة في روضته ، لما أخذنا النوم
واستوى علينا ، وجاء مع جماعة من الطلبة ، وقد ذهب نصف الليل فاستيقظنا
من النوم ، وأتينا إلى محل الاقتراء ، وسأله بعض الطلبة عن الحكمة في إتياننا
نصف الليل وثلاث الليل الأخير أولى ، فقال : أعلمكم غير أنكم لا تخبروا
أحداً إلا بعد موتي ، فعاهدناه على ذلك ، فقال : لما نمتم امتلأ الموضع برجال
الغيب ، ثم أتى النبي ﷺ وسيدي عبد القادر الجيلاني فأيقظتكم والحمد لله
على ذلك .

وقد سمعنا أن الديوان يكون ليلة الاثنين والجمعة غير أن ليلة الاثنين للشيخ

سيدي عبد القادر ، وليلة الجمعة للنبي ﷺ ، ولما بنى داره قال لبانيها : أرسل نفسك من غير سلم ، فأبى فقال له : والله لو أرسلت نفسك لوقعت في الكعبة ، وقد سمعنا أيضاً أنه من بات عنده في روضته سبع جمعات متواليات قُضيت حاجته أي حاجة كانت دينية أو دنيوية .

ومن كراماته أيضاً أن سيدي محمد أعني الذي كان في صدوق المشهورة ولايته . الجوادي أخذ عنه ، وكان شيخاً له ، فلما قربت وفاته قال له : إذا ميتٌ فمن أشاوره بعد ذلك ، فقال له : أنا قبل وبعد ، فلما مات كان الأمر كذلك ، فصار يكلمه من قبره إلا مرة واحدة أتى إليه يُشاوره في أمر فنأى الشيخ على عادته ، فلم يستجب له ، أي لم يجبه ، فبكى من ذلك ، وظن أن المانع منه ، فكث غير بعيد وناداه مرة أخرى فأجابه فقال له : أين كنت ؟ قال : كنت عند الشيخ سيدي يحيى كان غائباً ، فلما رجع ذهب الأولياء إليه ، وكان ولده سيدي يحيى في مجانة بأهله ، مكث فيها عشرين سنة ، وكان يركب معه من مماليكه ثمانون عبداً ، فأرادوا غدره ، فقال له الشيخ : قل لولدي يحيى أنت نائم ، وأرادوا قتلك ، فأنا الذي أيقظتك حتى ركبت فرسك ونجوت منهم ، ثم بعد ذلك رجع إلى وطنه إلى أن قضى الله أمراً كان مفعولاً . [٤٠] وكان جدنا سيدي يحيى في مجانة ، وعنده بنتان كل واحدة منهما نسخت التوضيح . وقد سمعت سيدي الطاهر الشريف يقول : إحدى النسختين في إملال إلى الآن ، وكانت عنده خزانة عظيمة بحيث لا توجد عند غيره ، ولما سلط عليهم الوباء ولم يبق إلا ولدان صغيران ، ضاعت الكتب والأملك الربانية التي في بني عبد الجبار .

ومن أولاده الفاضل الكامل الفقيه الورع سيدي الحسين جدي كان مدرساً دائماً يحفظ الشيخ سالم . ينسخ منه كل ليلة نصف كراس في القالب الكبير ، أخبرني بذلك زوجته والدة أبي . وهو يدرس إلى أن مات ، وكان يُفتي ولا يقبل

الهدية من أحد ، وكان النبي ﷺ هو الذي أمره بالفتيا على لسان بعض من يراه يقظة من المحبين له ، وكذا والذي في غاية الاتباع أكثر من أبيه . تؤخذ السنة من كلامه ومن أفعاله بالمدخل ، والشيخ عبد الله بن أبي جمرة . وابن عطاء الله ، والشيخ زروق إمامه ، وقد علمت أن من جعل واحداً منهم قدوة كفاه ، فكيف بالجميع .

قلت : وقد أخبرني أنه قال : رأيت جدي هذا فقلت له : أعطني سرّاً . فقال : سرّي مقسوم بين أولادي ، ولا أدري هل قال له : وأنت لك الحظ الوافر أم لا ، نفعنا الله به آمين اهـ .

أبو العباس أحمد العباسي

الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي :

أخذ عن الشيخ أبي محمد سيدي حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة ، وعن غيره . ورجع لقسنطينة فكان آية زمنه حفظاً وإتقاناً وتبياناً في علم البلاغة والبيان ، عارفاً برجال الحديث وعلمه ، له اليد الطولى في فن المنطق والكلام والعلوم الإلهية ، عالماً بقراءة السبعة ، متمكناً من أدب المناظرة ، ولي النظر على الأوقاف ثم القضاء مرتين ، والخطابة بسيدي علي بن مخلوف ، ثم بمسجد رحبة الصوف .

له تقايد على « صحيح مسلم » وعدة مؤلفات .

توفي في ٢ جمادى الثانية سنة ١٢٥١ .

[٤١] أبو العباس أحمدُ بن عثمان التلمساني

قال الجبرتي : الأستاذ العارف الشيخ أبو العباس أحمد بن عثمان بن علي ابن محمد بن علي بن أحمد التلمساني الأزهري المالكي .

أخذ الحديث عن الإمام أبي سالم البصري المكي ، وأبي العباس أحمد ابن محمد النخعي المكي الشافعيين ، وغيرهما من علماء الحرمين ، ومصر ، والمغرب .

وأخذ عنه الشيخ أبو سالم الحفني ، والسيد علي بن موسى المقدسي الحسيني ، وغيرهما من علماء الحرمين ، ومصر ، والمغرب ، توفي سنة ١١٥١ .

أحمدُ بنُ عبد الرَّحمنِ العباسي
جد أولاد مقران

الوليُّ الصالح والبدر الواضح ، ترياق وطنه ، وأمين بلده سيدي أحمد بن عبد الرحمن جد أولاد مقران ، وهو - والله أعلم - تلميذ الشيخ سيدي يحيى ، وقد سمعت أنه قال للشيخ سيدي يحيى : إني رأيت في النوم النار تخرج من بولي ، فعبرها له الشيخ بأن قال بصير منهم أي من أولاده من هو من أهل الظلم والجور ، وكان الأمر كذلك ، ولعل بركة جدهم تعمهم ، وكذا الشرف ، وقد رأيت ابن فرحون نصّ في « طبقاته » على شرفهم والله أعلم اه من الورتيلاني .

أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ جلالِ التلمساني

الشيخ الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المرابط بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني الأصل الفاسي الدار والمولد .

قال صاحب المطمح في « فهرسته » : كان رحمه الله من العلماء الأعلام خيراً ديناً غارفاً بالنحو والفقه أتم معرفة ، مشاركاً في غيرهما .
توفي رحمه الله فجأة سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩) .

وأخذ عن جماعة من الأعلام كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي ، وعمه أبي عبد الله محمد العربي الفاسي ، وعن عمه أيضاً الفقيه المفتي الخطيب أبي العباس أحمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال المتوفى سنة ثمان وأربعين وألف (١٠٤٨) .

[٤٢] أحمدُ بنُ عبدِ السَّلامِ المسيلي

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الشهير بالمسيلي .
رحل حاجاً وقفل إلى بلده .

وحدث عنه أبو بكر ابن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب .
وروى عن ابن أبي محمد ابن أبي السعادات المروزي الخراساني .
وأنه أنشده بئثر الاسكندرية عند وداعه إياه . قال : أنشدني أبو تراب جندل
عند الوداع لبعضهم :

السُّمُّ مِنَ السُّنِّ الْأَفَاعِي ۝ أَعَذِبُ مِنْ قُبْلَةِ السُّودَاعِ
وَدَّعْتُهُمْ وَالْدُّمُوعُ تَجْرِي ۝ لَمَّا دَعَا لِسُّودَاعِ دَاعٍ
« نَفْحُ الطَّيِّبِ »

أحمدُ بنُ عبد الصَّمَدِ البجائي

أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة بن عبد الحق الخزرجي ، أبو جعفر
القرطبي نزيل بجاية .

روى عن ابن العربي .

له تأليف سماه « آفاق الشمس وأعلاق النفوس » .

وروى عنه أبو القاسم ابن بقي وأبو سليمان ابن حوط الله .

توفي بفاس عام ٥٨٢ وولد عام ٥١٩ ، ذكره ابن الأبار .

أبو العباس أحمد العلمي

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد العلمي كان فقيهاً محققاً عارفاً بالأحكام ،

تقلد فتوى المالكية ، ثم القضاء ، ومات مقتولاً سنة ١٢٢٩ .

أحمدُ بنُ عليّ البسكري

الشيخ أحمد بن علي بن أحمد البسكري بضم الموحدة وسكون السين

المهملة ، الصوفي رحلة الهند في زمانه .

ذكره الشلي وأثنى عليه ثناء جميلاً ، ثم قال : أخذ عن والده ، وعن الشيخ عبد القادر بن الشيخ العيدروس ، وغيرهما . وكان لطيف الذات كامل الصفات ، أكثر همه الاستعداد ليوم المعاد .

[٤٣] قال في « النور السافر » : كان صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح ، متبعاً للكتاب والسنة سالكاً على نهج السلف الصالح . متصفاً بالعفاف قائماً بالكفاف ، ولا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة . مظهراً للجمالة .

له جملة مصنفات ، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل ، وللناس فيه مدائح ، فمن ذلك ما قاله فيه أديب الزمان الشيخ عبد اللطيف بن محمد الزبير من قصيدة :

أعني به أحمد المختار سيرتُهُ * خُلِقًا وَخَلَقًا سِوَاهُ لَا يُسَاوِيهِ
 شهابٌ نَجَلِي عَلِيُّ الْبُسْكَرِيِّ بِلْدَا * الْمَالِكِيِّ مَذْهَبًا مَنْ ذَا يُضَاهِيهِ
 قَدْ خَصَّهُ بِجَمِيلِ الْفَضْلِ خَالِقُهُ * بَسْرٌ طَيِّبٌ مَعَانٍ فِي مَعَالِيهِ
 لَهُ بَدِيعٌ بَيَانٌ فِي الْخَطَابِ يَرَى * وَغَيْرَ أَنْظَرَ وَقَدْ جَلَسَتْ مَعَانِيهِ
 أَخْبَارُهُ قَدْ آتَتْ فِي الْحَالِ تُخْبِرُ عَنْ * آيَاتِ أَفْكَارِهِ الْمَخْصُوصِ مِنْ فِيهِ
 حَدِيثُهُ الْحَسَنُ الْعَالِي رَوَاتُهُ * أَعْلَتْ لِسَامِعِهِ شَأْنًا وَرَاوِيَهُ

وكانت وفاته ليلة السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع بعد الألف بمدينة أحمد آباد ، ودفن بها رحمه الله تعالى اه . من « خلاصة الأثر » .

أبو العباس أحمد بن علي الملياني

قال لسان الدين (ابن الخطيب) في « الإكليل » في ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبي العباس أحمد بن علي الملياني ما نصه : الصارم الفاتك والكاتب الباتك أي اضطراب . في وقار وتجهم ، تحته أنس العقار ، اتخذه ملك المغرب صاحب علامته . وتوجه تاج كرامته . وكان يطالب جملة من أشياخ مراکش بثأر عمه . ويطوقهم دمه بزعمه . ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه إذ سعوا فيه . حتى اعتقل . ثم جدوا في أمره حتى قتل ، قرصد كتاباً إلى مراکش يتضمن أمراً جزمياً . ويشمل من أمور الملك عزمياً ، جعل فيه الأمر بضرب رقابهم . وسبي أسبابهم . ولما أكد على حامله في العجل ، وضايقه في تقدير الأجل ، تأنى حتى علم أنه قد وصل ، وأن غرضه قد حصل ، فرّ إلى تلمسان وهي بحال حصارها ، فاتصل بأنصارها حالاً بين أنوفها وأبصارها ، وتعجب من فراره وسوء اغتراره ، ورجعت الظنون في آثاره ، ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، فتركها شنيعة على الأيام ، وعاراً في الأقاليم على حملة الأقلام ، وأقام بتلمسان إلى أن حل مخنق حصرها . وأزيل هميان الضيقة عن خصرها ، فلحق بالأندلس ولم يعدم برّاً ورعيّاً مستمراً ، حتى أتاه حِمَامُه وانصرفت أيامه ، توفي بفرنطة يوم السبت ٩ ربيع الآخر عام ٧١٥ ، ودفن بجبانة باب البيرة .

ومن نظمه :

[٤٤] العزُّ ما ضُرِبَتْ عليه قَبَابِي والفضلُ ما اشتمَلَتْ عليه ثِيَابِي
والزهرُ ما أهداه غُصْنُ يراعَتِي والمسكُ ما أهداهُ نَقْشُ كِتَابِي
فالمجدُ يَمْنَعُ أن يُزاحَمَ مـوردي والعزْمُ يَأبَى أن يُسَامَ جنَابِي

فإذا بلوتُ صنيعَةً جازيئُها * بجزيلِ شكري أو جزيلِ ثوابي
 وإذا عقدتُ مودَّةً أجرئُها * مجرى طعامي مِن دمي وشرابي
 وإذا طلبتُ من الفراقِ والنُّهي * ثاراً فأوشكُ أن أنالَ طِلابي
 توفي يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبع مئة ، ودفن
 بجبانة باب البيرة ، ذكره ابن الخطيب في « الإحاطة » .

أحمدُ بنُ عمر الدلسي

الولي الصالح سيدي أحمد بن عمر الدلسي ، سمعت به في صباي أنه من
 أهل التصريف ، وقد أخبرني بذلك البعض من أهل الخير ممن يوثق بهم .
 وكان رضي الله عنه يعرف أهل عصرنا ، ويطالع أحوالهم ، ويعلم من كان
 من أهل التصريف منهم في المشرق والمغرب ، وأنه أخبرني بأن سيدي أحمد
 الزروق ابن مصباح وسيدي الحسين بن أعراب من بني يراتن ، وسيدي أحمد
 ابن إياس الفليسي ، وسيدي أحمد بن عمر الدلسي ، كلهم من أهل الوقت ،
 وهو غير بعيد ، بل هو الحق إن شاء الله تعالى ، نعم هؤلاء فقهاء مدرِّسون
 متَّبِعون للسنة ، وقد ظهر عليهم آثار الفضل ، وأنوار الحق مشرقة عليهم ،
 وقد صحبتهم وأحببتهم وشهدت من جميعهم ما يدل على ذلك ، على أن سيدي
 ابن أعراب كان يُحدثني عن رجال الغيب ، ويقول : إنهم قالوا : ذا ،
 ويكون ذا ، ولولا الإطالة لذكرتُ عن كلِّ واحد ما فيه العجب من اطلاعه
 على بعض المغيبات ، نعم أحوال الكشف فيه ظاهرة ، وقد رويتنا من بحره
 رضي الله عنه ، وكذا من الجميع في محالهم ، وقد زرتهم مراراً مع اطلاعي على
 بعض أسرارهم والحمد لله تعالى .

انفصلنا من مقامنا بنية زيارة سيدي أحمد ، وقضاء الحوائج لبعض المسلمين ،

من إصلاح ذات البين ، إذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير ، والفتنة بينهم قلّ أن ترتفع ، والهرج بينهم يزيد ، أزال الله ذلك بمنه وكرمه ، فيجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم ، ويصلح حالهم ، ليرتفع ما فيهم من المعصية ، وهي قوله ﷺ : « القاتلُ والمقتولُ في النارِ » (١) الحديث .

[٤٥] وقد نص علماء بجاية على أنه يجب على أهل الخير والصلاح ممن يقبل منه أن يصلح بين هؤلاء المسلمين ، وإلا عصى الله تعالى ، وقد نص أيضاً على أنه لا يجوز حال قتالهم النظر إليهم ولا التفرج فيهم ، لأنها معصية ، فلا تجوز مشاهدتها ، وهو شريك بالنظر ، انظره في الأسئلة تراه بالعيان .

وبالجملة فذهبنا لبعض القرى ، وقد خربت من أجل ذلك ، وكان ذلك في يد متولي أمرهم سلطان مجانة - بتخفيف الجيم ، كما سمعته من بعض من يعرف ضبطه من الحذاق ، ويوثق به في اللغات - وهو المعظم الأجلُّ محبُّ الصالحين الشريف المبارك محمد بن أحمد القندوز المقراني ثم العباسي ، زرته مع عمنا العلامة المحقق الفهامة سيدي محمد الصغير بن رقية ، والفاضل الكامل سيدي محمد السعيد بن الطالب ، والمحب للخير وأهله سيدي أحمد ابن علي نجل الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وسيدي أحمد الطيّب نجل الشيخ الفاضل سيدي مهنا ، وخدم الصالحين الحاج علي التبروني وغيرهم ، وتلميذي سيدي محمد الكسلاوي الجزائري ، إذ كان يقرأ عليّ كبرى الشيخ السنوسي بالشيخ اليوسي ، قراءة تحقيق في أيام الزيارة وغيرها ، وشاورنا سيدي أحمد

(١) أخرجه البخاري ٨١/١ . في الإيمان : باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما) ومسلم (٢٨٨٨) في الفتن وأشرط الساعة : باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما من حديث أبي بكر نفيج بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قلت : يا رسول الله هدا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » . هذا لفظ البخاري (ش) .

ابن عمر على الحج فقال : توكلوا على الله ، ثم رجعنا وأخذنا على بني أفراوسن بلاد الشيخ ابن معطي . صاحب ألفية النحو ، الذي قال فيه ابن مالك : فائقة ألفية ابن معطي ، وسيدي محمد الزواوي صاحب المراثي المعلومة صديق سيدي سعيد الصفراوي القسنطيني وصاحبه ، فنزلنا قرية الجمعة أعني الصهريج ، وهي قرية عظيمة ذات بساتين وعيون ، في وسط العمارة نحو مئة عين كما قيل ، ونزلنا عند المعظم سيدي محمد بن القاضي الشريف سلطان زواوة ، وعاهدنا على الحج ، ومشى معنا ، ثم مات رحمة الله عليه بعد خروجنا من المدينة المشرفة ، ودفن بين الينبع ونقب علي في شهر المحرم عام ١١٨٠ ، [٤٦] ثم أتينا بني بوشعاب ، وزرنا جملتهم ، ثم مررنا على بني يحيى وزرنا جملتهم أيضاً ، وتلاقينا مع بعض فضلائهم أولاد الفقيه من قرية تن ، وزرنا سيدي علي بن الطالب ، ولي مشهور كان صبغة في عصره ، وكان يأتيه الرجل فيبلغ لله تعالى في ساعتين ، وزرت قبره مراراً ، وأدركت من أصحابه جملة منهم سيدي أحمد بن عمر ، وسيدي أحمد بن أم رزق الصغير ، قد تجرد للعبادة ، وخدمة طلب العلم ، وله كرامات كثيرة ، وورع شديد ، صاحب انقباض ، والمرابط سعيد بن تقترين ، أدركت منه المنى وأنا صغير ، والوالي الصالح سيدي يحيى بن حمودي ، وكلهم أصحاب وقت في عصرهم اه من الورتيلاني .

[٤٧] أحمد بن عمر التنبكتي

أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التنبكتي . عرف بالحاج أحمد . أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين في قطرهم بالعلم والدين ، والد والذي رحمه الله .

كان خيراً فاضلاً صالحاً متورعاً محافظاً على السنة والمروءة والصيانة والتحري ، حبا في النبي ﷺ وصحبه ، ملازماً لقراءة قصائد مدحه ، متبعاً لذلك ، ولقراءة « الشفا » لعياض على الدوام ، معتنياً به ، فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً محصلاً بارعاً حافظاً معتنياً بتحصيل العلم ، ونسخ كتبه بخطه عدة دواوين كثيرة ، وجمع كثيراً من الفوائد والتعليق .

أخذ العلم عن جده لأمه ، وكان قاضي تنبكتو ، وعلى أهل ولاتن ، والنحو عن خاله الفقيه مختار ، ثم ارتحل للمشرق ، فحج عام تسعين وثمان مئة لبلاده ، فقعد للتدريس والإفادة قليلاً .

وألف « شرح تخميسات العشرينيات » الفازازية لابن مهيب في مدحه ﷺ ، ولم يكمل و« شرح منظومة المغيلي » في المنطق شرحاً جامعاً حسناً ، وكتب حاشية على شرح التتائي على خليل ، نَبّه فيه على مواضع السهو منه . وقطعاً على مواضع من خليل ، وشرحاً يسيراً جداً على « جمل الخونجي » ، وفي الأصول وغيرها ، وعلى « صغرى السنوسي » و« القرطبية » . وجلس لإسماع البخاري في رجب وتاليه نحو خمسة وعشرين سنة . ثم مسلم كذلك ، حتى توفي في شعبان عام إحدى وتسعين وتسع مئة (٩٩١) ، ثقل عليه لسانه وهو يقرأ « صحيح مسلم » في الجامع يوم الخميس ثالث عشر منه ، فأشار عليه شيخنا العلامة محمد بغيغ ، فقطع القراءة . وكان جالساً بحذائه ، ثم توفي ليلة الاثنين بعده سبع عشر من الشهر .

أخذ عنه جماعة منهم العلامةان الصالحان الفقيهان الأخوان شيخنا محمد وأخوه أحمد ابنا الفقيه محمود بغيغ قرآ عليه الأصول والبيان والمنطق وغيرها . والفقيهان الأخوان القرينان عبد الله وعبد الرحمن ابنا الفقيه محمود بن عمرت ، وحضرت أنا عليه أشياء عدة . وأجازني جميع ما يجوز له وعنه ، وكتب لي بخطه ، وسمعت بقراءته « الصحيحين » و« الموطأ » و« الشفا » .

مولده في المحرم فاتح تسعة وعشرين وتسع مئة (٩٢٩) ، ورأيت بعد وفاته بمدة بعض معارف من مات بعده في عالم النوم ، وسألته عن حال جماعة ماتوا من أهل بيتنا وغيرهم ، فأخبرني بحالهم وقلت : ما حال والدي ؟ فقال : أعطي والدك أفضل مما أعطي الفقيه أحمد بن سعيد حفيد الفقيه محمود فرآني كأني أتعجب من ذلك ، فقال لي : كذلك كان اه . ثم بعد ذلك أخبرني بعض الناس أنه رأى تلك الرؤية قالها لي ابتداء من غير أن أخبره برؤيتي ، فقوي ظني بذلك ، والمواهب بيد الله سبحانه اه « نيل الابتهاج » .

[٤٨] أحمدُ بنُ عيسى أبران الوريدي

سيدي أحمد بن عيسى الوريدي الزكوطي ، عرف بأبران .

كان يقرئ « رسالة » ابن أبي زيد القيرواني ، و« مختصر ابن الحاجب الفرعي » و« عقائد السنوسي » و« ألفية ابن مالك » و« نظم أبي مقرر » و« السلم المروتنق » للشيخ عبد الرحمن الأخضرى ، و« حكم ابن عطاء الله » .
أخذ عن سيدي علي بن يحيى ، وأخذ عنه سيدي محمد البطحي .
ووفاته مقيدة في شاهد قبره .

أحمدُ بنُ عيسى البجائي

عَلَامَتُهَا وفقهها وصالحها ، في طبقة ابن إدريس .
أخذ عنه الوغليسي ، وأبو القاسم المشدالي ، وأبو الحسن المنجلاتي وغيرهم .
وله فتاوى .

أحمدُ بنُ عيسى البطيوي

الفقيهُ العدلُ الموثَّقُ أبو العباس التلمساني .

كان حياً سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة (٨٤٣) ، هكذا وقع في « المعيار »
للونشريسي ، وليس ولد أبي مهدي عيسى المواسي المفتي ، فذلك أحمد بن
ماواس البطيوي الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس ، توفي بفاس عام اثنين
وثمان مئة (٨٠٢) .

أحمدُ بنُ عيسى الغماري البجائي

الفقيهُ القاضي الجليل النبيل أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن
الغماري .

رحل إلى المشرق ، وقرأ هناك ، وجد واجتهد وحصل وأتقن ، لقي
جملة مشايخ منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيره ، له علم بأصول
الفقه ، وحظ من أصول الدين ، ومشاركة في علم الأدب ، وكان ممن يستفاد
بالنظر عليه والمثول بين يديه ، وكانت دروسه منقَّحة الإيراد ، عذبة المورد
بغريب ما يستفاد ، كان يبدأ بين يديه رحمه الله بقراءة الدقائق أولاً ، وبعد
ذلك بالفقه وأصول الفقه ، وكان يقرأ « التهذيب » عليه ويقرأ « الجلاب »
فيكثر البحث ، ويشحذ القرائح ، ويجيء بالمسألة الخلافية ، فيرتقي أحد
وجهيها فيبحث عليه إلى أن يظهر الرجحان ويقع التسليم ، ثم يأخذ الطرف
[٤٩] الآخر ويلزم أصحابه ما كان هو يناظر عليه فلا يزال إلى أن يظهر الرجحان

في ذلك الطرف ويقع التسليم ، وهذا من حِدَّة فكره وجودة نظره . وكان له لسان يستنزل به الهمم .

وكان جاداً طالباً مقاصياً للأمراء ، ومناصفاً لهم . وسيوساً مع ذلك لهم . وولي المنصب مع ذلك في بلاده ، وفي بجاية كرتين ، وتوجه رسولاً إلى ملك المغرب مراراً من المستنصر بالله ، وما زال ناجح السعي سديد الرأي . وكان سريع البديهة بالجواب ، يُطَبِّق المَفْصِلَ بمطابقة الصواب . ومن مُلَح جوابه أنه لما كان ببجاية في ولايته الثانية ، ونزل أمير المؤمنين المستنصر على قسنطينة . وجاءه واعتنى به رسولاً عن بجاية وأهلها ، فأجاب بما يليق به الجواب . ثم قال له الملك : يا فقيه سمعنا أن والي بجاية لو أراد أن يبنها لبنةً فضةً ولبنةً ذهباً لفعل ، فقال له مبادراً : يا مولانا يكون ذلك بالثقاتكم إليها وعطفكم عليها . فسكت ، وهذا جواب حسن مانع لمقصد الملك بسهولة . فقال له : سمعنا أنه مسرف ، فقال مجاباً : إنما رأيتُهُ إذا وقع الحضور معه في النهار لا يزال ناعساً ونائماً ، فأشار له بذلك إلى سهره بالليل فيما يعرف . وأجوبته كلها مستحسنة مستعذبة ملخصة مهذبة .

ولقي من أصحاب فخر الدين جملة من فضلائهم . واستفاد بهم . وكان رحمه الله يحكي عن بعضهم أنه كان يقول له . لما رأى من نبهه وفضله : والله لو رآك مولانا الفخر لأحبك ، وكان رحمه الله يُثني على الفخر كثيراً . ولا يرى له نظيراً ، وكان يؤثر قراءة كتبه على غيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين ، وتوفي بتونس على ما قيل عام اثنين وثمانين وست مئة (٦٨٢) .

أبو القاسم أحمد الغبريني

أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني فقيه تونس ومفتيها .

أخذ عن ابن عبد السلام وطبقته ، وتولى الفتيا بتونس .

قال البرزلي : هو شيخنا الفقيه الراوية المفتي الصالح المسين أبو القاسم .

قال تلميذه أبو الطيب ابن علوان : شيخنا الإمام العلامة المشاور الثبت

الراوية المدرس المفتي الخطيب ذو الخطط الشرعية والعلوم النقلية اهـ .

وأخذ عنه جماعة من علماء تونس كالقاضي أبي مهدي عيسى الغبريني ،

وأبي عبد الله القلشاني ، وصاحب الترجمة ولد أبي العباس الغبريني صاحب

« عنوان الدراية » وقاضي بجاية .

[٥٠] توفي بعد السبعين وسبع مئة .

وأخوه شقيقه أبو سعيد أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني . قال ابن

علوان : هو شيخنا الفقيه الإمام الخطيب الموقر المشاور الرئيس المسند المحدث

بقية المشايخ اهـ . ولم يذكر وفاته .

مولاي أحمد الفجيجي

الشريف الأنور البركة الصالح الأذكار أبو العباس مولاي أحمد الفجيجي

الملقب بالبركة المعينة .

كان رحمه الله ذا كشف وصلاح ، منسوباً إلى الخير والبركة والفلاح .

توفي في شهر ذي الحجة الحرام متمّ عام خمسة وتسعين ومئتين وألف

(١٢٩٥) ، ودفن في فاس .

أبو العباس أحمد بن أبي قاسم البجائي

أبو العباس أحمد بن أبي قاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب ،
الشيخ الفقيه القاضي الجليل الفاضل الوجيه . هو أول بيت ابن الخطيب ببجاية ،
ولي قضاءها من مراكش .

كان له صلابة في الأحكام . وقلة مبالاة بأحدٍ من الحكام . وكان إذا
حكّم أمضى . وإذا وصل أرضى . وإذا خشي كشف العورة أغضى .
وربما كان يتفرس في الأحكام أحياناً فحاشه لا يخرج من قانون الشريعة ،
ولا تستهويه أن يكون حكمه كسراب بقيعة ، واستمرت مدته وطالت ولايته ،
وكان أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن . ولقد أسهموه ما لم يسهموا به
أحداً من صنف الطلبة . وما زال ظلُّ شرفه ضافياً على عقبه . ومسبلاً أثواب
النعمة على ذوي نسه .

أحمد بن قاسم العقباني

أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ، قاضي تلمسان ، والد الحفيد العقباني ،
وولد شيخ الإسلام قاسم ، توفي سنة أربعين وثمان مئة (٨٤٠) بتلمسان .

مولاي أحمد بن القاضي المعسكري

الفقيه الأجل العلامة الأفضل الشريف الأمجد أبو العباس مولاي أحمد بن
أحمد ، شهر بابن القاضي المعسكري داراً ومنشأً وهو من ذرية مولاي علي
الشريف .

توفي رحمه الله بهذه الحضرة عام أربعة وستين ومئتين وألف (١٢٦٤) .

[٥١] أحمدُ بنُ محمد بن ذافال الجزائري

أحمد بن محمد بن ذافال الجزائري ، من أهل المئة التاسعة ، ومن طبقة قاسم العقباني . نقل عنه في « المازونية » و « المعيار » .

أحمدُ بنُ محمدِ المبارك القسنطيني

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المبارك .

كان وقاد القريحة ، بديه الإدراك ، واسع الفكر ، عريض الفهم ، والإدراك ، أسندت لعهدته رئاسة الطريقة الشاذلية . فساسها على متون الشريعة ، وهذبها بنصائحه المفيدة .

درّس وألّف مؤلفات في شمائل الرسول ومعجزاته ، وله حاشية على شرح الأخصري لـ « جوهره المكنون » مفيدة في بابها ، وعارض عدة قصائد في مدح خير البرية .

أخذ عن العباسي وغيره والأول عمدته ، وولي مفتياً للمالكية والخطابة بالجامع الكبير . مات رحمه الله عقب سنة ١٢٦٥ .

أحمدُ بنُ محمد بن المسيلي

الشيخ العالم المفسر . أخذ عن الإمام ابن عرفة ، وأبي الحسن البطرني ، والولي ابن خلدون ، وأبي مهدي عيسى الغبريني وغيرهم ، له تقييد جليل

في التفسير قيده عن ابن عرفة ، فيه فوائد وزوائد ونكت ، ووقع له فيه قصة .
 وذلك أنه لما ألفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسن ابن السلطان أبي العباس الحفصي ،
 فراسله فيه وطلبه منه ، فامتنع ومأطله أياماً ، ثم أرسل إليه وأمر رسله أن
 لا يفارقوه حتى يسلمه لهم ، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجدة في الأمر
 أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفن لهم الباقي ، فمشوا به ، ثم مات
 ومات الأمير أيضاً ، وبيع التقييد في تركته فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان ،
 فبقي أهل تونس لا شعور لهم به ، فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان ،
 ومن هناك انتشر ، وقد كان الشيخ لما طُلب به اختصر منه تقييداً صغيراً
 جداً ، وهو موجود ببلد فاس ومراكش بيد الناس ، وذكر في التقييد المذكور
 أنه أول ما حضر عند ابن عرفة عام ٧٨٥ .

[٥٢] أحمدُ بنُ محمد العبادي

أحمدُ بنُ محمد بن يعقوب العجيسي ، شُهر بالعبادي ، يُكنى أبا العباس .
 توفي بتلمسان سنة ٨٦٨ .

أحمدُ بنُ محمد العقباني

سيدي أحمد بن محمد بن قاسم العقباني أبو العباس الفقيه .

قال في « الدوحة » : كانت له حصة مباركة من الفقه ، قدم مع الشيخ
 أبي العباس أحمد العبادي ، والشيخ أبي عبد الله محمد شقرون ، وتصدر
 للتدريس بالقرويين ، وكان دونهما في إدراك العلوم ، وتوفي في آخر العشرة

الثامنة ، يعني من القرن العاشر (٩٨٠) بفاس ، وسلسلة سلفه سلسلة العلم والفضل .

أحمدُ بنُ محمدِ المعافري القلمي

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الشيخ الفقيه المقرئ المتقن الأستاذ النحوي اللغوي المحصل المقدم أبو عمرو ، وقوته في علم القراءات .

قرأ على أبيه بالقلعة الحمادية بجامعة الأعظم في عشر التسعين وخمس مئة ، وارتحل إلى بجاية ، ولقي بها أفاضل منهم والده أبو عبدالله بن عبدالله ، ومنهم الشيخ أبو زكرياء الزواوي رضي الله عنه ، كان ملازماً له وعاكفاً عليه ، والقارئ بين يديه ، ولقي أبا عبد الله بن حماد وغيره .

وكان أستاذ الأساتذة في وقته ، كان جلوسه للقراءة والرواية بالجامع الأعظم ببجاية ، شرفها الله بذكره ، وقرأ عليه عالم ، واستفاد منه خلق كثير ، وكل من أخذ عنه يصفه بالإتقان والدراية وجودة الرواية ، وكان لا يتسامح في الإجازة بوجه ، ولا يمكن منها إلا بعد التحصيل ، ومن ظفر من الطلبة بإجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ، ووصل إلى المرتبة العليا ، وما أدركت من أدركت من الطلبة إلا وهم يفخرون ببلقائه والقراءة عليه .

واختصر كتاب « التفسير » لأبي عمرو الداني اختصاراً بليغاً وجيزاً ، يدل على علمه وجودة فهمه . وتوفي رحمه الله ببجاية عن جملة تلاميذ وفضلاء أساتيد .

أحمدُ بن محمد الوهراني

[٥٣] أحمد بن محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن حرة المديوني الوهراني . أخذ عن الإمام السنوسي « مقدمته الصغرى » ، وعن الكفيف ابن مرزوق ، وهو الذي كان يطالع له ، وأخذ التصوف عن ابن تازغدوت ، وهو أحد تلاميذ سيدي إبراهيم التازي ، وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد بن موسى تلميذ السنوسي ، وتوفي سنة إحدى وخمسين وتسع مئة (٩٥١) ، وأخذ عنه الشيخ المنجور ، وذكره في « فهرسته » .

أحمدُ بن البشير المختاري

الفتى الشاب سيد من جاوز الكهولة وشاب ، من أغناه الفهم والحفظ عن كل عبارة من الكلام المفيد المركب في اللفظ ، دعتة النجاة فكان لها خير عشير ، الفقيه النجيب السيد أحمد بن البشير المختاري .

أخذ الفقه عن حفيد السيد أحمد بن هني ، وولد ابنه أبي راس المازوني حفيد الشيخ أبي راس الناصري ثم المعسكري ، وابن بنته ، والنحو عن ابن عمه ، مستطرف الزمان ، وعلامة همدان ، أبي علي السيد حسن الملقب بالشريفي بالقاف المعقودة المختاري ، وهذا الولد عريق في السيادة ، وتابع لأسلافه في علو الفخر والمجادة ، كما قيل : إذا طاب أصل المرء طابت فروعه .

وجده الفقيه الهمام كان فارساً في نوازل الأحكام ، متصدياً للفتوى بإذن من قضاة الأنام ، كم من خلاف رفعه بفتواه ، وروض المذهب ممره

ومرعاہ . فلا یقتطف من زہر أقوالہ إلا المشہور . وما اتفق علیہ أئمة الجمهور .
 ویقول الحق ولا یبالی . ومع ذلك إذا أعضلت الدعوی وتکررت بہا فی
 مجالس القضاة والحکام الشکوی . تنہی إلیہ ویقول : أنا لها إذا نالت الناس
 قضیة ولا أبا حسن لها . فابن المختار المختاری إذا بلغت فتواہ للقاضي یتلقاها
 بالقبول . ویقول : کل قاض اختیارہ فوق اختیاری اہ من رحلة المشرفی .

أحمد بن مزبان الوری

الشیخ الفاضل ذو التصانیف الجیدة الولی الکبیر والعالم الشہیر صاحب
 وقته . محب النبی ﷺ وخلیلہ . سیدی أحمد بن مزبان فی قریة ورجة .
 وهی قریة طیبة فیہا بساتین . ووسط دارہ عین جاریة . وله حلاوة بحیث
 لا تُفرق بین کلامہ والکلام الأصیلی . وألف کتاباً فی الصلاة علی النبی ﷺ .
 لم یوجد له نظیر . لأنه ذکر تصاریف اللغة . وحاز قصب السبق فیہا . وله سر
 عظیم وانفعال جسیم . فأینما توجه رأیت الناس حافین بہ .

[٥٤] وقد تمكن فی علم الأوفاق تمکناً کلباً مع الكشف التام . وقد أخبر عنه
 أنه لا یفعل شیئاً حتی یستأذن النبی ﷺ . وله کرامات مشہورة منها
 أنه أتاه فقیره فی أيام الحج فقال له : والله إن أحج فی هذه الأيام . فلما ألح
 علی الشیخ . وذلك فی زمان الخریف . أعطی له عنقوداً فاتمّ أكله فی مكة
 المشرفة . ثم لما أكمل حجه وجد نفسه فی دارہ . نفعنا الله بہ .
 وولده حی أخ لنا . وصدیق لدينا . وهو لا یشبه لكثرة أحوال الدنيا
 اہ من الورتیلانی .

أحمدُ بنُ مسعودِ القسطنطيني

أحمد بن مسعود القسطنطيني أبو العباس الشهير بابن الحاجة الإمام المقرئ المتبتل المتعبد النحوي المجيد صاحب الأوقات ، وإمام الحضرة .
أخذ عن ابن برال ، وأبي العباس الزواوي وغيرهما .
وأخذ عنه البرزلي ، وأبو الطَّيِّب ابن علوان وغيرهما .

أحمدُ المسبِّحِ أبو العباسِ القسطنطيني

في « منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية » لسيدى عبد الكريم الفكون ما نصه : الفقيه المدرس أبو العباس أحمد المدعو حميدة المسبِّح .
كان من المفتين بقسنطينة ومن ذوي فتياها ، وممن له معرفة ونباهة وصدق ، وممن له الشورى في النوازل ، ويقال : إن اعتماد أخيه أبي محمد عليه في بعض المهمات إلا أن أخاه أبا محمد أشهر ذكراً لأجل مخالطته الأمراء .
توفي رحمه الله تعالى عام ٩٨١ هـ ، من خط الشيخ حمدان الونيسي .

أحمدُ بنُ معمرِ البجائي

الشيخ سيدى أحمد بن معمر ، الولي الكامل ، والليث الفاضل ، من زار بجاية ولم يزره لم يذهب بشيء منها ، والعياذ بالله تعالى ، وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر غير أن أسباب الحرمان كثيرة ، فالحذر الحذر والأدب الأدب ، توجهت لزيارة رجال النخلة المدفونين في مسجد الخميس أعني السوق ،

وكذا من في مقبرة السوق ، نفعنا الله بهم .

فقد سمعت ممن يُوثق به أن بعض الناس من بجاية وصل إلى عمراوة ،
فصار يستغيث بالصالحين فيما أصابه ، فأتاه بعض الأولياء فقال له : ألا رجعت
إلى بجاية فاستغثت برجال النخلة ، فن استغاث بهم يُغث ياذن الله تعالى .

وبعد توجهتُ بوجهي إلى المدفونين في جبل خليفة بعد ما زرت سيدي
الصدّيق ، وسيدي عبد الحق الفجيجي ، ولم يثبت عندي شيء في حقهما ،
نعم أهل بجاية يعظمونهما غاية التعظيم ، إلا ما سمعت عن بعض طلبة بجاية
من أن الشيخ عبد الحق هذا هو الذي قتله السلطان ظلماً وعدواناً ، وسبب [••]
ذلك أن بعض الزنادقة كان يتعبد في الظاهر في الموضع المسمى بمضيق ،
فلما اشتهر أمره صار الناس يأتونه أفواجا ، ففكر به والعياذ بالله تعالى ، فكان
من أمره أن كل امرأة لا تلد في بجاية تأتيه ويختلي بها فتلد طفلاً فعلا صيته
بهذا الأمر ، وذهبت زوجة سيدي عبد الحق هذا إليه ، وهو معها ، فلما
وصلت طلبها للخلوّة على عادته ليطأها فتلد ولداً ، فامتنع الشيخ من ذلك ،
وقال : هذا ممنوع شرعاً ، فرجع هو وزوجته ، وكانت امرأة السلطان قد
فعل بها ما فعل قبل في النساء ، ولما رجع الشيخ عبد الحق نادى بالويل على
الرجل ، وقال : إنه زنديق ونبه على فعله الخسيس ، وافتضح أمر الرجل ،
وأصابته السلطان المعرّة العظيمة ، فطلب سيدي عبد الحق على مقاله فقتله ،
وجعل رأسه عند باب المدينة ، وإنما فعل ذلك امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام
« إذا رأى العالمُ مُنكراً ولم يُغيّرهُ فعليه لعنةُ الله » نعم بقي رأس الشيخ هناك
مدة ، غير أنه إذا جاء البواب عند الغروب ويقول الباب : ليدخل من كان
خارجاً ، يقول الرأس : لم يبق إلا عبد الحق الذي مات على الحق ، بلسان
فصيح سمعه الناس كلهم . فعند ذلك رأوا الشيء عياناً ، وظهر الحق وزهق

الباطل ، ورفعوه وعظّموه وجعلوا روضة على قبره ، وقد قيل فيه : إنه ولد الشيخ سيدي علي المظلوم المدفون عند الحلق ، قيل : إنه مظلوم في قتل ولده هذا .

وبعد توجّهتُ لزيارة مَنْ في الجبل وقد قيل : إن فيه اثني عشر ألف قطب ، وإنه يُنيخ بالحلة في الجنة كما يُنيخ البعير بحمله ، وكان توجّهي على القنطرة التي عند الباب ، إذ سمعت أيضاً من بعض الصالحين أنه يقول : من وقف على تلك القنطرة ، وتوجه للجبل فسأل الله شيئاً أعطاه إياه .

وبعد ذلك دخلتُ بجاية وزرتُ الشيخ سيدي الصوفي ، ولم أحفظ من أمره شيئاً إلا أن أهل بجاية يعظّمونه غاية التعظيم ، وأنه من أهل التصريف في بجاية ، نفعنا الله به آمين .

وبعد زرتُ خلوة الشيخ سيدي أبي مدين الغوث ، وقد زرتُ قبره والحمد لله في العباد في تلمسان أرض الجدار ، وزرتُ معه الشيخ السنوسي ، والإمام ابن زكري ، والعقبانيين ، والإمام ابن مرزوق ، وولدي الإمام ، وهؤلاء كلهم مؤلفون ، نفعنا الله بجمعهم . وأبو مدين كان في القرن السادس [٥٦] في بجاية حتى سعى به بعض الشياطين من الحساد إلى أمير مراکش ، فبعث إليه فلما سمع أهل بجاية عزّ أمره عليهم . وأرادوا الخروج عن طاعته ، وقال خليفة بجاية : لا تذهب فإني أخرج عن طاعته من أجلك ، فقال : أذهب والله غير أن الناس لا يروني ولا أراهم . وذهب . فلما قرب تلمسان أشار بموته فقال : احمّلوني على بغلة ، فالموضع الذي تبرك فيه فذلك قبري فبركت في العباد ، ودفن فيه ، فصار رحمة لأهل تلمسان ومزاراة . نفعنا الله به . وكان أصحابه كثيرين منهم الشيخ أبو محمد صالح الدكالي . فإنه ذات يوم أتى الشيخ أبا مدين فقال له : أردت الفقر إلى الله . أما ترى واحداً يُبلغني . فقال : لم أرَ

لك مثل الشيخ عبد القادر في بغداد ، فذهب إليه فلما وصله ، قال : أردت
الفقر إلى الله ، فأدخله الخلوة ، فكث أربعة وعشرين يوماً ، فدخل عليه
الشيخ عبد القادر ، فقال : ما أردت ؟ فقال : أردت الفقر إلى الله ، فقال :
عليك بكذا وكذا ، فقال له هو : هذا كله أعرفه من الكتاب والسنة ، فقال :
ما تريد ؟ فقال : أريد أن تدخل يد قلبك لقلبي ، قال : فنظر في نظرة فامتحن
قلبي من حينه ، ثم قال : انظر الكعبة فنظرت الطائفين بها ، ثم قال لي :
انظر إلى المغرب ، فنظرت شيخي في المغرب ، ثم إنه قال لي : أريد مكة
أم المغرب ؟ فقلت : شيخي في المغرب ، فقال لي : في خطوة أو كما جئت ؟
قلت : كما جئت ، فأغناني بتلك النظرة دنيا وأخرى ، أنفق فيهما ، ثم إن
أبا محمد قيل إنه قديم بلادنا ، واستقر عند أمير وادي أقبو ، وهو وادي بجاية ،
فرغب فيه السلطان فزوجه بنته ، فولد معها ولداً فكث غير بعيد ، وقال :
دعني أرفع ولدي فإنه ستظهر شمس في القرن التاسع في بني عيديل تغيب النجوم
كلها معها ، فمنعه السلطان منه ، وذهب وتركه ، نعم قيل : إن أولاده هم
أولاد سيدي محمد صالح الآن عندنا والله أعلم .

وقد قيل : إنه هو الذي طلع بدابته عمود السّواري في الإسكندرية حيث
قال لهم : أين بيت الغريب ؟ فقال البواب له استهزاء به : في عمود السّواري ،
فبات فيه ، وهو لا يمكن عادة المبيت فيه ، نفعنا الله به . وأما الشيخ عبد القادر
فكان في القرن الخامس ، أخذ منه خمسين سنة ، وأخذ من السادس تسعة
وأربعين سنة .

ثم بعد زيارة خلوته توجهت لزيارة خلوة الشيخ أبي محمد المرجاني
المعلوم الذي ينقل كلامه صاحب « المدخل » ويعتمد عليه ، ولا يشكُّ أحد
في ولايته ، وقال ابن عرفة قادحاً : أثقل شيء عليّ قولهم : قيل لي أو عليّ ،
قال : فلا أقبله ولو من المرجاني المقطوع بولايته اه . فقد جزم بولايته .

قلت : نقل كلامه هذا الشيخ زروق ورده بقوله : الثقل ليس بحجة .
 وقوله أيضاً المرجاني المقطوع بولايته فإن أراد القطع بحسب الكرامات .
 فثمَّ مَنْ هو أظهر منه كرامة . وإن أراد ذلك بحسب نفس الأمر فلم يقطع
 لأحد الآن بذلك إلا بعد دخول أهل الجنة الجنة .

[٥٧] ثم توجهتُ لزيارة خلوة الشيخ عبد القادر ، وخلوة سيدي أبي العباس
 السبتي الكائنتين في برج اللؤلؤة ، وقبر سيدي أبي العباس في مدينة مراکش .
 وأما قبر الشيخ سيدي عبد القادر فمعلوم في بغداد أفاض الله علينا من بحر أنوارهما .
 وزرت الجامع الأعظم القديم القريب من تلك الخلوة . ومن البرج المذكور
 الذي كان فيه تسعون مفتياً ، أي في الجامع الأعظم ، وكان كل واحد لا يعرف
 أباً علي المسيلي أي ناحية كان .

ثم بعد ذلك توجهتُ إلى الشيخ عبد الحق الإشبيلي ، ويقال له : اليماني .
 ويقال له : البجائي أيضاً . وهو الذي أُلّف العقبة ، وقبره خارج باب المرسى
 القديم طريق أبي زكرياء الزواوي . وكان رضي الله تعالى عنه لودعياً فاضلاً
 كريماً لا نظير له . وكانت تأتيه أمته مراراً في يوم واحد لمجلس درسه تطلبه
 دراهم فلم يخيبها قط . ثم قال بعض تلامذته : هذا شيء كثير يا شيخ .
 فقال له : أستحي أن تجتمع في ثلاثة شينات : شيخ وشحيح وإشبيلي اه .
 وأيضاً كانت رخامة عند قبره . فيها تاريخ موته . فأتى بعض النصارى فرفعها .
 فلما وصل بها إلى بلده تشاءم بها . وردّها بنفسه إلى قبره . نفعنا الله به آمين .

ثم زرتُ مَنْ دُفن في تلك المقبرة . وقد دفن فيها أيضاً قرب السور الشيخ
 عبد الحق بن ربيعة . ذكره صاحب « عنوان الدراية » بما يحرك قلب الناظر
 إليه . وقد قيل : إن في تلك المقبرة الغافقي .

ثم توجهتُ لزيارة الشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي ، وقد كان في

القرن السادس ، وقبره مشهور . قال صاحب « عنوان الدراية » ما نصه :
 أربعة قبور يُستحباب الدعاء عندها ، قبر معروف ببغداد ، وقبر أبي مروان
 في بونة ، أي عنابة ، وقبر أبي زكرياء يحيى الزواوي الذي هو هذا ، وقبر
 أبي مدين في تلمسان ، وقد زرتُ والحمد لله الثلاثة ، بلَّغني الله إلى الرابعة ،
 وهو قبر معروف بجاه من ذكرته من الأربعة آمين .

ومن أوصافه رضي الله عنه أنه كان لا يأكل إلا السمك ، فيصطاد بنفسه
 طلباً للحلال ، وكان كثير التردد على المساجد ، يتعبد فيها بنواحي بجاية ،
 وكان رحمه الله له مجلسان في العلم : مجلس في الحديث ، ومجلس في التفسير ،
 إلا أن التفسير يُقرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر ، لكثرة الناس وازدحامهم
 عليه إلى يوم موته ، وكان يكرر قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ
 فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾^(١) ففهم أكثر الحاضرين أن الشيخ يموت ، وكان رحمه الله
 سخي الدمعة يبكي ويبكي أكثر الحاضرين معه إلى أن قربت صلاة العصر ، [٥٨]
 وذهب لزاويته قرب الجامع ، فسمع له من في المسجد حركة اغتيال ، ثم
 رجع إلى صلاة العصر ، فلما فرغ منها رجع إلى زاويته ، فمات بعد صلاة العصر
 من يوم الجمعة . ودفن صبيحة يوم السبت ، وخرج الناس لدفنه ، وخرج
 أمير بجاية ، وقد انكسر كذا وكذا نعشاً تحته رحمة ورغبة فيه ، وهو حسناوي
 من بني عيسى ، وبلدهم معلومة بقرب الجزائر ، ودفن معه الولي الكبير ابن
 عربي غير الحاتمي وغير الحافظ ، وإنما هو رجل على صورة البله يلعب بقصبة .
 وأما الشيخ سيدي المبيع فلم أحفظ من أمره شيئاً إلا أن أهل بجاية يعظمونه
 غاية التعظيم ، ويُعدُّونه من أهل التصريف ، وكذا سيدي عيسى ، وجده سيدي
 علي البكائي إلا أن جده والله أعلم قد ذكر صاحب « عنوان الدراية » في طبقاته

(١) سورة المائدة : الآية ٩٥ .

أن له زاوية عظيمة الخ ما ذكره ، والله أعلم .

وأما الشيخ سيدي علي المسيلي فقد كان حجة في بجاية ، وتولى القضاء فيها ،
والدعاء مستجاب عند قبره ، ويسمى أبا حامد الصغير .

ومن تأليفه « التذكرة والنبراس في الرد على مُنكر القياس » ، وقد رأيت
الشيخ عبد الباقي يقول : « قال صاحب النبراس » ، وهو من أواخر القرن
السادس .

ومن أهل القرن التاسع أيضاً الشيخ سيدي التواتي ، وهو ولي صالح كبير
الشان ، عالم على الإطلاق ، وله مؤلفات كما كنا نسمع ، وهو عند أهل
بجاية من أهل التصريف ، وقد سمعنا أن فتواه لا ترد إلى توزر ، وهو المعاصر
للشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وله زاوية وطلبة إلى الآن ، وخدام في الجبل
وغيره ، نفعنا الله تعالى به اه ورتيلاني .

سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارِ الْجَزَائِرِيِّ

هو العلامة المحقق والفهامة المدقق أبو العباس سيدي أحمد بن عمار مفتي
مالكية الجزائر ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

كان من نوابغ عصره وأفاضل مصره ، وهبه الله حظاً من سيلان القلم
وطلاقة اللسان ، لحق به شأو لسان الدين والفتح بن خاقان ، وبديهة في البيان
والمعاني ، زاحم بها الحريري والهمداني ، وذكر في المشارق والمغارب .
أغنى أهله عن الإطراء وتلفيق المناقب ، وكفى به تعريفاً ما طبعته الحكومة
من كتابه « نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب » ، إذ فيه من زواهر منظومة .
ما يهدي ناظره إلى شمس علومه وأنوار فهمه ، فمن ثره في ديباجة رحلته :

قوله : اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته ، وعصم كلامنا من الخطأ والخطل
والزلل في حركاته وسكناته ولحظاته ، إني عزمت على الرحلة إلى الحجاز ،
عزماً نسخت حقيقته المجاز ، أوائل سنة ١١٦٦ ست وستين ومئة وألف .

[٥٩] هذا وقد جرت عادة أهل بلادنا الجزائر ، حرسها الله من الفتن وحاطها من
الدوائر ، أنه إذا دخل شهر ربيع الأول ، انبرى من أدبائها وشعرائها مَنْ
إليه الإشارة وعليه المعوّل إلى نظم القصائد المديحيات والموشحات النبويات ،
ويلحنونها على طريق الموسيقى بالألحان المعجبة ، ويقرؤونها بالأصوات
المطربة ، ويصدعون بها في المحافل العظيمة ، والمجامع المحفوفة بالفضلاء
والرؤساء المنظمة ، من المساجد والمكاتب والمزارات ، وهم في أكمل زينة
وأجمل زيّ وأحسن شارات ، تعظيماً لهذا الموسم الذي شرف به الإسلام ،
واحتفالاً بمولده عليه الصلاة والسلام ، فلما استهل هذا الشهر الشريف من هذه
السنة ، ولاح هلاله المسبي المنيف لعينٍ لم تكتحل بسنة ، أنشأت هذه القصيدة
الموشحة ، جعلها الله لمنصب القبول مرشحة ، وهي قولي - مستعينا بحول
الله وقوته ، متصلاً من قوتي وحولي - :

يا نسيماً بات من زهر الربا يقتفي الرُكبان
احملن مني سلاماً طيباً لأهيل البان

اقرأن مني سلاماً عبّقاء * إن بدت نجس
إن لي قلباً إليها شيقاً * شفّه وجس
وفؤادي يجتنيها حرقاً * وضنى يغدو

ودموع العين تهمي سحياً قطرهما هتان
والكرى عن مقلتي قد غضباً وجفا الأجان

يا رعى الله فؤادي كم له * للحمى تسوق
كلما حثَّ الرُّكابَ بزُلُّه * هزَّة شوق
وحنيناً يتقضَّى ليلسه * إن سرى بسرُّ

إلخ :

ثم قال : ولي من هذا النمط وغيره من التوشيح والقريض قصائد شتى في مدحه صلى الله عليه وسلم ضمنها بطن ديوان ، وكنيتها من أوراقه بصوان ، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى إذا بلغ القلب الكئيب السول ، وأقرت العين المشوقة بالمثل بين يدي السيد الرسول ، وضمت الحضرة النبوية والمثابة أشلاء الجسد إلى الروح ، وأقدمت المسرات وأحجمت التُّروح ، وأنشدتها على صاحبها صفوة الوجود ، الذي ضربنا لأجله الأغوار والنجود . خيرة ولد آدم وأكرمهم على ربه ، المحب إلى القلوب في حالي بعده وقربه ، لا زالت الأنفس بدنوه مرتاحة ، وصعب الأمانى بحنوه متاحة ، وبدور السعود ملتاحة ، وشموس الرسالة مشرقة للعيون في آفاق تلك الساحة ، ودامت في حماه الأرواح ممتعة بوصله ، محدودة بجنسه وفصله ، راجعة فروعها إلى أصله ، حائزة برعيه صلى الله عليه وسلم قصب السبق مع خصله ، محروسة برمح بطشه وسهمه ونصله . إن شاء الله تعالى .

وهذه الطريقة التي مدحنا بها النبي صلى الله عليه وسلم عليها جرى أهل بلادنا ، وأرباب طarfنا من البلاغة وتلادنا ، والشعر القريض عندنا في هذا الغرض ما أنزره وأقله ، في هذا العصر والذي قبله ، ومُجَلَّى هذه الحلبة ، ومقدّم الجماعة ، وناقل الجعبة ، وإمام الصناعة ، وركّاب صعباها ، ومذلّ لها ، ومسبّل شعابها ، ومسهلّها ، عاشق الجناب المحمدي ومادحه بلا معارض ، ومثلثُ طريقتي البوصيري وابن الفارض ، الشيخ أبو العباس سيدي أحمد المانجلاتي ، أتحفه

الله بمنفهي رضوانه ، وألحفه مطارف التكريم في أعالي جنانه ، وقد أثبت
 هذا من مولدياته ما يطرب ويروق ، ويُبهر الشمس عند الشروق ، فن ذلك
 قوله :

نلت المرام

بالله حادي القطار * قف لي بتلك الديار * واقر السلام
 سلم على عرب نجد * واذكر صباة وجدي * كيف بلام
 من بادرته الدموع * شوقاً لتلك الربوع * مع المقام
 الخ :

قال : وهذا الرجل الصالح من عشاق الشائل المحمدية ، المشرقة العاطرة
 الندية ، وله ديوان قصائد مولدية ، تزي بالأزهار الندية ، ثم جاء مصلياً
 خلفه علم الأعلام ، اللاعب لسانه بأطراف الكلام ، سخبان البلاغة وقس
 البراعة ، ومالك أزيمة المعاني ومصرف البراعة ، فارس الأدب المفرد ، وحامي
 ذماره ، وحارس روضه الأنف ، ومطلع شمسه وأقماره ، شيخنا أبو عبد الله
 محمد بن محمد الشهير بابن علي ، أمطر الله ثراه من الرحمة والرضوان بكل
 وسمي وولي ، وقد أثبت له هنا ما يرشف رحيقاً ، ويُنشق مسكاً سحيقاً ،
 ويُسروح نسيماً ، ويُسلمح محياً وسيماً ، ويُسترق عذباً زلالاً ، ويُسنتطق
 سحراً حلالاً ، فن ذلك قوله :

هاج الغرام

بالله طاوي القفار * عرج بذاك المزار * حيث الكرام
 عرج بربع المعال * وابد بذاك الوصال * حر الغرام

حسبُ المشوقِ الكئيبِ • أن شملُهُ بالحييبِ • له الثَّامُ
نأتُ علينا الدَّيَّارُ • وفي الفؤادِ جَمَّارُ • لها انصِرَامُ

إلخ :

قال : وهذا الإمام هو خاتمة الشعراء العظام بهذا الصقع ، ليس لغليل
الأدب بعده نقع ، وكثيراً ما كنت أرتاح إليه رحمه الله تعالى كما يرتاح إليّ ،
[٦١] ويا طال ما كان يفرغ من سجال آدابه عليّ ، ومضت لي معه مجالس كقطع
الرياض ، تُكسي النفس والطَّبعَ منها مطارف ارتياح وارتياض ، وشعره كثير ،
وهو على كثرته يفوق الدرّ النظيم والزهر الثير ، ونثره على جودته قليل ،
وسيفه فيه غير كليل ، وله ديوان أشعار ، تغلو في عكاظ الأدب إذا رخصت
الأسعار ، وكان رحمه الله تعالى في نظمه متين الجد لطيف الهزل ، محكم
النسج رقيق الغزل ، وقد ترجمته في تأليفي « لواء النصر في فضلاء العصر »
وباسمه صدرت في الكتاب وافتتحت ، وبطلَّ أدبه رقرقتُ زهره وفتحت
اه . منه .

وفيه كفاية للتعريف بمبلغه من العلوم الأدبية ، وهي حياة اللغة العربية ،
ومن تمكن منها بالفعل ، تمكَّن بالقوة من سائر الفنون ، ولم أقف على وفاته .

أبو طالب أحمد بن محمد الاغريسي

أبو طالب أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي أبي طالب الراشدي
الحسني .

ولد في وادي الحمام قرب معسكر سنة ١٢٥٢ ، وانتقل أبوه إلى فاس ،
ومكث بها أعواماً ، ثم إلى طنجة ، وبها قرأ المترجم القرآن على سيدي سليمان

الوهراني ، وأخذ مبادئ العلوم العربية عن العلامة محمد الدكالي في طنجة ، ومبادئ الفقه عن عمه أحمد بن علي أبي طالب ، وعن الفقيه محمد بن علال التلمساني صهر أبي عبد الله محمد بن محمد المجاوي الجليلي ، ثم تولى عمه أحمد المذكور خطة القضاء بسطيف ، وانتقل هو مع أبيه محمد أبي طالب إلى تونس ، وحضر دروس الشيخ العفيف ، والشيخ يرم الكبير ، وغيرهما من علماء جامع الزيتونة ، ولما توفيت أمه بنت محمد السعيد بن محيي الدين ابن مصطفى بن المختار ، ذهب مع جده هذا لدمشق الشام ، وبها أخذ عنه وعن خاله العلامة الشيخ محمد المرتضى ، والأمير الحاج عبد القادر بن محيي الدين ، ورجع إلى أبيه في مدينة سطيف ، فتولى قضاءها وتولى أبوه قضاء دائرة قسنطينة ، وفي سطيف اشتهر أمره وظهر علمه ، وقيد التقايد العجيبة ، وأنشأ القصائد الطنانة ، وانتقل إلى قضاء الأربعاء من دائرة الجزائر ، وهناك اجتمع بالعلامة علي الحقيقة الشيخ حميدة العمالي مفتي السادة المالكية في الجزائر ، وحضر دروسه فأعجبه ترتيب إقرائه ، وتقريب العلم إلى الأفهام مع التحقيق التام ، [٦٢] ولما ولي العلامة علي بن الحفاف الإفتاء بعد موت الشيخ العمالي صار يجتمع به أيضاً ، وقرأ عليه التجويد والتصوف ، ومدحه هو وسيدي علي مبارك صاحب القليعة ، وسيدي أحمد الكبير صاحب البليدة بعدة قصائد ، وانتقل إلى قضاء مستغانم ، وبعد ذلك حدث شقاق بين العلامة السيد محمد المصطفى المشرفي والشيخ علي بن الحفاف ، أداهما إلى إشهار القلم في مسألة من مسائل رمضان ، وقابل كل منهما الآخر بما يعلمه ، وأساء الأول الأدب على الثاني ، فانتصر المترجم لابن الحفاف ، وجعل رسالة عظيمة الشأن سماها « الانصاف في رد اعتراضات السفساف ونصر ابن الحفاف » فرد عليه المشرفي برسالة سماها « السهام الصائبة في رد الدعاوى الكاذبة » فأجابه المترجم برسالة سماها « الحسام في تكسير السهام » والحاصل أنه رجل مشهود له بطول الباع

في القريض والتوثيق ومعرفة النوازل .

بقي في القضاء نحو ٣٠ سنة لم يزل فيها مطالعاً للكتب مقررأً على هوا مشها .
مستعيناً بصهره العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي الموصوف هنا في ترجمة والده
الشيخ محمد بن عبد الكريم المجاوي . لأنه كان لا يفارقه .
توفي رحمه الله في سطيف سنة ١٣٠٧ . ودفن بمقبرتها قرب ضريح الولي
الصالح سيدي سعيد الزواوي . وأعقب أولاداً نجباء أحسن تربيتهم وحثهم
على التعلم عليه وقت فراغه . وعلى صهره الشيخ عبد القادر المذكور . فنبغ
منهم الأديب الأريب السيد محيي الدين القاضي الآن في عمالة قسنطينة .
والفقيه السيد أبو بكر قاضي البليدة . والشاب السيد محمد المأمون الباش عدل
في وهران .

ومن نظمه رحمه الله مادحاً أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة الجوائب
المشهورة وأثبت المدوح ذلك في كتابه « كثر الرغائب في منتخبات الجوائب »
شكراً للمادح وللعلم .

قوله :

سنا سرُّ الليالي^(١) أضواء ليلا * فأنساني مُسامرتي لليلى
وذكرني المثاني لا المبانسي * وأذهلني فرواني وعلا
ففي أدراجهِ عينُ المعانسي * معيناً من حديثِ البحر نَيْلا
فما رشفُ الغواني بالأغاني * بأشهى من مذاقهِ وأخْلا
مسائلهُ تحاكي في انسجامٍ * لسي لَعْساً بتول حين تُتلى
فما خَطَرْتُ على فِكْرٍ ولكِنْ * بفكرةِ فارسِ الآدابِ تُحلى
وحيدٌ في الفصاحة لا يُجارى * فريدٌ في البلاغة لا يُجلى
أصابَ بفهمِهِ غَرَضَ المعالي * وحازَ بحزْمِهِ القِدْحَ المعلى
وكمْ جابَتْ جوائِبُهُ بسلافاً * وجابَ بيانها حَزْناً وسَهْلا

(١) إشارة إلى كتاب « سر الليال في القلب والإبدال » لأحمد فارس رحمه الله تعالى .

بَيْتُ لَكَ الْوِدَادَ أَبَا سَلِيمٍ • عَلَى عَهْدِ يَدُومٍ لَهُ مَحَلًّا
فَدُمَ بَدْرَ السَّعَادَةِ فِي الْبَرَايَسَا • وَمَنْ يَشْنَاكَ يَلْقَ أَسَىً وَذُلًّا

[٦٣] وله أيضاً رحمه الله في الولي الصالح سيدي علي مبارك ، دفين القليعة :

أَيَا زَائِرًا فُكَّ الْمَطِيِّ بِالْمَبَارِكِ • وَسَلَّمْ عَلَى الْمَوْلَى عَلَى الْمَبَارِكِ
وَقَبْلُ تُرَابًا طَالَمَا فَاحَ نَشْرُهُ • بِأَخْمَصِهِ كَالْمِسْكِ يَا خَيْرَ نَاسِكِ
وَلُذَّ بِالْجَنَابِ وَاحْتَمِ بِجُوارِهِ • فَلَا تَخْشَ ضَيْمًا لَا وَلَاهَتِكَ هَاتِكِ
وَقُلْ يَا وَلِيَّ اللَّهِ غَوْنًا فَإِنِّي • بِمَا مَسَّنِي قَدْ صرْتُ بَيْنَ الْمَهَالِكِ
فَأَنْتَ مَلَاذُ الْخَائِفِينَ وَكَهْفُهُمْ • كَبَدْرِ الدُّجَا بَيْنَ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ
أَيَجْتَمِعُ الضَّرَّانُ فَقْرًا وَفُرْقَانًا • وَأَنِّي بِعَرَأَى مِنْكَ بَيْنَ الشَّابِكِ
وَأَوْلَادِي فِي عَشِّ الضَّنَى تَسْتَفْزُهُمْ • غَرَابِيبُ ضَنْكَ الْعَيْشِ بِالْخَيْرِ دَارِكِ
إِلَهِي أَنْلِنِي مِنْ رِضَى كُلِّ عَارِفٍ • وَكُلُّ تَقِيٍّ قَدْ جَذِبْتَ وَسَالِكِ
بِجَاهِ شَفِيعِ الْخَلْقِ وَالصَّحْبِ كُلِّهِمْ • وَأَتْبَاعِهِمْ كَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ

وله أيضاً رحمه الله في الولي البركة سيدي أحمد الكبير ، دفين فحص

البليدة :

أَوْرَدُ فَاحَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيِّ • وَسِرُّ لَاحَ بِالْقُطْبِ الْكَبِيرِ
بِيَلَدَتِهِ الْبَلِيدَةِ قَدْ تَسَامَى • عَلَى الْأَقْرَانِ كَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ
تَدْفَقُ سِرُّهُ كَالنَّيْلِ بِرُوي • بِقُرْقُفِهِ اللَّهْفِ مِنْ النَّمِيرِ
فَسَقِيًّا أَيُّهَا الْمَوْلَى بِكَأْسِ • وَدَرَهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ

وله أيضاً رحمه الله تعالى في الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف دفين مليانة :

مِلْيَانَةَ يَا طَالِبَ الْأَرْبَاحِ • مُلْتَتُ بِسِرِّ لَاحَ كَالْمِصْبَاحِ

وتَوَجَّتْ بِلَطَافَةِ قُدْسِيَّةِ * وَبِإِصْبَاحِ بَرِيضِهَا
 بِرِيَاضِهَا مِتْكَاسِلِ الأرواحِ * وَاسْتَنْطِقِ الأَطْيَارَ فِي الأَدْوَابِ
 وَرِدِ الزُّلَالَ مِنَ المَعِينِ تَعَلُّةً * وَتَغْنِيكَ عَنِ بِنْتِ الكُرُومِ صَاحِ
 فَإِذَا تَجَلَّى الهَمُّ عَنكَ فَابْتَهِجْ * وَاحْمَدُ إِهْلَكَ فَالِقَ الإِصْبَاحِ
 أَوْ لَا فَلَنْدُ بِأَحْمَدِ القَلْعِيِّ مَنْ * يُعْزِي لِيُوسُفَ فِي بَهَا وَصَلَاحِ
 أَسُّ التُّقَى مَنْ أَشْرَقَتْ أُنْوَارُهُ * فِي الغَرْبِ مِثْلَ الكَوْكَبِ الوَضَّاحِ
 لَا زَالَ يُعْطِي الوَافِدِينَ مَنَالَهُمْ * وَبِجُودِ مِثْلِ العَارِضِ السَّيَّاحِ
 كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَّهُ وَمُكْتَسِرٍ * أَضْحَى صَاحِبًا فِي هُنَا وَفَلَاحِ
 يَا سَيِّدًا إِنِّي بِبَابِكَ وَأَقْسَفُ * أَبْنِي رِضَاكَ فَرُدَّنِي بِنَجَّاحِ
 مَتَوَسَّلًا بِكَ لِلذِّي رَفَعَ السَّمَاءَ * وَأَفَاضَ سِرَّ الرُّوحِ فِي الأَشْبَاحِ
 وَالأَحْمَدِ العَدْنَانَ أَهْدِي تَحِيَّةً * تَغْشَاهُ بِالأَصَالِ وَالإِصْبَاحِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا انْتَعَشَتْ لَنَا * أرواحُنَا بِأَرِيحِهِ الفَيَّاحِ
 وَعَلَى القَرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ * أَهْدَى الأَنَامَ لِمُنْتَهَى الأَرْبَاحِ

[٦٤]

ومما قاله أيضاً في الشيخ سيدي الحاج علي بن الحفاف :

خَتَمُ الحَدِيثِ لَهُ الأَكْوَانُ تَنْفِيحُ * لا سِيَّما ما بِيبدأ الوَحْيِ مُفْتَتِحُ
 وَالخَيْرُ وَالنَّفْعُ وَالإِقْبَالُ فِيمَا رَوَى * عَنِ نَافِعِ مالِكُ وَالصِّدْرُ يَنْشَرِحُ
 وَالحُسْنُ كُلُّهُ فِيمَا قالَ حَدَّثَنَا * أَوْ قالَ أَنبانا لا فَرَقَ يَتَضَحُ
 فَشَنَّفِ الأُذُنَ مِنَ أَسْماعِ نازِلِهِ * وَرَدَ مَسْلِسَلُهُ تَعْلُو وَتَسْرِحُ (١)
 لا تَتْرِكِ النِّقْلَ عَنِ أَشْيَاخِهِ أَبْداً * وَلَوْ لِمُبْهَمِهِ فَالقَوْمُ قَدْ رِبِحُوا
 هُمُ الكَرَامُ فَمَنْ يُلِمِمُ بِسَاحَتِهِمْ * يَجِدُ مَدِيحاً بَعزاً فَضْلَهُ رَجَحُوا

(١) كما هو في الأصل .

قَدْ نَقَحُوهُ بِأَرْبَعٍ فَفَازُوا بِهَا ۞ فِسرُ بِنَا نَسْتَمِعُ أَسْرَارَ مَا نَقَحُوا
 بِطَيْبِهِ نَهْتَدِي بِهِ لِطَيْبِهِ ۞ وَنورُهُ نَقْتَدِي بِهِ وَنَشِيحُ
 فَمَنْ قَلَاهُ فَهَذَا الْوَأَقْدِي رُوِي ۞ لَابْنِ شَهَابٍ بِحَرِّ النَّارِ يُفْتَضَحُ
 فَكَيْفَ نَبِيٍّ بِقَوْلِ الْمُصْطَفَى بَدَلًا ۞ أَمْ كَيْفَ لَا نَفْرَحُوا^(١) بِهِ وَنَسْتَمِيحُوا^(٢)
 وَهَذِهِ رَوْضَةُ التَّحْدِيثِ قَدْ فَتَحَتْ ۞ عَنِ زَهْرِي الخَتْمَ فِيهِ الْفَتْحُ مُنْسَرِحُ
 اسْمَعُ سَمَاعَ قَبُولٍ عَنِ تَفْهِيمِهِ ۞ فِي فِتْيَةِ بَعْلِي الْحَفَافِ قَدْ مَنِحُوا
 شَهْمٌ لَهُ السَّنْدُ الْأَعْلَى تَحْمَلُهُ ۞ عَنِ سَادَةِ فِي بَحَارِ الْمَجْدِ قَدْ سَبَّحُوا

أحمدُ بنُ محيي الدين الاغريسي

السيد أحمد بن السيد محيي الدين بن السيد مصطفى الحسني إمام لا يُدرك
 شأوه ، ولا يُجارى في حلبة اللطائف خطوه ، طلع في جبهة عصره غُرَّة ،
 وأضحى غنياً عن الوصف بالشهرة .

ولد رحمه الله تعالى في شعبان سنة ١٢٤٩ في القيطنة من ضواحي وهران ،
 وتربى في حجر أخيه العلامة السيد محمد السعيد لوفاة والده قبل فطامه ،
 ولما بلغ سنَّ التمييز شرع في حفظ القرآن الكريم حتى حفظه عن ظهر قلب ،
 وهو دون البلوغ ، ثم اشتغل بطلب العلم ، فقرأ على أخيه المنوّه به طرفاً
 من مبادئ الفقه وغيره ، وقرأ على ابنه السيد مرتضى جانباً من النحو والوضع ،
 وحضر في علم الكلام على أخيه العارف الجليل الأمير الشهير السيد عبد القادر
 قدس سره ، وفي الفقه أيضاً على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي ، ولما قدم
 الأمير إلى فرنسا سار المترجم مع إخوته إلى عنابة من أعمال الجزائر ، وأقام
 هو وإخوته بها نحواً من خمس سنين ، ثم قَدِمُوا دمشق سنة ١٢٧٣ ، وأخذ

(١) (٢) كذلك في الأصل ، وغالب علماء القطر الجزائري في غفلة عن هذا الفعل مع تبرهم في النحو.

المرجّم في تكميل تحصيل العلوم والفنون ، نحضر في فن النحو والكلام [٦٥] والبيان والمنطق والوضع والأصول عند العلامة المحقق الشيخ محمد الطندتائي الأزهرى ، ثم الدمشقي ، ولازمه سنين ، وقرأ في النحو أيضاً على ابن عمته العلامة السيد مصطفى ابن التهامي إمام المالكية بالجامع الأموي ، وحضر في التجويد وغيره على العلامة الشيخ يوسف المغربي مدرس دار الحديث الأشرفية ، وحضر في التفسير على أخيه العلامة السيد محمد السعيد المتقدم ، وتلقى الحديث عن العلامة الشهير الشيخ قاسم الحلاق ، وسمع منه « صحيح البخاري » بطرقه بعد العصر في جامع السنانية في شهر رمضان ، وحضره في أوائل تفسير البيضاوي في حجرته بجامع حسان ، وسمع على أخيه الأمير « صحيح البخاري ومسلم » في مدرسة دار الحديث الأشرفية ، وحضره في مواقفه الشهيرة وفي « الفتوحات المكية » في داره لما قرئت بحضوره بعد تصحيحها على نسخة مؤلفها ، وولع المترجم بفن التصوف ، وانكب على النظر فيه ، وتلقن ذكر الطريقة القادرية من السيد محمد علي أفندي الكيلاني ، ومن أخيه الأمير أيضاً ، واشتهر فضله وصلاحه ونبله ، وأقرأ في داره في فنون متنوعة ، وكذا في جامع العناية في جواره من قسم باب السريجة ، درساً عاماً بين العشائين مدة .

وكان محافظاً على أوقاته ، قسمها على الذكر والتلاوة ومطالعة العلم والتأليف وزيارة الإخوان وصلة الأرحام والرياضة ، وكان له ميعاد بين العشائين ليلتي الاثنين والجمعة في داره ، يجتمع عنده فيهما بعض مريديه ، يذكرون الله تعالى قعوداً إلى العشاء ، وكان شديد المحافظة على الجماعة أول الوقت ، قلّ أن تفوته إلا أن يغلب عليها لأمر مهم ، وكان شديد المحافظة على قيام الليل سراً وحضراً ، يطيل القيام والركوع والسجود في ابتهال وتضرع زائد .

وكان مجللاً عند الخاصة والعامة ، محبباً للكافة ، مقصوداً لحل المشكلات ، سمحاً بجاهه ، فيه دعاية تشفُّ عن رقة حاشية ، وله ذوق عربي يقدر قدر

البليغ من الكلام ، ويقضي بما هو من رقة وانسجام ، مشربه الحديث الصحيح ، والعمل به والدعوة إلى التمسك به والحث عليه ، أوفياً ودوداً متواضعاً ، حسن المحاضرة غزير النادرة ، وكان لا يجيب دعوة من يعلم أن مكسبه حرام ، وإن اضطر إلى الحضور فلا يأكل بل يجلس على المائدة ، ويعتذر بأنه اضطر إلى طعام قبل حضوره ، وإن أكل في بعض الأحيان فيتنقل منه ثم يتصدق بقيمة ما أكل ، هكذا عاداته ، يتأثر بها بعض الصوفية عليهم الرحمة والرضوان .

وله كتابات حسنة في مسائل فقهية وغيرها ، كما أن له رسائل لطيفة يتخلل مباحثها شذرات من أصول الصوفية ، وجمع أخيراً تاريخاً في سيرة أخيه الأمير ، ولم يزل على طريقته المثلى إلى أن ألمَّ بمزاجه مرض أعيا نطس^(١) الأطباء ، وأسلم معه الروح الطاهرة صباح الأربعاء ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ ، [٦٦] وصلي عليه في الجامع الأموي في مشهد حافل ، ثم واروه جدث الرحمة في تربة الباب الصغير قريباً من المرقد المنسوب لبلال الحبشي الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه اه . ما وجد بصدر رسالته المسماة « نشر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة » التي طبعت بنفقة عجله السيد محمد بدر الدين الحسيني الجزائري حفظه الله في المطبعة الأهلية ببيروت سنة ١٣٢٤ ، وقد استعرتها من قريبه السيد أبي بكر بن أحمد المجاهد قاضي البليدة في التاريخ ، ووجدتها غريبة في بابها لم يسبقه إليها سابق من أهل قنبا ، فشكراً لمن نشرها وأفاد بها ، ورحم الله مؤلفها وطابعها أمين .

ومن عجيب الاتفاق أنها اتصلت بي قبل الفراغ من باب الألف والحاء بقليل فكانت العناية الإلهية ساقتها إلي لأنقل منها ترجمة السيد في هذا الكتاب الخاص بعلماء قطر الجزائر ، إشارة إلى جمع شمله بهم وعدم بقاء ذكره

(١) رجل نطس : عالم بالأمر حاذق في الطب .

غريباً عن ذكرهم . ذكر مُقْبِدُهَا أنها ملخّصة من كتاب « تعطير المشام
في مآثر دمشق الشام » في ذكر طبقات مشاهير القرن الرابع عشر .

أحمدُ بنُ مقداش

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن مقداش .
كان آية زمانه في علم القراءة برواية السبع ، متضلعاً من الحديث ،
أخذ عن الحفصي وتولّى الإمامة بمسجد سيدي مفرج ، مات رحمه الله سنة ١٢٤٧ .

أحمدُ بنُ موسى الإدريسي^(١)

سيدي أحمد بن موسى الإدريسي تلميذ سيدي أحمد بن الحاج من أكابر
العلماء والأولياء .

وكان صاحب أوراد ووظائف ، ودار سكناه في مدشر إدريس^(٢)
من جبل بني ورنيد ، وكان يدرس « الرسالة » والعقائد و« ابن الحاجب القرعي » ،
ويقرئ الطلبة القرآن والخراز وابن بري ، وتوفي بعد ٩٥٠ .

أحمدُ بنُ نصر الداودي التلمساني

قال ابن فرحون في « الديباج » : ومن أهل افريقية من الطبقة السابعة
أحمد بن نصر الداودي الأسدي أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب .

(١) وفي نسخة الاريسي .

(٢) في نسخة أريس .

كان فقيهاً فاضلاً متقناً مؤلفاً مجيداً ، له حظ من اللسان والحديث والنظر ، ألف كتابه « النامي في شرح الموطأ » و« الواعي في الفقه والنصيحة في شرح البخاري » و« الإيضاح في الرد على القدرية » وغير ذلك . وكان دَرَسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور ، وإنما وصل بإدراكه .

حمل عنه أبو عبد الملك البوني (العنابي) ، وأبو بكر ابن محمد بن أبي زيد ، توفي بتلمسان سنة ٤٠٢ ، وقبره عند باب العقبة .

[٦٧] العلامة أحمدُ النقاوسي البجائي

قال تلميذه أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي : شيخنا الإمام المحقق الجامع بين علم المنقول والمعقول ، ذو الأخلاق المرضية والأحوال الصالحة السنية .

أحمدُ بنُ يعقوبَ العبادي

أحمد بن محمد بن يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي ، يكنى أبا العباس ، توفي في تلمسان سنة ٨٦٨ .

أحمدُ بنُ أبي يحيى التلمساني

العالم العلامة قاضي الجماعة بفرناطة أبو جعفر بن الإمام العلامة المحقق المفسر أبي يحيى بن الإمام الأوحـد العلامة الشريف التلمساني .

أخذ عن الإمام الحفيد ابن مرزوق ، وله مراجعة وبحث في مسألة

المتيمم يدخل في الصلاة ، ثم يطلع عليه رجل بالماء ، كما نقل ذلك في « المعيار » .
وفي « وفيات الونشريسي » ما نصه : وفي سنة خمس وتسعين وثمان مئة
(٨٩٥) توفي بتلمسان الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف .

أحمدُ بنُ يوسفَ الملياني

قال في « سلوة الأنفاس » : هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد
العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقراءة السبعية المحقق الحجّة
أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسباً وداراً الملياني .

كان رحمه الله من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين ، أحد أوتاد
المغرب ، وأركان هذا الشأن ، جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة ، وانتهت
إليه رئاسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره ، واجتمع [٦٨]
عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين من تلامذته ، واشتهر
ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً ، وأوقع الله له القبول العظيم والعطف الجسيم
في قلوب الخلق ، وقصده الزوار من كل حدب ، وتتابعت كراماته عليهم ،
وظهرت أنواره لديهم ، وكان متواضعاً ورعاً زاهداً ، يُحِبُّ الخلق في الطاعة
ويحرِّضهم على الذكر ، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم ، حتى تاب على
يديه خلق كبير ، وهداهم الله تعالى بسببه .

وهو من تلاميذ الشيخ زروق ، ولما حج شيخ شيخه المذكور وهو الشيخ
الأوحد العلامة الصالح أبو عبد الله الزيتوني نزل بموضع قريب من قلعتة ،
فأتى إليه فقَبَّلَ الزيتوني رجله ، وقال له : قد أعطاك الله من قاف إلى قاف ،
فقال له الملياني : هذا قليل بل أعطاني أكثر ، وحكي أن بعض أصحابه قال

له : إن سيدي عبد الرحمن الثعالبي قال : من رأى من رأني لا تأكله النار إلى سبعة ، فقال الملياني : كذلك من رأى من رأني لا تأكله النار إلى عشرة ، وحلق له مرة حلاق رأسه ، فقال له : لولا خِفتُ عليك من الناس لقلت : جميع من يجلس في حجرك لا تعدو عليه النار ، وقال رضي الله عنه : دعوتُ الله في ثلاث فأعطانيها في ليلة واحدة ، طلبته أن يرزقني العلم بلا مشقة فأعطاني علم الظاهر والباطن ، وطلبته أن يبلغني مبلغ الرجال فبلغني فوقهم ، وطلبته أن يُريني المصطفى ﷺ في النوم ، فرأيتُه في اليقظة ، وفتح الله علي في علوم بركته لم يُطلع عليها غيري يعني من أهل عصره .

وعنه أيضاً قال علمني رسول الله ﷺ سبعين باباً من العلم ، لم يعلم ذلك لأحد غيري أي في عصره ، وقال أيضاً : جميع من أكل معي أو شرب أو جالسي أو نظر في لا أسلم فيه غداً يوم القيامة ، وسئل رضي الله عنه عن السبحة هل يجوز أخذها باليمين ؟ فقال : نعم يجوز ذلك ، وهي كالمهامز للفرس ، ومن كلامه رضي الله عنه : والله وثمَّ والله مَنْ عرفني حتى يندم ، ومن لم يعرفني حتى يندم ، وقال أيضاً : إنما ألمح بعض أصعابي لمحة فيبلغ بها مقام الأولياء . وكلامه رضي الله عنه وأخباره ومناقبه كثيرة جداً ، وقد استوفى بعضها الشيخ الفقيه العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب في تأليف له جمعه فيه بالخصوص سماه « بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار » وقد أكرمني الله تعالى بالوقوف عليه ، وهو في مجلد ضخمة غاية اه .

ومن أصحابه أبو حفص سيدي عمر الشريف الحسيني بالتصغير الشريف الجليل الولي الصالح الحفيل ، وسيدي أحمد بن يوسف توفي سنة ٩٢٧ فيكون سيدي عمر الشريف من أهل القرن العاشر ، وفي « نشر المثاني » سيدي عمر

من صالحى فاس ، وروضته بها فى ربوة عدوة فاس الأندلس ، متصلة بروضة سيدى غالب ، يفصل بينهما المحجة .

[٦٩] وفى كتاب « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » تأليف الشيخ أحمد ابن خالد الناصرى السلاوى ما نصه :

قال فى « الدوحة » : كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى نزيل مليانة ، تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات ، فبعد صيته وكثرت أتباعه ، فغلوا فى محبته وأفرطوا فيها ، حتى نسيه بعضهم إلى النبوة ، قال وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب أصحابه ، يقال له : ابن عبد الله ، فإنه ترندق وذهب مذهباً باطلاً على ما حكى عنه ، واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب ، وأهل الأهواء من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية ، قال : ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة ، وسمعت بعض الفضلاء يقول : إنه قد ظهر ذلك فى حياة الشيخ أبي العباس المذكور ، فلما بلغه ذلك قال : من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير ملة .

قال صاحب الدوحة : ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم ، وقتل آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ فى شيء ، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة فى أئمتهم ، وإنما أصحاب الشيخ كأبي محمد الخياط والشيخ الشطيبى وأبي الحسن علي بن عبد الله دفين تافلات وأنظارهم ، كلهم من أهل الفضل والدين والأئمة المقتدى بهم ، كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة اه .

وقال فى « المرآة » ما نصه : والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى

الملياني من كبار المشايخ ، أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية ، وكان كثير التلقين ، فقال له الشيخ أبو عبدالله الخروبي : أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامّة حتى النساء ، فقال له : قد دعونا الخلق إلى الله ، فأبوا ففنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر ، قال الشيخ الخروبي : فوجدته أوسع مني دائرة .

قال صاحب « المرآة » : وانتسبت إليه الطائفة المعروفة بالشرّاقة بتشديد الراء ، وهو بريء من بدعتهم ، فما كان إلا إمام سنة وهدى مقتدى به في العلم والدين ، قد نزهه الله وطهر جانبه ، وقد أظهروا شيئاً من ذلك في حياته ، فتراهم وقاتلهم ، وبلغ المجهود في تشريدهم .

قال : وحدثني شيخنا أبو عبدالله النيجي أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث الياصوتي لما ظهرت بدعة الشرّاقة وانتسابهم إليه ، وقع في نفسه من ذلك شيء ، فقيل له : إن الشيخ أبا محمد الخياط من أصحابه ، فقال : أنا تائب إلى الله ، كفى في طهارة جانبه أن يكون الخياط من أصحابه . [٧٠]

وكانت وفاة الشيخ الملياني سنة سبع وعشرين وسبع مئة (٧٢٧) ، لكن ما كان عنفوان تلك البدعة المدسوسة عليه إلا في دولة السلطان الغالب بالله كما مر ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

أحمدُ بنُ يونسَ القسطنطيني

أحمد بن يونس بن سعيد القسطنطيني ، عرف بأبيه .

تفقه بمحمد بن محمد بن عيسى الزيلدوي أو الزيندوي ، وأبي القاسم البرزلي ، وابن غلام الله القسطنطيني ، وقاسم الهزميري . أخذ عن الأول الحديث

والعربية والأصلين والبيان والمنطق والطب ، وأخذ شرح البردة وغيرها من مؤلفها أبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد لما قدم عليهم ، وأخذ عن البساطي شيئاً من العقليات .

وله من المؤلفات رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وغيرها ، وله أجوبة عن أسئلة وردت من صنعاء سماها « رد المغالطات الصناعية » وقصيدة في مدحه ﷺ مطلعها :

يا أعظمَ الخلقِ عندَ اللهِ منزلةً * ومنَ عليهِ الثنا في سائرِ الكتبِ
ولد سنة ثلاث عشرة وثمان مئة (٨١٣) ، وتوفي في شوال سنة ثمان وسبعين وثمان مئة (٨٧٨) ، صح من « الضوء اللامع » للسخاوي ، وهو أخذ عنه السيد الشريف نور الدين السمهودي الشافعي ، والإمام أحمد زروق ، والشمس التائي .

سيدي إسماعيلُ الفلاي

الولي المعلوم ذو البركة العظيمة والخيرات الجسيمة سيدي إسماعيل الفلاي ، وأولاده على الخير والبركة والعلم والفضل والرحمة ، نفعنا الله بجمعهم . ولا أعلم تاريخ وفاته ، وقد سألت البعض عنه فقال : من أهل القرن السابع ، غير أنني لم أثق به اه ورتيلاني .

بركاتُ الباروني الجزائري

يكنى أبا الخير شارح ابن الحاجب .

قال الونشريسي : سمعت شيخنا الحاج القاضي أبا عبدالله العقباني يحكي

أن الشيخ أبا الخير بركات الباروني الجزائري كان من العلماء المجلة الأعلام ،
وممن وضع على فروع ابن الجاجب شرحاً في سبعة أسفار ، وأنه كان يأخذ
الأجرة على الفتوى بتلمسان حين نقله سلطانها أبو حمو موسى بن يوسف من
بلده لتلمسان . ثم غفل عنه اه .

ونقل عنه المازوني في « المعيار » فتاوى ، وزعم بعض من اختصر « الديباج »
أنه هو محمد اليحصبي الباروني التلمساني المذكور في آخر المحمدين من
« الديباج » . وعندني أنهما رجلان شرحا ابن الجاجب ، فأبو عبد الله اليحصبي
التلمساني استقرَّ آخراً بالجزائر ، وصاحب الترجمة أبو الخير جزائري نقل
منها لتلمسان . هذا ما يظهر لي والله أعلم .

أبو محمد بركات القسنطيني

الفقيه النجيب المشارك أبو محمد بركات ، ذو معرفة ودراية ، كان
مشتغلاً بالقراءة والإقراء والعكوف على الدرس والتدريس ، حريصاً على
الانتفاع .

يقال : إنه لا يكتفي بما يقرأ في الدرس حتى يأتي إلى الجدة عبد الكريم
ابن يحيى فيقرأ عليه ، ويمسكه في أي موطن جاء ، وربما كان بدكارة
سقيفته ، رحمهم الله وغفر لهم ، وكان وإخوته الثلاثة ممن لهم محبة خالصة في
الجد عبد الكريم بن يحيى ، يقفون عند أقواله معتقدين في آرائه ، لا يخرجون
عن فتواه في نازلة ما .

توفي رحمه الله في زمن الطاعون عام ٩٨٢ هـ من « منشور الهداية » .

فائدة : الشيخ عبد الكريم بن يحيى هو المعروف في عائلة بني الفنون
بسيدي عبد الكريم الشارف ، دفن زاوية بني الفنون برأس الخرازين من

بلد قسنطينة ، يقال : إنه يُستحباب الدعاء عند ضريحه ، وتوفي عام ٩٨٨ كما هو مرقوم برخامة عند رأس ضريحه ، نفعنا الله ببركاته ، وأعاد علينا وعلى وعلى المسلمين من صالح دعواته آمين .

وأما الشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفقون فهو من علماء القرن الحادي ، ترجمته أشهر من شمس على علم ، ذكرها صاحب « نفع الطيب » وصاحب « نزهة الحادي والعباشي في الرحلة » وخلاتق لا يُحصون ، نفعنا الله وإياكم بعلومه آمين اه . من كتاب « الفائدة » اه . من خط العلامة حمدان الونيسي القسنطيني .

[٧٢] الفقيه البغداديُّ المستغامي

العلم المفرد والجهيد الأوحد ملجأ الرائح والغادي الفقيه العلامة السيد البغدادي .

قرأ على أشياخ تلمسان ، منهم الفقيه ابن حمزة ، ومنهم الحاج محمد ابن ابي سيف الفقيه ابن طالب ، والعلامة السيد ابن عبد الله بن العيدوني ، الفحلي . ثم الغساني القبيلة الحافلة المنسوبة للعرب العرباء ، المعروفة بغسان التي كان جيلة بن الأيهم رئيسها اللاحق بقيصر ، عند إرادة الاقتصاص منه باللطمة التي لطم الأعرابي بها حال طوافه ، والقضية معلومة حيث تنصَّر بعده غسان ، وجاء لقتال الصحابة وقاتلهم في ستين ألفاً من قومه ، وهم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وهو القائل في قضيته مهيناً الأنفة إلى قومه :

تنصَّرتِ الأشرافُ من أجل لطمةٍ * وما كانَ فيها لو صبرتَ لها ضررٌ
وصاحب الترجمة من آل سيدي عبد الله بن الخطاب المجاهدي القبيلة الحافلة بساحة مستغانم ، جدها زغبة صنو عامر وصبيح ، فعامر جد لبني عامر ، و صبيح جد لقبيلة صبيح التي هي بشاطيء واد شلف اه . رحلة العلامة

المشرفي .

سيدي بهلولُ بنُ عاصِم

الوليُّ الصالح والشريف الواضح سيدي بهلول بن عاصم ، نفعنا الله به
وبذريته .

اشتهر أنه تلميذ الشيخ سيدي يحيى ، والله أعلم ، وأنه تزوج بنت الشيخ
المذكور ، وكرامته كثيرة ، وحال أولاده مع الناس كذلك ، وقد بدأت
بزيارة الذاكر لله كثيراً الفاضل الصالح الفقيه المحلى بحلية القبول سيدي محمد
ابن سعيد الشريف البابوري ، وقد اجتمعت معه حياً ، وزرته مرتين ،
وقد سمعت أنه تلميذ الشيخ سيدي أحمد بن عبد العظيم ، وسيدي أحمد هذا
كان من المحققين في كل علم ، وشهد بولايته كل من رآه من أهل عصره ، وقد
سمعت ممن سمع سيدي إبراهيم الحاج البجائي أنه سمع الحيتان في البحر تقول
سبحان الله ، أحمد بن عبد العظيم وليُّ الله .

وسيدي إبراهيم هذا كان صاحب الوقت في زمانه ، وإني سمعت ممن
يوثق بخبره أن السيد أبا القاسم الحاج صاحب قوراية في بجاية رأى السيد
إبراهيم في السماء الرابعة بحذاء الشمس مع الملائكة ، وكفى به ، وإني سمعت
العدل الكامل الصالح سيدي علي بن عبد الرحمن البجائي يقول : إنه سمع الفقيه
الصالح سيدي يحيى الصنهاجي يقول : سمعت سيدي إبراهيم هذا يقول :
لا يقف على قبري شقي ، وتواتر عنه هذا الخبر ، وقبره معلوم ، وذلك داخل
السور عند باب ميسور قرب الشيخ أبي حامد الصغير أبي علي المسيلي ، وسيدي
علي بن عبد الرحمن هذا سمعت منه أنه رأى فاطمة الزهراء في النوم رضي الله
[٧٣] عنها فقالت له : أنت من جيرانا ، ثم إنه ذهب إلى الحج ومات في المدينة المشرفة ،
ودفن في البقيع بلغنا الله ومن تعلق بنا ببركة جميعهم .

وصلنا قرية أولاد الشيخ سيدي بهلول بن عاصم ، وفعلوا ما أمرناهم به من الصلح مع أعدائهم ، وردهم إلى محلهم لأنهم أحرقوهم بالنار ، وأخذوهم وقتلوا منهم ثلاثين ، وأولاد الشيخ كثيرون ، غير أن فيهم من يقرأ القرآن ، ومن يفهم العلم ، وكثير منهم على طبع العامة من تقليدهم سيف الفتنة وإحكام العوائد ، نعم غلب عليهم الكرم ، ثم بعد زيارتهم وقضاء الحوائج منهم ذهبنا لزواوة ، فزرنا أهلها الحيّ والميت والظاهر والخفي على الجملة ، إلى أن بلغنا بيت الفاضل الأخ سيدي أحمد الطيب . واجتمعنا فيها بفضلاء من الناس ا. هـ . ورتيلاني .

سيدي الجودي بنُ حاج

المحاسب نفسه على كل نفس الشيخُ على الحقيقة ، شيخ الطريقة ، ولايته ظاهرة ، وأحواله فاخرة ، وأسراره سنية ، وأنواره قدسية . كراماته وأحواله مشهورة ، وعلومه منشورة ، وقد بلغ رحمة الله عليه حالة التربية ، إذ سمعنا أن طالباً كان يتعلم عليه ، وذات يوم غلبته نفسه فأتعبها في غير شيء ، بأن شُغف بامرأة أجنبية وتعلق بها للمعصية ، بحيث أراد مباشرتها ، فوجد الشيخ بينه وبينها ، فاستحى وأصابته حشمة عظيمة ، ولم يرجع له بعد ذلك نحو خمسة عشر يوماً ، حتى بعث إليه رضي الله عنه .

وقد سمعت من المبرز العدل الصالح من أهل الفضل المرابط سعيد بن تقرين يحكي عن أبيه وجده عن الشيخ سيدي الجودي أنه سرقت لبعض أحبائه

سرقة ، ولم يعلم بها إلا الله تعالى ، فوَقعت الشكوى من أربابها له ، فبعث لكل من اتهم بها ، وكنت في جملتهم ، ولما وصلنا إليه أمرنا بردها ، ووعدنا بالخير العظيم والفضل الجسيم على ذلك ، فأبى الكل ، وكنت السارق فلما انفصل الجميع عنه مسكني وقال : أنت الذي سرقت ، رُدَّها بما تريده ،

فأنا متكفَّلٌ به ، فقلت له : نعم أنا على ما تريده فرددتها ، ثم قال لي : كلما وقعت بدشرة فاشتغيتُ بي فأنا أغيثُك أينما كنت ، وبعد ذلك ذهبت إلى

[٧٤] الجزائر أريد المعيشة وتحصيل أسبابها . فركبت سفينة حرب فأسر جميعنا ،

ووقعت عند من لا حلم له ولا شفقة أصلاً . وصار يعذبني تعذيباً شديداً ،

فلما كان ذات ليلة خرجت هارباً إلى شاطئ البحر ، مختفياً في الشجر . فلما

علموا بأمرى صار الصياح والنداء من ورائي إلى أن وصل الجميع إلى محلي .

غير أنني حجبتني الله عنهم بعد أن وصل كلهم إلي يبصص بي . ثم يرجع إليهم .

وأنا معتمد على الشيخ ومستغيث به فرجعوا خائبين . وبقيت أنا ثم ملتجئاً

إلى الله ثم إلى الشيخ . فمررت على سِنَّة (بكسر السين) . وإذا بالشيخ يقول :

مد يدك إلي فمددت يدي إليه . فسكها ورفعني ، فاستيقظت فوجدت نفسي

في الجزائر ، وغير ذلك من الكرامات . رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وأحواله

وأنواره بمنه وكرمه .

وأولاده إلى الآن على الخير والفضل والعلم . والحمد لله تعالى . وهو

من أهل القرن الحادي عشر . أعني أوله . ولم أدر هل أخذ من العاشر

أم لا . وقد حشَى على الصغرى حاشية لطيفة . وكلامه رأيت لا بأس به .

لأنه محقق في عصره اه ورتيلاني .

سيدي الجودي العلمي

ذو الفضل العظيم والخير العميم الولي المشهور ، ذو السرِّ المأثور سيدي الجودي العلمي من آخر القرن العاشر .

وأولاده أهل جد واجتهاد وصلاح ، سيما سيدي علي تلميذ الشيخ سلطان العارفين سيدي علي بن مبارك ذو السر القوي والنور السني ، فإني رأيت بعض مرثيه من أعجب العجائب ، تكاد أن تكون كمراثي الثعالبي أو ابن أبي جمره نفعنا الله بهما ، وقد رأيت سيدي الجودي يوماً فيما مضى ، وصورته لم تُزل غني إلى الآن ، وأمسكني من يدي وقال لي : جدك سيدي أحمد الشريف ، ما دام يبقى يزيد حرارة كالسمن العتيق ، أو كلاماً هذا معناه ، نفعنا الله به آمين . وأولاده ولا شك أنهم أحياء عند ربهم ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اه ورتيلاني . انظر هل هو السابق أو غيره .

سيدي الحاج الداودي التلمساني

شيخ شيوخنا الشيخ الفقيه العلامة المشارك النبيه الدراكة المتقن النحوي اللغوي البياني الأصولي المتقن الشريف الصالح البركة الناصح أبو محمد سيدي الحاج الداودي التلمساني ، قدم على فاس من حضرة تلمسان ، وأقرأ بها علوماً جمّة ، وانتفع على يده فيها خلّاتق .

أخذ عن عدة أشياخ ببلده تلمسان ، وكانت له قبل استيطانه بفاس رحلة إليها ، وقراءة بها على أشياخها ، ثم إلى مصر ، وأخذ بها عن جماعة ، وحج واعتمر وولي القضاء بتلمسان ، وكان متفناً في علوم شتى من فقه وحديث

ونحو ومنطق وبيان وعروض وغير ذلك .

[٧٥] وألف تأليف عديدة منها « شرح همزية البوصيري » و« شرح البردة » و« حاشية على السعد » و« شرح على البخاري » لم يكمل ، إلى غير ذلك .

وكان له إذن في الطريقة الناصرية وخدمة لها ، أخذها عن بعض مشايخها ، وكان من أهل الخير والدين والصلاح ، ومن ظهرت عليهم آثار الفلاح .

توفي رحمه الله ليلة السبت رابع عشر محرم الحرام فاتح عام واحد وسبعين ومئتين وألف (١٢٧١) ، ودفن بالزاوية الناصرية من هذه الحومة بالمراح المتصل بقبتها بركنه الذي عن يمين الداخل ، بالقبر الثاني من القبور التي به متصلة بحائط القبّة ، وذلك بأمر مولوي ، وحضر جنازته جم غفير من الناس ، وكسر العامة أعواد نعشه ، وقطعوا الحصيرة التي كان عليها تبركاً اه « سلوة الأنفاس » .

سيدي الحاج عاشور الفجيجي

الوليّ الصالح الذاكر الصائم القائم الصابر القانت الخاشع الشريف البركة الخاضع سيدي الحاج عاشور الفجيجي الحسني الإدريسي .

كان رحمه الله قاطناً بزأوية سيدي محمد بن إبراهيم الخياطي التي بدرب الحرة من طالعة فاس ، وكان يصوم الدهر ، ويقوم الليل كثير الذكر والقراءة لدلائل الخيرات والتلاوة في المصحف ، وله كرامات عجيبة وأحوال غريبة .

توفي في التاسع من شهر ربيع الأول عام أربعة وستين ومئتين وألف (١٢٦٤) ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالروضة المذكورة .

سيدي الحاج قاسم التواتي

[٧٦]

الولي الصالح والمسك الفائح أبو البركات سيدي الحاج قاسم التواتي ،
رأيت بعضهم أثنى عليه ، وذكر أنه ظهرت له على يديه كرامات ، ووفاته
- والله أعلم - أواسط القرن الثالث بعد الألف .

سيدي الحاج محمد التواتي

بكهف كان يأوي إليه حال حياته بالولجة ، ووفاته أواخر القرن الثالث
أو أوائل الرابع بعد الألف ، وفي لسان غير واحد من الناس عنه كرامات
عديدة .

سيدي الحاج محمد التواتي

الولي الصالح أبو عبد الله سيدي الحاج محمد التواتي به عرف . كان رحمه
الله قاطناً بالقصبة القديمة ، وكان ذا أحوال ربانية وأسرار عرفانية ، وكان
خاملاً متقشفاً جامعاً بين الجذب والسلوك ، والجذب أغلب عليه ، وكان
في بعض الأحيان يخرس لسانه ولا ينطق قط . وتارة يُشير بإشارات تدل على
أنه وليّ وقته . ويخبر بأخبار سماوية ، وأخرى أرضية ، وكان يطوف بحرم
مولانا إدريس رضي الله عنه سبع مرات صباحاً ومثلها مساءً ، وإذا فرغ
من الطواف جلس مع السائلين الذين يكونون هناك ، هذا دأبه وعادته إلى أن
توفي .

أخذ رحمه الله عن الشيخ مولاي الطيب الوزاني وكان يعتمدده . توفي عام ثلاثة وثمانين ومئة وألف (١١٨٣) ، ودفن (في فاس) بقرب سيدي أبي بكر ابن العربي . وكانت له جنازة عظيمة ، وكانت له زوجة طيبة العشرة دينة سالحة كريمة الأخلاق . كان هو يدعي أنها السبب في ربحه ، وكانت هي تدعي في حياته وبعد مماته أنه السبب في ربحها ، توفيت بعده بأيام ودفنت بإزائه . ترجمه في « سلوك الطريق الوارية » .

سيدي الحاج محمد الرامي التواتي

الشيخ الجليل المشهود له بالولاية والتفضيل البهلول المتبرك به أبو عبد الله سيدي الحاج محمد الرامي التواتي .

قال في « الابتهاج » لما تكلم على بعض من كان يدعن لبركة الشيخ أبي المحاسن . وينقاد لسطوته ، ويشهد له بالشيخوخة ما نصه : ومنهم الولي الجليل السيد الحاج محمد التواتي ، دفن خارج باب الجيسة من فاس ، أخذ عنه الولي الشهير سيدي جلول العيساوي ، دفن داره داخل باب الجيسة ، وإليه ينسب فيقال : سيدي جلول بن الحاج لأنه كثيراً ما كان يقول : بابا الحاج ، كان سيدي الحاج يعني صاحب الترجمة صاحب التصريف بفاس ، وكانت في يده فهر به سيدي إبراهيم الصياد ، فقال له : أنت من أصحاب

[٧٧] سيدي يوسف ، ثم قال : احمولوني وكان لا يقوم على رجليه ، فحمل في ظهر رجل وصار يطوف على الشهود ، ويقول : اكتبوا إنا ملكنا فاساً لسيدي يوسف ، وضمنا له كل شيء حتى ملح العجين ، فكتب رسماً تضمن ذلك ، وطاف به على الشهود كلهم ، وبعث به للشيخ أبي المحاسن ، وسمعت من شيخنا الوالد رضي الله عنه لما دخل الشيخ أبو المحاسن فاساً رحل هو إلى فاس

الجديد ، وأسلم له المدينة ، ولم يدخلها الا مرة احتاج لأمر ، فدخل في حمى
بعض أصحابه ، وهو سيدي علي البيطار لائثداً به متأدياً ، وكان قوي الحال
جليل القدر من أهل التولية والعزل ، نفعنا الله به .

قال الشيخ الوالد رضي الله عنه : ولعله كان في البلاد على حسب النيابة
عنه ، لأنه كان بهلولاً ، فلما جاء من هو أكمل منه وأكبر دفع له أمانته ،
وإنما كان نائباً في التصريف لا في التربية والظهور للخلق ، فخروجه من الإشارة
الحسية لأمر خفي ، وقد كان يُنوه به من قبل ويُشير إليه ، وأنه صاحب
الوقت ، وكان يبعث إليه صاحبه الحاج محمد البريهي ، فلما كان آخر مرة
قال له : حسبك ما أدفعك وترجع إلي ، فاختص بعد بخدمة الشيخ أبي المحاسن
نفعنا الله تعالى بهم أجمعين اه .

وقال في « الممتع » في ترجمة سيدي يوسف ما نصه : فانتقل إلى فاس
بعد أن بعث تلميذه سيدي إبراهيم الصياد إليها ، فالتقى مع البهلول الذي
كان بها ، وهو سيدي الحاج محمد الرامي دفين خارج باب الجيسة ، شيخ
سيدي جلول دفين داخله ، فذهب به إلى الشهود ، فأشهد على نفسه بتمكين
الشيخ أبي المحاسن من فاس بجميع منافعها ومرافقها ، ثم احتملوه ، وكان
مقعداً فأخرجوه من فاس ، فكان يأوي تارة بناحية سبو ، وتارة بفاس الجديد
إلى أن توفي ، وعرضت له يوماً حاجة أكيدة بقصبة فاس ، فما دخلها إلا
متمسكاً برجل من أصحاب الشيخ أبي المحاسن ولائثداً به ، ففضى حاجته
وخرج سريعاً اه .

وكان رضي الله عنه قبل خروجه من فاس قاطناً بباب النقرة من عدوة
فاس القرويين ، وكان صاحب الوقت بفاس قبل ورود الشيخ أبي المحاسن
إليها فلما ورد فاساً أسلمها إليه وخرج منها كما سبق ، ولا يعرف له شيخ

كما قاله في « المقصد » .

ووفاته أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي ، وضريحه قال في « المقصد » :
خارج باب الجيسة بإزائها عن يمين الخارج منها ، وقال في « الروض » :
هو دفين خارج باب الجيسة عن يمين الخارج منها إزاء السور بقرب ضريح
الشيخ الأديب مالك بن المرحل ، فإذا دخلت ضريح ابن المرحل المذكور
يبقى سيدي الحاج محمد الرامي المذكور في الفضاء عن يمينك ، وليس هو
في الروضة الكائنة أمامها هنالك ، بل هو في الموضع إزاء السور .

سيدي حبيبي التواتي

[٧٨]

السيد البركة المتوجه القلب إلى مولاه في السكون والحركة سيدي حبيبي
المدعوب التواتي .

كان رحمه الله يركب على حمار يدور به في الأزقة والأسواق . وكان
منسوباً إلى الخير متبركاً به من الخاصة والعامة . وينتسب في الطريق لسيدي
الحاج العربي الوزاني .

توفي رابع صفر الخير عام تسعة وستين ومئتين وألف (١٢٦٩) . ودفن
(في فاس) بروضة السادات أهل وزان ، نفعنا الله بهم . وهي الكائنة
أسفل الجرف بطرف حافة الكدارين التي بها ضريح سيدي عبد الرحمن الشريف .

سيدي الحبيب الحمياني

الولي الصالح المجذوب السائح أبو البركات سيدي الحبيب الحمياني .
توفي رحمه الله ثامن عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف
(١٢١٣) .

حسنُ بنُ إبراهيمِ التلمساني

الشيخ حسن بن إبراهيم بن عبد الله ابن أبي زكون التلمساني يُكنى أبا عليّ ، ويعرف بابن زكون ، أصله من تلمسان ، ونزل مدينة فاس ، وكتب بها عن أبي موسى عيسى بن يوسف بن الملجوم ، ودخل الأندلس فسمع بقرطبة من أبي محمد بن مكتاب ، وبمرسية من أبي علي بن سكرة ، وأبي محمد بن أبي جعفر . وله تأليف في الرأي .

مولده في شعبان سنة ٤٨٤ ، وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ٥٥٣ . قال ابن الأثير : استفدته من عبد الرحمن بن الملجوم .

حسن بريهمات الجزائري

الصدر العالم العامل إمام المحافل والجماعات ، حاز الأدب مذ طر شاربه وصفت في المكرمات موارد ومشاربه ، وفاز بالخلق والخلق الحسن . وألف السُّهاد لبناء المحاسن ، وجفاه جفن الكرى والوسن ، السيد حسن بن إبراهيم المدعو بريهمات ، كانت له اليد الطولى في الآداب العربية والعلوم الدينية .

كان رحمه الله لطيف الطبع ، سليم الذوق ، جميل الصورة ، فاخر الحياة ، عذب المنطق ، متواضعاً للمتصاغرين ، متطاولاً على المتكبرين ، محسناً للفقراء . محباً للعلماء ، قامعاً لذوي الزعم ، مذللاً لأهل الرياء ، له خبرة بماجريات الأحوال ، وعلم عجيب بالتاريخ وطبقات الأدباء ، وتفرض مصيب ينفذ به في البواطن ، فيستخرج مكنونها بالمعيتة مع دهاء ، يقود العدو إلى الحتف ، ويسوق الحسود إلى رغم الأنف ، وكان بين معاصريه في الجزائر أحبهم إلى

التزليل والزائر ، لما خص به من كرم السجايا وإسداء المزايا . وحلاوة اللسان وطلاوة المحيا ، والإقبال على الخلق بما يسرُّ القلوب ويزيل القطوب . فهو من أعيانها الرجل الوحيد الذي يمثل لك في الجزائر أديبها المترف . وعالمها الحكيم ، وموظفها الصالح ، وكريمها البشوش .

لما ساقنتني الأقدار إلى الجزائر كان المرحوم أول من ضمنني إليه وأطلعني على غثها وسمينها ، وقد جتتها طالب علم علمائها وزيارة أهلها ، فأغناني عن أحيائها بما عنده في المدرسة الدولية ، وكان رئيس إدارتها إلى أن توفي رحمه الله يوم ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ مأسوفاً عليه ، داخل الجزائر وخارجها . عن ولدين أكبرهما بديع زمانه السيد أحمد الترجمان العسكري سابقاً وأصغرهما السيد عمر المدرس الآن في المدرسة الثعالبية ، وكلاهما نسخة من أبيه ، وفائق العصر على بنيه ، وثالثهما حفيدهما الحكيم السيد الزروق بن محمد بن المترجم الشيخ حسن بريهمات .

وقد تخرج على الشيخ جم غفير من تلامذة مدرسته ، وكلهم تولى الوظائف الشرعية ، منهم من قضى نحبه ، ومنهم من لم يزل في قيد الحياة ، كالعلامة التحرير السيد يحيى بن محمد الجرومي قاضي تيزي وزو ، وهذا الرجل كان كأحد أبنائه ملازمأله ممثلاً لأمره ونهيه ، فنال من بركته علوماً جمّة ، مع تمكن في اللغة الفرنسية فهماً وكتابة وتكلماً بشهادة أهلها ، مثل أبناء شيخه السيد محمد والسيد أحمد والسيد عمر والسيد الزروق ، وكان الشيخ نفسه يحسن التكلم بها خطاباً وجواباً ، وله نظم رقيق المعنى نبيل المبني ، منه قوله في تقرّظ كتاب « أقوم المسالك في أحوال الممالك » للمرحوم خير الدين باشا سنة ١٢٨٤ :

لله دُرْكٌ خَيْرَ الدِّينِ مِنْ عَلَمٍ • أبدي منار الهدى للناس في القنن

[٨٠]

نهجت نهجاً قوياً قلّ سالكُـهُ * إلى السِّياسةِ كي ينجو من الفتنِ
 بيّنت طُرقَ السُّدادِ بلْ وأقومَها * وقُمتَ متصراً للدينِ والوطنِ
 نصيحةً منكَ حقُّ شُكرِ قائلِها * ومِنَّةٌ مُنحتُ منْ أعظمِ المننِ
 ما شرَّعتُ منْ ضلالٍ لا ولا ابتدعتُ * بلْ أبدعتُ سنناً ناهيكَ منْ سننِ
 نَعَمَ على الشَّرْعِ قد بيّنتَ ضابطَها * مراعيّاً فيه حالَ الناسِ والزَّمنِ
 لله شرحٌ له أبانَ غامِضَـهُ * وسُنَّةٌ بيّنتُ مقاصِدَ السُّننِ
 أهدى لأهلِ النُّهى محاسناً حدثتُ * وكفَّ أهلَ الهوى بالقيدِ والرَّسنِ
 ومذهباً واضحاً تُبدي دلائلَـهُ * عَن سَبْقِ تجربةٍ لقصدِ الحَسَنِ
 من المصالحِ والأخفِ من ضررِ * ومِن ضرورةٍ جنيتَ حينَ جني
 أَطلقتَ طائفةً كانتَ مقبِـدَةً * من حيثُ قيّدتَ أُخرى فهي في قرَنِ
 أفادَ تاريخُكَ الميمونَ مَطْلَعُـهُ * شهادةً بافتخارِ جَلِّ عَن وَهَنِ
 حَقُّ على أُمَّةِ الإسلامِ شُكْرُكُمْ * ورَعِي تَأليفِكمُ بالقلبِ والأذنِ
 عليكَ مِنِّي سلامٌ اللهُ ما طلَعَتِ * شَمْسُ وما غرَّدَ القمريُّ في فننِ

وله إجازة من جد أولاده العلامة السيد مصطفى بن الحاج أحمد الحرار
 في العلوم كلها وفي دوائر من سند المصافحة حررها له سنة ١٢٧٢ ونصها :

ولدنا السيد حسن بن السيد إبراهيم المدعو بريهمات أحسن الله عقباه
 وزين أخراه ، مع الحياة الطيبة والعافية الدائمة على ممر الأوقات بأبرك رغيد
 النعم المتهاطلة ، ولذائد الأوقات ، كان حفظ الله مهجته وخلد عافيته ، قد
 لزم دروسنا سنين ، فحمل عنا من العلوم العقلية والنقلية ما فاق فيه كثيراً
 من معاصريه ، وجالت فيه فرسان بنيه ، ولما كان الإسناد حبل الشريعة الممدود
 وبابه لطالبيه غير مسدود ، إذ هو من خصائص هذه الأمة ، ولم تزل الإجازة
 عادة الأجلة من الأئمة ، أوصلته بما أوصلني به مشايخي ، وأجزته بما أجازوني

به في سائر العلوم العقلية والنقلية ، وأذنته أن يروي عني جميع مروياتي ومسموعاتي على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها . إجازة مطلقة عامة ، بشرطها المعروف وسنها المؤلف ، حسبما تلقيت ذلك .

وأخذته عن مشايخي الأعلام مفاخر الزمان منهم الشيخ الهمام بدر الأعلام ومفتي الأنام ، علامة زمانه ، ووحيد عصره وأوانه ، الشيخ علي المنجلاتي رحمه الله تعالى ورضي عنه . ومنهم الشيخ الإمام الصالح البركة الغائص في بحر العلوم ، والمستخرج منه درره ، شيخ الإسلام سيدي محمد بن إبراهيم ابن موسى رحمه الله تعالى ورضي عنه . ومنهم الشيخ الهمام الإمام شيخ الإسلام ومفتي الأنام سيدي علي بن الأمين رحمه الله تعالى ورضي عنه . ومنهم الشيخ الإمام الولي الصالح القاريء الخاشع البركة سيدي أحمد بن الكاهية ، صاحب الأخلاق العلية والمقامات العرفانية . رحمه الله تعالى ورضي عنه . ومنهم الشيخ الإمام المتقن المحرر المدقق سيدي محمد واعزيز أدام الله حياته . وأبقاه للعباد رحمة . ومنهم الشيخ الإمام الأسد الضرغام قطب الأعلام ، خاتمة المحققين وبقية الأعلام المجتهدين ، ينبوع العلوم الشرعية والفنون العقلية . والمعارف اللدنية سيدنا ووسيلتنا إلى الله الباري مولاي الشيخ سيدي محمد صالح البخاري الرضوي بن خير الله نسبة إلى سيدي علي الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر ابن سيدنا زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم . ونفعنا بهم وأمدنا بمددهم . ومنهم الطود الشامخ والهيكل الراسخ العلامة سيدي الحاج حمودة الجزائري المنشأ والدار والوفاة . رحمه الله تعالى ورضي عنه . فهؤلاء مشايخي الأعلام الذين تحملت عنهم العلوم العقلية والنقلية . وأجازوني بالإجازة المطلقة والمقيدة . رحم الله تعالى جميعهم وضاعف أجورهم ونفعنا ببركاتهم .

وأول من أخذت عنه الأستاذ خاتمة العباد سيدي الشيخ أحمد بن إلكاهية به عرف ، الجزائري منشأ وموطناً ووفاة ، فقد أخذت عنه « كتاب البخاري » رحمه الله تعالى ورضي عنه ، عرضاً لجميعه وسماعاً لبعضه ، وإجازة فيه بالإجازة العامة والمطلقة ، كما أخذته بالإجازة العامة عن شيخنا أبي المحاسن والوفاء مولاي السيد مصطفى مفتي المالكية ومحضر القضايا الدينية ، أبقى الله وجوده وأعلا مناره وأفاض جوده ، الجزائري الأصل سماعاً لجميعه وعرضاً ، وأجازني في تأديته رواية ودراية ، كما أخذته بالإجازة العامة بل في جميع العلوم عن الشيخ علي المنجلاتي المذكور الجزائري المنشأ والدار والوفاة .

وقد أخذ مشايخنا هؤلاء الثلاثة « كتاب البخاري » عن الأستاذ البركة شيخنا وشيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن سيدي علي بن عبد القادر بن الأمين ، به شهر ، الجزائري منشأ وموطناً ووفاة ، برّد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه ، إلى أن قال : وقد جمعت في إجازتي هذه لولدي الفاضل المذكور بين الأمرين تميماً لشرف المطلين وظفراً بالسّرّين ، ضاعف الله لنا وله الأجور ، ووهبنا وإياه محاسن الأمور وعواقب الدهور ، وقد اشتمل السند المذكور من طريق السيد شهورش الصحابي الجليل رضي الله عنه ، على جملة لطائف منها : قرب اتصاله بالنبي ﷺ ، فباعته ثلاثيات البخاري يكون بيننا وبين النبي ﷺ سبعة ، وبيننا وبين البخاري ثلاثة ، ومنها أن رجاله كلهم رجال أئمة ما بين مكّي وبخاري وجني عن إنسي ، ومنها أن فيه رواية صحابي هو السيد شهورش قاضي الجن رضي الله عنه ، عن تابع تابع التابعين ، وقد قال وكيع : لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عن من هو فوقه ومثله ودونه .

وسمعت من أستاذنا الشيخ محمد صالح البخاري قدس الله سره أن المحدث لا يبلغ الدرجة الكاملة في الحديث حتى يأذن له السيد شهورش رضي الله عنه .

ويجزه فيه لفوزه بصحبة النبي ﷺ وسماعه منه . قال : وقد كتب لي بخطه الإجازة في الحديث رضي الله عنه ، وأما بقية مشايخي ممن ذكرت فقد اقتطفت من أزهار بساتين علومهم ، ورتعت في رياض حدائق فنونهم ، واتصلت بأسانيدهم ، وتشرفت بمسموعاتهم ، خصوصاً خاتمهم عماد قلبي ووسيلتي [٨٢] إلى ربي صاحب الفيض الإلهي والمدد الرباني الشيخ الإمام الجهيد الهمام حسنة الدهر المرقومة على صفحات الأيام ، الجامع بين المعقول والمنقول ، والمستخرج من روح مجراها ما تعجز عنه الفحول ، الذي أشرقت علينا بطالعه السعيد شمس العز التي لا يعترها أفول ، وسطعت علينا بريق سناه نيرات الفضل التي لا يعقها أفول ولا نحول ، حبر الوقت عظيم الصيت ، من جرى لنا بحر جوده الفياض فأرعد بالأنوار ، وأبرق وأشرق نور بدر سماه فما غرب بعدما أشرق حجة الإسلام الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة تعلقاً وتخلقاً مولاي الشيخ محمد صالح البخاري المذكور المتوفى بالمدينة المنورة ، على صاحبها أشرف صلاة وأعطر تحية ، سنة ١٢٦٥ في جمادى الثانية عن اثنتين وستين سنة أو ثلاث وستين . فإنه لما قَدِمَ الجزائر التي هي نعيم القاطن وسلوان الزائر سنة ١٢٦١ يوم التاسع والعشرين من رمضان أجازني إجازة مطلقة عامة ، بما صحَّت له فيه روايته وثبتت عنده درايته . كما أجازه بذلك شيخنا قطب وقته بمكة المشرفة . سيدي عمر بن عبد الكريم المكي أفاض الله تعالى من بركاته . وأمدنا بمدده . قال : فمن يوم قال لي تينك الكلمتين حين دخلت مكة المشرفة من بخاري أطلب الحديث والتفسير . واجتمعت به إلى اليوم اثنان وثلاثون سنة لم أطلع كتاباً ولا ورقة . وقد مزقت القرطاس وكسرت القلم ، وحفظت القرآن في عشرين يوماً وقد فوض إلي دروسه ، وأقامني مقامه . وانقطع لتربية المريدين وتوصيل السالكين . وقد أوصلني مولاي الأستاذ المذكور شيخنا العلامة سيدي محمد صالح البخاري بمروياته ومسموعاته التي أخذت عليها

فهرسة الشيخ الإمام عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم البصري المسماة بـ «الإمداد في علو الإسناد» وكذا فهرسة الشيخ العلامة الإمام بدر الأعلام الشيخ صالح ابن محمد الفلاني العمري المسماة بـ «قطف الثمر في رفع أسانيد مصنفات في الفنون والأثر»، وكذا فهرسة الشيخ الإمام سيدي إبراهيم الكوراني المسماة بـ «الإسم لإيقاظ الهمم» اهـ .

قال كاتبها : وكتبت عن إذن الأستاذ الأعظم والطود الأفخم مولانا وشيخنا أبي المحاسن والوفا السيد مصطفى بن الحاج أحمد الحرار الواضع اسمه بخط يده المباركة في آخر دائرة من دوائر سند المصافحة ، أعاد الله تعالى من بركاته ، ووهبنا والمسلمين صالح دعواته ، ونفعنا بآثاره وحسناته آمين اهـ .

حسنُ بنُ أبي القاسمِ بن باديسِ القسطنطيني

قال ابن الخطيب القسطنطيني : شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث أبو علي . روى عن ناصر الدين المشدالي ، وابن غريون البجائي ، وابن عبد الرافع القاضي وغيرهم ، وفي الأخير عن صلاح الدين العلائي ، وخليل المكِّي ، وابن هشام النحوي ، وأخبرني عن ابن هشام هذا أنه ختمت عليه «ألفية ابن مالك» ألف مرة على ما أخبره .

كانت ولادته سنة إحدى وسبع مئة (٧٠١) ، وله تقايد منها شرح مختصر ابن فارس في السيرة ، وأدرك في حدائته من المعارف العلمية ما لم يدركه غيره في سنه ، ولغلبة الانقباض عليه قلَّ النفع به لمن أدرك حياته ، توفي سنة سبع وثمانين وسبع مئة (٧٨٧) .

حسنُ بنُ أبي القاسم بن باديس أبو علي

ذكره العبدري في «رحلته» ، وقال : شيخ من أهل العلم يذكر فقهاً ومسائل ، ذو سمت وهيئة ووقار بقسنطينة .

سمعه يقول : وقع الكلام بين يدي الإمام أبي الحسن اللخمي في حكم السفر إلى الحج مع فساد الطريق ، هل الأولى تركه احتياطاً على النفس ، أو الاستسلام في التوجه إليه ، ومال اللخمي إلى ترجيح الترك ، قال : وفي المجلس رجل واعظ فقال : يا فقيه تسمع ما أقول ؟ فقال : نعم ، فأنشده :

إِنْ كَانَ سَفَكَ دَمِي أَقْصَى مَرَادِكُمْ « فَمَا غَلَّتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفَكِ دَمِي
فاستحسن كل من حضر مترعه ، وانفصل المجلس على أن الأولى تحتمل
الخطر في التوجه والإعراض عن العوائق اهـ .

وكانت ملاقة العبدري لصاحب التهمة في أواخر السابع اهـ . وبهذا يُعلم أنه غير سابقه .

الحسنُ بنُ حجاجِ الهواري البجائي

الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري . أصله من ناحية بجاية ، وأهل بيته يتمون في تجيب ، وسكن مراكش ، يُكنى أبا علي .

روي عن أبيه وغيره ، وتفقه بالقاضي أبي موسى بن عمران ، ودخل الأندلس مراراً ، وولي الخطبة باشيلية بعد أبي الحسن المالقي في سنة ٥٨٠ ، وكان بليغاً فصيحاً سماه أبو الربيع بن سالم في مشيخته .

توفي بمدينة فاس سنة ٥٩٨ هـ ، واحتمل بعد أشهر لمراكش ، فدفن بها .

[٨٤] حسنُ بنُ حسينِ البجائي

حسن بن حسين البجائي أبو علي الإمام المشهور .

قال ابن الخطيب القسنطيني : الفقيه العلم المحصل المحقق الشهير شارح المعالم الدينية اهـ .

أخذ عن الإمام ناصر الدين المَشْدَّالي ، ولما وردت فتوى ابن عبد الرافع في مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم ، أمره الإمام ناصر الدين بالجواب عنه ، فألف رسالة ردَّ فيها على ابن عبد الرافع . توفي سنة أربع وخمسين وسبع مئة (٧٥٤)

حسنُ بنُ خلفِ الله القسنطيني

حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني .

قال ابن الخطيب القسنطيني : هو ابن عم السابق ، وابن خالته شيخنا الفقيه القاضي العدل الخطيب الحاج المرحوم أبو علي ، روينا عنه الحديث وغيره . ولد في حدود سبعة وسبع مئة (٧٠٧) .

روى عن ابن غريون وغيره ، وأخذ عن ابن عبد السلام وغيره ، وتوفي وهو قاضي قسنطينة عام أربعة وثمانين وسبع مئة (٧٨٤) اهـ . من « رحلته » و« وفياته » .

وقال أبو زكرياء في « فهرسته » : شيخنا الفقيه الخطيب المدرس الراوية

الحاج الفاضل ابن الشيخ الأجلُّ خلف الله ، كان ذا سميت حسن وحال مستحسن ، له اعتناء بالعلوم ومشاركة ، لقي في رحلته للحجاز أعلاماً كثيرين ، وأخذ عنهم وأجازوه كأثير الدين أبي حيان ، والراوية الرحلة ابن جابر القيسي الواري آشي ، وابن غريون ، ومن المغاربة القاضي الخطيب ابن عبد الرزاق الجزولي ، والخطيب البليغ المحدث محمد بن أحمد بن مرزوق ، والخطيب القاضي الأعدل الراوية أبو البركات ابن الحاج البلقيني ، والفقير الحاج الصالح أبو عبد الله ابن سعيد الرعيني ، والفقير الحاج الخطيب أبو علي عمر بن محمد ، عرف بابن البحر . توفي ببلده قسنطينة اه ملخصاً .

الحسنُ بنُ ستِّ الآفاق البكري

الفقير الصالح ، كان من أهل الفضل والعبادة والاجتهاد ، كثير الصدقة ، وكان له مال أنفقه على أهل الفضل والدين في بناء القناطر وعمارة المساجد ، وكان صاحب ورع ، أصله من بسكرة ، واستوطن مدينة فاس ، حتى توفي بها رحمه الله تعالى . ذكره الكتاني في « المستفاد » ولم يذكر وفاته .

[٨٥] الحسنُ بنُ عثمان الوشرسي

أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الوشرسي ، قال ابن الخطيب السلماني في « نفاضة الجراب » : كان فقيهاً عدلاً من أهل الحساب والقيام على الفرائض ، والعناية بفروع الفقه ، من ذوي السداجة والفضل ، يقرض الشعر ، وله أرجوزة في الفرائض مبسطة العبارة مستوفية المعنى اه .

قال ابن الأحمر : شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي الفرضي الأديب

الحاج أبو علي ابن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي أجازني عامة ، أخذ عن الفقيه المفتي الخطيب المعمر القاضي المحدث الراوية ، خاتمة محدثي المغرب أبي البركات ابن الحاج البلفيقي ، ومولده في حدود ٧٢٤ ، وكان حياً قرب التسعين وسبع مئة (٧٩٠) .

ذكر الونشريسي في « المعيار » جملة من فتاويه وفتاوى عمه ، وقال في وثائقه : القاضي العلامة - يعني صاحب الترجمة - وقعت له قضية مع عدول مكناسة ، وذلك أن السلطان أبا عنان فارس أمر بالاقْتِصَارِ عَلَى عَشْرَةِ مِنَ الشُّهُودِ بِمَدِينَةِ مَكْنَسَاةَ ، وكتب فيهم اسم الشيخ أبي علي هذا ، فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحدائثة سن أبي علي ، فلما علم تشنيعهم صنع رجزاً ورفعهُ إِلَى مَقَامِ السُّلْطَانِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي عَنَانَ وَنَصَهُ :

نبدأ أولاً بحمدِ اللَّهِ	• ونستعينُهُ عَلَى الدَّوَاهِي
ثم نُوَالِي بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ	• عَلَى نَبِيِّ دُونَهُ كَلِّ إِمَامٍ
وَبَعْدَ ذَا نَسْأَلُ رَبَّ الْعَالَمِينَ	• أَنْ يَهَبَ النَّصْرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
خَلِيفَةَ اللَّهِ أبا عَنَانَ	• لَا زَالَ فِي خَيْرٍ وَفِي أَمْسَانِ
مَلِكُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِلَادِ	• مِنْ سَوْسِ الْأَقْصَى إِلَى بَغْدَادِ
يَا أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمُظَفَّرُ	• دُونَكَ أَمْرًا إِنَّهُ مَفْسَرُ
عَبْدُكُمْ نَجْلُ عَطِيَّةِ الْحَسَنِ	• قَدْ قِيلَ لَا يَشْهَدُ إِلَّا أَنْ يَسُنَّ
وَهُوَ فِي أَمْرِكُمْ الْمَعْهُودِ	• مِنْ جُمْلَةِ الْعَشْرَةِ الشُّهُودِ
نَصَّ عَلَيْهِ أَمْرَكُمْ تَعِينَا	• وَسِنَّهُ قَارِبَ أَرْبَعِينَ نَا
مَعَ الَّذِي يَتَسَبُّ الْعَبْدُ إِلَيْهِ	• مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَبَحْثِهِ عَلَيْهِ
عَلَى الْفَرَايِضِ لَهُ أَرْجُوزَةٌ	• أَبْرَزَتْ فِي نِظَامِهَا إِبْرِيْزَةَ
وَمَجْلِسٌ لَهُ عَلَى الرَّسَالِيسِ	• فَكَيْفَ يَرْجُو حَاسِدٌ زَوَالَهُ
حَاشَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَاكَ	• وَعَدْلُهُ قَدْ بَلَغَ السَّمَاكََا

وعلمُه قد طَبَّقَ الآفَاقَ . وحلمُه قد جاوزَ العِـرَاقَ
وجودُه مشتهرٌ في كلِّ حَـيٍّ . قَصَّرَ عن إدراكِه حاتمُ طيِّ

[٨٦]

يقال : إنه لما وصلت الأبيات للسلطان أمر بإقراره على ذلك ، ورجزه في
الفرائض حسن سلس ، وفي بعض التقايد عن ابن غازي ما نصه : حج صاحب
الترجمة مع خلق كثير ، ورجع لفاس وهم أن يتفرغ للعبادة حتى يموت
فقال له امرأته : إما أن ترجع للقضاء ، وإما أن تطلقني ، فإني استأنست أن
يخدمني النساء ، فرجع إلى القضاء فبقي خمسة عشر يوماً ثم مات اه فنعود
بالله من كيدهن وشرهن .

الحسنُ بنُ عطيةَ التجاني الونشريسي

قال ابن الأحمر في « فهرسته » : شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي أبو علي
ابن الشيخ الصالح عطية ، توفي عام ٧٨١ ، أجازني « الموطأ » رواية يحيى بن
يحيى .

أخذ عن الفقيه الإمام العالم المحصل المتكلم النظار المفتي المدرس البحر أبي
عبد الله محمد بن أبي الفضل ابن الصباغ الخزرجي المكناسي اه .

حسنُ بنُ عليِّ القسطنطيني

حسن بن علي بن عمر القسطنطيني المعروف بابن الفكون . يكنى أبا علي .
قال العبدري في « رحلته » : سألت عنه أبا علي حسن بن بلقاسم بن باديس
القسطنطيني ، فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير . ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة .

ودخل مدينة فاس في رحلته لمراكش .

وله قصيدة مشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش ، كتب بها إلى أبي البدر ابن فردقيس ، وهو بقسنطينة وهي :

ألا قل للسري بن السري * أبي البدر الجواد الأريحي
أما وبحقك المبدي جلالاً * وما قد حُزتَ من حسبِ علي
وما بيني وبينك من ذمامٍ * وما أُوتيتَ من خُلُقِ رضي
لقد رمتَ العيونُ سهامَ غنجٍ * وليسَ سوى قوادِي من رمي
فحسبُك نارُ قلبي من سعيرٍ * وحسبُك دمعُ عيني من لسي
وكنتُ أظنُّ أنَّ الناسَ طُوراً * سوى زيدٍ وعمرو غيرِ شي
فلَمَّا جئتُ ببليةٍ خيرِ دارٍ * أمالني بكلِّ رشي أبي
وكم أورتَ ظباءَ بني ورارٍ * أوارَ الشوقِ بالريقِ الشهي
وجئتُ بجايبةٍ فجلتُ بدوراً * يضيقُ بوصفها حرفُ الروي
وفي أرضِ الجزائرِ هامَ قلبي * بمعسولِ المرافِيفِ كوثري
وفي مليانةٍ قد ذُبتُ شوقاً * بلينِ العطفِ والقلبِ القسي
وفي تونسٍ نسيتُ جميلَ صبري * وهمتُ بكلِّ ذي وجهٍ رضي
وفي مازونةٍ ما زلتُ صبباً * بوسنانِ المحاجرِ لودعي
وفي وهرانٍ قد أمسيتُ رهنأً * لظامي الخصرِ ذي رذفِ روي
وأبدتُ لي تلمسانُ بدوراً * جلبنَ الشوقِ للقلبِ الخلي
ولمَّا جئتُ وجدةً همتُ وجداً * بمُنخِثِ المعاطفِ معنوي
وحلَّ رشا الرباطِ رشي رباطي * وتيمني بطرفِ بابلي
وأطلعَ قطرُ فاسٍ لي شمساً * مغارِبُهُنَّ في قلبِ الشجسي
وما مكناسةٌ إلا كِنَاسُ * لأحوى الطَّرْفِ ذي حسنِ سني

وَإِنْ تَسْأَلْ عَنْ أَرْضٍ سَلًا فَبِهَا ۝ فَبَاءَ صَائِدَاتٌ لِّلْكَمِي ۝
 وَفِي مَرَاكِشٍ يَا وَيْهَ أَعْمَىٰ ۝ أَتَىٰ الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرْيِ ۝
 بَدُورٌ بَلْ شَمْسٌ بَلْ صَبَاحٌ ۝ بَهِيٌّ فِي بَهِيٍّ فِي بَهِيٍّ ۝
 أَبْحَنَ مِصَارِعَ الْعُشَّاقِ لَمَّا ۝ سَعِينَ بِهِ فِكْمَ مَيْتٍ وَحَيٍّ ۝
 بِقَامَةٍ كُلِّ أَسْمَرَ سَمَهَرِيٍّ ۝ وَمَقْلَةٍ كُلِّ أَيْضَ مَشْرَفِيٍّ ۝
 إِذَا أَنْسَيْنِي الْوَلَدَانَ حُسْنًا ۝ أَنْسِيَهُمْ هَوَىٰ غَيْلَانَ مِيٍّ ۝
 فَهِيَ أَنَا قَدْ تَخَذْتُ الْغَرْبَ دَارًا ۝ وَأَدْعَى الْيَوْمَ بِالْمَرَاكِشِيٍّ ۝
 عَلَى أَنْ أَشْتِيَاقِي نَحْوَ زَيْدٍ ۝ كَشَوْكَ نَحْوَ عَمْرٍو بِالسَّوِيٍّ ۝
 تَقَسَّمَنِي الْهَوَىٰ غَرْبًا وَشَرْقًا ۝ فَيَا لِّلْمَشْرِقِيِّ الْمَغْرِبِيِّ ۝
 فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ عَانٍ ۝ وَجِسْمٌ حَلَّ بِالْغَرْبِ الْقِصِيٍّ ۝
 فَهَذَا بِالْغَدُوِّ يَهِيْمُ غَرْبًا ۝ وَذَاكَ يَهِيْمُ شَرْقًا بِالْعِشِيٍّ ۝
 وَلَوْلَا اللَّهُ مِتُّ هَوَىٰ وَوَجْدًا ۝ وَكَمْ لِي مِنْ لَطْفٍ خَفِيٍّ ۝

في « نفع الطيب » : ومنها كتاب وافاني من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها
 ومفتيها . سلالة العلماء الأكابر ، وارث المجد كابرًا عن كابر ، المؤلف
 العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله ونصه : بسم الله الرحمن
 الرحيم ، وصلى الله على من أنزل عليه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)
 وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم ، من مدنس الإزار المتسربل بسراويل
 الخطايا والأوزار ، الراجي للتنصل منه رحمة العزيز الغفار عبد الله سبحانه
 عبد الكريم بن محمد الفكون ، أصلح الله بالتقوى حاله ، وبلغه من متابعة
 السنة المصطفوية آماله ، إلى الشيخ الشهير ذي الفهم الثاقب والحفظ العزيز الأحب
 [٨٨] في الله المؤاخي من أجله سيدي الصدر النحرير أبو العباس أحمد المقرئ أحمد

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

الله عاقبتى وعاقبته ، وأسبل على الجميع عافيته . أما بعد :

فإني أحمد الله إليك ، وأصلي على نبيه سيدنا محمد ، ولا أريد إلا صالح الدعاء وطلبه منكم ، فإني أحوج الناس إليه وأشدّهم في ظني إلهاماً عليه لما تحققت من أحوال نفسي الأمارة ، واستبطنت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة ، كأنها عميت عن الأهوال التي أشابت رؤوس الأطفال ، وقطعت أعناق كُمل الرجال ، فتراها في لجج هواها خائضة ، وفي ميدان شهواتها راكضة . طغت في غيها وما لانت . وجمحت فما انقادت ولا استقامت ، فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبائح وتنشر فيه الفضائح . ومنادي العدل قائم بين العالمين . ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢) فالله أسأل حسن الألفاظ والستر عما ارتكبناه من التعدي والإسراف ، وأن يجعلنا من أهل الحمى العظيم ، ومن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم ، سندنا سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم ، ولنكف من القلم عنانه ، لما أرجو من أجله ثواب الله سبحانه ، وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاءكم ، فرأيت من عذوبة ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء فحولها ، وينيلها لدى الجنو لسماعه سؤالها ومأمولها . بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر ، وعن الطاعة والاجتهاد فاتر . وأصدق قول فيه عنده مخبره ، ومرآه أن « تَسْمَعَ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ » لكن يجازيكم المولى بحسن النية البلوغ في بحبوحة الجنان غاية الأمانة . وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من أن أوصف بمثلها ، على أي غير قائم بفرضها ونقلها . فالله تعالى يمدكم بمعونته ، ويجعلكم من أهل مناجاته في حضرته ، ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع منه بلذيد منادمته ، وقد ساعد البنان الجنان في إجابتم بوزنها وقافيتها . والعذر إلي أنني لست من أهل هذا الشأن ، والاعتراف

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .

بأنى جبان وأنى جبان ، والكمال لكم فى الرضى والقبول ، والكرىم يفضى
 عن عورات الأحمق والجهول ، وظننا لكم حققه الله أن نجعل على منظومتكم
 الكلامية يعنى « إضاءة الدجنة » تقييداً أرجو من الله توفيقاً وتسديداً بحسب
 قدرى لا على قدركم ، وعلى مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم ، وإن
 ساعد الأوان وقضى بتيسير رب الزمان فأتى به إن شاء الأجل معى ، لأننى
 بالأشواق إلى حضرة راكب البراق ، ومخترق السبع الطباق ، وكنت عازماً
 على أن أبعث لكم من الأبيات أكثر من الواقع إلا أن الرفقة أعجلت ، وصادفتنى
 أيام موت قعيدة البيت ، فلم يتيسر عاجلاً إلا ما ذكر عاجلاً ، وعلى الله قصد
 السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل :

يا نُخبةَ الدهرِ فى الدرايئة • علماً تعاضدُهُ الروايئة
 لا زلتَ بحراً بكلِّ فنٍّ • يروى به الطالبونَ غايئة
 لقد تصدَّرتَ فى المعالي • كما تعاليتَ فى العنايئة
 مِن فيك تُستنظَمُ المعانسي • بلغتَ فى حُسنها النُّهايئة
 رقاك مولاى كُلِّ مرَّقسى • تحوى به القُربَ والولايئة
 أعجوبةٌ ما لها نظيرٌ • فى الحفظِ والفهمِ والهدايئة
 يا أحمدَ المقريِّ دامَت • بشراكَ تصحبُها الرعايئة
 بجساره خيرِ العبادِ طُوراً • والآلِ والصَّحَبِ والنقايئة
 صلاةُ ربِّي عليه تُثرى • نُكفى بها الشرَّ والغوايئة

وأختم كتابى بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ، وكتب
 بغاية عجلة يوم السبت سابع أو ثامن رجب من عام ١٠٣٨ للهجرة ، على
 صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والمذكور عالم الغرب الأوسط غير مدافع ،
 وله سلف علماء ذوو شهرة ، ولهم فى الأدب الباع المديد ، غير أن المذكور مائل
 إلى التصوف ، ونعم ما فعل ، تقبل الله عملي وعمله وبلغ كلاً منا أمله ،

ولأشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسطنطيني ، أحد أشياخ العبدري صاحب الرحلة قصيدة (تقدم ذكرها) مشهورة عند العلماء بالمغرب ، وهي من دُرِّ النظام ، وحرُّ الكلام ، وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسطنطينة إلى مراکش اه .

وقال غيره : كان من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم ، عزيز النظم والنثر ، وكأنهما أنوار الزهر ، رحل إلى مراکش ، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن ، كانت جائزته عنده من أحسن الجوائز ، وله رحلة نظمها في سفرته من قسطنطينة إلى مراکش ، ووافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي رضي الله عنه ، فنظم في ذلك .

وله ديوان شعر ، وهو موجود في أيدي الناس ومحجوب عندهم ، وهو من الفضلاء النبهاء ، وكان مرفوع المقدار ، ومن له الحظوة والاعتبار ، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال ، ولم يحترف به لإقامة أود أو لإصلاح حال ، وأصله من قسطنطينة ، من ذوي بيوتاتها ، ومن كريم أروماتها ، وتواشيحه مستحسنة ، ومن مליح شعره :

دَعِ الْعِرَاقَ وَبَغْدَادًا وَشَامَهُمْ * فالناصرية ما من مثلها بلدُ
 برٍّ وبحرٍّ ومرجٍ للعيونِ بهِ * مسارحُ بانٍ عنها الهمُّ والنكدُ
 حيثُ الهوى والهواءُ الطلقُ مجتمعُ * حيثُ الغنى والنمنا والعيشةُ الرغدُ
 والنَّهرُ كالطَّلِّ والجَنَّاتُ مشرفةُ * والنَّهرُ والبحرُ كالمرآةِ وهو يدُ
 إنْ تنظُرِ البرَّ فالأزهارُ يانعَةٌ * أو تنظُرِ البحرَ فالأمواجُ نظردُ
 يا طالباً وصفها إنْ كُنْتَ ذا نصْفِ * قُلْ جَنَّةَ الْخُلْدِ فِيهَا الْأَهْلُ وَالْوَلْدُ

[٩٠] ومن نظمه رحمه الله تعالى هذه القصيدة القافية والقطعة الميمية التي تذكر بعدها ، نظمها في بعض سادات بني عبد المؤمن ، رحمهم الله تعالى ، قال

في سياق ذكره ، وقد ذكروا جمال قصر الربيع :

عشونا إلى نار الربيع وإنما * عشونا إلى نار الندى والمحلّق
 ركبنا بواديه جيد زوارق * نزلنا إليها عن ضواير سبق
 وخضنا حشاه والأصيل كأنه * بصفحته تبدي مروّق زنبق
 وسيدنا قد صار فيه لأنه * بزورقه إنسان مقلّة أزرق
 فقلت وطرفي يجتلي كل عبرة * وزورقه يهوي به ثم يرتقي
 أيا عجبا للبحر عبّ عبابه * تجمّع حتى صار في بطن زورق
 ولما نزلنا ساحة القصر راعنا * بكلّ جمال مبهج الطرف مرتق
 فما شئت من طل يروق وجدول * وروض متى تلمّم به الريح يعبق
 وشاد مغاني الحسن في نعماته * يجاوبه شدو الحمام المطوق
 فيا حسن ذاك القصر لزال أهلا * ويا طيب ربّا نشره المشتق
 رتعا به في روضة الأنس بعد ما * هصرنا به غصن المسرة مورق
 ويضحكنا طول الوصال وربّما * يمرّ على الأوهام ذكر التفرّق
 فتضحى مصوغات الدموع هدالة * ونحن على طرف من الدهر أبلق
 لمثلهما من منزّه ونزاهة * يجرّ ذبول الدلّ كلّ موفّق
 فله ساعات مضيّن سوايح * عليهنّ من زي الصبا أي رونق
 خلعنا عليها النسك إلا أقلّ * وإن عاودت نخلع عليها الذي بقي

ولما نضب ماء الأصيل ، ورق نسيمه العليل ، وهم العشي بانصرام ووداع
 النهار بسلام ، وأرخت الليل فوقنا سدوله ، وجرر على الأفق ذبوله ، وعُدنا
 إلى زورقنا ذلك ، والجو غير محتجب ، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام
 ولا منتقب ، وقد بسطت الكواكب في الماء ، فكأنما يجري بنا زورقنا في
 السماء ، أمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة ، فبادرتهم بهذه العجالة :

وليلى مسرّة ما زلتُ منها * أمرٌ على سراطٍ مُستقيمٍ
 لبتُ ثيابهُ عزّاً إلى أن * تحرّرتُ الرجوعَ من النجومِ
 فهنأ بالمجلجلِ قد تـسـرّات * على شطّيه جنّاتُ النعيمِ
 يسرُ النفسَ ذي نظيرٍ وشيـم * من المرأى الوسيمِ أو النسيمِ
 تشكّلتِ الكواكبُ فيه حتى * جرتُ في قعره شهبُ الرجومِ
 وأشكل منظرأً علواً وسفـلاً * من الفلكِ الأثيرِ إلى التُّخومِ
 وما تمتازُ أرضٌ من سماء * وحوّتُ الماءِ من حوتِ النجومِ

[٩١] حسينُ بنُ عبدِ اللهِ الجزائري

قال الفاضل النبيل المؤرخ أبو الفضل السيد محمد خليل أفندي المرادي مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى في كتابه «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» ما نصه :

حسين بن عبد الله المعروف بالجزائري الكاتب الشهير بحسن الخطوط وإتقانها ، كان في الأصل رقيقاً للدرويش علي الكاتب القسنطيني ، وأخذ الخط بأنواعه عن سيده المذكور ، وأتقن الكتابة ثم فرّ هارباً من قسنطينة من عند سيده إلى جزائر الغرب ، وكان اسمه دلاور فسّمى نفسه حسيناً ، ثم قدّم مصر القاهرة وأقام بها إلى أن مات ، واشتهرت خطوطه بين الناس ، وأخذ عنه الخط أناس كثيرون ، وفاق أقرانه وشاع صيته ، وكان شهماً جليلاً له تصرف تام ومهارة في صناعة التوريق ، وكانت وفاته سنة ١١٢٥ بمصر القاهرة رحمه الله تعالى .

الحسنُ أبركانُ التلمساني

الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي ، شهر بأبركان ، ومعناه بلسان البربرية الأسود ، الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير .

أخذ عن الإمام سيدي إبراهيم المصمودي ، والإمام الحفيد ابن مرزوق ، وأخذ عنه الحافظ التنسي ، وسيدي علي التالوتي ، وأخوه لأمه الإمام السنوسي . ولازمه كثيراً وانتفع به ، وكان يقول : رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان .

كان لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يضحك إلا تبسماً ، وكان رحيماً شفيقاً بالمؤمنين ، يفرح لفرحهم ويتأسف على ما يسوؤهم ، له سبحة لا تفارقه ، لا يفتر من ذكر الله تعالى طرفه عين ، وله قبول عظيم من العامة والخاصة ، وكان مثابراً على رسالة ابن أبي زيد ، وكان إذا دخل عليه السنوسي تبسم له وفاتحه بالكلام ، ويقول له : جعلك الله من الأئمة المتقين ، وله مكاشفات كثيرة وكرامات منها : ما ذكره السنوسي وأخوه علي قالا : كان يتوضأ في صحراء يوماً ، فإذا بأسد عظيم قد أقبل فبرك على بساطه ، فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد ، فقال له : تبارك الله أحسن الخالقين ثلاثاً ، فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحي ، ثم قام ومضى .

[٩٢] وذكر السنوسي أيضاً قال : حدثني السيد العلامة الولي سعيد بن عبد الحميد العصنوني بمنزله من وانشريس ، وكان من أصحابه القدماء ، قال : دخلت في يوم حار عليه فوجدته في تعب عظيم ، والعرق يسيل عليه ، فقال : أتدري

مِمَّ هذا التعب الذي أنا فيه ؟ قلت : لا يا سيدي ، فقال : إني كنت آنفاً جالساً بهذا الموضع ، فدخل علي الشيطان في صورته التي هو عليها ، فقمتم إليه فهرب أمامي فتبعته ، وأنا أؤذن فما زال يهرب بين يدي ويضطرط ، كما ذكر في الحديث إلى أن غاب عني ، والآآن رجعت من اتباعه .

قال السنوسي : ولما قدم من الشرق وجد قرية الجمعة ، قد خربت ، وكانت سُكنى أسلافه ، فنزل تلمسان ، ثم تردد خاطرُه في الرجوع للقرية لتجديد ما دثر منها ، قال : فخرجت إليها وجلست معتبراً في آثارها ، كيف أخذها الخراب واستولى على أهلها الجلاء ، وإذا بكلب أقبل وجلس بالقرب مني ، وحاله في انكسار خاطر وتغير الظاهر كحالي ، فقلت في نفسي : هل تعود هذه القرية عامرة أم لا ؟ فرفع الكلب رأسه وقال لي بلسان فصيح : إلى يوم يبعثون ، أي لا تعود عامرة أبداً ، فلما سمعت نطقه لي بذلك رجعت لتلمسان اه .

قال القلصادي في رحلته : وحضرت مجلس الولي الصالح الحسن أبركان ، وشهرته تُغني عن تعريفه اه . وذكر الشيخ ابن سعد جملة من كراماته في تأليفه « روضة النسرین » توفي آخر شوال سنة ٨٠٧ .

سَيِّدِي الْحَسِينُ الْوَرْتِيْلَانِي

هو الإمام العالم العامل العلامة الكامل الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد ، المتَّبِع لأثر الرسول ، الجامع بين المعقول والمنقول ، بحر الحقائق وكثر الدقائق ، مفيد الطالبين ومربي السالكين ، وقدوة العلماء العاملين ، وبقية السلف الصالحين ، محيي السنة ، والطاعن في نحور مخالفها بالأسنة ، نادرة الزمان وبركة المسلمين في كل عصر وأوان ، الجامع بين العِلْمين والكامل في النسبتين ، حامل لواء الشريعة والحقيقة ، ومعدن السلوك

والطريقة ، ذو التآليف المفيدة ، والتصانيف العديدة ، العالم الرباني والقطب الصمداني ، والشريف النوراني الشيخ سيدي الحسين الورتيلاني نسبة إلى بني ورتيلان ، قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية التابعة للجزائر .

كان رحمه الله مجاب الدعوة ، شديد السطوة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ليله قائم ، ونهاره صائم :

تَرَاهُ يُصَلِّي لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ۝ يَظُلُّ كَثِيرَ الذِّكْرِ لِلَّهِ سَائِحًا

[٩٣] متعلقاً برب الأرباب ، متوكلاً على الكريم الوهاب ، قد استوى عنده

الذهب والتراب ، فهو ممن ترك الجيفة للكلاب ، ورأى المصطفى في المنام فاحتضنه ، فأول ذلك بزهده في الدنيا والحطام ، ظهرت على يده الكرامات وخوارق العادات ، وشهد له أهل الصدق بالولاية الكبرى والمكاشفات ، ونصر الله به الدين ، وقطع به دابر الملحدين ، ولم يزل متضرعاً لله في السر والنجوى ، يصدع بالحق ويُقيم السنة ، صادق اللهجة ، واضح المحجة ، مستقيم الحججة ، قصد بيت الله مراراً ، وحججه طاهر الجنان رطب اللسان ، ناشط الأعضاء في العبادة والأركان :

حَلَفَ الزَّمَانُ لِيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ ۝ حَثَّتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكْفُرْ

كان يرى النبي ﷺ يقظة ومناماً رآه أكثر من ثلاث مئة مرة ، وفي بعضها قال له عند تعلقه به :

تَضَلَّعَ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ بَعْدَمَا ۝ تَضَلَّعَ مِنْ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ (١) وَتَدْرَعَا
أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ وَالِدِهِ وَأَشْيَاخِ وَطَنِهِ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ وَاجْتَمَعَ (٢)

(١) هكذا بالأصل .

بالخضر عليه السلام بمكة المشرفة ، واجتمع بالشيخ الهماق^(٣) صاحب الطريقة المشهورة بالمدينة المنورة ، ودخل مصر القاهرة فوجد لها طافحة بالعلم والعلماء نيرة زاهرة ، فكرع واستفاد ، وأخذ العلوم العالية عن أولئك الأسود والأسياذ .

فمن أخذ عنه الصعيدي ، والحفناوي ، والجوهري ، والنراوي ، والعمري ، والسيد البليدي ، والملوي ، والصباغ ، والعمروسي ، وخليل الأزهرى ، وعمر الطحلاوي ، والزياتي ، والإشبيلي ، وأبي القاسم ، والربيعي ، والهاشمي ، وابن شعيب ، والكردي ، وأجازوه في العلمين ، ثم رجع من المشرق بعد أن امتلأ وطابه ، وفاض عبابه ، فعلم وأفاد ، وألف وأجاد ، ودعا إلى الله العباد ، وقهر الجهلة أهل التعصب والعناد .

فمن تأليفه الرحلة السنية التي سارت بها الركبان ، وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها ، فهي حصن حصين ودرع متين ، ومنها شرحه على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الأخضري في التصوف ، وحاشية على السكتاني ، وكتاب « المرادين » وقصيدة فيها خمس مئة بيت في مدح النبي ﷺ كالمهمزية لكنها ميمية ، وشرح على خطبة الصغرى ، ورسالة جواباً على قول بعضهم : خضت بحراً وفتت الأنبياء بساحله ، ورسالة في حل اللغز الذي أرسله سيدي أحمد بن يوسف الملياني إلى علماء فاس ، فعجزوا عنه ، وأما وفاته رحمه الله فقد رأى النبي ﷺ فأخبره أنه يعيش إلى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر ، فتكون وفاته كما أخبر به الصادق المصدوق ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، ورؤيا النبي ﷺ حق ، ومن رآه فقد رأى الحق ، كما في « صحيح البخاري » اهـ . ما وجد في آخر المطبوع الحجري من « الرحلة الورتيلانية »

(١) مكذا في الأصل .

وقد ذكر فيها من العلماء والأولياء في الجهات الجزائرية التي ساح فيها خلقاً كثيراً
ذكرنا بعضهم في هذا الكتاب ، والبعض نذكره هنا مجملاً لقصر ما ترجمهم
به ، وذلك قوله :

إن صلحاء بلدنا لم يتعرض لهم أحد قبل ، لعدم الاعتناء وضيق المعيشة ،
أردت التنبيه عليهم على سبيل الإيجاز والاختصار ، نعم أذكر ما دون وادي
آقبو ، وأما جبل زواوة فهو منفرد ، وأولياؤه شهرتهم تُغني عن ذكرهم ،
وتعظيمهم يقوم مقام بيانهم وتبيانهم وجميل آثارهم . ولم يبق إلا ذكر هؤلاء
ليتم المقصود الروحاني والنور الرباني فأقول والله المعول :

الولي الصالح سيدي أحمد بن يحيى نفعنا الله به ، وجعلنا من أهل وُدّه ،
ونسبه يتصل مع نسب أهل عروس ببلاد زواوة ، وهم مشهورون ، وكذا
فرقة في جبل بقرب بجاية ، وإنه من قبيلة مزاية ، وكان في أواخر القرن التاسع ،
وهو تلميذ ابن غازي ، هكذا تصفحت أخباره رضي الله عنه ، وكراماته كثيرة
ينبغي للعاقل أن يزوره ، ويزور من دُفن معه ، فإن أكثرهم صلحاء .

الشيخ ابن أم رزق صالح من أولاده الشيخ سيدي الموفق ، زاهد ورع
خديم للطلبة ، وكان ينفق عليهم وهم يشتغلون بالعلم ، بأن يأتي لهم بمدرس ،
وكان محباً لوالدنا وجدنا ، نعم يحب الجانب العالي أعني الأشراف بحيث لا يملك
لنفسه ضراً ولا نفعاً معهم ، بل إنه مملوك لهم ، وقد غلب عليه القبض ، نفعنا
الله به ، وهو تلميذ سيدي علي بن الطالب ، وأوصافه الطيبة وأخلاقه السنية
لا تكاد تُحصى ، رضي الله عنه وأرضاه بمنه وكرمه .

ابن عمه العالم الفقيه سيدي علي بن أم رزق ، من أجل أهل وقتنا ،
وأهل عصرنا ، قد نفع وانتفع نفعنا الله به .

الشيخ سيدي امزال ، قبره في قرية الجمعة ، وعليه مسجد وأهل امتين

يعظمونه ، وهو في السبعة نفعنا الله به ، وأما تاريخه فلا علم لي به ، ونسبه والله أعلم من جملة من هو معه ، غير أنه أقبل على الله فأقبل عليه وهو أظنه قريب .

الفقيه المتكلم المتفرد في زماننا بالتسجيل وجودة الخط سيدي أحمد زروق بن الحاج ، نفعنا الله به ، وكان صديقاً ملاطفاً لأبي ، ثم تخلف عنه ، وبقيت صحبته لنا كذلك ، إلى أن مات في مصر بعد رجوعه من الحج ، وقد سافرنا معه إلى تونس نريد الحج ، فلم يتيسر لنا ولا له ذلك العام ، وبقي هو في زاوية الولي الصالح الزاهد على الإطلاق الكريم كل الكرم سيدي أحمد المجذوب الزموري ، وقد دفن في جبل افريقية ، عند ولده الفاضل ونخبته الكامل سيدي بن الحاج العلم الفاضل ، فحج نفعنا الله به .

[٩٠] سيدي علي بن جاب الله ، كان صديقاً لأبي ، وكان رضي الله عنه في غاية الترقّي في العبادة والذكر وتهذيب الأخلاق ، وغير ذلك من أوصافه .

سيدي يحيى الشريف بن رقية في قرية وزرانة ، هاجر من بني عمه ، وفرّ بنفسه من قرابته ، ليكمل أمره ويظهر سره ، وهو من شرفاء العش ، شريف النسب ، وهو من أهل العلم والصلاح ، مجاب الدعوة ، خديم العلم وأهله ، من القرن الحادي عشر ، نفع الله به وبأمثاله جميعنا .

الشيخ الولي الصالح نسباً كما هو عند ابن فرحون في « طبقات الشرفاء » سيدي أحمد بن عبد الرحمن ، نفعنا الله به ، وهو من تلامذة الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وأولاده الآن معلومون بالجور والتعدي والظلم في مجانة بتخفيف الجيم ، أمراء ومحاربون ، ولعل جدهم يشفع فيهم وفينا ، وهو من القرن التاسع ، وولده هو الذي بنى قلعة بني علباس ، وآخرهم في مملكة القلعة سيدي ناصر ، فاضل عالم عدل زاهد وقيل : إنه من زهده يلبس الغرارة

شعاراً على لحمه ، وقد رتب طلبة العلم نحو الثمانين ، فحسده بنو عباس
على ذلك ، فقتلوه مكرراً وخديعة ، ورثاه بعض علماء فاس بقصيدة رأيتها ،
وهي عندنا في الزاوية .

الولي الصالح سيدي محمد أبركان ، قبره عند ولده سيدي أحمد بن
عبد الرحمن في الوادي معلوم يزار ويعظم ، وأولاده أين ما كانوا في بني عباس
وغيرهم علماء فضلاء أجلاء ، يقندى بهم ، ولهم العلم الصحيح والصدق
الصريح ، منهم سيدي أحمد زروق المذكور وغيره .

سيدي أحمد بن يوسف الولي على الإطلاق ، يعتقده العام والخاص ،
نفعنا الله به ، وهو في هنديس قرب الوادي ، ولا أعلم غير هذا ، وأولاده
معظمون عند أهل وطنهم ، ولا يخلو بعضهم من العلم والبركة في جميعهم ،
رضي الله عنهم ، وقد سمعنا من بعضهم أن جدهم يقرب من الشيخ المعلوم
صاحب الفتح الواضح ، سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي كان حجة الله
في أرضه إلى الآن ، والله أعلم .

سيدي محمد بن محرز ، قبره بالقلعة ظاهر البركة ، قوي التعظيم يُزار ،
وأهل القلعة يظنون أنه سترهم ، والله أعلم .

الولي الصالح سيدي أبو التقى ، معلوم البركة قوي النفع ، معظم عند
أهل مجانة ، نفعنا الله به .

سيدي موسى الولي الكبير الأمر العظيم السر ، وأولاده فضلاء معظمون
عند أهل مجانة ، وأهل جبل عياض ، وأظن أنه من القرن التاسع ، كما وجدته
في بعض الرسوم ، نفعنا الله به .

[٩٦] سيدي يدير الحاج ، ولي صالح معظم ، معتقد في بني يعدل ، أولاده
معظمون صلحاء ذوو بركة وخير ونجاح ، نفعنا الله بهم .

سيدي سعيد الفرطاس ، ولي صالح معتقد فيه ، وأولاده ذوو بركة عظيمة ،
وهو من أخيار أهل زمانه ، وهو من القرن الحادي عشر .

الشيخ الولي الصالح المعلوم سيدي محمد بن مصباح ، ذو العلم المتين والسر
المين ، وكذا أولاده فضلاء نجباء ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، لا سيما من
أدر كنا سيدي أحمد زروق ، وسيدي أحمد بن المبارك ، فقد كان فيهم
العلامة الفاضل والمحقق الكامل محيي السنن سيدي الحسين ، نفعنا الله بهم .

الولي العالم سيدي محمد بن عبد القادر ، وأولاده فضلاء علماء أدباء ،
جمعوا فأوعوا ، لا سيما سيدي محمد بن عبد القادر ، وولده سيدي الموهوب ،
فإنهما من فضلاء الوقت ، يقصدان للفتوى رضي الله عنهم وأرضاهم ،
نفعنا الله بهم وبأمثالهم آمين .

الولي المشهور سيدي أحمد اغوبة ، ظاهر البركة ، قبره مزار معلوم
لدى الخاصة والعامة ، يقصده الزوار من بُعد ، وله طلبة إلى الآن ، وروضته
بينة ، نفعنا الله به ، وأفاض علينا من بحر أنواره آمين ، وأظنه من القرن
السابع كما سمعته من البعض ، والله أعلم ، وكراماته مشهورة ومناقبه ، وقد
سمعت من بعض من يوثق به أنه يتصرف كما كان حياً ، فإنه يغيث من استغاث
به .

الولي سيدي إبراهيم صالح مشهور عظيم الشأن ، معظم عند الناس ،
بركاته ظاهرة ، ونوره قوي وسره صمداني ، وأولاده علماء صلحاء ،
من لم يكن منهم عالماً كان صالحاً ، نفعنا الله به وبأمثاله ، والله أعلم أنه كان
في القرن الحادي عشر معاصراً لسيد موسى الوغليسي ، ولا أعلم أنه أخذ
من العاشر أم لا ، والله أعلم .

الولي الشيخ سيدي عيسى بن محمد ، قد انتفع به العامة والخاصة ، وقد

ردّ بركاته عيناً من ماء قطراناً لحيوانه ، وأنه يُشبع كل من أتى إليه ، وقد مسح على عين الأعور فرجعت أحسن مما قبل ، فقال من لا معرفة له : عين عيسى خير من عين الله . ولم يعلموا أن الكل من عند الله ، وغير ذلك من كراماته ، رضي الله عنه ، ونفعنا الله به ، وحفظنا من كل جبار عنيد ، بجاههم وجاهه ، وله قبران قبر في أطراف وأنوغة أعني المسيلة ، والآخر في فُرواو ، وبينهما نحو اليومين ، وقد زرتهما معاً والحمد لله .

أولاد سيدي أحمد التواتي فضلاء كرماء ، أهل خير ، من العهد الأول ، نفعنا الله بهم .

الشيخ الصالح المجذوب الذي فاض عليه بحر الأنوار ، وطلعت عليه شمس الأسرار ، سيدي محمد بن المبارك الشريف ، من أولاد سيدي بوزيد ، وأولاده من لم يكن ذا علم فهو ذو فضل وبركة ، ومآثره مشهورة من القرن الحادي عشر ، نفعنا الله بهم ، وأفاض علينا من بركاتهم .

[٩٧] سيدي سعيد المسيح والولي الصالح سيهي أبو ناب ، والشيخ الولي الشهير سيدي عطاء الله . هم أولو الفضل والصلاح والخير والفلاح ، وأولادهم أهل فضل نفعنا الله بهم وبأمثالهم آمين .

الشيخ الولي الصالح سيدي علي بن أبي زيد ، كان في الحادي عشر .

سيدي سعيد بن شتوان أدركناه أستاذاً في القرآن ، مشتغلاً بالله ومقبلاً عليه ، مع تعليم القرآن ، وقد ورد فيه الخير الكثير ، وأولاده على الخير والبركة ، رضي الله عنهم ، نفعنا الله بهم .

شرفاء تمنغاش ، كلهم أو جلُّهم على الخير والاستقامة بحسب الزمان وأهله ، وأصلهم والله أعلم من الرابطة ، وأهل الرابطة ذوو فضل وخير وهمة وصلاح وكرم وعلم وقرآن وحياء ، لا سيما الشيخ سيدي السعيد وغيره ،

منهم نفعنا الله بالجميع بمنه وكرمه .

سيدي سعيد الزيتوني ، ولي كبير ، وأمره عظيم وحاله جسيم ، وأولاده كذلك ذوو علم وحلم وفضل ، خصوصاً سيدي سليمان ، فقد كان حبيباً لنا ، وأولاده سيدي الحسين ، وولداه الفاضلان الكاملان سيدي محمد وأبوه ، وقد كان رأى البعض النبي ﷺ قال : فسألته عن الأشراف ، فأجابني بقوله : الزياتنة ، ولا أدري زاد وما نسب لهم أم لا ، ولا أدري تأريخ سيدي سعيد ، وأظنه من أواخر التاسع أو أول العاشر ، نفعنا الله به وبأمثاله آمين .

المحسن والحليم ذو المعروف والمآثر صهري وذخري سيدي الموهوب ابن محمد ، لا يأتي الزمان بمثله ، وفيه قلت بيتاً :

فإنه يُحاكي إبريزَ الذهبِ والفخرُ من فنونهِ قد ارتقبُ
فغزه مَبَجَلٌ ، من أهل قطره ممن علا ومن سفل ، قدس الله ضريحه ،
وعطرنا شذاه وريحه ، وأما قرابة سيدي أحمد بن عبد العظيم فهم على الخير ،
والحمد لله جعلنا الله في زمرةم آمين يا رب العالمين .

سيدي ناصر الخلوفي ، كان فقيهاً مفتياً حافظاً للانقال ، وهو من قرنا هذا ومن الحادي عشر ، معاصر لجدي ، والد والدي ، وأولاده على الفضل والعلم والحلم ، والحمد لله نفعنا الله بهم آمين .

[٩٨] حمزةُ بنُ محمدِ المغربي

حمزةُ بن محمد بن حسن البجائي المغربي ، نزيل الشيخونية ، ولد تقريباً عام تسعة وثمان مئة ببجاية (٨٠٩) ، وأخذ عن أبي القاسم المشدالي ، وولده أبي عبد الله .

وفد تونس في سنة ثمانية وخمسين وثمان مئة (٨٥٨) ، وتمهر في الأصلين
والعربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق ، وقَدِمَ القاهرة في شعبان سنة سبعة
وخمسين وثمان مئة (٨٥٧) ، وحج ورجع ونزل في الخانقات الشيخونية ،
ثم حج ثانياً رفيقاً للسيد عبد الله عفيف الدين ، وجاور أيضاً وأقرأ بها يسيراً .
واجتمع بالكافيحي ، واجتمع به الفضلاء ، فكان من أعيان من اجتمع به
المحيي بن تقي ، والخطيب الوزيري ، صح من السخاوي .
وقال الداوودي : توفي في المحرم سنة اثنتين وتسع مئة (٩٠٢) ، صح
من « ذيل القرافي » .

حمودة المقايسي الجزائري

الشيخ حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري المعروف
بالمقايسي ، السيد الفاضل واللوذعي الكامل ، فخر الأشراف المعظمين ، وسلالة
بني هاشم المعتبرين بهذه التحلية ، حلاه العلامة المحقق الشيخ محمد الدسوقي
المالكي ، صاحب الحاشية المنتفع بها على شرح القطب الدردير ، شارح
ومختصر الإمام خليل « وجدت ذلك في إجازة كتبها للمترجم في أخير ورقة
من شرح القطب الرازي على الشمسية ، ونصها : بسم الله الرحمن ، الحمد لله
المنان ، ذي الطول والإحسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد
عدنان ، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين بالبنان والبرهان ، أما بعد :

فقد لازمني في حال قراءتي لهذا الشرح السيد الفاضل واللوذعي الكامل ،
إلى أن قال : وبحث وأجاد ولازم واستفاد ، وطلب مني إجازة بذلك ظناً
منه أنني أهل لها ، فأجبتة راجياً من الله تعالى أن يحقق ذلك ، قائلاً : قد أجزته
به وبغيره مما تلقيته عن أشياخي من منقول ومعقول وفقه وأصول ، طالباً منه

الدعاء لي بحسن الحال ، أطال الله عمره وبلغه مأموله آمين . كتبه الفقير محمد
الدسوقي المالكي خادم الفقراء بالأزهر اه . وختمها بخاتمه ، وهو مسبع الزوايا ،
وبداخله كلمات لا يقرأ منها إلا لفظة الدسوقي ، وكتب حولها المترجم ما نصه
وقع ختمه (شرح القطب) يوم الاثنين المبارك ٢٦ شعبان سنة ١٢٠٤ .

ونبه على الفرق بين القطبين الرازي والشيرازي بما نصه : شارح الشمسية
هو القطب الرازي شارح المطالع ، وهو صاحب المحاكمات ، شرح الإشارات ،
حاكم فيه بين الإمام الرازي والمحقق الطوسي قال : وقطب الشمسية له يد [٩٩]
طولى في تحقيق المعقولات وخصوصاً منها المنطق ، ومن تردد في ذلك فليطالع
شرحه على المطالع ، وهو شيخ مبارك شاه ، شارح حكمة العين ، وشيخ السيد
الشريف ، وهو غير القطب الشيرازي ، شارح المفتاح الملقب بالعلامة ،
فهو أجل شأناً من القطب الرازي ، وإن كانا معاً من نواذر الزمان وفضلاء
الأوان ، فقد يشبه أحدهما بالآخر لأجل الاشتراك في اللقب ، ولو اشتهر
أحدهما بالعلامة أيضاً دون الآخر فاعلم ذلك اه .

وفي الورقة التي قبل الورقة المكتوبة فيها الإجازة نبذة بخط المترجم نصها :
الحمد لله مبلغ الآمال ، وقابل صالح الأعمال ، والصلاة والسلام على بدر
الكمال ، سيدنا محمد وصحبه وآله ، ختم هذا الشرح النفيس ، الخالي
عن الشكوك والتلبيس ، تدريساً وتحقيقاً ، وتدقيقاً وتنميقاً ، على حضرة
أستاذنا خاتمة المحققين ، صدر الأعلام المدرسين ، الحبر الهمام ، والبحر
الصمصام ، الفرد المجد ، مولانا الشيخ محمد المعروف بالدسوقي ، بلغه
الله أمانه ، وأنجح مساعيه بالنبي وآله والتابعين على منواله آمين . تحريراً
في يوم الاثنين المبارك ، السادس والعشرين من شهر شعبان ، سنة ١٢٠٤ من
الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ونسأل الله تعالى
العلم والعمل ، كاتبه الفقير حمودة القاطن بالأزهر اه .

وكتب رحمه الله تعالى على لفظة حمودة ما نصه : المقاييسي صناعة ،
الجزائري وطناً ، وكتب بعده ما نصه : ولما قرأت بالأزهر وحصلت القطب
بحاشية عبد الحكيم ، والمطول ، والعقائد النسفية ، وغيرها مع مراجعة حواشي
عبد الحكيم ، وأذن لي أشياخي كالشيخ الصبان ، والدسوقي ، والشيخ الأمير
وغيرهم ، مررت بتونس ، وأقرأت أهلها وطلبوا مني الجلوس هناك ، ويقومون
بما أحتاج فلم أرد إلا الذهاب (إلى الجزائر) ، فوجدت فيها علماء أصحاب
جاه ، وكان في ذلك الوقت لا يسود إلا من يتردد على أصحاب المملكة ،
فكنت أتعيش بالصنعة ، وأكلت كسبي والسلام اه .

وكتب المترجم في أخير ورقة من تقرير القوانين الكتاب المعروف في
آداب البحث والمناظرة ما نصه : الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام
على رسوله وعبده ، سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده ، قد طالع هذا الكتاب
المفتقر لرحمة الغفار حمودة بن محمد الجزائري المالكي الأزهري ، مع
أخيه الفاضل المحقق سيدي حسن بن محمد العطار الشافعي الأزهري ، عاملني
الله وإياه بإحسانه ، ووافق الفراغ من مطالعته ليلة السبت أواخر شهر ربيع
الثاني سنة ١٢١٢ ، وكانت تلك المطالعة بمنزل الشيخ حسن المتقدم ذكره ،
[١٠٠] الكائن بالمشهد الحسيني تجاه مسجد سيدنا الحسين ، حشرنا الله في زمرةهم ،
وغفر الله لنا ولوالدينا ولأقاربنا ومشايخنا آمين اه .

وكتب في أخير نسخة بخط يده من « حكم ابن عطاء الله الاسكندري »
ما نصه : وكان الفراغ منها يوم الأحد ١٣ من رمضان ، سنة ١٢٠٣ بالجامع
الأزهر من مصر المحروسة ، وابتدأت قراءتها على شيخ الجميع الشيخ الأمير
أول رمضان من السنة المذكورة ، وكان ختمها يوم الثلاثاء ٢٢ من رمضان
المذكور بالأزهر اه .

ووجد بخط يده إجازته في «الموطأ» و«الشفاء» و«سنن أبي داوود» و«جامع الترمذي» و«سنن ابن ماجه» و«سنن النسائي» ونصها: الحمد لله، طريق «الموطأ» من رواية يحيى بن يحيى، قال الشيخ صالح العمري الفلاني المجاور بالمدينة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: أروي «الموطأ» قراءة تحقيق لبعضه، وإجازة بالباقي على الشريف المعمر المحقق محمد بن محمد ابن سنة العمري الفلاني، وهو قرأه كذلك على الشريف المعمر أبي عبد الله محمد الودلاني، وهو قرأه كذلك على شيخ الإسلام وصدر الأئمة الأعلام أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري مفتيها، عرف بقدره، وهو قرأه كذلك على أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ مفتي تلمسان ستين سنة، وهو قرأه كذلك على أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي، وأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي الشهير بسقين السفياني، الأول عن والده الحافظ محمد بن عبد الله التنسي قراءة، والثاني قراءة على ولي الله تعالى أبي العباس أحمد بن أحمد البرنسي المعروف بزروق، قراءة على ولي الله تعالى سيدي أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي، وهو قرأه قراءة بحث وتحقيق على محمد بن مرزوق الحفيد، وهو قرأه كذلك على أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي، وهو آخر من حدث عنه قال: حدثني القاضي أبو العباس أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي، وهو آخر من حدث عنه، حدثنا محمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي، مؤلف كتاب «أقضية رسول الله ﷺ»، وهو آخر من حدث عنه، حدثنا القاضي أبو الوليد يونس بن مغيث القرطبي، وهو آخر من حدث عنه، حدثنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى القرطبي، وهو آخر من حدث عنه، حدثنا عم أبي مروان عبيد الله بن يحيى القرطبي، وهو آخر من حدث عنه، أخبرنا يحيى بن يحيى القرطبي، وهو آخر من

حدث عنه ، قال : أخبرنا إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه سماعاً لجميعه إلا الأبواب الثلاثة الأخيرة من كتاب الاعتكاف ، فإني شككت في سماعها فأروها عن زياد بن عبد الرحمن بسطون ، لأنني كنت سمعت جميعه منه قبل الرحلة بسماعه من الإمام مالك رضي الله عنه .

[١٠١] طريق « الشفاء » : قال الشيخ صالح الفلاني : أروي « الشفاء » عن الشيخ المعمر محمد بن سنة ، عن مولاي الشريف ، عن الشهاب أحمد المقرئ قال : أخبرني به عمي مفتي تلمسان ستين سنة ، سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني عن أبي عبد الله محمد بن محمد التَّنَسِي بفتح التاء والنون ، عن والده الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني ، عن الإمام الحبر أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد ، عن أبيه ، عن جده الخطيب ، وعن جده أيضاً ، بالإجازة عن القاضي أبي علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسيني التلمساني القزاز السبتي المولد والنشأة ، عن الخطيب أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب السبتي ، عن القاضي أبي عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن غازي الأنصاري السبتي ، عن الإمام عياض رحمه الله ، ومن لطائف هذا السند أن رجاله مالكيون مشهورون بالفقه .

« سنن أبي داود » : قال الشيخ صالح الفلاني : قرأته إلى باب السواك عن شيخنا المعمر محمد بن سنة ، وأجازني بياقيه ، قال : قرأته كله عن المعمر محمد ابن عبد الله الشريف ، بإجازته عن المعمر محمد بن اركماش الحنفي ، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن أبي علي محمد بن أحمد بن المطرز ، عن أبي النون يونس بن إبراهيم الدبوسي ، عن أبي الحسن علي بن الحسين بن المغيرة ، عن الفضل بن سهل الأسفرائني ، عن أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، عن أبي محمد القاسم أبي جعفر الهاشمي ، عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي

مؤلفه الحافظ أبي داوود ، فيقع لنا ثلاثية بخمسة عشر ، وليس له إلا ثلاثي واحد .

« جامع الترمذي » : قال الشيخ صالح الفلاني : أرويه عن الشيخ محمد بن سنة ، عن مولاي الشريف ، عن محمد بن اركماش ، عن الحافظ ابن حجر ، عن أبي إسحاق التنوخي ، قال: أخبرنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي ، أنا الفخر بن البخاري ، سمعاً بسماعه عن أبي حفص عمر بن طبرزد ، قال أنا أبو الفتح عبد الملك ابن أبي القاسم الكروخي ، أنا بجميعه القاضي أبو عامر محمد بن القاسم الأزدي ، أنا أبو محمد عبد الجبار الجراحي المروزي ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي ، أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

« سنن ابن ماجة » : قال الشيخ صالح الفلاني : أرويه عن المعمر محمد بن سنة ، عن مولاي الشريف ، عن محمد بن اركماش ، عن الحافظ ابن حجر ، عن أبي العباس أحمد بن عمر بن أبي علي البغدادي اللؤلؤي ، عن الحافظ أبي [١٠] الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي عن شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي ، عن الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، عن الفقيه أبي منصور محمد ابن الحسين بن أحمد القزويني ، عن أبي طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب ، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان ، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني رحمه الله .

« سنن النسائي » : قال الشيخ صالح الفلاني : أرويه قراءة لبعضه وإجازة بالباقي ، عن المعمر محمد بن سنة إجازة ، عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله الورلاني الإدريسي ، بإجازته من محمد بن اركماش الحنفي ، عن

الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي ،
بسماعه على أبي العباس أحمد بن أبي طالب ، بإجازته من أبي طالب عبد
اللطيف بن محمد القطيبي ، بسماعه لجميعه على أبي زرعة طاهر بن محمد بن
طاهر المقدسي ، عن أبي محمد عبد الرحمن بن حمد الروني نسماعاً ، قال :
أخبرني القاضي أبو نصر أحمد بن الحسن بن السكار ، قال : أخبرنا أبو بكر
أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني الدينوري الحافظ ، قال : أخبرنا به
الحافظ الحجة أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي .

وتوفي المترجم رحمه الله في الجزائر عام ١٢٤٥ .

الأستاذ حميدة العمالي

مفتي المالكية في الجزائر ، توفي سنة ١٢٩٣ .

كان من العلماء العاملين ، واستفاد منه خلق كثير وانتفع ونفع ، وأجاز
وأجيز ، وألف وصنف ، واتصلت بتأليف من تأليفه في القضاء ، وتبع
فصوله وأنواعه وحلية القاضي وشروط القضاء ، وكان يزاحمه تلميذه الأرضي
الأحظى أبو علي الحسن ابريهمات ، في سائر العلوم وقد أجيز فيها كما أجيز
فيها شيخه ، ومن أجازته الشيخ محمد صالح بن خير الله الرضوي البخاري
رضي الله عنه .

هذا ما أمكن أن أترجم به هذا العلامة المشهور في مدينة الجزائر ، المشهود
له على السنة علمائها في وقته بالتحقيق والبحث العميق ، وتوخى سبيل الجد
في كل ما يحاوله ، ولم يترك بعده من يجمع الخلق عليه في المسجد الأعظم
وغيره لتدريس « صحيح البخاري » بدراية أهل الدراية ، ذوي النقل المناسب
والعقل الكاسب .

إنسان العين وعين الإنسان ، فصيح القلم واللسان ، من دعت إماره المجلس بالجزائر والعدالة بتلمسان طيب الأبدان والأديان . وهرمس الحكماء للتداوي ، الفقيه العلامة الخبزاوي العامري الحجازي ، ثالث ثلاثة في العدالة والزهادة ، وعليهم يستند القاضي شعيب (أطال الله عمره) في الشهادة ، ولا رتبة أعلى من هذه الرتبة ، فإليها يرجع القاضي بفاس إذا عزل دون سخط ، إذ فيها رزق العتبة ، ولا تنصت لمن لامه على دنو المرتبة . ولازم عتبه اه مشرفي .

الفقيه الزفائي

شيخ الأكابر في الديانات ، الحافظ لودائع المعلومات والأمانات ، فريد العصر ووحيد المصر ، السيد المولى الحاج الفارس العجاج أبو عبد الله ابن الشيخ بن عبد الله الزفائي لقباً ، العبادي نسباً ، ومثل أبي عبد الله السيد محمد أبي سيف الدائري ، لزمه مدة من ست سنين ، وابن الطالب الكرغلي فقيه تلمسان الذي ارتحل إلى فاس ، وتبرك بأشياخها وجلس فيها قليلاً ، وعجل الأوبة لعريته بالعباد ، وقد بلغ مرتبة التأليف ، وحاز ملكة التراكيب والتصانيف . وله تأليف في أوصاف الخيل ، شرح به منظومة عالم الدنيا سيدي عبد القادر الفاسي ، ويقال : إنه شرح مقدمة ابن آجروم في النحو ، وشرح الأسئلة الفقهية في مجلدين ، وشرح القصيدة الزفائية التي مدح بها العلامة السيد حسن ابريهمات حين قدم لتونس في مجلد ، والزفائي هذا بلغ الغاية القصوى في درك العلوم ، وتمهر بمصر وتونس اه مشرفي .

سحنونُ بنُ عثمان المداوي

الشيخ سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي ، دفين بني وعزان ، قبيلة بنواحي ونشريس ، وقبره مشهور يقصده الزوار للاقتباس من نوره .

كان في حدود القرن الحادي عشر ، ولم أقف له على تاريخ صحيح ، وتفقه بمليانة والجزائر ، وله شرح على السراج منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى في علم الفلك ، ولما تكلم على ظل الزوال عند قول النظام :

هذا وإنَّ الجهلَ بالأوقاتِ . جهلٌ بوقتِ الصَّومِ والصَّلَاةِ

وضبطه بالأقدام على قاعدة الفلكيين ، أو أمثلة الإيهام ، قال : وتختلف [١٠٤]

باختلاف العرض ، قال : وجربته ببلدنا ونشريس والجزائر ، فوجدته صحيحاً أو قريباً اهـ . وذكرنا هذا استدلالاً على صحة نسبه إلى ونشريس اهـ . من خط الشيخ ابن دوبة رحمه الله .

سعادة الرحماني

من « ابن خلدون »

سيدي سعادة الرحماني القائم بالسنة في رياح ، كان هذا الرجل من مسلم إحدى شعوب رياح ، ثم من رحمان منهم ، وكانت أمه تدعى خصيبة ، وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع ، ونشأ هو منتحلاً للعبادة والزهد ، فارتحل إلى المغرب ، ولقي شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازة أبا إسحاق التسولي ، وأخذ عنه ولزمه وتفقه عليه ، ورجع إلى وطن رياح

بفقه صحيح وورع وقاد ، ونزل طولقة من بلاد الزاب .

وأخذ نفسه بتغيير المنكر على أقاربه وعشيرته ومن صحبه أو عرفه ، فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته من قومه وغيرهم ، ولزم صحبته منهم أعلام عاهدوه على التزام طريقه ، كان من أشهرهم أبو يحيى بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود ، من الذواودة ، وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع بن يحيى منهم ، وعيسى بن يحيى بن إدريس شيخ أولاد إدريس من أولاد عساكر ، منهم وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحيى بن دريد ابن مسعود منهم ، وهجرس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة ، ورجالات من العطاف من زغبة . في كثير من أتباعهم والمستضعفين من قومهم ، فكثرت بذلك تابعه واستظهر بهم على شأنه في إقامة السنة ، وتغيير المنكر على من جاء به ، واشتد على قاطع الطريق من شرار البوادي . ثم تخطى في ذلك إلى العمال ، فطلب عامل الزاب يومئذ منصور بن فضل بن مزني بإعفاء الرعايا من المكوس والظلمات ، فامتنع من ذلك وعزم على الإيقاع به ، فحال دونه عشائر أصحابه ، وبايعوه على إقامة السنة والموت دونه في ذلك ، وآذنتهم ابن مزني بالحرب ، ودعا لذلك أقباهم ونظراءهم من قومهم ، وكان لذلك العهد علي بن أحمد ابن عمر بن محمد قد قام برئاسة أولاد محمد ، وسليمان بن علي بن سباع قد قام برئاسة أولاد يحيى ، واقتسموا رئاسة الذواودة فظاهروا ابن مزني على مدافعة سعادة ، وأصحابه المرابطين من إخوانهم ، وكان أمر ابن مزني والزاب يومئذ راجعاً إلى صاحب بجاية من بني أبي حفص ، وهو الأمير خالد ابن الأمير أبي زكرياء ، والقائم بدولته أبو عبد الرحمن بن عمر ، وبعث إليه ابن مزني في المدد فأمدته بالعساكر والجيوش ، وأوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة ، فخرج منها وابتنى بجانبها زاوية ، ونزل بها هو وأصحابه [١٠] ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية ، وزحفوا إلى بسكرة ، وحاصروا

ابن مزني سنة (هنا بياض في النسخ) ، وقطعوا نخيلها ، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها ، ثم أعادوا حصارها سنة (هنا بياض آخر) ، وامتنعت ثم انحدر أصحاب سعادة من الذواودة إلى مشاتهم سنة خمس وسبع مئة (٧٠٥) ، وأقام المرابط سعادة بزأوته من زاب طولقة ، وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة ، وغزا مليلي وحاصرها أياماً ، وبعثوا بالصريخ إلى ابن مزني العسكر السلطاني مقيم عنده ببسكرة ، فأركبهم ليلاً مع أولاد حربي من الذواودة ، وصبحوا سعادة وأصحابه على مليلي ، فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة ، واستلحم الكثير من أصحابه ، وحمل رأسه إلى ابن مزني .

وبلغ الخبر إلى أصحابه بمشاتهم فظهروا إلى الزاب ، ورؤساؤهم أبو يحيى ابن أحمد بن عمر شيخ أولاد محرز ، وعطية بن سليمان شيخ أولاد سباع ، وعيسى بن يحيى شيخ أولاد عساكر ، ومحمد بن حسن شيخ أولاد عطية ، ورئاستهم جميعاً راجعة لأبي يحيى بن أحمد ، ونازلوا بسكرة وقطعوا نخيلها ، وتقبضوا على عمال ابن مزني ، فأحرقوهم بالنار ، واتسع الخرق بينهم وبينه ، ونادى ابن مزني في أوليائه من الذواودة فاجتمع إليه علي بن أحمد شيخ أولاد محمد ، وسليمان بن علي شيخ أولاد سباع ، وهما يومئذ نحلاء الذواودة ، وخرج ابنه علي بينهم بعساكر السلطان ، وتزاحفوا بالصحراء سنة ثلاث عشرة وسبع مئة (٧١٣) ، فغلبهم المرابطون وقتل علي ابن مزني ، وتقبض على علي بن أحمد فقادوه أسيراً ، ثم أطلقه عيسى بن يحيى رعيماً لأخيه أبي يحيى بن أحمد ، واستفحل أمر هؤلاء السنة ما شاء الله أن يستفحل ، ثم هلك أبو يحيى بن أحمد وعيسى بن يحيى ، وختت أحياء أولاد محرز من هؤلاء السنة ، وتفاوض السنة فيمن يقيمونه بينهم للفتيا في الأحكام والعبادات ، فوقع نظرهم على الفقيه أبي عبد الله محمد بن الأزرق من فقهاء

مقرة^(١) ، وكان أخذ العلم ببجاية على أبي محمد الزواوي من كبار مشيختها ، فقصدوه في ذلك وأجابهم ، وارتحل معهم ، ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة ، واجتمع إليه السنية ، واستفحل بهم جانب أولاد سباع ، وأجلبوا على الزاب ، وحاربوا علي بن أحمد طويلاً ، وكان السلطان أبو تاشفين حين كان يجلب على أوطان الموحدين ، ويخيب عليهم أولياءهم من العرب ، يبعث إلى هؤلاء السنية بالجزائر يستدعي بذلك ولايتهم ، ويبعث معهم للفقير ابن الأزرق بجائزة معلومة في كل سنة ، ولم يزل ابن الأزرق مقيماً لرسمهم إلى أن غلبهم على أمرهم ذلك علي بن أحمد شيخ أولاد محمد ، وهلك حسن ابن سلامة .

[١٠٦] وانقرض أمر السنية من رياح ، ونزل ابن الأزرق بسكرة ، وأستدعى يوسف بن مزني لقضائها تفريقاً لأمر السنية ، فأجابه ونزل عنده فولاه القضاء بسكرة إلى أن هلك سنة (بياض في النسخ) ، ثم قام علي بن أحمد بهذه السنة بعد حين ، ودعا إليها وجمع لابن مزني سنة أربعين وسبع مئة ، ونازل بسكرة وجاءه مدد أهل ريف ، وأقام محاصراً لها أشهراً ، وامتنعت عليه ، فأقلع عنها وراجع يوسف بن مزني ، وصار والي الولاية إلى أن هلك علي بن أحمد ، وبقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة ، يوجب لهم ابن مزني رعاية ، وتعرف لهم أعراب الفلاة من رياح حقاً في إجارة من يجيرونه من أهل السابلة اهـ .
ومن أولاد سيدي سعادة في الجزائر لهذا العهد رجلان متصفان بالفضل والصلاح والمحافظة على الخمس والطهارة القلبية والقالبية . أحدهما اسمه الحاج صالح بن سعادة ، وآخر صهره زوج ابنته ، واسمه أحمد بن سعادة . وللأول ولد يُدعى عبد الرحمن ، وللثاني آخر يسمى الصادق .

(١) هي المدينة المنسوب إليها المقرئ صاحب « نفع الطيب » وأهل صحرائها كلهم ينطقون بها ساكنة القاف .

سيدي سعيد الصفراوي

وهو شيخ الشيخ أبي المواهب المذكور في الطبقات ، ويقال له : الفراوسني الزواوي .

ذكره في كتابه « المرائي » التي رأى فيها النبي ﷺ قال : وسألته عن الشيخ الصفراوي ، هل هو ولي ؟ فقال له النبي ﷺ : نعم إنه ولي ، وأصل الشيخ سعيد الصفراوي من بلد بجاية ، فجاء ومعه تلميذه المذكور قاصداً للحج ، فمات الشيخ سعيد بالقرب من قسنطينة ، فحمل إليها ودفن فيها بكدية عاتي ، وخرج أمير البلد لجنازته ، وهو عامل للملك تونس الحفصيين ، وذلك في القرن التاسع اه ورتيلاني .

سيدي سعيد العلمي

ع

ذكره سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، والشيخ سيدي عبد الرحمن الوغليسي صاحب التأليف المعلوم في الفقه ، الذي شرحه سيدي عبد الكريم الزواوي شرحاً كبيراً ، فيه من العلوم ما يُغني الناظر عن غيره ، وطريقته رضي الله عنه طريقة ابن أبي جمرة ، وصاحب المدخل ، وشرحه سيدي عبد الرحمن الصباغ أيضاً ، وسيدي عبد الكريم هذا كان ينقل منه الشيخ عبد الباقي وغيره ، وقد زرت قبره في بلاده أعني بني يتورغ من زواوة ، لأنه قال :

رجع سيدي السعيد العلمي من بعض نواحي بجاية إليها ، فلما قرب وجد الباب مغلقاً ، فرجع إلى قبر سيدي عبد الرحمن الوغليسي فبات عنده ،

[١٠٧] وإذا الشيخ سيدي عبد الرحمن قام من قبره ، وأصحابه من بجاية مجتمعون

عليه يقرئهم ويعلمهم ، إذ مات رحمه الله وترك ختمة لم تكمل فكمّلها لهم في قبره بعد موته ، وهي كرامة عظيمة للشيخ سيدي سعيد ، وللشيخ سيدي عبد الرحمن . ولتلامذته ، نفعنا الله بجمعهم ، وجعلنا في زميرهم وورزقنا العافية ، وجمع شملنا بأهلنا ونصرنا على إقامة السنة وإظهارها بمنه وكرمه ، وقال سيدي عبد الرحمن الثعالبي : دخلت بجاية في أواخر القرن الثامن ، فوجدت أصحاب الوغليسي متوافرين اه ورتيلاني .

سعيدُ بنُ مُحَمَّدِ التلمساني

سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني إمامها وعلّامتها ، ذكره ابن فرحون في الأصل ، وقال : إنه فقيه في المذهب ، متفنن في علوم ، سمع من ابني الإمام وتفقه بهما ، وأخذ الأصول عن الإيلي وغيره ، وصدارته في العلوم مشهورة ، ولي قضاء الجماعة ببجاية في زمن أبي عنان ، والعلماء يومئذ متوافرون ، وولي أيضاً قضاء تلمسان ، وله في ولاية القضاء ما ينيف على أربعين سنة . وألف شرح الحوفي لا نظير له ، وشرح جمل الخونجي ، وتلخيص ابن البنا ، وقصيدة ابن ياسمين في الجبر والمقابلة ، والعقيدة البرهانية ، وتفسير سورة الفتح أتى فيه بفوائد جليّة ، وهو باق بالحياة اه .

وقال غيره : العقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس ، أصله منها ، تيجي النسب ، إمام فاضل فقيه ، متفنن في علوم شتى ، قرأ الفرائض على الحافظ السطي ، ولي قضاء بجاية وتلمسان وسلا ومراكش ، وكان يقال له رئيس العقلاء .

وقال ابن سعد : كان فقيهاً علامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان اه . ألف شرح الحوفية ، ولم يؤلف عليها مثله ، وتفسير سورتي الأنعام والفتح ، وشرح

البردة ، وشرحاً جليلاً على ابن الحاجب الأصلي . أخذ عنه الأئمة كالإمام العارف بالله إبراهيم المصمودي ، والإمام العارف أبي يحيى الشريف ، والإمام الحجة ابن مرزوق الحفيد ، وولده الإمام العلامة قاسم العقباني ، والإمام أبي الفضل ابن الإمام ، والإمام الفاضل أبي العباس ابن زاغو وغيرهم ، وبالإجازة الإمام المحقق النظار محمد بن عقاب الجذامي .

قال الونشريسي في « وفياته » : مولده بتلمسان عام عشرين وسبع مئة (٧٢٠) ، وتوفي عام أحد عشر وثمان مئة (٨١١) هـ .

[١٠٨] وترجمه في « بغية الرواد » بقوله : الفقيه القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني ، أول نجباء بيته ، ذو نبل ونباهة ودراية ، وتفنن في العلوم ، ومهارة ، حذق في الحساب والهندسة ، ولي قضاء الجماعة بتلمسان وبجاية ومراكش وسلا ووهران وهنين ، فحُمدت في جميعها سيرته عدلاً وجزالة ، وهو الآن خطيب الجامع الأعظم بتلمسان .

سيدي سعيد المقرئ

الفقيه الإمام العلامة أبو عثمان سيدي سعيد بن أحمد المقرئ نسبة لمقرئة قرية من قرى بلاد الزاب .

كان رحمه الله إماماً في العلوم ، أقام مفتياً بتلمسان ستين سنة ، أخذ عن شيوخ فاس كابن الونشريسي والزقاق وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة كأحمد ابن القاضي ، وسعيد قدورة ، وابن أخيه أبو العباس المقرئ مؤلف « نفع الطيب » . وكان يحدث عن عمه صاحب الترجمة بكرامات منها : أنه لما أراد أن يخرج من تلمسان قال له عمه : إنك ستنال الفتوى والخطابة بجامع القرويين

خمسة أعوام وخمسة أشهر ، فكان الأمر كذلك ، ولد قبل الثلاثين وتسع
مئة . وتوفي سنة عشر وألف (١٠١٠) .

قال في « الجذوة » : القرشي أبو عثمان الفقيه المفتي بتلمسان ، نسبة إلى
مقرّة بفتح القاف المشددة والميم المفتوحة مدينة من الزاب وافريقية ، كذا
ضبطه نسيبهم الونشريسي ، وقيل بسكون القاف ، أخذ بمدينة فاس عن أبي
مالك الونشريسي ، وأبي الحسن علي بن هارون ، وأبي محمد بن عبد الوهاب
ابن محمد الزقاق التجيبي وغيرهم ، فقيه معقولي انتهت إليه رئاسة بلده تلمسان ،
ولد بعد الثلاثين وتسع مئة (٩٣٠) .

وقال سيدي أحمد المقرّي في « نفع طيبه » : إن ضبط المقرّي بفتح الميم
وتشديد القاف عول عليه أكثر المتأخرين ، وهو مع سكون القاف لغتان في
البلدة التي نسب إليها ، وهي مقرّة من قرى زاب افريقية ، وانتقل منها جده
إلى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه ، ثم قال :
رجع إلى تكملة مولاي الجد في حق أوليته ، قال رحمه الله تعالى بعد الكلام
السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته : ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر
من طبقاتهم بالتجارة ، فهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار ، وتأمين التجار ،
واتخذوا طلباً للرحيل ، وراية تقدم عند المسير ، وكان ولد يحيى الذين
أحدهم أبو بكر خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه ،
أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا
نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان ، وعبد الرحمن وهو شقيقهما
[١٠] الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن ،
فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار ، وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء ،
وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه
الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان ،

يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم ، ولما افتتح التكرور كورة ابوالاتن وأعمالها ، أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها ، بعد أن جمع من كان فيها منهم إلى نفسه الرجال ، ونصب دونها ودون ما لهم القتال ، ثم اتصل بملكهم ، فأكرم مشواه ، ومكنه من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصديق الأحب والخلصة الأقرب ، ثم صار يكتاب في تلمسان يستقضي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة . وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبيء عن ذلك ، فلما استوثقوا من الملوك تذلت لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوت الحصر والعد ، لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع ، فتعاضد عنه بماله بال من الثمن ، إلى أن قال : ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ، ولم يقوموا بأمر التشمير قيامهم ، وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين ، فلم يزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمن ، فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة ، اتخذنا فصوله عيشاً أصوله حرمة ، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، ففرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن . انتهى كلامه في أوليته . وقد نقله لسان الدين في الإحاطة .

وقال مولاي الجدد رحمه الله تعالى : كان مولدي بتلمسان أيام أبي حم موسى بن عثمان بن يغمراسن ابن زيان ، وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سِنَّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا الفتح بن زيان عن سِنَّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سِنَّه فقال : أقبل على

شأنك ، فإني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنّه فقال : أقبل على شأنك ،
 فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنّه فقال : أقبل على شأنك ،
 فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت
 بعض أصحاب الشافعي عن سنّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت الشافعي
 عن سنّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت مالك بن أنس عن سنّه فقال :
 [١١] أقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى .

قلت : ولما تذاكرت مع مولاي العم الإمام صب الله تعالى على مضجعه
 من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى ، أنشدني
 لبعضهم :

احفظ لسانك لا تبُع بثلاثية * سنّ ومال ما استطعت ومذهب
 فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثية * بمكفر وبحاسدٍ ومكذبٍ

قال الونشريسي في حق الجد ما نصه : القاضي الشهير الإمام العالم أبو
 عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني المولد والمنشأ ، الفاسي المسكن ، كان
 رحمه الله تعالى عالماً عاملاً ظريفاً نبياً ذكياً نبيلاً فهماً متيقظاً جزلاً محصلاً انتهى .

وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرف فيه بمولاي الجد ، وذكر جملة من
 أحواله ، وذكر أنه طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجد فألف فيه
 ما ذكر ، وقال في « الإحاطة » في ترجمة مولاي الجد بعد ذكره أوليته
 ما صورته : حال هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً
 وعناية واطلاعاً ونقلاً ونزاهة ، سليم الصدر قريب الغور ، صادق القول ،
 مسلوب التصنع ، كثير الهيئة ، مفرط الخفة ، ظاهر السداجة ، ذاهب أقصى
 مذاهب التخلق ، محافظ على العمل ، مثابر على الانقطاع ، حريص على
 العبادة ، مضائق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالتوجه واليدين

مشقة ، ثم يقافص الوقت فيها ، ويوقعها دفعة متبعا إياها زعقة التكبير ، برجفة
ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة ، بما هو دليل على حسن المعاملة ، وإرسال
السجية ، قديم النعمة متصل الخيرية ، مكباً على النظر والدرس والقراءة ،
معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ، حاسر للذراع عند المباحثة ،
راحب عن الصدر في وطيس المناقشة ، غير مخطار للقرن ، ولا ضنان بالفائدة ،
كثير الالتفات ، منقلب الحدقة ، جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة ،
قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ،
ويحفظ الحديث والتاريخ والأخبار والآداب . ويشارك مشاركة فاضلة
في الأصولين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً غرض الإجادة ، ويتكلم
في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين فيها .

شرق وحجّ ولقي جلّة ، وألف رحلة مفيدة ، ثم عاد إلى بلده فأقرأ
به ، وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع
ونشيدة الملك ، وأثير الله من بين القرابة والإخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه
وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل
بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق وألان الكلمة . وآثر التسديد وحمل
الكلّ وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة ، حضرت
بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدد ، وتأنيه للحجج ، ورفقه
بالخصوم ، ما قضيت منه العجب . (دخوله غرناطة) : ثم لما أخرج عن القضاء
استعمل بعد لأي في الرسالة فوصل الأندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة

[١١١] وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) ، فلما قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته
واحتل مالقة في منصرفه بداله في نبد الكلفة واطراح وظيفة الخدمة . وحل
التقيد إلى ملازمة الإمرة ، فتقاعد وشهر غرضه ، وبث في الانتقال طمع من
كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلى بينه وبين همه . وترك ما انتحله من

الانقطاع إلى ربه ، وطار الخبر إلى مرسله ، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة .
والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة ، وأنكر ما حقه الإنكار من إبطال عمل
الرسالة ، والانقباض قبل الخروج عن العهدة . فوغر صدره على صاحب الأمر .
ولم يبعد حمله على الظنّة والمواطأة على النفرة . وتجهزت جملة من الخدام
المجلين في مازق الشبهة ، المضطلعين بإقامة الحجّة . مولين خطة الملام . مخبرين
بين سحائب عادمي الإسلام ، مظنة إغلاق النعمة . وإيقاع العقوبة . والإشادة
بسبب إجارتها بالقطيعة والمنايذة ، وقد كان المترجم به لحق بغرناطة . فتقدم
بمسجدها وجار بالانقطاع إلى الله ، وتوعد من يجبره بنكير من يجير ولا يجار
عليه سبحانه ، فأهم أمره وشغلت القلوب أبدته ، وأمسك الرسل بخلال ما
صدرت شفاعته ، اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه إلى تلك الوجهة . ولما تحصل
ما تيسر من ذات انصراف محفوظاً بعالمي القطر قاضي الجماعة أبي القاسم
الحسيني المذكور قبله ، والشيخ الخطيب أبي البركات بن الحاج مسلمين لوروده
مشافهين بالشفاعة في غرضه ، فانقضت الغمة وتنفت الكربة . واستصحبا
من المخاطبة السلطانية في أمره من إملائي ما يذكر حسبما ثبت في الكتاب المسمى
« بكناسة الدكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا ما صورته :

المقام الذي يحب الشفاعته ، ويرعى الوسيلة وينجز العدة ويتمم الفضيلة ،
ويضفي مجده المنز الجزيلة ، ويعيي حمده الممدوح العريضة الطويلة ، مقام
محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضع سعده ، وصح في الله تعالى عقده ،
وخلص في الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده ، السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها .
وشفاعته بكرم مساعها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ،
معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوته الرفيعة قولاً باللسان
واعتماداً بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمي والولي النصير فلان ،

[۱۱۲]
سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى ورحمة
الله وبركاته ، أما بعد حمد الله الذي جعل الأخلاق الحميدة دليلاً على عنايته
بمن حلَّاه حُلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ،
حمداً يكون كفوفاً للنعم التي أولاهها وأعادها ووالاها ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها ،
الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها ، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها ،
والرضى عن آله وصحبه الذين خبرَ صدقَ ضمائرهم لما ابتلاها ، وعَسَلَ ذكرهم
في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها ، والدعاء لمقام أبوتكم
حرس الله تعالى علاها ، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طَّلَعَ الثنايا وابن جلاها ،
والصنائع التي تخرق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلي فلاها ، فإننا كتبنا إليكم
- كتب الله تعالى لكم عزةً مشيدة البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام
جيوش الثناء ، وقلدكم من قلائد مكارم الأخلاق ، ما يشهد لذاتكم منه
بسابقة الاعتناء - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والود باهر السنا ظاهر السناء ،
مجددٌ على الآناء ، والتشيعُ رحب الدسيعة والفناء ، وإلى هذا وصل الله تعالى
سعدكم وحرس مجدكم ، فإننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ
الصالح أبي عبد الله المقرئ خار الله تعالى لنا وله ، وبلغ الجميع من فضله
العميم أمله ، جواباً عما صدر عن مثابتم فيه من الإشارة الممتثلة والمآرب
المعملة والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد ،
وظماها عن منهل قبولكم لا تُحَلَّأ ولا تُصد ، حسبما سنَّه الأب الكريم
والجد والقبيل الذي وضع منه في المكارم الرسم والنحد ، ولم نصدر الخطاب
حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة ، وتبلغ صبح الزهادة والفضيلة ،
وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار
واختلاطه باللئيف والغمار ، وإقباله على ما يعني مثله من صلة الأوراد ومداومة

الاستغفار ، وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره ، والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره ، أمرنا أن يعنى بأحواله ويعان على فراغ باله ، ويجرى عليه سيب من ديوان الأعراس الشرعية وصريح ماله ، وقلنا : ما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب ، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلّة تعريفه ، ثم تلاحق إرسالكم الجلة ، فوجبت حينئذ الشفاعة ، وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة ، وقررنا ما تحققناه من أمره وانقباضه عن زيد الخلق وعمره ، واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيراً ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلاً كبيراً وخيراً كثيراً ، وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذي رماه بعزمه ، وقصر عليه أقصى همه ، فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه ، ويتوسل الزاهد بزهده [١١] والعالم بعلمه ، ويعول البريء على فضله ويثق المذنب بحلمه ، فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان ، وهو أرب من آراب ، وفائدة من جراب ، ووجه من وجوه إعراب ، فرأينا أن المطل يعد جفاء ، والإعادة ليس بثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا منه وفاء ، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وأن يقتضي له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الإسعاف في الطريق الأقصد ، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصل ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلاً ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصل ، ولما مدّت اليد في تسويغ حالة هديكم عليها أبداً يُعرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض ، فكمّلوا أبقاكم الله ما لم

تسعى فيه مشاحة الكتاب ، وألحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصح
 حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلوا بينه وبين مراده من
 ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتشمير
 ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب الذي تعلق به أعلق
 الله به يدكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لديكم غير مكملة
 الآراب ، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المتاب ، ويقتضي
 خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان ولولا الأعداء لكان في هذا
 الغرض أعمال الركاب يسبق أعلام الكتاب ، وأنتم تولون هذا القصد من
 مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويربي على التأمل ، ويكتب على الود الصريح
 العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يبيحكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرد
 الجزيل ، والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ومثابرتكم الفضلى ، ورحمة
 الله تعالى وبركاته ، في الحادي والعشرين جمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين
 وسبع مئة (٧٥٧) . انتهى كلام ابن الخطيب في « الإحاطة » .

ء

(و ذكر في « الريحانة ») ، أنه كتب في هذا الغرض ما نصه : فإننا
 وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبي عبد الله
 المقرئ وفقنا الله وإياه لما يزلف لديه ، وما بلغكم بتقاعدته بمالقة ، وما أشرتم به
 في أمره فاستوفينا جميع ما قررتم ، واستوعبنا ما أجملتم في ذلك وفسرتم ،
 واعلموا يا محل والدنا أمتنا الله ببقائكم الذي في ضمنه اتصال السعادة ،
 وتعرف النعم المعادة ، أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح
 صدور ، وتكليف جذل بما تفضلتم به وسرور ، تعرفنا أنه تقاعد بمالقة عن
 [١١٤] صحبه ، وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه ، وصرف الوجه إلى التخلي مشفقاً
 من ذنبه ، واحتج بأن قصده ليس له سبب ولا تعين له في الدنيا أرب ، وأنه

عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه وتقروه عليه ، فيعجل البدار
وعمد تحت إياتكم القرار ، فلما بلغنا هذا الخبر لم يخلق الله عندنا به مبالاة
تعتبر ، ولا أعددناه فيما يذكر فكيف فيما ينكر ، وقطعنا أن الأمر فيه هين ،
وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت إليه عين ، فإن بابكم غني من طبقات
أولي الكمال ، مليء بتسوية الآمال موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين
بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء أولي المقامات والأحوال ، والأدباء
فرسان الروية والارتجال ، ولم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال ، ولا
يستكثر بالقطرة جيش العارض المثال ، مع ما علم من إعانتكم على مثل هذه
الأعمال ، واستمساكم بإسعاف غرض من صرف وجهه إلى ذي الجلال ، ولو
علمنا أن شيئاً يهيجس في خاطر من أمر مقامه لقابلناه بعلاج سقامه ، ثم لم
ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزاً في طور التقليل والتخفيف خالطاً نفسه باللفيف ،
قد صار نكرة بعد العلمية والتعريف ، وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضاً
عن الناس ، لا يظهر إلا لصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعباد يخاف إضاعتها ،
ثم تلاحق إرسالكم الجلة الذين تحقق لمثلهم التجلة ، فحضروا لدينا وأدوا
المخاطبة الكريمة كما ذكر إلينا ، وتكلمنا معهم في القضية ، وتنخلنا في الوجوه
المرضية ، فلم نجد وجهاً أخلص من هذا الغرض ، ولا علاجاً يتكفل ببراء المرض ،
من أن كلفناهم الإقامة التي يُتبرك بيمن جوارها ، ويعمل على إثارتها بخلاف
ما نخطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة ، يضمن حباؤكم احتسابها
ويرعى انتماءها إلى الخلوص وانتسابها ، ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها ،
ونقصدكم ومثلكم من يقصد في المهمة ، فأنتم المثل الذائع في عموم الحلم وعلو
الهمة ، فإن تصدروا له مكتوباً مكمل الفصول مقرر الأصول يذهب الوجمل
ويرفع الخجل ، ويسوغ من مآربه لديكم الأمل ، ويخلص النية ويرتب العمل ،
حتى يظهر مالنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد ، جرياً على ما بذلتم من جميل

العوائد ، وإذا تحصل ذلك كان بفضل الله إياه ، وأناخت بعقوة وعدكم الوفي ركابه ، ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه ، وأنتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعاية ، ويجري في معاملة الله تعالى على ما أسس من فضله البداية ، وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام والحماية ، هذا ما عندنا أعجلنا به الإعلام ، وأعملنا فيه الأقلام ، بعد أن أجهدنا الاختيار وتنخلنا الكلام ، وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا وللمسلمين جميل ، والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام . انتهى .

قلت : وهذه آفة مخالطة الملوك ، فإن مولاي الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره ، فلما أراد التخلي إلى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت انتهى .

وقال في « نفع الطيب » أيضاً : رأيت في تلمسان المحروسة بخط عمي ومفيدي ولي الله تعالى العارف المعروف بشيخ الشيوخ الإمام المفتي الخطيب سيدي سعيد بن أحمد المقرئ ، صب الله عليه سجال الرضوان خطبة من هذا النمط اه . يعني كخطبة القاضي أبي الفضل عياض .

فمن خطبة أبي عثمان سعيد المقرئ : الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، لبصطفي من آل عمران رجالاً ونساء وفضلهم تفضيلاً ، ومد مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة ، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً ، ونجى هوداً من كربه وحزنه ، كما خلص يوسف من سجنه وجبه ، وسبح الرعد بحمده ويمنه ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شراباً ، نُوع باختلاف ألوانه ، وأوحى إليه بنحفي لطفه سبحانه ، واتخذ منه كهفاً .

ومن خطبة القاضي عياض : الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ،

وبين في سورة البقرة أحكامه ، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه . وجعل في الأعراف أنفال توبة يونس ، والركتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة ، وسبح الرعد بحمده ، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، ليؤمن أهل الحجر أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه الخ .

ومن محاسن محمد بن أحمد بن علي الهواري ، ويكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، رجل كفيف البصر من أهل المرية قصيدته التي في التورية بسور القرآن ، ومدح النبي ﷺ ، وهي من غرر القصائد ، وكثير من الناس ينسبها للقاضي عياض وهي هذه :

في كل فاتحة للقول مُتَبَرَّة * حقُّ الثناء على المبعوثِ بالبقرة
 في آل عمرانَ قَدْماً شاعَ مَبْعُثُهُ * رجالُهُم والنساء استوضحوا خبرة
 مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نِعْمَاهُ مَائِدَةً * عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلَى الْأَنْعَامِ مَقْتَصِرَةً
 أَعْرَافُ نِعْمَاهُ مَا حَلَّ الرَّجَاءُ بِهَا * إِلَّا وَأَنْفَالُ ذَاكَ الْجُودِ مَبْتَدِرَةً
 بِهِ تَوَسَّلَ إِذْ نَادَى بِتَوَيْتِهِ * فِي الْبَحْرِ يُونُسُ وَالظُّلْمَاءُ مَعْتَكِرَةً
 هُوْدٌ وَيُوسُفُ كَمْ خَوْفٍ بِهِ أَمْنَا * وَلَنْ يَرُوعَ صَوْتُ الرِّعْدِ مِنْ ذِكْرَةٍ
 مَضْمُونُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ كَانَ وَفِي * بَيْتِ الْإِلَهِ وَفِي الْحِجْرِ التَّمَسُّ أَثْرَةً
 ذُو أُمَّةٍ كَدُوِيَّ النَّحْلِ ذَكَرُهُمْ * فِي كُلِّ قَطْرِ فَسْبِحَانَ الَّذِي فَطَرَهُ
 بِكَهْفٍ رُحْمَاهُ قَدْ لاذَ الْوَرَى وَبِهِ * بُشْرَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْإِنْجِيلِ مَشْتَهَرَةً
 سَمَاءُ طَهَ وَحَضَى الْأَنْبِيَاءَ عَلَى * حَجِّ الْمَكَانِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمْرَةً
 قَدْ أَفْلَحَ النَّاسُ بِالنُّورِ الَّذِي غَمَرُوا * مِنْ نُورِ فُرْقَانِهِ لَمَّا جَلَا غُرَّةَ
 أَكْبَرُ الشُّعْرَاءِ اللُّسْنِ قَدْ عَجَزُوا * كَالنَّمْلِ إِذْ سَمِعَتْ آذَانُهُمْ سُورَةَ
 وَحَسْبُهُ قَصَصٌ لِلْعَنْكَبُوتِ أَتَى * إِذْ حَاكَ نَسِجاً بِبَابِ الْغَارِ قَدْ سَتَرَةً

[١١٦]

في الرومِ قد شاعَ قَدَمًا أمرُهُ وبه
 كم سجدَةٍ في طلي الأَحزابِ قد سجدتْ
 سباهمُ فاطرُ السَّبْعِ العُلا كرمًا
 في الحربِ قد صَفَّتِ الأملاكُ تنصُرُهُ
 لغافرِ الذنوبِ في تفصيلهِ سورُ
 شوراهُ أنْ تُهجرَ الدنيا فزخرُفُها
 عزَّتْ شريعتهُ البيضاءَ حينَ أتى
 فجاءَ بعدَ القتالِ الفتحَ متصلاً
 بقافِ والذَّارياتِ اللهُ أقسمَ فسي
 في الطُّورِ أبصرَ موسىَ نجمَ سُودِدِهِ
 أسرىَ فنالَ مِنَ الرحمنِ واقعةً
 أراهُ أشياءَ لا يقوى الحديدُ لها
 في الحشرِ يومَ امتحانِ الخلقِ يُقبلُ في
 كَفِّ يُسَبِّحُ اللهُ الحِصاةُ بهيَا
 قد أبصرتْ عندهُ الدنيا تغابنُها
 تحريمُهُ الحبَّ للدنيا ورغبتُهُ
 في نونٍ قد حَقَّتِ الأمداحُ فيه بما
 بجاهِهِ سالَ نوحُ في سفينتِهِ
 وقالتِ الجِنُّ جاءَ الحقُّ فاتَّبِعُوا
 مدثراً شافعاً يومَ القيامةِ هَلْ
 في المرسلاتِ مِنَ الكُتُبِ انجلى نبأُ
 الطافهِ النَّازعاتِ الضيمِ في زمنٍ
 إذ كُورتْ شمسُ ذاكَ اليومِ وانفطرتْ

لقمانُ وَفَّقَ للدرِّ الذي نشرَهُ
 سيوفُهُ فأراهمُ ربُّهُ عِبرةً
 لِمَن يياسينَ بينَ الرُّسلِ قد شهرةً
 فصادَ جمعُ الأعداي هَازماً زمرةً
 قد فَصَّلَتْ لمعانٍ غيرَ منحصرةً
 مثلُ الدُّخانِ فيعشي عينَ مَنْ نظرةً
 أحقافَ بدرٍ وجندُ اللهِ قد نصرَهُ
 وأصبحتْ حُجراتُ الدينِ منتصرةً
 أن الذي قاله حقُّ كما ذكرَهُ
 والأفقُ قد شقَّ إجلالاً له قمرَهُ
 في القربِ ثَبَّتَ فيه ربُّهُ بصرَهُ
 وفي مجادلةِ الكفارِ قد أزرَهُ
 صفٌ مِنَ الرُّسلِ كلُّ تابعٍ أثرَهُ
 غاقبلُ إذا جاءكَ الحقُّ الذي قدرةً
 نالتْ طلاقاً ولم يصرفِ لها نظرةً
 عَن زهرةِ المُلِكِ حقاً عندَ ما نظرةً
 أثنى به اللهُ إذ أبدى لنا سيرةً
 سُننَ النجاةِ وموجُ البحرِ قد غمرَهُ
 مُزَمَّلاً تابعاً للحقِّ لن يذرةً
 أتى نبيُّ له هذا العُلا زخرةً
 عَن بعثِهِ سائرَ الأخبارِ قد سطرَهُ
 يومٌ به عيسَ العاصي لما ذعرَهُ
 سماؤهُ ودعتْ وبلُّ به الفجرةً

وللسماء انشفاقٌ والبروجُ خلَّتْ * من طارقِ الشهبِ والأفلاكُ مُتَّثِرَةٌ
 فسبَّحَ اسمَ الذي في الخلقِ شَفَعَهُ * وهل أتاك حديثُ الحوضِ إذ نهرَةٌ
 كالفجرِ في البلدِ المحروسِ غُرَّتُهُ * والشمسُ من نورِهِ الوضاحِ مستترَةٌ
 والليلُ مثلُ الضُّحَى إذ لاحَ فيه أَلَمٌ * نشرحُ لك القولَ في أخبارِهِ العَطِرَةِ
 ولو دعا التينَ والزيتونَ لابتعدرا * إليه في الحينِ واقراً تستبينُ خبرَةٌ
 في ليلةِ القدرِ كمَ قد حازَ من شرفِ * في الفخرِ لم يكنِ الإنسانُ قد قدرَهُ
 كمَ زلزلتُ بالجيادِ العادياتِ لَهُ * أرضٌ بقارعةِ التخويفِ منتشرةٌ
 لَهُ تكاثرُ آياتٍ قد اشتهرتُ * في كلِّ عصرٍ فويلٌ للذي كفرَهُ
 ألم ترَ الشمسَ تصديقاً له حُبِسَتْ * على قريشٍ وجاءَ الرُّوحُ إذ أمرَهُ
 أريتُ أنَّ إلهَ العرشِ كَرَّمَهُ * بكوثرٍ مرسلٍ في حوضِهِ نهرَهُ
 والكافرونَ إذا جاءَ الوري طردوا * عن حوضِهِ فلقد تبَّتْ يدا الكفرةَ
 إخلاصُ أمداحِهِ شغلي فكمَ فلقِ * للصُّبحِ أسمعتُ فيه النَّاسَ مفتخرةَ
 أزكى صلاتي على الهادي وعترتِهِ * وصحبِهِ وخصوصاً منهمُ عشرةَ
 صديقُهُم عمرُ الفاروقُ أحزمُهُم * عثمانُ ثمَّ عليُّ مهلكِ الكفرةَ
 سعدُ سعيدُ عبيدُ طلحةُ وأبو * عبيدةُ وابنُ عوفٍ عاشرِ العشرةَ
 وحمزةُ ثمَّ عباسُ وآلُهمُ * وجعفرُ وعقيلُ سادةِ خيرةَ
 أولئك النَّاسُ آلُ المصطفى وكفى * وصحبُهُ المقتدونَ السَّادةُ البررةَ
 وفي خديجةَ والزهرا وما ولدتُ * أزكى مديحي سأهدي دائماً دُرَّةَ
 عن كُلِّ أزواجهِ أرضى وأوثرَ مَنْ * أضحتُ براءتُها في الذكرِ منتشرةَ
 أقسمتُ لا زلتُ أهدِيهم شذَى مِدْحِي * كالرُّوضِ ينثرُ مِنْ أكمامِهِ زَهْرَةَ

قال : وقد عارض منحاهما جماعة ، فما شقوا لها غباراً ، ومن معارضاتها
 قول بعضهم ، وذكر قصيدته ، وأولها :

بِسْمِ الإِلهِ افْتِتَاحُ الحَمْدِ والبِقِـرَةِ ۞ مُصَلِّياً بِصَلَاةٍ لَمْ تَنْزَلْ عَطِـرَةَ
عَلَى نَبِيٍّ لَهُ الرِّحْمَنُ مَمْتَدِحٌ ۞ فِي آلِ عَمْرَانَ أَيْضاً والنِّسَاءُ ذِكْرَةَ
كَذَا بِمَائِدَةِ الأَنْعَامِ فَضَّلَهُ ۞ وَوَصَفَهُ التَّمَّ فِي الأَعْرَافِ قَدْ نَشَرَةَ
أَنْفَالُهُ نَزَلَتْ أَيْضاً بِرِأَةِ مَسْنٍ ۞ يُحِبُّهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِمَا أَمْرَةَ

إلى أن قال : ومن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي إذ قال :

عَوَّذْتُ حَبِيَّ بَرِّ النَّاسِ وَالْفَلَسَقِ ۞ المِصْطَفَى المِجْتَبَى المَمْدُوحِ بِالأَخْلُقِ
إِخْلَاصُ وَجْدِي لَهُ وَالْعَذْرُ يُقْلِقُنِي ۞ تَبَّتْ يَدَا عَاذِلٍ قَدْ جَاءَ بِالمَلَقِ

قال : وهذه القصيدة وإن لم تلحق قصيدة ابن جابر فهي مما يتبرك به ،
والأعمال بالنيات ، ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة إلى هذه
كنسبة هذه إلى قصيدة ابن جابر ، وذكرها بتمامها ، وأولها :

بِحَمْدِ إلهِ العَرْشِ أَسْتَفْتِحُ القَوْلَا ۞ وَفِي آيَةِ الكُرْسِيِّ أَسْتَمْنِحُ الطَّوَلَا
وَفِي آلِ عَمْرَانَ بَدَأَ ذِكْرُ أَحْمَدِ ۞ نَسَاؤُهُمُ بِالْعَقْدِ قَدْ أُنْعَمُوا القَوْلَا
بِأَعْرَافِ رُحْمَاهُ بِأَنْفَالِ جُسُودِهِ ۞ شَهْرُفْنَا وَفَضَّلْنَا وَتَبْنَا إِلَى المَوْلَى

وذكر في هذا الباب من هذا النوع نظماً ونثراً ما يطول بنا استطراده ،
فعليك بمراجعته إن كنت ممن يميل إلى هذا المعنى ، ويحلوا لك ارتياده ، ومن
رجال الاعتناء بهذا الباب والذي سيدي الشيخ بن أبي القاسم ، فقد وجدت
بخط يده قصائد كثيرة من هذا النوع ، رحمه الله تعالى ، وله قصيدة يتوسل
فيها بسور القرآن ، ستأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى .

[١١٨]

سليمانُ بنُ الحسنِ التلمساني

سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني أبو الربيع الإمام العالم المحصل السيد .

قال الشيخ أبو البركات التالي : شيخنا الفقيه المحقق ، كان قائماً على المدونة وابن الحاجب ، مستحضراً لفته ابن عبد السلام وأبحاثه نصب عينيه اه .

قال القلصادي في « رحلته » : حضرت مجلس سيدي سليمان البوزيدي وكان فقيهاً إماماً عالماً بمذهب مالك اه .

وذكر ابن غازي في ترجمة شيخه أبي محمد الورياغلي : أن من شيوخه صاحب الترجمة ، وأنه وصفه بالشريف الحسيب النسيب الفقيه العالم المحقق الأفضل اه .

قال الونشريسي : شيخ شيوخنا الفقيه المحصل المحقق ، له إشكالات وجهها لعالم تونس أبي عبد الله ابن عقاب ، فأجابه عنها اه . وقال في « وفياته » توفي شيخ شيوخنا الحافظ الذاكر شيخ الفروع أبو الربيع سليمان الشريف سنة ٨٤٥ .

سليمانُ الحساوي البجائي

سليمان بن يوسف بن إبراهيم الحساوي البجائي .

قال السخاوي : أخذ عن عمه أبي الحسن علي بن إبراهيم ، ومحمد بن بلقاسم المشدائي ، وتقدم في الفقه والأصلين والفرائض والحساب والمنطق ،

كتب شرحاً للمدونة ، وصنف في الفرائض والحساب والمنطق ، وأشير إليه بالجلالة ، وأكره على قضاء الجماعة ، فأقام به أزيد من سنتين ، فأعرض عنه ولازم التدريس والإفتاء إلى أن مات سنة سبع وثمانين وثمان مئة (٨٨٧) تقريباً ، وكان يصرح ببلوغ رتبة الاجتهاد ، ومخالفة إمامه في كثير من الفروع .

وقال الشيخ زروق في حقه : الشيخ الفقيه الإمام الصدر العالم أبو الربيع مفتي بجاية من صدور الإسلام في وقته علماً وديانة .

سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ التلمساني

أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن ابن المعز المقرئ الصنهاجي المعروف [١١٩] بالتلمساني الفقيه ، شيخ أبي بكر بن خلف المعروف بالمواق ، وأبي العباس أحمد ابن محمد المعروف بالحصار .

كان زاهداً في الدنيا وأهلها ، ورعاً على سنن أهل الفضل والدين ، وكان موثقاً بمدينة سلا ، فإذا أعطاه أحد على الوثيقة أكثر من حقها رده إليه ، واستقر بمدينة فاس إلى أن توفي بها ، قيل : إن أخاه مات بسلا ، فاجتمع في متروكه ألف دينار ، فحملت إلى أبي الربيع بمدينة فاس فأبى من أخذها ، وقال : كان أخي لا يعرف وجوه التجر ، فأخذها أحد بنيه وانجر فيها فهلكت ، فقال له أبو الربيع : ألم أنهك عنها ، وقلت لك : إنها غير طيبة ، وذكر أن امرأته ماتت بفاس ، وتركت بها داراً بزقاق بدبالة ، فقال له تلامذته : هذه الدار مثمرة فسعى أن تباع ، ويشترى بثمنها دونها ، فبيعت واشترى له دويرة ، ورأى بعضهم في منامه قائلاً يقول له : إذا صليت الصبح فصل عند السارية الفلانية ، فإنك تصلي عندها مع رجل من أهل الجنة ، فلما أصبح دخل

المسجد ، وجاء إلى تلك السارية فوجد عندها أبا الربيع المذكور .
وكان له رضي الله عنه تلامذة وأصحاب . توفي بفاس سنة تسع وسبعين
وخمس مئة (٥٧٩) ، ذكره التادلي في « التشوف » ، وتبعه على ذلك في
« الجذوة » .

سليمانُ الورنيدي

سليمان الورنيدي المدعو بأبي يعربين ، الشيخ العالم النحوي .
أخذ عن الأستاذ الصغير ، وتقدم في النحو والقراءات ، وتصدر لإقراءهما .
أخذ عنه موسى الزواوي ، وتوفي حادي عشر شعبان عام إحدى وتسعين
وثمان مئة (٨٩١) ، هكذا نقل من خط أبي القاسم ابن إبراهيم الفاسي اهـ .
وقال الشيخ زروق في كناشه : الأستاذ أبو الربيع ، عُرف بأبي يعربين
أحد نجباء تلامذة الأستاذ الصغير ، جلس مجلسه بعده لإفادة الأداء في السبع ،
وانتفع به ، كان قيماً على ما هو به ، توفي سنة اثنتين وتسعين بعد الأستاذ
المصيبيدي اهـ .

سليمانُ الوهراني

سليمان الحميدي الوهراني أبو الربيع .
قال القلصادي في « رحلته » : اجتمعت به فيها ، وكان فقيهاً إماماً .

سَيِّدِي أَبُو مَدِينِ الْغَوْثِ

التلمساني

شعيب بن الحسن الأندلسي شيخ المشايخ سيدي أبو مدين ، سيد العارفين وقدوتهم ، الإمام المشهور ، عَرَفَ به جماعة ، بل ألف ابن الخطيب القسنطيني في تعريفه وأصحابه جزءاً .

قال هو وغيره : كان من أفراد الرجال ، ومن صدور الأولياء الأبدال ، جمع بين الشريعة والحقيقة ، أقام هادياً وداعياً للحق ، وقُصِدَتْ زيارته من جميع الأقطار ، وشهر بشيخ المشايخ ، وذكر التادلي وغيره أنه تخرج به ألف شيخ من الأولياء أولي الكرمات .

وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى ، خاض بحار الأحوال ونال أسرار المعارف ، خصوصاً مقام التوكل ، لا يشق غباره ولا تجهل آثاره .

قال التادلي : كان مبسوطاً بالقبض ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه لربه ، حتى مات وهو يقول في آخر زمنه : الله الحق ، وكان من أعلام العلماء ، وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي ، قائماً عليه ، رواه عن شيوخه عن أبي ذر ، يلازم كتاب الإحياء ، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في وقتها ، له مجلس وعظ يتكلم فيه على الناس ، وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع ، وربما مات بعضها ، وكثيراً ما يموت بمجلسه أهل الحب ، تخرَّج به جماعة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال ، قال : وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه ويعظمه بين أصحابه ، ولما قدم من الأندلس قرأ على الحافظين أبي الحسن بن حرزهم . والفقير العلامة ابن غالب ، وذكر

عنه أنه قال : كنت في ابتدائي إذا سمعت تفسير آية أو حديث قنعت به ، وانصرفت لموضع خارج فاس ، أتخذة للعمل بما فتح علي به ، فإذا خلوت تأتيني غزاة تونسي ، وأمرٌ في طريقي بالكلاب فيصبصون لي ، ويدورون حولي ، فبينما أنا يوماً بفاس إذا رجل أندلسي من معارفي ، سلم عليّ ، فقلت : وجبت ضيافته ، فبعتُ ثوباً بعشرة دراهم ، فطلبت له لأدفعها له فلم أجده هنالك ، فحملتها معي وخرجت لخلوتي على عادتي ، فتعرض لي الكلاب فمنعوني الجواز حتى جاء رجل حل بيني وبينهم ، ولما وصلت قريتي جاءني الغزاة على عادتها ، فشممتني ونفرت عني ، وأنكرت عليّ ، فقلت : ما أوتي علي إلا من هذه الدراهم التي معي ، فرميتها عني فسكنت الغزاة وعادت لحالها معي ، ولما رجعت لفاس رفعتها معي ولقيت الأندلسي ، فدفعها له ، ثم خرجت للخلوة ، فدار بي الكلاب ، فصبصوا على عادتهم ، وجاءت الغزاة فشممتني وأتت كعادتها ، وبقيت كذلك مدة ، وأخبار أبي يعزى ترد علي ، وكراماته يتداولها الناس ، فملاً قلبي حبه ، فقصدته مع الفقراء ، فلما وصلنا إليه أقبل عليهم دوني ، وإذا حضر الطعام منغني من الأكل معهم ، فبقيت ثلاثة أيام فأجهدني الجوع ، وتحيرت من خواطر ترد علي ، وقلت في نفسي : إذا قام الشيخ من موضعه مرغت فيه وجهي ، فلما قام مرغته ، فإذا أنا لا أبصر شيئاً ، فبكيت ليلتي ، فلما أصبح دعاني وقربني ، فقلت : يا سيدي قد عميتُ فمسح بيده علي عيني فبصرت ، ثم علي صدري فزال عني تلك الخواطر ، وفقدت ألم الجوع ، وشاهدت في الوقت عجائب بركاته ، ثم استأذنته في الانصراف للحج فأذن لي ، وقال لي : ستلقى في طريقك الأسد فلا يرعك ، فإن غلب عليك خوفه فقل له : بحرمة آل النور إلا انصرفت عني ، فكان الأمر كما قال .

وتوجه للمشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة ، فأخذ عن أعلام علمائها ،

واستفاد من زهادها وأوليائها ، وتعرف في عرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني ، فقراً عليه في الحرم كثيراً من الحديث ، وألبسه الخرقة ، وأودعه كثيراً من أسرارها ، وحلاه بملابس أنواره ، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته . وبعده أفضل مشايخه الأكابر ، وعن بعض الأولياء قال : رأيت في النوم قائلاً يقول : قل لأبي مدين بُثَّ العلم ولا تبالي ، ترتع غداً مع العوالي ، فإنك في مقام آدم أبي الذراري ، قال : فقصصتها عليه ، فقال لي : عزمت على الخروج للجبال والفيافي ، وأبعد عن العمران ، ورؤياك هذه تأمرني بالجلوس ، وترك العزم ، فقولك ترتع غداً مع العوالي إشارة لحديث « حَلَقُ الذَّكْرِ مَرَاتِعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ » والعوالي أصحاب عِلِّين ، ومعنى قوله : أبي الذراري أنه أعطي قوة النكاح ، وأمر به ، ولم يجعل له قوة على كونهم مطيعين ، ونحن أعطينا العلم وأمرنا بيته وتعليمه ، ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفقين .

وكان يقول : كرامات الأولياء نتائج معجزاته ﷺ ، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى ، بسنده إلى الجنيد ، بسنده للحسن البصري ، عن علي ، عن النبي ﷺ .

وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال : سمعت أبا مدين يقول : أوقفني ربي عز وجل بين يديه ، وقال لي : يا شعيب ماذا عن يمينك ؟ فقلت : يا رب عطاؤك ، قال : وماذا عن شمالك ؟ قلت : يا رب قضاؤك ، قال يا شعيب قد ضاعفت لك هذا ، وغفرت لك هذا ، فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك .

وعن أبي العباس المرسي قال : جُلْتُ في الملكوت فرأيتُ سيدي أبا مدين متعلقاً بساق العرش ، وهو يومئذ رجل أشقر أزرق ، فقلت له : وما علومك وما مقامك ؟ فقال : علومي أحد وسبعون علماً ، ومقامي رابع الخلفاء ، ورأس السبعة الأبدال ، وسئل عما خصه الله به فقال : مقامى العبودية ،

١٢٢]

وعلومي الألوهية ، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ، ملأت عظمته سري وجهري ، وأضاء بنوره بري وبحري ، فلقرب من كان به عليماً ، ولا يسمو إلا من أوتي قلباً سليماً ، يسلم من سداه ، ولا يكون في الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه ، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك ﴿ وتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (١) .

وسئل في مجلسه عن الحب فقال : أوله دوام الحب . ووسطه الأنس بالمذكور . وأعلاه أن لا ترى سواه . واختلف أهل مجلسه هل الخضر ولي أو نبي ؟ فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية تلك الليلة النبي ﷺ فقال له : الخضر نبي . وأبو مدين ولي .

وذكر التادلي وغيره : أن رجلاً جاء ليعترض عليه ، فجلس في حلقتة ، فقرأ صاحب الدويلة . فقال له أبو مدين : امهل قليلاً . ثم التفت للرجل وقال له : لم جئت ؟ فقال : لأقتبس من نورك . فقال له : ما الذي في كمك ؟ فقال : مصحف فقال له : افتحه واقراً في أول سطر يخرج لك . ففتحه وقرأ أول سطر : فإذا فيه ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) فقال أبو مدين : أما يكفيك هذا ! فاعترف الرجل وتاب وصلاح حاله .

وذكر صاحب «الروض» عن الشيخ الزاهد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال : مر الشيخ في بلاد الغرب . فرأى أسداً اقترب حماراً يأكله ، وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقة . وجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد فقال له الشيخ : أمسك الأسد واستعمله في الخدمة . بموضع حمارك . فقال : يا سيدي أخاف منه . فقال : لا تخف . لا يستطيع أن يؤذيك ، فر

(١) سورة النمل : الآية ٨٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٩٢ .

بالأسد يقوده والناس ينظرون . فلما كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الأسد للشيخ وقال : يا سيدي هذا الأسد يتبعني اين ما ذهبت ، وأنا خائف منه لا طاقة لي بعشرته . فقال الشيخ للأسد : اذهب ولا تعد ، ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليكم .

ومن مشهور كراماته أنه كان ماشياً يوماً على الساحل ، فأسره العدو ، وجعلوه في سفينة فيها جماعة من الأسارى ، فلما استقر في السفينة توقفت عن السير ، ولم تتحرك مع قوة الريح ومساعدتها ، وأيقن الروم أن لا يقدرّون على السير ، فقال بعضهم : أنزلوا هذا المسلم ، فإنه قسيس ، ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى ، فأشاروا إليه بالتزول ، فقال : لا إلا إن أطلقتم كل من فيها من الأسارى ، فعلموا أن لا بد لهم من ذلك ، فأنزلوهم كلهم ، وسارت السفينة في الحال ، ومنها أنه لما اختلفت طلبة بجاية في حديث « إذا مات المؤمنُ أُعطي نصفَ الجنةِ » فأشكل عليهم ظاهره ، إذ بموت مؤمنين يستحقان [١٢٣] كلَّ الجنة ، فجأؤوه وهو يتكلم على « رسالة القشيري » فقال لهم : بلا سؤال : المراد يُعطي نصف جنته هو ، فيكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقر عينه ، ثم النصف الآخر يوم القيامة .

وكان يأتيه الأولياء من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل ، وذكر تلميذه عبد الخالق التونسي عنه أنه قال : سمعت رجلاً يُسمى موسى الطيّار يطير في الهواء ، ويمشي على الماء ، وكان رجل يأتيني عند طلوع الفجر ، فيسألني عن مسائل الناس ، فوقع لي ليلة أنه موسى الطيار الذي أسمع به ، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني : فقلت له : أنت موسى الطيار ؟ فقال : نعم ، ثم سألتني فأنصرف ، ثم جاءني مع آخر فقال لي : صليت الصبح ببغداد ، وقدمنا مكة فوجدناهم في الصبح ، فأعدنا معهم ، وبقينا حتى صلينا الظهر ، فجئنا القدس فإذا هم في الظهر ، فقال صاحبي هذا :

نُعيد معهم ، فقلت : لا ، فقال لي : ولم أعدنا الصبح بمكة ، فقلت له : كذلك كان شيخي يفعل ، وبه أمرنا فاختلفنا ، فقال أبو مدين : فقلت لهم : أما إعادة الصبح بمكة فإنها عين اليقين ، وبغداد علم اليقين ، وعين اليقين أقوى من علمه ، وصلاتكم بمكة وهي أم القرى فلا تعاد في غيرها ، قال فقنعا به وانصرفا .

وفي حقائق المقرئ عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيباً ، لا تدرك له نهاية ، قال : وهو أبو مدين اه .

وكان استوطن بجاية ويفضلها على كثير من المدن ، ويقول : إنها تعين على طلب الحلال ، وما زال حاله يزداد رفعة ، وترد عليه الوفود من الآفاق ، ونجبر بالغيوب حتى وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور ، وخوفوه منه على الدولة ، وأنه يشبه الإمام المهدي ، قد كثر أتباعه من كل بلد ، فوقع في قلبه وأهمته شأنه ، فبعث إليه في القدم عليه ليختبره . ووصى صاحب بجاية به ، وأن يحمله خير محمل ، فلما أخذ في السفر شق على أصحابه وتغيروا ، فسكنهم . وقال : إن منيتي قربت ، وبغير هذا المكان قدرت . ولا بد منه ، وقد كبرت وضعفت لا أقدر على الحركة ، فبعث الله لي من يحملني إليه برفق ، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني ، فطابت نفوسهم وعدوه من كراماته ، فارتحلوا به على أحسن حال حتى وصلوا حوز تلمسان ، فبدت لهم رابطة العباد ، فقال لأصحابه : ما أصلحه للرقاد . فمرض فلما وصل وادي يسر ، اشتد مرضه ونزلوا به هناك ، فكان آخر كلامه : الله الحق ، فتوفي

[١٢٤] سنة أربع وتسعين وخمس مئة (٥٩٤) . فحمل للعباد مدفن الأولياء الأوتاد . وخرج أهل تلمسان لجنائزته . فكانت مشهداً عظيماً . وفي ذلك اليوم تاب الشيخ أبو عمر الحباك ، وعوقب السلطان . فمات بعده بسنة أو أقل . والدعاء

عند قبره مستجاب مجرب ، كما حققه سيدي محمد الهواري في كتاب
« التنبيه » .

ومن كلامه : إذا رأيت من يدعي مع الله تعالى حالاً ، وليس على ظاهره
شاهد ، فاحذره . وقال : حسن الخلق معاشره كل شخص بما يؤنسه ولا
يوحشه ، فع العلماء بحسن الاستماع والافتقار ، ومع أهل المعرفة بالسكون
والانتظار ، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار ، وقال : الحق تعالى
مطلع على السرائر والضمائر في كل نفس وحال ، فأبى قلب رآه موثراً له
حفظه من الطوارق والمحن ، ومضلات الفتن . وسئل عن التسليم فقال :
إرسال النفس في ميدان الأحكام ، وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام ،
وقال : من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم ، ومن اشتغل بطلب الدنيا
ابتلي فيها بالذل ، ومن لم يجد من قلبه زاجراً فهو خراب ، وقال بفساد العامة
تظهر ولادة الجور ، وبفساد الخاصة تظهر دجاجة الدين الفتانون ، وقال :
من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه ، ومن خدم الصالحين ارتفع ، ومن
حرمه الله احترامهم ابتلاه الله بالقت من خلقه ، وانكسار العاصي خير من
صولة المطيع ، وقال : علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة
الحق ، وسئل عن الشيخ فقال : الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم ، وسررك
بالتعظيم ، والشيخ من هذبك بأخلاقه ، وأدبك بإطراقه ، وأنار باطنك بإشراقه ،
إلى غير هذا من حكمه ، وقد ذكرت منها طائفة في غير هذا الموضع ، نفعنا
الله به آمين اه « نيل الابتهاج » .

الشيخُ بنُ أبي القاسمِ الديسي المعروف بابن عروس

هو والدي الشيخ بن أبي القاسم بن الصغير بن محمد المبارك بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن سيدي إبراهيم الغول ، دفين مدينة أبي سعادة قال الوالد رحمه الله تعالى : وآبائي هؤلاء كلهم كانوا يحفظون القرآن ، ويعرفون من الفقه ما لا بد منه ، ولهم خطوط جيدة موجودة بهوامش كتب الفقه المتوارثة في قرية الديس ، ووالدي أبو القاسم أخذ الفقه عن سيدي عبد الباقي الجلاي نسبة إلى مدينة أولاد جلال في الزاب ، وهو شيخ له صيت طائر في صحراء بسكرة ، وزاويته مشهورة بالعلم ، يعرفها العام والخاص ، قرأ فيها والدي وإخوته سيدي التومي بن الصغير ، وهو كبيرهم ، وسيدي الصحيحي ، وسيدي الأكحل ، وكان صاحب الزاوية متزوجاً بعمتهم القدحية بنت محمد المبارك ، وسبب تزوجه بها أنه قرأ مع أبيها في زاوية الشيخ ابن أبي داود ، [١] على سيدي عبد الرحمن بن أبي داود ، وكانا متحابين في الله فخطبها منه ، ولما رجع إلى بلده واستراح تأهب للزفاف ، وقصد زاوية أولاد سيدي إبراهيم في الديس ، فدخلها وقوبل فيها بإكرام وإعظام ، وذلك شأن أهل الديس مع كل قادم إليهم على قلة ما في أيديهم ، وبعد أيام ذهب الشيخ عبد الباقي بزوجه إلى زاويته ، أما زاوية ابن أبي داود فهي أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة ، ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زواوة ، وما والاها إلى قسنطينة شرقاً وإلى الأغواط جنوباً وإلى المدينة غرباً .

قال الوالد رحمه الله : أخذت الفقه والعربية عن الشيخ سيدي أبي القاسم وهو عن أبيه سيدي السعيد ، وهذا عن أبيه سيدي عبد الرحمن ابن أبي داود

وقد تواتر أن سيدي السعيد اجتمع بشيخ الطريقة الخلوتية قطب العارفين وسيد العلماء العاملين سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، وطلب منه الورد الرحماني ، فأشار عليه بالعلم ، وتفل في فمه ، ودعا له بالسر والبركة . ومن يومئذ جلب الله الخلق إلى الانتفاع بالعلوم ، واغترافها من بحر الشريعة والحقيقة في زاوية تاسلنت ، أعني زاوية ابن أبي داود ، وكنت ممن انخرط في سلك المنتفعين بعلومها وأسرارها ، والمتسبين إلى أهلها ، نفعنا الله ببركاتهم ، وجمعنا بهم في دار النعيم المقيم ، بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم ولي إجازة في التدريس بخط شيخنا سيدي أبي القاسم المذكور ، وهي موجودة الآن بيدي ، ونلت منها بركة عظيمة ، فالحمد لله على حسن النية وعناية المشايخ ، وقد أشار لي قبل التعليم في هذه الزاوية شيخ الطريقة وطود الحقيقة الغوث سيدي علي بن عمر ، صاحب زاوية طولقة ، حين كنت عنده صغيراً أقرأ القرآن فإنه ضمني لصدره بشفقة ورأفة وحنانة ورحمة ، وقال لي : أنت عالم زاويتي ومعلم أبنائي ، فقلت له يا سيدي : أنا صغير لم أبلغ الحلم ، ولم أحفظ القرآن فكيف ذلك ؟ فقال لي : لا بد من هذا ، والسبب في إشارته هذه أن أحد المقاديم نهري ولأمني على التفريط في تنوير مصابيح الزاوية ، وأنا المكلف بها ، فسمع الشيخ سيدي علي بن عمر بقهره لي وتحامله عليّ ، وأقبل إلي وضممني كما ذكرته ، والتفت إلى المقدم غاضباً وقال له : أما تعرف منزلة هذا يا أعمى القلب ، فوالله هو ذو سر عظيم في الأرض والسماء ، ثم عزله وأخرجه من الزاوية ، ولما حفظت القرآن عنده ذهبت إلى جبل زواوة ، ويسمى في عرف الأولياء والعلماء جبل النور ، ولازمت ابن أبي داود ، ودخلت زاوية شلاطة ، وهي زاوية ذات شهرة [١٢٦] تُغني عن وصفها ، وشيخها من أهل الكمال والجلال سيدي ابن علي الشريف رضي الله عنه ، وأعاد علينا من بركاته وعنايته ، وبقيت في مقام ابن أبي

داود إلى أن أجازني الشيخ كما تقدم .

وسمع بي سيدي علي بن عمر ، فطلبني لإقراء أولاده . وامتثلت أمره فوجدته سار إلى الدار الآخرة ، وقابلني ولده البركة سيدي علي بن عثمان فأحسن نزلي وأكرم بثواي ، وقال لي : الشيخُ رحمه الله يأمرُك بتعليم ولده أخينا الحفناوي ، فأجبتُه بالقبول ، وواظبت على تعليمه نحو ستة أعوام ، بتعلم الفقه من مختصر الشيخ خليل ، والنحو من الجرومية والأزهرية والقطر ، والتوحيد من العقائد السنوسية ، والمنطق من سلم سيدي عبد الرحمن الأخصري ، ثم من ايساغوجي ، والحساب من الدرّة البيضاء ، ثم من القلصادي الصغير والكبير ، والمعاني والبيان من الجواهر المكنون والسمرقندية . ثم من مختصر السعد ، والعروض من الخزرجية ، وكلها مبادئ وقواعد تمكن منها وارتقى بها إلى ما فوقها بعد أن فارقتُه ولم أفارقه حتى جلس في مجلسي بجامع سيدي عبد القادر في الزاوية ، بإزاء ضريح أبيه شيخنا سيدي علي بن عمر رضي الله عنه ، وشرع في تعليم طلاب العلم من أهل الناحية والغرباء . وكانوا في مدة تدريسي هناك لا يقلون عن الأربعين والخمسين طالباً بقريحة وجد في التحصيل والاستفادة حفظاً وفهماً ، ومن ورائهم جم غفير من المستمعين يضيق عنهم الجامع في بعض الأحيان مع سعته .

أما الذين كانوا ملازمين لدرسي فمنهم إخوة سيدي الحفناوي وهم إذ ذاك سيدي أحمد بن عمر ، وسيدي بالقاسم ، وسيدي الشيخ ، وسيدي إبراهيم ، ومنهم سيدي المسعود بن عبد الله بن سيدي مازوز ، وسيدي أحمد بن رحمون ، وسيدي علي بن غضاب ، وسيدي علي بن بخوش البوشقروني ، ورجال من طولقة ، ومن المخادمة ، وبنطيوس ، وأوماش ، ومن أورلال ، وبسكرة ، وسيدي عقبة ، ومن أولاد سلطان ، والقنطرة ، والعامري ، والبرج ، وأولاد جلال ، وسيدي خالد ، والسحاري ، وغمرة ، والعمور ، وآل بن علي ،

وليوه ، والسحيرة ، وأولاد سيدي سليمان ، وشرفاء الزاب ، وأولاد سيدي زيان ، وفرفار ، وليشانه ، وفوغالة ، وأولاد سيدي بوزيد الرحالة ، وأهل مدكال ، وأولاد دراج ، وأولاد عمرو ، وأولاد بوحديجة ، وخلق كثيرون من تلك القبائل التلية والصحراوية من قسنطينة إلى سوف ، ومن نقطة إلى الأغواط ، ولما أجزت الشيخ سيدي الحفناوي وأذنته في نفع الخلق بما علمه الله ، طلبت التسريح من الشيخ سيدي علي بن عثمان ، ورجعت إلى الديس ، وقصدت الجلفة ومسعد ، وفيهما التقيت برجال رفعهم العلم ورفعوه ، وطووه ونشروه ، كسيدي الشريف ابن الأحرش ، وأخيه سيدي بالقاسم وسيدي محمد بن أحمد السنوسي ، وسيدي مصطفى وسيدي الموفق وسيدي البشير ، وسيدي عبد القادر ، وسيدي محمد بن أبي القاسم ، ثم لازمت بيتي في الديس وقل سفري وكثر ولدي ، واعتمدت على الله في كسب المعاش بأسبابه العادية كالزراعة وتربية الماشية ، وتفرغت مع ذلك لنسخ بعض الكتب ومطالعتها ، وتعليم أولادي ومن يريد اه. كلامه رضي الله عنه ونفعنا ببركاته .

أقول : ومن تلاميذه المنتفعين ببركته^ه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن البصير العلامة المؤلف الشهير المقيم بزاوية الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي ، الطائر صيته في الأقطار ، رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

توفي الوالد رحمه الله تعالى في الديس عشية يوم الثلاثاء ٢ صفر ، عام ١٣١١ الموافق ليوم ١٥ غشت أو أوط سنة ١٨٩٣ ، ودفن يوم الأربعاء صباحاً بغربي صهره العالم العارف سيدي محمد الصديق ابن أحمد بن سليمان بن أبي العدل ، رضي الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم آمين .

وكان له خط جميل لا نظير له في البر الجزائري ، قال : تعلمته في نقطة زمن تعليمي العلم على الشيخ المدني ابن عزوز ، وكنت أطلع له لأنه بصير ، وعنه أخذت علوم الأدب والدين اه.

وله وثائق كثيرة بأيدي الناس ، ونسخ كتباً جمّة بخطه ، وكانت له
أوراد خاصة يواظب عليها ، ولصورته وذاته ووجهه كمال وجمال قلّ
وجودهما في غيره ، ومن نظمه هذا التوسل الذي بعثه إلي لأحفظه ، وذكر لي
أنه مضمون الإجابة ، ونصه :

أحمدُ واجبُ الوجودِ المُطلَقِ * الملكَ القُدُّوسَ ربَّ الفَلَقِ
مُصَلِّياً على الذي تَسُدُّورُ * بنوره الشُّموسُ والبُـدُورُ
المصطفى من قبلِ فَتَقِ الرَّثَمِ * محمداً أصلُ وجودِ الخلقِ
وآلِهِ وصحْبِهِ والأُمَّةِ * ما أعقبَ الدعاءَ كشفَ الغُمَّةِ
هذا وقد قالَ القريبُ المستجيبُ * إذا دعا الداعي فإني قريبُ
وفي الحديثِ النبويِّ المُشْتَهَرُ * بعدَ سُؤالِ الدُّعَا مِنَ القَدَرِ
فينبغي الإلحاحُ بالدُّعَاءِ * لجلبِ نفعٍ أو لدفعِ داءِ
وأفضلُ الوسائلِ المبرورةِ * وخيرُها الأدعيةُ الماثورةُ
وما أتى به الكتابُ المعجِزُ * المُحَكَّمُ الذِّكْرُ العزِيزُ الموجِزُ
مَعَ جَاهِ مَنْ لَنَا بِهِ التَّوَصُّلُ * للهِ أُولَى مَنْ بِهِ التَّوَسُّلُ
وها أنا قَدَّمْتُ للرَّحْمَنِ * توَسُّلي بِسُورِ القُرْآنِ
رجاءَ رضوانٍ ومَخوِ سَابِقَةِ * وقصدِ صَفْحِ عَنِ خَطَايَا لاجِقَةِ
مُستَمسِكاً بالهاشميِّ المصطفى * وصحْبِهِ والتَّابِعِينَ وكَفَى
إِلَيْكَ يَا رَبُّ وَلَا مَنعَرجَا * عَنكَ بَسَطْتُ كَفَّ خَوْفٍ وَرَجَا
بَسَطَ خُضُوعٍ وَخُشُوعٍ واعترافُ * بما أتته منِ خِلافٍ واقترافِ
أجِبْ أُنْبِي دَاعِيأً بالبِسمَلَةِ * بعدَ التَّعوُّذِ وَقَبْلَ الحَمْدَلَةِ
وبالثَّلَاثِ بعدها أمُّ الكِتَابِ * عَفِواً عَنِ الزَّلَّاتِ فِي يَوْمِ الحِسابِ
بأفضلِ القُرْآنِ أعني البقرةِ * اجعَلْ أُمُورِي كُلَّهَا مُبَسَّرَةً

بِأَلِ عِمْرَانَ وَبِالنَّسَاءِ ۝ أَسْأَلُكَ الْحِفْظَ مِنَ الْبِأْسَاءِ
بِسُورَةِ الْمَائِدَةِ الْمُنَزَّلَةِ ۝ عَلَى ابْنِ مَرْيَمَ رَفِيعِ الْمُنَزَّلَةِ
وَسُورَةِ الْأَعْرَافِ وَالْأَنْعَامِ ۝ تَوْفَنِي رَبِّي عَلَى الْإِسْلَامِ
بِسُورَةِ الْأَنْفَالِ ثُمَّ التَّوْبَةِ ۝ أَرْجُو الْعَنَابَةَ وَحُسْنَ الْأَوْبَةِ
بِیُونُسَ الصَّادِقِ وَالرَّعْدِ الْخَلِيلِ ۝ آسِنِي اللَّهُمَّ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ
بِالْحَجْرِ وَالنَّحْلِ مَعًا أَنْأَدِي ۝ يَا رَبُّ أَنْتَ السُّؤْلُ فِي مَعَادِي
بِسُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي الطَّبَّاقِ ۝ بِالْمُصْطَفَى عَلَى الْبُرَاقِ رَاقِي
مُخْتَرِقُ السَّبْعَةِ وَالْأَفْلاكِ ۝ صَحْبَةَ جِبْرَائِيلَ وَالْأَمْسَلاكِ
مَنْ خَلَفَ النَّامُوسَ عِنْدَ الْمُنْتَهَى ۝ وَزَجَّ فِي الْأَنْوَارِ إِذَا لَا مُنْتَهَى
حَتَّى دَنَا مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهِيبِ ۝ وَخَصَّه بِأَعْظَمِ الْمَوَاهِبِ
لَا سِيَّمَا تَحِيَّةَ الْإِكْرَامِ ۝ إِذْ قَابَلَتْ تَحِيَّةَ الْإِعْظَامِ
فَجَاءَ بِالذِّينِ الْحَنِيفِي نَاسِخًا ۝ لِكُلِّ دِينٍ وَاسْتَمَرَ رَاسِخًا
وَلَا يَزَالُ قَائِمًا فِي الْأَرْضِ ۝ شَمْسَ هَدَى فِي طَوْلِهَا وَالْعَرْضِ
يَا فَوْزَ مَنْ وَقَّهَ اللَّهُ إِلَهِي ۝ قَبُولِهِ وَبِالْفُرُوضِ عَمِلًا
فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۝ مُحَمَّدٌ أَرْسَلَهُ الْإِلَهُ
وَقَامَ بِالصَّوْمِ وَبِالصَّلَاةِ ۝ وَمَسْتَطَاعِ الْحَجِّ وَالزَّكَاةِ
يَا رَبَّنَا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى النَّسِي ۝ بِهَا اعْتَصَمِي وَازْدِيَانُ حُلَّتِي
وَبَاتَّبَاعِي شَرَعِنَا الْمُحَمَّدِي ۝ أَقْبَلْ دَعَائِي لِصَلَاحِ وَلَدِي
يَا مُظْهِرَ الْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ ۝ هَوْنٌ عَلَيْنَا سَكْرَةَ الْوَفَاةِ
يَا مُبْدِعَ الْكُونِ بِلا سَبْقِ مِثَالِ ۝ عَلَى نَظَامِ مُتَعَدِّرِ الْمَنَالِ
أَدْعُوكَ بِالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ النَّسِي ۝ أَكْرَمَتَهَا بِهِزْجِ الْجَذَعِ النَّخْلَةِ
وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِالشَّفِيعِ ۝ مُحَمَّدِ طَهَ الْمَشْفَعِ الرَّفِيعِ
بِالْأَنْبِيَا وَالْحَجِّ وَالْفِصَالِ ۝ وَالنُّورِ وَالْمَشْكَاةِ وَالْمُصْبِحِ

بسورة الفرقان أن تغمر نسي * بالرحمتين مع من جاورني
 وكل من أحبني في الله * لله لا لغرض أو جاه
 يا من يرى ولا يرى يا أعلم * منا بنا أنت الحكيم الأعظم
 أجزل لنا من جودك الفيض * ما يبريء القلب من الأمراض
 وجد علينا برضاك الأبيدي * وبرضاي نينا محمد
 بالشعرا والنمل إذا الخلق * والأمر بصرني بعين الحق
 بقصص النبي شعيب والكلبيم * موسى المؤيد بنصرك العظيم
 بالعنكبوت الروم لقمان الحكيم * الواعظ المعروف ذي النوح الجسيم
 بالسجدة الست المنجيات [١٢٩] * وما حوت من باهر الآيات
 اجعل لساني ذاكراً وقلبي * موحداً كي لا أخاف سبسي
 ونجني من فتنه الشيطان * في سكرة الخوف على الإيمان
 وحفني بسر روحك الأمين * وسرني بوجه خير العالمين
 وأولني من نوره المحمدي * عند السؤال ما يقوي عضدي
 يا ربنا بسورة الأحزاب * وما حوت من نصرة الأبواب
 بالسورتين سبأ وفاطر * حل بيننا وبين سوء الخاطر
 يا ربنا بفضل خمس كلمات * قلب الكتاب في رواية الثقات
 أودعتها ياسين من سلام * قولاً إلى رب رحيم سام
 اجمع شتاتي وأزل خصاصتي * واحم مقري واعف عن منقصتي
 بالصاد مع ما قبلها والمكيات * من بعدها هون علينا كل آت
 توسلي بزمر وغافير * لردع كل حاسد مكابر
 توسلي بسجدة في فصلت * ثم بشورى عصبية قد عسلت
 بسورة الزخرف والدخان * لحفظنا من فتنه الشيطان
 بسورة الجاثية الأحقاف * أرجو عفاي وكذا كفاي

توسلي في نيل كل مقصدي
بفتح مكة بما قد فساذا
بمن على الإيمان بالأيمان
اسألك اللهم يا حنان
بالحجرات وبقاف الذاريات
بالطور ثم النجم ثم القمر
بسورة الرحمن ثم الواقعة
بالأس والنفع للذين في الحديد
يا ربنا يا ربنا بقدموع
بسورة الحشر والامتحان
بالصف والجمعة الفضيلة
وارزق عبيدك أتباع أمره
وبالمنافقين والتغابن
واتوسل بسورة الطلاق
بسورة التحريم في أدواء
[١٣٠] بسورة الملك بنون والقلم
بالحق حقق يا إلهي أمني
بنوح والجن وبالمدثر
لعلني أفوز في ما يأتي
يا ربنا بسورة القيامة
بهل أنى والمرسلات والنبا
يا ربنا بعبس وكورت
وبالمطففين الانشقاق
بسورة للمجتبى محمد
به الحبيب يومه وحازا
قد بايعوه بيعة الرضوان
يا حي يا قيوم يا منان
صيانتي من العدا والضاريات
أسبغ علينا غيث خير القدر
هون علينا هول يوم القارعة
حل بيننا وبين ظلام العيذ
لا تجعل الباطن عنك منقطع
لا تخزنا في موقف الميزان
أنعم على الرسول بالوسيلة
والانتها عما نهى بأمره
أسألك الأمن من التباين
إليك في حمايتي يوم التلاق
عتت عن الطيب والدواء
أنقذني اللهم من كل آثم
وبالمعارج تقبل عملي
بعد المزمّل أطل لي عمري
بصالح يرضيك في حياتي
اسألك الصحة والسلامة
أعذني اللهم من شرّ الوبا
بعدهما إذا السماء انفطرت
أفضر علينا وإبل الأرزاق

بسورة البروج ثم الطسارِق * كُنْ حَسْبُنَا فِي أَخَذِ كُلِّ طَارِقٍ
 بسبح اسم ربك الأعلى أقبل * عبداً أتاك بقليل العمل
 ربي بسورة حديث الغاشية * صيراً وجوهنا وجوهاً راضية
 بسورة الفجر ومن صلاه * بالبلد البيت ومن أعلاه
 بالشمس والليل الضحى وبآلهم * إلهي ادفع كل داء قد آلم
 بالتين والزيتون ثم بالعلق * أول سورة بها النبي نطق
 بسورة القدر بفضل ما نزل * فيها من الوحي على ختم الرسل
 بسورة البينة المعروفة * بسورة الزلزلة الموصوفة
 بالعاديات الموريات القارعة * وسورة العصر التكاثر معه
 بسورة الويل لكل همزه * وذلك الأخنس وهو اللمزة
 بالفيل والرحلة والماعون * أسألك النصر على الملعون
 بكوثر المخصوص بالسيادة * أسألك الحسنى مع الزيادة
 لكي أنال بعد ذلك رياء * من حوضه فلا أخاف غيا
 بسورة النفي وبالنصر المسد * يا ربنا وقل هو الله أحد
 ثلث كتابك الأعز في الأثر * أي سنة المحمود رحمة البشر
 ربي توصلت إليك بالفلق * أن تمنح الداعي كل ما سبق
 وبالتعوذ برب الناس * من شر نزع الآيس الوسواس
 اجعل إلهي حسد الحسود * وكيدة في صدره الموقود
 واقرن بذا التوسل الإجابة * يا من إليه العود والإنابة
 والحمد لله مُصلياً على * محمد وصحبه ذوي العُلا
 ما أم بيت الله حادي العيسر * وروح القلب نسيم الدير
 ورتلت السنة الطلأ * وَسَطَ اللَّيَالِي سَوْرَ الْكِتَابِ
 وارتحلت للجدث الأشباح * وانتقلت للبرزخ الأرواح

وفازَ عندكَ الذي قد نَظَمَـهُ ، بسؤالِهِ وحازَ حُسْنَ الخاتِمَةِ
 وإلى الوالدِ رحمه الله يرجع من جهة الأم نسب الشيخ المكي ابن سيدي
 المصطفى ابن عزوز دفين نقطة ، لأن أمه السيدة آمنة بنت المترجم رضي الله عن
 جميعهم ، والشيخ المكي من أبطال العلم وصناديد العمل الصالح ، وله شهرة
 طائفة في البر الجزائري والتونسي ، وتآليفه تكتب بماء الذهب ، ومحاضراته
 دروس لا يستغني عنها طالب علم ، وهو الآن في الأستاذة من منذ عشر سنوات ،
 وكان ذهابه ابتداء بقصد الحج ، ثم بلغه في أثناء الطريق أن السبيل غير مأمونة ،
 ومن طبعه الخوف الشديد والتأثر بكل ما يسمعه ، فحنله الحذر على تأخير الحج
 إلى وقته المأمون ، وزاد في السير يزور مدن الشرق إلى أن قرأ به القرار في
 الأستاذة ، وترك ابنه الكامل ومصطفى ، وقد اجتمعت بالأول في الجزائر ،
 وتوسمت فيه أنه نسخة من والده ، إلا أنه ظهرت فيه سجية من سجايا خال
 أبيه ، وهي وزن الأقوال والأحوال بميزان الاعتبار ، والجواب بكلمة عن
 كلمات ، والتنقيب عن الحقيقة أطال الله عمره ، ومتعنا بحياته وحياة أبيه
 آمين .

كما يتصل به من جهة الأم العلامة الأديب الشيخ محمد الصديق بن محمد
 الصديق الديسي ، وهو من نوابغ العصر في تحصيل العلوم العربية الدينية والأدبية ،
 أدام الله وجوده ونفع به إخوانه آمين .

أما أولاده لصلبه فجامع هذا الكتاب ، وشقيقه الفقيه النبيه السيد المدني ،
 وأخوانا عبد القادر وأحمد ، وأخواتنا سبعة ومن أولادهن السيد محمد السعيد
 ابن محمد أحمد بن أبي القاسم ، وأخوه السيد النذير ، والسيد محمد أبو العلا ،
 وأولاد أولاد المترجم ما ينوف على العشرين نفساً ، منهم ولدي عبد الرحمن
 أطال الله عمر الجميع في صحة وعلم وعافية وهناء وغنى ، وأماننا وإياهم على
 أحسن خاتمه .

سَيِّدِي الصَّادِق

الوليّ الصالح والقمر الواضح ، له بركات ظاهرة ، وأحوال باهرة ،
وأسرار مشتهرة ، ضريحه في الوادي معلوم يزار ، وهو من أهل القرن العاشر ،
أعني أواخره ولا أدري هل بلغ الحادي عشر أم لا .

وأولاده رضي الله عنهم بدور وأهله وأعلام أجلة كالفاضل الولي والصالح
العلي والفقير السني سيدي يحيى بن الموهوب ، ومثله في الفضل سيدي محمد
الموهوب ، وسيدي التواتي ، والفقير سيدي يحيى بن الواثق ، وهو في غاية الفقه ،
تلميذ جدنا ، وقد سمعت منه أنه رأى الشيخ خليل في النوم ، وأخذ بيده إلى [١٣٧]
أن وصل إلى الصندوق المملوء بالكتب ، فأخذ منه كتاباً وأعطاه لي فوجدته
الشيخ بهرام ، وعلمت أنه أذن لي في « مختصر الشيخ خليل » ففتح الله علي بما
لم يفتح به علي غيري ، وقد أخبرني عمي سيدي محمد الصغير إذ هو علامة
زماننا ، أنه كان يتعلم عليه المختصر ، وكان يقرئ من الأجهوري . وأنا وبعض
الطلبة أعني سيدي محمد امزيان في أيدينا الشيخ عبد الباقي والشيخ إبراهيم
(الشبرخيتي) ، فكان قدس الله ضريحه يحصل الشيخ المذكور ويهد به ويحرره .
بأن يترك المكرر منه ، كالشيخين بعده سواء بسواء إلا في عين اللفظ ومآثر
سيدي الصادق وأولاده كثيرة ، نفعنا الله بهم آمين اهـ . ورتيلاني .

صالحُ بنُ محمدِ الزَّوَاوي

صالح بن محمد بن موسى ، أبو محمد الشيخ مجد الدين الحسيني الزواوي ،
ولد ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة ستين ، وتوفي سادس عشر رجب سنة
تسع وثلاثين وثمان مئة (٨٣٩)

أبو طالب الاغريسي

هو الشيخ العالم الفاضل المحقق الكامل الجامع بين الشريعة والحقيقة المجذوب السالك الطريقة سيدي الحاج علي أبو طالب بن البركة الشيخ العلامة سيدي الحاج مصطفى بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار بن الشيخ المشهور بسيدي قادة بن المختار ، المقصود بالزيارة للخاص والعام ، رضي الله عنه .

ولد لستين بقيتا من القرن الثاني عشر بعد الهجرة بمحل يقال له : كاشرو ، قرب معسكر ، وتوفي منتصف رمضان المعظم عام ثمانية وخمسين ومئتين وألف (١٢٥٨) بأرض أولاد ميمون ، بقرب تلمسان على نحو أربع ساعات ، ودفن داخل مقام شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث رضي الله عنه ، بقرية العباد خارج تلمسان ، بوصية منه بعد أن كان دفن بالأرض المتوفى بها جبراً من أهلها بقصد التبرك به ، إذ هم من جملة خدام الدار ، ثم بعد أيام سرقة أولاده ليلاً ، وأخذوه إلى حيث أوصى .

كان رضي الله جامعاً بين المعقول والمنقول ، والشريعة والحقيقة ، مهاباً ذا صورة حسنة وهيأة مستحسنة ، توفي والده موتركة في حجر أخيه الشيخ سيدي الحاج محيي الدين وسينه إذ ذاك نحو الاثنتي عشرة سنة ، فأمم القرآن ، واشتغل بطلب العلم ، فقرأ النحو والفقه والحديث وغير ذلك على أخيه المذكور ، وعلى الشيخ العلامة سيدي الحاج أحمد بن المكّي الخروي قاضي معسكر .

الطاهر المختاري

منور الباطن والظاهر الفقيه السيد الطاهر حسن بن العلامة المختاري السيد السند الفقيه النجيب ، الماشي في روض العلم الخصيب ، الحائز من زهرة الزاهي أوفر نصيب ، الذي جفاه الكسل والوسن واكتحل بإثم المطالعة مما يحب ويستحسن .

[١٣٣] قرأ على والده النحو، وانفرد في قراءة الفقه على الشيخ الحلوي من رحلة
اهـ. المشرفي .

الطاهرُ القسطنطيني

طاهر بن زيان الزواوي القسطنطيني الشيخ الفقيه الصوفي الولي الصالح
العارف بالله ، نزيل المدينة المشرفة .

أخذ عن الإمام القطب سيدي أحمد زروق ، وعن ولده الشيخ أحمد
زروق الصغير ، وانتفع بهما .

وله تأليف في التصوف « كترهه المرید في معاني كلمة التوحيد » في ثلاثة
كراريس ، ورسالة « القصد إلى الله » في كراسين . وتوفي بعد الأربعين وتسع
مئة (٩٤٠) .

العاقبُ بنُ عبدِ اللهِ التنبكي

العاقب بن عبد الله الأصمعي المسوفي من أهل أكداس ، بلدة قريبة من
بلاد السودان عمرها صنهاجة ، فقيه نبيه ذكي الفهم ، حاد الذهن ، وقاد
الخاطر مشغل بالعلم ، في لسانه حدة .

له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل و « خصصت نية الحالف »
حسن مفيد جداً ، اختصرته مع كلام غيره في جزء سميته « تنبيه الواقف على
تحرير وخصصت نية الحاليف » وألف جزءاً في وجوب الجمعة ، وخالف
غيره من شيوخ بلده ، وراسلوا علماء مصر فصوبوه ، و« الجواب المجدود عن
أسئلة القاضي محمد بن محمود » و« أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير » ، أجاب
فيها السلطان اسفر الحاج محمد وغيرها .

أخذ عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيرة ، وعن الإمام السيوطي لما حج
وغيرهما ، ووقع له منازعة مع الحافظ مخلوف البلبلي في مسائل .
كان حياً قريباً من الخمسين وتسع مئة اهـ . « نيل الابتهاج » .

العاقبُ بنُ محمدِ بنِ عمرِ التنبكتي

العاقب بن محمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى قاضي
تنبكتو .

كان رحمه الله مشدداً في أحكامه ، صلباً في الحق ثباتاً فيه ، لا تأخذه في
الله لومة لائم ، قوي القلب مقداماً في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره ،
جسوراً على السلطان فمن دونه ، وقع له معهم وقائع ، وكانوا يخضعون له
ويطأوعونه في كل ما أراد ، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء ، وسد
بابه ، ثم يلاطفونه حتى يرجع ، وقع له مراراً . موسعاً عليه في دنياه مجدوداً
في أموره مع التحري والتوقي .

أخذ عن أبيه وعمه ، ورحل وحج ، ولقي الناصر اللقاني ، وأبا الحسن
البكري ، والشيخ البسكري وتلك الطبقة ، أجازه اللقاني جميع ما يجوز له
وعنه ، وأجاز كذلك هو سيدي أحمد بابا التنبكتي ، وكتب له بخطه .

[١٣٤] مولده سنة ثلاث عشرة وتسع مئة (٩١٣) ، وتوفي حادي عشر رجب
عام أحد وتسعين وتسع مئة (٩٩١) .

عبدُ الحقِّ الأنصاري البجائي

الشيخ أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمير الأنصاري ، أصله من إبله ، وجده عمير هو الواصل إلى بجاية مستوطناً ، ولد ببجاية ، وقرأ بها ، ولقي مشايخ .

وكان رحمه الله روح بلده ومصره . ووأسطة أهل زمانه وعصره ، كان يحمل فنوناً من العلم: الفقه ، والأصلان أصول الدين وأصول الفقه ، والمنطق والتصوف ، والكتابتان الشرعية والأدبية ، والفرائض والحساب ، وكان ابن مقله زمانه ، له خطوط جميلة وأخلاق حسان لم تكن لغيره ، وكانت فيه دعابة مستحسنة مستزفة ، وكان من أملح الناس نوادر على طريقة أمثاله من فضلاء أهل العلم والتخلق ، وكان إذا أثني عليه بحسن الخلق يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أول ما يُوضَعُ في الميزانِ الخُلُقُ الحسنِ » ^(١) ومن لم يكن عنده أول ما يوضع في الميزان ، لم يكن عنده غيره ، إن هذا يجري مجرى الأنفاس .

تخطط في بلده بالعدالة ، وكانت له صفة ، وناب عن القضاء في الأحكام مطلقاً وكان هو المشاور عندهم والمعول على ما عنده ، وكان هو القاضي على القضاة بالحقيقة ، لأن مرجع أمرهم إنما كان إليه ، وكان له باطن سليم . سمعته رحمه الله يقول : والله ما بات قط في نفسي شر لمسلم ، فجزاه الله بنيته وعامله بالحسنى عن طويته ، وكان مُصمّماً مفوّهاً ، حسن العبارة ، مليح الإشارة ، أربى في وثائقه على من تقدم ، لورآه أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم لا تبعه ، ولقد رأيت الشيخ أبا محمد عبد الحق بن سبعين رحمه الله أثني عليه في بعض كتبه ثناء حسناً ، وذكر حاله في الوثيقة ، والوثيقة مع هذا إنما

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » من حديث أم الدرداء ، وسنده ضعيف .

هي صفة من صفاته ، وأخرى من حاجاته ، ولما كانت معرفته باللسان بمواقع المعاني مجملة ومفصلة ، وبالأحكام كلية وجزئية على حال إحاطة ، تقدمت وثيقته الوثائق ، وأماطت الشبه والعلائق ، وسمعت عن الفقيه أبي المطرف ابن عميرة أنه قال : ومن طرائف أخباره ومُلح آثاره ، مما رأيت وشهدت ، ما تصفي له الآذان ، ويسعد به الفؤاد والجنان ، ولقد أُجيب في دعوة أبيه ، سمعت أنه لما حج دعا له حيث يجاب ، فقال : يا عبد الحق رزقك الله لفظاً وخطاً ، فكان كذلك ، وقد نظم في مدة قراءته على الشيخ أبي الحسن الحرالي القصيدة التصوفية ، وكانت من نحو خمس مئة بيت ، فلخصها له الشيخ رحمه الله في هذه الأبيات ، انتقاها منها وترك ما عداها وهي :

سَفَرْتُ عَلَى وَجهِ الْجَمِيلِ فَاسْفُرَا * وَبَدَا هِلَالُ الْحُسْنِ مِنْهَا مُقْمِرَا
 وَدَنَتْ مَكَاشِفَةَ الْقُلُوبِ بِأَسْرِهَا * وَسَقَتْ شَرَابَ الْأَنْسِ مِنْهَا كَوْثُرَا
 وَرَأَيْتُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ أَبْصُرْتُ * عَيْنَايَ حَتَّى عَدَدْتُ كُلِّي مُبْصُرَا
 وَسَمِعْتُ نَطْقَ النَّاطِقِينَ فَكُلُّهُمْ * بِالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ عَنْهَا أُخْبِرَا
 وَبِهَا رَكِبْتُ زَوَاخِرًا مِنْ حُبِّهَا * وَلَبِئْسَتْ سِرَّ السَّرِّ ثَوْبًا أَحْمُرَا
 وَبِهَا فَنَيْتُ عَنِ الْفَنَاءِ وَغُصْتُ فِي * مَاءِ الْحَيَاءِ مُسْرِمِدَا وَمُدَهَّرَا
 فِي الْمَاءِ يَظْهَرُ كُلُّ شَيْءٍ كَأَنَّ * وَبِهِ يُرَى مَثَلُ الْوُجُودِ مَصُورَا
 وَأَنَا أَرَى فِي كُلِّ مَاءٍ مَاءَهُ * وَأَرَى وَرَاءَ الْمَاءِ مَاءَ آخِرَا
 فَإِذَا وَصَلْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَرَاجِعُنْ * تِلْكَ الْمَنَازِلَ نَقْلَةً مَتَفَكَّرَا
 فَمَتَى أَرَدْتُ إِبَانَةَ عَنْ بَعْضِ مَا * فِي الْقَلْبِ مِنْ سِرِّ مَصُونِ عَجْرَا
 فَارْفَعْ بِهِ ظِلْمَ الْحِجَابِ فَرَفَعُهَا * يُنْجِيكَ مِنْ غَرَسِ الْمَنَى مَا أَثْمِرَا
 فَتَرَاهُ حِينَ تَرَاكَ ذَاتًا رَافِعًا * لِلْبَسْرِ حَتَّى لَا تَرَى إِلَّا الْعِرَا
 فَهَنَّاكَ يَفْتَحُ بَابَهُ وَلَطَالَمَا * قَدْ كَانَ قَبْلَ مِيبَمَا مَتَعِذْرَا
 أَفْصَاحُ نَحْوِي لَا تَفِي بِمَوَاجِدِي * وَبَيَانُهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِمَا جَرَا

لو كان سِرُّ الله يُكشَفُ لم يَكُنْ * سِرّاً ولكن لم يَكُنْهُ لِيُذَكَّرَا
قلتُ : وهذه القصيدة حسنة المعنى قدسية المبنى ، ولقد وقع الحديث
معه في حديث مقتضياتها ، ونظم مفرداتها من دوحاتها ، وكان أكثر الناس
إنصافاً في المذاكرة ، عرض عليه قضاء بجاية فامتنع منه ، ووصل إليه كتاب
المستنصر بقضاء قسنطينة حرسها الله فاعتذر ، وتعطف في الاستعفاء عنه ،
وسمعت كثيراً من أهل العلم يثنون عليه ويقولون : إنه لم يكن في وقته بمغربنا
الأوسط مثله .

توفي رحمه الله في الثامن والعشرين لربيع الأول من عام خمسة وسبعين
وست مئة (٦٧٥) ، ودفن بخارج باب المرسى ، وكان له مشهد لا يكون
إلا لأمثاله ، وتاريخ وفاته في رخامة وضعت لحداً على قبره ، وكتب فيها
بيتان هما من نظم الأديب الفاضل أبي نصر الجيني :

بكِتُكَ عبدَ الحقِّ حقاً لأنني * بكِتُ بكَ الدنيا وما في جميعها
مِنَ الدِّينِ والافضالِ والعِلْمِ والحجى * وإن كُنْتُ زينَ الدِّينِ زهرَ ربيعها
وكانَ رحمه الله أعلى الناس همة ، وأرفعهم منزلة ، وكان إذا أولى
المعروف لا يذكره ، وربما من فعل معه لا يعلم أنه هو الفاعل له ، إنما قصده
وصول النفع إلى الموصل إليه ، علم ذلك أو لم يعلمه ، ومن ذلك ما هو مشهور
عند أصحابنا وهو أن القاضي أبا إسحاق ابن عياش ، رحمه الله أيام كان
بجاية ساعياً في نيل الخطة ، وعاملاً على تحصيل الحظوة ، سعى في شأنه
عند القاضي الجليل أبي محمد بن الطير أن يرسمه برسم العدالة ، ويقدمه
للشهادة فطلبه أن يكتب فيه رسماً يتأهله لذلك ، تحوطاً منه فكتب رسماً وشهد
فيه ، وشهد معه شاهد آخر استكتمه الفقيه في ذلك ، وأعطى الرسم للقاضي
فأذن له في الشهادة ، وبقي القاضي مدة بقاءه بها ، وانفصل إلى افريقية ،

وانتقل أيضاً أبو إسحاق ابن عياش إلى حاضرة تونس واستوطنها ، وكان أحد [١٣٦] عدولها المنتصبين للوثيقة بها ، وتوفي القاضي أبو محمد ابن الطبر بعد مدة بتونس ، ووقع الحضور لتركته ، وحضر لها شهيدان لا نعلم هل القاضي أبو إسحاق واحد منهما ، فوجد الرسم في تركته واطَّلَع عليه القاضي ابن عياش فتعجب كل العجب ، وأثنى عليه الشيخ رحمه الله بما وجب ، وقال : والله ما شعرت بهذا قط ولا عرفت ودخلت عليه ، رحمه الله ، في مرضه الذي توفي فيه ، فتألمت لألمه وذرفت عيناى لما اعتراه من سقمه ، فقال لي : يا فلان والله ما بي موتي ، وإنما بي ما قاله أفلاطون لأصحابه لما حضرته الوفاة ، وحضروا عنده قال : والله ما بي أن أموت ، وإنما بي أن أموت ولم أرق بأصحابي إلى مراقبهم التي اقتضتها صفاتهم ، واستحققتها ذواتهم ، فشكرته على ذلك ، وعاقه الأمل بالحياة وطول البقاء إلى أن يوفي لأصحابه ، بما جبلت عليه نفسه الكريمة من الوفاء اهـ . من «عنوان الدراية» باختصار .

واختصره في «نيل الابتهاج» بما نصه : عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري ، ولد ببجاية ، وقرأ بها على مشايخ ، وكان روح بلده ومصره ، وواسطة نظام أهل عصره ، عنده فنون من العلم من فقه وأصلين ومنطق وتصوف والكتابتين الشرعية والأدبية ، حسن الخلق إذا أثنى عليه به يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن»^(١) ومن لم يكن عنده أول ما يوضع في ميزانه لم يكن عنده غيره لأنه الأساس .

ناب عن القضاة في الأحكام ، وهو المشاور عندهم والمعول عليه ، بل هو القاضي على القضاة في الحقيقة لرجوعهم إليه ، كان سليم الباطن سمعته يقول :

(١) تقدم تخريجه في الصفحة ٢٠١ .

والله ما بت قط في نفسي شر لمسلم ، جزاه الله عن نيته ، وكان مفوهاً حسن العبارة ، عرض عليه قضاء بجاية فامتنع ، توفي ثامن وعشري ربيع الأخير سنة خمس وسبعين وست مئة (٦٧٥) ببجاية .

سيدي عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني

العلامة الفهامة الولي الهمام الشيخ السيد الحاج عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة ابن مامش باش تارزي الجزائري منشأ القسنطيني داراً ، ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة .

كان وحيد دهره علماً وحكمة واثقاً وصلاً ، ومن مؤلفاته « عمدة المرید » في بيان الطريقة ، لم ينسج ناسج على منوالها ، و« منظومة الرحمانية » التي شرحها ابنه الشيخ مصطفى ، وله بعض قصائد وموشحات غريبة ، وغنية المرید شرح نظمه مسائل التوحيد ، وهي ٤٥ مسألة ، وفي شرحها من التحقيق ما يدل على أن الشيخ يتكلم عن بصيرة وعلم لُدني ، وأحسن ما علق بذهني منه أن للهيلة ذكرين شرعي واصطلاحی ، والشرعي له شروط عربية لغوية ونحوية وتجويدية ، والاصطلاحی ليس له إلا شرط واحد قلبي ، وهو استحضار المعنى عند ذكر الكلمة المشرقة ، سواء حصل الشرط العربي أو لم يحصل ، وبهذا التقرير يرجع اللوم على من أبطل ذكر العوام أو الأمة . [١٣٧]

وفي « الروض الباسم »^(١) : صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الفاخرة ، والحقائق الباهرة ، والعلوم اللدنية والمعاني النورانية ، والفتح الموثق والكشف المشرق ، والباع الطويل ، والإيضاح عن حقائق الآيات ، والنظر المخارق

(١) في ترجمة الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم لابن أخيه العلامة سيدي محمد بن الحاج محمد الهاملي .

لعرائس المغيبات ، والمجلس العالي في حضرة القدس ، والمقر السامي في أرائك
 الأنس ، والمنهاج الموطوء على متن الملكوت إلى ملك الجبروت ، وله اليد
 البيضاء في معاني المشاهدات وعلوم المنازلات ، وهو أحد من أظهره الله إلى
 الوجود ، وصرفه في الكون ، وخرق له العادات ، وأجرى على لسانه الحكم ،
 ومكنه من الأحوال في النهاية ، وملكه أسرار الولاية ، ونصبه حجة وقدوة ، وهو
 أحد أركان هذا الشأن علماً وعملاً وزهداً وتحقيقاً ورياسة وجلالة اهـ .

وتوفي رحمه الله سنة ١٢٢٢ أو ١٢٢١ .

عبد الرحمن بن محمد الجزائري

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح ، الشيخ الفقيه
 النحوي الأستاذ اللغوي العدل الرضى ، أصله من الجزائر . ورحل إلى إشبيلية ،
 وقرأ بها ، ولقي أبا الحسن بن زرقون ، وأبا بكر بن طلحة ، وأبا عبد الله
 محمد بن علي بن طرفة ، وغير هؤلاء .

وروى وحصل ، وأجاز له أبو الحسن بن زرقون إجازة خاصة وعامة ،
 فيما نص عليه وعينه ، وعامة فيما لم يعينه حسبما اقتضى ذلك كله ، رسم
 إجازته له وكتب له بذلك بخط يده ، وذلك في عقب ذي القعدة سنة خمس
 عشرة وست مئة (٦١٥) ، وهو أول من أدخل كتاب « الأنوار في الجمع
 بين المنتقى والاستذكار » إلى العدو نسخة بخط يده ، وكان بارع الخط
 حسن الضبط ، استوطن بجاية وأقرأ بها ، وتخطط بالعدالة وناب عن القضاة
 في الأنكحة .

وكان فاضلاً خيراً مرضياً ، ويتصل إسناد الغبريني صاحب « عنوان الدراية »
 عنه عن شيخه أبي عبد الله القلمي عنه ، عن أبي الحسين بن زرقون ، عن
 أشياخه رحمهم الله ، وتوفي سنة تسع وعشرين وست مئة (٦٢٩) .

ابن الوقاد
عبد الرحمن بن محمد التلمساني

العلامة المحدث أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التلمساني عرف بابن
الوقاد .

كان رحمه الله إماماً مشاركاً في عدة فنون ، منقطع القرين في خفض
الجناح ولين الجانب ، ولي مكان أبيه وتصدر للتدريس بمدينة تارودانت ،
فكان عليه المدار فيها .

أخذ عن أبيه ، وسيدي أحمد بابا السوداني ، وأبي عثمان سعيد الهوزالي ،

[١٢] ومن أشياخه أيضاً إمام الدين الخليبي ، وافد المشرق على الإيالة المنصورية ،
وكان الخليبي جال في البلاد ولقي المشايخ بالحجاز ومصر والشام ، وسكن
القسطنطينية مدة ، ومنها انتقل لمراكش ، فترلها قال أبو زيد : أنشدني الخليبي
قال : أنشدني أبو البركات العطوي لنفسه :

عن النبي أتانا مَنْ رأى امرأة * فحلَّ في قلبه للحسن موقِعها
أن يأتي زوجته وليقض حاجته * فإنَّ ما معها هو الذي معها

توفي الخليبي في رجوعه من تارودانت بمراكش قتيلاً بالطريق سنة
٩٩٩ ، ووقعت بين صاحب الترجمة وبين الإمام أبي زيد التمارتي منازعة
في مكتب ، فاستخفه صاحب الترجمة ، فقام في ذلك أبو زيد التمارتي .
وقعد وأبرق وأرعد ، ولم يكتف بالتخطية حتى خرج للمشاتمة حسبما في
فوائده ، والله يسامح الجميع بمنه ، وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران
بعضهم في بعض لا يقدح ، ولصاحب الترجمة أيضاً مراجعة مع القاضي أبي
مهدي السجستاني في أرض تارودانت ، هل يصح تملكها أم لا ؟ حسبما

يوقف عليه في أسئلة أبي مهدي المذكور توفي رحمه الله عام ١٠٥٧ .

أبو يحيى

عبد الرحمن بن محمد التلمساني

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني المشهور بأبي يحيى الشريف الإمام العلامة المحقق الأعراف ابن الإمام العلامة المحقق أبي عبد الله الشريف .

كان من الآيات في القيام بتحقيق العلوم والاتقان لها ومعرفتها ، محققاً نظاراً حجة ، قال الإمام أبو العباس : الإمام العلامة الأوحى الشريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ابن العلماء الأئمة اهـ . وقال بعض من عرّف به وبأبيه وأخيه : ولد آخر ليلة التاسع عشر من رمضان عام سبعة وخمسين وسبع مئة ، وبشر به أبوه في منامه كأخيه ، وكان ليلة مولده بات مع أبيه الفقيه أبو زيد بن خلدون ، والقاضي أبو يحيى بن السكّك ، فطلب منه كل أن يسميه باسمه فسماه عبد الرحمن ، وكناه أبا يحيى ، وكان يحبه أبواه شديداً ، ويتفرس فيه أبوه .

قرأ عليه ابن الحاجب الأصلي و«الموطأ» ، وحفظ ودرس في حياته ، ثم لما مات أخذ عن أخيه علوماً جمّة ، وقرأ عليه كتباً كثيرة ، وعلى العالم الصالح أبي عثمان العقباني أصلي ابن الحاجب ، وجمل الخونجي ، وحضر عليه في التفسير ، وعلى الأستاذ الصالح ابن حيّاتي الغرناطي المقرّب ، والزجاج ، وسمع من الشيخ العالم أبي القاسم بن رضوان «صحيح مسلم» و«شفاء عياض» وأجازه .

وجد في الطلب حتى ارتفع قدره وتعجب منه الأشياخ ، ولقد سمعت

شيخنا الفقيه الصالح أبا يحيى المطغري يقول : حضرت مجالس العلماء شرقاً وغرباً فما رأيت ولا سمعت مثل أبي عبد الله وولديه . ولما مرض أخوه عبد

[١٣٩] الله أمره بالجلوس في موضعه للإقراء ، فامتنع تأديباً حتى عزم عليه . فساعفه سنة أربع وثمانين ، وبلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف الإلهية . وارتقى مراقي الزلفى ، ورسخ قدمه في العلوم ، وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح . ولما وقف عليه أخوه عبد الله كتب عليه : وقفت على ما أولتموه وفهمت ما أردتموه ، فألفيته مثبتاً على قواعد التحقيق والإيقان ، مؤدياً صحيح المعنى بوجه الإبداع والإتقان ، بعد مطالعة كلام المفسرين . ومراجعة الأفاضل المتأخرين ، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم اهـ ملخصاً .

قال ابن مرزوق الحفيد : توفي سيدنا الشريف العلامة أبو يحيى مع الفجر سادس وعشري رجب عام ستة وعشرين وثمان مئة (٨٢٦) هـ . أخذ عنه جماعة كالشيخ أبي زيد الجادري ، والعلامة بن زاغوا ، وأثنى عليه غاية وأعتد عليه ، والشيخ أبي عبد الله القيسي ، وكان قد دخل فاس ، وأقرأ بحضرة سلطانها وفقهائها رحمه الله .

عبد الرحمن وعيسى

ابنا الإمام الشريف التلمساني

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبو زيد الإمام العلامة الجليل الكبير المجتهد الشهير هو وأخوه شقيقه أبو موسى عيسى بابني الإمام ، التلمسانيان الصالحان الراسخان ، والعلمان الشامخان ، المشهوران شرقاً وغرباً ، الحافظان العلامتان .

ذكرهما ابن فرحون في « الديباج » قال : أبو زيد شيخ المالكية بتلمسان : العلامة الأوحى أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البركشي ، وهما

فاضلا المغرب في وقتها ، وكانا خصيصين بالسلطان أبي الحسن المريني ، تخرج بهما كثير من الفضلاء ، لهما التصانيف المفيدة والعلوم النفيسة ، توفي أبو زيد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة (٧٤٣) هـ .

قال تلميذهما الإمام المقرئ : كانا رحلا في شبابهما من بلدهما تلمسان إلى تونس ، فأخذا بها عن ابن العطار ، والبطرني ، وتلك الطبقة ، وأدركا المرجاني من أعجاز المئة السابعة ، ثم وردا في أول المئة الثامنة تلمسان على أمير المؤمنين ، وهو محاصر لها ، وفقهه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن يخلف التنسي ، ورحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين وسبع مئة ، فلقيا علاء الدين القونوي ، وكان بحيث يقال : لا نظير له ، ولقيا أيضاً الجلال القزويني صاحب « التلخيص » ، وسمعا البخاري على الحجار ، وقد سمعت عليهما ، وناظرا التقي بن تيمية فظهرا عليه ، وكان ذلك من أسباب محنته ، وكانت للتقي المذكور مقالات شنيعة ، من حمل حديث النزول على ظاهره ، وقوله فيه كتزولي هذا .

ء

[١٤٠] قلت : وهذه الزيادة أعني قوله كتزولي هذا أثبتها عليه ابن بطوطة . فذكر في « رحلته » أنه حضر ابن تيمية يوماً ، وهو على المنبر فذكر حديث النزول ثم قال : كتزولي هذا فنزل عن درجة المنبر إلى التي تحتها هـ . نعوذ بالله من تلك المقالة ، ومنهم من قال : لم يثبت عنه ، والله أعلم .

قال المقرئ : وكانا يذهبان إلى الاجتهاد وترك التقليد ، وحسبك ما صار لهما من الصيت بالمشرق ، ولما حلت بيت المقدس ، وعرف مكاني من الطلب ، وتناظرت مع بعضهم أتى إلي بعض المغاربة فقال لي : إن مكانك في النفوس مكين ، وقدرك عندهم رفيع ، وأنا أعلم أخذك عن ابني الإمام فإن سئلت

فانتسب إليها ، وقل سمعت منهما ، وأخذت عنهما ولا تعدل عنهما فتضع من قدرك ، فما أنت عند هؤلاء الناس إلا خليفتهما ، وإن الأمر وفقهما . قال المقرئ : وكان أبو زيد رحمه الله من العلماء الذين يخشون الله ، حدثني أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان أن والده أمير المؤمنين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد ، فقال له أبو زيد : لا يصلح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب ، قال : وكان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول الرسالة : وإذا سلم الإمام فلا يثبت ، ولينصرف : أنه بقدر ما يسلم من خلفه لثلاثاً يمر بين يديه أحد ، وقد ارتفع حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الأدلة ، قال المقرئ : وهذا من مליح الفقه .

قال ابن خلدون في « التاريخ الكبير » : ابنا الإمام كانا أخوين من أهل برشك من عمالة تلمسان ، أكبرهما أبو زيد ، وأبوهما إمام برشك قتله المتغلب يومئذ على البلد زيري بن حماد ، لاتهامه بوديعة من مال بعض أعدائه طالبه بها فامتنع ، وارتحل ولداه إلى تونس آخر المئة السابعة فقرأ العلم بها [١٤١] على تلاميذ ابن زيتون ، وتفقهها على أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ، وانتقلا للمغرب بحظ وافر من العلم ، فأقاما بالجزائر ييثان العلم بها لامتناع برشك عليهما من أجل متغلبها زيري ، والسلطان أبو يعقوب صاحب المغرب الأقصى محاصر يومئذ لتلمسان حصاره الطويل ، قد غلب على نواحيها ، فارتحلا إلى مليانة فقربهما منديل الكناني ، واتخذهما لتعليم ولده ، ثم هلك يوسف بن يعقوب صاحب المغرب سنة خمس وسبع مئة ، فملك واصطاح مع صاحب تلمسان ، فعاد للمغرب مع الكناني هذان الأخوان ، فأوصلهما إلى أبي حمو ، وأثنى عليهما فاغبط بهما أبو حمو ، واختط لهما المدرسة

بتلمسان . فأقاما عنده على هدى أهل العلم وسنتهم ، ثم مع ابنه أبي تاشفين إلى أن ملك أبو الحسن تلمسان سنة سبع وثلاثين ، وكانت لهما من الشهرة في أقطار المغرب ما أثبت لهما في أنفس الناس عقيدة صالحة ، فأدناهما وأشار بتكرمتها . ورفعهما عن أهل طبقتهما ، وأجمل مجلسه بهما ، وحضرا معه واقعة طريف . وعادا لبلدهما فتوفي أبو زيد وتبوا أبو موسى الكرامة ، ثم صحبه إلى إفريقية سنة ثمان وأربعين مكرماً موقراً عالي المحل قريب المجلس ، فلما استولى على إفريقية سرحه إلى بلده ، فأقام يسيراً ، ومات في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين . وبقي أعقابهما بتلمسان في تلك الكرامة طبقاً عن طبق إلى هذا العهد اهـ .

قال المقرئ رحمه الله : شهدت مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن موسى قرىء فيه على أبي زيد بن الإمام حديث « لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (١) فقال له الأستاذ أبو إسحاق ابن حاكم السلوى : هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك محتضركم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنع به ، وكنت قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت : زعم القرافي : أن الشيء إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال ، مختلفاً فيه في الماضي إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً ، وعلى هذا لا مجاز ، لا يقال : احتج عليه بما فيه نظر لأننا نقول : إنه نقل الإجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكره هو ، بل نقول : أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، ثم إنا لو سلمنا نفي الإجماع فلنا أن نقول ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقيه قبل ذلك إن لم يدهش فقد يوحش ،

(١) أخرجه مسلم (٩١٦) وأبو داود (٣١١٧) والترمذي (٩٧٦) والنسائي ٥/٤ من حديث أبي سعيد الخدري . وأخرجه مسلم (٩١٧) من حديث أبي هريرة .

فهو تنبيه على محل التلقين أي : لقنوا من تحكمون بأنه ميت ، أو نقول :
إنما عدل إلى الاختصار لما فيه من الإبهام اهـ . بنقل ابن الخطيب في « الإحاطة »
قلت : ومن تأليف أبي زيد شرحه على ابن الحاجب الفرعي ، ولا أدري [١٤٢]
هل كمل أم لا .

وأخذ عنهما جماعة من الأئمة لا يحصون كالشريف التلمساني ، والمقري ،
وأبي عثمان العقباني ، والخطيب ابن مرزوق الجد ، وأبيه ، وعمه ، وأبي
عبد الله اليحصبي في آخرين ، وقال أبو العباس الونشريسي : وأما بنوا الإمام
فأعلامهم طبقة الشيخان الراسخان الشامخان العلمان المفتيان الشقيقان الفقيه
العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الانصاف شرقاً وغرباً أبو زيد ،
والعلامة النظار آخر أهل النظر ، وجامع أشات المعارف أبو موسى ابنا الإمام ،
ثم الشيخ أبو سالم إبراهيم بن أبي زيد ، وابن عمه الشيخ الصالح أبو محمد
عبد الحق بن أبي موسى ثم العلامة القاضي الرحال أبو الفضل بن أبي سالم .
لم يبق لهما الآن عقب بتلمسان إلا صاحبنا وتلميذه الخير الفاضل أبو العباس
أحمد بن أبي الفضل المذكوراهـ .

قال المقري : ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى في « الإحاطة » شيوخ
مولانا الجد ، فلنذكرهم من جزء الجد الذي سماه « نظم اللآلي في سلوك
الأمالي » ومنه اختصر لسان الدين ما في « الإحاطة » في ترجمة مشيخته فنقول :
قال مولاي الجد رحمه الله تعالى فممن أخذت عنه ، واستفدت منه علماها
يعني تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى
عيسى ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام ، وكانا قد رحلا في شبابهما من
بلدهما برشك إلى تونس ، فأخذا بها عن ابن جماعة ، وابن العطار ، واليفرني ،
وتلك الحلبة ، وأدركا المرجاني ، وطبقته من أعجاز المئة السابعة ، ثم وردا
في أول المئة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبي يعقوب ، وهو محاصر لها .

وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن يخلف التنسي ، وكان قد خرج إليه برسالة من صاحب تلمسان المحصور ، فلم يعد وارتفع شأنه عند أبي يعقوب حتى إنه شهد جنازته ، ولم يشهد جنازة أحد قبله ، وقام على قبره . وقال : نَعَمْ الصاحب فقدنا اليوم حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان أبو عبد الله محمد ابن محمد بن مرزوق العجيسي أن أبا يعقوب طلع إلى جنازة التنسي في الخيل حوالي روضة الشيخ أبي مدين فقال : كيف تتركون الخيل تصل إلى ضريح الشيخ ؟ هلاً عرضتم هنالك خشبة وأشار إلى حيث المعراض الآن . ففعلنا فلما قتل أبو يعقوب ، وخرج المحصوران أنكرا ذلك ، فأخبرتهما ، فأما أبو زيان . وكان السلطان يومئذ ، فنزل وطأطأ رأسه ودخل . وأما أبو حمو وكان أميراً فوثب خلفها ، ولما رجع الملك إلى هذين الرجلين اختصا بابني الإمام ، وكان أبو حمو أشد اعتناء بهما ، ثم بعده ابنه أبو تاشفين ، ثم زادت حظوتهما عند أمير المسلمين أبي الحسن ، إلى أن توفي أبو زيد في العشر الأوسط من رمضان عام أحد وأربعين وسبع مئة (٧٤١) بعد وقعة طريف بأشهر ، فزادت مرتبة أبي موسى عند السلطان إلى أن كان من أمر السلطان بافريقية ما كان في أول عام [١٤٣] تسعة وأربعين (٧٤٩) ، وكان أبو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة ، فتوجه صحبة ابنه أمير المسلمين أبي عنان إلى فاس ، ثم رده إلى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ، فكان عنده إلى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام ، قال خطيب الحضرة الفاسية أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي : لما أزمع الفقيه ومَنْ أطلق معه على القفول إلى تلمسان بتُّ على تشييعهم فرأيتني كأني نظمتُ هذا البيت في المنام وعند وداع القوم ودَّعتُ سلوتي . وقلتُ لها : بيني فانتِ المودِّعُ فانتبهت وهو في في ، فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله ، ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق ، رحل الفقيهان إلى المشرق في حدود

العشرين وسبع مئة ، فلقيا علاء الدين القونوي ، وكان بحيث إني لما رحلت
 فلقيت أبا علي حسين بن حسين ببجاية قال لي : إن قدرت أن لا يفوتك شيء
 من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل ، فإنه لا نظير له . ولقيا أيضاً
 جلال الدين القزويني صاحب « البيان » وسمعا « صحيح البخاري » على الحجار .
 وقد سمعته أنا عليهما ، وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه ، وكان ذلك
 من أسباب محنته ، وكانت له مقالات فيما يذكر ، وكان شديد الإنكار على
 الإمام فخر الدين ، حدثني شيخي العلامة أبو عبد الله الإيلي أن عبد الله بن
 إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه :

محصلٌ في أصول الدين حاصلُهُ * من بعد تحصيله علمٌ بلا دينٍ
 أصلُ الضلالة والإفك المينِ فما * فيه فأكثره وحي الشياطينِ

قال وكان في يده قضيب فقال : والله لو رأيت لضربته بهذا القضيب ،
 هكذا ثم رفعه ووضع ، وبحسبك ما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق ،
 وإني لما حللت بيت المقدس ، وعرف به مكاني من الطلب ، وذلك أني قصدت
 قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لي يده على رسم استوجب به هنالك حقاً ،
 فلما اطلعت عليه عرفه بي بعض من معه ، فقام إلي حتى جلست ثم سألتني بعض
 الطلبة بحضرته ، فقال لي : إنكم معشر المالكية تبيحون للشامي يمر بالمدينة
 أن يتعدى ميقاتها إلى الجحفة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
 أن عين المواقيت لأهل الآفاق : « هُنَّ لَهْنٌ وَلَمِنْ مَرَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ » (١)

(١) أخرجه البخاري ٣٠٧/٣ في الحج : باب مهل أهل الشام . وباب مهل أهل مكة للحج والعمرة .
 وباب مهل من كان دون المواقيت ، وباب مهل أهل اليمن ، وباب دخول الحرم ومكة بغير إحرام .
 ومسلم (١١٨١) في الحج : باب مواقيت الحج والعمرة ، من حديث ابن عباس قال : وقت رسول
 الله ﷺ لأهل المدينة ، ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل . ولأهل اليمن
 يللم ، قال : « فهن لهن ، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ، ممن أراد الحج والعمرة ، فمن كان
 دونهن فمن أهله ، وكذا فكذلك ، حتى أهل مكة يهلون منها » (ش) .

وهذا قد مرَّ على ذي الحليفة ، وليس من أهله ، فيكون له ، فقلت له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من غير أهلون » أي من غير أهل المواقيت ، وهذا سلب كلي ، وإنه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه ، وهو الإيجاب الجزئي عليه ، لأنه من بعض أهل المواقيت قطعاً ، فلما لم [١٤٤] يتناوله النص رجعنا إلى القياس ، ولا شك أنه لا يلزم أحداً أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به ، لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر بميقاته إذا مر بالمدينة ، فوجب عليه الإحرام من ميقاتها بخلاف أهل الجحفة ، فإنها بين أيديهم ، وهم يمرون عليها ، فوَقعت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك ، فلما عرفت أتاني آت من أهل المغرب فقال لي : تعلم أن مكانك في نفوس أهل هذا البلد مكيين ، وقدرك عندهم رفيع ، وأنا أعلم انقباضك عن ابني الإمام ، فإن سُئلت فانتسب لهما ، فقل : سمعت منهما ، وأخذت عنهما ، ولا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما فتضع من قدرك ، فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما ، وأن لا أحد فوقهما ، وليس لما تبني يد الله هادم .

وشهدت مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حم ذكر فيه أبو زيد بن الإمام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدائي ، وادعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة ، قال : فلو تقييد بمذهبه لم يخالفه لغيره ، فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي ، فقال عمران : هذا مثال والمثال لا تلزم صحته ، فصاح به أبو موسى بن الإمام ، وقال لأبي عبد الله بن أبي عمرو : تكلم ، فقال : لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل ، فقال أبو موسى للسلطان : هذا كلام

أصولي محقق ، فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن : ما أنصفتما الرجل ، فإن المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق ، كذلك تؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ أعني ابن أبي عمرو ، وكيف لا وهذا سيئويه يقول : وهذا مثال ، ولا يتكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريبياً ، فلا يلزم صحة المثال ولا فساد المثل لفساده ، فهذان القولان من أصل واحد .

وشهدت مجلساً آخر عند هذا السلطان قرىء فيه على أبي زيد بن الإمام حديث « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »^(١) في « صحيح مسلم » فقال له الأستاذ أبو إسحاق بن حكم السلوي هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم والأصل الحقيقة ؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه ، وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت : زعم القرافي أن المشتق إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال ، مختلفاً فيه في الماضي إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً وعلى هذا التقرير لا مجاز فلا سؤال ، لا يقال : إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأننا نقول : إنه نقل الإجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضاً ، بل نقول : إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها ، بل هذا أشنع لكونه مما علم من الدين بالضرورة ، ثم إنا لو سلمنا نفي الإجماع فلنا أن نقول : إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقيه قبل ذلك إن لم يدهش فقد يوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقنوا من تحكمون بأنه ميت ، أو نقول إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام ألا ترى اختلافهم فيه ، هل أخذ من حضور الملائكة ، أو حضور الأجل أو حضور الجلاس ؟ ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلاً على

(١) سبق تخريجه في الصفحة ٢٠٤ .

الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت وهو أيضاً مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات ، فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها ، والله تعالى أعلم .

كان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد : وإذا سلم الإمام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف : إن ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد ، وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة ، قلت : وهذا من ملح الفقيه ، واعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب : ولبن الآدمي والمباح طاهر ، بأنه إنما يقال في الآدمي لبان ، فأجاب بالمنع ، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّبْنُ لِلْفَحْلِ »^(١) وأجيب بأن قوله ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم ، لأن اللبان خاص به ، وليس موضع تغليب لأن اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل .

تكلم أبو زيد يوماً في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير ، فاحتج إبراهيم السلوي للمنع بقول أنس : فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس ، فمنع أبو زيد أن يكون إنما أراد باللباس الاقتراش فحسب ، لاحتمال أن يكون إنما أراد التغطية معه أو وحدها ، وذكر حديثاً فيه تغطية الحصير فقلت : كلا الأمرين يسمى لباساً ، قال الله عز وجل : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(٢) وفيه بحث .

كان أبو زيد يُصحف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول : والمفارقات ، ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

(١) انظر البخاري ١٢٩/٩ ، باب لبن الفحل بشرح « فتح الباري »

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنُ الصَّيْفِ تَامِرٌ
 فقال : أنت في تصحيفك أشعر من الحُطَيْثَةِ ، أو كما حكى عمن صلى
 بالخليفة في رمضان ، ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف ،
 فصحف آيات : صنعة الله ، أصيب بها من أساء ، إنما المشركون نحس ،
 [١٤٦] وعدّها إياه ، تقية الله خير لكم ، هذا إن دعوا للرحمن ولداً ، لكل امرئ
 في منهم يومئذ شأن يعنيه ، وسمعت أبا زيد يقول : إن أبا العباس الغماري
 التونسي أول من أدخل معالم الإمام فخر الدين للمغرب ، وبسبب ما قفل به
 من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون ، وسمعته يقول : إن ابن الحاجب ألف
 كتابه الفقهي من ستين ديواناً ، وحفظت من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله
 ابن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر الجواهر ، فقال : ذكر هذا لابن
 عمرو حين فرغ منه فقال أهل ابن شأس اختصر كتابي ، قال ابن قطرال :
 وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شأس ، والانصاف أنه لا يخرج عنه ،
 وعن ابن بشر إلا في الشيء اليسير ، فهما أصلاه ومعتداه ، ولا شك أن له
 زيادات وتصرفات ، تنى عن رسوخ قدمه وبعد مداه .

وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله ، حدثني أمير المؤمنين المتوكل
 ابن عنان أن والده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على
 الجهاد فقال له أبو زيد : لا يصح لك هذا حتى تكسب بيت المال ، وتصلي
 ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب ، وسأله أبو الفضل ابن أبي مدين الكاتب
 ذات يوم عن حاله ، وهو قاعد ينتظر خروج السلطان ، فقال له : أما الآن فأنا
 مشرك ، فقال : أعيدك من ذلك ، فقال : لم أرد الشرك في التوحيد ، لكن
 في التعظيم والمراقبة ، وإلا فأني شيء جلوسي ههنا .

والشيء بالشيء يذكر ، قمت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن

ينتظر خروجه ، فقام إلى جاني شيخ من الطلبة ، وأنشدني لأبي ابن خطاب رحمه الله تعالى :

أبصرتُ أبوابَ الملوكِ تَفَصُّ بِالْـ « رَاجِينَ إِدْرَاكَ الْعُلَا وَالْجَسَاهِ
مترقبين لها فمهما فَتَحَّتْ « خَرُّوا لِأَذْقَانِ لَهُمْ وَجِبَاهِ
فأنفتُ من ذاك الزَّحَامِ وَأَشْفَقْتُ « نَفْسِي عَلَى إِنْصَاءِ جَسْمِي الْوَاهِي
ورأيتُ بابَ اللهِ ليسَ عليه مِن « متراحمٍ فقصدتُ بِبَابِ اللهِ
وجعلتهُ من دونهم لي عُدَّةً « وَأَنْفَتُ مِنْ غِيٍّ وَطُولِ سَفَاهِي

يقول جامع^(١) هذا المؤلف^(٢) : رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله : ورأيت باب الله ، ما صورته قلت ذلك لسعته أو لقلته أهله :

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ « قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا
(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)^(٣) الآية . انتهى . رجع إلى كلام مولاي

الجد قال رحمه الله تعالى ورضي عنه : وحدثني شيخ من أهل تلمسان أنه كان عند أبي زيد مرة ، فذكر القيامة وأحوالها فبكى ، فقلت : لا بأس علينا وأنتم أمامنا ، فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفجر دماً ، فلما سرى عنه رفع يديه وطره إلى السماء وقال : اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل ، وأخباره

[١٤٧] كثيرة . وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم ، واستفدت منه كثيراً فمما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق : وإذا استلحق مجهول النسب إلى قوله أو الشرع بشهرة نسبه ، كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال : يمكن أن يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق ، ثم يشتهر بعد

(١) المقرئ .

(٢) « نفع الطيب » .

(٣) سورة المائدة : الآية ١٠٠ .

ذلك ، فيبطل الاستلحاق فكأنه يقول : الحقه ابتداء ودواماً ما لم يكذبه أحد ، هذه هي إحدى الحالين إلا أن هذا إنما يتصور في الدوام فقط ، ومما سألته عنه أن الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على ما يوهم القطع ، وكثيراً ما ينكشف الأمر بخلافه . ولو كتبوا مثلاً ظاهر الصحة والجواز والطوع لبرئوا من ذلك . فقال لي : لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يجمل ذكر الظن ، ولا ما في معناه احتمال ، فإذا أمكن العلم بمضمونها لم يجز أن يحمل على غيره ، فإذا تعذر كما هنا بني باطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الإمكان عادة ، وأجري ظاهره على ما ينافي أصلها صيانة لرونقها ، ورعاية لما كان ينبغي أن تكون عليه ، لولا الضرورة قلت . ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير مع أن ذلك إنما يدرك بما غايته الظن في الحزر والتخمين . وكانا معا يذهبان إلى الاختيار وترك التقليد اهـ .

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي الاشبيلي الأصل الإمام ولي الدين أبو زيد ، قاضي القضاة ، العلامة الحافظ المؤرخ .

قال ابن الخطيب في « تاريخ غرناطة » : كان فاضلاً حسن الخلق ، جم الفضل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، متقدماً في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزاي ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصدر ، بليغ الحظ ، مقرأً بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة . بذول المشاركة ، مفخراً من مفاخر التخوم الغربية من ذرية وائل بن حجر .

أخذ القرآن عن ابن بُرّال ، والعربية عن الزواوي ، وابن العربي . وتأدب بأبيه ، وأخذ عن المحدث ابن جابر الوادي آشي ، وحضر مجالس ابن عبد السلام ، وروى عن الحافظ السطي ، والرئيس أبي محمد الحضرمي . ولازم العَلمَ الشهير الإيلي ، وانتفع به ، وورد على الأندلس في ربيع الأول عام أربعة وستين ، وأكرمه سلطانها ، وأركب لتلقيه خاصته ، وخلع عليه وابره .

شرح البردة شرحاً بديعاً دل على تفننه وإدراكه وغزارة حفظه ، ولخص كثيراً من كتب ابن رشد ، وعلق تفسيراً مفيداً في المنطق للسلطان ، ولخص محصول الفخر ، وألف في الحساب وفي أصول الفقه . مولده بتونس في رمضان عام اثنين وثلاثين وسبع مئة (٧٣٢) هـ .

قال أبو جعفر البقي في « مختصر الإحاطة » : وألف تاريخه المشهور الذي سحر به الخاص والجمهور ، سماه بـ « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر » اخترع فيه مذهباً عجيباً وطريقاً مبتدعاً من الحديث على العلوم ، وتنقيح الفهوم . وما يعرض في الإنسان من الأعراض الذاتية ، والخيالات والحلوم هـ .

وقال بعضهم : وخلدون بفتح الخاء المعجمة وآخره نون ، حفظ القرآن والشاطيين ، ومختصر ابن الحاجب الفرعي ، وتفقه بأبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني ، وأبي القاسم بن العصور . قرأ عليه « التهذيب » وعليه تفقه ، وحفظ المعلقات ، والحماسة وشعر حبيب ، وقطعة من شعر المتنبي ، وسقط الزند . وأخذ العربية عن والده وغيره . وعبد المهيمن الحضرمي ، وتولى كتابة العلامة عن صاحب تونس ، ثم توجه لفاس واعتقل عند سلطانها ، ثم قدم غرناطة وعظمه سلطانها ، ثم توجه لبجاية ، ثم لتونس ، ثم رحل لمصر ، فولاه سلطانها الطاهر برقوق قضاء المالكية ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر ،

وصنف تاريخه الكبير في سبع مجلدات سماه « العبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر » وكان يسلك في إقرائه مسلك الأقدمين كالغزالي والفخر، مع إنكار طريقة طلبة العجم، ويقول: إن اختصار الكتب في كل فن والتعبد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين، والعلم وراء ذلك كله. وكان يقدم بديع ابن الساعاتي على مختصر ابن الحاجب، ويقول: إنه أقعد وأعرف بالفن زاعماً أن ابن الحاجب لم يأخذه عن شيخ، وفيه نظر، وتكرر عزله مراراً عن القضاء وولايته، نسب في تاريخه إلى عظمة نقلها عنه أبو الحسن بن أبي بكر، قال ابن حجر: ولم توجد في تاريخه.

مات قاضياً فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمان مئة (٨٠٨)، عن ست وسبعين دون أشهر، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب القصر اهـ.

وعرف هو بنفسه في تاريخه فأطال فيه نحو أربعة وأربعين ورقة من كامل الشامي، وذكر فيه أنه حين رجع لتونس ازدحم عليه طلبة ابن عرفة وغيره، وأنه وقع بينه وبين ابن عرفة شيء، وممن أخذ عنه الإمام بن مرزوق الحفيد، والشيخ البسيلي، والبدر الدماميني، والعلامة البساطي وغيرهم.

عبد الرحمن بن موسى البجائي

قال الشيخ زروق أحد المدرسين ببجاية وأئمتها: كان فقيهاً ذا دين وعفاف وسناء وتجمل وعقل صباراً، توفي في كذا صح من الكناشاة.

سيدي عبد الرحمن المجاجي

صاحب المغارسة . تفقه بمجاجة على الشيخ سيدي محمد بن علي ، ثم رحل إلى تلمسان وأخذ عن علمائها أيضاً ثم رحل إلى فاس .

وله تأليف عديدة ، كما يشير إليها في كتابه « التبريج » فمنها كتابه الذي سماه « التبريج في أحكام المغارسة والتصيير والتوليج » المغفولات لابن الحاجب ، [١٤٨] والشيخ خليل ، فأتى على اصطلاح الشيخ خليل في المتن ، ثم شرحه شرحاً عجيباً ، وله حاشية على مختصر ابن أبي جمرة في علم الحديث ، ذكر فيها أنه أخذ على الشيخ سيدي محمد بن علي هـ .

سيدي عبد السلام التواني

الشيخ الزاهد العابد السالك السني الموحّد ، ذو الأحوال الربانية ، والإشارات العرفانية ، والمعارف الوهية ، المقطوع بولايته ، المتفق على جلالته وخصوصيته ، العارف بالله الدال عليه بظاهره ونجواه ، أبو محمد سيدي عبد السلام بن صالح البركة سيدي الحاج محمد التواني الجعفري ثم الفاسي ، ينسب لسيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي .

كان رحمه الله في أول أمره على ما ذكره الشيخ التاودي في « فهرسته » غباراً ، قال فيها : قلت له يوماً : هل كنت تصلي في ذلك الزمان ؟ قال : لا . هـ . وقال غيره : كان يتعاطى أسباب الدنيا ، فلم يحصل له مقدار نصاب الزكاة منها أصلاً ، وكان يبيع الكبريت قرب سوق الغزل من عدوة فاس القرويين ، ثم إنه ورد لفاس مولاي التهامي الوازاني فذهب إليه وزاره ، وتبرك به ،

ثم جعل يتردد لسيدي عزوز دفين طالعة فاس . فحصلت له حينئذ الكرامة للدنيا والخوض فيها . وكان في زمان غفلته قد ضيع صلوات كثيرة ، فتجرد لقضائها حتى قضى صلاة ثلاث عشرة سنة ، ثم خرج لبعض الكهوف بجبل زعفران خارج باب الجيسة ، وجعل يتعبد فيه ويقتصر على القوت من الأعشاب ، وما يسقط من التين قبل طيبه ، مما يلتقط من تلك الجهات ، ويشرب عليه الماء مع إدمان الصوم والذكر . يذكر كل يوم سبعين ألفاً من الهيلة ، ومثلها بالليل ، ورأى في ذلك من العجائب ما لا يحصى ، وكانت الجمادات تكلمه وتبشره بما حصل له من الفتح العظيم ، وتقول له : هنيئاً لك لم يبلغ هذا المقام أحد إلا أمن من السلب إلا القليل ، ثم كشف الحجاب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار لا يشاهد في العالم إلا وجهه الشريف حيث توجه ، وبقي كذلك مدة قال : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ها أنت وربك ، وحينئذ طلعت عليه شمس المعارف ، وأدرك ما لا يكيف من الأسرار واللطائف ، ولقي الخضر عليه السلام وقال له : أنا الخضر بعثني الله إليك لأخبرك بأن ما تشاء يعطيك الله إياه ، وأذن له في الجلوس في القرويين فلازم الجلوس فيها ، وكان يجلس إليه أقوام لاستماع معارفه ، فكان يأتي من ذلك بما يسحر الألباب ، ويقضي منه العجب العجيب .

وكان رضي الله عنه من الذاكرين الله كثيراً ، لا تراه قط ساكن الشفتين ، مستغرقاً في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يظهر ذلك عليه في بعض الأحيان ، فتارة يهيم وتارة يُمازح بأمور في طيبها فوائد ، وكان إذا اعتراه الحال احمرت عيناه ، وعلا صدره عن جسده حتى تراه يستند في مشيه إلى الجدران ، وينفخ نفخاً شديداً ، ويعرق جبينه جداً ، وترى العرق ينحدر منه كالجوهر ، وكان إذا دخل في الصلاة خلف الإمام لا يكاد يطيق ما يتلقاه من

المشاهدات ، فإذا سلم الإمام سلم هو وقام بسرعة ، ويخبر عن نفسه بأنه يستريح بالتحرك والمكالمة مع الناس ، وكان من لا علم عنده ينكر عليه ذلك .
ومن كلامه : أجساد الشرفاء أقوى على المشاهدة من أجساد غيرهم ، وكان أيضاً يقول : أولها يعني الطريق فنون ، ووسطها جنون ، وآخرها قيل : يكون وقيل : لا يكون . ويقول : من اشتغل بالله عن غيره فهو حي ، ومن غاب عن الله في غيره فهو ميت .

أدرك رحمه الله جماعة من الأولياء وتبرك بهم ، وأخذ عنهم منهم سيدي عبد الرحمن معاذ ، دفين خارج باب الجيسة ، وسيدي عنتر الخلطي دفين داخل باب الفتوح ، وطريقته الأولى عن أبيه ، عن جده ، عن سيدي علي ابن أحمد اللنجري دفين صرصر ، عن سيدي عيسى بن الحسن المصباحي الخلطي دفين الغرب ، ثم أخذ كما سبق عن مولانا التهامي الوزاني ، عن أبيه ، عن جده ، ثم عن سيدي عزوز ابن مسعود ، وكان يعتمد عليه ويقول : إن سيدي عزوزاً أكل طعاماً عند وفاته وقائه وأمرني بأكله ، فأكلته ففتح عليّ .

وكان له أصحاب وأتباع وتلامذة وأشباع يذكرون عنه أموراً كبيرة ، ومقامات خطيرة ، وينهون أمره لما أدركه كبار الأولياء وخاصة الخاصة من الأصفياء ، وكان الناس كلهم يتبركون به ، ويرجون من الله الفضل بسببه ، وكان أكثر دعائه إذا سئل منه الدعاء : الله يرحمنا بالمرحوم .

وكان يتفجر علماً مع كونه أمياً لا يعرف الحروف ، ووقع لغير واحد من الناس معه مكاشفات وأخبار بمغيبات ، قال الشيخ التاودي في « فهرسته » :
وأخبرني بعض من وثقت به أنه جاءه رجل يوماً وهو بحصن لقروين فقال له :
يا سيدي أردت أن أرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، فقال : اثني بجميع ما تملك ، فذهب ثم جاء بعد يوم أو يومين بدراهم ، وقال : هذه القرويون

وبالله الذي لا إله إلا هو لا أملك شيئاً آخر ، فعجب منه ، وجعل يقول له : أنت هبيل أحمق ، اذهب حتى يرجع لك عقلك ، والرجل يبكي ويقول : لا أقبلك ، فلم يزل به حتى قال له : اذهب إلى سيدي محمد بن الحسن ، وارجع فرجع الرجل ، وذكر أنه عندما خرج من باب الجيسة إذا بالنبي صلى الله عليه وسلم منحدر من ناحية القلة عن يسار الباب ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فكلمه وقال : أقرىء عبد السلام مني السلام ، فلما وصل له قال له : اسكت فوالله ما ذكر له ذلك حتى قال له : والله إن حدثت بهذا أحداً لا تنظر بعينيك ، فما حدث به إلا بعد موته ، وبالجملة فمقامه كبير عظيم ، وشأنه رفيع فخيم .

[١٥٠] توفي رحمه الله في مهل رجب سنة خمس وخمسين ومئة وألف (١١٥٥)

قال في «النشر» : ودفن بدار براحا اشترت له ، بقصد أن يدفن فيها ، وبني عليه فيها قبة بعض الرؤساء قرب سيدي أبي الرجاء من طالعة فاس ، وأخذ ضريحه مقبرة للدفن ، وهو الرئيس الأنوه الشيخ أحمد بن الشيخ موسى العوني السنوسي الشرقي ، كما صرح به في «النشر» في بعض نسخه .

وقال في «الروضة المقصودة» : دفن برحبة قنديل من طالعة فاس ، أسفل من قبة شيخه ولي الله سيدي عزوز بن مسعود بنحو مئتي ذراع ، وذلك بالقرب من سيدي أبي الرجاء ، وبنيت عليه قبة اهـ. وروضته هي المقابلة لدرب أهل تادلا عن يمين الهابط ، وهي مشهورة معروفة ، وعلى ضريحه بها دربوز يُزار به ويتبرك .

ترجمه في «النشر» و «التقاط الدرر» و «سلوك الطريق الوارية» و «الروضة المقصودة» وغيرها ، وأورده الشيخ التاودي في «فهرسته» فيمن لقي من صلحاء المغرب .

عبدُ العزيزِ بنُ مخلوفِ العيسِي

قال الغبريني في « عنوان الدراية » : الشيخ الفقيه الجليل القاضي العالم المتقن المحدث أبو محمد وأبو فارس ، خزاعة مذهب مالك .

كان فصيح العبارة ، حسن الإشارة ، درس عليه العلم خلق كثير ، وانتفعوا به ، أسند اليه قضاء الأنكحة ببجاية عن قضاتها ، واستقل بعد ذلك بقضاء بسكرة ، ثم قسنطينة ، ثم الجزائر ، تكرر إليها مرتين ، وكان مشاوراً على فتياه العمل ، ولقي بها جماعة من الفضلاء كالشيخ أبي الحسن الحرالي وأبي العباس الملتاني .

ولد بتلمسان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأخيرة عام اثنين وست مئة (٦٠٢) هـ .

عبدُ القادرِ الرَّاشدي

العلامة المحقق المجتهد الأصولي الكلامي ، قرافي وقته ، وعضد زمانه ، نسبة الرواشد مدشر من مداشر فرجيوه .

توفي أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر .

له من المؤلفات كتاب حافل في مباحث الاجتهاد ، يدل على تبحره في علمي الكلام والأصول ، ادعى فيه الاجتهاد ، وله حاشية محشوة بالتحقيق والإتقان على شرح السيد للمواقف العضدية ، وتأليف صغير الحجم تعرض فيه لكثير من عائلات قسنطينة وقبائلها ، وبيان الشريف منهم والعربي والبربري ، ورأيت له قصيدة فائضة في غاية من البلاغة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، تولى قضاء قسنطينة وفتواها مراراً هـ . من خط الشيخ الونيسي . وله رسالة في تحريم

١٥ [الدخان ، شحنتها أولاً ببيان شافٍ في حال الدخان . ثم جلب من الأدلة المقتضية لحرمة ما لا مزيد بعده ، وله رسالة في وزن الأعمال ضافية تعرّض فيها لمباحث علم الكلام ، وناقش فيها بوجه خصوصي العلماء القائلين بالتأويل في مبحث المشابهة ، كما أن له قصيدة شرحها في الرد على أصداده في قضية المشابهة مطلعها :

خبراً عنِّي المؤوَّلَ أنِّي ————— كافرٌ بالذي قضتُه العقولُ
ما قضتُه العقولُ ليسَ من الدِّي ————— منَ إنّما الدِّينُ ما حوتُه النقولُ

وله تعليقات جمة ، وفتاوى ومسائل ابتكارية جلييلة ، وتفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي اه. من خط الشيخ محمود كحول القسطنطيني .

قال العلامة الورتيلاني في « رحلته » : وقد وقعت بينه وبين طلبة قسطنطينة مخاصمة عظيمة ، ومنازعة كبيرة في مسألة ، حتى رموه بالتجسيم بل بعضهم كفره ، ومن الإسلام أخرجه ، وذلك خطر كبير في الدين ، قال الشيخ زروق : إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة إسلامية أهون عند الله من إخراج مسلم واحد بشبهة كفرية ، وذلك من تلامذته ومحبيه ، وهذه المسألة قوله تعالى ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾^(١) فقال هو في اليد : إنها حقيقة ، ومع ذلك إنها ليست جارحة ولا جسماً ، بل يستحيل ذلك ، لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان ، وقدح في التأويل لها بقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق ، لأن التأويل محوج إلى الدليل والخروج من الحقيقة إلى نوع من المجاز ، فلم يكثر بالتأويل إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل ، ولأن التأويل وإن كان صحيحاً ففيه ابتغاء الفتنة ، وإنما تنتفي على التسليم في صحة التأويل ، وإن كان في علم الله كذلك لأن المصيب في العقائد واحد ، فقد اتفق أهل السنة

(١) سورة ص : الآية ٧٥ .

قاطبة على نفي الجارحة ، وما يؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم ، فمن قائل : إن له يداً حقيقة ، والعلم بها موكل إلى الله تعالى ، فلا يستلزم هذا التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جلّ جلاله ، فأتى أو كيف أو متى يلزمه ، وإنما هو تحامل عليه سببه الحسد والبغض والتنافس ، وإنما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم ، بل وقد نسبوا إليه كثرة الرشوة ، وغير ذلك مما لا يناسبه ، بل سمعت من بعضهم أنه قال : صرح بالتجسيم غير ما مرة ، فقلت حين اجتماعي بهم : مجرد هذا الإطلاق لا يلزم عليه شيء إذ عليه أكثر الأمة ، ومنهم من أولها بالقدرة ، ومنهم من توقف ، فلما أراني الرسالة الموضوعه لهذا الكلام ، رأيتها منقحة سالمة من سوء الاعتقاد خصوصاً التجسيم ، وغايتها أنه يبطل أدلة المؤول ويصحح القول باليد حقيقة ، غير أنها لا يعلمها إلا الله ، لكن هذا كله بعد نفي التجسيم ، وما يشعر بالإمكان والحدوث ، وقد بالغوا في تضليله إلى أن أرادوا الفتك به عند السلطان ، فسلم والحمد لله ، ونجا من شرهم ، غير أنهم أخرجوه عن الموضع المعدّ له من القضاء ، وصبروه [١٥٢] لأنفسهم بالتعلق ممن كان متمكناً من السلطان ، نعم قلبي سالم من جميعهم ، ومحب في جانبهم ، وراغب فيما عندهم ، ومعظم ما هو لديهم ، وقد قال خليل : ولا عالم على مثله كالتبوس ، فبينهم قرح وعلى غيرهم لا قدح ولا جرح ، فإن كانت الشريعة لم تقدر فيهم ، فكيف بمثلي أن يجعله غرضاً لسهام الناس ، ويرميهم بالأغراض الخبيثة والخصال الذميمة ، طهرهم الله من تلك الأوصاف ونزههم من هذه الأخلاق الخسيسة اهـ .

أبو محمد عبد الكريم القلعي

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن الطيب الأزدي ،
الشيخ الفقيه العالم المتقن المحصل المجيد ، عُرف بابن يبكي من أهل قلعة حماد ،

صاحب الرباط المعروف الآن برابطة ابن بيكي بداخل باب اميسون من أعلى
سند بجاية ، وهنا قبره رحمه الله ، وهو الموقف للأوقاف المعروفة الآن بها .
كان من جملة أهل العلم ، ومن أكابر أولي النهى والفهم ، وكان معروفاً
عند خلفاء بني عبد المؤمن ، وكان ينحو للظاهر ، وكانت له وجاهة وعلو قدر .
ورفعة في الدين والعلم ، وسمو قدر ، وهو من نظراء العالم أبي عبد الله محمد
ابن عبد الحق بن سليمان التلمساني وإليه كان يرجع في الفتيا ، وعلى قوله العمل ،
وكان له مع ذلك انقباض عن الناس ، واشتغال وجد خرجا عن القياس .

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني

الشيخ الفقيه الصالح الفاضل المدرّس ، من أصحاب الشيخ أبي زكريا
الزواوي رضي الله عنه ، ومن قرابته ، كان من أهل العلم والفضل والوجاهة
والتزاهة ، ولما كان من أمر الفقيه أبي زكريا الزواوي في شأن ابن حزم ما قد
اشتهر ، وتعصب له ناس ، ورفعوا القضية للخليفة بمراكش ، اقتضى نظر
الفقيه أبي زكرياء رضي الله عنه أن يتوجه عن الفقيه أبو محمد عبد الكريم لمراكش ،
فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم المسمى « حجة الأيام وقدوة
الأنام » ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المؤمنين بين يديه بمحضر
الفقهاء ، وعرض تأليف الفقيه عليهم ، وكان الفقيه أبو محمد عبد الكريم
هو النائب في الحديث ، فأحسن وأجاد وأطلع أمير المؤمنين ومن حضر من
الفقهاء من كلام الفقيه رحمه الله ما دلّهم على فضله ودينه وعلمه ، فكان من
قول الخليفة بترك هذا الرجل على اختياره ، إن شاء ألقى وإن شاء سكت ،
وانقلب أبو محمد عبد الكريم ، وهو المبرور وسعيه المشكور .

عبد اللطيف المسبح

قال العلامة عبد الكريم الفكون القسنطيني في « منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية » ما نصه : الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرדاسي نسباً كذا بخطه .

كان مفتياً بقسنطينة مرجوعاً إليه في وثائق أهلها ، وكان الحساب أغلب عليه من غيره . مدرساً في الفقه ، صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق

[١٥٢] وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن ابن صغير الأخضري ، طالعناه زمن الشبيبة ، فرأينا عماده على جمع الكتب والنقل منها فحسب ، لا يلم بلفظ المصنف ولا يلوي إليه إلا ما يستخرج من أبحاث لفظه ومفهوماته وماآخذه . وهو الموجب لشرحنا عليه المسمى « بالدرر في شرح المختصر » نبهنا على فوائد فيه لم توجد في المطولات ، ويذكر لأبي محمد المترجم له شرحاً على « الدررة البيضاء في الحساب » للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الأخضري ، ولم أظفر به ، نعم رأيت له تكملة لشرح الشيخ على منظومته في الفرائض الذي مات والله أعلم قبل إكماله ، فتممه صاحب الترجمة أبو محمد مقتصراً فيه على العمل دون التبيين لكلامه .

توفي رحمه الله تعالى عام ٩٨٠ .

عبدُ الله بن أحمدَ بن عيسى البجائي

عُرِفَ بابن الطير . الشيخ الفقيه القاضي الأعدل الأصولي ، له علم بالفقه وأصوله ونزاهة وورثاسة وعلو همة . ولي قضاء بجاية كرهاً ولما استقر فيها تخير رجلين من رؤساء فقهاؤها ، فولى أحدهما قضاء الأنكحة والآخر النظر في الأحكام . وكان يقرأ عليه مدة إقامته بها خواص الطلبة الفقه وأصوله على طريقة الأقدمين اهـ . من « عنوان الدراية » .

عبدُ الله الباجي القلشاني

عبد الله الباجي القلشاني والد الإمام محمد القلشاني .

قال حفيده أحمد القلشاني شارح « الرسالة » : كان جدي هذا كما أخبرني والدي وقوراً حليماً صباراً على أخلاق الناس وحاسديه ، لا يتكلم في أحد بسوء ، ولا يعود لسانه الكلام على أحد ، ما سمع قط تشكياً أو قدح في أحد شديد الرحمة ، لا يتظلم إليه أحد إلا نصره بمنتهى قدرته ، ويبكي لبكائه مجبولاً عليه ، ولا يطلع الفجر إلا وهو طاهر يطالع الكتب صيفاً وشتاءً ، مواظباً على تغليس صلاة الصبح ، وقراءة حزبين بعده الأذكار والمسبحات ، حتى توفي مع جدِّ في الطاعة والمطالعة ، وأخبرني الفقيه الصالح الحاج أبو العباس القلشاني أن أباه المذكور كان في صغره في غاية الجد ومكابدة السهر ، يربط خيطاً في وفرة شعره ، ويجعله في مسمار في الحائط ، فإذا كبَّ رأسه لغلبة النوم جذبه الخيط ، فانتبه ، وكان يرحمه قريب له ، ويرغبه في الشفقة على نفسه ، فيأتي ويقبل على الدرس والنظر وينشد :

نفسى تُناز عني فقلتُ لها اصْبِرِي « موتٌ يُريحُكِ أو صُعودُ المنبرِ
توفي ببجاية ضحى الخميس ، عاشر شوال سنة خمس وستين وسبع مئة (٧٦٥)

سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ الْبِرْنَائِي

الشيخ العارف بالله سيدي عبد الله البرناوي ، وهو أحقهم بالتقديم ،
وأولاهم بالتعظيم ، الشيخ العالم الكبير الولي المحب الشهير قطب الطريقة وإمامها
وعالم الحقيقة المنقاد إليه زمامها ، والمنشورة عليه أعلامها ، أبو محمد عبد الله
ابن السيد الإمام الجليل أبي محمد عبد الجليل بن عمر البرناوي والحميري ،
كذا وصفه في « المقصد » بالبرنوي .

قال الحلبي في « ريحان القلوب » : وأما نسبه فإنه يتصل فيما أخبرنا به
[١٥٣] السيد أبو العباس اليميني المذكور بحمير بن يحصب ابن يعرب بن قحطان اهـ .
ذكره في أول كتابه المذكور ، وهو من أهل بلاد برنو من بلاد السودان
قاطنها ودفينها .

كان رضي الله عنه أعجوبة وقته ، حدث تلميذه الشيخ الولي الشهير العلامة
الكبير سيدي أحمد بن محمد اليميني عنه بعجائب مؤذنة بجلالة قدره ، وعظم
أمره . وكان كثير المكاشفات ، وأول ما قَدِمَ عليه ، فوقع بصره عليه قال : أهرفت .
وحكى الشيخ سراج الدين أحمد بن عبد الحي الحلبي في كتابه « ريحان القلوب
فيما للشيخ عبد الله البرنوي من أسرار الغيوب » عن الشيخ اليميني المذكور أنه
قال : كانت أم الشيخ عبد الله البرنوي حال حملها به لا تحضر لهواً ولا زهواً
ولا شيئاً مما لا ينبغي حضورها فيه ، لمقتضى الشرع إلا وأخذها وجع عظيم في
جوفها ، وألم جسيم واضطراب وانزعاج ، ونحو ذلك ، ولما وضعت رضع
ثديها فتارة تأخذه حال عظيمة ، ويضطرب ويمتنع من الرضاع مدة ، ثم بعد

ذلك يرضع ثدي أمه . ثم تحصل له تلك الحالة أيضاً إلى أن نطق وقت بلوغ النطق على العادة . فأخبر أمه بجميع ما كان يأخذها من الوجع والألم . وأخبرها بأسباب ذلك ، وكانت حالته رضي الله عنه الاقنار . قال بعض أصحابه : أنا ما في يدي شيء من الدنيا سوى مُدَّين من الدخن . فقال له الشيخ : أنا ما عندي ولو مُدّاً ولا أملكه . قال الشيخ اليميني : لما حدث عنه بهذا . وهذه صفته حتى لحق بالله تعالى قال : وكان لا يلتفت لما يأتيه من الهدايا . فإنها كانت تنزل بين يديه لا يأمر فيها ولا ينهى . فيجيء من والي فيأخذها أو يأخذ منها ما شاء فكأنها ما هي بين يديه ، وما هي في تصرفه .

وكان يذهب بأصحابه إلى موضع خال من الفلات . فيأمرهم بالتفرق فيجلس كل وحده . وينزل عنهم هو وحده في ناحية إلى وقت الظهر . فيرجع حينئذ ، ثم يجتمعون عليه فيرجعون إلى قريتهم . هكذا كانت حالته كل يوم . وكان دأبه التواضع مع الكبير والصغير دائم البشر . يستوي عنده البعيد والقريب في الإكرام . ولا يلبس إلا قميصاً واحداً أضيّق الكمين إلى نصف ساقه . وكان شديد الاحتمال واسع الخلق حكى عنه تلميذه الشيخ اليميني أنه ما رآه مغضباً إلا يوماً واحداً إذ قال له رجل بحضرته : اللهم اقطع أصل التوارق - قبيلة وافرّة من العرب يقطعون الطريق - فتغير وجه الشيخ . ثم قال للرجل : لا تساكني . ثم شفع فيه الفقراء ، فسمح له .

ووشى به القاضي أبو بكر من علماء بلده إلى السلطان فلم يقبل . حتى أوهمه أنه يحاول الملك ويفسد عليه الرعية ، فأثر ذلك فيه فأشخصه إليه . فلما دخل الشيخ على الأمير استعمل السنة النبوية في دخوله وسلامه وخطابه . فأثر ذلك

[١٥٤] في قلب الأمير تأثيراً حسناً ، وكان من قول أبي بكر للسلطان في شأن الشيخ إنه كافر ، فقال الشيخ للسلطان : صدق أبو بكر أيها الأمير ، الجهل كفر ،

فنسب لنفسه الجهل رضي الله عنه لثلاث يزكي نفسه ، وكان يقول : ذيلي طويل يطوئه العدو والصديق ، وهذا كما قال الجنيد : لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطوئه البرُّ والفاجر ، وكالسحاب يُظِلُّ كل شيء ، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب اهـ. والحامل لأبي بكر على فعله الحسد ، لأنه كان عالماً ، لكن أكب الناس على الشيخ دونه ، فكانوا يزدحمون عليه أشد الازدحام .

قال الشيخ الحلبي في «ريحان القلوب» : وأما علومه أي الشيخ عبد الله البرنوي ، وفهومه الربانية الظاهرة والباطنة ، فقد حدثنا العارف الرباني أبو العباس اليميني أن الشيخ عبد الله البرنوي رضي الله عنه هو البحر المحيط في العلوم التوحيدية والفهوم الكلامية ، والرسوم الظاهرة ، من علوم اللسان الباهرة وأنه آية الله الساطعة الأنوار ، فيما للصوفية من الدقائق والأسرار ، احتوى على الدقائق الإلهية ، والرقائق الأحمدية ، والاطلاعات الغيبية ، والمطالعات الكشفية ، والذخائر الإلهامية ، والموارد الوهية ، واشتمل على العلم بالخواطر والقلوب ، وعلى الاطلاعات على المقامات والدرجات لكل سالك ، من مبتدئ ومُتَمِّمٍ ومتوسط من جميع البلاد ، في جميع الأعصار ، من سبق عصره وما يأتي بعده ، ومقدار كل واحد ، وحد مقامه ، وما قدر له ، وجيء به إلى الكتاب ، وهو طفل صغير ، فكان لوحه موضوعاً حذاءه ، وهو جالس لا يقرأ فيه ، ولكن ينظر فيه مرة واحدة ، فيأخذه شبه السنة ، فيأتي على اللوح كله مرة واحدة ، فإذا أفاق حفظ ما في اللوح فلا ينساه أبداً ، وهكذا دأبه حتى حفظ القرآن في الزمن اليسير ، وعلومه كلها كانت وهبية ، لم يعرف له شيخ تعليم لا في العلم الظاهر ولا في العلم الباطن ، فلم يُعرف له شيخ في الطريق ، فلماذا قال ولده الشيخ عمر لما سئل هل للشيخ عبد الله والده شيخ في الطريق ؟ فأجاب بقوله : ومنهم من يتولاه الجليل ، وذلك نادر ما له مثل اهـ.

وفي غريب حاله أنه كان مشاركاً في جميع علوم اللسان ، بزيادة على ما عنده من علوم القلوب ، كالنحو والفقه والبيان والأصول والكلام ، وغيرها من جميع علوم اللسان ، وكان يفسر القرآن تفسير العلماء الأكابر ، ولما سمع بعضهم أصحابه يثنون عليه بذلك قال في نفسه : لعل هذا مدح الفقراء ، قال : فلما كنت معه في موضع خال أخذ بيدي وقال لي : ما أظهر الله ولياً إلا أمدته ونصره بالعلم ، وقال : وجدنا هذا العلم من اتباع الأوامر وترك النواهي ، وقال : أنا من قبل لا أعرف من هذا الأمر شيئاً لكن كلما سئلنا عنه نجيب عنه بإذن الله ، وقال بعضهم في نفسه لما سمعه يقرأ ألفية ابن مالك : ما يصنع الشيخ بالنحو؟ فقال الشيخ له على سبيل الكشف : لولا الفقهاء ما نعبأ بهذا العلم ، وقال في إثر ذلك : الكلب لا يخليك إلا إذا كان بيدك العصا تضربه بها اهـ.

[١٥٥]

وقد بين كلامه الشيخ الحلبي في « ربحان القلوب » وبسط القول فيه كما ينبغي ، وأجاب عن قوله : لولا الفقهاء ما نعبأ بهذا العلم ، بأجوبة ثلاثة ، تقتصر على البعض من الأول منها : وحاصله أنه لما علم أنهم لا يعظمون إلا من كان عالماً بعلمهم اللساني أراد أن يرحمهم لئلا ينقصوه فيهلكوا ، ولهذا نظائر معلومة ، وهو من جملة ما وجّه به ما كان يستعمله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه من اللباس الرفيع .

ومات صاحب الترجمة في محاربة وقعت بين التوارك وبين أهل مدينة كمبر من السودان التي كان بها الشيخ ، فاستشهد في تلك الواقعة هو وجماعة من أصحابه لإغارتهم أي التوارك على المدينة ، وإرادتهم استئصال من فيها ، فتغير حال التوارك من يومئذ ، وسلط عليهم قائم من أهل السودان فقتل منهم العدد العديد انتقاماً من الله تعالى وحرمة لهذا الولي ، قاله سيدنا الجد رحمه الله في كتابه « نزهة الفكر » .

وحكى في « ريحان القلوب » عن الشيخ اليميني عن الشيخ عمر ، ولد صاحب الترجمة أن الشيخ عبد الله لما قتل فيمن قتل ، فتش عليه فلم يوجد في القتلى ، ولا في المصرع ثلاثة أيام ، حتى قال بعضهم : لعله كان له خادم من الجن فأفلته ، ونحو هذا مما يحاسبه الله عنه ، ثم ظهر لولده الشيخ عمر فأظهره للناس حتى شاهدوه من كل فج ، وكشفوا عنه من وجهه إلى صدره حتى رأوه عياناً ، وتحققوه وكان خرج معه ولده الشيخ عمر للقتال فرده والده ، وقال له : ارجع ليسكن بك قلوب النساء . فكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين وألف (١٠٨٨) ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، قاله ولده الشيخ عمر في بعض مراسلاته للشيخ أبي العباس اليميني بعد قدوم الشيخ اليميني للمغرب ، ورجع منه لزيارته فوجده توفي ، ثم رجع للمغرب واستوطنه .

قال في « ريحان القلوب » : حدثنا الشيخ أبو العباس اليميني عن صفة سيدي عبد الله البرنوي أنه كان مليح الشارة ، صبيح الوجه نيّره مشرقه ، فيه أدمة صافية مفتوحة ، يعلو وجهه نور الجلالة والجمال ، طويل القد واسع العينين ، متوسط الجسم حديد النظر مع الحياء والوقار والسكينة والتؤدة والخشوع .

قلت : وفي « الابريز » تأليف سيدي أحمد بن مبارك السجلمليسي أن من شيوخ شيخه الذي حدث عنه بعجائب ، وهو سيدي عبد العزيز بن مسعود الشريف الدباغ رجلاً يسمى بسيدي عبد الله البرنوي ، وأن سيدي عبد العزيز لقيه بباب الجيسة ، وذكر حكاية وقعت له معه ، وهو غير صاحب الترجمة ، اشترك معه في اسمه العلم ، وفي نسبه ، لأن صاحب الترجمة توفي عام ثمانية [١٥٦] وثمانين وألف (١٠٨٨) كما تقدم . بنص ولده الشيخ عمر في مراسلة كتبها

للشيخ سيدي أحمد اليميني ، وهي موجودة بخطه وبنص تقييدها بخط
 الشيخ العلامة الحجة سيدي المهدي بن أحمد الفاسي ، وكون وفاته في هذا
 التاريخ ضروري عند جميع الأعلام من أصحاب سيدي أحمد اليميني المذكور .
 وعند غيرهم كذلك ، وأما سيدي عبد العزيز الدباغ إنما كانت ولادته بعد
 التسعين بالمئنة وألف ، كما ذكره شيخنا ابن المبارك المذكور في تأليفه المذكور
 في قضية الشاشية والسباط التي أوصى بها سيدي العربي القشتالي لمولاي عبد
 العزيز المذكور ، وأيضاً ففي تأليف شيخنا ابن المبارك المذكور أن سيدي عبد الله
 البرناوي الذي لقيه مولاي عبد العزيز توفي عام ست وعشرين ومئة
 وألف (١١٢٦) ، فالمتعين بالضرورة أنهما متباينان ، وإنما وقع بينهما الاشتراك
 لفظاً فقط في العلم والنسبة ، وكان لصاحب الترجمة القدم الراسخ في التربية .
 وتفقد أصحابه وجمعهم على الله .

قال الشيخ أبو العباس الولاوي في كتابه « مباحث الأنوار » حاكياً عن الشيخ
 سيدي أحمد اليميني : وكان الشيخ عبد الله البرنوي تُهدى له النساء فيتزوجهن
 لتكميل غرض المهدين ، وربما ولد معهن ، ثم يطلقهن ويزوجهن بعد العدة
 للصعاليك الفقراء ، فيصير أولاده أرباء عند الفقراء ، ومن أطوع الأشياء عنده
 الدال على كمال حاله أنه لا تأمى المرأة ما أمرها به من التزوج ، ولو كانت بنت
 ملك كما لا ياباه زوجها ، قال : وهو في تلك البلدة لا يتسبب ولا يبيت على
 معلوم ، ونرى من معه من الفقراء منقطعين إلى الله تعالى كل الانقطاع ، ولا
 يلتفتون إلى هم رزق ولا إلى خوف خلق ، ومن عادتهم بعد فراغهم من أوراد
 الصبح أنهم يتفرقون ، ويذهب كل واحد منهم إلى جهة من الغابة المحيطة
 بالبلد ، سواء كان الحر أو القر ، فيعبدون هنالك ، ولا يهتمهم ملبوس ولا
 مأكول إلى الزوال ، قراهم ينزلون من الغابة كالوحش فيمتلئ بهم المسجد ،
 ليحافظوا على الجماعة والصلاة مع الشيخ ، وتهتز الأرض بأذكارهم ، ولا

يزالون كذلك بقية النهار والليل إلى الصباح ، فيتفرقون وهذا دأبهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم اهـ.

وتقدم قريب من هذا عن الشيخ الحلبي عن الشيخ اليمني المذكور ، وهذه طريقة عزيزة الوجود غريبة لم نسمع بمثلا في كل الأغوار والنجود ، وكفى ما برز منها في غربنا من الشيخ أبي العباس اليمني رضي الله عنه ، سمعت من شيخنا العلامة الصالح الورع سيدي الكبير السرخيني ، عن سيدي أحمد اليمني المذكور ، ولا أدري أسمعته منه أو بواسطة من غير واحد أن الشيخ اليمني قال : لا منة عليه لأحد من أولياء المغرب أحياء وميتين إلا الشيخ ابن عباد رضي الله عنه ، قال : إنه زاره يوماً بضريحه بداخل باب الفتوح من عدوة فاس ، فقضيت له حاجة من عند الله عظيمة ، نفعنا الله تعالى ببركاتهم أجمعين .

[١٥٧] أبو محمد عبد الله البسكري

ع

ذكره أبو العباس سيدي أحمد بن عمار الجزائري في « رحلته » التي طبعت منها الحكومة الجزائرية عام ١٣٢٢ الهجري ، الموافق لسنة ١٩٠٤ المسيحية أول مقدمتها ، وحلاه بقوله : العارف بالله الشيخ أبا محمد عبد الله البسكري ، عاطفاً له على قوله : ويرحم الله العلامة أبا الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي في قوله (أبيات) ، والقاضي عياض في قوله (أبيات) ، والعارف أبا محمد عبد الله البسكري في قوله :

دار الحبيب أحق أن تهواها • وتحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هممت بزورة • يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيئته • وظللت ترتع في ظلال رباهما

مَعْنَى الْجَمَالِ مَنِ الْخَوَاطِرِ وَالْتَمِي ۞ سَلَبَتْ عَقُولَ الْعَاشِقِينَ حُلَاهَا
 لَا تَحْسَبِ الْمِسْكَ الذَّكِيَّ كَثْرَ بِهِيَ ۞ هِيَهَاتَ أَيْنَ الْمِسْكَ مِنْ رَبَّاهَا
 طَابَتْ فَإِنْ تَبِعَ التَّطِيبُ يَافْتَسِي ۞ فَأَدِمِ عَلَى السَّاعَاتِ لَثْمَ ثَرَاهَا

سيدي عبد الله التواتي

أبو محمد سيدي عبد الله التواتي . كان مأواه بفندق القاعة من عدوة فاس
 القرويين ، وكان أعزب لا أهل له ، أخذ عن سيدي الحاج الوزاني ، وظهرت
 عليه بركته ، وكان موسوماً بالخير والصلاح .

توفي عن سن عالية يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية عام ١٢٥٧ .

عبد الله بن حجّاج بن يوسف الجزائري

الشيخ الفقيه القاضي العدل المرضي العفيف أبو محمد . كان أبوه رجلاً
 من أهل العلم ، أخذ عن أبي بكر بن العربي وغيره ، وأخذ عنه العلم ناس ،
 وكان صالحاً فاضلاً ، وكان قاضياً بالجزائر ، وبها نشأ أبو محمد عبد الله ،
 ثم انتقل إلى بجاية قاضياً بعد تأخير أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي ، وكان
 من أهل العلم والفضل والدين ، وقافاً مع الحق ، عاملاً على الصدق ، مشاوراً
 لأهل العلم ، وطالت مدته في القضاء ، وكان أحسن الناس سيرة وأنقاهم
 باطناً وسريرة ، ودخل الأندلس ، وله رواية عن الجزولي وغيره .

وكان رحمه الله في مدة ولايته القضاء ببجاية ، مع طول مدته ، لا يأكل
 من مرتبه شيئاً ، وإنما كان يصرفه في الصدقة وصلات أهل الخير والبر ، وما
 كان يتناول إلا من شيء يصله من فوائد عقاره ببلد الجزائر مما ورثه عن أبيه .

وتوفي رحمه الله في عشر الأربعين وست مئة ، وخلف خمسة من الولد
عبد الرحمن وعبد الواحد وأحمد ومحمد وعمر ، كلهم ساد وبنى على مكارم
من سلف وأجاد .

أما الفقيه أبو زيد عبد الرحمن فإنه ولي قضاء قسنطينة والجزائر ، وأما
الفقيه أبو عبد الله فكان من الفضلاء والأدباء ، ومن أهل النسك والفضل ،
ولي قضاء بجاية بعد أبيه مدة ، فكان أحسن الناس سيرة وأفضلهم طريقة ،
وأكثرهم تخصصاً ، وكان كثير المعروف يضعه في مواضعه ، وسعت عن
[١٥٨] شيخنا أبي الحسن الزبري رحمه الله أنه كان يقول : ما رأيت أعرف بطريق
أهل المعروف منه .

وأما الفقيه أبو محمد عبد الواحد فولى الخطبة بجامع الموحدين ، ولم
يزل خطيباً إلى أن توفي رحمه الله ، وذلك يزيد على ثلاثين سنة ، وولي قضاء
بجاية ، وهو من الصلحاء الفضلاء لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما الفقيه أبو علي عمر فولى القضاء في بعض أكوار بجاية ، ثم ولي
قضاء الأنكحة ببجاية في مدة ولاية أخيه أبي محمد القضاء بها .

وأما أبو العباس فكان من الصلحاء الفضلاء ، كثير الصدقة كثير الانزواء عن
الناس ، لم يدخل مع الناس نفسه في شيء من أمور دنياهم ، وإنما كان مقتصراً
على حال نفسه مشغولاً بآخرته ، وبيتهم بالجملة بيت كريم ، وأحوالهم جارية
على المنهج القويم والصراط المستقيم .

عبدُ اللهِ بنُ عمرَ السوفي

عبد الله بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي السوفي .

كان رحمه الله في غاية الزهد والورع والتوقي ، قوي الحفظ جداً درس بولاتن ، وتوفي بها سنة تسع وعشرين وتسع مئة (٩٢٩) ، مولده سنة ست وستين وثمان مئة (٨٦٦) ، ومن تحريه أنه كان له خادم يبيع اللبن ويجمع ثمنه ، فباعه مرة بعد المغرب ثم اطلع له على ذلك بعد أن خلط الخادم ثمنه مع غيره من ماله ، فتصدق بالجميع لأجل تعاطيه البيع بالليل ، وكان مالا له بال

سيدي عبدُ اللهِ بنِ غانمِ الدراجي

السيد عبد الله بن غانم الدراجي الهذالي النجاعي .

كان رحمه الله من أهل العلم والدين والزهد واليقين ، انتقل من وطنه قسنطينة عالماً يريد العلم ، متجرداً عن الدنيا وأهلها إلى أن لقي الله تعالى بعمل صالح ، يشهد له به كل من رآه ولازمه ، وأصله من فرقة الهدالة من قبيلة أولاد دراج الظاعنة في الحضنة من أحواز المسلية ، واستوطنت عائلته مدينة قسنطينة ، وبها تعلم وانتقل منها إلى تونس عالماً ، وأخذ في قراءة البخاري دراية ورواية ، وحضر لخته باي تونس سيدي أحمد الحسيني وأعيان المدينة علماً وسياسة ، فوقع له ما وقع .

وذهب إلى المدينة المنورة فألقى عصا التسيار بها ، وأقبل فيها على علوم الآخرة ونشرها ، ولقيه بها العلماء زوار الضريح النبوي ، على صاحبه أفضل

الصلاة وأزكى السلام ، وأخذوا عنه وأجازهم ، وانتفعوا به ، ومنهم في
وطننا العلامة العامل الفاضل الورع البركة ابن البركة شيخنا سيدي محمد الحفناوي
[١٥٩] ابن القطب سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة ، ومنهم الفقيه المفسر
المحدث النحوي الصوفي العالم التقي خاتمة علماء وقته في مدينة الجزائر سيدي
الحاج علي بن الحفاف مفتي السادة المالكية بها ، ووقعت بينه وبين صاحب
الترجمة مخاطبات في مسائل كثيرة عمل فيها بقوله ، ورجع من الحج يحدث
عنه بعجائب من المكاشفات والكرامات ، ومنهم من استجاره في بلده وأجازه ،
كشيخنا نخبة العصر ونايغته ، قاموس العلوم وقابوسها ، حفيدنا سيدي المكّي
ابن القطب سيدي المصطفى بن القطب الشيخ بن عزوز البرجي ، والحاصل
أن الشيخ عبد الله الدراجي قد انتهى به في المدينة المنورة ما انتهى بالشيخ عlish
في مصر ، وبعد كل نهاية بداية ، نسال الله تعالى العفو والعافية في الدارين .

كان الشيخ عالماً صارماً لا يخاف في الله لومة لائم ، فلا يبالي بأمر أمراء
المدينة ولا بنهيم في ما يراه مخالفاً للشريعة ، حكى أهل الثقة والصدق أنه
مر بالحرم الشريف فوجد فيه نساء الحجاج وأولادهم على حالة تنافي حرمة
المحل ، فلم يتمالك أن هجم عليهم بعصاه وأخرجهم منه ، وصارت ضجة
عظيمة انتهى خبرها إلى والي المدينة ، فأمر الوالي بأن لا يبقى الشيخ في المدينة
بعد ثلاثة أيام ، ولما أخبروه بالأمر قال لهم : قولوا له : هو الذي يخرج من
المدينة قبل ثلاثة أيام ، وما أصبح الصباح حتى شاع أن الوالي مشرف على الهلاك ،
وكان كذلك واضطر الوالي بعد المعالجة ونحوها إلى استرضاء الشيخ ، فرضي
عنه وزال ما به .

وله من التأليف « إرشاد أهل الهمم العلية فيما يطلب منهم من الأدعية
النبوية على اختلاف أحوالهم الزكية » فيه ثمانية فصول ، في نحو سبعة كراريس

ومنها «إتحاف المریدین بتحقیق رابطتهم بالحضرتین» ومن أحفاده فی مدینة الجزائر الیوم قاضی السادة الحنفیة الفقیه الشیخ حمو بن الدراجی ، وأخوه الأدیب الأریب علی الدراجی مترجم إدارة المجابی الجزائریة .

توفی سیدی عبد الله سنة ۱۲۹۶ .

أبو محمد عبد الله بن محمد العباسی

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن عثمان التیمی ، الشیخ الفقیه القاضی الفاضل الوجیه ، أحد قضاة العدل ، وولاة الدین والفضل . لقی أبا محمد عبد الحق الاشیلبی ، وأخذ عنه ، وسمع منه ، وأجاز له أبو الطاهر السلمي ، وولي قضاء سبته ، وكان بقاؤه فی القضاء علی أصالة وعلو منصب وجلالة ، وكان من الوجاهة والنباهة بمحل ، وله من التحصیل ما لا یشغله عنه شاغل فی الحل والمرتحل .

وتوفی بمدينة تونس فی شهر ربیع الأول من عام عشرين وتسع مئة (۹۲۰)

عبد الله بن محمد التلمسانی

عبد الله بن محمد بن أحمد الشریف التلمسانی الحسني الإمام العلامة المحقق الحافظ الجلیل المتقن ابن الإمام العلامة الحجة النظار الإمام أبي عبد الله الشریف ، إمام بلا مدافع ، كان صاحب الترجمة من أكابر علماء تلمسان ومحققیهم كأبيه ، وقال بعض من عرف به وأبيه وأخيه فی جزء .

ولد سنة ثمان وأربعین وسبع مئة (۷۴۸) ، فنشأ علی عفة وصیانة وجد ، مرضی الأخلاق ، محمود الأحوال ، موصوفاً بنبل وفهم وحنق وحرص

على طلب العلم ، وكان والده قد بُشِّر به في النوم ، رأى قائلاً يقول له : يزداد عندك ولد عالم ، لا تموت حتى تراه يقرىء العلم ، فكان كذلك قرأ القرآن على الاستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد بفاس ، وأبوه بها حينئذ ، وكان الأستاذ يقرىء أولاً الشرفاء والعظماء لعلو قدره في النحو والقراءة ، وظهرت حينئذ نجابته ، وحفظ القرآن و« جمل الزجاجي » و« ألفية ابن مالك » ، وقرأ على الفقيه النحوي الأستاذ الصالح ابن حياتي « الجمل » ، و« المقرب » ، ثم جملة صالحه من « كتاب سيويه » ، و« التسهيل » ، وانتفع به واعتمد عليه ، وعلى الخطيب ابن مرزوق جملة من البخاري ، وعلى الفقيه أبي عمران العبدوسي جملة من « المدونة » ، وعلى الفقيه الصالح أحمد القباب ، « التلقين » ، و« الرسالة » و« قصيدة الكفيف » في أصول الدين ، وحضر على الشيخ الفقيه الحسن الونشريسي والشيخ الصالح أبي العباس الشماع فرعي ابن الحاجب ، وعلى القاضي أبي العباس أحمد بن الحسن « الموطأ » تفقهاً و« التهذيب » وابن الحاجب الفرعي ، ثم أقبل أبوه عليه وقد كمل تهيئته لقبول الحقائق وفهم الدقائق ، فقرأ عليه في الأصول « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي ، و« محصل الفخر » ، وبعض كتاب النجاة لابن سينا . و« المقاصد » للغزالي ، و« مختصر ابن الحاجب » ، وتأليفه المسمى « مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول » : وفي البيان « الايضاح » و« التلخيص » ، وفي الجدل كتاب « المقترح » لليروني ، وفي الهندسة كتاب « اقليدس » ، وفي المنطق « جمل الخوننجي » مراراً و« المطالع » للسراج الأرمدي ، وفي التصوف « ميزان الغزالي » وسمع منه أكثر « الصحيحين » رواية . و« الأحكام الصغرى » لعبد الحق فقهاً وسامعاً ، و« سيرة ابن إسحاق » و« الشفا » سماعاً وحضر عليه في التفسير من سورة النحل إلى الختم ، ومن أوله إلى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾^(١) ، وقرأ عليه

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧١ .

التفسير أيضاً فاشتغل بكثير من هذه العلوم حياة أبيه الإمام ودرس فيها . قرأ العربية زماناً طويلاً وانتفع به فيه كثيراً . وختم إقراء « الرسالة » في حياة أبيه . وكان مع طلبة أبيه أهل فهم وحفظ ودراية . فإذا بحثوا في شيء أمرهم بالتقييد فيه ويحضر مجلسه كبار الفقهاء . فصدرت منه أجوبة شهدوا بصوابها وحسنها حتى يقوم بعض الشيوخ فيقبل بين عينيه . ثم جلس مجلس أبيه بعد موته ، وحضره من يحضر أباه ، ولم يشق عليه أحد منهم ، فجرى على مذهبه نظراً ونقلاً وتحقيقاً ، واعترفوا بتقدمه حتى كان القاضي علي أبو الحسن المغربي يقول : انتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه لحسن تقريره وبسطه . ثم نقل للجامع الأعظم فأقرأ أحكام عبد الحق . وفرعي ابن الحاجب . ويحضره طلبة فاس ، وشأنهم حفظ المسائل والنقل على عادتهم خلاف عادة التلمسانيين . فيحضره جميعهم فيوفي لكل طريقه .

حدث الفقيه العدل محمد بن صالح الفاسي أنه كان وجماعة من أصحابه يختبرون حفظه وصحة نقله ، فيأتون بالكتب التي ينقل منها وينظرونها حين نقله عنها ، فلا يغير منها حرفاً ، فاعترفوا بحفظه وتحقيقه . ثم بعد نقله يرجح ويوجه لشدة ذكائه ، حتى علم الفقيه أبو القاسم بن رضوان رئيس كتبة المغرب [١٦١] حاله ، فذكره للسلطان عبد العزيز ، وبين له علو قدره ، فوفر له في جرائته من غير سعي فيه ، فكان يكثر في إقرائه النقل ، ويحقق الفقه تحقيقاً بالغاً . وفي الصيف يقرأ في العلوم العقلية من أصول وبيان وعربية وغيرها . يقطع نهاره كله فيه بلا فتور ، وكان الطلبة يقسمون الوقت بالرملية ، حتى لم يكن بالمغرب أكثر اجتهاداً منه في الإقراء وانتفاع الطلبة . وارتحلوا إليه من الآفاق .

وقال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع أبو العباس أحمد بن موسى البجائي وكان ممن رحل إليه وأخذ عنه علماً جماً : لا يوجد اليوم من يرحل عن هذا البلد

إليه مثل شيخنا أبي محمد في غزارة العلم ، وسهولة الإلقاء ، وخفض الجناح ، وكان يثني عليه ثناءً عظيماً ، ويذكر أنه لم يجد شفاءً علته في العلم إلا عنده ، وتبرز صدرًا من صدور العلماء الأئمة ، حافظًا للمسائل ، بصيرًا بالفتاوى والأحكام والنوازل ، نحويًا خالط النحو دمه ، حافظًا للغة والغريب والشعر والمثل ، وأخبار العلماء ومذاهب الفرق ، مشاركًا في جميع العلوم ، حسن المجلس ، عذب الكلام ، فصيحًا مليح المنطق ، محسنًا لرحمه ، مشفقًا على الطلبة ، مثبتًا في الفتوى متحررًا فيها . ولما وقف القاضي أبو عثمان العقباني على جوابه عن سؤال البجائين في مسألة أصول الدين ، كتب تحته : شرح الله صدرك ، ورفع من أهل العلم قدرك ، والسلام . اهـ ما ذكره صاحب التقييد المذكور ملخصاً .

قلت : ثم رحل ودخل غرناطة من الأندلس ، وأقرأ هناك ، وتوفي إثر انصرافه من مالقه غريقاً في البحر قاصداً بلده تلمسان في سفر سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة (٧٩٢) ، هكذا ذكر وفاته تلميذه الإمام أبو الفضل ابن مرزوق الحفيد ، وعمره نحو خمسة وأربعين سنة وأخذ عنه بالأندلس القاضي أبو بكر ابن عاصم وغيره .

وقال الشيخ محمد بن العباس : كان الشريف أبو محمد هذا فقيهاً عالماً علامة حافظاً راوية متبحراً آخر الحفاظ في الفتوى العلية ، ذا نفس طاهرة زكية ، شيخ شيوخنا اهـ .

ونقل عنه في « المعيار » فتاوى : فائدة : قال الإمام ابن مرزوق : جمع شيخنا الإمام العلامة أبو محمد الشريف ، وقد سئل في مجلس تفسيره وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ (١) عن حكمة

(١) سورة آل عمران : الآية ٩١ .

ذكر الذهب دون الياقوت ونحوه مما هو أرفع قيمة من الذهب ، لأن القصد المبالغة في عدم ما يتقبل من الكافر في الفداء ، فأجاب بأنه إنما عظمت قيمة ما ذكر لأنه يباع بذهب كثير . فإذا المقصود الذهب ، وغيره وسيلة إليه . قال ابن [١٦٢] مرزوق : وهذا غاية في الحسن ، ومثل هذا كانت أجوبته على المسائل بديهة رحمه الله تعالى .

عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ التلمساني

الشريف الفقيه أبو محمد ابن القاضي أبي عبد الله المدعو حمو الشريف . توفي سنة ثمان وستين وثمان مئة (٨٦٨) ، وتوفي أخوه الفقيه الحاج الخطيب الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي حمو سنة سبع وستين . وأبوهما حمو المذكور من علماء تلمسان ، وليس هو بالشريف التلمساني الإمام المعروف لأنه من أهل الثامنة ، وهذا من أهل التاسعة فاعلمه .

عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ القلمي

الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر القلمي الفقيه المحصل العدل الرضي التاريخي المحدث ، من قلعة حماد ، يدرس بالجامع الأعظم بالغدادة بمجلس القضاة منه ، وكان حافظاً للخلاف العالي والمذهب المالكي ، حسن النظر والتوجيه ، حافظاً للتاريخ ، وذاكراً لحظ صالِح من الحديث ، وكان مشاوراً شاهداً بالديوان ، وانتهت الرئاسة إليه وتأخر عنها راغباً في التأخر .

كان رحمه الله يقول في مجلس التدريس : إن لي منذ انتهت من الديوان ستة أعوام ، وإن من هو هناك في خطته يقدر أنه اكتسب لي بهذه المدة ستة

آلاف دينار ، وإني قد اكتسبت فيها ستة آلاف دينار . وحديث بدينار أشرف من دينار وكانت قراءته رحمه الله بيجاية ، لقي بها مشايخ كالشيخ أبي زكرياء اللفنتي ، وأبي يزيد اليرناسي ، وأبي العباس الملياني وغيرهم ، وكان من أسباب التوفيق له أنه أخذ أسيراً فوافق في الأسر بعض الفقهاء ، فشرع القراءة عليه ، ثم خلص الله كلاهما ، فجد بعد خروجه واجتهد إلى أن حصل ما حصل وقاده زمان التوفيق إلى ما إليه يميل .

قال في « عنوان الدراية » : وقد قرأت عليه رحمه الله وسمعت وأخذت عنه ، وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه ، وكان يبدأ في مجلسه بالرقائق ، وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرواية ، وكان محباً في العلم وأهله ، ومات عن انقطاع الدنيا متخل عنها ، واشتغال بنفسه ، وكانت له بيجاية وجاهة ونباهة ، وكانت جموع الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده ، وهو كان لسان الناس فيها .

توفي عام تسعة وتسعين وست مئة (٦٩٩) هـ . من « عنوان الدراية » .

عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ المسيلي

جمال الدين أبو محمد الإمام العلامة الأوحد البارع المتفنن . صاحب المصنفات البديعة ، والعلوم الرفيعة .

كان حاله عجبياً ومنزعه غريباً ، وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح ، وانتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي .

توفي سنة ٧٤٤ بالقاهرة هـ . من « الديباج » .

عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ موسى البجلي

أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن علوان الشيخ الفقيه الكاتب الأديب ، المنشئ من أصحابنا الذين هم في وقتنا .

لقي مشايخنا أبا الحسن الحرالي رضي الله عنه رؤية عين وتبرك . وأكثر

[١٦٣] نظره على شيخنا أبي محمد عبد العزيز العيسي ، وأبي العباس الغماري ، تخطط بالعدالة وهي صفته ، وله فقه جيد ، وهو جامع للكتابتين الأدبية والشعرية . شيخ كتاب الكتابة الشرعية في وقته ، وعلى شهادته العمل في الدار السلطانية صانها الله ، وهو المخصوص بالشهادة على الإمارة العلية أعلا الله أمرها . وله تخصص ووقار ورواء حسن واعتبار ، وله نظم في الفرائض ، سلك فيه طريقة الحجازيين والنجديين ، ينحو فيه إلى اللطافة ويتجنب عن الكثافة . وله توقف وثبت في الأمور ، وجرى على الطريقة المحمودة عند الخواص والجمهور ، وهو النائب في صلاة الفريضة بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره ومن نظمه :

من أرضِ نَعْمَانَ هَبَّتْ نَسْمَةُ السَّحَرِ * جاءتُ بنشرِ عَيْرِ طَيْبِ عَطْرِ
نَمَتْ بِسَرِّ خُرَامِي الْجِرْعِ واحتمَلْتُ * ما ضاعَ من نَفحاتِ البانِ والسَّمْرِ
لِلَّهِ ما هَيَّجَتْ مِنْ وَجْدِ مَكْتَسَبِ * وما أثارتُ مِنَ الأشْجانِ والفِكْرِ
فاسْتَشِفَّ مِنْها بِيَمَنِ نَحْوَ الحِمَى نَفَحَتْ * تُخْبِرُكَ عَنْ ساكِنِيهِ طَيْبِ الخَبْرِ
يا لَيْتَ أَيَّامٍ وَصَلَ فِيهِ عائِدَةٌ * بشادِنِ نَلْتُ مِنْهُ مِنْتَهَى وَطَرِي
بِيَدِي لِنَظَرِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَمَرًا * على قَضيبِ لُجَيْنٍ ناعِمٍ نَضْرِي
إِذا تَشَّى تَشَّى قَدَّهُ غُصْنُ نَاسٍ * وإِنْ يَنْمُ سَلٌّ أَسِيفًا مِنَ الحَوْرِ
مَهْفَهفٍ بِتِ أَسْقَى مِنْ مَراشِفِهِ * خَمْرًا فأسْقَى الظُّمَأَ مِنْ بارِدِ حَصْرِ

يفترُّ عن أقحوانٍ يانعٍ عَيْبِقٍ « وَعَنْ عَقِيقٍ وَعَنْ نَوْرِ وَعَنْ دُرِّ
 ما لآح لي بارقٌ من أفقٍ مَبْسَمِهِ « إِلَّا اسْتَهَلَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ كَالْمَطَرِ
 وَلَا تَطَّلَعُ مِنْ أُرْرَارٍ حُلَّتِ بِهِ « إِلَّا زَرَى بَضِيَاءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

عبدُ اللهِ بنُ محمودِ بنِ عمرِ التنبكي

عبدُ الله بن محمود بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي ابن أخي
 السابق آنفاً .

كان فقيهاً ساذجاً مستحضراً لمسائل الفقه ونوازله ، معتنياً بذلك خصوصاً
 « مختصر خليل » و « الرسالة » يستحضرها نصب عينيه ، لاحظ له في غير الفقه .
 توفي بعد امتحانه وإجلاله مع أهل بيته إلى مراکش أول يوم من شعبان ،
 يوم الاثنين عام ستة وألف (١٠٠٦) في الطاعون مطعوناً تقبل الله شهادته ،
 وكان رحيماً رقيق القلب رحمه الله تعالى .

أبو محمدِ عبدِ الملكِ الرَّاشدي

قدوة العلماء ورئيس النبلاء ، حامل لواء الحفظ ، وجامع شتات المذهب
 المالكي . تولى الفتيا المالكية ، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٣٣ .

عبدُ الملكِ بنُ زيادةِ اللهِ الطنبي^(١)

أبو مروان الطنبي وهو عبد الملك بن زيادة الله .
 قال في « الذخيرة » : كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام ، وحملة

(١) طنبة : مدينة كبيرة ، كانت في نواحي المسيلة مثل مدينة نفاوس .

ألوية الأقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر . طروؤوا
[١٦] على قرطبة قبل اقتراق الجماعة وانتشار شمل الطاعة ، وأناخوا فيها ولحقوا
بسروات أهلها ، وأبو مضر أبوه زيادة الله بن علي التميمي الطنبلي هو أول
من بنى بيت شرفهم ، ورفع في الأندلس صوته بنباهة سلفهم .

قال أبو حيان : وكان أبو مضر نديم محمد بن أبي عامر أمتع الناس
حديثاً ومشاهدة ، وأنصفهم طرباً وأحذقهم أبواب الشحد والملاطفة ، وآخذهم
بقلوب الملوك والجللة ، وأنظمتهم لشمل إفادة ونجعة . انتهى المقصود منه .
ثم قال في « الذخيرة » : فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث
والرواية ، ورحل إلى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز ،
وقتل بقرطبة سنة ٤٥٧ هـ انتهى . وقد ذكر قصة قتله المستبشعة ، واتهم باغتياله
ابنه ، ومن نظم أبي مروان الطنبلي المذكور ما وجدته صاحب « الذخيرة » في
بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة ، قال : لما عدا أبو عامر أحمد بن
محمد بن أبي عامر الخدلي في مجلسه وضربه ضرباً موجعاً . . وأقرّ بذلك
أعين مطالبه ، قال أبو مروان الطنبلي فيه :

شكرتُ للعامريِّ ما صنعنا * ولم أقلُّ للحديديِّ لـمـا
ليث عرين عدا بعزيتيه * مفترساً في وجاره ضبعا
لا برحتُ كفه ممكناً * من الأمانى فنعم ما صنعنا
ووددتُ لو كنتُ شاهداً لهمنا * حتى ترى العين ذلَّ ما خضعا
إن طال منه سجوده فلقـد * طال لغير السجود ما ركعنا
قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله :

كم ركعة ركع الضبعان تحت يدي * ولم يقل : سمع الله لمن حمده
ثم قال ابن بسام في « الذخيرة » ما نصه : والترب تقول فلان يركع لغير

صلاة ، إذا كنوا عن عهر الخلوة ، ومن مليح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته :

قلتُ : التَّشِيْعُ حُبُّ أَصْلَعِ هَاشِمٍ « قَرَفَضِي إِنْ شِئْتِ أَوْ فَتَشِيْعِي
قالتُ : أَصْلَعُ هَاشِمٍ وَتَنَفَّسَتْ « بَأبي وَأُمِّي كُلَّ شَيْءٍ أَصْلَعِي

ولما صنت كتابي هذا من شين الهجاء ، وكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء
أجريت ها هنا طلقاً من مليح التعريض في ايجاز القريض ، مما لا أدب على
قائليه ، ولا وصمة عظمى على من قيل فيه ، والهجاء ينقسم قسمين :

فقسم يسمونه هجو الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سبباً مقذعاً ولا
هجواً مستبشعاً ، وهو ما طأطأ قديماً من الأوائل ، وثلّ عروش القبائل ،
إنما هو توبيخ وتغيير وتقديم وتأخير ، كقول النجاشي في بني العجلان ، وشهرة
شعره منعتني عن ذكره ، واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
وأنشدوه قول النجاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات ، وفعل ذلك بالزبرقان
حين شكوا بالحطيئة ، وسأله أن ينشد ما قال فيه فأنشده قوله :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا « واقعدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

[١٦٥]

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال : والله ما أود بما قال له : حمر النعم ،
وقال حسان : لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل البشيرم ، فهم عمر رضي
الله عنه بعقابه ، ثم استعطفه بشعره المشهور .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً : أحسابكم يا بني أمية ، فما أود أن يكون
لي ما طلعت عليه الشمس وأن الأعشى قال في :

تَبَيَّنَ فِي الْمَشْتَى مَلَأَ بَطُونَكُمْ « وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتِي يَبْتَنُ خَمَائِصًا

ولما سمع علقمة بن عُلَاثة هذا البيت بكى وقال : أنحنُ نفعل هذا بجاراتنا .

ودعا عليه . فإظنك بشيء يبكي علقمة بن علاثة ، وقد كان عندهم لو ضرب
 بالسيف ما قال حسن ، وقد كان الراعي يقول : هجوت جماعة من الشعراء ،
 وما قلت فيهم ما تستحي العذراء أن تنشده في خدرها ، ولما قال جرير :
 فغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ * فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
 أطفأ مصباحه ونام ، وقد كان بات ليلته يتململ لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته
 وشفى غيظه ، قال الراعي : فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب
 إلا وسمعنا البيت ، قد سبقنا إليه ، حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج إلينا النساء
 والصبيان يقولون : قَبَّحَكُمُ اللَّهُ ، وقبح ما جئتمونا به .

والقسم الثاني : هو السباب الذي أحدثه جرير أيضاً وطبقته ، وكان يقول :
 إذا هجوتهم فأضحكوا . وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتاً ، ولا عُيرت به
 قبيلة ، وهو الذي صنَّا هذا المجموع عنه ، وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه ،
 فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه في « يتيمته » ما شأنه اسمه ، وبقي عليه إثمه ،
 ومن مליح التعريض قول بعضهم في غلام كان يصحب رجلاً يسمى بالبعوضة :
 أقول لشادنكم قولاً * ولكنها رمزة غامضة
 لزوم البعوض له دائماً * يدلُّ على أنها حامضة
 وأنشدت في مثله لبعض أهل الوقت :

بيني وبينك سرُّ لا أبوح به * الكلُّ يعملهُ واللَّهُ غافِرُهُ
 وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال : عاتبت بعض الإخوان عتاباً
 شديداً عن أمر أوجع فيه قلبي ، وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت :
 وإني على ما هاج صدري وغازطني * ليأمنني من كان عندي له سرُّ
 فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ، ولم يزل يقلق به حتى بكى

إلى منه بالدموع ، وهذا الباب ممتد الأطناب ، ويكنى ما مر ويمر منه في
أضفاف هذا الكتاب . انتهى كلام ابن بسام في « الذخيرة » بلفظه .

ولاخفاء أنه عارض « بالذخيرة » « يتيمة الثعالبي » ، ولذا قال في خطبة
الذخيرة : أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم
رسله فإن ثمرة هذا الأدب العالي الرتبة رسالة تنثر وترسل ، وأبيات تنظم وتفصل
[١٦٦] تتال تلك انبثال القطر على صفحات الأزهار ، وتتصل هذه اتصال القلائد
على نحور الخرائد ، وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا
من فرسان الفنّين ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيب مكاسر ، وصفاء
جواهر ، وعدوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب اللجي
بجفون المورق ، وحدوا بفنون السحر المنق حذاء الأعشى بينات المحلق اه .
« نفع الطيب » .

أبو محمد عبد المنعم الجزائري

الفقيه القاضي الفاضل الشيخ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن
عتيق الفسائي ، من أهل الجزائر .

لقي المشيخة التي لقبها الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع ، كانت قراءتهما
معاً ، ولقي الفقيه أبا علي بن عبد النور الجزائري بالجزائر ، ولقي بها أبا عبد
الله بن منداس .

وكان له فقه وأدب وعلم بالفرائض وإحكام الصناعة للوثائق ، كان فيها
تلو الفقيه أبي محمد عبد الحق السابق ، وهو المصلي . ولم يكن أحد بعدهما
يلحق بهما في وقتهما . وكانت له نزاهة ووجاهة وديانة وصيانة ، وله شعر رائق .
وكتب أدبي فائق ، وكان ينشئ البياعات والكتب السلطاني إنشاءً وجواباً .

فكلُّ به حيرانٌ يندُبُ شجوهُ وسكرانٌ لا من خمرةٍ بل بغمرةِ
وكلُّ نبيٍّ يسألُ اللهَ نفسَهُ ويضربُ صفحاً عن سؤالِ لأمنتهِ
خلا شافعٌ فينا كريمٌ مشفّعٌ بهِ يشملُ اللهُ العبادَ برحمتهِ
إذا لم يطق شخصٌ فعلاً مخلصاً ولم يلفِ ما يُنجيه من غمِّ حسرتهِ
يعمهمُ المختارُ أحمدُ بالذي خبى لهم للحشرِ من فضلِ دعوتهِ
فمن ذا له فضلٌ كفضلِ محمدٍ على أمةٍ أو من له مثلُ نعمتهِ
فيا ربِّه بلِّغْ عبيدك قـبـرَهُ ليحظى بتقبيلِ لطاهرِ تربتهِ
ويأنس في الدنيا به في جوارهِ ويدخل يومَ العرضِ في أهلِ طيبتهِ
وجازِهِ عناً بالذي أنتَ أهلُهُ وخيرُ الوري أنتَ الكفيلُ بمنتهِ

عبدُ الواحدِ بنِ أحمدَ التلمساني

عبد الواحد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ، قاضي الجماعة بتلمسان ،
توفي عام ستة وتسعين وثمان مئة (٨٩٦) .

سيدي عبد الواحد الونشريسي

كان متضلعا في الفقه والنحو والأدب وغيرها من الفنون ، محققا لجميعها
مع طلاقة اللسان ، وحسن التعبير وسرعته ، وجودة الخط ، والشعر الرائق ،
يرتجل المكاتبات في الأمور العويصة ، ويأتي فيها بالعجب العجاب ، وكان
له مجلس يحضره أكابر العلماء كالزقاق واليسيتني وغيرهما .

ولد بفاس بعد انتقال أبيه إليها من تلمسان ، وأخذ عنه ، وعن الشيخ
ابن غازي ، وغيرهما من أهل عصرهما ، ولم يكن في حياة أبيه في جد طلب

بل يؤثر الراحة على التعب ، زوجه أبوه سنة عشر أو إحدى عشرة وتسع مئة
فلما أعرس أطلق القاضي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني الشهير
بالقاضي المكناسي يده على الشهادة ، وقال لأبيه : هذه هديتي لهذا العرس .
[١٦٨] وكانت الشهادة عند هذا القاضي عزيزة ، كان يقول : من طلبها لي فكأنما خطب
ابنتي ، ثم ولي بعد أبيه دروسه الوقفية ، ثم ولي القضاء والفتوى بفاس .
فبقي نحواً من ثمان عشرة سنة ، ثم تخلى عن القضاء إلى الفتوى بعد موت
ابن هارون ، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم .

وتوفي قتيلاً في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وتسع مئة (٩٥٥) هـ .

عبد الوهاب بن يوسف البجائي

عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر الفقيه الفاضل أحد الأفاضل ، قل
أن يسمح بمثله .

قرأ ببجاية ، ولقي بها ناساً ، ورحل للشرق ولقي أفاضل ، حج مرتين ،
وله تحصيل جيد في الفقه والأصول ، ومعرفة بالحكمة ، وبراعة في المنطق .
خصوصاً على طريقة المتأخرين ، ولم يكن في وقته أعلم منه بكشف الأسرار الذي
وضعه الجوهري في علم المنطق ، وهو أعلم من واضعه ، ولي قضاء جملة بلاد
في إفريقية كتوزر وقفصه وغيرهما ، وحقه أن يتقدم على أكابر وقته ، ولكن
الحظوظ لا تجري على العقول ، فالأرزاق قسم والعقول مثلها ، وكذلك
الحظوظ .

توفي بتونس في عشر الستين وست مئة ، صح من « عنوان الغبريني » قيل :
طريق المتأخرين طريق الإمام الفخر ، والمتقدمين طريق الفارابي .

سَيِّدِي عَثْمَانُ السُّودَانِي

الفقيه أبو سعيد عثمان السوداني ، ممن قرأ على سيدي عبد القادر الفاسي .

أبو مُحَمَّدٍ عَطِيَّةَ اللَّهِ الْبِرَاتِي

الشيخ أبو محمد عطية الله بن منصور الزواوي البراتي الفقيه الصالح العابد الموفق الموهوب ، من عطايا الله السنية ، ما صار به اسمه المبارك ، جاء ما بين الإضافة والعلمية ، وهو جنع بين العلم والعمل ، وبلغ في مراقب التقوى إلى غاية الأمل .

سمعت ممن أثق به أن وليين من أولياء الله تعالى وردا على منزله ضيفين . وهو حديث السن ، وكان بعيد الحفظ ، فتوسما فيه سمة العلم والتقوى . رَقَوِي فِي بَاطِنِهِمَا أَنَّهُ مَن يَسْتَحِقُّ مَنَاصِبَ أَوْلِي الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ ، فَاتَّفَقَا عَلَى الْوَجْهِةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَمْرِهِ وَالضَّرَاعَةَ إِلَيْهِ أَنْ يَفِيضَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ ، فَأَخَذَاهُ وَأَجْلَسَاهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، وَجَمَلًا يَجْبِذَانِ شَعْرَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَظْهَرُ لَهُمَا فِي أَمْرِهِ جَلَاءٌ ، وَهُمَا يَقُولَانِ : لَنْ نَغْلِبَ عَلَيْهِ ، لَنْ نَغْلِبَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ بِي أَنْ ظَهَرَ لَهُمَا أَنْجَحُ حَالِهِ ، وَعَقِبَ مَالِهِ ، فَأَرْسَلَاهُ مِنْ أَيْدِيهِمَا . فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَنْوَارِ ، وَتَبَدَّتْ لَهُ غَرَائِبُ وَأَسْرَارُ .

وكان في غاية الحفظ والإتقان ، لا يطالع شيئاً إلا حفظه من ساعته . ولقد سمعت من بعض الشيوخ رحمهم الله أنه سمع بكتاب غريب عند بعض الطلبة ، وأنه وجه إليه في نسخه فتعلل عليه ، فطلبه أن يعيره له ليلة واحدة فأسعفه لذلك ، فطالعه من أوله إلى آخره . فحفظه من ليلته . فأعاد الكتاب

إليه . ثم أملاه من صدره . وذكر لي أن اسمه الذي سمي به لم يكن عطية الله ، وإنما سمي بعطية الله بعد ظهور هذا الأمر عليه ، فكان يقال : عطية الله ، يُكنى عن هذه المواهب التي وهبه الله ، ثم غلب عليه هذا الاسم حتى اتسمه وصار لا يعرف بسواه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، رزقنا الله بركة أوليائه . وجعلنا من خواص الأصفياء بفضلله اهـ .

عفيفُ الدين التلمساني

في « فوات الوفيات » لابن شاکر ما نصه : سليمان بن علي بن عبد الله ابن علي الشيخ الأديب البارع عفيف الدين التلمساني . كان يدعي العرفان ، ويتكلم على اصطلاح القوم ، قال قطب الدين اليونيني : كان حسن العشرة ، كريم الأخلاق ، وله حرمة ووجاهة . خدم في عدة جهات .

وقال الجزري في « تاريخه » : إنه عمل ببلاد الروم أربعين خلوة ، يخرج من واحدة ، ويدخل في أخرى ، وله في كل علم تصنيف ، وحكى بعضهم قال : اطلعت عليه يوم قبض ، فقلت له : كيف حالك ؟ قال : بخير ، من عرف الله كيف يخافه ، والله منذ عرفته ما خفته وأنا فرحان بلقائه ، قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : وحكى لي الشيخ طي الحافي قال : كان عفيف الدين مباشراً استيفاء الخزانة بدمشق ، فحضر إلا سعد بن السيد الأعز إلى دمشق صحبة السلطان الملك المنصور ، فقال له يوماً : يا عفيف الدين أريد منك أن تعمل لي أوراقاً بمصروف الخزانة وحاصلها ، قال : نعم وطلبها منه مرة أخرى ، ومرة وهو يقول : نعم ، فقال في الآخر : أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول : نعم ، وأغلظ له في القول ، فقال له الشيخ عفيف الدين : ويحك لمن تقول هذا الكلام ، ثم شق ثيابه . وقام بهم بالدخول للسلطان ، فقام الناس

إلى الأسعد وعرفوه بالشيخ . وقالوا له : متى دخل إلى السلطان آذاك ، فسألهم رده واستعذر له . وقال الشيخ أثير الدين المذكور : هذا الشيخ عفيف الدين أديب ماهر جيد النظم . تارة يكون شيخ صوفية ، وتارة كاتباً ، وتارة مجرداً ، قدم علينا القاهرة ونزل بخانقاه سعيد السعداء عند صاحبه ، وشيخها الشيخ شمس الدين الايلي . وكان متخيلاً في أقواله وأفعاله طريقة ابن العربي .

[١٧٠]

توفي الشيخ عفيف الدين بدمشق في شهر سنة تسعين وست مئة (٦٩٠) ، ودفن بمقابر الصوفية ، ومن نظمه :

وقفنا على المعنى قديماً فما أغنى * ولا دلت الألفاظ منه على معنى
 وكم فيه أمسينا وبتنا بربعه * حيارى وأصبحنا حيارى كما بتنا
 فلم نر للغيد الحسان بهم سنى * ولولا النصارى ما ثملنا ولا ملنا
 ثملنا وملنا والدموع مدامنا * ومن أجل بدر التم في حُسْنِها أسنا
 نسائل بانات الحمى عن قدودهم * ولا سيما في لينها البانة الغنا
 ونلثم تراب الأرض أن قد مشت بها * سكبى ولبنى لا سلبى ولا لبسى
 فوا أسفاً فيه على يوسف الحمى * ويعقوبه تبيض أعينه حزنا
 وليس الشجي مثل الخلي لأجل ذا * به نحن نحنا والحمام بنا غنى
 ينادي مناديهم ويصغي إلى الصدا * فسالنا عنهم بمثل الذي قلنا

ومنه :

لا تلم صبوتي فمن حبَّ يصبو * إنما يرحم المحبَّ المحسب
 كيف لا يوقد النسيم غرامى * وله في ديار ليلي مهسب
 ما اعتذاري إذا خبت لي نار * وحيبي أنواره ليس نخبو

وشعره جيد للغاية ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين .

علي بن أبي القاسم التلمساني

أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون أو بهتون .
 روى عن أبي الحسن شريح ، وأبي عبد الله أحمد الخولاني ، وأبي
 علي الصدفي ، وأبي عمران بن أبي تليد ، وروى عنه أبو الحسن بن محمد
 ابن خيار ، وأبو الخطاب بن الجميل ، وأبو طالب عقيل بن عطية ، وأبو عبد
 الله بن عبد الحق ، وأبو محمد قاسم ابن الحشا .
 وكان متبحراً في الفقه محققاً لأصوله .

وله تأليف كثيرة أجملها «المقتضب الأشفي في اختصار المستصفي» ، وكان
 سري الهمة كثير المعروف خيراً فاضلاً ، ولي قضاء تلمسان بعد أبي يوسف بن
 حجاج فعدل ، وأحسن السيرة ، وتوفي سنة سبع وخمسين وخمسة مئة (٥٥٧)

علي بن أحمد الشريف بن مالك الجزائري

لا أعرف من تاريخه إلا قصيدته هذه :

أيا جيرةً حلُّوا بخيرٍ مقامِ * لكم قد صبا قلبي وطابَ مقامِ
 سعدتُ فبشرى إذ مُنحتُ بحبِّكم * وذاك مناي في الدنيا ومَرامِ
 لقد أضرمَ الأشواقَ بدرُ مجيئِكُم * وأتلفَ صبري في الهوى ومنامِ
 وصادَ بكمُ لبي رشاً أحورَ الجفوَ * نِ أحوى عليلَ الخصرِ علَ عظامِ
 برى حبهُ جسمي وصيرني الهوى * حليفَ سهادٍ ما لضعفي حَمامِ
 لقد أضرمتُ نارُ الخليلِ بمهجتي * فهامَ لها دمعي كقطرِ غَمَامِ
 ومن عجبِ ماءٍ ونارٍ تألَّفَا * وأعجبُ من ذا كونهُ عن صِرامِ
 [١٧١] له اللهُ من ظبيِ شرودٍ فكَمُ رمى * فوادي على بُعدٍ يُريدُ حِمَامِ

وقد الحشا يوماً بخذ تسلسلت ۞ عليه عذارٌ فوقَ ورْدِ كَلَامِ
 فناديتُهُ والقلبُ برَّحُهُ الجَسْوَى ۞ أمولايَ صِلني إنني في هِيَامِ
 وزارَ علي غيظِ الحسودِ تعطفُفَا ۞ وحياني أحياناً فأحيا عظامِ
 ومقلته الوسناءُ تدنو تغافلاً ۞ كلحظِ غزالٍ قد رَنَى مِن منامِ
 وغصنُ النَّقا يختالُ في الرَّوضِ إذ بدا ۞ حياءُ بقَدِّ قَدِّ كُلِّ قَسْوَامِ
 أراقبُ بدرَ الأفقِ عنه إذا اهتدى ۞ وأنشقُ رِيّاً المسكِ حينَ ابتسامِ
 قضى حسنه الوضاحُ عن كُلِّ ناظرٍ ۞ بالألأ يُرى إلّا قَتيلَ غَمَامِ
 ولما رأى العذالُ بعضَ جمالِهِ ۞ رثوا لي ورقوا واهتدوا لهيَامِ
 وما صبوتي فيمنَ رأوكِ حقيقَةً ۞ ولكنني أصبو بحُبِّ إِمَامِ
 أبي زيد القطب الأجل الثعالبي ۞ إمام الوري طراً بكلِّ مَقَامِ
 سليل خيارٍ أحرزوا الفضل والنَّدا ۞ وأعطوا نجاراً في البريةِ سامِ
 لهم كلُّ فضلٍ ينمي فجنابُهُم ۞ وعصرهم أصلٌ لكلِّ فخَامِ
 حياهم إياه العرشِ كلِّ فضيلة ۞ وأربوا على أعلى السُّهى بهُمَامِ
 هنيئاً وبُشرى للجزائرِ إذ غدت ۞ بهِ مقصداً شوقاً لأهل الفِرامِ
 بهِ لبستُ ثوبَ الفخارِ وجسرتُ ۞ ذيولَ المنى واستبشرتُ بمِرامِ
 وأمطرها سحْبَ المكارمِ والتُّقى ۞ وسيقتُ لها الخيراتُ طولَ الدوامِ
 وحلَّ بها الفتحُ المبينُ لقاصد ۞ لديه المنى والأمرُ مِن كلِّ رامِ
 ألا حبذا ربعٌ تضمَّنَ قبره ۞ رياضُ من الفردوسِ قُربَ خيامِ
 مقامٌ له قد زرَّ أسرارَ سُدُسِ ۞ حوالبِهِ راياتُ علَّتْ بسهامِ
 فمنَ بادرَ التوفيقَ حازَ ظلالها ۞ ومنَ حادَ عن تقوى رمتُهُ بسَامِ
 كما الصافاتُ الغرُّ تملكُ رسنها ۞ تراعي بها الأملاكُ فحلَّ إِمَامِ
 قوائمها الدرُّ المجوفُ سرجها النز ۞ بوجدُ موصولاً بخيرِ زَمَامِ
 كذا شيخه حَبْرُ الأنامِ وكنزها ۞ أبو جمعة الأتقى سميُّ المقامِ

[١٧] فيا فوزَ مَنْ أضحى نزيلاً رُباهما
وياربِحَ مَنْ حلَّ السَّدادَ لقلبه
بصافِحُه التوفيقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَة
لقد ضَمَّ أسراراً وعِلماً وحِكْمَةً
وَأَمسى بِهِ الرَّبُّ الشَّرِيفُ مَقْدَساً
تطوفُ بِهِ الأَملاكُ مِنْ كُلِّ جانِب
عليكَ بِهِ يا مَنْ يُريدُ سَعادَةً
هو البَحْرُ عذبُ الوَرْدِ مَهْمَا قَصَدْتَهُ
لقد خُصَّ قَدِماً بالمكارِمِ واغْتَنى
إِذا ما بَدَأَ فِي الجَوِّ طالِعُ نَسورِهِ
فَكَمَّ شادَ مِنْ عِلْمٍ عَزِيزٍ وَحِكْمَةٍ
أفادَ جِزاهُ اللهُ خَيْرَ جِزائِهِ
جِواهِرُ تُسمى بِالْحِسانِ فَكَمَّ رَمَتْ
عليكَ بِها تَشْفِي الغليلَ فَقَدِ حَسوتُ
فَللهِ كَمَّ أَجرتُ بَراعَةَ نَهْرِها
رِياضُ لَهُ لِلصالحينَ أَفْسادُهُ
وَكَمَّ مِنْ تاليفِ أَفادتُ بِها التُّهَى
فَمَنْ بَعْدَهُ لِلعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّيْدا
وَمَنْ بَعْدَهُ يَروي الحَدِيثَ تَفهُمًا
لقد أَقسَمَتُ أَيدي الرِّمانِ بِأنْها
فَها وَإِنْ أَرَدتُ شَيْئاً فِسرَ لَهُ
بِقَبْرِ لَهُ كَمَّ فَازَ أَهلُ الهِدى وَكَمَّ
لَهُ أَوْلِياءُ اللهُ أَلقتُ زِمَامَها

« هنيئاً لَهُ يا فوزُهُ بِمِــرامِ
وزارَ على الأيصالِ خَيْرَ أُنْامِ
ويحظى بِتقوى اللهِ زادَ الكِرامِ
ورأوْحَهُ الرِّضوانُ طوَلَ الدَّوامِ
يُباهي بِهِ الفِردوسَ دارَ السَّلامِ
لِتاْمينِ دَاعٍ قَدْ دعا بِغِــرامِ
وفوزاً مِنْ المولى وَكُلَّ هُمَامِ
سَقاكَ بِهِ نَهلاً سَقاءَ كِــرامِ
ثديّ العِلْمِ الجَمِّ قَبْلَ فِطامِ
تردَّتْ بِدورِ الأفقِ ثوبَ ظلامِ
وَكَمَّ بثَّ أسراراً بِحُسْنِ نِظامِ
وبوَّاهُ الفِردوسَ أَعْلَى مَقامِ
بِكشَفِ مَعانِ اللِّقْرانِ عِظامِ
بِتِبايِنِها الوِضاحِ كُلِّ مِــرامِ
وأبَدتُ مَعانِ عَذبةً باحتِكامِ
كَروِضَةِ أنوارِ بَدِيعِ النِّظامِ
تُعَدُّ بِإِبداعِ وَحُسْنِ انْــسجامِ
وَمَنْ بِكِتابِ اللهِ بادي القِيامِ
وَحِفظاً وإِسناداً بِعذبِ كِلامِ
عَقِيمٌ على مِثْلِ لَهُ بِــدوامِ
تَنلُ كُلَّ مَطْلوبٍ بِخَيْرِ مَقامِ
أنا لَ المني صَباً أتى مُتــرامِ
تِراهُ لَها بِدراً كَبِــرامِ

وسلطانها بل قطبها وسراجها
أبو زيد الأرضي الأبر الثعالبي
لقد أودع الله الجزائرَ رحمةً
به أشرفت أنوارُ صدري وأورقت
بقلبي قد أضمرتُ حبه كاتماً
منازله عادت إلينا مناهلاً
ألا حدثنُ عمن هويت وأسندنُ
وكرر لنا ذكر الحديثِ مسلسلاً
لقد رقت لي فيه النسيبُ وساعدت
مآثره لا تنقضي لمحادث
أمولاي يا غوث الأنام تعطفاً
خدمتك يا مولاي أرجو تكرماً
فأنت الذي يُعطي الجزيلَ لقاصد
وأنت الذي حازَ المفاخرَ والعلا [١٧٣]
وأنت الذي أخبرت أنك فائز
وأنت الذي بشرت خيرَ بشارة
وأنت الذي أعطيت خيرَ كرامة
وأنت الذي من أم قبرك هدمت
وأنت الذي حورُ الجنان تأهبت
وأنت الذي توّجت تاجَ البها بحض
وأنت الذي تُرجى لكل عظمة
وأنت إذا جارَ الزمانُ بنكبة
وأنت الذي ينجو العليقُ بذيله
وعروتها الوثقى لكل الأنام
إمام الهدى بحرُ النداء المتظام
وعمت بها النهى بغوثِ همام
غصونُ مناي في رياضِ إكمام
فلم تدر ما بالقلب منه عظام
تمتع بها يا قلبُ والعيشُ سام
رواياتك القربى بعهدِ إمام
فذكرك تريقُ لأهل الغرام
عليه قوافي الشعرِ حينَ نظام
ومن أين لي عدُّ لقطرِ الغمام
وجوداً على عبدٍ لكم مترام
قبولاً لديكم يزدهي بتمام
وأنت لربِّ الدهرِ كهف الأنام
وفضلكَ في السبعِ السماوات سام
بحب من المولى وكلَّ إمام
من الله بالغفران ثم سلام
من الله إذ سماك قطب الأنام
له سيئات مع بلوغ مرام
لوصلك فاشتقت له بغرام
رة المصطفى شفّته بغرام
وأنت الذي تسطو لكل مضام
جديرٌ بنصرِ حافظٍ لدمام
ويروي كؤوسَ الوصلِ بعد أوام

أمولاي إني قد عرفت بحبكم
 فحبكم ذخري وكتري ومقصدي
 إلهي بقطب الأولياء الثعالبي
 وهب لي أيا منان علماً وتوبة
 وبلغ مرادي من زيارة أحمد
 لطيبة كم أصبو وما لي قسرة
 أهيل الحمى متوا علي بزورة
 وأضحى لديكم في الأنام منعماً
 نبي الهدى المبعوث للخلق منة
 هو الرحمة المهداة للخلق منة
 هو البدر إلا أنه الكامل الذي
 وبحر الندامجلي الصدا أينما بدا
 له معجزات أفحمت كل ناكِر
 له أتت الأشجار ساجدة كما
 وكالشمس إذ ردت له بعد ميلها
 وإرواء جيش من زلال بكفه
 وبالغار نسج العنكبوت لآية
 وتسليم ثعبان عليه وظيئة
 ورد لسان قص بعد انفصاله
 هو المصطفى المختار من خير أمة
 إلهي به والآل هب لي تخلصاً
 وشفع أيا رحمان فينا محمداً
 وعمر إلهي من محبة دينه

[١٧٤]

وواصل على خير الأنام تحية ۞ صلاة شذاها عنبري الخيام
 كذا الآل والأصحاب ما هبت الصبا ۞ وما أمت العشاق أهل الخيام
 أثبتها علي بن أحمد الشريف بن مالك ، رحمه الله ونفعنا به آمين .

سيدي علي التواتي

الولي الصالح المجذوب السائح أبو الحسن سيدي علي التواتي .

ترجمه في كتاب « التفكير والاعتبار » : فقال : ومنهم الشيخ المجذوب
 المولاه سيدي أبو الحسن علي بن الحاج التواتي ، دفن بين المدن عدوة فاس ،
 بقرب مسجد الشوك .

توفي رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين وألف (١٠٥٨) هـ ، وأورده
 في « التنبيه » ولم يذكر له وفاة ولا غيرها ، وكذا الشيخ المدرع في منظومته فقال :
 وسيدي علي التواتي ۞ بجمع الشوك من السراة
 وضريحه رحمه الله مشهور إلى الآن ، مزار متبرك .

علي بن ثابت التلمساني

علي بن ثابت بن سعيد بن علي بن محمد بن علي بن سعيد بن محمد بن
 عبد الله بن يخلف بن عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن ياسين بن عبد الملك
 ابن محمد بن قيس بن أحمد بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي
 الأموي ، هكذا نسبه شيخه الإمام ابن مرزوق الحفيد في إجازته له .

كان مقطوع النظر في الورع والاجتهاد والدين ، قائم الليل صائم النهار .
له من التأليف نحو ثمانية وعشرين تأليفاً ، أكثرها في أصول الدين والحديث
والتاريخ والطب ، منها : ثلاثة شروح على البردة الكبير والوسط والصغير ،
وشرح لتنقيح القرا في ، وشرح عقيدة الضير .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق ، وتوفي في ذي الحجة متم عام تسعة وعشرين
وثمان مئة (٨٢٩) ، وسنه سبع وخمسون سنة .

علي بن الحفاف الجزائري

من « صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار »

قال الشيخ بيرم في « رحلته » : ومن الأخيار الذين اجتمعت بهم ومنحوني
فضائل أخلاقهم التحرير العالم الشيخ علي بن الحفاف المفتي المالكي بقاعدة
الجزائر ، وهو من تلامذة علامة القطر الإفريقي الشيخ إبراهيم الرياحي ، كما
أخبرني بذلك عن نفسه ، وله فضائل كاملة ، وتقوى وسكينة ، واطلاع وسعة
في الفقه والحديث الخ .

ومما دار بينهما من الكلام الكلام على الهجرة ، فأشار عليه بأن بقاء العالم
للناس خير له من انتقاله لنفسه ، وقال : ذلك هو المنصوص عليه في فقها .
أقول : وكنت سألت شيخنا الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي
في هذا المعنى قبل قدومي إلى الجزائر بسنوات ثلاث أو أربع ، فأجابني من
دون تأمل بأن النهار أو الليل لا مفر منه إذا أقبل ، إشارة إلى أن الأرض في
العصر الجديد دار واحدة لا ينتقل منها إلا إليها رضي الله عنه .

وكانت وفاة الإمام ابن الحفاف يوم السبت صباحاً عام ١٣٠٧ ، وكنت
في عشية يوم الجمعة قصدته مع علامة المغربين الأدنى والأوسط الشيخ المكي

ابن مصطفى بن عزوز، فررناه وطلب منه الشيخ الإجازة في البخاري خصوصاً
وفي غيره على ما أظن عموماً فأجازه، وفي الغد سمعنا بوفاته ف سبحان القدير
على جمع من يشاء بمن يشاء متى شاء .

عليُّ بنُ ذي الوزارتين التلمساني

علي بن ذي الوزارتين محمد بن المسعود الخزاعي التلمساني المولد ،
الفاسي الوفاة ، الأندلسي الأب والسلف ، الفقيه الكاتب وهو القائل لما كبا
بموسى بن أبي عنان المريني فرسه بالشماعين :

[١٧٥]
مولاي لا ذنبَ للشِّقراءِ إنْ عثرتُ « ومنْ يلمُّها لعمرى فهوَ ظالمُها
قد هالها ما اعترأها من مهابتِكُم « من أجل ذلك لم تثبت قوائمُها
ولم تزل عادةُ الفرسانِ مُذركبوا « تكبو الجيادُ ولم تنبُ عزائمُها
وفي النبيِّ رسولِ اللهِ أسوتُنَا « أعلى النبيينِ مقداراً وخاتمُها
كبابه فرسٌ أبقى بسقطتِه « في جنبه خدشةٌ تبدو مراسِمُها
حتى لصلَّى صلاةً جالساً ثبتتُ « لنا به سنةٌ لاحتْ معالمُها
صلَّى الإلهُ عليه دائماً أبداً « أزكى صلاةً تُحييها نواسِمُها
وقال في القصة الولي أبو عبد الله محمد بن عباد الحميري الرندي :

إن الجوادَ ما كبا « إلا لما فيه نَبَا
لك قبولُ ما بابه « إنا منا تقربُنا
وقال فيه مسعود بن محمد بن أبي الطلاق أبو سرحان :

إن الجوادَ ما كبا « إلا لفتحِ قَرْبنا
فإنه صلَّى ومن « صلَّى ينالُ الأربنا
وإنما صلاتُه « صلاةٌ نصرٍ وجبنا

عليّ الزيات البجائي

الشيخ الفقيه الصالح الأصيل الفاضل المتعبد أبو الحسن . حافظ المذهب .
محصل له متقن مجيد .

قرأ بالأندلس واستوطن بجاية . وأقرأ بها وانتفع الناس بعلمه ودينه .
ثم رحل لحاضرة افريقية ، وكان يقرأ عليه كتب المذهب « كالتهديب » « والرسالة »
و« الجلاب » و« الثقلين » وغيرها ، إلى أن توفي بها يأكل من كد يمينه معرضاً
عن خطط الفقهاء ، ولو أرادها ما تعذرت عليه . من « عنوان الدراية »
قلت : وهو من شيوخ العارف بالله ابن أبي جمرة .

عليّ بن سليمان البربني

الولي الصالح والنجم الواضح سيدي علي بن سليمان البربني ، معظم عند
أهله ، ومحترم عند أهل وطنه ، قبره يزار ، وأولاده فيهم العلم والصلاح
وخدمة الخير وأهله ومحبة العلم وذويه ، سيما سيدي علي بن اصالح .
وكان حبيباً لجدي ولوالدي ، وقد ظهرت أنواره وقويت أسراراه ،
وعلمه وفضله ظاهر إذ قد درس وأسس وعلم وأنس ، نبراس زمانه ، وعبقري
أوانه ، وليث مكانه اهـ . ورتيلاني .

الشيخ الفاضل العالم كبير السن ، عظيم الشأن ، سيدي علي الصافي من ذرية الولي الصالح سيدي موسى ، وسيدي علي هذا أدركناه عابداً كان أقبل علي مولاه ، ضريحه في قريته ، وأما جده فضريحه عند بني إبراهيم ، معظم قبره يزار ، وأولاد سيدي علي هذا أفاضل إلى الآن ، هم علي خير إلى قيام الساعة إن شاء الله نفعنا الله بكلهم آمين اهـ. ورتيلاني .

علي بن عبد الرحمن بن أحمد القبالي

يكنى أبا الحسن الفقيه الكاتب ، كاتب أبي سعيد بن أبي العباس المريني ، وهو الذي كان مريضاً عند مقتل أبيه ، ولما اعتري أبا سعيد المذكور مرض في شعبان من سنة سبع وثمان مئة ، وضع من مرضه وهنأته الشعراء بقصائد كثيرة ، هنأه من جملتهم أبو الحسن المذكور بقصيدة ، وهي :

هنيئاً لنا ولكل الأنعام براحة فخر الملوك الهمام
 إمام أقام رسول العُمَلَا وحل من الحجر أعلا سنام
 به مرّت العين لَمَّا بدا صحيحاً وما إن به من سقام
 وهَلْ هوَ إلا كبدِ الدُّجَنِى يوارى قليلاً وراء الغمام
 ويظهرُ طوراً فيجلو به عن الناس يا صاحِ داجي الظلام
 أو الليث يعكف في غيبه فتحذر منه السباع اهتجام
 أمولاي عثمان بحر الندى ومرزى العداة ونجل الكرام
 لقد رفع الله سلطانَهُ بنفسي الفداء له من إمام

أمولايَ عبدك قد ضـررهُ * أفولُ رضاكُم وبُعد المـرام
وأضحى كئيباً لإبعادكُم * مشوقاً لتقبيلِ ذاك المقـام
فكنُ راحماً يا إمام السورى * عطوفاً لمملوكك المستهـام
لعل الذي ناله ينقضـي * وتشملهُ بالهبات الجسـام
فأيـدك الله بالنصر مـا * ترنم فوق الغُصون الحـمام

توفي بفاس ذبيحاً سنة ٨٠٩ هـ. من «الجدوة» .

أبو الحسن عليُّ بنُ عمران الملباني

أبو الحسن علي بن عمران بن موسى الملباني ، عرف بابن أساطير ، الشيخ
الفقيه الأصولي الجليل الفاضل الشيخ الحكيم أبو الحسن . لقي المشيخة ببجاية
كالشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه ، وغيره ، وكان من خواص أصحابه ،
ومن فضلائهم .

[١٧٧] كان له علم بالفقه وأمر الدين والتصوف وعلوم الحكمة ، وكان له علم
بالوثيقة ، وكان من عدول بجاية وخيارها ، وكان متخصصاً مترهداً مقللاً
من الدنيا متعففاً مقتصداً ، ومضى له زمان وهو فيه في غاية التخلي والانقطاع
في مدة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه وكان يحمل خبزه إلى الفرن بيده ،
وكان يرغب في أن تحمل عنه فيمتنع من ذلك ، وكثيراً ما كان يشتري ما
يحتاج إليه من ضرورة منزله بيده ، ويحمله بنفسه ولا يترك أحداً يحمله عنه ،
ولم يكن ذلك منه إلا قصداً للبراءة من الكبر ، لأنه كانت له رياسة وهمة
وعلو ، ولم يكن من هو دونه في المنزلة يفعل مثل ذلك .

وكان شيخنا أبو محمد عبد الحق رحمه الله يقول فيه : العالم المطلق ،

وكان يعظمه كما كان يعظم مشيخته ، وما رأته يعظم أحداً من أصحابه مثل تعظيمه له ، وكان يقرأ عليه ، فقرأ عليه بعض خواص أصحابنا كتاب « الإشارات » و« التنبهات » لابن سينا ، وكان بحيث تقرأ عليه العلوم التي ذكرت أنه يحملها لو تبسط لها ، وكان أعقل أهل وقته ، وأبعدهم من الشر .
توفي ببجاية في عشر السبعين وست مئة .

سيدي عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الدوسني

الوليُّ الصالح العلامة الفاضل والمحقق الكامل النقاد الإبريز سيدي علي ، من ذرية سيدي أبي الحسن الشاذلي ، كما هو بخط الجم الغفير والعدد الكثير أنه من ذريته ، وهو نجل الشيخ الولي الصالح سيدي عبد العزيز الخراز الزابي في الصحراء ، وهو معلوم في بلد الدوسن ، نفعنا الله بهم وكرامته ظاهرة وأسراره باهرة صاحب العناية ، وقد سمعت أنه أخذ علمه عن الشيخ الولي سيدي عمر الوزان القسنطيني .

وكان رضي الله تعالى عنه بنى داراً واسعة عظيمة ، بحيث لا يكفيها جذوع الأرض ، والذي رآها يتعجب بما يكون به السقف ، وقد رأيت رسمها ، فلما كملت أصبحت الجذوع على الدار أي القناطيس من جبل الزاب ، وبيننا وبينه يوم كامل ، وقد علموا أن ذلك من خرق العادة ، وقد رأيت المورد [١٧٨] العذب للجوزي بخطه ، وأولاده أفاضل على الخير والطاعة والحمد لله ، وهو من القرن العاشر أي أوله ولا أدري هل أخذ من التاسع أم لا . نفعنا الله ببركاته ، وجعلنا في زمرة آمين اهـ . ورتيلاني .

أبو الحسن عليّ القرباني

كان فقيهاً محققاً عارفاً بأصول مذهب مالك ، بارعاً في فنونه متقناً
لمسائله ، مشاركاً في جميع الفنون ، ولي الفتوى المالكية والقضاء مراراً ،
توفي رحمه الله سنة ١٢٣٨ .

عليّ بن عيسى الراشدي التلمساني

نزىل فاس المحروسة ، كان بجامع التارنجة من حومة الأزديق قرب فندق
اليهودي .

أخذ عنه أبو العباس المنجور ، وأبو عبد الله محمد بن يوسف التوغي
وغيرهما توفي سنة ٧٨٢ .

سيدي عليّ الفجيجي

الشريف الزاهد البركة العابد الفقيه الأرضي الولي الصالح المرتضى أبو الحسن
سيدي علي بن عبد الرحمن الفجيجي . كان رحمه الله من طلبة العلم القاطنين
بالمدرسة المصباحية ، وكان تقياً نقياً ورعاً زاهداً متقشفاً ذا كراماً ، يصوم الدهر
ويقوم الليل ، يختم السلوك في كل ليلة بالقيام ، وكان من تلامذة الشيخ سيدي
بدر الدين السابق يحضر مجلسه ، وكان الشيخ سيدي بدر الدين المذكور يحبه ،
ويثني عليه كثيراً لما يرى من تقواه وزهده وورعه وتقشفه وكثرة صلاته وصيامه .
توفي رحمه الله بعد وفاة شيخه المذكور ، وأظنه سنة نيف وسبعين ومئتين

وَأَلَّفَ (١٢٧٠) ، وَدَفِنَ مَعَهُ بِضَرْيَحِهِ وَرَاءَهُ ، وَجَعَلَ عَلَى قَبْرِهِ مَقْبَرِيَّةً مِنْ رِخَامٍ .

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ التَّنْسِي

ابن أخي البدر محمد بن أحمد شقيق الشهاب أحمد ، أخذ عن أبي القاسم النويري ، والأميري ، وأبي الفضل المشدالي المغربي .

وأخذ عن الأخيرين الأصول ، والعضد عن الثاني ، وعن الشمي والكافي المعاني والبيان ، وعن الشمي علوم الحديث ، ودرس الفقه بالجمالية بعد منازعة القرافي ، وبجامع طولون بعد الحسام بن حرير ، ثم ترفع عن تعاطيه ، وتصدى للإقراء .

تخرج به جماعة ، وربما كتب على الفتوى ، ثم استقر في قضاء الشام بعد أن تعب فيه ناظر الخاص ، وتألم أكثر لفقده من الديار المصرية ، ولد عام أحد وثلاثين وثمان مئة (٨٣١) ، وتوفي في سابع شوال سنة خمس وسبعين وثمان مئة (٨٧٥) هـ . من السخاوي .

[١٧٩] عَلِيُّ بْنُ قَاسِمِ الشَّهْرِ بِالْحَدَّادِ الْوَهْرَانِي

قال القلصادي في « فهرسته » : هو الشيخ الفقيه الصدر ، اجتمعت به بوهران هـ .

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ التَّالُوتِي الْأَنْصَارِي التَّمَسَانِي

أخو الإمام محمد بن يوسف السنوسي لأمه ، قال تلميذه الملاي : شيخنا الفقيه الحافظ المتقن العالم المتقن الصالح أبو الحسن .

كان محققاً متقناً حافظاً يحفظ كتاب ابن الحاجب ، ويستحضره بين عينيه .
قلَّ أن ترى مثله حافظاً ، قرأ عليه أخوه محمد السنوسي « الرسالة » في صغره .
وكان من أكابر أصحاب الحسن أركان ، ما رأته قط مشتغلاً بما لا يعنيه ، بل
إما ذاكراً أو قارئاً للقرآن ، أو مشتغلاً بمطالعة أو نحو ، يحفظ « الرسالة »
وابن الحاجب ، و « التسهيل لابن مالك » وغيرها ، جعل له ورداً كل يوم .
قرأت عليه ابن الحاجب قراءة بحث وإفادة ، وسألته عن وضع الكتاب
في الأرض فقال : حكى شيخنا الحسن أركان فيه قولين لتأخري أهل تونس
وبجاية : جوازاً ومنعاً ، وسألته عن مستند الناس في عاداتهم من عدم أخذ
الرجل المقص من صاحبه ، بل يضعه على الأرض فيأخذه حينئذ ، فقال :
سألت عنه شيخنا الحسن أركان فقال : هكذا رأينا شيوخنا يفعلون ، ثم قال
سيدي علي : ولعله علم نسي اه قلت : وقد ذكر السيد الشريف السهمودي
الشافعي في كتابه « جواهر العقدين » حكمة منعه عن بعض شيوخه ، فانظره فيه ،
قال الملاي : وسألته عن الوتر جالساً فقال : فيه قولان بالجواز وعدمه .
وذكر أخوه السنوسي أنه يؤخذ جوازه جالساً من قول « المدونة » أنه يوتر في
سفره على الدابة اه قلت . وهذا الأخذ نقله ابن ناجي عن بعض الشيوخ .

قال الملاي : رأيت بخطه عن بعض الصالحين أن من نزل منزلاً ، وجمع
أثقاله ، وخط على حواليها خطأً ، وهو في داخل الخط ، ويقول في داخله
ثلاثاً : الله الله ربي لا شريك له ، لم يضره لص ولا عدو ولا غيره ، ويكون
مع أثقاله في حرز الله ، وهو مجرب اه .

وتوفي في صفر عام خمسة وتسعين وثمان مئة (٨٩٥) ورأى أخوه
السنوسي قبل موته في المنام داراً عظيمة فيها فرش مرتفعة ، فقيل له : هي
لأخيك علي ، يدخل فيها عروساً اه . من الملاي .

أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ الزَّوَاوِي

الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الزواوي البتورغي شيخنا الشيخ العابد الزاهد المتقي الولي لله تعالى ، من جملة الأعلام المتقين ، ومن الأكابر الذين يجب اعتقادهم في الدين ، له عبادة وديانة وصلاح وانقطاع وزهد وولاية ، وكانت له كرامات ظاهرة متواترة ، وكان على سنن السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

ليس عنده من التحريف ولا من التبديل ولا خزعبلات المتلبسين شيء ، ولقبيته رحمه الله بني يتوغ بموضع سكناه منها ، وأنا على أول السن ، فخرج بي وسر واستدنانني لنفسه ، وأخذ يقول ، ويمسح على رأسي ، ويجذب بأذني إلى أن استوفى ما أراد أن يقرأه ، وما شاء الله من ذلك ، وأنا يومئذ في المكتب ، كان ذلك منه من غير سؤال سُئله ، وإنما فعله من تلقاء نفسه ، فوجدت بركة ذلك وتعرفت يُمنه ، وهو أحد أشياخي المباركين رحمه الله . وأخبرني بعض من وثقت به أنه لما حضرته الوفاة حضر ولده وبكوا لفراقه واستوحشوا ، فقال : لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض ، فأتوا إلى قبوري واذكروا شكواكم ، واسألوا الله يفرج عنكم ، وما زال أولاده بعده مهما عرض لهم عارض يفعلون ذلك ، فيجدون نفعه .

وأخبرني بعض من وثقت به أن رجلاً ممن عرض له ضرورة قوت أتاه أن ينظر له نظراً يستعين به ، وكانت للرجل عائلة ، قال : فدخل إلى منزله فأخرج لي أربعة أمداد قمحاً ، وقال لي : لا تناول منها إلا أنت على طهارة ، ولا تناول منها امرأة فحملتها ولزمت ما قال لي ، وكان ذلك في آخر الشتاء وأوائل الربيع ، فكفاني ذلك وعائلي حتى وصلنا إلى الأكل من حراثتنا بعد دخول زمن الصيف ، وهذا من كراماته رحمه الله تعالى اهـ . « عنوان الدراية » .

قال الجبرتي في « وفيات » سنة ١١٨٥ : ومات أحد أذكىاء العصر ونجباء الدهر ، من جمع متفرقات الفضائل ، وحاز أنواع الفواضل ، الصالح الرحلة الشيخ علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان ، ولد في الجزائر سنة ١١٣٦ ، وكان ينتمي إلى الشرف ، وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم ، وأجازه الشيخ سيدي محمد المنور التلمساني رحمه الله ، ودخل الروم مراراً وحظي بأرباب الدولة ، وأتى إلى مصر ، وابتنى بها داراً حسنة قرب الأزهر ، وكان يخبر عن نفسه أنه لا يستغني عن الجماع في كل يوم ، فلذلك ما كان يخلو عن امرأة أو اثنتين حتى في أسفاره ، ولما ورد الأمير أحمد آغا [١٨١] أميناً على دار الضرب بمصر المحروسة ، الذي صار فيما بعد باشا ، كان مختصاً بصحبته لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ، وله عليه إغداقات جميلة ، وهو حسن العشرة يعرف في لسانهم قليلاً وبأمره توجه إلى دار السلطنة ، وكانت إذ ذاك حركة السفر إلى قتال العدو ، فكتب المترجم عرض حال إلى السلطان مصطفى فيه : أن من قرأ استغاثة أبي مدين الفوثن في صف القتال حصلت النصر ، وقدمه إلى السلطان فاستحسن أن يكون صاحب هذا العرض هو الذي يتوجه بنفسه ، ويقراً هذه الاستغاثة تبركاً ففاجأه الأمر من حيث لا يحتسب ، وأخذ في الحال وكتب مع المقاتلين ، وتوجه رغماً عن أنفه ، ووصل إلى معسكر المسلمين ، وصار يقرأ فقدر الله تعالى الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمراء العسكر ، فأسر مع من أسر ، وذُهب به إلى بلاد الموسكو ، وبقي أسيراً مدة ، ولم يفته أحد بخلاصه منهم حتى توفي هناك غريباً شهيداً رحمه الله تعالى .

عليُّ بنُ محمدِ بنِ منصورِ الغماري التلمساني

علي بن محمد بن منصور الغماري أبو الحسن ، عرف بالأشهب .
قال تلميذه الإمام ابن مرزوق الحفيد في حقه : شيخنا العلامة ، توفي
بفاس ، وقد أرسل إليها من تلمسان عام أحد وتسعين وسبع مئة (٧٩١) هـ .
وقال المنثوري في « فهرسته » شيخنا الأستاذ الحاج الراوية نور الدين
أبو الحسن ، توفي بفاس يوم الجمعة خامس رمضان عام أحد وتسعين وسبع مئة
هـ . ومن أخذ عنه بالأندلس القاضي أبو بكر بن عاصم ، والشيخ أبو جعفر البقني
الجد ، شارح البردة ، وغيرهم .

عليُّ بنُ محمدِ بنِ منصورِ الصنهاجي التلمساني

علي بن محمد بن منصور بن علي بن الأشهب الصنهاجي التلمساني نور
الدين أبو الحسن الفقيه الأستاذ الراوية الحاج الرحالة .
توفي بمدينة فاس في شهر رمضان سنة ٧٩١ ، وأخذ عنه المنثوري .

عليُّ بنُ محمدِ الحلبي الجزائري

فقيهها وعلامتها ومفتيها من معاصري الإمام محمد بن العباس التلمساني
له فتاوى ، نقل كثيراً منها في « المازونية » و« المعيار » .

الولي الكبير والقطب الشهير سيدي علي بن موسى ، ومررنا على بني منجلات وبني بترون وبني عيسى وغيرهم ، فلما وصلنا الشيخ سيدي علي بن موسى بتنا في مقامه المشهور وضريحه الترياق ، وقد ظهر من أمره نفعنا الله به أن من قصده لحاجة دنيوية أو دينية يعطي لوكلائه وطلبة مقامه شيئاً معلوماً إذ كل حاجة بما تشتري من القدر المعلوم ، تقضى بإذن الله ، وفضل الله عليه عظيم وصبغة الله عليه جالية ، وزائره مقبول ، دواء رباني وطب إلهي ، وقد كان في القرن التاسع معاصراً للشيخ سيدي يحيى العيدلي وصديقاً .

له كراماته باهرة ، وأحواله ظاهرة ، قلت : قال الشيخ سيدي علي بن موسى فيه خاصية الرقية لم تكن في أحد من أهل عصره ، قال : وقد رقا لي عكازاً أي عصا ، فكنت أرتقي بها للناس ، فتظهر آثارها ، وقيل : إنه ذهب لبني بجل في وادي بجاية ونواحيه ولد كبير بلغ حد المشي ، وتجاوزته ولم يقدر على المشي بأن صار مقعداً لا يقوم أصلاً ، فمسح عليه ورقاه فمشى من حينه نفعنا الله به ، ومن كراماته ما اشتهر عنه أنه أقام بقرة بعد ذبحها وقسم لحمها ، وسببه أنهم لم يسهموا له الطلبة لأنه كان خديماً للطلبة وغير ذلك من كراماته ، وكان له مزود إذا امتلأ يكفيه ثمانية أيام بلغ الضيوف ما بلغوا ألفاً أو أكثر ، أفاض الله علينا من بركاته ، وجعلنا في زمرة بمنه وكرمه ، ثم ذهبنا بعد الزيارة وطلبنا عنده ما طلبناه عند الشيخ سيدي يحيى إلى قرية الدلس المحروسة ، لزيارة سيدي أحمد بن عمر ، إذ كنت صغيراً وقلبي متعلق به حتى جمع الله بيننا وبينه عام ١١٧٩ ، فلما وصلنا فرح بنا فرحاً عظيماً وسر بنا سروراً قوياً ، ودعا لنا بعزم وقوة همة من صميم قلبه وخلص

الاعتقاد ، وأقمنا ثلاثة أيام فيها مع كرم عظيم وطيب ضيافة وإحسان تام من أهلها ، عمرهم الله وجعل البركة فيهم ، ثم إن فضلاءها ونجباءها سألوني عن قول بعض الأولياء : وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه ، فزبرت عليه رسالة حسنة بما فتح الله به ارتجالاً ، وكتبت فيه رسالة نحو كراسة صغيرة اهـ. ورتيلاني .

عليُّ بنُ موسى البجائي

أحد شيوخ القطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي .

كان إماماً في الفرائض والحساب ، حسن الخط ، كثير التقليد ، له مسائل في فنون . شرح « تلخيص ابن البنا » ، وقيد على رفع الحجاب له . توفي عام ستة عشر وثمان مئة (٨١٦) .

[١٨٣] الحاجُّ عليُّ التماسيني

من « كشف الحجاب عمّن تلاقى
مع التجاني من الأصحاب »

القطب الكامل والغوث الفاضل ، ذو الكرامات الجمّة والفضائل الشائعة بين هذه الأمة ، بدر السعادة الذي ضاءت به الغياهب ، وشمس الهداية التي تقتبس منها الأنوار في سبل المطالب ، ذو الكشف الصريح والفضل الصحيح ، الفاضل الجليل الشريف الأصيل أبو الحسن سيدنا الحاج علي بن سيدنا الحاج

عيسى التماسيني رضي الله عنه ، هذا السيد الجليل من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه المشهود لهم بالفتح الكبير في حياته وبعدها ، وقد كان له التصرف التام قيد حياة سيدنا رضي الله عنه ، وكان يفعل أموراً خارقة للعادة ، مما يدل على عظيم مقامه عند الله ، وكان عند سيدنا رضي الله عنه بمكانة عظيمة ، وقد ترجم له صاحب « البغية » عند قول المنية في تعداده لرجال الطريقة المشهود لهم بالفتح بين الخليقة :

وغوثُ عصرِنا التماسيني * قطبُ الوري سيدنا علي

ونصه بعد ذلك البيت : أراد به العارف الكبير قطب أوانه ، وحامل راية التربية والترقية بهذه الطريقة الأحمدية في زمانه ، أبو الحسن سيدنا الحاج علي ابن الحاج عيسى التماسيني نسبة إلى تماسين من أرض الجريد ، وشهرته كافية ، كان رضي الله عنه من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه ، ومن شهد له الشيخ رضي الله عنه بالفتح الأكبر في حياته ، حتى إنه كان إذا قدم عليه زائراً بفاس يقدمه لإمامة الزاوية مع كثرة من بها إذ ذاك من أكابر العلماء والفضلاء ، وقد اتفق له يوماً في الصلاة شيء مما ينحل بها ، فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه ، وكان ذاكر ذلك يستفهمه هل يؤثر ذلك خللاً في صحتها ، فأعرض الشيخ عن جوابه على وفق ما أراد ، وقال : ذلك رجل مفتوح عليه ، والصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة ، وناهيك بهذه شهادة من الشيخ رضي الله عنه لهذا السيد وتنويهاً بقدره ، وحدثني الشريف الأجل المقدم البركة المبجل خديم سيدنا رضي الله عنه سيدي الطيب بن محمد السفياي أنه في المدة التي ولاه سيدنا رضي الله عنه النيابة في الانفاق على داره وقضاء حوائجه ، سأله الشيخ رضي الله عنه ذات يوم عن بعض إمامه ، وكانت مريضة ، فقال له : هل اشتريت لها الدواء ؟ قال : فقلت له : يا سيدي قد اشترينا لها

[١٨٤] قال : فقال لي رضي الله عنه : ومن يكتب لها ؟ ثم قال رضي الله عنه : ما رأيت من هو أمثل لذلك إلا سيدي الحاج علي التماسي لو كان حاضراً ، قال : فقلت له : وأنا أريد أن يأذن لي في ذلك يا سيدي كل من أذنت له فهو سيدي الحاج علي . قال : يقبل مني ذلك وجعل رضي الله عنه يقول : وأين مثل سيدي الحاج علي يا فلان ، وكررها منكرأ علي ما قلته حتى وددت أني ما ذكرت له ذلك ، وكفاه هذا من شهادة الشيخ رضي الله عنه بالخير والبركة .

ومن المتواتر عن هذا السيد صاحب الترجمة رضي الله عنه أنه كان بعد استيطان الشيخ رضي الله عنه مدينة فاس يأتي إلى زيارته بطريق الخطوة حتى زجره رضي الله عنه عن ذلك ونهاه عنه ، وقال له : إن كنت تريد مواصلي لله فلا تأتني إلا كهيئة عامة الناس بنعلين وعكازة مع رفقة تذوق جميع ما يذوقونه في الطريق من العطش والإعياء والخوف وغير ذلك .

وحدثني بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن سيدنا الشيخ رضي الله عنه صلى العصر ذات يوم بباب داره ، وصلى معه جماعة نحو الثمانية من أصحابه ، وحين التفت من صلاته وأقبل بوجهه على من صلى معه ، لم يشعروا أن سقط بينهم عرجون تمر ، فنظر إليه الحاضرون ولم يعرفوا من أين سقط عليهم ، وتحيرت عقولهم فلما رأى الشيخ رضي الله عنه ذلك من حالهم قال لهم : هذا فعل ذلك الرجل ووصفه بالبهلول أو نحو ذلك ، ثم سماه لهم ، وذكر أنه اجتمع بالشيخ رضي الله عنه بعد ذلك ، فذكر له ذلك وقال له : ما حملك عليه ؟ فقال : يا سيدي اعذرني فإني كنت في ذلك الوقت في حائط لي ، والخدام يجنون التمر ، فرأيت ذلك العرجون فأعجبني فتمنيت أن يصل إلى دارك على حالته ، فحملني ذلك على أن رميت به وقلت له : سرحتي تنزل بين يدي سيدي ، فزجره الشيخ رضي الله عنه ونهاه عن مثل ذلك ، وبعد وفاة

الشيخ رضي الله عنه ظهرت عليه آثار الفتح الكبير ، وتصدى للتربية في الطريق ،
وظهر عليه فيضان وجداني لا يوجد مثله إلا في كَمَل المشايخ ، فصار الناس يأتونه
من سائر الآفاق للأخذ عنه والتبرك به .

وأخبرني ثقة أنه كان أتاه في زاويته زائراً فاتفق أن اجتمع عنده في مدة
إقامته لديه نحو مائتي رجل ، كلهم يطلبون التقديم أي الإذن منه رضي الله عنه
في إعطاء الورد ، وكلهم من الآفاق البعيدة ، وما وصفته به من التربية وصفه
به غير واحد من أهل البصائر ، وذكر لي بعض الأفاضل من أصحابنا أنه كان حين
حج اجتمع ببعض المقدمين من قبل الشيخ رضي الله عنه ، فأذن له في إعطاء
الورد ، قال لي : فلما رجعت اجترت بسيدي الحاج عري يعني صاحب الترجمة
فطلب منه الإذن في بعض الأذكار ، فقال لي : وهل عندك إذن في تلقين الأوراد
لمن طلبها منك ، قال : فلم أهد لما هو الصواب ، فقلت له : عندي قد أذن لي
[١٨٥] في ذلك المقدم سيدي فلان ، قال لي : هو مرب ؟ يستفهمني ، وكررها فلم
أدر ما أجيبه به ، ولم يتفطن هذا الإنسان إلى أنه يشير له إلى أنه هو من أهل
التربية حتى فارقه ، وأخباره كثيرة وكراماته أوضح من شمس الظهيرة ، وفي
هذا القدر كفاية اهـ .

وكان لصاحب الترجمة رضي الله عنه يد طولى في المكاشفة والتصرف التام ،
وكان كثير الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حكى عنه في « البغية »
حين تكلم على رؤية الأولياء له صلى الله عليه وسلم منقبة ، تشهد لما قلناه ونصه :
وقد بلغني من طريق الثقات الأثبات أن أخص أصحاب سيدنا رضي الله عنه
العارف الكبير الموصوف بالقبطانية في زمانه من غير دفاع ولا نكير أبا الحسن
سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه ، وتجادب أطراف المذاكرة مع
بعض الإخوان يوماً في مثل ما نحن فيه ، فقال له : يا فلان إن من الرجال
الحاضرين معك في هذا الزمان من لا يفعل فعلاً قال أو جل إلا على إذن منه

صلى الله عليه وسلم ، من طريق المكافحة والعيان ، حتى إنه لا يقوم لفراشه الذي ينام فيه إلا إذا أمره صلى الله عليه وسلم بذلك ، وقد فهم عنه من سمع منه ذلك أنه يعني نفسه ، وله من شواهد حاله ما يصدقه فيما أبداه من مقاله .

توفي رحمه الله تعالى سنة ستين ومئتين وألف (١٢٦٠) ، ورمز لهذا التاريخ الولي الصالح سيدي العربي بن السائح بجمل العجز من هذا البيت وعامُ موته بلا تمويهه : « قضي لروح الثقلين فيهِ » ودفن رضي الله عنه بداره في تماسين ، لا زالت تمطر قبره الرحمات كل حين أمين اهـ . من « كشف الحجاب » باختصار .

العبدلاوي أحمد

من « كشف الحجاب »

وقال فيه : لو لم يكن من حسنات سيدي محمد بن قويدر العبدلاوي رحمه الله إلا كونه أباً لسيدنا العارف بالله الكبير وأولي الشهر ذي المناقب الفاخرة ، والكرامات الظاهرة ، بقية السلف الصالح في هذه الملة ، وواسطة عقد الخلف بين الجلة سيدي ومولاي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي نفعني الله والمحين ببركته أمين لكفي في التنويه بقدره ، وعن التعريف به لغيره ، وحسب مثلي عند ذكره الإطراق هنية لجلاله رضي الله عنه وأرضاه ، ولقد أرشدني الله والحمد له إلى معرفته ، وطوى قلبي على محبته ، فسقاني لما تحقق صدق محبتي بكأس أسرارهِ ، وأطلعني على بعض معارفه الدالة على رفيع مقداره ، بعد أن لاحظني بعين الوداد ، وسلك بي والحمد لله سبيل الرشاد ، فهو أب روعي الشفيق . جزاه الله عني أفضل ما جازى به أوليائه .

[١٨٦]

وقد ذكرت في هذا التأليف وفي غيره من الأسرار التي تلقيتها منه ما يشفي

الغليل ، ويرى كل سقيم وعليل ، وغالب ما في هذا الكتاب مروى عنه ومأخوذ منه إملاء وكتابة ، وليس له فيه إلا مطلق الجمع والكتابة فقط ، ولو تتبعته ما رأيت من المناقب والكرامات لضاق عن حمل ذلك هذا الموضوع ، ولكن نذكر هنا بعض ذلك تلميحاً واختصاراً . فأقول :

ولد رضي الله عنه وأطال حياته قبل وفاة سيدنا رضي الله بنحو شهرين عام ثلاثين ومثني وألف (١٢٣٠) ، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه كالقطب الشهير سيدنا الحاج علي التماسيني وأضرابه ، وفي اليوم الذي ازداد فيه جاء إلى والدته وهي نساء به الولي الشهير والعارف الكبير ذو الأحوال الغريبة والكرامات العجيبة صاحب سيدنا رضي الله عنه الشريف سيدي أبو الحسن علي بن شتيوي وقال لها : هذا ولدي ومن شك فيه يخاف على نفسه ، ثم رجع من حيث أتى ، ولم تعرف من أين دخل عليها ، ثم تبين أنه ما أتى إلا لبشارتها بذلك ، تنويهاً بقدر ولدها المذكور لتكون على بال منه ، ثم إنه تربى في حجر الولاية ، ملحوظاً بالعناية ، معظماً عند الأقارب والأباعد منذ كان صبياً ملازماً لدار سيدنا رضي الله عنه بعين ماضي ، لا سيما سيدنا محمد الحبيب ابن سيدنا رضي الله عنه ، فإنه اتخذه أخاً وصديقاً وحبیباً ورفيقاً ، فهو خزانة أسرارهِ وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره إلى أن توفي سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ، وهو راضٍ .

وقد حدثني أطال الله بقاءه مما وقع له مع ابن سيدنا رضي الله عنه أخباراً كثيرة مما يدل على خصوصيته معه ، قال : كنت في بعض الأيام مشغلاً بحفظ بعض المصنفات في النحو ، فرآني سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ، فقال لي : اترك عنك هذا ، واقراً ما يعود نفعه عليك . قال : فتركت ذلك امتثالاً لأمره ، قال : فبينما أنا معه في بعض الأيام جالس إذ قال لي : يا فلان - وسماه -

[١٨٧] إن عندي بعض أذكار الشيخ رضي الله عنه المكتومة التي لا ينبغي أن يطلع عليها الغير ، وأريد أن أذكرها ، ولكني خفتُ من أن ألحن فيها . والآن أردت قراءة النحو ، فلا بد لنا أن نقرأ معاً الألفية . قال : فصرت أكتب عشرة أبيات في اليوم وأحفظها ، وهو يكتب أربعة أبيات فقط ، فلما بلغت باب حروف الجر نظرت إلى لوحه فوجدت فيها آخر الألفية ، وهو : « أحصى من الكافية الخلاصة » الخ فتعجبتُ من ذلك وقلت له : يا سيدي ما هذا ؟ فقال لي : أنا لست مثلك أنام الليل كله ، وإنما أنام ساعة واحدة فقط وأشتغل بما أنا بصدده ، قال : ثم اشتغلنا بقراءتها تدریساً على العلامة سيدي أحمد بن عاشور رحمه الله إلى أن توفي رحمه الله .

وكان الخليفة الأكبر القطب الأشهر سيدنا الحاج علي التماسيني يحب سيدي أحمد العبدلاوي المذكور المحبة التامة ، وينوه به بين الخاصة والعامة ، ويوسمه بالصدق في جميع أخباره ، ويرسله للأمور المهمة من أوطاره ، وذلك كله لما جبله الله عليه من الشمائل السنية ، والأخلاق السنية ، والمكارم العظيمة ، والمحامد الجسيمة ، ولا زال القطب سيدي الحاج علي رضي الله عنه يريبه أحسن تربية إلى أن توفي رضي الله عنه ، وهو عنه راض ، بعد ما أراه كؤوس المعرفة دهاقاً ، وأطلعه على كنوز الأسرار في مضمار الفوز بالمقصود ، فلم يدرك غيره له التحاقاً ، ثم تلاقي بعد ذلك بالعارف بالله سيدي محمد اكنسوس رضي الله عنه ، ورأى من كراماته ما يبهر العقول ، واجتمع أيضاً بالولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه بقيد الحياة قائماً مقام الجميع في الدلالة والارشاد ، ولا زلنا نقتبس من مشكاة أنواره ما يطمئن به قلب الموفق بين العباد ، ولندكر هنا طرف رسالة بعثها المقدم الأمثل العلامة الأجل أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران المتوفى قريباً في رمضان عام ١٣٢٤ ، وكأنها منه رحمه الله وداع لصاحب هذه الترجمة نص المقصود منها :

والدنا. الروحاني وطيبنا النفساني ، ولي نعمتنا ، ملاذي وعمدتي وقودتي .
 حامل لواء الطريقة المحمدية ، ومظهر أسرار التجانية ، العارف بالله من الله
 إلى الله سيدنا ومولانا أحمد عبداللوي ، أبقى الله وجودك ، وأشرق في سماء
 العرفان شمسك ، أيا شريك في الصورة الإنسانية ، وإن كنا واحداً من حيث
 الحقيقة المحمدية ، نورك الكل والورى أجزاء ، ويا نظرة العارف بالله سيدي
 الحاج علي التماسيني قدس الله سره ، ويا خزانة أسرار سيدنا محمد الحبيب
 نجل سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه ، أشهد بالله أني ما سمعت ولا علمت بعد
 انتقال سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه ، ولا رأيت من يقوم مقامك
 في هذه الطريقة المحمدية ، ولا من يعرف شروطها الصحية والكمالية ، ولا
 آدابها ولا أسرارها ولا أحوال سيدنا رضي الله عنه ، وأولاده مثلك لاسيما

[١٨٨] ركنها الأعظم وهو رفع الهمة عن الخلق ، وعدم الالتفات إلى ما في أيديهم ،
 أبقاك الله علماً ومزاراً ومركزاً لهذه العصبة المحمدية الإبراهيمية الحنيفية ،
 وبارك لك في عمرك إلى أن يأتي الله بالفتح ، أو أمر من عنده ، وجعلك من
 ورثة المقام المحمدي عين الرحمة الربانية التي وسعت كل شيء إلى أن قال :
 فهنيئاً ثم هنيئاً لك ، فيا خيبة من جهلك ، وبُعداً لمن عاداك ، ويا حسرة من
 لم يعرف قدرك ، ويا غبن من لم يفز بمولاتك ومحبتك (وكائن من آية في
 السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) ^(١) الله الله في دعائك
 الصالح لصالح أحوالي ، وتسديد أقوالي ، وفتح بصيرتي وفك قيودي ، وخلصي
 من ربة الغير والغيرية ، حتى نرى الحق بالحق من الحق للحق ، سلام الله
 وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد الخ بتاريخ رجب سنة ١٣٢٤ .

وقد تظن صاحب الترجمة رضي الله عنه لصاحب هذه الرسالة من أنه
 يستودعه ، وأمرني بأن أقوم مقامه في جوابه ، فلما أتيت بالجواب أخبرني بموته

(١) يوسف : آية ١٠٥ .

رحمه الله اهـ. من « كشف الحجاب » .

عليُّ بنُ موسى بنِ عليِّ بنِ هارون

وبه اشتهر المطغري بالطاء مطغرة تلمسان . أبو الحسن .

قال المنجور : شيخنا الفقيه الفرضي العددي الأستاذ الموقت المتفنن الخطيب المفتي ، لازم ابن غازي بعد انتقاله لفاس عام أحد وتسعين ، وهو قارىء دروسه في « المدونة » و « الموطأ » و « العمدة » والتفسير ، و خليل . والعربية . والحساب ، والفرائض ، وغيرها ، جمع عليه سبعاً ، وحصل عنه علماً جماً . حتى قيل له : خزانة علم لكثرة الفنون عنده .

أجازته ابن غازي عام ستة وتسع مئة . وختم عشرين ختمة بعد السبع وغيرها ، والبخاري نحو عشر ختمات ، و « الموطأ » بالباجي وغيره قراءة بحث وتحقيق ، و « جامع الأصول » لابن الاثير ، و « ترغيب المنذري » واكتفاء أبي الربيع بقراءة ولد الشيخ أحمد بن غازي ، وانتفع عليه في هذه الكتب وفي شروحها وغريبها ، وكذا في الأصول وعقيدة ابن أبي زيد ، وأصلي ابن الحاجب ، ومختصر ابن عرفة ، وقانون ابن العربي ، و « جمع الجوامع » [١٨٩] و « موافقات الشاطبي » و « التنقيح » وفي « الرسالة » أربع ختمات ، و « المدونة » و « المختصر » مرتين ، وابن الحاجب ، وبعض « التوضيح » وابن عرفة ، و « الألفية » مراراً و « اللامية » و « الآجرومية » و « المغني » و « الشاطبية الكبرى » و « التيسير » وابن بري و « مورد الظمان » و « التلخيص » مع شرح السعد ، و « البردة » بشرح ابن مرزوق مراراً وابن أبي جمرة على البخاري ، والحكم مع شرحها لابن عباد ، و « مختصر الإحياء » للبلالي و « جمل الخونجي » إلى لوح القضايا ، وبعض مقدمة ابن الحاجب ، والحوافي ، وشرحه عليه ،

والتلمسانية ، ورجز الونشريسي ، وشرحها لابن عيسى ، وتلخيص ابن البنا ،
ومنية الحساب ، والخزرجية ، مرتين وذيلها ، ونظم ابن جماعة للحباك شيخه ،
ونظم شيخه الغوري أيضاً ، ورجز العبدوسي في شهادة السماع ، ومثلي الطريقة
لابن الخطيب ، وشيئاً من المدارك ، وابن خلدون و« رسالة القشيري » وكثيراً
من مقطعاته ومنظوماته في الفقه والأدب وغيرها ، وأجازه في الجميع مع جميع
ما يجوز له وعنه عام ستة وتسع مئة ، ثم لازمه بعد ذلك أربعة عشر عاماً ،
حتى مات وأخذ أيضاً عن أبي العباس الونشريسي ، والمكناسي ، والأستاذ
الموقت أبي العباس الزاجني ، وأدرك المواسي ، والطنجي ، وأقرأ « المدونة »
في حياة ابن غازي .

أخذ عنه عبد الواحد الونشريسي ، واليسيتي ، والزقاق وغيرهم ، وسألت
اليسيتي : أيهما أفقه هو أو عبد الواحد الونشريسي ، فقال لي : ابن هارون أفقه ،
لأنه لازم ابن غازي تسعة وعشرين عاماً في البحث والتحقيق ، وعبد الواحد
الونشريسي لم يخدم الفقيه ما يقرب من ذلك ، وإن كان دراكاً سالم الذهن
منشئاً ، بل كان يتأدب مع ابن هارون .

توفي في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين (٩٥١) ، وقد ناف على ثمانين ،
وإفادته لا ساحل لها ، حتى كأنه لا يتنفس إلا بفائدة ، كان غاية في الحفظ
لا يقف ، لم يخلف بعده في فنه مثله متواضعاً منصفاً ، كثير التلاوة ، وعبادة
المرضى ، وحضور الجنائز ، حضر جنازته السلطان فن دونه اه. ملخصاً .

علي بن مكي الملياني

من فقهاء مليانة ، أخذ عن الإمام عبد الرحمن الوغليسي ، له ذكر في
« نوازل » المازوني ، ولم أقف على ترجمته .

علي بن أبي نصر

الشيخ الفقيه العالم العابد الورع المبارك أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح ابن عبد الله من أهل بجاية ، ولد بها سنة ست وخمس مئة (٥٠٦) ، وتوفي بها ليلة التاسع والعشرين الجمادى الأخيرة من عام اثنين وخمسين وست مئة (٦٥٢) .

[١٩٠] كان له فضل وعلم ونسك وصلاح وديانة ووجاهة ونباهة ، رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق ، واستقر قراره ببجاية ، وكان بها يروي ويسمع ويتفقه عليه ، وله علو سند في الحديث ، وانقطع في آخر عمره عن الناس ، وما زال رحمه الله منقطعاً ، وكان ملك الوقت يزوره في منزله ، ويغتنم مسرته ويتلقى باليد والقبول حاجته .

وكان ممن ظهرت له الكرامات ، وعرف بالأحوال السابقة . أخبرني غير واحد عن الفقيه أبي يوسف الزواوي رحمه الله عنه قال : مشيت إلى الفقيه أبي الحسن رحمه الله رسولاً عن الفقيه أبي العباس بن عجلان أسأله في مسألة القائل « الحلالُ عليٌّ حرامٌ » فلما وصلت إلى المنزل قبل أن أضرب الباب قال الفقيه لمن حضره في المجلس : افتحوا لأخيكم فلان ، فإنه جاء يسأل في مسألة الحلال علي حرام ، قال : ففتح الباب فدخلت فسلمت على الشيخ ، فقال لي : أمرك الفقيه أبو العباس أن تسألني عن مسألة : الحلال علي حرام ، سلم عليه ، وقل له : أنت أولى بهذا مني ، فإنك أنت اليوم مشغول وأنا تارك ، وهذه كرامات لا واحدة ، وانظر إلى فضله رضي الله عنه حيث أبي أن يفتي فيها وتورع عن ذلك الأمر إلى غيره ، ولم يظهر إلا أن ذلك لاشتغال غيره وقصوره هو ، وذلك من فضله ومن كراماته رحمه الله أنه كان له بنات كن مستترات ،

فسأل الله تعالى أن لا يطلع عليهن أحد ، فتن في حياته ، وسمعت عنه رضي الله عنه أنه حج ثمان عشرة حجة بعضها في آخر المئة السادسة ، وبعضها في هذه المئة نفعنا الله به ، وقبره بمقربة من قبر الفقيه أبي زكرياء الزواوي رحمهم الله ، وله رابطة بخارج باب اميسون ، وهي اليوم دائرة .

وشيوخه منهم أبو محمد بن يونس بن يحيى الهاشمي ، سمع منه بمكة شرفها الله تعالى ، وسمع بيت المقدس من أبي الحسين جبير ، وسمع بدمشق من أبي القاسم عبد الصمد محمد المرستاني ، ومن أبي محمد عبد الواحد بن إسماعيل بن طاهر الدمياطي ، وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم الحسن بن عبد السلام ، ويتصل سندا بالفقيه أبي الحسن بن أبي نصر المذكور من قبل [١٩١] الفقيهين أبي محمد بن ربيع وابن كحيلة وغيرهما .

وسنده في البخاري عن الشريف أبي محمد بن يونس بن يحيى بن أبي الحسن بن أبي البركات ، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن أبي الحسن الرحمن ابن محمد بن المظفر بن داوود الداودي ، عن عبد الله ابن أحمد بن حموية ، عن محمد بن يوسف ، عن الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري المذكور ، وهذا السند عال ، وقد روى عنه الأندلسيون بيجاية لقصور سندهم عن هذا السند .

روى عنه أبو بكر بن محرز ، فإن سند أبي بكر في البخاري وهو عن سند قاصر عن هذا السند ، وهذا السند أعلى منه ، وهو من أعلى الأسانيد ، ومن أحسن ما تلقى ، وذكر الشيخ الصالح أبو عبد الله بن القائد القصار رحمه الله قال : حضرت مع السيدين الصالحين العالمين العاملين أبي زكرياء الزواوي ، وأبي الحسن بن أبي نصر فتح بن عبد الله ، نفع الله بهما ورضي عنهما ، في عام خمسة وست مئة مجلساً سأل فيه الشيخ أبو زكرياء الشيخ أبا الحسن

عن رحلته إلى المشرق وما رأى من الغرائب . وما شاهد من العجائب ، فقال له : حضرت بعض دروس العلم في عام اثنين وست مئة مع حفيد من حفدة سلاله الشيخ الطاهر المبارك عمار المعمر ، بما سبق له من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ورغبت منه يُرَبِّيه لأتبرك به ففعل ، ودخلت معه إليه رضي الله عنه ، فوجدته في مهد ملفوفاً بقطن وعيناه تتقدان كأنهما اليواقيت ، ولحيته كحلاء ، وقد تجددت بعد سقوطها فسلمت عليه فرد علي ، فقال له حفيده : يا جداه هذا طالب من المغرب يقرأ معي وقد رغب مني أن يراك ويتبرك بك ، وتدعو له قال : فدعا لي رضي الله عنه بصوت خفي مفهوم سمعته ، وقلت له : يا سيدي أنت رأيت سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم فعساك تحدثني حديثاً أرويه عنك ، وأرويه فقال نعم : كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصينا أن نُكثِرَ من القرآن بسور قلائل من الكتاب العزيز ، ويقول هي أمان من الفقر ، قلت : هذه رتبة عظيمة حصلت لهذا العالم ، فإنه يعد بها من التابعين وهذه القضية معلومة النقل عن الشيخ رحمه الله ، وذكر أن سكنى بلدة هذا المعمر تُسمى قطنة .

أبو الحسن عليّ الونيسي

نسبة لسيدي ونيسي الولي الصالح ذي المسجد الكائن بقرب السفينة ، شيخ الاسلام ومفتي الأنام ، مات في الثاني والعشرين من القرن الثالث عشر ، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة .

له من المؤلفات « شرح البخاري » في اثني عشر جزءاً ، وحاشية على شرح السيد للمواقف العضدية ، وحاشية على القطب ، وجزء في المحاكمة بين القطب [١٩٢] والسيد أبداع فيه ما شاء ، وفتاوى حافلة في النوازل التي بين يديه ، وأجوبة عن

مسائل في فنون متفرقة ، وأختام كثيرة « للبخاري » و « مسلم » و « الشفا »
و « الموطأ » وغير ذلك ، ونظم بديع في ذكر من حضر بدرأ من الصحابة
وذكر أنسابهم ، ورسالة في النبي سيدي خالد الكائن بقرب أولاد جلال ،
ورسائل كثيرة غيرها .

أبو منصورٍ عمَّارُ بنُ شريطِ القسطنطيني

العلامة الشهير الشيخ أبو منصور عمار بن شريط الفرد الامام والقدوة الهمام
الحافظ الدراكة ، نخبة أهل زمانه فقهاً وأديباً وعلماً بالحديث والأصول ،
طويل الباع في علم البلاغة من نظراء الحفصي وأمثاله ، تولى الفتيا المالكية ،
ثم نظر الأوقاف .

مات في حدود سنة ١٢٥٠ .

أبو راشدٍ عمَّارُ الغري القسطنطيني

العلامة الشيخ أبو راشد عمار الراشدي المعروف بالغري . كان أديباً له
الباع الطويل في المعقول والمنقول شاعراً مجيداً ، ولي الفتوى المالكية والخطابة
بسيدي علي بن مخلوف ، والتدريس بمدرسة سيدي الكتاني ، ثم إلى جامع
القصبة . ألف حاشية جليلة على الشيخ إبراهيم الشبرخيتي شارح المختصر .

توفي في جمادى الثانية سنة ١٢٥١ .

أبو منصورٍ عمَّارُ الشريفِ القسطنطيني

العلامة الشريف أبو منصور عمار الشريف .

كان نخبة قسطنطينة ، ودره أعيانها ، فقيهاً أديباً أصولياً بيانياً مشاركاً في جميع الفنون . أخذ عنه الونيسي الأصغر ، والميلي ، وتقلد نظارة الأوقاف والقضاء مرتين ، والخطابة بجامع رحبة الصوف .

مات رحمه الله سنة ١٢٤١ .

أبو الطَّاهرِ عمارةُ الشريف

الفقيه سيدي أبو الطاهر عمارة الشريف بن يحيى بن عمارة الشريف الحسيني ، [١٩٣] هكذا من خط يده رحمه الله ، يُكنى أبا الطاهر له علم وأدب وفضل ونبل ، تقضى في بعض النواحي ببجاية ، وكان متقدماً في علم العربية والأدب . وله تأليف في علم الفرائض منظوم ، وتواشبهه في نهاية الحسن ، وبها يضرب المثل ، وكثيراً ما يقول الناس عندما يتشطط الإنسان على الإنسان في الطلب : « وأغني لك موشحاً لعمارة » ، وقد ذكر لي أن شعره قد جمع في ديوان ، ولكني ما اطلعت عليه ، وقد رأيت بعض قطعة مستحسنة من شعره ، وأنا أذكرها وأذكر سببها قبلها ، وذلك أن بجاية كانت بلد غزاة ، وكانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضاً من ميورقة كما تصل به أجفان بجاية ، وكان إسحاق بن غانية بجزيرة ميورقة ، وهو بقية اللمتونيين ، فوجه له من مراکش من قبل خليفته من يطلبه بالبيعة والدخول تحت الطاعة ، فامتنع من ذلك ، وكان بين يديه ولداه علي ويحيى ، فقال للرسول : وأنا لا أراهم

ولا يروني . ولكن قل للموحدين يهيئون ما ينفقون على رأس هاذين ، وأشار إلى ولديه ، فانفصل الرسول عنه وتجهز الولدان بعد كبرهما في طوائف فيها بعض الفرسان ، ووصل إلى شاطى بجاية ، وكانت البلد شاغرة من الجيش ، فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم ، ولما وصلت له الخيل مستعدة والناس ما عندهم من شأنهم خبر ، طلعا على جبل الخليفة ، ودخلوا من باب اللوز إلى قصبة البلد ، ولم يكن فوق باب اللوز سور في ذلك الزمن ، وطلبوا الناس بالبيعة فبايعوهم ، وكان الشريف أبو الطاهر عمارة رحمه الله ممن امتدحهم ، وأنشد بين أيديهم، وربما عرض في بعض مقاله جرياً على عادة الشعراء أمثاله ، ثم إن الموحدين تجهزوا براً وبحراً من فورهم ليستأصلوا من البغاة شأفة أمرهم ، فانفصل على ابن غانية عن الحال ، وتبع الموحدون الناس بما ظهر منهم من مقال أو فعال ، وكان من جملة الأمر أنه لما خطب لهم قال الخطيب في خطبته : والحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه ، وأزاله من أيدي غصابه ، فاشتدت وطأتهم على أهل العلم ، واعتقلوا أناساً منهم ، وكان في جملة من اعتقل الشريف أبو الطاهر عمارة ، ولما وصل الموحدون خرج إلى الجهة التي كان فيها قاضياً ، فوجه إليه وجيء به مصفداً في الحديد ، فبقي معتقلاً مع أصحابه مدة من الزمان ، وهو يروم أن يقول فلا يجد للقول سبيلاً إلى أن سمع منشداً ينشد سحراً لعلي بن الجهم :

عيونُ المها بين الرُّصافةِ والجسْرِ • جلبنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري
فتحرك بلبأه ، وزال عن لسانه عقاله ، فكتب بالقصيدة التي منها هذه القطعة الأولى ، فتلقاها بالقبول وشفع فيه وفي أصحابه جده النبي الأمي خير شفيع وأكرم رسول ، وهي هذه :

[١٩٤] سلامٌ كَعَرَفِ المندلِ الرطبِ في الجمرِ • وإلا كما هبَّ النَّسيمُ على الزَّهرِ
فله من مقلّةٍ بعبرةٍ • تعبرُ فوقَ الخدِّ عن كامنِ السَّرِّ

وقد راغني إيماضُ برقِ بذِي الغضا ۞ كما ابتسم الزنجي عن بهجِ الثغرِ
 بدالي أن الليل أوري زناده ۞ ولا ناراً إلا نورُ برقٍ له يسري
 ونارٍ بأكبدي أكابدُ حرَّها ۞ وقلبٍ سليمٍ قلبٍ في لظى جمرِ
 وما طائرٌ فوقَ الغصونِ مسرَّحٌ ۞ كمنَ باتَ مقعدَ الجناحينِ في وكرِ
 فلم أنسَ توديعَ البنينَ مصفَّداً ۞ وأصغرهمُ يجري وأدمعُه تجري
 أبا زيدٍ إنِّي بالحسينِ وسيلتسي ۞ وجدِّي شفيحُ الناسِ في موقفِ الحشرِ

وكانت له رحمه الله ابنة تسمى عائشة ، كانت أديبة أريية فصيحة لبيبة ،
 وكان لها خط حسن ، رأيت كتاب الثعالي بخطها في ثمانية عشر جزءاً ، وفي
 خاتمة كل سفر منه قطعة من الشعر من نظم والدها رحمه الله ، إذا ختم السفر
 وتمَّ التاريخ كتب بخط يده : وقال عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسيني ،
 وتكتب ابنته القطعة بخطها ، وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا
 أصح ، ولقد رأيت منه نسخاً كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة ، ولقد يجب أن
 تكون هذه النسخة أصلاً لهذا الكتاب حيث كان ، ويقع التصحيح منها ، وهذه
 النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية ، أبقاها الله وحفظها ، ومن الغريب
 أني رأيت هذا الكتاب في سفر واحد ، رأيت بهاضرة قسنطينة عند إمام جامع
 قصبته المحروسة ، وهو لا بأس به ، ومن شعر الشريفة عائشة رحمها الله :

أخذوا قلبي وساروا ۞ واشتياقي أودعوني
 لا عدا إن لم يعودوا ۞ فاعذروني أو دعوني

ويقال : إنها بعثت بهما إلى ابن الفكون شاعر وقته ، وقالت له : عارضها
 أو زد عليها ، فكتب إليها معتذراً عن الجواب : الاقتصار عليهما هو الصواب .

ولها أيضاً :

صدني عن حلاوة التشيع ۞ اجتنابي مرارة التوديع

لم يَقمُ خيراً ذا بوحشةٍ هذا * فرأيتُ الصوابَ تركَ الجميعِ
[١٩٥] ولها في معنى المداعبة وقد خطبها رجل من الأشراف . كان أصلع فلم
تجبه إلى مراده ، وقالت هذه الأبيات تداعب صاحبها من الفتيات :

عذيري من عاشقٍ أصلَعِ * قبيحِ الإشارةِ والنُّزَعِ
يرومُ الزَّواجَ بما لو أتَى * يرومُ بهِ الصَّفَعِ لم يُصَفِّعِ
برأسِ حويجٍ إلى كَيِّةٍ * ووجهٍ فقيرٍ إلى بُرْقُوعِ
ولها رحمها الله ، طرائف أخبار ومستحسنات أشعار . لكن هذا الموضع
لم يقصد به هذا المعنى ، فيقع منه الإكثار ، وإنما المقصود منه صورة التعريف
بالرجال ، وذكر بعض شواهد الحال اهـ .

سيدي عمر الأشهب

الشيخ سيدي عمر الأشهب ، أهل وانوغة يعظّمونه غاية التعظيم ، وأولاده
معظّمون أيضاً ، وقد بقي منهم الفاضل سيدي الطيب نفعا الله بركاته آمين .
ومن أولاده سيدي عمر في وادي الخميس من هذا العرش ، وجدهم هو
المؤلف المعلوم للكتب المتداولة أعني الوانوغي ، وأولاده فيهم البركة نفعا الله
بهم ، ومنهم شرفاء القصة ، دار علم وكرم وشجاعة ، وقد زرت الجميع
والحمد لله تعالى اهـ . ورتيلاني .

سيدي علي الطيّار

الولي الصالح والقمر الواضح سيدي علي الطيّار ، معظم في الصحراء والتل
وأولاده كذلك إلى الآن لاسيما الشيخ سيدي محمد بن المبارك ، وأولاده نفعا
الله بهم آمين اهـ . ورتيلاني .

وذكر بعده : ومن زمورة أولاد بوشيبة ، وهم شرفاء أهل فضل وبركة ،
وقد رأيت في بعض رسوم الشرفاء - وأظنه كلام ابن فرحون أنه قال ما نصه :
ولا شريف في زمورة أعني بني فرقان إلا طائفة يقال لها : أبو شيبة نفعنا الله
بجميعهم اهـ.

أبو عليُّ عمرُ بنُ أحمدَ العمري البجائي

الشيخ الفقيه الأصولي المبارك من أهل بجاية ، رحل إلى المشرق ، ولقي
الأفاضل ، وحج بيت الله الحرام ، ورجع إلى بجاية بعد تحصيل واستفادة ،
فكان من عدولها المرضيين ، وانتصب للتدريس بها ، وكان يقرأ عليه الفقه
والأصلاان ، وهو أحد من أخذ عنه شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع
رحمه الله .

وأخبرني بعض الطلبة أنه رأى تقييداً رد فيه على الوصية التي أوصى بها
فخر الدين ابن الخطيب رحمه الله قبل موته ، وشارك الشيخ العالم أبا الحسن
الحرالي رضي الله عنه في جملة من مشايخه الذين قرأ عليهم بالمشرق .
وتوفي رحمه الله ببجاية في عشر الستين وست مئة (٦٦٠) اهـ . « عنوان » .

سيدي عمر الشريف

[١٩٦]

الشريف الجليل الولي الصالح الحفيل أبو حفص سيدي عمر الشريف الحسيني
بالتصغير من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني تلميذ الشيخ
زروق ، ذكره من أصحابه في الطريقة قائلاً أثناء عدة لبعضهم : والشيخ أبو
حفص عمر الشريف الحسيني بالتصغير دفين داخل باب الفتوح اهـ .

والملياني توفي سنة سبع وعشرين وتسع مئة (٩٢٧) ، فيكون صاحب الترجمة من أهل القرن العاشر ، وفي « نشر المثنى » في ترجمة سيدي أحمد بن عمر الشريف دفين داخل باب الجيسة ما نصه : ولا يُعلم أحد ينتسب لوالديه ولا لقرايته في النسب ، ولا للأخذ عنه في الطريقة ، نعم من صالحى فاس سيدي عمر الشريف ، وروضته بعدوة فاس الأندلس متصلة بروضة سيدي أبي غالب ، وسيدي عمر هذا شريف حُسَينى بالياء ، وهنا أقوام ينتسبون إلى بعض أعماله اهـ.

وفي « التنبيه » ما نصه : ومنهم سيدي عمر الشريف ، ضريحه يقابل سيدي أبي غالب اهـ. وروضته هي المقابلة لسقاية الشيخ أبي غالب المذكور ، وضريحه بها معروف عند بعض الناس ، وهو مزار متبرك به إلى الآن .
تنبيه : سيدي أحمد بن يوسف المذكور شيخ لصاحب الترجمة .

عمرُ بنُ عبدِ المحسنِ الوجّهاني الصوّاف

الشيخ الفقيه العالم العابد المنقطع المتبتل الزاهد الولي أبو علي عمر ، نشأ على الهدى والرشاد والعمل على التخصيص وجميل الاعتقاد .
قرأ ببجاية على أكابر مشايخها ، ثم ارتحل إلى المشرق في عشر السنين وست مئة (٦٦٠) ، وحجَّ بيت الله الحرام ، ولقي أفاضل ، وانقطع وتعبد وتبتل مع اشتغال دائم وفكر متصل ملازم ، وظهر أمره بالديار المصرية ظهوراً كلياً ، ورغب إليه الملوك أن يزوروه أو يزورهم فتمنع من ذلك ، ولم يتمسك بشيء من الدنيا لا بمال ولا بجاه ، وكانوا يرغبون في الأخذ عنه فيمتنع من ذلك قصداً للخلاص والسلامة ، وكان يرغب في الفتيا فإذا أفتى ترجح قوله على كل قول ، وحق له ذلك .

[١٩٧] ولقد أخبرني بعض الطلبة الذين توجهوا إلى المشرق برسم الحج أنه قال :
 خرجت معه من الديار المصرية في الركب المصري ، وهو متوجه نحو الحج .
 فبلغته قال : لا تبرك به ، فلم يزد في سفره على حاله في البلد شيئاً . قال :
 خرج بقميص وعمامة ومثزر وعكاز وركوة ماشياً على قدمه ، وخيار الأمراء
 يرغبون أن يحملوه على رؤوسهم فضلاً عن أن يحملوه على المحامل ، وهو يمتنع
 من ذلك ، فكان إذا نزل الركب ركز عكازه واستقل تحت مثزره ، وأخبرني
 أنه قال : إذا اشتد مشي الركب وألحوا في السير واشتدوا قال : كنت أراه
 لا يزيد على نقل قدميه على الثاني شيئاً ، وأنا أكيد وراءه جرياً فلا أدركه إلا
 بتعب ومشقة ونصب ، وظهرت من كراماته في حرم الله الشريف عجائب .
 ووقف له منها على غرائب . قال المخبر : وما كنت أعلم له وجهاً لمعيشته في
 الركب ، ولا كيف تناولها .

[١٩٨] توفي رحمه الله في عشر التسعين وست مئة (٦٩٠) .

عمرُ بنُ عثمانَ الونشريسي

الفقيه الأستاذ في فن العربية أبو علي عمر بن عثمان الونشريسي . قال
 لسان الدين : حضرت مذاكرة في مسألة أعوزت عليه ، وطال عنها سؤاله ،
 وهي قول الشاعر :

الناسُ أكيسُ من أن يمدحوا رجلاً • ما لم يروا عنده آثارَ إحسانِ
 وصورة السؤال : كيف وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف ،
 إذ أوقع الشاعر أكيس بين الناس وبين أن يمدحوا ، وهو مؤول بالمصدر ،
 وهو المدح ، ولا يوصف بذلك انتهى .

قلت : الإشكال مشهور ، والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر ، وقد

أشار إليه أبو حيان في « الارتشاف » وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب « التلخيص » أكثر من أن تحصى ، ولولا السامة لذكرت ما قيل في ذلك ، وخلاصة ما قالوه : أن في الكلام تقديراً . والله أعلم .

عمرُ بنُ عزوزِ السلمي

الشيخ الفقيه الجليل الفاضل المحصل أبو علي ، رحل للشرق ، وقرأ به ، ومهر ووصل بجاية ، وظهر واستقر وقضى بها ، وشوورَ وأفتى ، وعليه مع الفقيه أبي عبد الله الأريس يتوقف حال القاضي أبي محمد ابن حجاج اهـ . من « عنوان الدراية » .

عمرُ بنُ محمدِ صالحِ الوفرتي

قال في « نشر المتاني » : السيد المتبرك به سيدي عمر بن محمد صالح الخزرجي الشامي ، صاحب زاوية بلاد وفرت بالقاف المعقودة على مرحلتين من توات شرقاً .

ذكره أبو سالم العياشي في « رحلته » وقال عن بعضهم : إنه يوصف بالقطبانية وإنه توفي عام ١٠٠٨ وإنه أخذ عن سيدي محمد بن أبي بكر الودغاغي ، وهو عن سيدي موسى المسعودي ، وكلاهما بتجرارن (تيفورارن أو فورارة) ، وهو عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني ، وعن سيدي عبد الله [١٩١] الخياط ، ذكر هذا في أول الرحلة المذكورة .

قلت : وصاحب الترجمة من الشعبة الحضرية المعروفة بفاس من الشاميين الخزرجين ، صرح به الشيخ أبو عبد الله المسناوي في طرة كتبها على كلام أبي

سالم الذي أشرنا إليه ، ووقفت عليه بخطه ، ولا مانع من ذلك لاتفاقه معهم بالوصف بالشامي الخزرجي ، وأن أسلافهم قدموا على فاس من تيجران كما رأته في تقييد عند بعض الأماثل منهم ، وهو عنده من جملة المحفوظات الأكيدة ، ويحتمل الأمر خلاف ذلك ، والله أعلم .

عمرُ بنُ محمدِ المانفلاتي الجزائري

من « نشر أزاهر البستان »

العلم الأشهر ، والحبر الأكبر ، حائز الشرفين العرضي والذاتي ، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانفلاتي ، أبقاه الله ، ونصر مرآه ، هو بقية السلف ، وبركة الخلف ، الذي حمى الله به ذلك القطر من التلف ، إذ عليه المدار في السير والأخبار ، وإليه المرجع في كل خطب مفزع ، وإحكامه لقواعد العلوم ، هو الذي أمطاه قنن النجوم ، وأعطاه شرفاً غير مروم ، لأنه يصول بنصول الأصول ، ويطول على كل ذي منطق بدوابل الجدل وصوارم المنطق ، إلى شمائل كنسمات الخمائل ، وهمة أكسبت الدهر غمة ، وفصاحة رائقة ، وبلاغة فائقة ، إذا حدث أو أملى فما أبدع وما أحلى ، وإن استطرد في درسه حكاية لتنميق رواية ، كان ذلك أعذب وأسوغ ، من منادمة الظبي الأثلغ ، يقود عصابات القلوب بيانه ، فلولا تقاه كنت أحسبه سحراً على أنه دنا من أرذل العمر واقتراب ، وبات من ورد الثمانين على قرب ، فما ظنك به إذ برد عمره نضير ، وبدر شبابه مستدير ، وروض فتائه مورق ، ونور ذكائه مونق ، وقد أفصحت عن علاه في قصيدة طرزتها ببعض حلاه ، وأنشدتها بين يديه ، يوم ختمني « جمع الجوامع » عليه ، وهو يوم السبت الرابع من جمادى الأولى من شهر سنة أربع وتسعين وألف (١٠٩٤) ، وهي هذه :

حيُّ على الأُنسِ إن طيفُ الهمومِ سرى * ولا تُصيخُ لدواعي البثِّ إن صدحتُ
 واذكُرْ معاهدَ قد راقَتْ نضارتُها * وللهِ منها أصيلانُ جنيتُ بهِـا
 إذ الأُحبةُ يعدو عن وصالِهِم * حيثُ اتلفنا ولا واشٍ ينمُّ بمِـا
 ولا رقيبَ على الأفراحِ بحسدُنـا * وزهونا بتلاقينا وألفتِنـا
 فصاحَ ذاكَ على أفنانِ دوحِـه * وبثَّ ذا بينانِ الذَّيلِ حرَّكـه
 والبحرُ مثلُ مُذابِ التبرِ حاكٍ بهِـه * والورقُ تسقطُ في أمواجِـه دُرراً
 حَبْرُ الجزائرِ والدُّنيا برُمَّتِـها * بدرُ الجلالِ ومصباحُ الكمالِ ومقـ
 شيخُ أحاطَ بأنواعِ المديحِ فمِـا * إن تَمَّ أهلُ العُلا إلى محاسِنِـه
 ذو هِمَّةٍ شُغِفَتْ بالمجدِ عاليـه * إلى شمائلِ أزرَتْ بالنَّسيمِ ضحى
 مَرُّ يُبلِغُ الأهلِ أني بعدَ بينِـهم * وقد ظَفِرَتْ بما قد كُنْتَ أملُـه
 حتى لقد خَلَّتْ آمالي قوائِلَ لي * منْ ذا يَطاولُنِي والمجدُ صافِحِنِـي
 قد كُنْتُ قَدِّمًا أحسُّ للنوى ضَرراً *

وسلَّ نَفْسَكَ وانهَجْ نهَجَ مَنْ صَبِـرا * إن دواعيهِ تستجلبُ الضَّرراً
 فإنَّ في ذِكْرِها أنسا ومُعْتَبِـرا * في روضةِ اللُّهُوِ مِنْ نخلِ المني ثَمِـرا
 بَعْدُ يوجِّجُ في أحشائنا سَقِـرا * نلنا عدا الأعطرينِ الوَرْدَ والزَّهَـرا
 دينا تحلا النيرينِ الشَّمسِ والقَمِـرا * أغرى بنا الأعجمينِ الطيرَ والوتِـرا
 حيُّ على الأُنسِ إن طيفُ الهمومِ سرى * خذ ما صفا لك وانبذْ كلَّ ما كَدِـرا
 كفُّ النَّسيمِ دروعاً حُسْنُها سَحِـرا * كما سقطت على بحرِ العُلا عُمرِـا
 مَنْ عالَجَ العِلْمَ حتَّى ذاعَ وانتشِـرا * باسُ الجمالِ الذي كلُّ الوري بهِـرا
 أبقي لِمَنْ بعدهُ شيئاً وما وذِـرا * تجدُ جميعَهُمُ من بحرِ نَهَـرا
 همُّ بها أحدُ النَّسرينِ فانكـدِـرا * وخلقُ كالخُلوقِ قد هفا سَحِـرا
 جالستُ بدرَ هدىِ بالشَّمسِ مُعْتَجِـرا * لما قَضَتْ مُنيتي من نورِهِ وطِـرا
 قدك ابنُ زاكورِ هذا البحرُ فاقصِـرا * والبدرُ أقبسي والعلمُ لي سَفِـرا
 فاليومَ حينَ اكتسبتُ المجدَ لا ضَرراً *

ما أحسنَ البينَ إذ كانتْ إساءتُهُ ۞ تُفضي إلى مثلِ مصباحِ الدُّجى عُمرًا
 بقيَّةُ السَّلفِ الماضي ونُخبته ۞ لكنْ محاسنُهُ أزرَتْ بمنْ غبرًا
 قاضي القضاةِ الذي لا شيءٌ يعدُّ له ۞ في عدلهِ اللذُّ فشا في الناسِ واشتهرًا
 بحرُ العلومِ التي غاضتْ مناهلُها ۞ منذُ زمانٍ وسيلُ الجهلِ فيها جرًا
 شمسُ الأصولِ التي تعشي أشعثها ۞ عينُ الجهولِ فلم يسطعْ لها نظرًا
 كم من فوائدِ أولاني غدوتُ بها ۞ أطاولُ العالمَ الحَبْرَ الذي مهرا
 هذا و« جمعُ الجوامعِ » الذي بهرتُ ۞ غرُّ معانيه منْ غابَ ومنْ حضرا
 أبدى لنا كلَّ ما تحويه منْ نُكَّت ۞ نفيسةٌ تُخجلُ الياقوتَ والدررا
 واهأ لها من لآلٍ قد ظفرتُ بها ۞ فالحمدُ لله حمداً طيباً عطرا
 سحَّتْ على قبرِ تاجِ الدينِ غادِيَّةُ ۞ تُخففُ الأثقلينِ التُّربَ والحجرا
 ولا تخطتْ محلِّيه بتحليته ۞ باهى بها الثقلينِ الجنَّ والبشرا
 نعمَ المحلِّي مولانا المحلِّي إذ ۞ نظمَ من دره ما كان مُنشِراً
 يا رحمةَ الله عوجي بضريحهما ۞ ولا تزالِ تنشي لهما خبِرا
 إن الإمامَ أبا حفص الرضی عمرا ۞ أضحى يُطرزُ ما حكى وما ابتكرا
 بدرُ الجزائرِ صانَ الله بهجتَهُ ۞ عن أن يرى بخسوفِ البدرِ مُستترا
 وبحرُها العذبُ لا زالتْ جداولُهُ ۞ تُروِّضُ العالمينَ البدوَ والحضرا

[٢٠١]

ولما عزمت على الترحال ، ونويت أن أعمل فيه الوخذ والإرفال ، طلبت
 منه الإجازة فيما أقبني من أنواره وأودعني من أسراره ، فكتب لي بعد
 الامتناع بخطه ما أزرى بالدر النثير الخ

وذكر المجيز في هذه الإجازة ما نصه : وكنت (أي المنقلاتي) قرأتُ
 على مشايخ جلة أعلام ، ومن أجلهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته
 أربع عشرة سنة نهاراً وليلاً في غالب الأوقات أبو الحسن سيدي علي بن عبد

الواحد السجل ماسي الأنصاري ، قدس الله روحه في دار النعيم . مع جماعة من الطلبة الأخيار والنجباء الأبرار ، أخذت عنه في الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف ، ففي الأصول قرأنا « جمع الجوامع » مراراً و« مختصر ابن الحاجب » نصفه ، وفي البيان « تلخيص المفتاح » مراراً ، وفي المنطق « الجمل » للخونجي مراراً و« مختصر الشيخ السنوسي » ونظم الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضرى ، وفي المصطلح « ألفية العراقي » مراراً ، وجملة من كتب السير ، وفي الحديث « صحيح البخاري » ، و« مختصر خليل » في الفقه ، و« نظم ابن عاصم في الأحكام » كما قرأنا كتاب « الشفا » للقاضي عياض ، مع « البردة » للإمام البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، والسينية ، وعقائد الشيخ السنوسي قراءة ضبط وتحقيق .

وكنت أخذت عن غيره من المشايخ من أعظمهم وأولاهم شيخ الإسلام سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم ، نفع الله به ونفعه بعلومه وأسكنه بحبوحه الجنان ، الحديث والفقه والنحو وشيئاً من التصوف كالحكم لابن عطاء الله والتنوير ، وعن غيره الحساب والفرائض وشيئاً من علم الوقت إلى غير ذلك ، وأخذت عن غير من ذكر الخزرجية بشرحها للشريف الغرناطي ، وأقرأتها للطلبة ما ينيف على أربعين ختمة ، كما أخذت لامية ابن مالك في التصريف ، كل ذلك بجهد واجتهاد مع التفرغ والاشتغال بالعلوم ، وهم رضي الله عنهم أخذوا ذلك عن مشايخ جلة من أعلام المغرب والمشرق قراءة وإجازة وإعلاماً ، وها أنا أكملت غرضه (أي ابن زاكور) ، وأذنت له أن يروي ذلك غني بشرطه عن رويته ، عنه ، ووالله مع هذا ما

[٢٠٢] ظننت أني في هذه الطبقة ، ولكن خلت الديار فسدت غير مسود ، وكان شيخنا أبو عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم يتأوه عند ذكر مشيخته ، وينشد لابن الحاجب :

لقد سَمِتَ حياتي اليومَ لـولا • مباحثُ صاحبِ في الاسكندريَّة
 كأحمدَ سبطِ أحمدَ حينَ يأتي • بكلِّ مليحةٍ كالعقريَّة
 تُذَكِّرُنِي مباحثُهُ زماناً • وإخواناً عهدتُهُم سويَّة
 زماناً كانَ الأبياريُّ فينا • يُدرِّسنا وتغبطنا البريَّة
 مضوا فكانتُهُم إمَّا منامٌ • وإما صبيحةٌ أضحتْ عشية

وكذلك نحن مضى أسياننا وإخواننا الذين كنا نتذاكر معهم وتألَّفنا بهم
 وخلفنا ، وتحولت الأحوال واشتغل البال ، نسأل الله أن يلحقنا بهم غير
 مبدلين ولا مغيرين بجاه سيد المرسلين ، وكتب عن عجل والقلب في وجل
 صبيحة الأربعاء المكمل عشرين من شهر جمادى الأخرى من عام أربعة
 وتسعين بعد الألف عبد الله وأصغر عبيده عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن
 يوسف الجزائري الدار والمنشأ ، المانقلاتي نسباً ، أصلحه الله ، وكان له
 ولدريته ولياً ونصيراً آمين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين .

سيدي عمرُ بن موسى

ولي من أولياء الله تعالى ، وقبره مشهور بزار ، وأولاده على الخير والبركة
 والعلم والصلاح والفلاح ، ومن بركاته أن أهل محله يُقسمون به ^(١) صغيراً أو
 كبيراً ، وأن قريته والله أعلم ما وصلت إلى خراب في الظاهر وهلاك إلا
 نفعها فقد علمت أن الولي رحمة في قومه ما داموا يعظمونه ويجلونهم مع مراعاة
 أولاده إن كانوا على وفق العلم ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ^(١) قيل :
 الجد التاسع ولا أعلم تاريخ وفاته ، رحمنا الله به وبأمثاله اهـ . ورتيلاني .

(١) سورة الكهف : الآية ٨٣ .

سيدي عُمرُ الواصلي

رجل من الأكابر ، وصلاحه وولايته معلومان في الضمائر ، فإن أهل وطنه
بني سليمان يعظمونه غاية التعظيم ، وأولاده على الخير خصوصاً الأجلُّ الخير
وذو الخير الشهير سيدي الموهوب ، كبير السن عظيم الشأن ، والحمد لله حبيب
لنا نفعنا الله بهم آمين اه. منه .

[٢٠٣] سيدي عيسى بن أحمدُ الهنديسي ابن الشَّاط

بفتح الهاء فنون ساكنة فดาล مهملة مكسورة فياء تحتية فسین مهملة البجائي ،
عالمها يعرف بابن الشاط .

قال السخاوي : تقدم في الفقه وأصوله والعربية وغيرها حفظاً لها وفهماً
لمعانيها ، مع فروسية وتقدمه في أنواعها ، وديانة، وتصدي للإفتاء والإقراء ،
وناب في الخطابة بجامع بجاية الأعظم ، وهو الآن في سنة تسعين وثمان مئة
شيخ وقدوة أهلها يزيد على ستين سنة اه.

قال الشيخ زروق : الشيخ الفقيه الإمام الصدر العالم أبو مهدي مفتي بجاية ،
من صدور الإسلام في وقته علماً وديانة اه.

قلت : له تعليق لطيف على مسلم في كراريس ، اقتطفه من شرح الأبي
عليه ، ووقع بينه وبين شيخه الإمام العلامة محمد بن بلقاسم المشدالي الآتي
منازعة في مسألة ترافعا فيها إلى الإمام المفتي قاسم العقباني فأجابهما . نقل
الجميع في « نوازل » المازوني مع عدة فتاوى .

عيسى بن محمد التلمساني

عيسى بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبو موسى أحد الأخوين المعروفين بأبناء الإمام التلمساني ، تقدم كثير من حاله في ترجمة أخيه أبي زيد .

قال القاضي أبو عبد الله المقرئ : سألت أبا موسى بن الإمام آخر فقهاء تلمسان عما يكتب الموثقون من الصحة والطوع والجواز على ظاهر الأمر ، الذي لا يفيد ما بنيت عليه الشهادة من اليقين لانكشاف الأمر كثيراً بخلافه قال له : ذلك غاية ما يمكن الوصول إليه غالباً من ذلك فلو كلف بغيره شق عليه ، وأوشك أن لا يصل إليه ، وتعطل بسببه حقوق كثيرة ، قلت له : فهلا كتبوا ظاهر الصحة والجواز والطوع فتبرؤوا من عهدة ما وراء ذلك ، فقال لي : ذلك إيهام في الشهادة ، ومبناها على العلم ، فإذا تعذر أو تعسر وجب كتبها على ما لا ينافي أصلها حفظاً لرونقها ، واعتمد في ظاهر أمرها على ما جرت به العادة أن المعتبر في مثلها ظاهر الحال لتعذر غيره أو تعسره اهـ .

سئل صاحب الترجمة عن ابن القاسم هل هو مجتهد في مذهب مالك مقلد له ؟ فأجاب بأنه مجتهد في المذهب فقط لا مطلقاً ، وأما اجتهاده في بعض المسائل فإما بناء على جواز تحري الاجتهاد ، وهو اختيارنا ، كما أن المجتهد المطلق قد يقلد في بعضها لأمر ما فلا ينافي عروض اجتهاده في بعضها كونه مقلداً ، كما أن المجتهد المطلق لا يخرج عروض التقليد عن اجتهاده ، والدليل على كونه مقلداً لمالك أقواله وأقوال الأئمة ، وبيانه أن المجتهد إنما يتبع الدليل من حيث هو ، والمقلد يقلد شخصاً ، واتباع ابن القاسم لقول مالك والتزامه مذهبه واضح لا يفتقر لبيان لمن له أدنى اطلاع ، وذلك أن المجتهد إنما يجيب عن المسائل باجتهاده في الأدلة ، وابن القاسم إنما يجيب

[٢٠٤] حيث سئل بقوله : قال مالك كذا ، كما في الأسمعة والروايات ، وهذا عين التقليد وليس في شيء من الاجتهاد ، فإن قلت : لعله إنما أجاب به قبل نظره لعجزه؟ قلت : لا يجوز التقليد قبل النظر على الصحيح لآية ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(١) ومن أمكنه الرد إليه تعالى فتركه عصى ، وإنما ينظر ذلك عند العجز ، وأجوبته هو بقول مالك كثيرة ، بل لا يضيف لنفسه إلا عند خروج مالك عن قواعده واختياره هو أحد أقوال مالك وإن لم نقف نحن عليه كما يأتي ، فإن قلت : ولعل سائله إنما سأله عن مذهب مالك فقط . قلت : علمنا جوابه بذلك مطلقاً سواء عين له السائل ذلك أم لا بدليل إطلاق الأسئلة عارية عن ذلك ، ولئن سلم فسؤالهم إياه عن مذهب مالك على اعتقادهم فيه أنه خزنة مذهب مالك وناشر أقواله ، فهذا دليل تقليده . إذ المجتهد إنما ينظر في الأدلة مطلقاً ، وأيضاً فسؤال المجتهد عن مذهب غيره نادر جداً ، وأيضاً فلم لا يسأل عن مذهب غير مالك . وما وجه الخصوصية به ، وأيضاً فعادته في جوابه عن مسائل لا تحصى أن يقول : لأن مالكا قال كذا في كذا ، وقد قال مالك كذا ، فيحتج لصحة قوله بقول مالك ، وأنه جارٍ على مذهبه ، وإنما جواب المجتهد بالدليل لا بقول أحد ، ويقول : لولا ما قاله مالك لقلت كذا ، فيترك مقتضى الدليل لقول مالك ، وهذا غاية التقليد .

وقد نقل صاحب « الاستيعاب » عن ابن وهب وأحمد بن حنبل أنهما قالاً: إذا لم نجد أثراً قلنا قول مالك ، لأن قوله أثر من الآثار ، ونقل عن ابن القاسم أنه قال : اخترت مالكا لنفسي وجعلته بيني وبين النار ، ولا معنى لاختياره له إلا تقليده واعتقاده مذهبه ، والمجتهد إنما يجعل بينه وبين النار الأدلة لا شخصاً معيناً ، فإن قلت : لعل ذلك لتعلمه منه أولاً لا لتقليده آخراً حين تبهر ، قلت : لا يجعل المجتهد حالة ابتدائه حجة لأنها انتسخت بأكمل

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

منها ، فصار متبعاً للدليل مطلقاً ، مع أن ابتداءه لم يتمحض في مالك وإن لازمه أكثر من غيره ، فقد أخذ عن الليث وعبد العزيز بن الماجشون وابن أبي حازم وغيرهم ، وأيضاً فقد قال الشريف التلمساني أحد محققي الأئمة المتأخرين لما مثل مجتهد المذهب الذي يخرج الوجوه على نصوص إمامه ، قال : كابن سريج وأبي حامد في مذهب الشافعي ، وابن القاسم وأشهب في مذهب مالك ، وأبي يوسف ومحمد بن الحسن في مذهب أبي حنيفة ، فهذا نص منه على [٢٠٥] تقليده لمالك ، ويؤيده قول ابن وهب لابن ثابت : ان أردت هذا الشأن يعني

فقه مالك فعليك بابن القاسم ، فإنه انفرد به وشغلنا عنه بغيره ، ولهذا رجح القاضي أبو محمد مسائل « المدونة » لرواية سحنون لها عن أبي القاسم ، وانفراده بمالك وطول صحبته له لم يخلط به غيره ، فهذا دليل تقليده له وأنه خزانة علمه ، ولا يوصف المجتهد بأنه لم يخلط به غيره ، وقد حكى الحارث ابن راشد القفصي - وكان ثقة مجاب الدعوة يختم في كل ليلة من رمضان القرآن - أنه لما وادع هو وابن القاسم وابن وهب مالكاً أنه قال لابن وهب : اتق الله وانظر عن تنقل ، ولابن القاسم : اتق الله وانشر ما سمعت ، فهذا مالك أصل إفادته بأمره بنشر ما سمع ، وناشر ما سمع بمعزل عن الاجتهاد المطلق ، وبعيد أن يجهل مالك من حاله ما يعلمه غيره ، وقد عمل هو بما أوصاه به ووثق الناس بروايته عنه واختياراته ، وقبلوا منه ما لم يرضوه من نظرائه .

قال النسائي : ابن القاسم رجل صالح ثقة ، ما أحسن حديثه وأصححه عن مالك لا يختلف في كلمة ، ولم يرو أحد « الموطأ » عنه أثبت من ابن القاسم ، وليس أحد من أصحابه مثله لا أشهب ولا غيره ، عجب من العجب ، زهد وفضل وحسن الحديث اهـ .

ولهذا شرط أهل الأندلس في سجلات قرطبة قطب مدنها علماً أن لا

يخرج القاضي عن قول ابن القاسم ما وجدته احتياطاً ورغبة في صحة الطريق الموصل لمذهب مالك ، الذي قلده لصحة روايته وطول صحبته له لم يخلطه بغيره ، ولو كان مجتهداً مطلقاً لكانوا إنما قلده دون مالك ، وهو خلاف ما علم من أئمتهم حيث توغلوا في تقليده حتى شنع عنهم ابن حزم أحد حفاظها ، فقال : قد وصل أهل الأندلس في تقليد مالك حتى يعرضون كلامه تعالى وكلام رسوله على مذاهب إمامهم ، فإن وافقاه وإلا طرحوه وأخذوا بقول صاحبهم مع أنه غير معصوم ، ولا نعلم بعد الكفر بالله تعالى معصية أعظم من هذا ، فهذا ما وصفهم به من تقليد مالك ، وإن كان على كلامه حديث ليس هذا محله ، وهم حين فتح الأندلس التزموا مذهب الأوزاعي ، حتى قدم عليهم الطبقة الأولى ممن لقي مالكا كزياد بن عبد الرحمن ، والغازي بن قيس ، وقرعوس ونحوهم فنشروا إمامته وفضله ، فأخذ الأمير هشامُ الناسَ حينئذ فالتزموا مذهبه من يومئذ ، وحاموا عليه بالسيف إلا من لا يؤبه به ، حتى إن الأمير الحكم بن المستنير ، وكان ممن بحث عن أحوال الرجال بحثاً يقر عنه كثير من العلماء ، حتى إن خزائن من كتبه في غاية الصحة بحيث إذا اطلع على ما قوبل بأصل منها ، ولو بوسائط اطلع عليه في غاية الصحة ، كتب إلى الفقيه أبي إبراهيم رسالة فيها : وكل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رين على قلبه ، وزين له سوء عمله ، وقد نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء إلى الآن فلم نر مذهباً أسلم منه ، فإن في المذاهب الجهمية والرافضة والمرجئة والشيعة إلا مذهب مالك ، فما سمعنا عن أحد قلده بشيء من البدعية ، فالتمسك به نجات إن شاء الله اه .

[٢٠٦] فهل ترى مع هذا التصميم في هذا الاعتقاد خلفاً عن سلف أن يمنعوا الخروج عن قول ابن القاسم لاجتهاده وتركه قول مالك ، بل ذلك لتقليده إياه وطول ملازمته له ، واطلاعه على ما يأخذه ، وأيضاً فلا ينكر أحد أنه

مالكي المذهب ، وناشره والمجتهد مطلقاً لا ينسب لأحد سواه ، لا يقال :
 إنما صدقت النسبة لأجل الاستفادة ، لأننا نقول : يبطل بالشافعي ، فهو من
 الطبقة الوسطى من أصحاب مالك ، وكان يقول : مالك معلمي ، ومنه تعلمنا
 العلم ، وما أحد أمنٌ عليّ من مالك ، وعنه أخذت العلم وشبه هذا ، ولا يصدق
 عليه أنه مالكي لاجتهاده وكون مستنده الدليل ، فإن قلت : يدل على اجتهاد
 ابن القاسم مطلقاً مخالفته لمالك في مسائل كثيرة ، وحظ المقلد اتباع مقلده
 قلت : إنما تتحقق مخالفته إن لم يكن لمالك في المسألة إلا الرأي وخالفه فيه ،
 ولعل له قولاً آخر رجحه ابن القاسم ، فإن قلت : قوله أرى أو هو رأيي
 إناطة للحكم برأيه فحملة على ما قلت خلاف الظاهر . قلت : ترجيحه ما صار
 إليه رأي حقيقة بلا تأويل ، ويؤيده ما ذكره الباجي في فرق الفقهاء قال :
 جمع أبو عمر الأشبيلي أقوال مالك في كتاب كبير يزيد على مئة جزء ، قرأت
 بعضه .

وكان شيوخنا يقولون : لا يكاد يوجد قولة لأصحابه إلا وهي لمالك في
 ذلك الكتاب ، لأن الحكم بن عبد الرحمن أخرج الأسمعة من خزائنه لأبي عمر ،
 وأمره بجمع أقواله حيث كان ، فقول الشيوخ : لا يكاد يوجد الخ دليل لما
 قلناه ، وفيه بيان لما تقدم من صرفهم الهمة إلى أقوال مالك وتقليده ، واختيارهم
 لابن القاسم لصحة التوصل لمذهبه ، ونحو ذلك أيضاً ما ذكره بعض الائمة
 أن ابن القاسم وأشهب اختلفا في قول مالك في مسألة فحلف كل على نفي قول الآخر ،
 فسألا ابن وهب فأخبرهما أن مالكا قالهما معا ، فحجاً قضاء ليمينهما ، فهما
 إمامان لازما مالكا غاب عليهما قوله ، فكيف بمن تأخر عنهما ، ولو سلمنا
 عدم وجود مختاره لمالك فلا يدل على اجتهاد لجواز أنه رأى خروج مالك عن
 أصوله سهواً ، فقاسه هو عليها فلا يخرج بذلك عن تقليده .
 ذكر أبو إسحاق الشيرازي أن أسداً أتى إلى ابن وهب وسأله أن يجيبه

في مسائل أبي حنيفة على مذهب مالك ، فتورع ، فذهب إلى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ من مالك وغيره ، يقول : سمعته يقول في مسألة كذا وكذا ، [٢٠٧] ومسألتك مثلها ، ومنها ما أجابه على أصول مالك ، وهذا يحقق ما قلناه . فهذه الأسدية أصل مدونة سحنون أصلح ابن القاسم منها أشياء على يد سحنون ، وأيضا سلمنا اجتهاده في بعض المسائل ولكن لا يخرجها عن التقليد ، كما أن تقليد أقواله^(١) وقد قال إسماعيل بن أبي أويس : قيل لمالك : قولك في « الموطأ » : الأمر المجتمع عليه ، والأمر عندنا وبلادنا ، وأدركت أهل العلم فقال : أما أكثر ما في الكتاب فرأيي ، ولعمري ما هو رأيي بل سماعي عن غير واحد من أهل العلم المقتدى بهم ، فكثروا علي ، فغلب رأيي ، وهو رأيهم ورأي الصحابة أدركوهم عليه وأدركتهم أنا عليه ، وإرثة توارثوها قرناً عن قرن إلى وقتنا ، وما كان رأيي فهو هكذا ، والأمر المجتمع ما اجتمعوا عليه بلا اختلاف ، وقولي : الأمر عندنا ، فما عمل به الناس عندنا وبلادنا وجرت به الأحكام ، وعرفه الجاهل والعالم ، وما قلت : بعض أهل العلم ، فشيء استحسنت من قول العلماء ، وما لم أسمع منهم اجتهدت على مذهب من لقيت حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة ، وإن لم أسمع شيئاً نسبته إليّ بعد اجتهادي مع السنة ، وما عليه أهل العلم ، والأمر المعمول به عندنا من زمنه صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده فهو رأيهم ما تركته لغيره ، فإن قلت : يلزم على هذا إما تقليد مالك لغيره ، أو كون ابن القاسم مجتهداً لتفسيركم رأيه باتباعه ، قرأ عن مالك وترجيحه عليها ، لأن اتباع شخص إن أوجب تقليده لزم الأول ، وإلا لزم الثاني . قلت : لا بل اتباع قول مالك ليس لمجرد قول غيره ، بل الدليل عنده مطلقاً كعمل الصحابة أو إجماع أهل المدينة أو استحسان وافق رأيه ، وغير ذلك ، كما أشار إليه ، وهذا حال المجتهد المطلق اتباع

(١) هكذا في الأصل « نيل الابتهاج » للتبكي .

الدليل ، وابن القاسم إما يرجع ويخرج على أصول مالك ، كما تقدم فهو مقلده
 إذ اتباع شخص من حيث هو غير اتباع الدليل المطلق ، والله أعلم اهـ . جوابه
 ملخصاً وهذا الذي اختاره هو ما اختاره أخوه الإمام أبو زيد وغيرهما .
 فائدة : قال الخطيب ابن مرزوق : سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن
 الإمام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما أحدثه العزفي وولده أبو القاسم
 بالمغرب في ليالي المولد ، وهما من الأئمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به ،
 ونقل عن بعض علماء المغرب إنكاره والأظهر عندي ما قاله بعض المغاربة :
 استعمال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة ، وإحياء سنته ومعونة
 آله ، وتعظيم حرمهم ، وفعل أنواع البر أفضل مما سواها مما أحدث ، إذ لا
 يخلو من مزاحم في النية ، أو مفسد للعمل ، أو دخول شهوة ، وطريق الحق
 والسلامة معروف ، فالأفضل تكثير الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وأعمال
 البر اهـ . ملخصاً .

الأميرُ عبدِ القادرِ الجزائري

هو الإمام الأوحـد والعلم المفرد ، العارف بالله ، والتقي الأواه ، عالم
 الأمراء وأمير العلماء ، الأمير الخطير السيد عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى
 [٢٠٨] ابن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن محمد
 ابن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد
 ابن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي
 ابن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن
 المثني بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ، وأم الحسن فاطمة بنت رسول
 الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ولد في شهر رجب سنة ١٢٢٢ في القيطنة ، وهي قرية اختطها جده في إيالة وهران من أعمال الجزائر ، وترى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز ، فحفظ الكتاب العزيز في المدرسة التي أسسها والده في القيطنة ، وتلقى بها بعض العلوم ، وكان والده كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام ، ولما بلغ سنه أربع عشرة سنة سار إلى وهران لاستكمال فنون العلوم .

وفي سنة ١٢٤١ سافر مع والده منها براً إلى الحجاز على طريق مصر ، وبعد أداء فريضة الحج قصداً المدينة المنورة لزيارة الحضرة الشريفة النبوية ، ومنها توجهها إلى دمشق صحبة الركب الشامي ، ثم سافرا إلى بغداد فزارا حضرة القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني ، قدس الله سره العزيز ، وأخذ كل منهما الإجازة بالطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري نقيب الأشراف ، وشيخ السجادة القادرية ، ثم رجعا إلى دمشق ، ومنها عادا إلى الحجاز فحججا مرة ثانية ، ثم رجعا إلى الوطن وذلك سنة ١٢٤٣ ، وكان - طاب ثراه - في مدة سفره يتولى خدمة أبيه بنفسه مع كثرة الخدم الذين كانوا معهم .

وفي سنة ١٢٤٨ بايعه أهل الجزائر وولوه القيام بأمرهم . وذلك بعد أن طلبوا مبايعة والده فاعتذر عن قبولها ، فلما ألحوا عليه أشار عليهم بمبايعة ولده المشار إليه لما رأى منه من الكفاءة بما يتعلق بهذا الأمر الجلل ، ولما اشتمل عليه من الأوصاف الجميلة التي تجعل النفوس الأبية خاضعة له ومنقادة إليه وصورة المبايعة المذكورة في كتاب « عقد الأجياد في الصافنات الجياد » لسعادة محمد باشا، فلما بايعوه قام بالأمر في تلك الأقطار ، وأحسن السياسة في رعيته مقتفياً آثار أسلافه السادة الأدارسة الذين كانوا ملوكاً في المغرب الأقصى والأوسط والأندلس ، فتمكن حبه في قلوبهم وبذلوا نفوسهم في طاعته وامتنال أمره ،

[٢٠٩] وفي مدة إمارته ضرب سكة نقود سماها المحمدية ، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس للجند ، وظهرت منه شجاعة خارقة للعادة ، تحدث بها القاضي والداني ، ودونها أصحاب التواريخ ، وكان يتقدم الجيش بنفسه ولا يبالي ، ولما رأى أن الثبات لا سبيل إليه جنح إلى السلم ، وفاوض أعيان من كانوا معه في أن يستأمن دولة فرنسا لنفسه وأهله ومن يتبعه من قومه على أن يحملوه إلى الاسكندرية أو عكا من أرض الشام ، فوافقوه على ذلك وفي الحال خابر قائد الجيش الفرنسي فيما اتفقوا عليه على شروط قررها له ، فأجابته إلى ما طلبه واشترطه ثم خصصوا له مركباً حربياً ، وحملوه ومن معه وكانوا ينيفون على ثمانين نفساً إلى طولون ، وبعد ستة أشهر نقلوه إلى انبواز ، فأقام بها أربع سنين وستة أشهر ، ولما أفضى أمر فرنسا إلى نابليون الثالث زار الأمير بها ، وأظهر له كل تجلة وإكرام ، وأسف أسفاً شديداً على تأخير الوفاء بإنجاز الشروط إلى ذلك الوقت ، وبعد أن بشره بالتسريح إلى بلاد الإسلام فرّق على أتباعه عشرين ألف فرنك ، وأهداه سيفاً مرصعاً ، ورتب له في السنة خمسة عشر ألف ليرة على أن تصرف له مشاهرة ، ثم ركب الأمير ومن معه مركباً حربياً وسافر إلى الاستانة العلية ، فتلقاه بعض الوزراء على المينا ، ومعهم العجلات السلطانية والخيول الجياد ، وذهبوا به إلى الماين الهمايوني ، وتقابل مع حضرة السلطان عبد المجيد خان ، فاحتفل به احتفالاً عظيماً ، وعامله بما يليق بمثله ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأنعم عليه بدار عظيمة في مدينة بروسة بما اشتملت عليه من الأثاث والرياش ، فسكنها مع آل وحشمه ، وأقبل على بث العلم وإفادة الناس .

وفي سنة ١٢٧٠ ذهب إلى الآستانة ومنها إلى باريز ، ثم رجع إلى بروسة ، وحصل له في هذه الحركة إقبال عظيم واحتفال جسيم .

وفي سنة ١٢٧١ عزم على مبارحة بروسة لتوالي الزلازل الهائلة بها ، فاختر

الإقامة بدمشق ، فأتى إليها فتلقاه أهلها باحتفال عظيم ، وأنزلته الدولة العلية في أحسن دار .

وفي سنة ١٢٧٣ توجه لزيارة بيت المقدس والخليل ، ثم رجع إلى دمشق وأقبل على قراءة الكتب العلمية كالبخاري ومسلم ، وكان قسم من دار الحديث قد استولى عليه بعض الأجانب ، فسعى في استخلاصه ببذل أموال طائلة .

وفي سنة ١٢٧٧ وقعت الواقعة المشهورة في ذلك التاريخ ، فبذل الأمير جهده في إسعاف المسيحيين قياماً بما يوجبه أمر الدين ، ولشجاعته وحسن تدبيره قدس سره تيسر إنقاذ ألوف عديدة منهم ، فأهدته الدولة العلية وسائر الدول العظام علامات الشرف من الدرجة الأولى ، ثم سافر إلى حمص وحماه فزار في حمص أسد الله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ورجع إلى دمشق .

وفي سنة ١٢٧٩ قصد البلاد الحجازية . وأقام بها مدة سنة ونصف مقبلاً [٢١٠] بها على العبادة والخلوة والحج والاعتمار . وحصل له هناك فتح عظيم أشار إليه في قصيدته الرائية التي مطلعها :

أمسعودُ جاء السَّعدُ والخيرُ واليسرُ * وولَّتْ ليالي النَّحسِ ليسَ لها دِكرُ
وفي سنة ١٢٨١ توجه إلى الآستانة لزيارة ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان ، والسعي في إسعاف من نسبت إليهم الواقعة المنوه عنها ، وتخفيف الجزاء فاجتمع به وأكرمه غاية الإكرام وأهداه الوسام العثماني من الدرجة الأولى ، وهو أكبر وسام في ذلك العصر ، وأسعفه بمطلوبه ، ثم توجه منها إلى باريز للمقصد نفسه ، فكان له الفضل في المسألة بدءاً وعوداً .

وقد زاده حينئذ الامبراطور نابليون الثالث على مرتبه السابق ألفين وخمسمائة ليرة ، وكان له فرط شغف به لمكارم أخلاقه ، ثم توجه من باريز إلى لندرا

فاحتفلوا به غاية الاحتفال ، ثم عاد إلى الشام ، ومن ذلك الوقت قويت المناسبات بينه وبين ملوك أوروبا والرؤساء المشهورين هناك ، فكان ذلك وسيلة لقضاء حوائج المسلمين الذين هم في مستعمراتهم ، وحصل لهم بذلك من المنافع ما لا يوصف .

وفي سنة ١٢٨٦ دعي إلى مصر لحضور الاحتفال بافتتاح خليج السويس ، الذي دعي إليه ملوك أوروبا وأمراؤها ، فذهب إليه ثم رجع إلى دمشق . وفي سنة ١٢٨٨ أرسل نسخة من الفتوحات المكية مع عالمين جليلين إلى قونية لمقابلتها وتصحيحها على نسخة موجودة هناك بخط مؤلفها الشيخ الأكبر قدس الله سره وبعد تصحيحها بكل إتقان قرأها على بعض الخواص من العلماء ، فحصل لهم بذلك نفع عظيم .

وفي منتصف ليلة السبت التاسع عشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٠٠ انتقل هذا الأمير الجليل إلى رحمة الله تعالى في قصره الكائن قرب قرية دمر ، التي تبعد عن دمشق مسافة ساعة بعد أن مرض نحو خمسة وعشرين يوماً ، وكان مشتغلاً بالمراقبة والذكر ، ولم تبد منه شكوى ، وإنما كانت تلوح عليه سيماء الاستبشار بقاء الله تعالى والرضى بأحكامه ، وقد تولى غسله وتكفينه نزيله الشيخ عبد الرحمن عليش ، أحد علماء الأزهر ، وحمل نعشه المبارك على أكتاف الرجال الأماجد إلى الجامع الأموي ، وبعد الصلاة عليه شيعه أهل دمشق بغاية الاحتفال والتعظيم ، ولم يزالوا سائرين بجنازته وعليها من الهيبة والوقار ما تخشع له القلوب ، وتشخص له الأبصار إلى أن أوصلوه إلى حجرة الشيخ الأكبر ، فدفن بها في جواره ، ورجع الناس متأسفين على فراقه لمحاسن أوصافه ومكارم أخلاقه .

وقد خلف رحمه الله عشرة من البنين : أكبرهم الأمير محمد ، ويليه

الأمير محيي الدين ، والأمير الهاشمي^(١) ، والأبیر إبراهيم ، والأمیر أحمد .
والأمیر عبد الله ، والأمیر علي ، والأمیر عمر ، والأمیر عبد المالك . والأمیر
عبد الرزاق ، وخلف أيضاً ستاً من البنات ، وزوجة ، وأربع أمهات أولاد .
وقد كان طيب الله ثراه مربع القامة ، معتدل الجسم ، أبيض اللون ،
أسود الشعر كَثَّ اللحية ، أقى الأنف ، أضبط « أي يعمل بيساره جميع ما
يعمله بيمينه » ، أشهل العينين ، يمشي الهويناً ، وكانت له مبرات كثيرة .
من جملتها أنه كان يوزع وكان خرج أكثر من دخله الوافر . حيث توفي
وعليه ديون اقتضت بيع بعض أملاكه لوفائها . وهذا أكبر دليل على وفور
كرمه ، وكان يعظم أهل العلم ، حسن المسامرة لطيف المعاشرة ، لا يرد سائلاً
ولا يخيب قاصداً ، وكانت رسائله تترى إلى سائر الجهات بحيث لو جمعت
لبلغت عدة مجلدات ، لا ينسى أحداً من الذين تعودوا إحسانه . ولم يكن
عنده شيء من الكبر الذي تنزهت عنه نفسه المطمئنة ، ولا يتأنق في الملابس
والمطاعم لتحققه بالزهد والتواضع وعدم النظر إلى زينة الحياة الدنيا ، وله
رحمه الله خلوة بمنزله في قرية أشرفية صحنايا كان يوزع مئتي ليرة في كل
شهر على العلماء والفقراء فضلاً عما كان ينفقه في وجوه البر يتحنث بها في
شهر رمضان مع العزلة التامة ، وكان مدة عمره يتعبد على مذهب الإمام
مالك رضي الله عنه ، وكان يتنافس بزيارة الفضلاء ، ويتمثل بأشعار الأدباء ،
وكانت تأتي إليه من كل فج ، ويكافئ عليها بالجوائز العظيمة ، حتى جمع له من
القسائد التي مُدح بها في حياته ديوان ضخيم ، ورثاه الشعراء البلغاء بأبكار
أفكارهم .

(١) توفي الأمير الهاشمي رحمه الله في مدينة أبي سعادة ، ودفن في مقبرتها الأولية ، وخلف أولاداً منهم
الأمير الخطير الشهر السيد خالد ، الذي ارتقى هذه الأيام (شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ - ماي
سنة ١٩٠٨) إلى رتبة قبطان في الجيش الفرنسي بالمغرب الأقصى جزاء شجاعته واقتداره وإقدامه
وانتصاره .

وله أحسن الله إليه تآليف مفيدة : أشهرها المواقف في التصوف ، وتعليق على حاشية لأحد أجداده في علم الكلام ، والمقراض الحاد ، والرسالة المسماة « ذكرى العاقل وتنبية الغافل » ، ومن اطلع على هاته المؤلفات عرف قدر فضله وسعة علمه ، وكانت له سليقة جيدة في نظم القريض ، وكان يتمثل في المعارك ببيت من قصيدته الحماسية المشهورة وهو :

ومن عادة السادات بالجيشِ تَحْتَمِي « وبني يحتمي جيشي وتحرسُ أبطالِي
هذه لمعة من ترجمة حياة هذا الأمير الشهير مأخوذة عن أوثق المصادر ، وقد جمع له طاب ثراه ترجمة عظيمة في نحو مجلدين ضخمين ، قدس الله تعالى سره ، وأغدق عليه سحاب الرضوان والمبرة ، بجاه جده خاتم الرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام اهـ . ملخصاً من ترجمته على ظهر كتابه المطبوع « ذكرى العاقل وتنبية الغافل » .

سيدي الغزالي

صاحب الفضل والفواضل سيدي الغزالي ، جعل الله البركة في أولاده [٢١٢] بمنه وكرمه ، وله أحوال سنية وكرامات ظاهرة لاسيما إجابة الدعوة ، وأبوه أعظم وأقوى ، وقد عمّت بركته الداني والقاصي ، نعم زرنا قبره وبتنا في خلوته وتوضأنا من عينه ، ولم تك تلك القرية إلا بإذنه صلى الله عليه وسلم ، ثم بعد ذلك رجعنا إلى دار الشيخ سيدي محمد السعيد والد سيدي أحمد الطيب ، وكان فاضلاً عالماً عابداً زاهداً ورعاً آكلاً من عمل يديه طلباً للحلال ، لأن « مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَطَاعَ اللَّهَ شَاءَ أَمِ أَبِي ، وَمَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ عَصَى اللَّهَ شَاءَ أَمِ أَبِي » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وهو تلميذ الشيخ سيدي أحمد بن مزيان ، وانفعلت فيه سريرته ، وظهرت

عليه آثار أنواره ، وقد سمعت ممن يوثق به أنه قال : لو شئت أن تصير لي الجبال ذهباً لفعلت ، ولكن اخترت ما اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه من التقلل في الدنيا ، ونفض يد القلب منها قطعاً ، والحمد لله على محبة آثارهم ، ومعرفة أحبائهم رضي الله تعالى عنهم .

ثم بعد زيارتنا للشيخ في محله رجعنا إلى بلدنا مارين على الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، عطفه الله علينا وعلى أولادنا وطلبتنا ، وكل من ينتمي إلينا من الإخوان وغيرهم بمنه وكرمه ، فلما بلغت البيت حدث لي العزم التام ، نعم أخذنا في التأهب إلى السفر ، والأخذ في أسبابه ، واشتهر أمر سفرنا وبلغ أمره أطراف نواحي عمالة الجزائر ، فقامت لذلك فضلاء الخاصة والعامة ، ثم وقع النداء في أسواق بلدنا فيمن عزم السفر ، ثم بعد ذلك عرض لي أمر أوجب لي السفر لوادي بجاية ، فلما ذهبت إلى الوادي سمع بي جماعة من فضلائها كالعلامة الفاضل قاضيها تلميذنا سيدي أبي القاسم نجل الكامل سيدي إبراهيم ، والفقير المفتي سيدي محمد ، والمعظم الأجل قاضيها سيدي أحمد الصطنبولي محب الخير وأهله ، وكان والده اصطنبوليا تاب على أيدنا رحمه الله آمين ، فلما وصلت إلى أولاد الشيخ سيدي محمد امقران في محلهم إذ هم أنسابي ، نويت زيارة الشيخ الصالح والأستاذ الواضح سيدي إبراهيم ابن ثابت في بني مسعود ، فوجدت تلك الجماعة قاصدة ملاقاتي ، فاجتمع كلنا عند سيدي إبراهيم المذكور ، فبعد زيارتنا له ألحوا علي في الذهاب إلى بجاية ، إذ كنت متغيراً عليهم قبل ، غير أنهم لما أكدوا علي ذهبت معهم إلى زيارتها لأنني محب فيها غاية وذلك قبل بلوغي ، وكنت كل عام أصوم فيها رمضان ناوياً للرباط مع تعليمي الطلبة راجياً أن يكون لي حظ وافر منهم ، ونصيب كامل من عندهم حقق الله رجائي بمنه وكرمه اهـ . ورتيلاني .

أحمدُ الغزالِ الجزائري

من « رحلة المشرفي »

ومن علماء الجزائر النخبة العليا في آداب الدين والدنيا سيدي أحمد الغزال ،
وله بمدح شيخه سيدي أحمد بن عمار هذه القصيدة :

روينا أحاديثَ الألى ورثوا العُلا * قديماً ففازوا بالثناء المويـدِ
فقليل : أناسٌ قد تقضى زمانهم * فهل مثلهم يوماً شهدت بمشهدِ
فقلتُ لهم والقولُ مني صادقٌ * ولم أك فيما قُلتُه بمفئـدِ
إذا شئتم أن تنظروا شبه من مضى * ومن فازَ بالذكرِ الجميلِ المخلدِ
هلموا إلى بحرِ العلومِ ومن غدا * بأنواره أهلُ المعارفِ تهتدي
هلموا إلى طودِ المكارمِ والنَّدا * هلموا إلى سبطِ الرسولِ محمَّدِ
هلموا إلى ماوىِ المفاخرِ والعُلا * هلموا إلى الأسمى ابنِ عمارِ أحمدِ
إمامٌ جليلٌ فاضلٌ أيُّ فاضلِ * همامٌ جميلٌ منجدٌ أيُّ منجدِ
بوالده ديناً وعِلماً قد اقتدى * لقد جلَّ نجلٌ كانَ بالأب يفتدي
فأكرمُ به من ماجدِ وابنِ ماجدِ * وأنعمُ به من سيدِ وابنِ سيدِ
لَهُ خَضَعَتْ أربابُ علمٍ لعزّه * وكيفَ وفيهم قامَ أعظمُ مُرشدِ
مُشاهدُهُ في مجلسِ الدَّرسِ لم يزلْ * مُقرَّراً له بالرقِ في اليومِ والغدِ
عبارته في العلمِ ما بين أهليه * تدلُّ على الفتحِ المبينِ المويـدِ
فقد شُفتُ أسمعنا عند شرحه * لأسمى حديثِ عن رسولِ مُمجدِ
فما سمعتُ أذني ولا العينُ أبصرتُ * شبيهاً له غرباً وشرقاً بمعهدِ

وما هو إلا البحرُ بحرُ فضائلٍ * لقد فازَ مَنْ أَمسى له خيرَ مَورِدِ
وردتُ معيناً من بحارِ وِدادهِ * فحقُّ لنا البُشرى بنيلِ التَّوَدُّدِ
وما زلتُ أرجو اللهَ قُربَ جِوارِهِ * بجَنَّةِ فردوسٍ بأرفعِ مقعُودِ
هناكُ يطيبُ الأنسُ حيثُ نعيمُهُ * بغيرِ انقضاءِ زهرُهُ في تجلُّدِ
وظني جميلٌ في الكَريمِ تفضُّلاً * يبلِّغني المأمولَ من كلِّ مقصدِ

فأجابه تلميذه ابن الشاهد رحمه الله بمثلها وفي رويها بما نصه :

عسى أن يلمَّ الشَّمْلُ بعدَ تبَدُّدِ * عشيةَ هذا اليومِ أو ضحوةَ الغدِ
ويطوي بساطَ الهجرِ من بعدِ نشرِهِ * ويُبلسَ مطويَ الوصولِ المُجَدِّدِ [٢١٤]
وتأتي من الأجابِ صولةُ مُنصفِ * فتخمدُ للواشينَ فتنةُ مُعتدِ
وتقرأ آياتُ من العُتبِ بيننا * فينسخُ منها الودُّ كلَّ توعُّدِ
سقى عهدَهُم صوبَ الحيا وسقاَهُمُ * وإنْ هُم سَقوني كاسَ هجرٍ مُزردِ
ليالي نُسقى بالمسرةِ أكوُسا * دهاقاً ولا نخشى الرقيبَ بمرصدِ
ونخلو وما غيرُ العفافِ نديمُنَا * حليفي وما من نائمٍ ومسهَّدِ
أنزهُ في خدِّ الحبيبِ نواظِري * وأكحلها من عارضيهِ بإثمِدِ
ليالي لا تغضي العيونُ على القذَى * وليستَ ترى فيما ترى غيرَ مسعدِ
فللهِ ذاكَ العهدُ حسناً كأنمنا * أُعيدَ له طبعُ المهذبِ أحمدِ
نتى قد تناهى في محاسنه غدا * رسولَ أميرِ المؤمنينِ المؤيَّدِ
فغربُ وشرقُ لستَ تبصرُ مثلهُ * وأتيمُّ إذا ما شئتَ ذاكَ وأنجدِ
رقاقُ المعاني واليراعُ لطيفه * فهل ملكتَ للفكرِ منه ولليدِ
يُفتحُ من آرائه كلُّ مُغلَسِقِ * يَضيقُ بهِ ربُّ الحسامِ المهنَّدِ
يجودُ لرقباهُ البخيلُ بماله * فقد مدَّ من فصلِ الخطابِ بمنجدِ
فكم مشعرٌ قد غيرَ الظلمِ رسمه * وعادَ له حُسنُ البناءِ المشيَّدِ

وَأَنْجَدَ أُسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَكُتِبَ لَهُمْ ۝ وَأَيْدِ دِينَ اللَّهِ كُلِّ مُؤَيَّدِ
 وَشَيْدَ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا مَمْنَعًا ۝ وَكُلُّ بِتَوْفِيقِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ ۝ غَوِيَتْ وَإِنْ تَرَشُدُ غَزِيَّةٌ أُرْشِدِ
 وَهَلْ تَصْلِحُ الْأَعْضَاءُ وَالْقَلْبُ فَاسِدٌ ۝ وَأَنْتِ تَرَى عِقْدًا بَدُونَ مَقْلَبِ
 أَغْزَالَ هَذَا الْعَصْرِ مَنْ رَقَّ غَزْلُهُ ۝ لَهُ الْعُذْرُ إِنْ لَمْ يَكْفِهِ غَيْرُ عَسْجَدِ
 كَمَدْحِكَ مَوْلَانَا وَقَطْبِ بِلَادِنَا ۝ وَبَدْرٍ عَلَاهَا بَيْنَ نَسْرِ وَفِرْقَدِ
 فَلَسْتَ وَقَدْ أَبْصَرْتَهُ وَسَمِعْتَهُ ۝ وَخَاطَبْتَهُ فِي مَدْحِهِ بِمَقْلَبِ
 تَنَاسَبْتُمَا اسْمًا وَارْتِقَاءً وَسُوْدُودًا ۝ وَفَضْلًا وَفِي خَلْقٍ كَرِيمٍ وَمَحْتَدِ
 فَيَا فَخْرَ آفَاقِ الْكَمَالِ وَأَنْتُمَا ۝ مَعًا قَمْرَاهَا لِأَنْحِينِ لِمُهْتَدِ
 فَلِلْمَجْدِ دَوْمًا يَا رَضِيعِي لِبَانَسَةٍ ۝ عَزِيزِينَ مَحْفُوظِينَ مِنْ كَيْدِ حُسَدِ
 أَجَارِيكَ فِي مَدْحٍ وَإِنْ كُنْتَ سَابِقًا ۝ وَمَنْ ذَا الَّذِي جَارَى الرِّيحَ بِأَجْرَدِ
 فَأَنْتَ إِذَا جَلَيْتَ غَيْرَ مَنْزَاعِ ۝ وَإِنِّي إِذَا صَلَّيْتُ غَيْرَ مَفْنَدِ
 فَصَلِّ فِي الْأَعَادِي صَارِمًا ابْنَ صَارِمِ ۝ وَدُمٌّ لِلْمَعَالِي مَفْرَدًا ابْنَ مُفْرَدِ
 وَلَا زَالَ ذَاكَ الْمَجْدُ وَاللَّهُ حَافِظُ ۝ لَهُ مُورِدًا يَحْلُو عَلَى كُلِّ مَسُورِدِ

[٢١٥] ولابن الشاهد المذكور المدعو بأديب العصر وريحانة مصر ، مادحاً الإمام

الهمام خاتمة المحققين سيدي محمد البناني الفاسي لما وصلته حاشيته على الزرقاني
 وانتفع بها الخلق ، وتلقاها أكابر المشايخ بالقبول ، بقصيدة بديعة ، وضمن
 أبواب « المختصر » فيها ، فقال متغزلاً ولله دره :

رَفَعْتُ بَدْمَعَ الْعَيْنِ حُكْمَ عَوَاذِلِي ۝ وَمُطْلَقُهُ فِي الْخَدِّ غَيْرُهُ السِّدْمُ
 دَمٌّ طَاهِرٌ سَوْدُ الْعَيُونِ سَفَكْنَسُهُ ۝ إِزَالَتُهُ عَنِ مَيْتِ الْحُبِّ تَحْرِمُ
 نَقَضْتُ عَهْدَ الصَّبْرِ عَنْكُمْ وَهِيَ أَنَا ۝ غَسَلْتُ سَوَادَ الْعَيْنِ نَوْحًا عَلَيْكُمْ
 بِأَعْتَابِكُمْ مَسْحُ الْخُدُودِ يَلْدُ لِي ۝ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءَ اللَّقَا يَتِيَّمُ
 وَإِنْ خِيفَ مِنْ ذَاكَ الْجَمَالِ فَإِنَّهُ ۝ تَحْيِضُ الْعَذَارَى إِنْ رَأَتْهُ وَتَسْقَمُ

لو اخترت أوقاتاً تليقُ بوصولِكُمْ * لو اخترت أوقاتاً تليقُ بوصولِكُمْ
 وأغربُ ما في الأرضِ يُلْفَى طهارةً * وأغربُ ما في الأرضِ يُلْفَى طهارةً
 أحينُ إذا استغنيتُ مغناكُمُ ومِن * أحينُ إذا استغنيتُ مغناكُمُ ومِن
 وأقضي مراماً لم أكنُ عنه ساهياً * وأقضي مراماً لم أكنُ عنه ساهياً
 خذوا مُهجتي والأخذ نفلٌ وأشهدوا * خذوا مُهجتي والأخذ نفلٌ وأشهدوا
 لو استخلفتُ رُوحِي بكم بدلاً فما * لو استخلفتُ رُوحِي بكم بدلاً فما
 جمعتُ إلى حِمْلِ الهوى خوفَ هجرِكُمْ * جمعتُ إلى حِمْلِ الهوى خوفَ هجرِكُمْ
 فلا كسفتُ منكمُ شمسُ منيرةً * فلا كسفتُ منكمُ شمسُ منيرةً
 فكم ماتَ من شوقٍ لَكُمْ إذ منعْتُمْ * فكم ماتَ من شوقٍ لَكُمْ إذ منعْتُمْ
 وليسَ لَكُمْ في الحُبِّ مثلي مصرفٌ * وليسَ لَكُمْ في الحُبِّ مثلي مصرفٌ
 عكفتُ على مغناكُمُ وحججتها * عكفتُ على مغناكُمُ وحججتها
 ولو منعَ الأعداءُ منها قطعتهَا * ولو منعَ الأعداءُ منها قطعتهَا
 تُباحُ دماءُ منهُمُ لو تعرَّضُوا * تُباحُ دماءُ منهُمُ لو تعرَّضُوا
 يميناً على ما قلتهُ بالذي حوى * يميناً على ما قلتهُ بالذي حوى
 ونذراً بمشيِ نحو أرضِ تضمُّهُ * ونذراً بمشيِ نحو أرضِ تضمُّهُ
 وأضربُ من جدي على العجزِ جزيةً * وأضربُ من جدي على العجزِ جزيةً
 لقد خصَّ من أنشاهُ بالعلمِ فابتنى * لقد خصَّ من أنشاهُ بالعلمِ فابتنى
 به رضيتُ بعدَ الخيارِ فكَمَلتُ * به رضيتُ بعدَ الخيارِ فكَمَلتُ
 وأصدقها ما حاز دونَ منازعِ * وأصدقها ما حاز دونَ منازعِ
 وأولمُ بالتحقيقِ في الدرسِ قاسماً * وأولمُ بالتحقيقِ في الدرسِ قاسماً

لأذنَ فيها ألفُ واشٍ وأعلموا * لأذنَ فيها ألفُ واشٍ وأعلموا
 من الرقبا ما أصعبَ السَّترَ منهم * من الرقبا ما أصعبَ السَّترَ منهم
 فرائضِ شوقي من قيامِ أسلِّم * فرائضِ شوقي من قيامِ أسلِّم
 وأسجدُ في تلكَ البقاعِ والثُّم * وأسجدُ في تلكَ البقاعِ والثُّم
 جماعةَ قومي أنكمُ فيه أكرم * جماعةَ قومي أنكمُ فيه أكرم
 أقصرُّ في إقضائها وهي أظلم * أقصرُّ في إقضائها وهي أظلم
 أعيديوا رضاكُمُ فهو عيدٌ وموسم * أعيديوا رضاكُمُ فهو عيدٌ وموسم
 وسقاكُمُ دمعٌ من العينِ مُسجِم * وسقاكُمُ دمعٌ من العينِ مُسجِم
 زكاةَ نصابِ الحُسنِ صبُّ ميثم * زكاةَ نصابِ الحُسنِ صبُّ ميثم
 وفطري من صومِ المحبةِ يخرم * وفطري من صومِ المحبةِ يخرم
 فما بالُ جمعِ الشَّملِ فيها محرم * فما بالُ جمعِ الشَّملِ فيها محرم
 (١)

لصاروا ضحايا للوحوشِ تُقسَم * لصاروا ضحايا للوحوشِ تُقسَم
 كتابُ بيناني فاس مترجَم * كتابُ بيناني فاس مترجَم
 إذا لم أجاهدُ فيه عقلي فيفهم * إذا لم أجاهدُ فيه عقلي فيفهم
 فأسبقُ قوماً بالتعصبِ قُدِّموا * فأسبقُ قوماً بالتعصبِ قُدِّموا
 على الغيِّدِ من أبقاره (١) * على الغيِّدِ من أبقاره (١)
 به عتقها من رِقٍّ من يتعلم * به عتقها من رِقٍّ من يتعلم
 من الفهمِ والحدِّ الذي ليسَ يسأم * من الفهمِ والحدِّ الذي ليسَ يسأم
 مكارمُهُ إذ غيرُهُ ليسَ يقسم * مكارمُهُ إذ غيرُهُ ليسَ يقسم

(١) بياض بالأصل .

[۲۱۶]

ولو سألتُهُ النفسُ خَلْعاً أَجَابَهَا ۞ فطَلَّقَهَا فِي نَيْلِ مَا هُوَ أَكْرَمُ
ووالي التقي مأوى وفوض أمره ۞ إِلَى اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَسْلَمُ
ولما يراجعها وآلى من الهوى ۞ وَظَاهَرَ مِنْ كَيْدِ اللَّعِينِ المَذْمُومُ
بمثلكَ تعدُّ الرئاسةُ واحداً ۞ وَمِثْلَكَ مَفْقُودٌ وَمَالِكَ تَوَامُ
ليستبرئِ الدهرُ الليالي فإنها ۞ حِبَالِي وَإِتْيَانًا بِمِثْلِكَ تَزْعُمُ
فلا موجبٌ والجهلُ عمُّ انتشاره ۞ تَرَاضَعُهُ قَوْمٌ عَنِ الرَّشْدِ قَدْ عَمُوا
وقد أنفقوا الأعمارَ فيه فأصبحوا ۞ رَقِيقًا عَلَيْهِمُ لِلجَهَالَةِ مِيسَمُ
وباعوا الحيا واستبدلوه بضده ۞ فَأَرَبُوا عَلَى فِرْعَوْنَ ثُمَّ هُمُ هُمُ
وما منعوا علماً من العلماء بـل ۞ إِذَا عَظُمَ المَطْلُوبُ قَلَّ المَسَاوِمُ
ولو أن للعلم الخیارَ بأهلِهِ ۞ زَوَى رَبْحُهُ عَمَّنْ بِهِ يَتَلَعَّمُ
وكلُّ بناءٍ ما تناول شكلاً ۞ أَسَاسًا مَكِينًا عَنِ قَرِيبِ سِيْهَدَمُ
وما لاختلاف المسلمين سوى فتى ۞ بِفَاسٍ مَقِيمٌ نِعْمَ ذَاكَ المَخِيَمُ
لقد أقرضَ الأيامَ حاشيةً غدت ۞ فَرِيدَةً هَذَا العَصْرَ تَعْلُو وَتَكْرُمُ
وليسَ لها يومَ القصاصِ مَثُوبَةٌ ۞ سَوَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ
غداةً توفى كلُّ نفسٍ رهينةً ۞ بِمَا كَسَبَتُْ وَالدِّينَ يُقْضَى وَيَغْرَمُ
أزلتَ بها حجراً على كلِّ عالمٍ ۞ تَصَدَّرَ لِلإِفْتَاءِ وَالشَّرْحِ مَبْهَمُ
وأصلحتَ سهواً فيه دونَ إحالَةٍ ۞ وَضَامِنُكَ النُّقْلُ الصَّحِيحُ المَسْلَمُ
وقلتَ ولم تتركِ مقالاً لقائلاً ۞ بغيرِ شريكٍ فَسَخَّهُ لَكَ تَلْزَمُ
وإذ صرتَ بالتحقيقِ فيها موكَّلاً ۞ أَقْرَأَ لَكَ الأَعْلَامُ أَنَّكَ أَعْلَمُ
وكلُّ دعيٍّ فقهُهُ بكِ مُلْحَقٌ ۞ وَإِنْ قَلَّ مَا أودَعْتَهُ سَبِعْظَمُ
أعرتَ شيوخَ العَصْرِ مِنْكَ مُحَاسِنًا ۞ وَبَعْضٌ عَلَى غِصْبِ المَحَاسِنِ صَوْمُ

متى يستحقون المعالي ولم يكُنْ
 وما ضربوا في الأرض كي يدركونها
 ولكنهم ظنوا المواهب أجرة
 بهائم للأسفار تكرى لحملها
 جعلت على القلب الموات تيممة
 جواهر منها يا حكيم وهبتها
 على مشرق فيها قضيت لغرب
 سفكت دماء الحاسدين بحسبها
 إذا ارتدت الأفهام عند اختلافها
 فما وطىء الغبرا ولا قذف الحصى
 ولو أن يُمنى سارق أو محارب
 [٢١٧] ومنها تعرفنا الحدود كأنها
 محررة لو كان تدير ما بيده
 هي الأم في تدوين مذهب مالك
 ألا إن من أوصى بنه بحفظها
 وكانت فهوم الشرح مشكلة ومُذْ

شفيع لهم في نيلها حين تقسم
 وبالكبر عن سقي المحابر أحجموا
 على قدر تكبير العمائم تقسم
 وحمائمهم يوم الجزاء جهنم
 حواشيك لما أن وقفت عليهم
 للقطع والشرح كثر مطلقم
 ومنك ومنها شاهد ومحكم
 كذاك الذي يبغى على الناس يقصم
 إليها فقيها مرشد ومعلم
 بخيف مني في فنا منك أعلم
 تلي كتبها كانت على القطع تكرم
 إلى منتهى ما لابن عرفة سئل
 كتابتها لي قلت بالتبر ترسم
 مدونها المولى الأجل المعظم
 وورثهم تحقيقها فهو أحزم
 أتنا فلا إشكال والله أعلم

الشيخ العالم فتح الله

ولد بالشام ثم انتقل لقسنطينة ، وتولى خطابة مسجد سيدي الكتاني والتدريس
 بمدرسة جامع سوق الغزل ، ثم الإفتاء على المذهب العثماني ، ثم القضاء على
 المذهب المذكور وقتل في حدود سنة ١١٨٥ .

قاسمُ بنُ محمدِ القسطنطيني

قاسم بن محمد بن محمد بن أحمد القسطنطيني الوشثاني أبو الفضل وأبو القاسم الإمام العالم العلامة مفتي الأنام ، ورئيس الفقهاء الأعلام ، وفريد دهره وحجة عصره ، شيخنا قاضي الجماعة بتونس ، شيخ الشيوخ الحجة الرسوخ ، جامع أشتات العلوم ومعقولها ومنقولها .

قال السخاوي : أخذ عن أبي مهدي الغبريني وغيره ، ولي قضاء الجماعة وإمامة جامع الزيتونة ، كان لا يخاف في الله لومة لائم ، وقام في أيام قضائه على الإمام أحمد بن عمر القلشاني شارح « الرسالة » ورام قتله ، فلم يمكن منه لكنه عُزِّرَ بالحبس وغيره ، واتفق أن أبا القاسم المذكور مات مقتولاً ، يقال : ناله ذلك من جهة حكمه ، وهو بمحراب جامع الزيتونة من صلاة الصبح يوم الخميس تاسع صفر سنة اربع وسبعين وثمان مئة (٨٤٧) .

ومن شيوخه أبو يوسف يعقوب الزغبى ، وأخذ عنه هو أبو القاسم بن ناجي ، ونقل عنه في « شرح المدونة » ووقع في زمن القاضي يعقوب الزغبى مسألة في رجل أوصى لأول ولد يتزايد عند أبنته ، فولدت ولداً ميتاً ، فاختلفت فتوَاهم حينئذ ، وبقيت المسألة حتى تولى صاحب الترجمة القضاء ، فحكم فيها بأن المراد أول ولد يولد حياً ، لأن القصد بها النفع ولا ينتفع بها إلا من كان حياً ، وقد ذكر الشيخ حلولو هذه المسألة في شرح خليل فانظره .

الشيخُ قدور بنُ محمدِ بنِ سليمانَ المستغامي

إمام أهل العرفان ، حائز قصب السبق في ميدان الشهود والعيان ، الدال على الله بالله على منوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في السر والإعلان ، العارف الأكبر والغوث الأشهر أستاذنا سيدنا ومولانا قدور بن محمد بن

سليمان كان رحمه الله ورضي عنه من أشرقت بدايته . وركب مطية العزم والصدق في توجهه إلى الله . فأنمر له ذلك بفضل الله شروق النهاية . وبلوغ [٢١٨] المقام الأسنى الذي لا غاية لمرامه ، وطريقته التي سار الله على منوالها وبلغ مبلغ الرجال فيها ، هي الطريقة الشاذلية ، ثم أضيف إليها الطريقة التجانية ، لقنها له أولاً شيخه وعمدته العارف بالله سيدنا ومولانا محمد الموسوم قدس سره ونور ضريحه لما حصل له الإذن فيها ، ثم لقنها له سيدي أحمد التجاني طيب الله ثراه ، وأنالنا رضاه في حضرة روحانية ، ثم لقنها له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفاهاً ، وأذن له في تلقينها لمستحقها .

وله رضي الله عنه تأليف مفيدة رائقة ، محتوية على أفانين من علوم القوم رضي الله عنهم فائقة . فمنها شرحه على صلواته المسماة « بياقوتة الصفا في حقائق المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم » ومنها كتاب « جلاء الران وتنوير الجنان فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان » ومنها « لوامع أنوار اليقين بل السيف المنير في قطع السنة من نقص الأئمة المجتهدين » ومنها « درر الفيض اللدني فيما يتعلق بالكسب العياني والسني » ومنها ومنها إلى ما يزيد على العشرين تأليفاً .

وأما بيان حاله في سلوكه وتدريجه في أطوار منازلته ، ومشايخه الذين أخذ عنهم واجتمع بهم بشبحة أو روحه ، وما يتلو ذلك من مناقبه وكراماته ، وما وقع من البشائر النبوية لأحبابه . كقوله « أحبابك كقميصي هذا على لحمي » وقوله عليه السلام : أحبابك مقربون عارفون آمنون مطمئنون ، وقوله عليه السلام : أصحابك أصحابي ، وتلامذك تلامذي ، وحضرتك حضرتي الخ فقد ذكر مبسوطاً في المرائي وغيرها من كتبه ، ولا تسعه النبذة من ترجمته .
توفي رحمه الله ورضي عنه ، وطيب ثراه ، وأنالنا والأحبة بركته ورضاء ،

يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر الله المحرم من سنة ١٣٢٢ ، ودفن في زاويته
وسنّه إذ ذاك نيف وستون ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً اهـ .
وهذه الترجمة منقولة من خط كاتب الرسالة الآتي نصها وهي : الحمد
لله والصلاة والسلام على رسول الله ، الفاضل الأديب ولدنا السيد ابن قطاط
الحبيب ، أخذ الله بيدك أخذه بيد الأحاب ، وفتح لك من الخير كل باب ،
وسلام عليك يشمل الأهل والأصحاب ، ورحمة الله وبركاته تصحبانكم في
جميع الآراب خصوصاً من هو لكل فضيلة حاوي ، العلامة الأوحدي سيدي محمد
الحفناوي ، وقُلْ له فدونكم ما يسره الله تعالى من تراجم أولائك السادات
الأعيان مسطراً حسبما اقتضاه الحال ، وسمح به الزمان ، وتصرفوا فيه بما يقتضيه
[٢١٩] وضع كتابكم ، وما جريتم عليه فيه من اصطلاحكم ، فإن الناس في التراجم على
أساليب كثيرة ، كما يعلم بالوقوف على ما سطر فيها من الكتب الشهيرة ،
وكل يوفي بما قدر ، ومن الله يستنجد العون ويستمطر ، ولو كان لنا في هذا
الأمر سعة من الزمان لحصلنا منه بفضل الله ما تقر به الأعيان ، فإن هذا الأمر
قد صار في حيننا نسياً منسياً ، وكأنه لم يكن شيئاً ، فلا جرم يحتاج لبحث ومعاينة
حتى يستهل حياً ، ويتمثل بشراً سوياً ، فإلى الآن بعض الأحاب الذين كاتبناهم
في القضية بعد البحث والإمعان واعددين لنا بالجواب على ما تحصل لهم من ذلك
الشان ، لكن لما حددتم لنا الوقت وكان ما في الغيب محتمل الإدراك والقوت ،
بادرنا لكم بهذا القدر ^(١) ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً ، والمطلوب منكم الجواب على الوصول ليطمئن القلب بحصول ذلك
المأمول عن إذن محبكم وحليفكم ودكم سيدي الحاج محمد بن عيسى كان

(١) ما أفادني به الكاتب هو ترجمة الشيخ قدور بن سليمان رحمه الله ، وهي المسطورة قبله بالحرف ،
وطرف من ترجمة الشيخ محمد بن حواء ، ومن ترجمة الشيخ أبي راس ، ومن ترجمة الشيخ
مصطفى الرماصي .

الله له وللجميع معيناً وأنيساً ، تاريخ أوائل رجب عام ١٣٢٤ وموافقاً ٣٠ أوط
سنة ١٩٠٦ هـ .

أقول : وكاتبها العلامة الشيخ عبد القادر بن قارا مصطفى مفتي مستغانم
وعالمها ، وكلامه فيها يدل على كماله ، والمكتوب له من أعيان التجار المحيين
لحضرة المفتي ، كالمكتوب إليه السيد الحبيب المذكور .

صالحُ بنُ مُحَمَّدِ الزواوي

صالح بن محمد بن موسى أبو محمد الشيخ مجد الدين الحسيني الزواوي .
ولد ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة ستين ، وتوفي سادس عشر رجب سنة
تسع وثلاثين وثمان مئة .

سَيِّدِي الصَّادِق

سيدي الصادق الولي الصالح والقمر الواضح ، له بركات ظاهرة وأحواله
باهرة ، وأسراره مشتهرة ، ضريحه في الوادي معلوم يزار ، وهو من القرن
العاشر ، أعني أواخره ، ولا أدري هل بلغ الحادي عشر أم لا .

وأولاده رضي الله عنهم بدور وأهله أعلام أجلة كالفاضل الولي والصالح
العلي والفقير السني سيدي يحيى بن الموهوب ، ومثله في الفضل سيدي محمد
الموهوب ، وسيدي التواتي ، والفقير سيدي يحيى بن الواثق ، وهو في غاية
الفقه ، تلميذ جدنا ، وقد سمعت منه أنه رأى الشيخ خليل في النوم ، وأخذ
بيده إلى أن وصل إلى الصندوق المملوء بالكتب ، فأخذ منه كتاباً فأعطاه لي ،
فوجدته الشيخ بهرام ، فعلمت أنه أذن لي في « مختصر الشيخ خليل » ففتح الله

علي بما لم يفتح على غيري ، وقد أخبرني عمي سيدي محمد الصغير إذ هو علامة زماننا أنه كان يتعلم عليه المختصر ، وكان يقرئ من الأجهوري وأنا وبعض الطلبة ، أعني سيدي محمد امزيان في أيدينا الشيخ عبد الباقي والشيخ إبراهيم ، فكان قدس الله ضريحه يحصل الشيخ المذكور ويهذبه ، ويحرره بأن يترك المكرر منه كالشيخين بعده سواء بسواء إلا في عين اللفظ ، ومآثر سيدي الصادق وأولاده كثيرة نفعنا الله بهم آمين اه ورتيلاني .

الطَّاهِرُ بنُ حَسَنِ المَخْتَارِي

الفقيه النجيب الماشي في روض العلم الخصيب ، الحائز من زهره الزهي أوفر نصيب ، الذي جفاه الكسل والوسن ، واكتحل بإثمد المطالعة مما يجب ويستحسن ، من فرع الذي يليه وفي النجابة والمجادة نبيه ، منور الباطن والظاهر الفقيه السيد الطاهر حسن بن العلامة المختاري السيد السند . قرأ صاحب هذه الترجمة على والده النحو ، وانفرد في قراءة الفقه على الشيخ الحلوي اه مشرفي .

مُحَسَّنُ بنُ أَبِي بَكْرٍ البَجَائِي

أبو المعالي محسن بن أبي بكر بن شعبان الشيخ الفقيه النبيه التالي المحصل المدرس المجيد شهير الذكر نبيل القدر ، من أصحاب الفقيه أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الأصولي ، وعنه أخذ أكثر ما أخذ ، ومنه تلقى ، وبه في معالم العلم والرئاسة ترقى ، وكان أبو عبد الله الأصولي يعتمد عليه ويُشير في مجالسه اليه . وكان له حظ بارع ، ورأيت كثيراً من كتب الحكمة بخطه في نهاية الإتيقان وجودة الخط ، عليها تنبيهات وتطريزات تدل على نبل مُستنبطها ،

وكان مشاركاً في العلوم ، وهو أحد العدول المعول عليهم ببجاية ، والفضلاء المشهود لهم بالمعرفة والدراية .

مُحمَّدُ بنُ إبراهيمَ البجائي

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي الشيخ الفقيه الخطيب العارف المحصل المحكم الضابط كانت له نباهة ووجاهة ونزاهة ورفعة وهمة ، وهو أحد المقتدى بهم والمعول عليهم .

[٢٢١] وكان عالماً بالكتابتين الأدبية والشعرية متقدماً فيهما ، وعليه كان المعتمد في وقته في المخاطبات السلطانية إنشاءً وجواباً ، وعليه كان اعتماد القضاة في التسجيلات ، وإليه كان يهرع أهل البلد فيما يحتاجون إليه من الوثائق المحكمات والأمر المستعوضات ، وولي الخطابة بجامع القصبة المحروسة من بجاية ، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط ، ولقي أبا محمد عبد الحق الإشبيلي ، والقاضي أبا علي المسيلي ، والأستاذ أبا زيد عبد الرحمن بن الحجر ، وكان شيخنا أبو محمد عبد الحق كثير الإجلال له والتعظيم لقدره ، وكان يعده من أشياخه .

مُحمَّدُ بنُ إبراهيمَ المشتهر بالأصولي

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدي المشتهر بالأصولي الشيخ الفقيه الأصولي المتكلم العالم المجتهد النبيل الفاضل الجليل ، من أهل بجاية ، رحل إلى المشرق ، ولقي العلماء الجلة من أهل العلم ، وولي قضاء المدن بجزيرة الأندلس واستخلف بمراكش ، وولي قضاء بجاية ثلاث مرات ، وصُرف عن آخرها

سنة ثمان وست مئة وتوفي ببجاية^(١) بين عيد الأضحى والفطر سنة ثنتي عشرة وست مئة .

له فضل وجلال وتقدم علم رَقِيَّ فيه إلى غاية الكمال ، وكان جلدأ صلباً قوي الجأش ، وكان إذا حضر مجلس أمير المؤمنين ابن عبد المؤمن وتقع المذاكرة بين يديه ، ويسامحه الحاضرون من الطلبة في المذاكرة ، كان هو لا يسامحه في شيء ، وكان بينه وبين القاضي أبي الوليد بن رشد إخاء وصفاء ، ولما وقعت الواقعة التي تكلم عليها أبو الوليد في كتاب « الحيوان » له حيث قال : رأيت الزرافة عند ملك البربر ، وهم أمير المؤمنين بالفتك به ، لم يكن سبب نجاة غيره مع موافقة القدر ، وتسبب في ذلك بوجهين : أحدهما : أنه كان جرى في مجلس أمير المؤمنين أن لا عمل بالشهادة على الخط ، ولما وجد صك القضية هم بالعمل بها ، فحاجَّ أمير المؤمنين ، وقال له : منعم الشهادة على الخط في الدرهم والدينار ، وتجاوزونها في قتل المسلم ، والوجه الثاني : أنه قال : إنما الكتاب : ورأيت الزرافة عند مالك البربر ، وإنما جاء فيه زيادة ونقص ، وهذا أحسن ، وكل ذلك من قوة الجأش .

ومن طرفه رحمه الله أنه لما وقع الحضور بمجلس أمير المؤمنين ، وأحضرت فيه لآلي نفيسة في طبق ، وعُرُضت على الحاضرين في المجلس واستحسنوها ، فعدت وفقدت منها واحدة ، فهمَّ أمير المؤمنين بتفتيش الحاضرين ، فأشار عليه بسوق قلة ماء مملوءة ، ويدخل كل إنسان يده سترأ على الفاعل ، فسبقت القلة وابتدأ بمن عن يمين الفقيه أبي عبد الله ، أو من عن يمين أمير المؤمنين ، وكان هو على يساره ، فلما انتهت القلة إليه ليدخل يده فيها امتنع . وقال : صبوها فإن وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي ، فصبوها فوجدوها فخلَّص من الشك

(١) هذه الترجمة مختصرة في « نيل الابتهاج » جيداً وفيها « وتوفي ببجاية ذبيحاً » .

فيه . وهذا من عقله وسياسته رحمه الله .

وكان له علم بالفقه والأصلين والخلافيات والجدل ، وله في المعقول الحكمي نظر ، وسئل في التصنيف فامتنع ، وقال : قد سبق الناس بذلك ، وحسبي أن آتي به . فعد هذا من عقله ، وسمعت بعض الطلبة يقول : إن له تقييداً على « المستصفي » لأبي حامد ، وأظنه صحيحاً ، ولعله إنما علق عنه ، ورأيت بخطه رحمه الله تأليفاً في الموسيقى ، وقال لي بعض الطلبة : إنه من تصنيفه ، وما وثقت بذلك ، ويظهر لي أنه كلام أبي علي بن سينا .

وكانت فيه دعابة وفكاهة لا تخلُّ برتبته ولا تحط عن منصبه ، ولقد سمعت أنه وقعت بينه وبين أصحابه من الطلبة مشاحنة ، فقال له صاحبه : تعابني بهذا وأنا أسن منك وأسنى وأجل ، فقال له : نعم أسن بموسى وأسنى بسانية وأجل في مربطك ، فتضحكا واصطلحا .

وكان مؤثراً لأهل الطلب ، مقبلاً على أهل الأدب ، أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع رحمه الله قال لي : كان القاضي أبو عبد الله بن إبراهيم الأصولي ينتابه من يكرمُ عليه ممن له رتبة عند خلو مجلسه من الطلبة ، فيجلس بإزائه فإذا جاء طالب أفسح له بينه وبينه ، ثم كلما أتى طالب فعل ذلك حتى يعود ذلك الأحظى عنده القريبُ المجلسِ عنده أبعَدَ الناس مجلساً عنه ، فكان لا يرى الحظوة إلا للعلم ، وكان شديداً على ولاة الأمر الذين يكونون معه ببلد قضائه ، لا يسامحهم في شيء من أمورهم ، ويجاهدهم بما يكرهونه في حق الله وفي حق المسلمين ، وقد جرى يوماً بينه وبين والي بجاية كلام كانت فيه غلظة ، فقال له الوالي : والله لقد أصاب سيدنا أمير المؤمنين المنصور فيكم فقال له : إن أصاب أمير المؤمنين المنصور ، فقد أخطأ فينا أمير المؤمنين الناصر ، فأفحمه ورجع فاسترضاه ، وكان أمير المؤمنين المنصور كتب في

شأنه وشأن أبي الوليد ، وكان من أمرهم ما رأيت الإمساك عنه ، ثم جاء أمير المؤمنين الناصر بعده ، وأحسن إليهم وعطف عليهم ، ولولا صورة استطراد الكلام ما ذكرت هذه لأنني ما زلت أنقد على من يذكر فضل أهل العلم ، ثم يغمز في شأنهم ويشير إلى القادح فيهم ، فلا أريد أن أذكر إلا خيراً ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (١) .

[٢٢٣] مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّلْمَسَانِي

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخرجي التلمساني المالكي نزيل نجر الاسكندرية .

كان من صلحاء العلماء ، سمع بسبته « الموطأ » على أبي محمد بن عبد الله الحجري .

مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وسعت مئة (٦٥٦) عن اثنين وسبعين ، صح من تاريخ السيوطي ، قلت : وهو شارح « الجلاب » المشهور ، والله أعلم اهـ .

مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّلْمَسَانِي

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبي الفضل التلمساني الإمام العالم العلامة الحجة النظار المحقق العارف الادري الرحلة ، أحد أقران الإمام ابن مرزوق الحفيد ، شهر بابن الإمام ، من بيت علم وشهرة وجلالة .

(١) سورة هود : الآية ٨٨ .

قال الحافظ التنسي : شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين ، وأظروفة الزمان أبو الفضل اه .

قال السخاوي : ارتحل في سنة عشر وثمان مئة ، فأقام بتونس شهراً ، ثم قدم القاهرة فحج منها وعاد إليها ، ثم سافر في اثني عشر إلى الشام ، فزار القدس ، وتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضله وأجلوه .

ذكره المقرئ في « عقوده » وقال : إنه صاحب فنون عقلية ونقلية ، قلَّ علمٌ إلا ويشارك فيه مشاركة جيدة اه .

وقال أبو العباس الونشريسي : هو شيخ شيوخنا ، له قدم راسخ في البيان والتصوف والأدبيات والشعر والطب ، وهو أول من أدخل المغرب شامل بهرام ، وشرح المختصر له ، وحواشي التفتازاني على العضد ، وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي ، وغيرها من الكتب الغربية ، وتوفي عام خمسة وأربعين وثمان مئة (٨٤٥) اه .

وذكره القلصادي في « رحلته » فقال : حضرت مجلسه ، وكان فقيهاً إماماً صدرأً عالماً بالمعقول اه .

قلت : وله كلام وأبحاث في التفسير تكلم فيها مع الإمام المقرئ في مسائله التفسيرية مفيدة ، كتبها في غير هذا الموضع مع ما كتبت من فوائده التفسيرية .

[٢٢٤] وأخذ عنه محمد بن مرزوق الكفيف ، ووصفه بشيخنا الإمام العالم النظار الحجة أبو الفضل ابن الإمام ، ومن أخذ عنه بالشرق التقي الشمني شارح المغني ، وذكر ما نصه : حدثنا شيخنا العلامة أبو الفضل ابن الإمام التلمساني إجازة إن لم يكن سمعاً قال : أخبرنا شيخنا القاضي سعيد العقباني قال : اجتمعت بمدينة مراکش يهودي يشتغل بالعلوم ، فقال : ما دليلكم

على عموم رسالة نبيكم؟ قال : قلت : قوله « بُعِثْتُ لِلأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ » (١) فقال لي : هذا خبر آحاد لا يفيد إلا الظن ، والمطلوب في المسألة القطع ، فقلت له : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٢) فقال : هذا لا يكون حجة إلا على من يقول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور ، وأنا لا أقول بصحته اه .

قال الشمني : ويجاب بعد قيام البراهين القاطعة على رسالة نبينا ﷺ ، كما هو مذكور في الكتب بأن هذا الحديث وإن كان آحاداً في نفسه متواتر معنى لأنه نقل عنه ﷺ من الأحاديث الدالة على عموم رسالته ما بلغ القدر المشترك منه التواتر ، وأفاد القطع ، وإن كانت تفاصيله آحاداً ، كجود حاتم وشجاعة علي اه . هذا ما قال ، فتأمله .

قلت : والحجة القاطعة في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ فهو نص قطعي ، ولعلمهم لم يستحضروه ، والله الحمد .

ع

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه مسلم (٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي . كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحرر وأسود ، وأحلت لي الفنائم . ولم تحل لأحد قبلي . وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأبما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر . وأعطيت الشفاعة . » وأخرجه أحمد ١٤٥/٥ ، والدارمي ٣٢٤/٢ من حديث أبي ذر . وأخرجه أحمد ٢٥٠/١ و ٣٠١ من حديث ابن عباس . و ٤١٦/٤ من حديث أبي موسى الأشعري . (ش) .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْغَسَّانِي

العالم العلامة محمد بن إبراهيم الغساني .

أخذ ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي ، وابن عبد الحق ، وغيرهما ،
وبسبته عن أبي العباس أحمد الغزفي ، وبإشيلية عن أبي بكر بن طلحة ، وأبي
علي الشلوين ، واستوطن أسفى من بلاد المغرب الأقصى .

كان ذا خط حسن ، عدلاً في رواية الحديث ، ضابطاً للغة ، ذا كراً
للأدب والتاريخ ، عالماً بالأنساب ، مشاركاً في الفقه ، ضارباً في قرظ الشعر
بحظ وافر ، يحترف بالتجارة في حانوت بقيسارية أسفى ، وكان مع ذلك
متين الدين .

توفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وست مئة
(٦٦٣) فأتبعه الناس ثناء جميلاً . رحمة الله تعالى عليه .

مُحَمَّدُ أَبُو رَاسٍ

[٢٢٥]

العلامة المحقق الحافظ ، والبحر الجامع المتدقق اللافظ ، من هو ليث
الدين ، أوثق أساس وأضوأ نبراس ، الإمام القدوة المصنف سيدي محمد أبو راس
ابن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري .

كان رحمه الله ورضي عنه إماماً في المعقول والمنقول ، وإليه يرجع في
الفروع والأصول ، ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف ، وافى الأفاضل
من أهل مصر وتونس وفاس ، وأخذ عنهم التالد والطارف ، ودرس وأفاد ،
ورفع منار العلم وأشاد ، وكان يُدعى في زمانه « الحافظ » لقوة حفظه وتمكنه

متى شاء من استحضار مسائله ، حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه .

وله تأليف مفيدة بديعة ، سارت بها لغزتها الركبان ، واشتدت إليها لنفاسها رغبة القاصي والدان ، فمنها « رحلته » التي ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب ، وذكر من لقي فيها من الأعيان ، وما جرت فيه المذاكرة بينهم ، وما يتنزه الطرف فيه ويتعجب ، ومنها حاشيته على الخرشبي مع الزرقاني ، وحاشيته على السعد ، وحاشيته على المكودي ، و « شرح المقامات الحريرية » و « شرح العقيقة » و « شرح الشمقمقية » و « شرح حله السندسية » وكتاب « التأسيس » وكتاب « درء الشقاوة » وغير ذلك .

توفي رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ونفعنا بركاته عام ثمان وثلاثين ومئتين وألف (١٢٣٨) ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه ألف وخمسمائة نفس بتحرير من حضر ، جلهم حملة قرآن وعلماء وأشراف ، وكان إمام الجميع تلميذه العلامة سيدي أحمد الدائع ، رحمه الله ، ودفن بمعسكر على شاطئ النهر الفاصل بين داخل البلد وقرية بابا علي ، وعليه بناء مشهور اهـ . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدِ الْخَزْرَجِيِّ

الفقيه الأجل محمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي العيش الخزرجي الإشبيلي الأصل .

روى ببلده تلمسان عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي ، وأبي عبد الله بن عبد الحق ، وأبي محمد ابن حوط الله .

وكان رحمه الله أديباً بارع الكتابة شاعراً مجيداً رائق الخط ، ذا مشاركات [٢٢٦] في فنون العلم ، مؤلفاً متقناً ، فسر الكتاب العزيز وشرح الأسماء الحسنى ، وصنف عقائد أصولية في الدين ، وكتاباً في أصول الفقه ، وله في التصوف نظم حسن ، وكثير في الزهد وسبل الخير والوعظ ، وتنزيه الباري سبحانه وتعالى ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

الله قُلْ ودَعِ الوجودَ وما حوى * إن كُنْتَ مرتاداً بلوغَ كَمالِ
فالكُلُّ دونَ الله إن حَقَّقْتَهُ * عَدَمٌ على التفصيلِ والإجمالِ
فالعارِفونَ فنواولمَّا يشهدوا * شيئاً سوى المتكَبِّرِ المُتَعَالِ
ورأوا سِوَاهُ على الحَقِيقَةِ هَالِكَا * في الحالِ والمَاضِي والاستقبالِ
مَنْ لا وجودَ لذاتِهِ مِنْ ذاتِهِ * فوجودُهُ لولاهُ عَيْنُ مُحَالِ
فالمَحْ بطرفِكَ أو بعقلِكَ هل ترى * شيئاً سوى فِعْلي مِنْ الأفعالِ
وانظُرْ إلى أعلى الوجودِ وسُفْلِهِ * نظراً تُؤيِّدُهُ بالاستِـدلالِ
تجدِ الجميعَ يُشيرُ نحوَ جلالِهِ * بلسانِ حالٍ أو لسانِ مَقالِ
هُوَ مُمَسِّكُ الأشياءِ مِنْ علوِّ إلى * سُفْلِ ومبدِعُهَا بغيرِ مِثالِ
وَجِبَ الوجودُ لذاتِهِ وصفاتِهِ * فرداً عَنِ الأكفَاءِ والأمثالِ
فاسكُنْ إليه بِهَمَّةٍ علوِيَّةٍ * مُتَرَهِّأً عَمَّا سوى الفَعَالِ
يبقى وكلُّ يَضْمَحِلُّ وجودُهُ * ما واجِبٌ كَمَقْيَدِ بزوالِ
هُوَ الَّذِي يُرجى وَيُخشى لا تَلْدُ * بسِوَاهُ في حالٍ مِنْ الأحوالِ
فالشَّرْعُ جاءَ بذا وأنوارُ الهدى * قد أيدتُهُ فِعْشُ رَضِيَّ البِسالِ

وله رضي الله عنه يصف بعده عن الخلق وانقطاعه إلى الحق :

قِنَعْتُ بما رُزِقْتُ فلستُ أَسعى * لدارِ أبي فلانٍ أو فُلانِ
وَأَثَرْتُ المَقامَ بِكِسْرِ بِنِي * ولا أَحَدٌ أراهُ أو يِراني

ولا ألقى خليلاً غيرَ صبرٍ . مُعينٍ في المعارفِ أو معانٍ
وقد أيقنتُ أنَّ الرزقَ آتٍ . وإن لم آتِه سعيّاً أتاني
وقد حقَّقته فهماً وعِلماً . وقد شاهدتُه رأيَ العيانِ
فلازمُ ذا بإخلاصٍ تُمكنُ . هنا وهناك من أسنى مَكَانِ
وتوفي بتلمسان ودفن خارج باب كشوط .

مُحمَّدُ بنُ أبي سيفِ البحيري

حاج الحرمين الشريفين وزائر المقامين المنيفين أبو عبد الله السيد محمد بن
أبي الحسن علي بن أبي سيف البحيري الصابري أصلاً العبادي داراً في مجاورة
الغوٲ أبي مدين الاشيلي ، نفعنا الله بركاته الحائز لمنقبة الفتوى بتلمسان وكان
قبلُ مدرساً بمدرستها النظامية .

قرأ على أشياخ عديدين من جملتهم والده أبو الحسن المذكور ، قرأ عليه
القرآن وشيئاً من العربية بالثغر الوهراني ، ثم انتقل بعد وفاة والده إلى زاوية
عمه القطب الأشهر والكبريت الأحمر المدعو بأبي العباس أحمد بن أبي سيف [٢٢٧]
بالعين الكبيرة من جبل أترار بنو ولهاص ، ثم سافر إلى مازونة وقرأ بها « مختصر
خليل » على شيخ الشيوخ الراسخ القدم في علم الفروع غاية الرسوخ أبي العباس
السيد أحمد بن هني ، إذ هو شيخ الجماعة بها ، وأجازه عامة ، وقرأ بعد
انتقاله من مازونة إلى مدينة المعسكر أو قبل ذهابه إلى مازونة على بعض المحققين
من شرفاء المشارف العلماء الغطارف ، ثم رجع إلى زاوية عمه المذكور فدرَّس
فيها ، ثم ارتحل إلى المشرق وحج أربعاً واعتمر وجاور بالمدينة المنورة على
ضجيعها ألف صلاة وألف سلام مدة من أربع سنين وقرأ بها على أشياخ عديدة ،

ومنهم سراج الدين المدني الدار قرأ عليه التفسير في مدة إقامته . ولازم مجلس الأدب والتربية للعلامة شيخ الإسلام والصوفية أبي عبد الله سيدي محمد بن السنوسي الجاهدي ، وأخذ عنه ورد الأذكار ، وكان من أهل صفة داره آناء الليل وأطراف النهار ، وشافهه بما أجازه . ودعا له بالخير والصلاح . وفاز منه بما حازه ، ومن أشياخه بمصر ابن لقمان الشيخ عlish . وغيره من سقاة الظمآن كالشيخ الباجوري الشافعي خليفة شمس الدين اليافعي . وأجازه صنوه الأرضي المحقق الأخطى ابن عبد الله المدعو بالزفائي ، بما كتبوا له على الثبت للشيخ الأمير المصري ، وكذا الشيخ السقا وغيرهم مما يطول بنا ذكرهم . ويشق بنا تتبعهم ، ومن أخذ عن هذا المجاز العلامة المحقق السيد محمد بن دحمان العبادي مدرساً في العلوم بتلمسان ، والشيخ المحقق السيد محمد بن عبد الله الفحلي ، والفقير السيد محمد بن حفدة ولي الله سيدي الخوان الفحلي ، نفعنا الله ببركاته مدرساً بالجامع الأعظم مسجد القرويين بفاس لانتقاله إليها اه . من « الرحلة المشرفية » وفيها جملة من علماء تلمسان .

شيخنا

الأستاذ محمد بن أبي القاسم الهاملي

سيدنا شيخ الإسلام مقتدى الأولياء العظام ، علم الهدى الذي من انتمى إليه كان من السعداء ، القطب الرباني ، والفرد الجامع الصمداني . العلامة الإمام ، والقدوة الهمام ، شيخ المالكية شرقاً وغرباً ، قدوة السالكين عجباً وعرباً ، مربى المريدين ، كهف السائلين ، سيدي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن الولي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن المنصور الشريف الحسني نسباً ، المالكي مذهباً ، الأشعري

اعتقاداً ، الرحماني طريقة ، الهاملي مسكناً ، الجزائر اقليةماً .

[٢٢٨]

كان رضي الله عنه وأرضاه وأعاد علينا من بركاته وأسراره أمين من أكابر المشايخ العارفين ، وأعيان المحققين ، وأعلام العلماء الراسخين ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأحوال النفسية والأنفاس الصادقة ، والمعارف السنية ، وكان يلقب قدوة الفريقين ، بهي السميت طاهر الوضوء ، فصيح الكلام فيما يشرحه من أحوال القوم ، وكان يلبس لباس أعيان العلماء ، ويركب الفرس وهو أحد أركان هذا الشأن ، وإمام أئمة ساداته وأجلاء القادة إليه ، ورئيس الدعاة إلى الله ، له القدم الراسخ في التمكين والباع الطويل في أشرف الأخلاق ، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء رضي الله عنهم على اعتقاده بالتعظيم والتبجيل والاحترام ، وأوقع الله تعالى محبته في القلوب ، وتخرج بصحبته غير واحد من أعيان المشايخ في الظاهر ، وانتمى إليه من مشايخ الصوفية جم غفير ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وقصد بالزيارات من كل مكان ، وله كلام في الحقائق وتسليك المريدين ، وآداب الصادقين كثير مشهور ، رضي الله عنه .

وكان له الكرامات الظاهرة ، والأسرار الباهرة ، والأحوال الخارقة ، والمقامات السنية ، والمكانات العلية ، له الباع الطويل في التصريف النافذ مع اليد المبسوطة في علوم المشاهدات ، والقدم الراسخ في التمكين ، والطور الأرفع في معالم القدس ، وهو أحد من أظهره الله إلى الخلق ، وصرفه في الوجود ، ومكنه من أحوال النهاية في إفاضة أسرار الولاية ، وخرق له العادات ، وأظهر على يديه الأحوال الخارقات ، وأنطقه بالمغيبات ، وأجرى على لسانه الحكمة ، وملاً القلوب بمحبته والصدور بهيبته ، وكان رضي الله عنه ما دعا إلا أجيب ، ولا عاد مريضاً إلا عوفي إن كانت له بقية من الأجل ، ولا نظر بعين الرضى إلى قلب خرب إلا عُمُر ، ولا عكسه إلا خرب ، أعاذنا الله من

ذلك ، وما وقع نظره على عاص إلا أطاع ، ولا على ناس إلا استيقظ ،
ولا مر بأرض مجدبة إلا أنبتت ، ولا دعا في شيء بالبركة إلا وظهرت شواهد
الإجابة ، وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة ، وأفتى
بالإقليم الجزائري على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، وقصده
طلبة العلم ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا بكلامه ، وانتهت إليه الرياسة في العلم
بالمغرب .

وقفت الناس عند فتاويه ، وكان متقشفاً في مأكله ومفرشه ، وكان خلقه
واسعاً ، إذا تجادل عنده الطلبة والإخوان يشتغل هو بالذكر حتى يفرغ جدالهم ،
وكان يقضي بعض مصالحه بيده ، وكان كثير الأدب والحياء ، كريم النفس
جميل المعاشرة حلو الكلام ، وكان مهاب المنظر عليه خضر العلماء العاملين
[٢٢٩] والأولياء والصالحين ، وكان نهاره وليله في الطاعة إما في علم ، أو تلاوة
قرآن ، أو ذكر ورد ، أو فكر في مصنوعات الرحمان ، أو قضاء حوائج
المسلمين .

ويقصده الناس من جميع الجهات لتفريج كربهم وقضاء ديونهم ، فما
يذهبون من عنده إلا بالشيء الكثير فوق مرادهم ، والخلق في الإحسان عنده
على حد سواء ، ويقول : الخلق عيال الله يراعى حق الكبير والصغير والغني
والفقير والقوي والضعيف والوضيع والشريف حتى الوحوش والطيور ، وكل
مخلوقات الله يعظم العلماء والصالحين وذريتهم ، وأهل الفضل وكل عزيز
في قومه ، ويواسيهم عموماً وخصوصاً ذرية مشايخه أهل سنده الظاهر ، وأهل
سنده الباطن ، له اليد الطولى والنعمة الكاملة عليهم ، يعظم مكانهم ويقدمهم
على غيرهم من الخاصة والعامة ، ولا يملك معهم شيئاً من الدنيا مع طيب نفس ،
بل لو يأخذون جميع ما يملك لكان عنده ذلك من أحسن ما يكون وأجل وأفضل

ما هو كائن ، ويعادي من عاداهم ، ويحسن إلى من أحسن إليهم ، ويبالغ في الأدب معهم ويحفظ حقوقهم في الغيبة والحضور ، ويقبل عثراتهم ، ولا يلتفت إلى هفواتهم ، والله درُّ العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي حيث قال في بديعته في مدح الأستاذ :

ما كفه كالغيث حين يهملُ * فذاك يمكثُ وهذا يُقلعُ
 أو لم يُشابه الغمامُ كفه * لما استجادَ الناسُ منه وكفه
 وفضله في الخافقين قد علمُ * أشهرُ من نارٍ على رأسِ علمُ
 وإن سألتَ عنه فهو البحرُ * يخرجُ منه جوهراً ودرُّ
 قد شابهتُ أخلاقه الرياضا * لطافةً وكفه الحياضا
 والأرضُ لولا غوثنا لكدككتُ * لأنها قديماً لدينا اشتككتُ
 لكلِّ عصرٍ مفردٌ إمامُ * غوثٌ به أحواله تُقامُ

ولد رضي الله عنه وأرضاه بالبادية بمحل يقال له الحامدية ضاية الحرث على جهة جبل تاسطارة ، وهي بلاد أولاد الأغبوني فريق أولاد سي محمد في رمضان سنة تسع وثلاثين بعد المتين والألف ، ومن اسم الحامدية المولود فيها أخذ الفال فحمدته أهل السماء وأهل الأرض .

ولما حفظ القرآن قدم إلى زاوية الولي لله سيدي السعيد بن أبي داود بزواوة ، ولازم ابن ابنه بها العلامة الشيخ سيدي أحمد ، وجد واجتهد حتى برع في المذهب المالكي ، وكان رضي الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة ، مفرط الإدراك بعيد الغور ، غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبل علم مناظراً محاججاً .

[٢٣٠] وفي سنة خمس وستين ومثتين وألف ابتداءً للتدريس ببلدة الهامل ، فأصبحت به زاهرة يانعة ، وانهاالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم وحصل به النفع الكثير ، وكان يحضر درسه في الفقه نحو ثمانين تلميذاً أو أكثر ، وكانت

مؤونة الطلبة في هذه السنوات من عنده ، وابتدأ من التفاسير « بتفسير الواحدي »
 ومن كتب الحديث بشرح العارف بالله سيدي عبد الله بن أبي جمرة وتقديمه
 لهاذين الكتابين التماس بركة صاحبيهما ، لأن الكتابين كانا من ملك جده
 الولي المشهور سيدي محمد بن عبد الرحيم وليسيدي محمد بن عبد الرحمن في
 مدحه أيضاً :

صَلِّ يَا رَبِّ وَسَلِّمْ أَبَدًا * على خيرِ الخلقِ عُربٍ وَعَجَمٍ
 ما جمالُ الرُّوضِ ما ذِكْرُ إِرَمِ * ما غِنَاءُ ما عَصِيرٌ مِنْ كَرَمِ
 ما سموُ البدرِ في أفقِ العُلا * كعلا شهمِ سجاياهُ الكَرَمِ
 أُمَّةُ الأُمَّةِ في أُمَّتِنَا * قطبُ فضلِ خيرِ أستاذِ يُومِ
 مرشدُ الخلقِ إلى سُبُلِ الهُدَى * زاكي الأحوالِ محمودُ الشِّيمِ
 مَنْ أعادَ الغُربَ روضاً يُشتهي * بعدَ ما كانَ مواتاً لم يُرمِ
 بذرَ الخيرِ بهِ حتَّى ازدهى * فلأرضِ الغُربِ فخرٌ قد عَظُمِ
 جدَّدَ الدينَ وقد كانَ وهى * نصحَ الأُمَّةَ في الوقتِ الأهمِ
 ولقد أحيا رسوماً درَسَتْ * بدروسٍ كم لها فضلٌ وكمِ
 حقٌّ أن تسمى المطايا نحوه * لوذعي تاجُ أربابِ الهِمَمِ
 عَلمُ الأعلامِ معلى قدره * إذ تراهم رَفَعُوا الاسمَ العَلمِ
 واسمُهُ الحمدُ البليغِ المرتضى * واشتقاقُ الاسمِ مِنْ فعلٍ وَسِمِ
 طابِقِ الاسمِ فعلاً حُسْنُهَا * يُخجِلُ الدرُّ النَّفيسَ المنتَظَمِ
 ورثَ السُّوددَ عَن أسلافِهِ * إذ لهم في ذروةِ المجدِ قَدَمِ
 نسبٌ مثلُ لآلي نُسِقَتْ * منه حتَّى المصطفى خير النَّسَمِ
 طابَ أصلاً وفروعاً وجَنَى * منبعُ الأسرارِ مصباحُ الظُّلمِ
 شمسُ فضلِ طلعتْ في أفقِنَا * فانبجلى عنا بها كلُّ قَتَمِ
 حُجَّةُ اللهِ على الخلقِ فَمَنْ * عارضَ الحُجَّةَ فهو المنفصِمِ

خَادِمُ السُّنَّةِ مَخْدُومُ الْوَرَى * فَاعْجَبُوا مِنْ خَادِمٍ كَيْفَ خَدَمَ
 ظَهَرَتْ أَسْرَارُهُ وَانْبَجَسَتْ * مِنْ طَوَايَاهُ يَنْبِيعُ الْحِكْمِ
 زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَفَعَةً * فَلَقَدْ أَسَدَى لَنَا النَّفْعَ الْأَعْمَ
 حَدَّثُوا عَنْهُ بِمَا شِئْتُمْ وَلَا * حَرَجٌ عَنْكُمْ فَهَذَا الْحَبْرِيُّمُ
 قَدْ رَوَى الْفَيْضَ لَنَا عَنْ نَائِلٍ * عَنْ عَطَاءٍ عَنْ يَسَارٍ عَنْ كَرَمِ
 وَرَوَى الْكَلْبُ لَنَا عَنْ جَابِرٍ * عَنْ سَعِيدٍ أَنَّهُ السَّعْدُ الْأَتَمُ
 صَرَتْ يَا عَيْدُ بِهِ عَيْدًا هُنَا * كَيْفَ لَا وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُحْتَرَمُ
 أَنْتَ تَأْتِي بِسُرُورٍ يَنْقُضِي * وَهُوَ لِلخَلْقِ سُرُورٌ وَنَعْمُ
 ذُو مَزَايَا لَا يَفِي الْمَدْحُ بِهَا * كَيْفَ يَحْوِيهَا قُصُورِي لَا وَلَمْ
 وَمَرَامِي مِنْكُمْ نَيْلُ الرِّضَى * إِنَّ قَلْبِي لِكَسِيرٌ ذُو أَلَمِ
 فَانظُرُونَا نَظْرَةً تُصَلِّحُنَا * وَاعْتَقُوا ذَا الرِّقِّ فَالْفَضْلُ لَكُمْ
 قَدْ نَزَلْنَا سَاحَةَ اللَّيْثِ وَمَنْ * كَانَ جَارَ اللَّيْثِ قَطُّ لَمْ يُضْمِ
 وَحَلَلْنَا حَرَمًا أَمْنًا وَلَا * أَحَدٌ يَجْنِي عَلَيَّ مَنْ بِالْحَرَمِ
 وَعَلَيْكُمْ مِنْ تَحِيَّاتٍ سَمَّيْتُمْ * مَا أَضَاءَ الْبَرْقُ أَوْ سَحَّتْ دِيَمُ
 وَعَلَى الْإِخْوَانِ طُرًّا سِيمًا * مَنْ أَتَى الْمَسْجِدَ أَوْ مِنْ قَدْ خَدَمَ
 وَعَلَى الْأَقْطَابِ أَشْبَاحِ لَنَا * ذَكَرَهُمْ يَشْفِي عُضَالَاتِ السَّقَمِ
 شَيْخُنَا الْمُخْتَارُ شَيْءٌ كَاسِمِيهِ * وَابْنُ عَزُوزِ الْجَنَابِ الْمُنْفَخَمِ
 تَارِزِي بَاشَا مَنْ حَازَ الْعُلَا * أَزْهَرِي فَخْرٌ عَرَبٍ وَعَجَمِ
 جُدُّ لَنَا يَا رَبَّنَا مِنْ فَيْضِهِمْ * وَاصْلِحْ أحوَالَنَا يَا ذَا الْكَرَمِ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ تَرَى لِلَّذِي * قَدْ هَدَانَا وَبِهِ الْأَمْرُ خَتَمِ
 وَعَلَى آلٍ وَصَحْبٍ كَرَّمُوا * مَاسِرِي الْبَدْرِ وَمَا خَطَّ الْقَلَمِ
 «ضَاعَ عَرَفُ الْبَانِ» إِذْ أَرَّخَهَا * تَاسِعُ الْحَجَّةِ يَوْمَ يُقْتَنَمِ

وله أيضاً في مدح الأستاذ سنة قدومه للجزائر :

سلامٌ يفوقُ نَيْرَاتِ الزواهِرِ * ويفضُّلُ نَشْرًا طيِّبَاتِ الأَزَاهِرِ
أخصُّ به قُطْبَ الوجودِ الذي عني * بصاحبه الأعزازِ أمِ الجزائرِ
فدثته نفوسُ المؤمنينَ فإنه * إمامُ الهدى النبراسِ مجلى الدياجرِ
ملاذُ الوري إنسانُ عينِ زماننا * وهل تُبصرُ العينانِ إلا بناظرِ
فيا بهجةَ الدُّنيا ويا غايةَ المنى * ويا كعبةَ الإسلامِ أنسَ الخواطرِ
تحنُّ إليك الصالحونَ ويشتفي * بطلعتِكَ الغراءِ داءَ السَّرائِرِ
نصحتَ وأرشدتَ العبادَ لرَبِّهم * لأنَّكَ تساجُ العارفينَ الأكابرِ
تطيبُ بكَ الأيامُ إذ أنتَ نورُها * وكيفَ وأنتَ الغوثُ كثرُ الذخائرِ
فيا سعدَ مَنْ أضحى محبَّ جنابِكُم * على حُبِّكم لله عقدُ الخناصرِ
هنيئاً لأرضٍ حلَّ فيها ركابِكُم * يحقُّ لأهلِها الهنا بالبشائرِ
فيا أكملَ الوراثِ مِنْ سيِّدِ الوري * عليه صلاةٌ كالبحارِ الزواجرِ
إليكَ اشتياقنا طويلٌ مديده * بكاملِ وجدٍ بالمدامعِ وافِرِ
وأبتَ بأمنٍ ظافراً ومؤيداً * فيا نجلَ قاسمِ حميدِ المسائرِ
عليكَ مِنَ الرحمانِ أثوابُ عِزِّه * وحُسنِ جلالِ اللهِ أقوى السائرِ
بحُرْمَةِ جدِّكَ الحبيبِ مُحَمَّدٍ * وآلهِ والأصحابِ أهلِ المفاخرِ
عليهم صلاةُ اللهِ ما هبَّتِ الصِّبا * وما دامَ ذِكرُهُمُ بأعلا المنايرِ

توفي رضي الله عنه يوم الأربعاء ثاني محرم سنة ١٣١٥ في بوية السحاري آياً من حاضرة الجزائر إلى مقامه الشريف ، وكنت رأيت في نومي ليلة [٢٣٢] وصوله إلى الجزائر قمراً منخسفاً مطلاً عليها من جهة الصحراء في سماء معتكراً بالغيوم ، وفي الغد سمعت بقدومه فعلمت أن العام سنة ، وقد كان ملاح لي ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ترك رضي الله عنه بنتاً سالحة توفيت بعده بسنوات ، وأخاً سالحاً ،
وتوفي أخوه أيضاً عن أولاد أكبرهم الشيخ محمد بن الحاج محمد ، أعلمهم
وأتقاهم الشيخ المختار ، وكلهم تلامذة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي ،
وعنه أخذوا ومنه استفادوا .

أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني

الفقيه العالم الأعرف أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني أحد
رجال الكمال علماً ودينياً ، لا يعزب عن علمه فن عقلي .

أخذ عن الشيخين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وعن أبي عبد الله
الإبلي وغيرهم ، وبلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر ، وفصاحة اللسان
عند الإلقاء ، واحد عصره رحمة الله عليه .

وتوفي في ذي الحجة متم سنة ٧٧١ هـ ، فأمر مولانا أمير المسلمين أبو حمو
أيده الله بدفنه عند قبر والده المولى أبي يعقوب تبركاً له بجواره هـ . وولده
الفقيه أبو محمد عبد الله من عليّة الفقهاء وصدور المدرسين ، مشارك في فنون
التعاليم والنظر والفقّه هـ .

محمد بن أحمد بوتشت

الشيخ العارف بالله صاحب الفتوحات الربانية ، والفيوضات اللدنية
السيد محمد بن أحمد المعروف ببتشت ، صاحب جبل ندات من حوز ثنية
الحد ، نشأ بجبل ندات .

أخذ على الشيخ السيد الحاج الزراق ، وهو أخذ على علماء مازونة ،
وتضلع صاحب الترجمة بالعلوم النقلية والعقلية واللدنية ، وقبره بجبل ندات
مشهور يُزار يتبركون به ، مات عام ستة عشر من القرن الرابع عشر ، وله
تأليف في علم القوم ، ومنها تأليف في صلاة النبي ﷺ ممزوجة بشمائله عليه
الصلاة والسلام اهـ .

[٢٣٤] مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَسَنْطِينِي

الشيخ الإمام العالم العلم والركن الملتزم المستلم ، العلامة القدوة المشارك
النحرير ، ذو البركات الظاهرة والقدر الخطير ، أعجوبة الزمان وفريد العصر
والأوان ، الدراكة الحافظ المتقن المحقق الضابط الفهامة المدرس المدقق ،
فارس المعقول والمنقول ، والآتي في درسه بما يُبهر العقول ، ملحق الأواخر
بالأوائل ، وعلم السراة القادة الأفاضل ، الصالح البركة أبو عبد الله سيدي
محمد بن أحمد القسطنطيني الشريف الحسيني المعروف عند أهل بلده بالكماماد .
قدم رحمه الله على فاس ، وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد ، وأخذ عنه
الجم الغفير من كل بلاد . وكان آية من آيات الله في الحفظ والإتقان والتحرير
العجيب وعزة الشأن ، إماماً نظاراً مطلعاً ، وبنفائس العلوم ودقائقها
متضلماً ، له الملكة في المنطق وعلم الكلام ، والحفظ التام في علم حديث خير
الأنام ، مرجوعاً إليه في الفقه وأدواته ، مقصوداً في حل مشكلاته ، كبير الباع
تام الاطلاع . أذعن له الكافة من علماء عصره . وعظم صيته لدى الرؤساء
وغيرهم من أعيان دهره . وأخبر عن نفسه أنه يحسن اثني عشر علماً .

أخذ بجبل زواوة عن أبي عبد الله سيدي محمد المقرئ . وبالجزائر عن
سيدي محمد بن سيدي سعيد قدورة . وعن غيرهما . قال في أثناء بعض

إجازاته لبعض تلامذته : وقد أخذت « صحيح البخاري » وروايته عن الشيخين الإمامين أبي عبد الله سيدي محمد المقرئ ، وأبي عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الشهير الذكر الطيب النضر سيدي سعيد قدورة . ودراية لبعضه عن الثاني ، وإجازة عن الشيخ العلامة الشريف المنيف سيدي محمد بن محمد بن عبد المؤمن قاضي الجزائر ، عن شيخه شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشبراملسي ، عن شيخ المحدثين في زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني ، عن الإمام أبي النجاة سالم السنهوري بقراءته لجميعه عن العلامة رحلة المحدثين نجم الدين القيطي ، عن شيخ الإسلام زكرياء الإنصاري اه المراد منها .

ثم ارتحل إلى فاس برسم القراءة على مشايخها ، ويقال : إنه وقف على الدالية لأبي علي اليوسي فاستحسنها وسأل عن ناظمها فأخبر بأنه حي بالمغرب ، فأقبل للأخذ عنه ، فلما بلغه وجده مشغلاً بزحام الفقراء المتلقين منه ، فتصدر بفاس لإقراء « جمع الجوامع » للسبكي فأبدع في إقرائه ، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون فأكثرُوا الازدحام عليه ، وتوجهت عيون أهل الدولة إليه ، فارتفعت مرتبته وأجريت له المرتفات العالية ، وشمله درور إحسان السلطان ، فن دونه ، وكان مقبلاً على ما يعنيه دوؤباً على المطالعة ، لا يُرى إلا في درسه أو مطالعة كتبه ، قليل الكلام كثير الصمت ، ذاهمة عليه ومآثر سنية ، لا يدع التهجد بالليل حضراً وسفراً ، وكان يقرأ في زمان الشتاء ، ويتفرغ في زمن المصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء ، واجتمعت الكلمة على أنه أحفظ علماء عصره ، بل ظهر من حفظه ما بهر العقول .

ومن أخذ عنه الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام البناني ، والأستاذ العلامة سيدي إدريس بن محمد المنجري الحسني ، وكان يقول فيه : إنه لم تر عيناى مثله .

قال في النشر : وله أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته ، قال : ولما لزمته في التدريس لم يتفق له التصنيف وإلا فهو أحق به ، ولما دخل تطوان في أول قدومه للمغرب وقع بينه وبين قاضيا الفقيه أبي عبد الله ابن قريشي وحشة ، فكتب له صاحب الترجمة أبيات على حفطي منها قوله :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى كُسُوفِ شَمْسٍ * لِلْعُلُومِ وَذِلَّةِ الْغُرَبَاءِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى زَمَانِ عَبَسٍ * قَمَطِيرٍ ذِي قِسْمَةٍ ضِيَاءِ
فَأَنَا لِلْعُلَى سَمَوْتُ وَحَسْرَتُ * رَتْبَةً لَا تَسَامُ بِالْجُوزَاءِ
وَوَرِثْتُ الْعُلُومَ قَدَمًا يَقِينًا * عَنِ آبَاءِ قَسَاوِرِ نُجَبَاءِ
فَأَنَا شَمْسُهَا وَنَجْمُهَا سَاهَا * حَافِظُ الْعَصْرِ سَيِّدُ النَّبَلَاءِ

وحدث عنه أصحابه قال : بينما أنا جالس بالمشرفة التي بجامع الأبارين دخل علي رجل فقال لي : في هذا العام بني ربع دارك ، فلم أفهم مراده ، وظني بباب المشرفة مغلق ، فتعاهدته فوجدته كما تركته ، فلم أدر من أين ولج الرجل علي ، ثم أتاني في العام المقبل لي : بني في هذا العام نصف دارك ، ثم أتاني في العام الثالث فقال لي : بني ثلاثة أرباع دارك ، ثم من العام المقبل أتاني فقال لي : بنيت دارك. فكان يعلم بقرب أجله ، فلم يمض إلا يسير فمرض مرض موته ، فأغمي عليه ثم أفاق ، فقال لي : جاءني ملك فقال لي : تخلق بخلق النبي ﷺ ، فقيل له : ما يعني بذلك ؟ فقال : أن أختار الرفيق الأعلى .

وتوفي رحمه الله عند غروب شمس يوم الجمعة الرابع من شهر الحرام فاتح سنة ست عشرة ومئة وألف (١١١٦) . وصلى عليه إماماً الشيخ سيدي محمد ابن عبد القادر الفاسي بإيصائه بذلك .

قال في «الصفوة» : ودفن قريباً من ضريح سيدي أبي غالب ، وبنيت عليه قبة اه . وهي ساقطة في هذه الأزمان ليس لها أثر .

ترجمة جماعة منهم تلميذه أبو العلاء المنجري في « فهرسته » وصاحباً
الصفوة » و« النشر » .

[٢٣٥] مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأُرَيْسِيِّ الْجَزَائِرِيِّ

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الأريسي ، الشيخ الفقيه المحصل
المتقن العدل المرضي أبو عبد الله محمد بن أحمد من نظراء الفقيه أبي علي عمر
ابن عزون^(١) .

وكان مشاوراً مفتياً معمولاً على قوله ، موقوفاً عنده ، وعلى الفقيه أبي
علي بن عزون كان اعتماد القاضي أبي محمد بن الحجاج ، وبينهما كان
جلوسه ، وهما المشاوران عنده ، وله جلال ووقار وهمة علوية وأخلاق
مرضية ، وكان في غاية الجودة في الخط المشرقي ، وله لطائف علم ودقائق
فهم ، وبه كان انفكاك ما يخفى معناه من الأمور الفقهية والنوازل الشرعية .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْجَزَائِرِيِّ

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي المعروف بالجزائري ،
الشيخ الفقيه الكاتب الأديب البارح حفيد الفقيه الجليل أبي عبد الله الأريسي
كان من أدباء الكتاب ، ومن نظراء أبي عبد الله التميمي في علم النظم
والقريض ومن أصحابه ، كان حسن النظم والنثر ، مليح الكتابة حسن الرواية
في البطاقة ، سهل الشعر كثير التجنيس ، يأتيه عفواً من غير تكلف إن أطال
في شعره أعرب ، وإن اقتصر واقتصد أعجب ، وكان شيخ الكتابة كتابة

(١) لعله هو المضاف إليه في باب عزون بالجزائر .

الديوان ببجاية ، وله شعر كثير في كل فن من فنون الشعر ، ومن نظمه :

يا مَنْ على جُوده المعهودِ أتكلُّ * ويا ملاذي إذا ضاقتُ بي الحيلُ
غرقتُ في بحر آثامي فخذُ بيدي * وامننْ بعفوِ فاني خائفٌ وجِلُّ

وله أيضاً :

أدرها فقد هبتُ نسيمةُ دارين * ونمَّ بئرُ الروضِ نشرُ الرياحينِ
وقامَ خطيبُ الورقِ يدعو هديله * وغنى فاغنى عن ضروبِ التلاحينِ
وذكرَ أيامَ الصبابةِ والصبابا * ولذَّةَ عيشٍ كانَ لي غيرَ ممنونِ
فتار كمينُ الوجدِ من مستقره * وبُحتُ بسرٍ بينَ جنبي مخزونِ
فيا ساكني نجدٍ أطرُقُ حيكُم * وأرجعُ مقلوباً بصفقةِ مغبونِ
ويا ساكني الجرعاء إن كان عندكم * نصيبٌ من الصبرِ الجميلِ فواسوني
تركتُ فوادي عندَ خيمةِ زينبِ * وما سحرُ عينيها علي بما مومنِ
أغارتُ عليه حينَ لم يلفِ ناصراً * وأغرتهُ بي حتى تعلّمَ يجفوني
فكم قلتُ إن الحبَّ لا يستفزني * وإن التصافي خلقة لا تواتيني
وكم صنتُ عن نظمِ القريضِ وصنته * إلى أن أرتُ عيني عليَّ بنَ ياسينِ

وله أيضاً : [٢٣٦]

لعلك بعدِ الهجرِ تسمعُ يا بدرُ * بوصلِ فقد أودى بمهجتي الهجرُ
أبيتُ كما ترضى الكآبةُ والأسى * وأضحى كما تهوى الصبابةُ والفكرُ
إذا قنطتُ نفسي يُنادي بها الرجا * رويدك كم عُسرٌ علي إثره يُسرُ
وإن ذكرتُ يومَ الفراقِ تقطعتُ * علائقُ آمالٍ فيرحمها الذكُرُ
ولا أنسَ يوماً للسرورِ وبيننا * عتابُ كبرِدِ الماءِ لكنَّهُ الجمرُ
ولا كأسَ إلا ما سقاني به اللَّمي * ولا نقلَ إلا ما حباني به الصدرُ
تقولُ وقد مالتُ بمعطفها الطلا * وخفتُ لأن تخطو فأثقلها السكرُ

وقد جاذبت ریح الصبا فضل مرطها • فأومض لي برق تضمه الشفر
 أمن يومنا بالجزع أنت موله • تفيض من الآماق أدمعك الحمر
 دع العتب فالعتبي أحق بيومنا • وعد عن الشكوى فقد قضي الأمر
 علمنا وإن لم يعلم الحب أنه • ذلول الهوى صعب ، وحلو النوى مر
 وليل اللقا صبح ، وصبح النوى دجى • وشهر الرضى يوم ، ويوم النوى شهر
 فوالله ما أدري لطيب حديثنا • أضمن سحراً لفظها أم هو السحر
 فيا حبذا يوم فقدت به الحججا • وودعني إذ ودعت شمس الصبر
 خليلي قولا إن بدا لكما الحمى • أهيل الحمى مشغوفكم مسه الضر
 على ما تناسيتم حديث عهدكم • وليس له ذنب وليس له عذر
 أهيل الحمى منوا بطيف خيالكم • عسى نلتقي أو يلتقي النوم والشفر
 بما بيننا لا تقبلوا من وشاتنا • فما ضاع لي ود وما ذاع لي سر
 فكم رمت أن أقضي فريضة حقكم • فلما أردت السعي أثقلني الوزر

ومن نظمه رحمه الله تعالى :

أهل الحمى هل لكم من قصتي خبر • وإن ليلى بليلى كلته سهر
 وفي ضلوعي نيران يضرمها • دمع على صفحات الخد ينهمر
 لما رأيت بدور الحي سافرة • عن النقاب بدا لي أنه السفر
 ولا عوامل إلا من قدودهم • ولا صوارم إلا ما بها الحور
 سألتك الله يا حادي المطي بهم • قفا علي لعل الصدع ينجبر
 عرج علي فلي قلب يميل إلى • حديث من قتلوا منا ومن أسروا
 وأنت يا سعد إن غنت ظباؤهم • فقف تعابن قوادي كيف ينطر
 ورب ليلى بليلى بت أسهره • وحاسدي نومه والليل معتكر
 تبدو كشمس الضحى تعلق قضيب نقا • وتنثني مثل غصن فوقه قمر

[٢٣٧] تقولُ والحُسْنُ يُطغِيها فَتظَلِمُنِي * ولا موازر إلا صارمٌ ذَكَرُ
دع الحسامَ وَضَعُ حملَ السلاحِ فما * في كلِّ وقتٍ يُفيدُ الحزمُ والحَذَرُ
ما للمهتدِ حُكْمٌ في محلَّتِنَا * بل للمهتدِ فيها الحُكْمُ والنظَرُ
وللظبي فتكاتٌ بينَ أرْحَلِنَا * ترنو وتعنو الظبا المضروبة البترُ
فإن طمِعتِ بلينِ في لواحِظِنَا * فنحنُ أهلُ قلوبٍ مثلها الحَجَرُ
وإن حَلَّتْ لكِ ألفاظٌ نردِّدُها * ما بيننا فهناك الصَّابُ والصَّبَرُ
إنا لنُخرِجُ منَ الحَاطِظِ مُبصرِنَا * لكننا من سوادِ القلبِ نتصِرُ
فارحَمَ شبايكَ وارحلِ دُونَ مغلَبَةٍ * واقبلِ من الحُسْنِ ما أعطاكهُ النظَرُ
فَعِنْدَها أيقنتِ نَفْسِي بغيثِها * وأقسمتُ مُهجتي أنْ لستُ أصطَبِرُ
وقمتُ ألقُطُ منَ ألفاظِها دُرراً * وأنظِمُ السحرَ حتى أقبلَ السَّحَرُ

مُحمَّدُ بنُ أحمدَ التلمساني

الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ، ويعرف بابن
الوقاد ، أصله من تلمسان ، بها نشأ ، ثم انتقل منها بعد التحصيل إلى المغرب فنزل
مدينة ترودانت ، وولي بها قضاء الجماعة نحواً من ستة أشهر ، ثم استعفى
لكونه لا يعرف البربرية التي هي لسان أهلها ، فأعفى ثم وجه به إلى سجلماسة
قاضياً خطيباً فبقي بها مدة ، ولقي بها سيدي عبد الرحمن من لا يخاف ، وعبد
العزیز بن ملال وغيرهما ، ثم انتقل لمكناسة الزيتون فقضى بها وخطب ،
ثم نقل لفاس فولي الخطابة بجامع الأندلس منها ، ثم رد لتارودانت فقدم للفتوى
والخطابة ، فألقى بها عصى التسيار ، وتصدر لنشر العلم ، فنفخ الله به أمة
من الناس ، وهو أول من أقرأ بها البخاري قراءة ضبط وإتقان ، وأول من
خطب فيها ببراعة اللسان ، وكان السلطان المنصور يقول فيه : ليس عندنا

أخطب من ابن الوقاد إلا أن الله اختاره لتارودانت ، وإن لم تكن كرسي
الخلافة .

وكانت له - رحمه الله - وجاهة عند ملوك وقته بحيث أجروا عليه
الجزايات ، ولم يصيروه لأحد من أبناء جنسه ، وهو مع ذلك لا يبالي بالدنيا ،
قال صاحب « الفوائد » : لما قعد أول مرة للتدريس بتارودانت جلس بين
يديه طالب من فقهاء جزولة ، فافتتح القراءة عليه فقال : بسم الله الرحمن
الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد بغير سيادة ، فنهره وقال له منكراً عليه :
هو قرينك تأكل معه في القصعة ، قل : على سيدنا محمد .

أخذ رحمه الله عن الإمام التنسي ، ختم عليه البخاري ست عشرة مرة
قراءة بحث وتحقيق ، وعن سيدي شقرون بن الوجددي مفتي مراکش ،
وعن ابن جلال والبسيتي وغيرهم ، وجاءته امرأة من جيرانه فقالت له :
رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال لي : اقرئي السلام للشيخ التلمساني . فبكى
وقال : نعبت إلي نفسي يا فلانة ، فلم يبق إلا أياماً قليلة .

[٢٣٨] وتوفي رحمه الله سنة إحدى وألف (١٠٠١) بمدينة تارودانت ، وخلفه
ولده الخطيب أبو زيد عبد الرحمن في علمه وهدية المتقدم ، ومن شعره قوله :

كتابُ البخاريِّ واطبَ عليّ • قراءتِه واروهِ في الشَّدائدِ
فهو المجرَّبُ تَرياقُهُ • لدفعِ سمومِ الأفاعيِ الأسودِ

وكان كثيراً ما ينشد في التحذير من خلطة الملوك وأبناء الدنيا :

كُلُّ الترابِ ولا تَعْمَلُ لهم عملاً • فالشرُّ أجمَعُه في ذلكَ العملِ

محمد بن أحمد بن محمد التلمساني

محمد بن أحمد بن محمد اللخمي أبو عبد الله بن اللحام لقب لأبيه ،
مولده بتلمسان سنة ٥٥٨ .

قرأ السبع على أبي العباس الأعرج ، وأخذ العلم بفاس عن أبي الحجاج
ابن عبد الصمد ، وأبي القاسم بن يوسف بن زانيف ، واختص بصحبة أبي
زيد الفزازي ، روى عنه ابنه أبو محمد عبد الله ، وأبو زكرياء بن محمد
ابن طفيل .

وكان فاضلاً صالحاً زاهداً ذا حظ من الأدب والشعر ، غزير الحفظ
يحفظ من سمعة واحدة كل ما يطرق أذنه ، استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف
العسكري بن عبد المؤمن بن علي إلى مراکش ، فاستوطنها وحظي عنده وعند
ملوكها الناصر والمستنصر ، وله في الوعظ كتاب « حجة الحافظين ومحجة
الواعظين » ، واختصره بعده أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طفيل في سفر واحد
سماه « مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار » ولو سماه : مختصر حجة
الحافظين ومحجة الواعظين لأحسن ، ومن نظم المترجم في التصوف قوله :

غريب الوصف ذو علم غريب * عليل القلب من حُب الحبيب
إذا ما الليل أظلم قام يبكي * ويشكو ما يحين من النحيب
يقطع ليله فكراً وذكراً * وينطق فيه بالعجب العجيب
به من حُب سيده غرام * يجل عن التطب والطيب
ومن يك هكذا عبداً محيياً * يطيب ترابيه من غير طيب

توفي بصيراً في مراکش رحمه الله تعالى يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة
بقيت من شعبان عام ٦١٤ .

محمد بن أحمد القرشي التلمساني

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي

[٢٣٩] القرشي التلمساني المقرئ ، يكنى أبا عبد الله قاضي الجماعة بمدينة فاس وتلمسان .

كان مشاركاً إليه بالمغرب ، محافظاً على العمل حريصاً على العبادة ، مكباً على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصفاً في المذاكرة ، يقوم أتم قيام على العربية والفقه والتفسير والتاريخ والأدب ، ويشارك في الأصول والجدل ، والمنطق ، ويتكلم في طريق الصوفية ، وله فيها موضوع ، وحج ولقي جلة من الفقهاء والعلماء والصلحاء ، ورجع إلى بلده وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه ، وولي له قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاشتغل بذلك أعظم الاشتغال ، واستعمل في الرسالة .

أخذ عن ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن ، وأبي موسى عيسى ، وابن أبي عمران موسى بن يوسف المشدالي ، وأبي عبد الله بن عبد النور ، وإبراهيم ابن حكم السلوي الكتاني ، وأبي عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيار ، وأبا عبد الله محمد بن محمد القرموني وله :

لا تعجبني لظبي قد دها أسداً • فقد دها أسداً من قبل سحنون

قال القاضي : سمعت ابن حكم يقول : كتب بعض أدباء فاس إلى صاحب له :

ابعثني إلي بشيء • مدار فاس عليهِ
وليس عندك شيء • ممّا أشيرُ إليهِ

مولده بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان .

وقال ابن الخطيب : كذا وجدت بخطه ، ورأيت الصصح عنه أن أبا الحسن موسى سأل أبا الطاهر السلفي عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا الفتح بن زيان بن مسعود عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت السائب بن أنس عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنه .

أخذ ابن الخطيب السلماي عنه .

وتوفي بمدينة فاس في أخريات محرم عام تسعة وأربعين ، وقيل خمسين وسبع مئة (٧٥٠) ، وبقي سنة بفاس ، ثم نقل من قبره إلى تلمسان ، ودفن بعرضته داخل تلمسان من أجياد .

مُحمَّدُ بنُ أحمدَ التلمساني

الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد المري الشريف التلمساني .
كان فقيهاً صالحاً يقوم على الرسالة بنقل سائر شراحها ، وولي الفتوى بالقرويين ، وقال : إنه كانت وقفة في أيامه ، وطلب الناس منه أن يخرج للاستسقاء فأخذ جميع ما عنده من الزرع وفرقه على المساكين ، وقال : الآن أخرج للاستسقاء حين صرت من جملة الفقراء ، فخرج فلما كان قريباً من باب الفتوح ، أحد أبواب فاس ، والناس معه قال لهم : انتظروني حتى أرجع إليكم ، فلما رجع سئل عن الخبر فقال : تفقدت خميرة العجين لم أفرقها ، فرجعت لذلك .

ووجد بخط الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن قال : أخبرنا

صاحب الترجمة أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقلت له : يا رسول الله حديث « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ صَحِيحٌ » ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي : نَعَمْ صَحِيحٌ ، فَقَبِلْتُ إِحْدَى رِكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ قَبِلْتُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ ﷺ جَالِسٌ . تُوِّفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَامَ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَأَلْفٍ (١٠١٨) .

محمد بن أحمد الوهراني الملباني

الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الوهراني ، ناب في القضاء والخطابة مرات .

وكانت وفاته في أوائل ربيع الثاني من سنة ثلاث عشرة وألف (١٠١٣) هكذا ذكره في المطمح ولم يزد عليه اه .

محمد امزيان

ء

الفقيه الشيخ محمد امزيان بتغليظ الزاء ، وكان بعض الفقهاء بمليانة يقول : ابن مزيان بالترقيق .

وله شرح حافل على صغرى السنوسي سماه « المستفيد في عقيدة التوحيد بل كثر الفوائد في شرح صغرى العقائد » أفاد فيه وأجاد ، وأنه أبان فيه التضلع بعلم الأصول والفروع ، وعلم الحكمة . وهو موجود رأيته عند بعض العلماء بمليانة ، ورحل إلى مصر واشتهر بها حتى صار مسموع الكلمة نافذ الأمر .

توفي في حدود القرن الحادي عشر على ما سمعناه من بعض الثقات اه .
الشيخ ابن دومة .

سيدي محمد أمقران من أكابر أوليائه ، وهو من القرن العاشر ، يعني آخره ، وأخذ من الحادي عشر ، وكراماته ظاهرة وأحواله باهرة فلا يحتاج لذكرها اه ورتيلاني .

محمدُ ابنُ الأميرِ الجزائري

العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الأمير الجزائري كان فقيهاً عالماً بالأحكام متمكناً من علم الحساب ، ذا دراية بالتوثيق ولسان بليغ .
مات رحمه الله سنة ١٢٤٨ .

محمدُ التواتي

أبو عبد الله سيدي محمد التواتي الذي كان قاطناً بحومة الصباح من عدوة فاس الأندلس ، غير سيدي محمد التواتي الذي كان بسباط الهيادرين من عدوة فاس القرويين ، ودفن بحومة الشرشور منها أيضاً .
أخذ رحمه الله عن الشيخ سيدي الحاج العربي الوزاني ، وظهرت له كرامات وخوارق عادات .
وتوفي يوم الأربعاء ١١ رمضان عام ١٢٦٦ (سلوة) .

محمد التواتي

سيدي محمد التواتي الولي الصالح الشهير الواضح ، ذو الكرامات العديدة
والمناقب الحميدة ، أبو عبد الله سيدي محمد .

كان رحمه الله بساباط الهيادرين من فاس القرويين بحانوت هناك ،
وكان له فتق عظيم مثل الدرلامة العظيمة بين يديه ، وكانت له كرامات واضحة
وأسرار لائحة ، سمعنا بعضها من أفواه الناس .

أخذ عن كبير السادات الشرفاء أهل وزان في وقته الولي الصالح سيدي علي
ابن أحمد ، وبعده عن ولده سيدي الحاج العربي الوزاني ، وأخبرني بعض الثقات
من الأشراف القادرين أنه بات ليلة بوليمة عند بعض الناس ، ثم إنه خرج منها
في جوف الليل ، ومر بحومة النواعرين فوجد سيدي الحاج العربي المذكور
قد بات عند بعض الناس ، وهو يركب في ذلك الوقت على بغلة له ، ومعه
بعض أصحابه قال : فقلت : أذهب معه وأستأنس به في هذا الليل ، قال :
فما وصل إلى درب من الدروب إلا قال لبعض أصحابه : مد يدك إليه وحله
فيحله حتى وصل إلى ساباط الهيادرين الذي به سيدي محمد التواتي ، فقام
سيدي محمد إليه وجعل يندق له ويقول : الله يبارك في عمر سيدي حتى يندق
له ثلاث مرات ، فقال له الشيخ : سيدي الحاج العربي محمد التواتي هل عمر
المشور فقال له : نعم يا سيدي ، فقال له : هل اشتكى بنا أحد؟ فقال له : لا
فكرراً راجعاً من حيث جاء .

قلت : وهذه القضية تدل على أنه من أهل مشور سيدنا ومولانا إدريس
رضي الله عنه ، وناهيك بذلك فإنه لا يحضره إلا الأكابر .

توفي رحمه الله ثاني شوال عام أربعة وخمسين ومئتين وألف (١٢٥٤) ،

ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالزاوية المذكورة يسار محرابها قريباً منه ،
وكسرت العامة أعواد نعشه تبركاً .

محمدُ بنُ الحبيبِ القسطنطيني

العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحبيب .

كان في العلم لا يدرك له غبار ، وأخذ عن أجلة من العلماء الأعيان ،
وغلب عليه الزهد والتصوف بملازمة القطب سيدي عبد الرحمن باش تارزي ،
فتحلى بعلم الباطن ، وبرقت له بارقة من نور الجلال والجمال ، فاتخذ الخلوة
مسكناً والاعتزال وطناً ، ولازم مدرسة سيدي الأخضر حتى نودي للرفيق
الأعلى سنة ١٢٥٢ .

[٢٤٣] محمد الحرشاوي الدرومي

الفقيه النبيه أبو المكارم الوجيه المتأبط لسير المناوي العلامة الفهامة السيد
محمد الحرشاوي الدرومي المدرس بالجامع الأعظم ، أخذ العلم عن أهله ،
والفرع تابع لأصله ، وقد قالوا : بل الفرع خير من الأصل لأن فيه ما في الأصل
وزيادة .

قرأ على أشياخ عديدة منهم شيخ الجماعة بمازونة السيد أحمد بن هني
حفيد الشيخ أبي طالب ، نفعنا الله ببركاته ، أخذ عنه « مختصر خليل » وأجازه
بما سمعه منه ، ومنهم الفقيه السيد العباس بن رحال الدرومي .

أخذ عنه نظم ابن عاشر الذي جمع فيه قواعد الإسلام وشيئاً من العقائد
السنوسية ، ثم ارتحل لفاس ، وحضر في مجالسها العلمية مدة يسيرة ، وإذا

نور الله للعبد السريرة وفتح له البصيرة كان له ذلك في الأيام اليسيرة ، وإذا أعمى له البصيرة أطال له الجلوس على الحصيرة ، وإلى الخسران كان مصيره ، فقد نص في « المعيار » وغيره على أن الإنسان يقام من المدرسة بعد عشرين سنة إذا لم تحصل له نتيجة في فن من الفنون ، والله أعلم اه مشرفي .

محمد بن حسن الجزائري

قال الجبرتي في وفيات سنة ١١٨٧ : ومات العمدة الشاب الصالح الشيخ محمد بن حسن الجزائري ، ثم المدني الحنفي الأزهري .
ولد بمكة إذ كان والده تاجراً بالحرمين في حدود الستين ، وقدم به إلى مصر فلازم الشيخ حسن المقدسي مفتي الحنفية ملازمة كلية ، وانصوى إليه فقرأ عليه المتون الفقهية ، ودرجه في أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى ، حتى كان معيداً لدروسه وكتائباً لسؤالاته ، وربما كتب على الفتوى بإذن شيخه ، وفي أثناء ذلك حضر في المعقول على الشيخ الصعيدي ، والشيخ البيلي ، والشيخ محمد الأمير ، وغيرهما من مشايخ الوقت ، وحصل طرفاً من العلوم ، وصارت له الشهرة في الجملة ، وأعطاه شيخه تدريس الحديث بالصرغتمشية ، فكان في كل جمعة يقرأ فيه البخاري ، وزوجه امرأة موسرة لها بيت بالأزبكية ، وبعد وفاة شيخه تصدر للإقراء في محله ، وصار ممن يُشار إليه ، ولم يزل حتى مات في عنفوان شبابه ، ويقال : إن زوجته سمته (سنة ١١٨٧) .

محمد بن الحسن القلمي

الأستاذ النحوي المحصل التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي [٢٤٤] ابن ميمون التميمي القلمي من قلعة بني حماد . كان جده ميمون قاضياً فيها .

نشأ بالجزائر وقرأ بها ، وانتقل إلى بجاية مستوطناً ، وبها قرأ وبرع ، ولقي فيها مشايخ منهم الشيخ أبو الحسن الحرالي ، والفقير أبو الحسن بن أبي نصر ، والفقير أبو بكر بن محرز ، والفقير أبو المطرف بن عميرة ، وأبو زيد ابن السطاح وغيرهم ، وقرأ بالجزائر على أبي عبد الله بن منداس ، وغيره .

كان في علم العربية بارعاً مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة : النحو واللغة والأدب ، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاً وهم ونهاؤهم ، وتجري فيه المذاكرة المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وغيرها ، وتمضي في ذلك من المعاني المنقحة ما لا يكاد أن يوجد مثله في نوادر الكتب وكان رحمه الله قوياً في علم التصريف ، ومحباً في التعليل ، وكان جارياً فيه على سند أبي الفتح ابن جني ، وكان كثير التلامذة والأصحاب ، وتقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية ، ويقوم على جميعها أحسن قيام .

قال الغبريني : وهو أفضل من لقيت في علم العربية ، لزمته عليه القراءة ما ينيف على أعوام ، واستمعت به كثيراً ، واستفدت منه كثيراً ، قرأت عليه « الإيضاح » من فاتحته إلى خاتمته ، وقرأت عليه قدر النصف من « كتاب سيويه » وقرأت عليه قانون أبي موسى الجزولي ، وقرأت جملة من الأمالي ، ومن « زهر الآداب » ، ومن المقامات ، وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي ، وحضرت قراءة « المفصل » ومضى الميعاد في مدة قراءتي عليه أضعاف أضعاف ما قرأته عليه .

وله كتاب سماه ب « الموضع في علم العربية النحو » وله « تنقيح القانون »
و « نشر الخفي في مشكلات أبي علي » وهو على الإيضاح ، وكان يؤثر كتاب
« الإيضاح » على غيره من الكتب .

وكان فيه فضل وسخاء ومروءة وإنجاب ، وكانت يده ويد الطلبة في
كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها ، وكان في ذلك على نحو قول الأول :

كُتِبِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ مَبْدُولَةً • يَدِي مِثْلُ يَدِهِمْ فِيهَا
فَإِنَّهَا يَا مُحَسِّنُ كُتِبُهُمْ • وَظِيْفَةُ الْأَشْيَاحِ نُمُضِيهَا

وكان سخي الدمع سريع العبرة ، سمعته يقول : إنه رأى رب العزة جل
جلاله في المنام ، فقال له : يا محمد قد غفرت لك ، فقال : يا رب وبماذا ؟
قال : بكثرة دموعك . وكان بارع الخط حسن الشعر ، ومن نظمه رحمه الله
في الزهد ومدح النبي ﷺ :

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ بَانُوا قَوَادِكُ مُغْرَمٌ • وَقَلْبُكَ خَفَّاقٌ وَدَمْعُكَ مُسْجِمٌ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ جَسْمَكَ مَنَجِدٌ • وَقَلْبُكَ مَعَ مَنْ سَارَ فِي الرُّكْبِ مُتِمٌ

[٢٤٥] ومن قائل في نظمه متعجباً •

وَجَسْمٌ بَلَ قَلْبٍ فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ • فَعَيْتُ ثَوِي الْمَحْبُوبُ يَثْوِي الْمَيْتُ

وَمَا ضَرَّهْمُ لَوْ وَدَّعُوا يَوْمَ أَوْدَعُوا • قَوَادِي بَتَذَكَارِي الصَّبَابَةِ يُضْرَمُ

عَسَاهُمْ كَمَا أَبَدُوا صُدُوداً وَجَفْوَةً • يَعُودُونَ لِلْوَصْلِ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُ

وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ دَعْوَةَ مَذْنَبٍ • عَسَى أَنْظَرُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَالْثَمُ

فِيَا طَوْلَ شَوْقِي لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ • وَيَا شَدَّ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَيَكُفُّمُ

تَوَهَّمْتُ مِنْ طَوْلِ الْحَسَابِ وَهَوْلِهِ • وَكَثْرَةِ ذَنْبِي كَيْفَ لَا أَتَوَهَّمُ

وَقَدْ قَلْتُ حَقًّا فَاسْتَمِيعْ لِمَقَالَتِي • فَهَلْ تَائِبٌ مِثْلِي بِصَبْحٍ وَبِفَهْمِ

وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ أَوْضَحُ حُجَّةٍ • وَمَا تَمَّ إِلَّا جَنَّةٌ أَوْ جَهَنَّمُ

إليك رسول الله أرفع حاجتي * فانت شفيع الخلق والخلق يرسم
 فقد سارت الركبان واغتموا المنى * واني من دون الخلائق محرم
 فيا سامع الشكوى اقلني عثرتي * فانك يا مولاي تفو وترحم
 ويا سامعي استوهبوا لي دعوة * عسى عطفة من فضله تتنسم
 وهبني عصيت الله جهلاً وصبوة * فمن يقبل الشكوى ومن يترحم
 وقد أثقلت ظهري ذنوباً عظيمة * ولكن عفواً الله أعلى وأعظم
 وأختم نظمي بالصلاة مردداً * على خير خلق الله ثم أسلم

ومن شعره أيضاً في هذا المعنى :

الخبرُ أصدقُ في المرأى من الخبرِ * فهدِ العنبرَ ليس العينُ كالأثرِ
 واعملْ لأخرى ولا تبخلْ بمكرمةٍ * فكلُّ شيءٍ على حدٍّ إلى قدرِ
 واخلُ عن زمنٍ تخشى عواقبه * إنَّ الزمانَ إذا فكَّرتَ ذو عَبرِ
 وكلُّ حيٍّ وإن طالت سلامته * يفتاله الموتُ بين الوردِ والصدْرِ
 هو الجِمامُ فلا تُبعدْ زيارته * ولا تقلْ ليتني منه على حذرِ
 يا ويح مَنْ غرَّه دهرٌ فسَّرَ بهِ * لم يُخلصِ الصفو إلا شيبَ بالكدرِ
 انظر لمن تنظرُ آيةً عجيباً * وعبرةً لأولي الألبابِ والعَبرِ
 أين الألى جنبوا خيلاً مسومةً * وشيدوا إرمًا خوفًا من القدرِ
 لم تُغنهم خيلهم يوماً وإن كثرتْ * ولم تُفدِ إرمًا للحادثِ النكرِ
 بادوا فعادوا حديثاً إنَّ ذا عَجَبُ * ما أوضحَ الرشدَ لولا سيءَ النظرِ
 تذهبُ الناسُ في الدنيا وقد علموا * أنَّ المقامَ بها كاللَّمعِ بالبصرِ
 أودى بداراً وأودى بعدُ ذا يـزنِ * وفـل عتـرُ هرقل إنَّه لحرِ
 لم يفديه شيئه مالٌ ولا ولدٌ * ومزقته يدُ التَّشيتِ في الأثرِ
 وفكَّرن في ملوكِ العربِ من يَمَنِ * ولتعتبرِ بملوكِ الصِّينِ من مُضَرِ
 أفانهمُ الدهرُ أولاهمُ وآخرهم * لم يبقَ منهم سوى الأسماءِ والسِّيرِ

وكان يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس ، وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي ، وكانا يتراسلان الأشعار ، وكل واحد منهما على طريقته ، فكان الأستاذ رحمه الله ينحو نحو حبيب ، والأديب أبو عبد الله الجزائري ينحو نحو المتنبي ، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحد منهما ما يستظرف معناه ويروق محياه .

وشهرته بالأديب سمّاه بذلك الشيخ أبو الحسن الحرالي ، وذكر أن سبب هذه التسمية أنه جرى بين يدي الشيخ رضي الله عنه ما قاله الرجل : وأترك الريحان برحمة الرحماء للعاشقين ، وتكلم في معناه فقال بعض من حضر : أشار إلى العذار لأن ولوع القائل كان به ، قال : فقلت : إنما أشار إلى دوام العهد ، لأن الأزهار كلها تنقضي أزمانها ، والريحان يدوم عهده ، فاستحسن ذلك الشيخ رحمه الله ، وقال : أنت أديب ، فجرى عليه اسم الأديب ، وهو أكثر الناس شعراً ، وقد شرع في تدوين شعره في عام ثلاثين وست مئة (٦٣٠) ، وهو في كل عام يقول منه ما يكتب في ديوان ، وعاش بعد شروعه في تدوين شعره ثلاثة وأربعين سنة ، ولو تم له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ، ولكن بأيدي الناس منه كثير ، وتواشيحه حسنة جداً .

وتوفي رحمه الله ببجاية عام ثلاثة وسبعين وست مئة (٦٧٣) .

مُحمَّدُ بنُ حَسَنِ التَّلْمَسَانِي

محمد بن حسن بن محمد اليحصبي أبو عبد الله ، يعرف بابن الباروني ، من أهل تلمسان .

أخذ بفاس عن أبي الحسن الصغير وأبي زيد الجزولي ، والأستاذ يوسف الجزولي ، وأبي زيد الرجراجي ، وحضر « الموطأ » على المزدغي ، وكان من

صدور الفقهاء .

توفي بتلمسان ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة (٧٣٤) .

هكذا كتبه لي صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب رحمه الله ، وفي مشيخة المقرئ : محمد بن حسين البروني الشيخ أبو عبد الله قدم علينا من الأندلس وأقام بتلمسان إلى أن مات ، وسمعه يقول : البقر العدوية كالإبل المهملة في الصحراء ، لا يجوز بيعها بالنظر إليها ، لكن بعد أن تمسكها وتستولي عليها اه فتأمله أهو الذي قبله أم لا .

[٢٤٧] مُحَمَّدُ بْنُ حَوَاءِ الْمُسْتَفَانِي

الإمام والقدوة الهمام من ألفت إليه العلوم العربية زمامها ، ونشرت عليه المعارف القدسية أعلامها حتى تضلع من عذب مواردنا وارتوى ، الولي الشهير سيدي محمد بن حواء هكذا شهر بأمه ، وإلا فهو سيدي محمد بن قدار بن الجيلاني بن عبد الله بن أحمد التوجيني نسباً المستفاني منشأ وداراً .

كان رحمه الله ورضي عنه ممن جمع الله له بين العلم والعمل ، فنال بذلك عند الله الرتبة العليا والمقام الأمثل ، وله يد طولى وولوع بالمنظوم ، فإذا نظم فخل عنك اللآلي وزهر النجوم ، فن منظوماته الشهيرة البديعة غوثيته الكبرى التي هي في الشدائد حصن منيع ، وهي تحتوي من الأبيات على أربع مئة أولها :

يقولُ راجي ربه العفو * مُحَمَّدُ الشَّهِيرُ بَابِنِ حَوَاءِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الطَّوْلِ * الواسعِ الجودِ العميمِ الفضلِ
الصَّادِقِ الوعدِ اللطيفِ البرِّ * المستجيبِ دعوةِ المضطرِّ

إلى أن قال :

ثُمَّ أَهْدِي لِلرَّسُولِ الْخَاتَمِ * أَزْكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الدَّائِمِ

محمد المحمود ماحي الكفر • سب كل منحة وخبر
 سلطان أهل حضرة القدوس • الرفع المسخ وكل بسوس
 روح الوجود باذل الموجد • أسنى القصور كعبة الوفود
 ومطلع الأنور والمعارف • ومنبع الأسرار واللطف
 وعنصر العلوم والعرفان • وقدوة الأقطاب والأعيان

إلى أن قال :

وبعدُ فالدُّعاء سلاحُ المؤمنِ • وجنةُ حصينةٌ للموقنِ
 لا سيمًا إن حصَلَ اختلال • في الدينِ والفتنِ والأهوالِ

إلى أن قال :

يا سامعَ الدعاءِ يا قديرُ • يا مَنْ إليه ترجعُ الأمورُ
 يا مالكَ الملوكِ يا جبارُ • انصُرْ ذليلاً ما له أنصارُ

إلى آخره .

وله منظومة عجيبة سماها « سبيكة العقيان فيمينا في مستغانم وأحوازها من العلماء الأعيان » لكنها لم تحضرني ولا استحضرت طالعها الآن ، وذكر لي بعضهم أن له تأليفاً في فن الحكمة لم أقف عليه ، كان رحمه الله تعالى من أعيان أواخر القرن الثاني عشر ، كما يعلم من تاريخه لفراغه من الغوثية المذكورة بأواخر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومئة وألف (١١٦٧) .

وأما تاريخ وفاته فلم أقف عليه ، ومدفنه بفحص البلد خارج السور بمستغانم ، وعليه قبة مشهورة ، ويتبرك بقبره ويزار ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

الشيخ أبو عبد الله محمد الحفصي .

كان عالماً عارفاً بارعاً في المنقول والمعقول ، حافظاً الحديث مدركاً لرقائقه وعلله ورجاله .

أخذ عن الشيخ صالح الكواشي بتونس ، ورجع لقسنطينة فتولى القضاء ، وألف حاشية عظيمة على « السلم » في المنطق ، وله تقايد في سائر الفنون توفي في حدود سنة ١٢٢٦ .

محمد بن الخضر الاغريسي

الفقيه الشريف العالم المنيف المسن البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن الخضر الاغريسي الحسني . كان رحمه الله فقيهاً مدرساً يقرأ مع بعض الطلبة ما تيسر بجامع الرصيف وغيره ، ويؤم بجامع أعلا عقبة بن صوال ، وكان مسناً أشيب ضعيف الصوت جداً ، لا يكاد يسمعه من يليه .

توفي ثامن عشر رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بالفدان المذكور قريباً من قبة سيدي علي ، وبني عليه شاهد صغير وجعل بوسطه تاريخه .

محمد بن خميس التلمساني

قال لسان الدين ابن الخطيب في « عائد الصلة » في حق أبي عبد الله محمد ابن خميس التلمساني المذكور ما صورته : كان رحمه الله تعالى نسيجاً وحده زهداً وانقباضاً وأدباً وهمة ، حسن الشبهة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع ،

بعيداً عن الرياء ، عاملاً على السياحة والعزلة ، عارفاً بالمعارف القديمة مضطلعاً بتفاريق النَّحْل ، قائماً على العربية والأصلين ، طبقة الوقت في الشعر ، وفحل الأوان في المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ثم ذكر من أحواله جملة إلى أن قال : وبلغ الوزير أبا عبد الله بن الحكيم أنه يروم السفر فشق ذلك عليه ، وكلفه تحريك الحديث بحضرته ، وجرى ذلك فقال الشيخ : أنا كالدّم أتحرك في كل ربيع . انتهى .

[٢٤٩] وقال ابن خاتمة في « مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية » : أنه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لبات الأفاق ، وتنفت عنها صدور الرفاق ، وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء ، يرتكب مستصعبات القوافي ويطيّر في القريض مطار ذي القوادم الباسقة والخوافي ، حافظاً لأشعار العرب وأخبارها ، وله مشاركة في العقليات واستشراف على الطلب ، وقد لإقراء العربية بحضرة غرناطة ، ومال بأخرة إلى التصوف والتجوال والتحلي بحسن السميت ، وعدم الاسترسال بعدطي بساط ما فرط له في بلده من الأحوال ، وكان صَنَعَ اليدين .

حدثني بعض من لقيت من الشيوخ أنه صنع قدحاً من الشمع على أبداع ما يكون في شكله ولطافة جوهره وإتقان صنعته ، وكتب بدائر شفته :

وما كنتُ إلا زهرةً في حديقةٍ . تبسّمُ عني ضاحكات الكمامِ
تنقلتُ من طورٍ لطورٍ فيها أنا . أقبلُ أفواهَ الملوكِ الأعظمِ

وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات بن الحاج ، وحكى لنا قال : أنشدني أبو عبد الله بن خميس ، وحكى لي قال : لما وقفت على الجزء الذي ألفه ابن سبعين وسماه بالفقيرية كتبتُ على ظهره :

الفقرُ عندي لفظٌ دقٌّ معناه * من رامَهُ من ذوي الغاياتِ عناهُ
 كمّ من غبيّ بعيدٍ عن تصوُّره * أرادَ كشفَ معناهُ فعمَّاهُ
 وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن لبون غير مرة قال : سمعت أبا
 عبد الله ابن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال : إنهما لابن الرومي :
 رَبُّ قَوْمٍ فِي مَنَازِلِهِمْ * غُررَ صَارُوا بِهَا غُررًا
 سَتَرَ الْإِحْسَانَ مَا بِهِمْ * سَتَرَى لَوْ زَالَ مَا سَتَرَ
 ثم قال ابن خاتمة : وقد جمع شعره ودونه صاحبنا القاضي أبو عبد الله
 محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه « الدر النفيس في شعر ابن خميس »
 وعرف به صدره ، وقدم ابن خميس المريّة سنة ست وسبع مئة فتزل بها في
 كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم ، فوسع له
 في الإيثار والمبرة ، وبسط له وجه الكرامة طلق الأسرة وبها قال في مدح الوزير
 المذكور قصيدته التي أولها :

العشيّ تعيّا والنوابِغُ * عن شُكْرِ أَنْعَمِكِ السَّوَابِغُ
 ووجه بها إليه وهي طويلة ومنها :
 ودسائِعِ ابنِ كَمَاشَةِ * مَعَ كُلِّ بَازِغَةٍ وَبَازِغُ
 تأتي بما تهوى النغصا * نَغُ مِنْ شَهِيَّاتِ اللِّغَالِغُ
 ومنها :

ما ذاقَ طَعْمَ بَلَغَةِ * مَنْ لَيْسَ لِلْحُوشِيِّ مَاضِغُ
 ويقال : إن الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها
 وهو قوله :

لَمَنِ الْمَنَازِلُ لَا يُجِيبُ صَدَاهَا * مُحِبَّتُ مَعَالِمِهَا وَصُمَّ صَدَاهَا

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة ، ثم لم يزد على ذلك إلى أن توفي رحمه الله تعالى فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى منعه ، وآذن أولاه بحضور أخراه ، وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلاً ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبع مئة (٧٠٨) وهو ابن نيف وستين سنة ، وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم ، أصابه قاتله بحقده على مخدومه ، وكان آخر ما سمع منه : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ، واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ، فكان يصيح ويستغيث : ابن خميس بطلبي ، ابن خميس يضربني ، ابن خميس يقتلني وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال ، نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصاً .

(وحكى) غيره أن بعضهم كتب بعد قوله : لمن المنازل لا يجيب صداها ما نصه لابن الحكيم : ومن بديع نظم ابن خميس قوله :

تُراجِعُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ • وتَسْأَلُهَا الْعُتْبَى وَهِيَ فَارِكُ
تُؤَمِّلُ بَعْدَ التَّرِكِ رَجَعَ وِدَادِهَا • وَعَمْرٌ وِدَادٍ مَا تَوَدُّ التَّرَائِكُ
حَلَا لَكَ مِنْهَا مَا حَلَا لَكَ فِي الصَّبَا • فَأَنْتَ عَلَى حَلَوَائِهِ مَتَهَالِكُ
تَظَاهَرُ بِالسَّلْوَانِ عَنْهَا تَجَمُّلاً • وَقَلْبِكَ مَحْزُونٌ وَتَغْرُكُ ضَاكِحُ
تَنَزَّهَتْ عَنْهَا نَخْوَةٌ لَا زَهَادَةٌ • وَشَعْرَ عِذَارِي أَسْوَدُ اللَّوْنِ حَالِكُ

وهي طويلة طنانة في آخرها يقول :

فَلَا تَدْعُونَ غَيْرِي لِدَفْعِ مُلْمَةٍ • إِذَا مَا دَهَى مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ دَاهِكُ
فَمَا إِنْ لِدَاكَ الصَّوْتِ غَيْرِي سَامِعٌ • وَمَا إِنْ لِبَيْتِ المَجْدِ بَعْدِي سَامِكُ
يَنْصُ وَيَشْجِي نَهْشَلٌ وَمَجَاشِعٌ • بِمَا أَوْرَثَنِي جِمْبِرٌ وَالسَّكَاسِكُ
نَفَارِقِي الرُّوحَ الَّتِي لَسْتُ غَيْرَهَا • وَطِيبُ ثَنَائِي لِاصْتِقُ بِي صَائِكُ

وما ذا عسى ترجو لداتي وأرتجسي * وقد شمطت مني اللحي والأفانك
يعود لنا شرح الشباب الذي مضى * إذا عادَ للدنيا عقيلٌ ومالكُ
ومما اشتهر من نظمه قوله :

[٢٥١] أرق عيني بارق من اثال * كأنه في جنح ليلى ذبال
أثار شوقاً في ضمير الحشا * وعبرتي في صحن خدي أسال
حكى قوادي قلقاً واشتعال * وجفن عيني أرقاً وانهمال
جوانح تفتح نيرانها * وأدمع تهيل مثل العزال
قولوا وشاة الحب ما شتم * ما لذة الحب سوى أن يقال
عذراً للوأمي ولا عذر لي * فزلة العالم ما إن تقال
قم تطرد الهم بمشولته * تقصر الليل إذا الليل طال
وعاطها صفراء ذميمة * تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحاً واللمى مطعماً * والتبر لونا والهوى في اعتدال
عقها في الدن خمارها * والبكر لا تعرف غير الحجال
لا تثقب المصباح لا واسقني * على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء ما بينهما كالخيال
خذها على تنعيم مسطارها * بين خوايبها وبين السدوال
في روضة باكر وسميها * أحمل دارين وأنسى أوال
كان فأر المسك مفتوحة * فيها إذا هبت صبا أو شمال
من كف ساجي الطرف الحاظه * مفوقات أبداً للنضال
من عاذري والكُل لي عاذر * من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبي الوعد كذابه * لبيان لا يعرف غير المطال
كأنه الدهر وأي امرىء * يبقى على الدهر إذا الدهر حال
أما تراني آخذاً ناقضاً * عليه ما سوغني من مُحال

ولم أكن قط له عائباً • كمثل ما عابته قبلي رجال
 يابى ثراء المال علمي وهمل • يجتمع الضدان علم ومال
 وتأنف الأرض مقامي بها • حتى تهاداني ظهور الرحال
 لولا بنو زيان ما لذ لي الـ • عيش ولا هانت علي الليال
 هم خوفوا الدهر وهم خففوا • على بني الدنيا خطاه الثقال
 لقيت من عامرهم سيئداً • غمر رداء الحمد جم النوال
 وكعبة للجود منصوبة • يسمي إليها الناس من كل بال
 خذاها أبا زيان من شاعرٍ • مُستلمح النزعة عذب المقال
 يلتقط الألفاظ لقط النوى • وينظم الآلاء نظم اللال
 مجارياً مهيأ في قوله • ما كنت لولا طمعي في الخيال

وقصيدة مهيأ مطلعها :

ما كنت لولا طمعي في الخيال • أنشد ليلى بين طول الليالي
 ومن نظم ابن خميس قوله :

نظرت إليك بمثل عيني جودر • وتبسمت عن مثل سمطي جوهر
 عن ناصع كالدرد أو كالبرق أو • كالطلع أو كالأقحوان مؤشر
 تجري عليه من لماها نطفة • بل خمرة لكنها لم تُعصر

[٢٥٢] لو لم يكن خمرأ سلفاً ريقها • تزري وتلعب بالتهي لم تخطر
 وكذاك ساجي جفنها لو لم يكن • فيه مهند لحظها لم يُحذر
 لو عجت طرفك في حديقة خدّها • وأمنت سطورة صدغها المتنمر
 لرتعت من ذاك الحمى في جنة • وكرعت من ذاك اللعى في كوثر
 طرفتك وهناً والنجوم كأنها • حصباء در في بساط أخضر
 والركب بين مصعد ومصوب • والنوم بين مسكن ومنقـر

بيضا إذا اعتكرت ذوائبُ شعرها * سَفَرَتْ فَأَزْرَتْ بِالصَّبَاحِ الْمَسْفِرِ
 سَرَحَتْ غَلَاثِلُهَا فَقَلْتُ سَيِّكَةً * مِنْ فِضَّةٍ أَوْ دَمِيَّةٍ مِنْ مَرْمَرِ
 مَنْحَتِكَ مَا مَنْعَتِكَ يَقْظَانَا فَلَمْ * تَخْلُفْ مَوَاعِدَهَا وَلَمْ تَنْغَيِّرِ
 وَكَأَنَّمَا خَافَتْ بُغَاةَ وُشَاتِهَا * فَآتَتْكَ مِنْ أَرْدَافِهَا فِي عَسْكَرِ
 وَيَجْزَعُ ذَاكَ الْمَنْحَى أَدْمَانَةً * تَعْطُو فَتَسْطُو بِالْهَزْبِ الْقَسُورِ
 وَتَحِيَّةٌ جَاءَتْكَ فِي طِيِّ الصَّبَا * أَذْكَى وَأَعْطَرَ مِنْ شَمِيمِ الْعَنْبَرِ
 جَرَّتْ عَلَى وَادِيكَ فَضْلَ رَدَائِهَا * فَعَرَفْتَ فِيهَا عَرَفَ ذَاكَ الْإِذْخِرِ
 هَاجَتْ بِلَابِلُ نَازِحٍ عَنِ الْفِهِ * مَتَشَوِّقٍ ذَاكِي الْحَشَى مَتَسَعِّرِ
 وَإِذَا نَسِيتَ لِيَالِي الْعَهْدِ التِّي * سَلَفَتْ لَنَا فَتَذَكَّرِيهَا تَذَكَّرِي
 رُحْنَا تُغْنِينَا وَنَرَشِفُ ثَغَرَهَا * وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِثْلَ عَيْنِ الْأَخْزِرِ
 وَالرَّوْضُ بَيْنَ مَفْضُضٍ وَمَعْسَجِدٍ * وَالْجَوْ بَيْنَ مَمْسَكٍ وَمَعْصَفِرِ

وكان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان المريني رحمه الله تعالى كثير العناية
 بنظم ابن خميس وروايته ، قال رحمه الله تعالى : أنشدنا القاضي خطيب حضرتنا
 العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصاراة - بمنه الله - قال : أنشدنا
 بلفظه شيخ الأدباء فحل الشعراء أبو عبد الله بن خميس لنفسه :

أَنْبَتْ وَلَكِنْ بَعْدَ طَوْلِ عِتَابِ * وَفَرَطٍ لِحَاجِ ضَاعَ فِيهِ شِبَابِي
 وَمَا زَلْتُ وَالْعِلْيَاءُ تُعْنِي غَرِيمَهَا * أُعْلَلُ نَفْسِي دَائِمًا بِمَتَابِ
 وَهِيَّاتَ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَشَرْخِهِ * يَلْدُ طَعَامِي أَوْ يَسُوعُ شِرَابِي
 خُدَعْتُ بِهَذَا الْعَيْشِ قَبْلَ بِلَانِسِهِ * كَمَا يُخْدَعُ الصَّادِي بِلَمْعِ سِرَابِ
 تَقُولُ هُوَ الشَّهْدُ الْمَشُورُ جِهَالَةً * وَمَا هُوَ إِلَّا السَّمُّ شَيْبَ بَصَابِ
 وَمَا صَحِبَ الدُّنْيَا كَبْكَرٍ وَتَغْلِبِ * وَلَا كَكَلِبِ رِيءٍ فَحَلُّ ضِرَابِ
 إِذَا كَعَّتِ الْأَبْطَالُ عَنْهَا تَقَدَّمُوا * أَعَارِبَ غُرًّا فِي مَتُونِ عِرَابِ

[٢٥٣]

وإن نابَ خطبٌ أو تفاقمٌ مُعْضِلٌ * تلقَّاهُ منهم كلُّ أُصَيْدٍ نَابِ
 تراءتْ لِحسَّاسٍ مَخِيلَةٌ فَرَصَةٌ * تَأْتَتْ لَهُ فِي جَيْتِهِ وَذَهَابِ
 فجاءَ بها شوهاءٌ تُنذِرُ قَوْمَهَا * بتشييدِ أَرْجَامٍ وَهَدْمِ قَبَابِ
 وكانَ رِغَاءُ الصَّقْبِ فِي قَوْمٍ صَالِحٍ * حَدِيثًا فأنسَاهُ رِغَاءُ سَرَابِ
 فما تسمعُ الآذَانَ فِي عَرصَاتِهِمْ * سَوَى نوحٍ ثَكْلَى أَوْ نَعِيبِ غُرَابِ
 وسلَّ عروءةَ الرِّحَالِ عَن صَدَقِ بَاسِهِ * وَعَن بَيْتِهِ فِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ
 وكانتْ عَلَى الأَمْلَاقِ مِنْهُ وَفَادَةٌ * إِذَا آبَ مِنْهَا آبٌ خَيْرَ مَآبِ
 يُجِيرُ عَلَى الحَيِّينَ قَيْسٍ وَخَنْدَفِ * بِفَضْلِ يَسَارٍ أَوْ بِفَضْلِ خِطَابِ
 زَعَامَةٌ مَرَجُو النُّوَالَ مُؤَمَّلِي * وَعِزْمَةٌ مَسْمُوعِ الدُّعَاءِ مُجَابِ
 فَمَرَّ بِزَجِيَّهَا حِوَّاسٌ ظَلَمَ عَاسًا * بِمَا حَمَلُوهَا مِنْ مَنَى وَرِغَابِ
 إِلَى فِدْكِ وَالْمَوْتِ أَغْرَبُ غَايَةٌ * وَهَذَا المَنَى يَأْتِي بِكُلِّ عُجَابِ
 تَبْرَضُ صَفْوِ العَيْشِ حَتَّى اسْتَشْفَهُ * فِدَافَ لَهُ البَرَّاضُ قَشْبِ حِجَابِ
 فأصبحَ فِي تِلْكَ المِعَاطِفِ نَهْزَةً * لَهَبِ ضِبَاعٍ أَوْ لِنَهَشِ ذِنَابِ
 وَمَا سَهْمُهُ عِنْدَ النِّصَالِ بِأَهْزَعِ * وَلَا سِيفُهُ عِنْدَ الصِّراعِ بِنَابِ
 وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا تَكُرُّ عَلَى الفَتَى * وَإِنْ كَانَ مِنْهَا فِي أَعْزِ نِصَابِ
 وَعَادَتُهَا أَنْ لَا تَوْسُطَ عِنْدَهَا * فإمَّا سَمَاءٌ أَوْ تَخُومٌ تُرَابِ
 فَلَا تَرَجُ مِنْ دُنْيَاكَ وَدَاً وَإِنْ يَكُنْ * فَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ ظِلِّ سَحَابِ
 وَمَا الحِزْمُ كُلُّ الحِزْمِ إِلَّا اجْتِنَابُهَا * فَأَشَقَى الوَرَى مَنْ تَصَطَّفِي وَتَحَابِي
 أَيْتُ لَهَا مَا دَامَ شَخْصِي أَنْ تُرَى * تَمْرٌ بِيَابِي أَوْ تَطُورِ جَنَابِي
 فَكَمْ عَطَلْتُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ * وَكَمْ فَرَّقْتُ مِنْ أُسْرَةٍ وَصَحَابِ
 وَكَمْ عَفَّرْتُ مِنْ حُسْرٍ وَمُدَجَّجِ * وَكَمْ أَثَكَلْتُ مِنْ مُعْصِرِ وَكِعَابِ
 إِلَيْكُمْ بَنِي الدُّنْيَا نَصِيحَةٌ مُشْفِقِي * عَلَيْكُمْ بِصِيرٍ بِالأُمُورِ نِقَابِ
 طَوِيلِ مِرَاسِ الدَّهْرِ جَذَلٍ مِمَّا حَكِ * عَرِيضِ مَجَالِ الأَهْمِ جِلْسِ رِكَابِ

تَأْتَتْ لَهُ الْأَهْوَالُ أَدْهَمَ سَابِقاً * وَغَصَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي
وَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي عَلَى الدَّهْرِ عَاتِبٌ * فَأَعْظَمُ مَا بِي مِنْهُ أَيْسَرُ مَا بِي
وَمَا أَسْفَى إِلَّا شَبَابٌ خَلَعْتُهُ * وَشَيْبٌ أَمَى إِلَّا نُصُولَ خِضَابِ
وَعَمْرٌ مَضَى لَمْ أَحَلْ مِنْهُ بَطَائِلِي * سَوَى مَا خَلَا مِنْ لَوْعَةٍ وَتَصَابِي
لِيَالِي شَيْطَانِي عَلَى الْغِيِّ قَادِرٌ * وَأَعَذِبُ مَا عِنْدِي أَلِيمٌ عَذَابِ
عَكْسَنَا قَضَايَانَا عَلَى حُكْمِ عَادِنَا * وَمَا عَكْسُهَا عِنْدَ النَّهْيِ بِصَوَابِ
عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ أَرْكَى تَحِيَّةٍ * فَتَلْكَ الَّتِي أَعْتَدْتُ يَوْمَ حِسَابِ
فَتَلْكَ عِتَادِي أَوْ ثَنَاءَ أَصَوغُهُ * كَدَّرْتُ سَحَابِ أَوْ كَدَّرْتُ سَخَابِ

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله :

عَجَبًا لَهَا أَيْدِيقُ طَعْمٍ وَصَالِهَا * مَنْ لَيْسَ بِأَمَلٍ أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلَّةِ سَاعَةٍ * مِنْهَا وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
كَمْ ذَادَ عَنِّي الْكِرَامُ تَأَلَّقُوا * يَبْدُو وَيُخْفَى فِي خَفِيِّ مِطَالِهَا
يَسْمُو لَهَا بَدْرُ الدُّجَى مُتَضَائِلًا * كَتَضَاوُلِ الْحَسَنَاءِ فِي أَسْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ يَقْبَسُ نَارَهَا * لِيَلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيْفُ خِيَالِهَا * فَتُصَيِّنِي الْحَاظُّهَا بِنِبَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٌ جَادَتْ بِهَ فَكَأَنَّمَا * زُقَّتْ عَلَيَّ ذُكَاةُ وَقْتِ زَوَالِهَا
أَسْرَى فَعَطَّلَهَا وَعَطَّلَ شُهْبَهَا * بِأَبِي شَذَا الْمِعْطَارِ مِنْ مِطَالِهَا
وَسَوَادُ طُرَّتِهِ كَجُنْحِ ظَلَامِهَا * وَبِيَاضُ غُرَّتِهِ كَضَوْءِ هِلَالِهَا
دَعْنِي أَشْمُ بِالْوَهْمِ أَدْنَى لَمْعَةٍ * مِنْ ثَغْرِهَا وَأَشْمُ مَسْكَةَ خَالِهَا
مَا رَادَ طَرْفِي فِي حَدِيقَةِ خَدِّهَا * إِلَّا لِفَتْتِهِ بِحُسْنِ دَلَالِهَا
أَنْسِيبَ شِعْرِي رِقًّا مِثْلَ نَسِيمِهَا * فَشَمُولِ رَاحِكِ مِثْلَ رِيحِ شِمَالِهَا
وَأَنْقُلُ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَأُشْرِحُ غَرِي * بِبَ لِفَاتِهَا وَادْكُرُّ ثَقَاتَ رَجَالِهَا

[٢٥٤]

وإذا مرت برامةً فوق من • أطلاتها وتمش في أطلالها
 وأنصب لمغزليها حباله قانس • ودع الكرا شركاً لصيد غزالها
 وأسئل جداولها بفيض دموعها • وانضح جوانحها بفضل سجالها
 أنا من بقية معشر عركتهم • هذي النوى عرك الرحي بثقالها
 أكرم بها فئة أريق نجيعها • بغياً فراق العين حُسن مآلها
 حلت مُدامةً وصلها وحلت لهم • فإن انتشوا فبحلوا وحلالها
 بلغت بهر مس غايه ما نالها • أحد وناء لها لبعدي منالها
 وعدت على سقراط سورة كأسها • فهريق ما في الدن من جريالها
 وسرت إلى فاراب منها نفحة • قدسيه جاءت بنخبه آلهها
 ليصوغ من الحايه في حايها • ما سوغ القسيس من أرمالها
 وتغلغت في سهورده فأسهرت • عيناً يورقها طروق خيالها
 فخبا شهاب الدين لما أشرق • وخوى فلم يثبت لنور جلالها
 ما جن مثل جنونه أحد ولا • سمعت يد بيضا بمثل نوالها
 وبدت على الشوذي منها نشوة • ما لاح منها غير لمعة آلهها
 بطلت حقيقته وحالت حاله • فيما يُعبر عن حقيقه حالها
 هذي صابتهم ترق صابته • فيروق شاربها صفاء زلالها

وهي طويله قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى : أخبرني شيخنا الإمام
 العالم العلامة وحيد زمانه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأيلي رحمه الله تعالى
 قال : لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التمني التلمساني إلى بلاد
 المشرق ، اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، فكان
 من قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ، وجعل يحليه
 بأحسن الأوصاف ، ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجباً ،
 وقال : من يكون هذا الذي حلّتموه بهذا الحلّي ؟ ولا أعرفه ببلده ، فقال له :

هو القائل : عجباً لها أيدوقُ طعم وصالها ، قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم إنما هو عندنا شاعر فقط ، فقال له : إنكم لم تنصفوه ، وإنه لحقيق بما وصفناه به ، قال السلطان : وأخبرنا شيخنا الإبي المذكور أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلق موضع جلوسه للمطالعة ، وكان يخرجها من تلك الخزانة ، ويكثر تأملها والنظر فيها ، ولقد تعرفت أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة تقي الدين المذكور لم يقرأها حتى قام إجلالاً لها . انتهى :

وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أرجاءها أنواء نيسان ، كثيراً ما يتشوق لمشاهدها ويتأوه من تذكره لمعاهدها ، وينشد القصائد الطنانية في ذلك سالكاً من الحنين إليها المسالك ، فمن ذلك قوله :

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو	•	مئى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
وداري بها الأولى التي حيل دونها	•	مثار الأسي لو أمكن الحق اللبخ
وعهدي بها والعمر في عنفوانه	•	وماء شبابي لا أجين ولا مطبخ
قرارة تهيام ومغني صبابه	•	ومعهد أنس لا يلدُّ به لطبخ
إذ الدهر مثنى العنان منهنه	•	ولا ردع يُثني من عنان ولا ردخ
ليالي لا أصغي إلى عدل عاذل	•	كأن وقوع العدل في أذني صمخ
معاهد أنس عطلت فكانته	•	ظواهر ألفاظ تعمدها النسوخ
وأربع آلاف عفا بعض آيه	•	كما كان يعرف بعض الواحنا اللطخ
فمن يك سكراناً من الوجد مرة	•	فإنني منه طول دهري للتمخ
ومن يقتدح زنداً لموقد جذوة	•	فزند اشتياقي لا عفار ولا مرخ
أنسى وقوفي لا هياً في عراضها	•	ولا شاغل إلا التودع والسبخ
والأختيالي ماشياً في سماطها	•	رخبياً كما يمشي بطرته السرخ
والأفعدوي مثل ما ينفر الطلا	•	وليداً وحجلي مثل ما ينهض الفرخ

[٢٥٦]

كَأَنِّي فِيهَا أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِيكَ ۞ وَلَا مُلْكَ لِي إِلَّا الشَّيْبَةُ وَالشَّرْخُ
 وَإِخْوَانُ صَدَقٍ مِنْ لِدَاتِي كَأَنَّهُمْ ۞ جَاذِرُ رَمْلِ لَا عَجَافٌ وَلَا بُزْخُ
 وَعَاةٌ لَمَّا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْهُدَى ۞ وَعَنْ كُلِّ فَحْشَاءٍ وَمَنْكَرَةٍ صُلْخُ
 هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ سَيَّانٍ فِي الْعَلَا ۞ شَبَابُهُمُ الْفَرْغَانُ وَالشَّيْخَةُ السُّلْخُ
 مَضَوْا وَمَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَنْسَاهُ ۞ وَمَرَّ الصَّبَا وَالْمَالُ وَالْأَهْلُ وَالْبَذْخُ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا لِأَقْلَامِهِمْ بِهَذَا ۞ صَرِيرٌ وَلَمْ يُسْمِعْ لِأَكْثَبِهِمْ جَبْخُ
 وَلَمْ يَكُ فِي أَرْوَاحِهَا مِنْ ثَنَائِهِمْ ۞ شَمِيمٌ وَلَا فِي الْقَضْبِ مِنْ لِينِهِمْ مَلْخُ
 وَلَا فِي مُحْيَا الشَّمْسِ مِنْ هَدْيِهِمْ سَنَا ۞ وَلَا فِي جَبِينِ الْبَدْرِ مِنْ طَيْبِهِمْ ضَمْخُ
 سَعَيْتُمْ بَنِي عَمُورٍ فِي شَتِّ شَمَلِنَا ۞ فَمَا تَجْرُكُمْ رِبْحٌ وَلَا عَيْشُنَا رِبْخُ
 دُعَيْتُمْ إِلَى مَا يُرْتَجَى مِنْ صِلَاحِكُمْ ۞ فَرَدَّكُمْ عَنْهُ التَّعْجُوفُ وَالْجَمْخُ
 تَعَالَيْتُمْ عَجَبًا فَطَمَّ عَلَيْكُمْ ۞ عَبَابٌ لَهُ فِي رَأْسِ عَلْيَانِكُمْ جَلْخُ
 وَأَوْغَلْتُمْ فِي الْعُجْبِ حَتَّى هَلَكْتُمْ ۞ جَمَاحٌ غَوَاةٌ مَا يُنْهِنُهُمْ قَفْخُ
 كَفَاكُمْ بِهَا سَجْنًا طَوِيلًا وَإِنْ يَكُنْ ۞ هَلَاكٌ لَكُمْ فِيهَا فَهِيَ لَكُمْ فَنْخُ
 فَكَمْ فَتْنَةً مَنَا ظَفَرْتُمْ بِنَيْلِهَا ۞ بِأَبْشَارِهَا مِنْ حَجْنِ أَظْفَارِكُمْ بَرْخُ
 كَأَنَّكُمْ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا ۞ أَسْوَدُ غِيَاضٍ وَهِيَ مَا بَيْنَكُمْ أَرْخُ
 فَللسوقِ مِنْهَا الْقَيْدُ إِنْ هِيَ أُغْرَبَتْ ۞ وَلِلَّهَامِ إِنْ لَمْ تَعَطِ مَا رَعَتِ النَّقْخُ
 كَانَ تَحْتِهَا مِنْ شِدَّةِ الْقَلْقِ الْقَطَا ۞ وَمِنْ فَوْقِهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَذْرِ الْفَتْخُ
 فَمَاذَا عَسَى نَرْجُوهُ مِنْ لَمْ شَعْنِهَا ۞ وَقَدْ حَزَّ مِنْهَا الْفَرْعُ وَاقْتَلَعَ السُّلْخُ
 وَمَا يَطْمَعُ الرَّاجُونَ مِنْ حِفْظِ آيِهَا ۞ وَقَدْ عَصَفَتْ فِيهَا رِيَاحُهُمُ النَّبْخُ
 زَعَانِفُ أَنْكَادٍ لثَامٌ عَنَا كُلُّ ۞ مَتَى قَبِضُوا كَفًّا عَلَى إِثْرِهِ طَخُّوا
 وَلَمَّا اسْتَقَلُّوا مِنْ مَهَاوِي ضَلَالِهِمْ ۞ وَأَوْمُوا إِلَى أَعْلَامِ رُشْدِهِمْ زَخُّوا
 دَعَاهُمْ أَبُو يَعْقُوبُ لِلشَّرْفِ الَّذِي ۞ يَذُلُّ لَهُ رَضْوَى وَيَعْنُو لَهُ دَمْخُ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوهُ فذَاقُوا وَبِالْهَمِّ ۞ وَمَا لِأَمْرِيءٍ عَنْ أَمْرِ خَالِقِهِ نَسْخُ

ومازلتُ أدعو للخروجِ عليهمُ * وقد يسمعُ الصمُّ الدعاءَ إذا أصخروا
وأبذلُ في استئصالهمِ جهدَ طاقتي * وما لظنايبِ ابنِ سابعةٍ قفـنـخُ
تركتُ لينا سبتةً كلَّ نُجـمـةٍ * كما تركتُ للعزَّ أعضامها شـمـنـخُ
وآليتُ أن لا أرتوي غيرَ مائها * ولو حلَّ لي في غيره المَنُ والمذخُ
والأأحطُ الدهرَ إلا بعقرها * ولو بوأتني دارَ إمرتها بلـنـخُ
فكم نعتُ من غلَّةٍ تلکم الأضی * وكم أبرأتُ من علةٍ تلکم اللبـنـخُ
وحسبي منها عدلها واعتدالها * وأبحرها العظمى وأربافها النـفـنـخُ
وأملأها الصيدُ المقاولَةُ الألسی * لغزهمُ تعنو الطراخمةُ البـلـنـخُ
كواكبُ هدي في سماءِ رياسةٍ * تضيءُ فما يدجو ضلالُ ولا يطـنـخُ
ثواقبُ أنوارٍ تری كلَّ غامضٍ * إذا الناسُ في طخياءِ غيهمُ التـنـخُ
وره ضاتُ آدابٍ إذا ما تـأرـجـتُ * تضاءلَ في أفياءِ أفنانها الرـمـنـخُ
مجامرُ ندٍ في حدائقِ نرجسٍ * تمُّ ولا لقعُ يصيبُ ولا دـنـخُ
وأبحرُ علمٍ لا حياضُ روايـةٍ * فيكبرُ منها النضحُ أو يعظمُ النـضـنـخُ
بنو العزفينِ الألى من صدورهم * وأيديهمُ تملأ القراطيسُ والطـرـنـخُ
إذا ما فتى منهم تصدَّى لغايـةٍ * تأخرَ من ينحو وأقصرَ من ينـخـو
رياسة أخيارٍ وملكُ أفاضلٍ * كرامٍ لهم في كلِّ صالحه رضـنـخُ
إذا ما بدا منا جفاءُ تعطفوا * علينا وإن حلتُ بنا شدةٌ رخـو
نزورهم حُذاً نحافاً فثنى * وأجمالنا دُلحُ وأبداننا دلـنـخُ
يربونا بالعلمِ والحلمِ والنهى * فما خرجنا بزولاً حدنا برـنـخُ
وما الزهدُ في أملاكٍ لحمٍ ولا التقى * بيدعٍ وللدنيا لزوقٍ بمن يرـنـخُ
وإلا فقي ربُّ الخورنقِ غنيـةٍ * فما يومه سرُّ ولا صيته رضـنـخُ
تطلع يوماً والسديرُ أمـامـه * وقد نال منه العجبُ ما شاء والجـفـنـخُ
فأصبحَ يجتابُ المسوحَ زهـادـةٍ * وقد كان يؤذي بطنَ أحمصه النـنـخُ

وفي واحد الدنيا أبي حاتم لنا * دواء ولكن ما لأدوائنا نسيخ
 تخلى عن الدنيا تخلي عارف * يرى أنها في ثوب نخوته لسيخ
 وأعرض عنها مستهيناً لقدرها * فلم يشته عنها اجتذاب ولا مصيخ
 فكان له من قلبها الحب والهوى * وكان لها من كفه الطرح والطيخ
 وما معرض عنها وهي في طلابه * كمن في يديه من معاناتها نسيخ
 ولا مدرك ما شاء من شهواتها * كمن حظه منها التمجع والنجس
 ولكننا نعي مراراً عن الهدى * ونصلح حتى ما لآذاننا صمغ
 وما لامرئ عمّا قضى الله مزحل * ولا لقضاء الله نقض ولا فسغ
 أبا طالب لم تبق شيمة سُودد * يساد بها إلا وأنت لها نسيخ
 تسوّغت أبناء الزمان أيادياً * لدرتها في كل سامعة شيخ
 وأجريتها فيهم عوائد سُودد * فما لهم كسب سواها ولا نسيخ
 غدتهم غواديهما فهي في عروقهم * دماء وفي أعماق أعظمهم مسغ
 وعمتهم حزناً وسهلاً فأصبحوا * ومرعاهم وزخ ومرعيتهم ولخ
 بني العزفين ابلغوا ما أردتهم * عفا دون ما تبغون وحل ولا زليخ
 ولا تقعدوا عمّن أراد سجالكم * فما غربكم جف ولا غربكم وضغ
 واخلوا وراء كل طالب غايبة * وتيهو على من رام شأوكم وانخوا
 [٢٥٨] ولا تذروا الجوزاء تلو عليكم * ففي رأسها من وطء أسلافكم شدخ
 لأفواه أعدائي وأعين حسدي * إذا جليت خائتي الغض والفضغ
 دعوها تهادي في ملاء حسنها * ففي نفسها من مدح أملاكها مدخ
 يمانية زارت يمانين فانشئت * وقد جدّ فيها الزهو واستحكّم الزمخ

وقد بسط في « الإحاطة » ترجمة ابن خميس المذكور، ومما أنشد له قوله :

سلّ الريح إن لم تُسعد السفن أنواء * فعند صباها من تلمسان أنباء

وفي خفقان البرق منها إشارة *
 تمر الليالي ليلة بعد ليلة *
 وإني لأصبو للصبأ كلما سرت *
 وأهدي إليها كل يوم تحية *
 وأستجلب النوم الفرار ومضجعي *
 لعل خيالاً من لدهنها يمر بي *
 وكيف خلوص الطيف منها ودونها *
 وإني لمشتاق إليها ومنبئ *
 وكم قائل تفتى غراماً بحبها *
 لعشرة أعوام عليها تجردت *
 يُطنّب فيها عاثون وخرب *
 كأن رماح الناهين للمكها *
 فلا تبغين فيها مناخاً لراكب *
 ومن عجب أن طال سقمي ونزعها *
 وكم أرجفوا غيظاً بها ثم أرجووا *
 يُرددها عيأبها الدهر مثل ما *
 فيا منزلاً نال الردى منه ما انتهى *
 وهل للظى الحرب التي فيك تلتظي *
 وهل لي زمان أرتجي فيه عودة *
 ومنها :

أحزن لها ما أطت النيب حولها *
 فما فاتها مني نزع على النوى *
 كذلك جدّي في صحابي وأسرسي *
 وما عاقها عن مورد الماء أظماء *
 ولا فاتني منها على القرب إجشاء *
 ومن لي به في أهل ودي إن فاؤوا

[٢٥٩]

ولولا جوارُ ابن الحكيمِ محمدِ * لما فاتَ نفسي من بني الدهرِ إقماءُ
 حماني فلم تَتَّبِ محلي نوائبُ * بسوءٍ ولم تَرزأَ فوادي أرزاءُ
 وأكفاء بيتي في كفالةِ جاهه * فصاروا عبيداً لي وهم لي أكفاءُ
 يؤمُّونَ قصدي طاعةً ومحبةً * فما عَفُّهُ عافوا وما شَتُّهُ شَاوُوا
 دعاني إلى المجدِ الذي كنتُ أملاً * فلم يكُ لي عن دعوةِ المجدِ إبطاءُ
 وبوأتني من هضبةِ العزِّ تلعةً * يناجي اللهَ منها صَعُودَ وطأطاءُ
 يُشيعني منها إذا سرتُ حافظُ * ويكلِّوني منها إذا نمتُ كـلَّاءُ
 ولا مثلَ نومي في كفالةِ غيره * وللدُّبِّ إمامٌ وللصلِّ إيماءُ
 بغِيضةِ ليثٍ أو بمرقدِ خالِبٍ * تُبزِّكُسا فيه وتقطعُ أكسَاءُ
 إذا كانَ لي من نائبِ الملكِ كافلُ * ففي حيثما هَوَّمتُ كِنٍ وإدفاءُ
 وأخذانُ صدقٍ من صنائعِ جاهه * يبادرنِي منهم قيامٌ وإيسلاءُ
 سراعٌ لما يُرجى من الخيرِ عندهم * ومن كلِّ ما يُخشى من الشرِّ أبراءُ
 إليك أبا عبد الإلهِ صنعتُها * لزوميةٌ فيها لوجدي إفشاءُ
 مبرأةٌ ممَّا يعيبُ لزومها * إذا غابَ إكفاءُ سواها وإبطاءُ
 أذعتُ بها السرَّ الذي كنتُ أملاً * وأعوزَ اكلاءُ فما عازَ إكماءُ
 ومن يتكلَّفُ مفعماً شُكراً منيةً * فمالي إلى ذلك التكلُّفِ إجماءُ
 إذا منشدٌ لم يكنِ عنك ومنشئُ * فلا كانَ إنشادٌ ولا كانَ إنشَاءُ

محمدُ بنُ سيدي سعيدِ قدورة

الإمام العلامة المفتي أبو عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الأكبر ذي الفضائل
 المشهورة أبي عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم ، عرف بقدورة أتم الله نوره ،
 شيخ الفقه والحديث ، ووارث الشرف القديم والحديث ، تفرع من

شجرة علم وتدرع برود وقار وحلم ، فمحلّه من الجزائر محل السواد من الناظر ،
انتهت إليه خطابتها وفتياها ، وحصلت في يديه آخرتها ودنياها ، فإليه يهرع
عند اشتباه النوازل ويفزع عند اشتداد الزلازل ، وعليه يعتمد في رواية الآثار
وتصحيح أسانيد الأخبار ، إلى فصاحة ولسن جرى بهما في ميدان الإبداع
طلق الرسن ، وحلاوة وطلاوة الآن بهما قلب كل ذي قساوة ، وعبارة عليها
رونق ونضارة ، ولسان خلوب يقود عصابات القلوب ، هذا مع أنه لم يرتضع
أخلاف الأدب ، ولم يصطبغ بسلافه المزري بالضرب ، أما لو التبس بمور
ذلك المور ، واقتبس من نور ذلك الغور ، فلا يمتري في أنه يطاول أهل المشرق
والمغرب ، ويصير نظيره كعنقاء مغرب ، وإمامة والده أبي عثمان هي التي
أرقتة على غيره من الأعيان ، وأولته المراتب الخطيرة والفضائل الشهيرة :
سعى معشرٌ كي يلحقوه فبرّزت * به غررٌ مشهورةٌ وعلائمٌ

وهذا البيت لابن سهل من قصيدة يمدح بها آل خلاص من أهل سبتة .
قال ابن زاكور : وسمعت من إملاته في مجلسه الخطير جملة وافية من
الجامع الصغير ، وأبوأبا من « صحيح البخاري » يحمد مواردها المدلج والساري
سماع دراية وتحقيق رواية ، فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر ، وتترهت
من فهمه وحفظه في جنة ونهر .

[٢٦٠]

محمد بن خليفة الجزائري

قال في « نشر أزهار البستان » : ومن لقبته بها ، أي الجزائر ، ووجهت
خطابي إليه إلا أنه اخترته المنية إثر سقوطي عليه ، وقبل أن يجيزني فيما لديه ،
الشيخ المسن البركة الحائز قصب السبق في فنون مشتركة شيخ المشايخ ، الذي

له في تحقيق العلوم قدم راسخ أبو عبد الله محمد بن خليفة لا زال رضوان الله
حليفه ،

هو وإن شرست أخلاقه ، ولم يحل مذاقه ، وضائق أكتافه . ولم ترد
بحار الكمال أوصافه ، فاضل علامة رحالة صحب في تحصيل العلم الصالح
والطالع ، وركب في تطلبه العذب والمالح ، وما برح يكابد لأجله حرة تحتها
قرة ، ويسيق من أشربة الاغتراب المزة والمرة ، حتى ظفر بما يذكر به ما
اختلفت الدررة والجرة ، فتوشح ببيضة الرقاق أثناء مصاحبته الرفاق ، وخبز
من دقيقة الجردق والرقاق أيام جولانه في الآفاق .

دخل مصر وهو غلّان لسلسيل البيان ، فكرع في غديره حتى تضلع من
نميره ، وأحرم بعطافه حتى تروى من نطافه ، فأب إلى الجزائر بعد أن ألحم
من أسراره وأشحم ، واقتبس من أنواره ما ينجلي به الليل الأسحم ، وجيده
بعقوده محلى ، وقد فاز من قدحه بالرقيب والمعلى ، فتضيع بين جداولها
بحراً ، وطلع في سماء معارفها بين دراريها بدرأ ، وتصدى للتدريس والتصنيف ،
وتردى بحلتي التقديس والتشريف ، وتميز بين أولائك الأعيان بحمل راية
البراعة والبيان ، وصال على الجميع بألوية محسنات البديع ، فاقتطفته المنية
إثر بلوغ تلك الأمنية ، وتاقت نفسه إلى التنعيم في رياض الجنة باجتناء وقطف
يوم الأربعاء في عقب ربيع الثاني من شهر أربعة وتسعين وألف (١٠٩٤) .

وحدثني في حياته بعض الإخوان الملازمين له في غالب الأزمان : أنه فجع
بموت ولده ، وخيف من ذلك تصديق كبده ، فلم يجزع لمماته ولم يضجر
لفواته ، واستعان على رزيبته بالصبر ابتغاء الثواب وحصول الأجر ، وما كان
إلا قدر ما أدرجه في كفه وأضجعه في مدفنه حتى أقبل إلى حلقة وما حبسه
عنها أوار حرقته ، فقبل له في ذلك تعجباً من فرط صبره على ذلك الهالك ،

فقال رضي الله عنه : لا أصطلي نار حرقتين ، ولا أجمع بين مصيبتين . فجعل من عزائه ترك أقرانه ، وسوى ثكل ابنه بعدم الإفادة في ذلك اليوم بعينه . وقال : إذا كنت أعلمُ علماً يقيناً * بأن جميع حياتي كساعة فليم لا أكون ضنيناً بها * وأجعلها في صلاح وطاعة

مَحَمَّدُ الزَادِي

[١]

العلامة المسن الشيخ أبي عبد الله محمد الزادي ، كان أديباً فقيهاً ناشداً للعلوم سالكاً سبيل السلف الصالح في معاشه ، مجتهداً في العبادة . مات رحمه الله سنة ١٢٢٦ .

مَحَمَّدُ بْنُ سَالِمِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الطَّبَالِ

العلامة الجليل الشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن الطبال ،

فريد عصره ووحيد دهره علماً وعملاً ، حامل لواء المذهب الحنفي على عاتقه ، له اليد الطولى في البديع والأصول والمنطق .

أخذ عن كثير ، ولازم الشيخ العباسي حتى تخرج عنه ، وتولى التدريس بمدرسة الجامع الأخضر ، والخطابة والإمامة بجامع سوق الغزل .

توفي سنة ١٢٥٠ .

محمدُ بنُ سعيدِ المغربي

العلامة الشيخ محمد بن سعيد المغربي ، هو العالم الشهير والولي الكبير شيخ شيوخ المقرئين ، وغنية العلماء المخلصين ، العارف بفنون العلم ، هامة أهل زمانه مع حفظ لا يُمارى فيه ، ولا يلحق له في ميدان ، وفصاحة تسلب العقول وتحير الأفكار .

مات رحمه الله سنة ١٢٥٠ .

محمدُ الشاذلي القسنطيني

الشيخ سيدي محمد الشاذلي ، هو العلامة الفرد نقلاً وعقلاً ، جامع أشات مضائق الفنون ، متضلع من كافتها كثير الاطلاع ، حاد الفكر قوي العارضة . له أشعار رقيقة ، تولى القضاء ثم أسندت لعهدته نظارة المدرسة الكتانية ، أما استسقاؤه العلوم فكان من لدن علامتي وقتها الشيخ مصطفى باش تارزي والشيخ العباسي ، ولازمهما حتى نبغ في فنون الآداب ، وكانت له قدم راسخة فيها . وحسبه تلك الأشعار التي ساجل بها الأمير عبد القادر الجزائري في حال اجتماعهما بعاصمة باريس لدى ضيافة فخامة نابليون الثالث ، وهي مشهورة تضمن بعضها ديوانُ الأمير المذكور ، وكانت له قوة ذكاء مفرط ، يتحدث بها العامة والخاصة ، وله عدة قصائد في مواضيع جمّة .

وتوفي في حدود سنة ١٢٨٠ ، ودفن بداخل المدرسة الكتانية التي كان ناظراً عليها ، وقبره بها حتى الآن .

مُحمَّدُ الشَّريفُ التلمساني

أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني ، أقام بفاس مدة طويلة ، ذكره ابن خلدون ، ولم أقف على وفاته

سيدي محمد صالح الورتيلاني

مُحيي الفنون ، وبحر العلم والدين بعد اندراسه على التعيين ، المتصف بعلم ، اليقين ، أتقى المتقين ، بل إنه شرب من علم اليقين حتى صار من أهل التمكين ، علامة زمانه وقدوة أوانه ، بركة الأوائل ، قد زُحلق وأُخِّر لقابل لحكمة ربانية يعلمها مرسل صاحب الشمائل الولي الصالح سيدي محمد صالح الورتيلاني ، كاد أن يجدد الدين في وقته ، وعلمه مشهور وفضله منشور ، توفي في القرن الحادي عشر ، ضريحه معلوم ويزار في قرية اجلميم عرش بني أجمات ، عرش من عروشنا بني ورتلان ، وهو في غاية الصدق والوفاء ، وعن كل مشته أو شبهة قد خفا ، رحمه الله وقدس ضريحه ، وأفاض علينا خيره وربحه ، ونور قلوبنا وقلوب أولادنا باليقين والتمكين ، وحلاًنا بحلية المتقين في كل تحريك وتسكين .

وهذا الشيخ كان مدرساً للعلم قائماً بأمر الطلبة بنفسه مع قلة ذات يده ، ويهاجر من كل بلد ، وقيل : ليس على الأحكام الشرعية إلا جيرانه بنو أجمات من بلدنا ، فقد انتقل من قرية يبكن ، وسكن يتن من بني عيدل ، فكانوا يمنعون الميراث أيضاً فأمرهم بإعطائه ، وحرصهم على ذلك ، فلما رأهم امتنعوا وتوانوا رأى هجرته واجبة ، وعلم منهم إن انتقل بحضرتهم يمنعونه ، فتركهم إلى أن ذهبوا إلى الزيتون زمانه بحيث لا يبقى أحد في العمارة إلا

الضعيف وكبير السن ، فلما آن زمانه وحان وقته ذهبوا إليه فرفع زوجه وشؤونه فوق النداء من العمارة والصياح ليجتمعوا على الشيخ إذ لا قدرة لهم [٢] على فراقه ، فتسابقوا إليه من كل فج عميق ليمسكوه ، فلما ألحوا على رجوعه وإقامته معهم حلف لا يرجع إليهم إلا بالرجوع إلى الأحكام الشرعية ، وقد علم الله في ذلك فامتثلوا أمره بجد وصدق ، فرجع فيهم على الأحكام الشرعية إلى الآن والحمد لله تعالى على ذلك .

نعم أولاده على طريقه من العلم والحلم والفضل والإحسان والأدب والحياء والبركة رضي الله عنهم ، سيما الورع الزاهد المقتني آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، المتمكن في طريق الله عز وجل ، الجامع بين الحقيقة والشريعة قدس الله روحه ، ولي ظاهر سيدي الحسين نجل الشيخ المذكور المتبع للسنة النبوية والشريعة المحمدية ، كادت أوصاف سيد الخلق أن توجد فيه ، وقد تخلق بمعاني الأسماء والأوصاف الإلهية ، ظاهره راغب في الدنيا وباطنه خال منها ، فالجاهل من الناس إذا رأى حرصه في الظاهر يقول : سيدي الحسين يحب الدنيا ، وليس كذلك ، بل الدنيا في يد العارف أمانة ، والأمين لا يضيعها ، وإنما يترقب بها أمر صاحبها أو يردها لصاحبها ، ومن أحاط علماً بذلك فلا يتغير لفواتها وفقدتها لأنها ليست له .

وكان رضي الله عنه يطعم الطعام لليتامى والأيامى من النساء والمحتاج كل يوم كأنه وليمة عنده ، وأخبرني الولي الصالح الأستاذ تلميذه سيدي أحمد بن الحسين أنه سمع من الشيخ يقول : وجدت تحت الديار زيرين من ذهب ، أزال عنهما الستر السيل إزالة ، فهمت نفسي بأخذهما فمنعتهما ذلك ، ورديت التراب عليهما ، فلما أخبرنا بذلك ونحن طلبة عنده قلت له : يا شيخني لو أتيت بذلك ، فإن المحتاج عندك كثير ، فأجابه قائلاً : لو أتيت به ربما قالت

نفسى : هذه الدار لا تصلح ، وكذا الفرس ابن غيرها ، واشتر أجود منها إلى غير ذلك من شأني كله ، فلما علمت حالها ، كان ترك ذلك هو أولى بي وأجدر والإتيان به أشر وأغدر ، فتركت ذلك :

وقال والدي : إني لزمته ولم يكن الخير إلا منه ، فاغتنم بركته وصار في اتباع السنة والورع والتقشف أكثر منه ، وكان صديقاً ملاطفاً لجدي والولي سيدى يحيى بن حمودي وسيدى علي الصافي وغيرهم ، ومع هذا إذا كان العرس ركب فرسه ولعب بها للسنة النبوية ، وكانت والدته أبي من الصالحات شريفة كوالدتي أيضا ، وكانت تقسم الليل أثلاثاً ثلث للصلاة ، وثلث للنوم ، وثلث للذكر ، وجاري كان عنده الزيتون ، وسيدى الحسين ليس عنده ، [٣] فجعل حظاً من الزيتون للشيخ يلتقطه بطهارة ويعصره بطهارة أيضا ، ليغتنم معارف الشيخ ونوره ، وليغتنم بركته أيضا رحمه الله ونفع به .

وأما أولاده فلا تجد فيهم ناقصاً ، بل كلهم على الكمال ، وكذا أولاد الشيخ سيدى محمد صالح جُلُّ أحوالهم على الهدى ، وسيدى عبد الله من الصالحين ، وترك وليين صالحين سيدى عبد الرحمن وسيدى أحمد ، وهما متفرقان في السكنى ، وقد سمعت أنه قال لي : لما تحيرت من أمر السكنى رأيت قائلاً يقول : ﴿ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ (١) الآية فسكن موضعاً وهو المسمى اثروش مستند إلى الكهف كما رآه في النوم كذلك ، فظهر له الفضل وولده صالحان سيدى عبد الوهاب ، وسيدى علي ، قد قرأت على سيدى علي الألفية حاصلة أولاد سيدى محمد صالح ، لم يقدموا الفضل ، وإن كان بعضهم أولى من بعض ، وكذا أهله وأولاده ، وسيدى محمد صالح من قرية بيكن ، كلهم على الفضل والعلم والحلم والخير خصوصاً العَلَمُ الفاضل الخطيب

(١) سورة الكهف : الآية ١٠ .

المحقق في علم الكلام ، وقد سمعت ممن سمع من تلميذه سيدي محمد العيادي أنه قال : إن الشيخ قرأنا عليه شهراً بتمامه من قوله : فعلى العاقل إلى الحتم من غير تبطيل دائماً إلى الليل نصاً واحداً ، وقد سمعت أيضاً أنه قال : رأيت الشيخ السنوسي في النوم يضرب براسي ويقول : انت أولى بكلامي يا مسعود . وهو العالم الفاضل سيدي المسعود بن عبد الرحمن آية من آيات الله تعالى ، وقد تزوجت بتين من ولده سيدي السعيد . وسيدي علي ولده محقق في علم الكلام غير أنه لا يصل مرتبة أبيه ، وكذا سيدي محمد بن الفقيه محقق في علم الكلام فاضل صالح مشغول بنفسه ، وقد أخذ عني الصغرى ، بل قرأها قراءة تحقيق بحاشية المحقق المراكشي ، وكذا أخذ مني الفقيه الفاضل العالم الأديب الحبيب يحيى بن حمزة ، وهو ليس منهم ، فنبهنا عليه لأنه من أجل الفضلاء ، وقد رأى الكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يحيى بن حمزة من أحبائي وكفى به .

ومن الصالحين سيدي الحسين بن حمزة ، انه اشتغل بربه ونفسه إلى أن مات نفعنا الله بجمعهم ، ومن هذه الفئة الأديب سيدي محمد بن حم وأولاده مثله .
 انعطاف : بقي واحد من أولاد سيدي محمد صالح بن سيدي علي بن محمد ظاهر الصلاح ، لا أشك فيه إذ خصاله كلها محمودة ودعاؤه مستجاب ، كريم على الإطلاق ، اللهم ارزقه بذكر من صلبه يعمر محله بالعلم والنشر والولاية والزهد والكفاف والعفاف ، نفعنا الله بجمعهم آمين بمنه وكرمه ، ومن أولاد هذا الشيخ نفعنا الله به آمين سيدي علي بن محمد حي فاضل ذو حب في الله وفي كل منتسب أفاض الله علينا من بركاتهم آمين اه . ورتيلاني

مُحمَّدُ الصَّالِحُ بنُ سالمِ الأعرجِ السوفي

قال الشيخ إبراهيم بن محمد الساهي ابن عامر السوفي الوادي في رسالته المسماة « بالبحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح » ما نصه :

[٤] ذو المعارف والسر الوارف ، والمقام الأسنى والعز الأقنى ، غرة الزمان ووحيد العصر والأوان ، من تحلت برويته الأنظار ، وتمتعت بفيوضاته الأبرار ، وقويت به الأركان وتشرفت بحلوله البلدان ، وأنقذ الله به العبيد من كل كرب ونصب شديد ، ذو البحر الزاخر والقدر الفاخر ، والأسلوب البديع والمنهج الصالح ، شيخ الطريق ، سيدي محمد الصالح أدام الله النفع به آمين ، نجل الولي الكامل المرحوم العامل ، السائر في أوضاع طرق القوم ، ذي المناقب الحميدة والأفعال الجميلة السديدة ، الذي طار صيته في كل قطر وبلاد ، وأقر بعلو مقامه ذوو الأتباع والانتقاد ، وتواضع له أولو المكانة والاحترام والتعظيم ، شيخ الطائفة الأعرج سيدي سالم نفع الله به وبفروعه أبد الآبدين ودهر الدهرين آمين ، ابن سيدي محمد بن محمد بن سيدي محمد بن سيدي نصر بن سيدي عطية الشريف من نسل الزائر بن سيدي المحجوب ، دفين القيروان ، قبره بها يُزار إلى الآن ويشهد له كل الناس بالصلاح والكمال والنجاح ، رضي الله تعالى عن جميعهم ، وعنا بهم وجعلنا من أتباعهم دنيا وأخرى آمين .

وأما طريقته فإنه أخذها كأخيه ذي الخير والصلاح الشيخ سيدي مصباح ، عن والده سيدي سالم المتقدم ذكره ، وهو أخذها عن شيخ الزهاد وفخر العباد سراج الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة ، سيدي علي بن عمر الطولقي الشريف ذي الشرف العلي والمقام المنيف ، وهو أخذها عن أبي البركات القدوم الهمام ذي النفع والفيض على جميع الأنام الذي أتباعه دنيا وأخرى ينجي ، الشيخ سيدي محمد

ابن عزوز البرجي رضي الله عنه ، وعن فروعه وأصوله وعنا بهم آمين ، وهو أخذها من كهف الأنام وحجة الإسلام ذي الحجج الباهرة والكرامات الظاهرة وحيد الأولياء ورئيس النبلاء الورع العالم العامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن باش تارزي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن صفوة الأبرار وعمدة الأخيار صاحب الباع الطويل والقدر الجليل والمواهب اللدنية والأنوار الرحمانية الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الفجطولي الزواوي الأزهري الشريف ، متعنا الله بسره وجعلنا تحت مكرماته وبره آمين ، وهو أخذها عن تاج العارفين ونبراس السادة الصالحين الشيخ سيدي محمد بن سالم الحفناوي رضي الله عنه آمين ، وهو أخذها عن شيخ طائفة الصوفية القائم على ساق العبودية الشيخ سيدي مصطفى بن كمال بن علي البكري رفع الله مقامه ومأواه وجعل الجنة متقلبة ومثواه ، وهو أخذها عن ذي الجد والاجتهاد السالك سبيل الرشاد الشيخ سيدي عبد اللطيف [٥] الحلبي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن ذي الأنوار القدسية والرياض السندسية الشيخ سيدي مصطفى الأنداوي نفعنا الله به آمين ، وهو أخذها عن صاحب المآثر العجيبة والحالات الغريبة الشيخ سيدي علي قار باشا رضي الله عنه ، وهو أخذها عن الأستاذ الفخر الملاذ الشيخ سيدي إسماعيل الجرمي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن شمس الملة والدين برهان الواصلين الشيخ سيدي محي الدين القسطنوني نعم الله به كل الخلائق آمين ، وهو أخذها عن الحبر السالك والمتعبد الناسك الشيخ سيدي شعبان القسطنوني رضي الله عنه ، وهو أخذها عن ذي القدر العلي والسر الجلي الشيخ سيدي خير الدين التوقادي نفع الله به ، وهو أخذها عن ذي الفضل والإحسان الشيخ سيدي سلطان المعروف بجمال الدين الخلوتي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن ذي المقام السامي والفيض النامي الشيخ سيدي محمد بن بهاء الدين الشيرازي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن صاحب التصريف الشيخ سيدي يحيى الباكوفي الحلبي نفعني الله وإياكم بركاته آمين ، وهو أخذها عن

ذي المنقبات الجميلة والخصال الجليلة الشيخ سيدي صدر الدين الجبائي رضي الله
 عنه وعنا به . وهو أخذها عن الزاهد العفيف الشيخ سيدي الحاج عز الدين
 رضي الله عنه . وهو أخذها عن قدوة الأنام ورفيق الخاص والعام الشيخ سيدي
 محمد أمبرم الخلوتي نفع الله به طول الدوام . وهو أخذها عن السيد الأكبر
 والقطب الأنور الشيخ سيدي عمر متعنا الله بركاته آمين ، وهو أخذها عن
 كثر الهداية وبدر البداية والنهاية الشيخ سيدي محمد الخلوتي رضي الله عنه
 وعنا به آمين . وهو أخذها عن ملجأ الخائفين ومنبع مشرب العارفين
 الشيخ سيدي إبراهيم الزاهد جعلنا الله في صالح دعواته ، وهو أخذها
 عن مربي المريدين ومرشد السالكين الشيخ سيدي جمال الدين التبريزي رضي الله
 عنه . وهو أخذها عن نور أهل السلوك الشيخ سيدي محمد الملقب بشهاب
 الدين الشيرازي نفع الله به ، وهو أخذها عن رفيع المقام ذي العز والاحترام
 الشيخ سيدي محمد الملقب بركن الدين النجاشي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن
 فخر العلوم الشيخ سيدي قطب الدين الأبهري نفعني الله وإياكم به آمين ، وهو
 أخذها عن صاحب المقام العريض الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله بن محمد
 السهروردي رضي الله عنه وعنا به آمين ، وهو أخذها عن الكمال الشيخ سيدي
 عمر البكري رضي الله عنه ، وهو أخذها عن قدوة السالكين الشيخ سيدي وجيه
 الدين رضي الله عنه ، وهو أخذها عن الكوكب الدرّي الشيخ سيدي محمد
 البكري رضي الله عنه ، وهو أخذها عن محب الفقراء الشيخ سيدي مشاد الدينوري
 رضي الله عنه ونفع الله به آمين ، وهو أخذها عن رئيس الطوائف الشيخ سيدي
 أبي القاسم الجنيد نفعني الله وإياكم بركاته آمين ، وهو أخذها عن الورع الزاهد
 المكابد العابد خاله الشيخ سيدي السري السقطي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن
 سيد الأتقياء وعمدة الأصفياء الشيخ سيدي معروف الكرخي نفع الله به جميع
 العباد والبلاد ، وهو أخذها عن ذي المناقب السنيّه الشيخ سيدي داود الطائي رضي

[٦] الله عنه ، وهو أخذها عن صاحب الأسرار الشيخ سيدي حبيب العجمي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن صاحب الأنوار والبركات والفيض الشيخ سيدي الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو أخذها عن سبطي النبي صلى الله عليه وسلم سيدا شباب أهل الجنة الشيخين الفاضلين سيدي الحسن وسيدي الحسين جعلنا الله من زمرتهما آمين ، وهما أخذها عن باب مدينة العلم ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والدهما سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو أخذها عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وهو عن جبريل عليه السلام ، وهو عن الحق جل وعلا ، اللهم متعنا بمحبتهم واجعلنا في زمرتهم ، ولا تخالف بنا عن سُنَّتِهِمْ ولا عن طريقتهم يا أرحم الراحمين .

وقال في كراماته :

كان الأستاذ الفاضل والجهيد الكامل جدي الشيخ سيدي محمد بن عامر ذو الكرامات الظاهرة الأسرار الباهرة ، يخدم عمدة السالكين وسند الواصلين ، الشيخ سيدي سالم الأعرج ذي القدم الراسخ في طريق القوم رضي الله عن الجميع ، ونال منه ما يبهر العقول ، كما هو متواتر بالنقول ، وكان يوصينا بخدمة أولاد شيخه واتباعهم ويحضنا على ذلك غاية ، ويقول : إنكم تنالون منهم إن شاء الله حقق الله ذلك آمين ، فمن الله علي بامثال تلك الوصية ، وجعلت أتردد عليهم في الزيارة وأنظر في أحوالهم وسيرتهم وخدمتهم مدة طويلة إلى أن تحققت الشيء ، وعلمت أن متبعهم ينال بلا ريب ، وكان سيدي سالم ترك ولدين فاضلين أحدهما الشيخ سيدي مصباح وهو الأكبر سناً ، والآخر الشيخ سيدي محمد الصالح نفعا الله بهما آمين ، لكن الأول جرى على طريق الأشياخ الذين يكتبون أمرهم ، وهو مقام عظيم يفتخر به كل من له أدنى مُسْكَة بأحوال القوم ،

وقد منَّ الله على هذا الشيخ بولد ياله من ولد عفيف نظيف ظريف أديب ورع زاهد في الدنيا زهداً تاماً ، فقيه دائم الطهارة كثير التجنب من الناس ، يحب الخلوة والانفراد ، وينقبض من رؤية الناس انقباضاً كلياً ، وهو الشيخ سيدي محمد العربي أدام الله سنه وبلغه في الدارين مناه ، والثاني جرى على طريق من يذيع ذلك ، ولا يخفى أن العاجز مثلي يجذبه الظاهر ، فلازمت الشيخ سيدي محمد الصالح رضي الله عنه وعنا به آمين ، حتى ظهرت لي الكرامات الخارقة والمقولات الصادقة ، فأردت أن أذكر بعض ما رأيته أو سمعته من ثقة صادق بعد [٧] التتبع الشافي والتفحص الوافي ، كان الله لنا وإخواننا معيناً آمين .

فمن ذلك أني أتيت يوماً في وقت القيلولة مع أستاذي وعمدتي وملاذي الورع الزاهد والحبر العابد شيخي سيدي عبد الرحمن العمودي رضي الله عنه ومنا به ونفعنا بركاته آمين ، فقال لنا الشيخ : إن سيدي علي بن عثمان الطولقي رضي الله عنه قد انتقل إلى عفو الله ، رحمه الله الرحمة الواسعة ، فسرى في عقولنا أنه أتى أحد من عنده ، أو أتى جواب أو نحو ذلك ، وغفلنا عن كون الشيخ علم ذلك من طريق الكشف ، فلما خرجنا من عنده وقع في قلبي أن هذا الأمر لم يأت به أحد ، ولا جاء في جواب . وإنما هو من الشيخ رضي الله عنه ، فضبطت ذلك اليوم ، وبقيت أسأل عن خبر وفاة الشيخ فلم أجد علماً عند أحد ، فلما مضت ستة أيام بعد التاريخ أتانا الخبر بأن الشيخ انتقل إلى رحمة الله منذ ستة أيام رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين .

مُحمَّدُ بنُ الحقِّ البَطِيوي

أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري البطيوي .

روى ببلده عن أبيه أبي محمد ، وتفقه به وبعمران التليدي ، وبأبي بكر ابن عصفور ، وبأبي بكر اللفثي . وبأبي الحسن جابر بن محمد ، وبأبي الحسن

ابن أبي قنون ، وبأبي علي الحسن بن الخراز ، وصحب الولين الزاهدين أبا مدين شعيب بن الحسين وأبا عبد الله محمد بن مجبر الهواري ، ولقي كثيراً من أهل العلم والدين والزهد والورع ، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبته واشبيلية ، فكان راويةً فقيهاً حافظاً متكلماً متفنناً في علوم جمعة ، بارع الخط جماعاً للكتب الجليلة .

وله مصنفات كثيرة أجملها «المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار» وكان رحمه الله حسن الخلق رائق الملبس مطعاماً وجيهاً ببلده وغيره عند السلاطين والأمراء ، ولي قضاء بلده تلمسان مرتين ، فعدل وأجزل ، ومن نظمه هذين البيتين في عدد أحاديث البخاري رحمه الله :

جميعُ أحاديثِ الصحيحِ الذي روى الـ « بخاري خمسةٌ وسبعونَ في العددُ
وسبعةُ آلافٍ تُضافُ وما بقي » إلى مئتينَ عدَّ ذلكَ أولو الجَدِّ
مولده سنة ٥٣٦ ، وتوفي بتلمسان سنة ٦٢٥ ابن ٨٩ سنة ، رحمة الله عليه .

مُحمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الحَوْضي

الإمام محمد بن عبد الرحمن الحوضي من أدبه القصيدة الطنانة التي يقول فيها متغزلاً :

أرذاذُ المزنِ من عينِ نـزلِ « أم دموعُ الشوقِ إذ رَقَّ الغـزلُ
أبعيني ديميةً وكأفـةً « أم شعيبُ للنوى منها انبزلُ
لابكت عيني ولا أبغى البكا « ضوؤها عن فعلها إن لم تزلُ
دعْ عدولي اللومَ إنني شائـقُ « رَقَّ طبعي دونَ صنعي في الأزلُ
[٨] أويئسى العهدَ قلبُ دَنيفُ « والهوى قبل النوى عنه نزلُ
لا تلمني دونَ علمِ عاذلي « فبسمي صممُ عمنَ عدلُ

ان في نار هـواكم جتني * لو علمت الحبل منكم يتصل
 امنوا روعة قلبي باللقسا * فانظار الوعد قرب ان حصل

وهي طويلة ، ومن نظمه البليغ يرثي فيه إمام الموحدين الشهير الولي الكبير
 سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسيني رضي الله عنه ونفعنا بعلومه آمين
 هذه القصيدة الزومية :

ما للمنازلِ أظلمت أرجاؤها * والأرضُ رُجَّتْ حينَ خابَ رجاؤها
 وأتى عليها النقصُ من أطرافِها * وتراكمتُ وتعاطمتُ أرزاؤها
 رزيةً عظيمٌ خطبُه ومصيبةٌ * لم ندرِ يا للقومِ كيف عزاؤها
 فقد السنوسي الإمام محمد * وهو ابنُ يوسفَ هدًى منه علاؤها
 قد كانَ بحراً للمعارفِ زاخراً * فانزاحَ عنها حينَ بثَّ غطاؤها
 ودعا إلى التوحيدِ دعوةً مُخلصِ * وإلى الشريعةِ فاستنارَ ضياؤها
 [٩] هذا الذي ورثَ النبيَّ فأصبحَتْ * عِللُ الضلالِ بهِ استفيدَ دواؤها
 هذا الذي تبعَ النبيَّ وصحبَه * فانجابَ عن سُبُلِ الهدى ظلماؤها
 يا أيها النفسُ المقدسةُ التي * لبقائها المحمودِ كانَ فناؤها
 يا أوحداً العلماءِ يا علمساً بهِ * كلُّ العلومِ بدتْ لنا أنحاؤها
 يادرةُ الزهادِ يا غوثاً بهِ * يُرجى لأمرضِ القلوبِ شفاؤها
 كم جاءتِ الدنيا تسوقُ رئاسةً * يبغى إليكَ تقرباً أبناؤها
 فأبيتَ عنها معرضاً مُستحقيراً * لم يخذعكَ جمالها وبهاؤها
 وجعلتها نحوَ الجنانِ مطيئةً * وسبيلَ ترحالٍ وذاك جزاؤها
 مَنْ للتآليفِ التي ألفتها * يدي بها ما استشكلتُ قراؤها
 مَنْ للعلومِ على اختلافِ فنونها * يدي لها نُكتاً يروقُ سناؤها
 مَنْ للقلوبِ إذا صدتْ وإذا قستْ * تأتي مواعظه فيذهبُ داؤها

ما ذاك إلا من خصائلك التي * أعطاكها ربُّ له إعطاؤها
 ما شئت من تقوى ومن ورعٍ ومن * كرمٍ ومن شيمٍ تلا إحصاؤها
 واسيت أهل العلم حتى أصبحوا * وعليك من نفقاتهم اجراؤها
 تعطي وتؤثر من ترى ذا حاجة * فاعتادَ رفدك دائماً فقراؤها
 تلقاهم متهللاً متبسماً * فجوهمهم باقٍ عليها ماؤها
 وينال كل الناس منك نصيبه * حتى لقد بلغ المراد إماؤها
 أخلاقك التسليم يصحبه الرضى * بالله منشورٌ عليك لواؤها
 خلق كريم لم ينل بعطيته * إلا من المولى ينال عطاؤها
 شهد الأعداء كالصديق فأنشدوا * ومليحة شهدت لها أعداؤها
 لكن مشيئة ربنا تجري كما * سبق القضاء فلا يرد قضاؤها
 لهفاً ولهفاً دائماً لو أنهسا * تُجدي وما تُغني وكيف غناؤها
 إن تبك عين فما أدت له * حقاً ولو مزج الدموع دماؤها
 أو تبك أبداً تلمسان وممن * في حوزها ورجالها ونساؤها
 لم يقدروا مقداره أنى لهم * ولقد بكت أرضها وسماؤها
 فلمثله يبكي الوجود مصيبة * عظمت فأحزنت الورى إغماؤها
 هيات للدينا تجود بمثلته * من شأنها لم يصف قط إناؤها
 وجب العزاء به لكل موحّد * وبلدة بحلاه طاب ثناؤها
 ولأهل مجلسه خصوصاً ابنسه * شمس نأت عنهم وغاب ضياؤها
 وشيوخنا العلماء نعزي أنسا * جسد له أعضاؤهم رؤساؤها
 ولأهل حق العزافيوئتهم * من بعده لا تنجلي ظلماؤها
 لكن من الشمس المنيرة إن تغب * بدر الدجا خلف وفيه سناؤها
 يا قلب صبراً فالمصائب كلها * إن تلقها بالصبر خف بلاؤها
 يا ربّ قدس روحه وضر يحه * ومن الجنان تحفه نعاؤها

وعليه من ربّ الأنام تحيةً • موصولة لا تنقضي آناؤها

محمد بن عبد الرحمن

من أجل المشايخ المعبرين ، متخلقاً بالأخلاق الرائقة والأحوال الفائقة ،
علماً وعملاً وزهداً وورعاً ومحبة في الله وأهله ، ووقفاً مع الكتاب والسنة ،
يقول كل من عاشه ووزنه بالميزان الشرعي : إن جزءاً من أحواله لا يخرج
عن الشرع .

ولد سنة سبعين ومئتين وألف (١٢٧٠) ، وتربى في حجر والدته السيدة
خديجة بنت محمد بن الخرشبي ، وعمته السيدة عائشة ، وجدته يتيماً حتى
حفظ القرآن وأتقن أحكامه بقراءة السبعة ومخارج الحروف ، واشتغل بتعلم
العلم .

يحفظ من المتون نحو الخمسين متناً ، منها الشيخ خليل ، وبعض متن
الرسالة ، والعاصمية والتلمسانية ، والرحبية ، وجمع الجوامع في الأصول ،
ولعله نظمه أيضاً ، والآجرومية ، والأزهرية ، والقطر ، والشذور ، والألفية ،
ومتن الجواهر المكنون في الثلاثة الفنون ، ومختصر السعد ، ومنظومة ابن الشحنا ،
ورسالة الدردير ، والسمرقندية في الاستعارات ، والسنوسية في التوحيد ،
والجوهرة ، ومتن بدء الأمالي ، ومتن الخريدة ، والجزائرية ، وفي المصطلح
متن غرامي صحيح ، والبيقونية ، ومنظومة الصبان ، وألفية العراقي ، وفي
الصرف متن البنا ، ومتن لامية الأفعال ، وفي المنطق السلم ، ومتن إيساغوجي ،
وفي الوضع رسالة الوضع للعضد ، وفي الحكمة المقولات العشر ، ومتن
آداب البحث للشيخ زين المرصفي ، وفي العروض متن الكافي ، ومتن

الخزرجية ، و متن الصبان ، وفي التجويد متن الجزرية ، وتحفة الأطفال ،
والشاطبية ، وفي المديح النبوي متن بانت سعاد ، و متن البردة ، و متن الهمزية ،
و متن البغدادية ، و منظومة البرزنجي في المولد ، و دلائل الخيرات في الصلوات
و غير ذلك ، و من العلوم الشرعية و الفنون الأدبية الصحاح الست ، و بعض تفاسير
الكتاب العزيز ، و القسطلاني و مختصر خليل ، و شرحه للدردير ، مع استحضار
[١١] ما في الشروح الأخرى و حواشيها ، و نظمه أو كاد ، و برع في الجميع حتى
كان أوحد زمانه و فريد عصره و أوانه .

و كان يحب الخمول و يكره المحمدة و الظهور ، لين الجانب صبوراً غيراً
على الدين ، صاحب حزم و اجتهاد منذ خلق ما نطق بفحش ، و لا ضبطنا
عنه ساعة هو غافل فيها عن دينه ، و كان يحفظ في اليوم مائة بيت .

هذا و من تأليفه شرح منظومة الأستاذ^(١) الاسمائية شرحاً عظيماً سماه
« فوز الغانم » و له منظومة في الجمل سماها « الزهرة المقتطفة » و شرحها
بشرح سماه « القهوة المرتشفة » و حشى الشرح بحاشية سماها « الحديقة
المزخرقة » ، و له منظومة في التوحيد و شرحها بشرح سماه « الموجز المفيد »
و له شرح على منظومة الشبراوي سماه « بالمشرب الراوي » و له بديعية في
الأستاذ و شرحها بشرح سماه « تحفة الإخوان » و له شرح على أرجوزة التوحيد
للشيخ شعيب قاضي تلمسان الآن و فقيه المغرب الجزائري .

و صاحب الترجمة جيد النظم سهل العبارة في التعليم و التأليف ، ذكي
الفهم غواص في المعاني الدقيقة جبل علم مُناظرٌ مُحاججٌ نشأ في بلده و ارتحل
إلى زاوية الهامل المعمورة لثلاث و ثلاثين سنة مضت من عمره ، قال الشيخ
محمد بن السيد الحاج محمد في ترجمة الأستاذ : و قد علمنا و أفادنا و مالنا

(١) الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي رضي الله عنه .

مورد سواه في ما تعلمناه ، أما نظمه فانظر طرفاً منه في ترجمة شيخنا الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم وله معنا أدبيات كثيرة اهـ.

يقول جامع هذا الكتاب : وأما نثره الكثير فمنه رسالة أجبني بها عن مسائل كنت محتاجاً إليها ، بل الجواب عنها مطلوب مني لاحتياج الطالب إليها ، وهو العلامة السيد ارنو^(١) الترجمان الأكبر بالولاية الجزائرية العامة سابقاً في ترجمة تصوف كتاب « سعود المطالع »^(٢) إلى الفرنسية ، وقد ترجمه وطبعه بالعربية والفرنسية في تاريخ الرسالة المذكورة هنا .

نصها :

إذا أمرَ على رَقٍّ أناملَهُ . أقرَّ بالرقِّ كتابُ الأنامِ لَهُ
أوحد الفضلاء وأفضل النبلاء ، ناظم عقود الجمان وناثر قلائد العقيان ،
الذي قل أن يكون له في فضله مساوٍ ، العلامة الفاضل المحقق ولدنا السيد
الحضائوي لازلت محفوفاً بالرعاية ملحوظاً بعين العناية ، وسائر محابك ومن
ينتمي إلى كريم أعتابك ، عليكم أتم السلام مع مزيد الإكرام والإنعام ،
أما بعد : فإن تتكرم بالسؤال عن أحوالنا فإننا نحمد الله ونشكره ، وقد تشرفنا
بجوابك المفصيح عن صفاء ودادك ، المثمر لكمال محبتك وحسن اعتقادك ،
أدام الله بهجتك ، وحرس من كل مكروه مهجتك ، وقد التمست مني تراجم

(١) هو شيخني في العلوم العصرية ومعلمي في فهم اللغة الفرنسية ومساعدني على طلبها ، وبتريته العقلية والعلمية ارتقيت إلى درجة أفتخر بها على أبناء وطني ، ونلت منه معارف كثيرة لأنه أحسن الله إليه كان لا يتكلم إلا بحكمة ولا يسكت إلا لها ، وهو الذي علمني التواضع القلبي والترفع القلبي على أهل الكبرياء ، فله دره من شيخ حكيم ، ونعم الأمة التي يوجد فيها أمثاله ، لازمته في جريدة البشر وكان مديره وأنا كاتبه مدة اثني عشر عاماً ، فلم أره على غير ما يرضي أمته ، ولم أر منه سوءاً في قول أو فعل أو حال ، ومثله أم ولديه السيدين روبر آرنو وموريس آرنو ، وكلاهما على قدم والديهما في العفاف والتزاهة وكرم الأخلاق وحسن التربية واكتساب المعارف والأدب ، وأمهما بنت العلامة بريني شيخ مشايخ العربية بالقطر الجزائري .

(٢) للشيخ عبد الهادي نجا الأبياري .

بعض الأعيان فاعلم أن بعض من ذكرت لم أسمع به فضلاً عن أن أعرف له
[١٢] خبراً ، ما عدا اثنين فقد وجدتهما في « كشف الظنون » وهما الفرغاني والناصر
اللقاني ، إلا أنه يؤرخ وفاة الناصر على عادته في بعض المواضع منه ، ولعل
الناسخ أسقطه سهواً .

قلت : والشيخ الناصر اللقاني كان من المعاصرين لسيدي عبد الوهاب
الشعراني المتوفى سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة ، وقد أثنى عليه في مواضع من
كتابه « المنن الكبرى » ونص « كشف الظنون » باختصار في الفرغاني شارح
تأثية ابن الفارض ، هو السيد محمد بن أحمد الفرغاني المتوفى في حدود سنة
سبع مئة ، وهو الشارح الأول لها ، حكى أن الشيخ صدر الدين القوفي عرض
لشيخه محي الدين بن عربي في شرحها فقال للصدر : لهذه العروس بعل
من أولادك ، فشرحها الفرغاني والتلمساني ، وكلاهما من تلاميذه ، وحكى
أن الفرغاني قرأها أولاً على جلال الدين الرومي المولوي ، ثم شرحها فارسياً
ثم عربياً وسماه « منتهى المدارك » وهو كبير أورد في أوله مقدمة في أحوال
السلوك : الحمد لله القديم الذي تعزز إلى آخره انتهى .

وذكر أن للناصر حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع ونصه : الشيخ
ناصر الدين أبو عبد الله محمد المالكي اللقاني انتهى .

قلت : وله حاشية على « التصريح » ذكرها الشيخ يسن أول حاشيته ، وشرح
على مختصر خليل سماه « تيسير الملك الجليل في جمع شروح وحواشي خليل »
رأيت منه شرح الخطبة ، وهو عجيب مشتمل على فوائد من علوم شتى ،
وقد وضع على شرحه على الخطبة العلامة الأجهوري شرحاً حافلاً في مجلد
ضخم ، وللشيخ عبد الباقي تعليق عليه ، وله حاشية على توضيح الشيخ خليل
على مختصر ابن الحاجب الفرعي ، لم أرها ولكن أجد العزو لها في الدسوقي
وغيره .

هذا ما حضرني في الوقت ، والله أعلم ، ويسلم عليك كثيراً الشيخ محمد
ابن الحاج محمد . انتهى من إملاء الأستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن ،
كان الله له ولياً ونصيراً آمين بتاريخ ٢ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٠٥ .

ومن إنشائه في رسالة بعثها لي ما نصه : إنكم سألتموني عن وفيات بعض
مشاهير ناحيتنا ممن له شيء يُذكر به ، كتصنيف كتاب أو إنشاء رسالة أو نحوها
فاعلموا أن أهل ناحيتنا من أهل البادية ومن في حكمهم من القرى الصغيرة لهم
[١٣] طلب في الفنون الأدبية ، من نحو وبيان ولغة وغيرها مما به الاقتدار على
النظم والنثر لتصنيف كتاب أو ابتكار رسالة واتساع في المعارف والعلوم ،
ولكن لا اعتناء لهم بتقيد المآثر والوفيات كما هو ظاهر لمن استقرأ أحوالهم ،
بل غاية ما يذكرون به ويمدحون هو العفاف والتقوى والورع والعبادة ،
وغالب علومهم العلوم الدينية من عقائد وأحكام عبادة ومعاملات ، ولهم في
التحصيل الكافي للاقتدار على التأليف ما لأهل المدن كالجزائر وقسنطينة وتلمسان
وبلاد زواوة ، فإنها ملحقة بالمدن مع ما كان عليه الحال قبل هذا العصر من
الهرج والفتن وشن الغارات والسلب والنهب ، وما يتبع ذلك من مكدرات
الراحة العامة ، مما تنمو به المعارف وتتسع ، حيث توفر العمران ومد رواق
العافية وبسط العدل والأمن ، إذا تمهد هذا فلنذكر لكم بعضاً على سبيل
التمثيل والاختصار ، إذ لم نطلع على من له تصانيف في الصحراء الغربية منا
إلا الشيخ سيدي عبد الرحمن بن الصغير الأخضرى دفين الزاب المتوفى في
حدود خمسين وتسع مئة ، وتصانيفه مشهورة منتفع بها ، منها « الجوهر
المكنون » وشرحه في المعاني والبيان والبديع ، ومنها « السلم المروتنق » في علم
المنطق « وشرحه ، ومنها « الدررة البيضاء » في الحساب والفرائض وشرحها ،
ومنها « السراج » في علم الفلك ، وله غير ذلك ، قيل : إن تصانيفه تزيد على
العشرين . ومن أهل الصحراء الشيخ خليفة بن حسن الغماري السوفي ، فقد

نظم مختصر خليل نظماً عجبياً ، وهو مطبوع ، وهو من أهل أوائل القرن الثالث عشر الهجري .

وأما المشاهير ممن له أو ليس له تأليف فمنهم : الشيخ سيدي محمد بن عزوز شيخ زاوية البرج من قرى الزاب ، له أتباع كثيرة ومقاديم ، توفي سنة ١٢٣٣ ، ومنهم الشيخ سيدي علي بن عمرو شيخ زاوية طولقة من قرى الزاب أيضاً ، له أتباع وطلبة ومقاديم ، توفي في حدود ١٢٦٠ ، ومنهم الشيخ سيدي عبد الحفيظ شيخ زاوية الخنفة ، له عدة رسائل ومنظومات في علوم الطريقة ، وله أتباع وطلبة ومقاديم ، توفي في حدود ١٢٧٠ تقريباً ، ومنهم الشيخ سيدي المختار^(١) شيخ زاوية أولاد جلال ، له أتباع وطلبة ومقاديم ، توفي سنة ١٢٧٦ ، ومنهم الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الهامل ، له عدة رسائل وأجوبة مسائل سئل عنها ، درّس وأفاد ، وله أتباع ومقاديم ، توفي سنة ١٣١٥ ، ومنهم بدائرة الجلفة سيدي الشريف بن الأحرش^(٢) ، كان عالماً ودرس وأفاد ، وله طلبة وأتباع ، توفي سنة ١٢٨٢ ، ومنهم السيد أحمد بن الأخضر ، والسيد الطيب بن الأخضر ، والسيد المولود بن الأخضر من شرقاء الهامل^(٣) ، وتلامذة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم كل منهم درّس وأفاد ، وحصل منهم غاية الانتفاع ، ووفاتهم سنة ١٣١١ ، ومنهم السيد محمد الصديق^(٤) بن أحمد بن سليمان الديسي ، درس وأفاد ، وتوفي سنة ١٣٠٦ ، ومنهم سيدي الشيخ^(٥) ابن أبي القاسم بن الصغير الديسي ، درّس وأفاد ،

(١) والقائم الآن في زاويته ولده الشيخ محمد الصغير ، عالم صالح توفرت فيه شروط المشيخة الرحمانية .

(٢) القائم الآن مقامه في الرناستين ولده الصالح السيد أحمد بن الشريف في عين معبد قريباً من الجلفة ،

وهو رجل تمكنت محبته في قلوب الخلق لفضله واحسانه وتقواه .

(٣) ما توا شهداء الوباء في الحج قبل وفاة الأستاذ .

(٤) ستّاي ترجمته وترجمة ولده رحمهما الله تعالى .

(٥) تفلعت ترجمته في حرف السين المعجمة .

[١٤] وتوفي سنة ١٣١١ ، وكلاهما من أولاد سيدي إبراهيم الغول ، ومنهم السيد محمد بن علي بن شيرة من شرفاء مدينة أبي سعادة ، وأخوه السيد أحمد بن علي بن شيرة ، كل منهما درّس وأفاد ، وتوفيا في حدود سنة ١٢٧٠ . ومنهم السيد محمد بن عبد القادر من شرفاء أبي سعادة ، درس وأفاد . وتوفي سنة ١٣٠٠ ، ومنهم السيد الطيب بن محمد من شرفائها أيضاً ، درس وأفاد ، وتوفي سنة ١٣١٩ هـ .

وخاطبني برسالة أخرى نصها :

العلامة العارف الجم العوارف والمعارف ابننا الشيخ الحفناوي ابن الشيخ البركة ولي نعمتي سيدي الشيخ ابن أبي القاسم . أشهد الله العظيم العزيز أنك لدينا لمكين عزيز ، فحياً أحبك محبة الوالد لبررة الأولاد . وأدعو لك بخير الدارين من صميم الفؤاد . فحي الله تلك الطلعة البهيّة ، أبرك وأطيب وأزكى تحيةً ، أما بعد : فقد وصلني الجواب ، ففرحت به فرح المحلل بقطر السحاب ، حرس الله كمالك ، وأنجح آمالك .

هذا وإجمال المقال على بعض ما تضمنه السؤال ، إن السر في جواز كشف المرأة الغير المخشية الفتنة وجهها وكفها شمولاً عمومات نصوص إباحة أنواع المعاملات لها ، لأنهن شقائق الرجال ، فإباحة التزوج يجوز للمخاطب نظر وجهها وكفها فقط ، ليستدل بهما ، ولأنها كالبائعة ، والزوج كالمشتري . ولذا قال خليل : الصداق كالثمن ، ويجوز لها البيع والشراء والإجارة لضرورياتها إن لم تجد كافياً . قال خليل آخر فصل المفقود في شأن المعتدة : « ولها الخروج في حوائجها طرفي النهار » وقد تضطر المرأة أيضاً للشهادة لها أو عليها ، كما أنها تجوز شهادتها في المال أو ما يؤول له ، وفي ما لم يطلع عليه غيرهن قال خليل في باب الشهادة : « ولا على من لا يعرف إلا على

عينه ، وليسجل من زعمت أنها ابنة فلان ، ولا على منتقبة للتعين للأداء ،
وإن قالوا أشهدتنا منتقبة ، وكذلك نعرفها ، قلدوا وعليهم إخراجها إن قيل
لهم عينوها « فلو كلفت بستر جميع بدنها في نحو هذه الأبواب حصل الاشتباه
والتبس الحال وفات المراد وانتشر الفساد .

[١٥] وأما دليل وجوب ستر الوجه والكف من المخشية فعموم أدلة تحريم
الفاحشة ، إذ الوسيلة لها حكم مقصدها ، وأما حصر الأمور التي يحكم فيها
بالعرف وأمثلتها فنظهر من تتبع المتون الفقهية كالمختصر والتحفة ونحوهما ، قال
في المختصر في بحث مخصصات عمومات الأيمان عاطفاً على قوله : وخصصت
نية الحالف ، ثم بساط يمينه ، ثم عرف قولي الخ وقال في فصل تنازع الزوجين
عبد الوهاب إلا أن يكون بكتاب وإسماعيل بأن لا يتأخر عن البناء عرفاً ،
وقال في باب الإجارة : « واسترضاع والعرف فيه كفصل خرقة » وقال بعده
في الباب أيضا : ولا يلزمه رعي الولد إلا لعرف ، وعمل به في الخيط ونقش
الرحا وآلة بناء الخ وعدد من ذلك جملة ، وقال في باب الهبة : وصدق واهب
فيه إن لم يشهد عرف بضده اهـ . وهذا أنموذج والتتبع بطول ، وقال في « تحفة
الحكام » في فصل اختلاف الزوجين في القبض :

وهولها فيما ادعى من بعد أن . بنى بها والعرف رعيه حسن
وقال بعده في فصل ما يهديه الزوج :

وإن يك الإرسال للشواب . شاهدته العرف بلا ارتياب

وأما فتاوى السنوسي فلم أسمع بها ولم أقف عليها إلا في الكتابين الذين
ذكرت ، وأما ترجمة الفقير فالرأي أن تكلف بها أحد الشاينين النجيين الصديقي
أو ابن السنوسي والإنشاء المطلوب متعذر مني الآن لضعف القلب حساً ومعنى ،
فاعفني منه عفاك الله ، ونظم الورقات بشرحه قد كلفت من ينسخه لكم ،

وعما قريب يصلكم إن شاء الله تعالى ، ودمتم كما رمتم ، والسلام . من إملأه
الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن .

وله مقامة في المناظرة بين العلم والجهل كأنها مملأة عليه من فم الحقيقة ،
أتى فيها على لسان العلم وأهله ولسان الجهل وذويه بما لهما وعليهما من الخصال
والصفات ، وكلها فوائد تاريخية ولطائف علمية وإشارات إلى حوادث عظمى ،
تميز بها الممالك والأجيال في الماضي والحال ، ومع هذا هي ورقات قليلة
يمر عليها الذكي في ساعة أو أقل ، أولها :

بعد حمد ملهم الصواب وكاشف الأوصاب ، والصلاة الكاملة المتواصلة
الشاملة على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ، والفئة العاملة العاملة ، فقد
اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال ، فاجتمع قوم ، وعينوا
لذلك يوم ، فقام العلم ، وقد شاخ وأسن وأدركه الضعف والوهن ، بادي
الإعواز ، يتوكأ على عكاز ، في رثة حال وأطمار وأسمال ، فبسمل وحمدل
وحسبل وحوقل وصلّى وسلم على خير من علم فعلم ، وقال : يا جهل ! ما
أنت لخطابي بأهل . إلى أن قال بعد صفحات على لسان الجهل يخاطب
العلم : يا قليل الجدوى ، يا داعية الكبر والدعوى ، أتفخر بينك الشعث
الغبر ، الذين ليس لهم عند أهل الدنيا اعتبار ولا قدر ، إن خطبوا ردوا ،
عدّ الناس فما عدوا ، وإن غابوا فما فقدوا ، وإن حضروا فكأنهم ما وجدوا ،
[١٦] ما لهم شارة ، ولا إليهم إشارة الخ .

وقد طبعت هذه المقامة في تونس بمطبعة بيكار وشركائه في نهج الجزيرة ،
طبعاً يحتاج إلى تصحيح كثير .

ولما بعثت له الجزء الأول من هذا التعريف قرظه بقوله :

نحمدك اللهم يا من جعل العلم حلية الأبرار ، وقنية المهتدين الأخيار ،

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة ، وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة .
 أما بعد : فإن العلم من أفضل الذخائر ، وأشرف ما يتنافس في خدمته أفاضل
 الأوائل والأواخر ، وهو لعمرى من أسنى المواهب ، وأعلى المفاخر والمثاقب ،
 فالعلماء وأعيانهم مفقودة ، وآثارهم على صفحات الدهر موجودة ، وإن
 من أظرف فنونه ، وألطف أغراضه وعيونه ، فن التاريخ الجليل ، المعظم في
 كل أمة وقبيل ، الذي لولاه ما عُرفت سيرُ الملوك والعظماء ولا حُفظت تراجم
 العلماء والحكماء ، وإن من أبدع مصنفاته وأحسنها ، وأجل مؤلفاته وأتقنها ،
 السفر المسمى « بتعريف الخلف برجال السلف » الذي حرره العلامة المحقق
 بلا مدافع والجهيد المدقق بلا منازع ، فريد عصره السيد الحفناوي بن الشيخ
 حفظه الله تعالى وأسعد أحواله ، وأنجح فيما يرجوه في الدارين آماله ، فإنه
 كتاب جليل الموضوع أحياناً به مجد علماء القطر ، وأبان عن مآثرهم ومآلهم
 من جميل الذكر ، وقد قلت أبياتاً في مدح المؤلف وتأليفه ، متضمنة لتاريخه
 حسب الإ استطاعة ، فإن الإنفاق بمقدار البضاعة :

جَبْدًا عَقْدُ جَمَّانٍ وَدُرَّرُ ۞ صَاغَهُ الْحَبْرُ الْجَلِيلُ الْمُعْتَبَرُ
 مُفَرَّدُ الْعَصْرِ الْهَمَامُ الْمُرْتَضَى ۞ مَا جَدُّ الْآبَاءِ مَحْمُودُ السَّيَّرُ
 إِنْ وَشَى طَرَسًا فَحَدَّثَ مَا تَشَا ۞ عَنِ بَيَانٍ وَمَعَانٍ كَالْفُرَرُ
 لَوْ دَعَيْتُ ذُو مَزَايَا جَمَّةً ۞ فَارَسُ التَّحْرِيرِ غَوَّاصُ الْفِكْرِ
 ذَلِكَ الْحَفْنِيُّ نِبْرَاسُ الدُّجَا ۞ فِي عُلَاهُ صَدَقَ الْخَيْرُ الْخَبِيرُ
 وَكَفَانَا شَاهِدًا إِبْرَازُهُ ۞ تَحْفَةً فِي الْعَصْرِ تَسْبِي مَنْ نَظَرَ
 ضَمِنَهَا تَعْرِيفُهُ بِالْعِلْمِ ۞ مِنْ رِجَالٍ ذَكَرَهُمْ يَجْلِي الْكَدْرُ
 جَمَّلُوا الْغَرْبَ وَأَعْلَوْا قَسْدَرَهُ ۞ وَهُمْ لِلْغَرْبِ نِعْمَ الْمَفْتَخَرُ
 خَدَمُوا الْعِلْمَ فَمَا أَسْعَدَهُمْ ۞ ظَفَرُوا بِالْفَوْزِ فِي أَعْلَى مَقَرُّ
 زَيَّنَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَدْرَسَةً ۞ بِجَوَارِ الثَّلَبِيِّ الْقُطْبِ الْأَبْرُ

[١٧] روضة العلم ومغنى الفضل
 يا له سيفراً غداً تاريخه
 سوف يحيى في حماها ما اندثر
 جلّ للتعريف معنى قد بهر
 ٢٠٧ ١٠٤ ١٦١ ٨٢٠ ٣٣
 سنة ١٣٢٥

محمد ابن سيدي بن علي

علم الأعلام اللاعب لسانه بأطراف الكلام ، سبحان البلاغة وقس البراعة ،
 ومالك أزمّة المعاني ومصرف البراعة ، فارس الأدب المفرد وحامي ذماره ،
 وحارس روضه الأنف ، ومطلع شموسه وأقماره ، شيخنا أبو عبد الله سيدي
 محمد بن سيدي محمد الشهير بسيدي ابن علي ، أمطر الله ثراه من الرحمة
 والرضوان بكل وسمي وولي .

أثبت له سيدي ابن عمار في رحلته ما يرشف رحيقاً ، وينشق مسكاً
 سحيقاً ، ويستروح نسيماً ، ويستمح مبحياً وسيماً ، ويسترق عذباً زلالاً ،
 ويستنطق سحراً حلالاً ، وذكر له فيها موشحات كثيرة ، وأطنب في مدحه
 بعد ذكره لموشحاته ، كما أطنب في مدح الجزائر فقال فيه : هذا الإمام هو
 خاتمة الشعراء العظام بهذا الصنيع ، ليس لقليل الأدب بعده نفع ، وكثيراً ما كنت
 أرتاح إليه رحمه الله تعالى كما يرتاح إلي ، ويا طالما كان يفرغ من سجال
 آدابه علي ، ومضت لي معه مجالس كقطع الرياض ، تكسي النفس والطبع
 منها مطارف ارتياح وارتياض ، وشعره كثير ، وهو على كثرته يفوق الدر
 النظيم والزهر النثير ، ونثره على جودته قليل ، وسيفه فيه غير قليل ، وله
 ديوان أشعار تغلو في عكاظ الآداب إذا رخصت الأسعار .

وكان رحمه الله في نظمه متين الجيد ، لطيف الهزل ، محكم النسيج ،

رقيق الغزل ، قال : وقد ترجمته في تأليفي « لواء النصر في فضلاء العصر »
وباسمه صدرت في الكتاب وافتتحت ، وبطل أدبه رقرقت زهره وفتحت ،
ثم قال مادحاً للجزائر وله : تنزهنا مرة ببعض محروسة بلدنا الجزائر التي هي
ريحانة القاطن وسلوانة الزائر في حدود سنة الثلاث والستين بعد المئة وألف ،
وقطفنا زهرات الأنس أيما قطف ، وكان روح سرورنا الذي عليه المدار ،
ومغناطيس حبورنا الذي لا يأتي الدهر بمثله ، ولا ساعدت به الأقدار ، شيخنا
الأديب البارع الناهل من حياض السؤدد والكارع ، الذي تقلدت بعلمه كاعب
الدنيا ، وتحلّت وألقت إليه أرض الآداب ما فيها وتخلت ، أبو عبد الله
المذكور ، فمضت لنا أيام أنس ما مضت للنعمان بالشقيقة ، ولا قضتها غسان
بروضة شامهم الأنيقة ، ولا نادم حسان في مثلها عصابته بجلق ، ولا جال في
وصف شبهها لسانه المتذلق ، ولا مرت لأهل العراق بالرصافة والدجلة ،
ولا أجرى ابن عباد في مثلها للهو خيله ورجله ، ثم صدرنا ولا بد بعد الورد
من صدر ، وأيام الأنس عندما تخلو يختلسها القدر ، فعرضت لي بعقب ذلك
[١٨] غيبة ملأت من الأشواق العيبة ، فكتب إلي يتشوق ويصف تزهتنا تلك بما
يتقلد به جيد الأدب ، ويتطوق من هذه القصيدة التي قام فيها وقعد ، وبرق
سماه فكره على أهل هذه الصناعة ورعد ، شمر فيها عن ساعد الإتيقان ،
وأطلعها في فلك البلاغة طلوع الثريا ، أستغفر الله بل الزبرقان ، وأتى فيها من
غرائب الإحسان والإجادة بما يبكت أبا تمام ويسكت أبا عبادة ، وهي قوله
دام عزه وطوله :

قسماً بريحان العقيق وبانـه . لقد انقضى غزلي على غزلانـه
من كل أحوار بابلي الطرف فـا . تكه بأرباب النهى فتانـه
تنيف على المئة ذكره في آخرها بقوله :

وإذا الفتى علقَ الفضائلَ واعتلى * قننَ المعالي عزّاً في سلطانِه
 وعلتْ إشارتهُ وشارتهُ فلا * زمنٌ تراهُ يسودُ غيرَ زمانِه
 ما كلُّ منْ صاغَ القريضَ يُجيدُه * معنىً ويصرفُه على أوزانِه
 إلا ابنَ عمّارٍ فحسبُك من فتى * زانَ النشيدَ وعدّاً في أعيانِه
 حلّى بحلبتهِ وأبسَ خلعةَ التـ * قديمٍ فيه وجدّاً عن أقرانِه
 قد همتُ من شوقي إليه وليتنبي * وافيته كالطيرِ في طيرانِه
 فعليه مني ما حيتُ تحيَّةً * تُزري بعرفِ البانِ في إبانِه
 وتُحلني منه محلّ شقيقِه * أو كالشقيقِ الغضِّ من نعمانِه
 ما دارَ كأسُ الودِّ بين أحبِّه * هاموا بريحانِ العقيقِ وبانِه

وله أمداح كثيرة وأدبيات شهيرة ، وشهرة هذا الرجل تغني عن التعريف ،
 وأيدي الناس ممتلئة من شعره التليد والطريرف .

وقد ذكره الكاتب أبو زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي في رحلته فقال
 عندما ذكر الجزائر ما نصه : وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيتُ بها مثل من
 فارقت من أدباء بلدي ، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي لاجتماعي بها
 بالأديب الماهر ، الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر
 الجواهر ، أديب العلماء وعالم الأدباء محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب ،
 الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب ذي القدر العلي أبي عبد
 الله محمد بن محمد المعروف بابن علي ، أبقى الله وجوده بالألطف محفوفاً ،
 وبالنفحات الأدبية منحوفاً متحوفاً ، فهي والحمد لله إلى الآن دار الجوهر

[١٩] الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل ، وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت
 السماء البقل ، ولقد رأيت على ظهر الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام
 الثعالبي خطوط عاملين وصلحاء كاملين ، كانوا في عصره وهم العلامة سيدي

أحمد بن عبد الله الزواوي ، وعبد الجليل بن عيسى بن عمران ، وعيسى
ابن محمد الجعفري ، وعيسى بن عبد الله الزركوطي ، وقاسم بن محمد بن محمد
ابن علي ، وأبو جمعة بن حسين المكناسي شيخ الثعالبي ، وعبد الرحمن بن
المقداد ، ومحمد بن موسى بن اعمر ، كما رأيت خط الثعالبي بنفسه في
مبيضته بتمامها في سفر ضخمة ، وعلى ظهره أشهد على نفسه أنه حبسها على
طلبة العلم ، وكتب ذلك بخط يده سنة خمس وثلاثين وثمان مئة ، وأنزلوا
هؤلاء الأشياخ خطوط أيديهم نفعنا الله ببركاتهم .

وأولياؤها المشهورون بها المتبرك بزيارتهم ، وأنا أتبرك بعدتهم إن شاء
الله هم : سيدي سليمان الشريف ، وسيدي عبد اللطيف ، وأبي يعلى الشريف ،
وسيدي بركات ، وأبي سيدي مزيل الكربات ، وسيدي عبد الكريم الغافري ،
وسيدي أبو حفص عمر بن منصور ، ووال داده ، وسيدي أبي النور ، وأبي
يعقوب الشهير بالبادسي ، وذو الرملة ، ورجال ساحة المدارج ، والرجال
السبعة ، وسيدي هلال ، وأبو العباس أحمد الجودي من أكابر أولياء مزغنة ،
وابن منصور الحلبي صاحب المدرستين تلميذ الثعالبي ، والسيد الحمزي ،
وسيدي فليح ، والشيخ سيدي علي الفاسي ، وأبي شريحة ، وداوود بن علي ،
وسيدي محمد الشريف دفين زاويته بالجبل ، وسيدي شعيب ، وسيدي رمضان ،
وأبو نحلة ، وسيدي إبراهيم التكروري ، وسيدي مصباح ، وسيدي أبو
قدور ، وسيدي الحرفي ، وسيدي زروق ، والإمام الخروبي ، وسيدي
عيسى الدينيري ، وسيدي التنسي ، وسيدي عبد القادر ، وسيدي أحمد بن
علي ، وسيدي المغوفل ، وولي الله محمد الديلمي ، وسيدي رزيق ، وسيدي
أبي التي بباب عزون ، وسيدي عبد الحق بها أيضاً ، وسيدي علي
الزواوي ، وأبو مهدي ، وسيدي عيسى ، وأبو مهدي ، وأبو يخلف ، وأحمد
ابن أبي العباس الكبير ، وسيدي موسى بن ناصر ، وعلم بن مخلوف الحريري ،

والحاج المنير ، وسيدي عبد العزيز ، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الجرجري ،
وسيدي أحمد بن عبد الله صاحب القصيد ، رضي الله عن جميعهم ونفعنا
ببركاتهم .

وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء ، مساجدهم
بالتدريس معمورة ، ومكاتب أطفالهم بالقراء مشحونة ومشهورة ، وقد
ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الأخيار ، وكلهم متحلون بما ذكره الغزالي
في « الإحياء » متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث ، وإحياء ليلة المولد
النبوي مثل ما في القديم والحديث اهـ.

سيدي محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني

الشيخ الإمام الفقيه العالم العلامة النبيه ، مفتي فاس ، وخطيب جامعها
[٢٠] الأعظم وعميد علمائها ، وشيخ الجماعة بها ، أبو عبد الله سيدي محمد بن
عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني .

ولد بتلمسان سنة ثمان وتسع مئة (٩٠٨) ، ثم رحل منها إلى فاس سنة
ثمان وخمسين في صدر أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف ، ولما
استقر بفاس قلده السلطان المذكور الفُتيا بها والتدريس ، وخطب بجامع
الأندلس ثمان سنين في حياة أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، وولده الشيخ
أبي شامة ، ثم بجامع القرويين ثلاث عشرة سنة ، وكان إمام الأئمة وخبيراً
من أخبار الأمة ، قد تزلج من أفانين العلوم وشرب من صفو رحيقها المختوم ،
وتنافس الناس في علومه والاقْتباس من فهمه ، عارفاً بالمنطق والعقائد والبيان
والفقه والحديث والتفسير وغير ذلك ، مرجوعاً إليه في تحرير عقائد التوحيد
هنالك ، ذا سمت حسن وهدى كريم مستحسن . وتوادة وسكينة ووقار وهمة

عظيمة المقدار ، وجود وسخاء وفضل وذكاء .

أدرك المشايخ بتلمسان ، وأخذ عنهم وانتفع بهم ، كالفقيه المحصل الصالح المفتي أبي عبد الله محمد بن موسى فقيه تلمسان ، والفقيه المتفنز الصالح أبي عثمان سعيد المقرئ ، والأستاذ المحقق أبي العباس أحمد بن أطاع الله من تلاميذ الشيخ ابن غازي ، وحضر عند الفقيه المفسر المتفنز النوازي أبي مروان عبد المالك البرجي في التفسير وغيره ، وكذا أخذ عن جماعة من أصحاب أبي عبد الله السنوسي ، وعن أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، وكان والده سيدي عبد الرحمن من رفقاءه وأصحابه الملازمين له ، وكان ولده صاحب الترجمة يزوره معه ويتبرك ، فكان ممن سمع أحوال الأولياء وسبقت محبتهم في قلبه ، وفي « المرآة » أنه أخذ عنه الشيخ أبو المحاسن ولازمه كثيراً ، وقرأ عليه التفسير والأصول والفقه والكبرى والصغرى للسنوسي ، قال : وكان قد أخذ عن الشيخ الإمام المتفنز الصالح الزاهد أبي عثمان الكفيف ، وهو أخذ عن الشيخ السنوسي ، وأخذ أيضاً عن الشيخ أبي العباس ابن زكري رحمهم الله اهـ.

وقال في « ابتهاج القلوب » : قال النيجي : أخذ الشيخ أبو المحاسن عنه عقائد التوحيد ، وكان ماهراً في ذلك بشهادة العامة والخاصة له كاليستيني وغيره اهـ.

[٢١] وفي « تحفة الإخوان » للمرابي عدّاً أيضاً من أشياخ سيدي رضوان الجنوي وقال : إنه كان من العلماء الراسخين من بيت علم ودين ، وخطيباً بالقرويين ومفتياً بها اهـ.

وقال في « الدوحة » : لقي المشايخ وأخذ عنهم بتلمسان ، وطالت أيام رئاسته بفاس حتى أسنَّ وأثقله الهرم ، وانتفع الناس به ، وتوفي سنة إحدى

وثمانين اهـ. يعني من القرن العاشر (٩٨١) .

وعده المنجور في « فهرسته » ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان ، وأخذ هو عنهم ، وحلاه بالفقيه الموحد المشارك المفتي الخطيب ، وقال : استفدت منه في العقائد والفقه والحديث والأدب وغير ذلك ، ثم قال : وكان ذا تودة وسكون وهمة وسخاء ، استوطن فاساً وبها توفي في ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين (٩٨١) ، قال : وقال لي : إنه ولد سنة ثمان وتسع مئة اهـ. وهكذا ذكر وفاته أيضاً غير واحد ، وفي « الجذوة » و « درة الحجال » أنه توفي سنة ثمانين بإسقاط لفظ إحدى ، وفي « المطمح » توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وتسع مئة اهـ ، وضريحه رحمه الله على ما يؤخذ من التنبية بقرب سيدي أبي غالب . ترجمه في « الجذوة » و « الدرّة » و « نيل الابتهاج » و « الدوحة » و « المرأة » و « ابتهاج القلوب » و « المطمح » وغيرها .

محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ البوني

الأديب الركن الماهر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجمال محمد بن الشهاب أحمد بن أحمد البوني المكي المالكي .
قدم جده من المغرب وهو فقير جداً ، ففطن الحجاز وترقى ابنه بخدمة الشريف بركات ابن أبي نُمي صاحب مكة ، وكان فيه خير ونفع ، وقف في مرض موته على البيمارستان المكي بعض الأماكن ، وخلفه ابنه في الترقى ، وله إخوة ، وكان محمد هذا على مذهب آبائه ، وكان كاتباً شاعراً ولد بمكة وبها نشأ ، وحفظ أشعار العرب ونافس أقرانه في علوم الأدب ، وله أشعار حسان ، منها قوله مجيباً للبرهان إبراهيم المهتار عن قصيدة خميرية نظمها وأرسلها إليه ليعارضها ومطلعها :

دع الوقوف على الأطلال والنجب • ولا تعرج على مجهولها الخرب
فعارضها بقوله :

ما دام كأس الحميا باسم الشنب • فترك لثمي له من قلة الأدب
فاستجلبها بنت كرم مع ذوي كرم • من كف ساق يبرد الحس محتجب
كالبدري سعى بشمس الراح في يده • فاعجب لبدري سعى بالشمس للهب
إذا رنا قلت : خشف في تلفته • وإن تشي ففصن ماس في الكتب
من لي بها وهي تجلى في زجاجتها • ومن سنا موثني باللهو والطرب
مع رفقة كالنجوم الزهر ساطعة • حازوا جميع النهى والذوق في العرب
والورق تشدو على الأغصان قائله • بكر صبوحك بالكاسات والنجب

وله تنمة لم أقف عليها ، وكتب إليه المهتار قصيدة مبدؤها :

بقلبي سيف اللواظر سنه • وأقرض وجددي وهجري سنه
فراجعه بقصيدة طويلة أولها :

أجبتك مولاي من غير مننه • فذوقك قد حفي الفضل مننه
وإني مطيعك فيما أمرت • به وودادي كما تعهدت مننه
عجبت لسحر عيون الطبا • تصيد القساور من غابهننه
وهن الدمي الخرد الأنسات • ومن لهم الشعب أضحى مظنه
فكم دون أقدارهم مهلك • وكم حولهم من جباد معنه
بيض الصفاح وسمر الرمماح • وصفر القسي وزرق الأسنه
فحي حمي الشعب من عامر • حيا لم يزل يسقي أطلالهننه
فتم الغواني الملاح الصبا • يرن الوشاح بأعطافهننه
إذا مسن ما بين تلك الخدور • يحاكي القتالين أعطافهننه
فطير الحشا لم يزل واجبا • عليهن إن لحن في حينهننه

وَمِنْ ثُمَّ أَهْوَى بِدَيْعِ الْجَمَالِ * حَوَى اللَّطْفَ وَالظَّرْفَ مِنْ بَيْنَهُنَّ
رَشَاءَ خَصْرُهُ مَضْرُوبٌ نَاحِلٌ * إِذَا قَامَ وَالرَّدْفُ مَا أَرْجَحْتُهُ
فَوَجَّتُهُ مِنْ دُبِّ الْعِذَارُ * حَكَتْ يَا ذَوِي الْعِشْقِ نَاراً وَجَنَّةً

ما أحسن قوله واجباً بعد قوله فطير ، وطيور الواجب المتعارفة عند أرباب
القوس والبنديق أربعة عشر: وهي الكركي والسيطر والعنز والسوغ والمرزم
والغرنوق ، وهذه الستة يقال لها : قصار السبق ، والنسر والعقاب والإوز
والتّم واللغغ والأنيسة والسلوى يقال لها : طوال السبق ، وإنما قيل لها :
طيور الواجب لأن الرامي كان لا يطلق عليه لفظ الرامي إلا بعد قتل هذه
بأجمعها بالبنديق وجوباً صناعياً .

ومن شعره قوله :

أَنْحَلَ اللَّهُ خَصْرَ ذَاتِ الْمَثَالِ * فَهَيَّ وَاللَّهِ لَا تَرِقُ لِحَالِي
وَأَرَانِي الْحَاطَّهَا فِي انْكَسَارِ * وَلَظَى جَمْرٍ خَدَّهَا فِي اشْتِعَالِ

[٢٣] وله غير ذلك ، وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة وألف (١٠١٨) ،
ودفن بالمعلاة ، والبوني نسبة لبونة بالمغرب من أعمال تونس . وهي المسماة
اليوم عنابة .

محمد بن عبد الرحمن الأنصاري

محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الأنصاري الشاطبي الفقيه
القاضي الصدر المتقن المحصل المجيد ، له علم محكم وعقد صحيح مبرم
رحل للشرق وحج ، وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلاً إلى فضل ونبلاً
على نبل .

كان مثبتاً في فقهه لا يستحضر كثير النقل ، ولكن ما يحتاج إليه ، عالماً بالعربية وأصول الفقه ، مشاركاً في أصول الدين ، شرح الجزولية وكان أبوه قاضياً ، وبَيْتُهُمْ بيت علم وقضاء وتوارث سؤدد ، ولي قضاء بجاية فكال على سنن الفضلاء وطريق الأولياء العقلاء ، قائماً بالحق مع الصدق معارضاً للولاء . لا يرى تقديم الشهود إلا عند الحاجة ، فإذا حصل من تقع به الكفاية فلا يقدم سواهم لأن الكثرة مفسدة .

طلب منه الملك تقديم رجل فقال له مشافهة : إن شئتم قدمتموه وأخروني ، وكان إذا جرى الأمر في تحريّ الشهادة ويجري ما قاله فيه القاضي أبو بكر ابن العربي وغيره من أنها قبول قول الغير بغير دليل يرى أن هذا أمر عظيم لا يليق أن يمكن منه إلا الآحاد الذين بان فضلهم في الوجود ، وكان يرى أن جنایات الشاهد في صحيفة من يقدمه لحديث « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً » وقد سئل : من أولياء الله؟ فقال : شهود القاضي لأنهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة ، فإن كانت الشهادة بهذه الصفة فلا شيء أجلُّ منها ، وإن كانت خفة فلا شيء أخس منها ، ولما كانت واقعة ابن مريم بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال : والله لا أفسد ديني . ولما توفي عجز القاضي بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه . صَحَّ من الغبريني في تاريخ أهل المثة السابعة ببجاية .

سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي

محمد بن عبد الكريم التواتي نزيل تكروت قال أبو سالم : عالم زمانه شدا طرفاً من الفقه والنحو ، وله خبرة بعلم العروض اهـ .

محمدُ بنُ عبدِ اللهِ القاضي التلمساني

يعرف بحمور الشريف ، أخذ عنه أبو زكرياء المازوني ، ونقل عنه فتاوى في نوازله .

قال الونشريسي في « وفياته » : توفي سنة ٧٣١ . وقال محمد بن يعقوب الأديب : توفي سنة ٨٣٢ أو ثلاث وثلاثين هـ . وأما محمد الشريف التلمساني [٢٤] من شيوخ القلصادي فهو غير هذا ، والله أعلم باختلاف وفاتهما فتأمله .

أبو محمد المسبح القسنطيني

الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرדاسي نسباً ، كذا بخطه . كان مفتياً بقسنطينة مرجوعاً إليه في وثائق أهلها ، وكان الحساب أغلب عليه من غيره ، مدرساً في آفقه ، صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق . وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن بن الصغير الأخضرى . طالعناه زمن الشيبه فرأينا عماده على جمع الكتب والنقل منها فحسب ، لا يُلم بلفظ المصنف ولا بأوي إليه ، ولا ما يستخرج من أبحاث لفظه ومفهوماته وماآخذه ، وهو الموجب لشرحنا عنه المسمى « بالدرر في شرح المختصر » نبهنا على فوائد فيه لم توجد في المطولات ، ويذكر لأبي محمد المترجم أن له شرحاً على الدرّة هـ . من منشور الهداية لسيدي عبد الكريم الفقون القسنطيني .

محمد بن عبد الكريم الجزائري

الشيخ الفقيه الأديب العلامة الصالح الأريب أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الجزائري بلداً الشريف الحسيني نزيل فاس .

أخذ رحمه الله عن عدة من الشيوخ مشاركة ومغاربة ، منهم أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي ، وأبو علي اليوسي ، والشيخ سيدي سعيد قدورة شارح « السلم » في المنطق وهو عمدته ، وأخذ أيضاً عن الشيخ علي الأجهوري ، والبابلي ، والفيشي ، والقشاشي ، وسيدي محمد الزرقاني ، والغنيمي ، والشنواني ، والشهاب أفندي وغيرهم ، وقد عد له في المنح البادية نحو سبعين شيخاً ، وكان قدومه لفاس سنة ثلاث وثمانين وألف (١٠٨٣) ، ووفد على السلطان مولانا إسماعيل وأكرمه مراراً ، وكان يجله ويعظمه ، وكان ذاكراً للأدب والتواريخ حسن المجالسة ممتع المحاضرات للعلامة اليوسي رحمه الله حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري قال : حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال : إن قيل زُرْتُمْ بِمَا رَجَعْتُمْ * يا أكرم الخلق ما أقول بالقاف المعقودة فسمع من الروضة المشرفة بتلك اللغة :

[٢٥] قولوا رجعنا بكل خير * واجتمع الفرع والأصول

توفي رحمه الله بفاس سنة اثنتين ومئة وألف (١١٠٢) .

قال في « النشر » في بعض نسخه : ودفن خارج باب الجيسة ، وهي على قبره بيت بروضة ابن جلون عن يسار المار إذا أعيدت الطريق الممرور عليها لحارة المرغي .

وترجمه الجبرتي بقوله : الشريف المعمر أبو الجمال محمد بن عبد الكريم

الجزائري . روي عن أبي عثمان سعيد قدورة ، وأبي البركات عبد القادر .
وأبي الوفاء الحسن ، وعبد العزيز بن محمد الزمزمي ، والشبراملسي ، والشهاب
القليوبي ، والغنيمي ، والشهاب الشلبي ، ومحمد حجازي الواعظ ، ومفتي
تغر محمد الحبشي ، والنجم الغزي ، والقشاشي ، والشهاب السبكي ، والمزاحي .
وتوفي سنة ١١٠٢ .

أبو عبد الله محمد القلمي

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعافري القلمي المعروف بابن الخراط
الشيخ الفقيه النحوي ، الأستاذ المقرئ الصالح المبارك ، أحد الثقة الأثبات
الصلحاء ، الرواة تخرجوا على يديه ، وظهرت عليهم بركته ، وفعلت فيهم
سريرته الصالحة ونيته ، ولم يكن أحد أجهد منه على القيام والصيام ، وما
كان عيشه رضي الله عنه إلا من المباح ، وإذا اشتهى اللحم ينزل إلى النحر
فيصيب الصفاق على الأحجار ، وهي لحمه رضي الله عنه ، وما من ناحية
من النواحي إلا وله فيها مسجد ومعلم ، وكلها معروف البركة .

وكراماته رضي الله عنه أكثر من أن تحصى ، ولو كتبت لكانت مجلدات ،
وأحواله كلها كرامات ، وكان يجلس لعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم
التذكير ، وكان الغالب عليه رضي الله عنه الخوف ، ما يمر في مجلسه إلا
ذكر النار والسعير والأغلال ، وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه .
هذا هو حاله ديمة ، وهذه الطريق أحسن الطرق في الدعاء إلى الله تعالى .
إذ جبل الله الخلق على أنهم لا يفعلون غالباً إلا بالخوف ، ولأجل هذا كان
أكثر الشريعة تخويفاً ، وما زال رضي الله عنه مستمراً على هذه الحال إلى
يوم وفاته ، فبسط أمل الناس ورجاهم في رحمة الله في سعة مغفرته ، ومنّاهم

بما عنده من كثرة الثواب . وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً إلى غير ذلك مما اشتمل عليه مجلسه . وهذا طريق حسن لأنه لم يبق عند الله إلا الطمع في الرغبة فيما عنده . لأن الخوف فائدته إنما هو الحُصْرُ على العمل ، وحين الموت انقطع العمل ولم يبق إلا قوة الأمل ليلقى الله طيبة نفسه ، فيحب لقاء الله فيحب لقاءه حسبما اقتضاه الحديث .

ولقد رأيت فضلاً فيه ذكر وفاته بخط الشيخ المقرئ أبي العباس بن الخراط ، وأنا أذكره بنصه : قال رحمه الله : إن وفاته كانت بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من عام أحد عشر وست مئة [٢٦] (٦١١) ، وتوفي في هذا اليوم فجأة من غير تقدم مرض ، قال : وكان قد رتب ميعاداً بالقراءة لسماع تفسير القرآن العظيم ، وميعاداً بعد صلاة الظهر لسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جري عادة السلف الصالح في شهر رمضان ، فبينما أنا أقرأ بين يديه بالغداة وقد مرت آية فهم منها ما لم نفهم ، وعلم من فحواها ما لم نعلم ، إذ وثب قائماً ، فترع طيلسانه ، وطرح رداءه ، وحسر رأسه ، وبسط يديه ، ورد ذراعيه فأمسك عن القراءة ، فتعوذ بصوت رفيع وبسمل ، فافتتح القراءة بقول الله تعالى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ^(١) ولم يزل يرددّها ويكررها بتحدير وترنين ، ثم أقبل علي ثم أقبل على الناس بخضوع وخشوع ، وأخذ يبين لهم ما عند الله من سعة الرحمة وإضعاف الحسنات والتجاوز عن السيئات ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ثم قال : يا إخواني سألتكم بالله إلا ما ضممت صبيانكم وأولادكم وأصاغركم ودعوتكم لي ، ولا تنسوني فإني جار لكم ، فلست أنساكم ، وأكثر هذا القول في بكاء شديد حتى كأنه أشعر أنه راحل من الدنيا وأن ذلك وداع منه للناس ، ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٨ .

بالدعاء المعهود منه ، ولما جاءت صلاة الجمعة وأخذ الناس في الرواح ، وجلس الإمام على المنبر وأذن المؤذنُ خرج على الناس من زاويته ، وجلس منصتاً لاستماع الخطبة ، فلما قضيت الصلاة نُصِبَ له كرسيه ، واستوى عليه وازدحم الناس ينظرون إليه ، فأخذت في قراءة الكتاب « المسند الصحيح » من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه ، وهو ينظر إليه فاعتراه شبه غشي أماله عن جانبه الأيمن ، فبادرت إليه مع بعض من قَرُبَ منه خشية أن يسقط فحملناه وأدخلناه زاويته ، وأطبقتنا الباب دونه فبادر إليه من كان يخدمه من أهله ، وجلسنا ننتظر عاقبة أمره إلى أن أذن مؤذنُ العصر ، وأخذ الناسُ في التنقل ثم أقيمت الصلاة ، فسمعت في الزاوية حركة اغتسال يفهم منه تجديد طهارة ، ثم سكنت تلك الحركة ، وقد أدرك فضل صلاة الجماعة ، ثم استلقى مستقبلاً فقبض طاهراً صائماً صامتاً معتكفاً في الجامع قرأاً بقلعة بني حماد .

[٢٧] ولقي بها مشايخ منهم الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي ، والأستاذ أبو الحسن علي بن شكر بن عمر القلعي ، وأخذ عن الخطيب المقرئ النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفرا ، والفقير الفاضل الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الرواح وغير هؤلاء ، وانتقل إلى بجاية واستوطنها ، وأقرأ بها وجلس الأستاذية ، وانتفع الناس عليه ، وكان معروفاً بالصلاح ، وكان مرفعاً مكرماً ، وكان حسن التلاوة صادق القراءة ، وكان إذا أحيأ ليلة سبع وعشرين فما دام الأستاذ أبو عبد الله يقرأ يصلي قائماً لا يركن إلى الجلوس ، فإذا قرأ غيره ممن يعينه يجلس ، وذلك بجامع القصبة المحروسة شرفها الله بذكره ، خطب بالجامعين الأعظم وجامع القصبة ، وكانت خطابته أولاً بالجامع الأعظم ، ثم غلب على الخطبة بجامع القصبة لما عُلم من فضله وعُلم من جلاله وصالح عمله .

محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الندرومي

محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي أبو عبد الله الفقيه قاضي فاس وقاضي عسكر أبي الحسن المريني .

قال ابن خلدون : كان مبرزاً في الفقه على مذهب مالك ، تفقه بالأخوين ابني الإمام ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان ورفع منزلة ابني الإمام واختصهما بالشورى ، وكان يستكثرُ من العلماء ويعمر بهم مجلسه ، طلب منهما أن يختاروا له من أصحابهما من ينطقه في فقهاء مجلسه ، فأشارا عليه يابن عبد النور هذا ، فأدناه وولاه قضاء عسكره .

توفي بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبع مئة (٧٤٩) .

محمدُ بنُ عبدِ المؤمنِ الحسني الجزائري

الفاضل العلامة الذي جعل للمحاسن علامة ، فاعترف بفضله كل موقن ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري أتم الله نوره ، وأدام سروره بمنه وفضله ، غرّة مجد في جبين الجزائر ساطعة ، ودرة فضل في جيد المكارم لامعة ، وبحر من السماحة زاخر ، أعيا الأوائل والأواخر ، رحل إلى المشرق مراراً ، وانتجع للمعارف قطاراً ، وحظي بصحبة شيوخ جلة أنهله كل واحد منهم وعله ، وما زال يخطب من عقائل المعاني كل خريفة ، وينظم من جواهر البيان كل فريفة ، حتى أربى على أهل زمانه ، وطاول أحبار أوانه ، وتوغله في الأدب هو الذي أولاه عالي الرتب ، وأهدى إليه السيادة من كل غور ، وأرقاه على القعقاع ابن شور ، إذا سجع كلاماً ، أو وضع نظاماً ،

سحر ببيانه أعياناً ، وأسكر بسلافة إبداعه أذهاناً ، وإن تكلم في سائر العلوم ،
 نفس عن المكظوم ، وأحيا قتيل الهموم ، وهذا الفاضل ممن بؤاه الله المكنانة
 العليا ، وجمع له بين الدين والدنيا ، فهو ينشد إذ كلفاً به معاً : ما أحسن الدين
 [٢٨] والدنيا إذا اجتماعاً ، ولم يزل مدة إقامتي بمطافه ، يُرشفني أعذبَ نطافه .
 ويجيش إلي من المكارم بأبحر ، ويواليني من المحاسن ما يعمر عمر ، حتى
 شردت بي النوى ، عن ذلك المثوى .

ومن أعظم شاهد على سلامته من الدعوى التي عمت بها البلوى - مع
 بلوغه في كل فن الدرجة القصوى - أني في بعض الأيام غلبني الضحك بحضرتة ،
 فظن لحسن نيته وجميل طويته أن ذلك من عدم معرفته ، فكتبت إليه معتذراً
 من تلك الهفوة ، مقسماً أن ذلك افتتان بإقراءه وصبوة ، لا غلطة وجفوة .
 بهذه الأبيات :

مهلاً على القلب إن القلب قد لسباً * إذ قيل : حبر الهدى عليّ قد عتباً
 حبر الجزائر لا تنفك محتجباً * عن من يمدُّ إلى تنكيدكم سيباً
 بلى وحلمك يا ابن الأكرمين أبا * ما كان ما فات منّا عن قلىّ عجباً
 لكن طربنا بما أبديت من نكت * نفيسة أورشني ضاحكاً طرباً
 وقد فهمنا فهمنا بالذي شربت * أفكارنا من عقارٍ أشبهت ضرباً
 ومن يكن بعقار العلم مصطحاً * أجدر به أن يرى من سكره طرباً
 هبنا زلنا أما للحلم أردية * سابعة ترتديها زلة الغرباً
 إن كان هذا الذي أبديته كذباً * فلا قضى وطري من علمكم إرباً
 ولا ركبت جواد العلم مُرجة * ولا اقتديت بمن هام بها وصباً
 ولا ظفرت بما أرجوه من وطير * ولا برحت أعاني الكد والوصباً
 ولا حننت إلى فاسٍ وجيرتها * ولا دعاني إلى تطوان عرّف صباً

قال : ولهذا المولى أشعار ، أرق من نسيمات الأسحار ، ورسائل ، آتق
من نفحات الخمائل ، لو قرأهما على الصخر لتفجر ماء صراحاً ، ولو ألقاهما
على البحر لصار سلسالاً قراحاً ، شاهدت من ذلك ما تقر برويته العيون الباكية ،
ويحسده نسيب عبد الرحمن بن حسان في رملة بنت معاوية ، وقد أخبرني
في هذي الأيام غير واحد ممن قدم من تلك البلاد . من أهل الانتجاع والارتياح
أنه تولى قضاءها ، ورد عليها بعدله رونقها الذي فقدته وبهاءها ، أبقاه الله
يظهر سناها ، وينضر مرآها .

ولما فرغت من ذلك الطواف وعزمت على الانصراف ، سألته أن يجيز
لي ما قرأته عليه أو سمعته لديه ، فنفت لي بهذا السحر ، من غير إعمال رويّة
[٢٩] ولا فكر اهـ . وأثبت الإجازة بنصها فانظرها فيه ، وقال فيها :

وإن ممن ضرب فيه بنصيب وافر ، وحصل منه القدر المفيد الظاهر ، الفقيه
النبيه ، العالم الوجيه اللوذعي الأوحد جامع الفضائل التي لا تجحد ، أبا عبد
الله الشيخ محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي ، حفظه الله وحرسه
وبكل المبرات والمسرات آنسه ، فإنه لما دخل حضرة الجزائر التي عم أمنها القاطن
والزائر ، قرأ معنا صدرأ من كتاب « جمع الجوامع » للتاج السبكي ، وبعضاً
من « تلخيص المفتاح » من باب الفصل والوصل ، وأرجوزة ابن التلمساني
في الفرائض ، ووقعت المشاركة بيننا وبينه في المسائل العلمية والنوادر الأدبية ،
فألفيته سابق الحلبة ودرّك المسائل الصعبة ، فالتمس مني أن أجيزه فيما قرأ
معي أو سمعه مني فاعتذرت إليه من التقصير والباع القصير ، وعدم التأهل لأن
أجاز فضلاً عن أن أجيز ولست محسناً للإطناب ولا متمكناً من الكلام الوجيز ،
فلم يقبل مني ذلك وصادف وقتاً لم يمكنني فيه إسعافه بإجادة ما هنالك ، فأجزته
بذلك على شرطه المعتر عند أهله ، بإجازة الحافظ الشهير علامة مصر ، وحافظ

العصر أبي الحسن الشيخ علي الشبراملسي ، عن الشيخ إبراهيم اللقاني والشيخ عبد الرحمن اليمني بروايتهما معاً عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري ، عن الشيخ نجم الدين الفيضي ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر بسنده المعروف ، وبسند عال عن الشيخ علي المذكور ، عن شيخ الفقهاء والمحدثين أحمد بن خليل السبكي ، عن نجم الدين ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر ، وكما أجازني أيضاً العالم الماهر العلم الظاهر نزيل مدينة الرسول المطهر ومدرس حرمة المكرم المنور أبو العباس الشيخ أحمد بن تاج الدين ، عن شيخ الإسلام بالبلد الحرام جمال الدين الشيخ محمد بن علان الصديقي ، الشافعي ، عن شيخ وقته شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر ، بسنده المتصل وطرقه المعروفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما أجزته أن يروي غني هذه المنظومة ويشرحها إن أمكنه ، أو من أهله الله لذلك ، وله الأجر التام والفضل السابغ العام اهـ . وأول المنظومة :

يقولُ راجي رحمة المهيمن * محمدٌ نجلُ ابنِ عبدِ المؤمنِ
الحمْدُ للهِ وصَلَّى ربي * على النبي وآله والصَّحْبِ
وبعدُ فالقصدُ بهذا الرَّجَزِ * جمعُ المهمِّ بكلامٍ موجزِ
مِنَ واجبِ للهِ والرسولِ * ومِنَ فروعِ لذوي التحصيلِ
اللهُ موجودٌ قديمٌ باقِي * مخالفٌ للخلقِ بالإطلاقِ

وهي ٧٩ بيتاً ذكر بعدها ما نصه :

انتهت الأرجوزة البارعة الواردة موارد الإبداع ومشارعه ، وكفى بنظامها الغريب دليلاً على أن لصاحبها في الأدب والعلم اليد الطولى والباع الرحيب .
وبعد بخط الشيخ أبقاه الله : الحمد لله قد أتمها كاتبها بحضرة كاتبه محمد ابن محمد بن عبد المؤمن ، وفقه الله بمنه ، في ضحى يوم الجمعة الثالث والعشرين

من جمادى الآخرة عام أربعة وتسعين وألف اهـ .

[٣٠] ثم ذكر نص إجازة شيخه المولى الشيخ علي الشبراملي المشار إليها في هذه الإجازة ، وقال : حسبما كتبت لك من خط شيخنا العلم الذي أرى على كل من كتب في هذا العصر ، بقلم العلامة الحافظ الدراكة أبي عبد الله سيدي محمد بن المولى أبي العباس سيدي أحمد ، عُرف بالكماد القسطنطيني حفظه الله من غمرات الزمان ، وأدام النفع به لكل قاص ودان ، ولما أتمها قال : انتهت الإجازة المباركة وبانتهائها تنتهي ترجمة مولانا الشريف المحقق الظريف شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن ، أبقاه الله في حلل السيادة رافلاً وجمعني به عاجلاً إنه على ذلك قدير وبإجابة من يدعوه جدير ، اللهم يا من نصر مرآه وألبسه من نور جده صلى الله عليه وسلم وسناه ، متعني بصحبته ولا تحرمني من شعاع غرته ، بجاه جده المختار سيدنا ومولانا محمد سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ، ما طلعت أقمار وهمعت أمطار .

سيدي محمد العربي

شيخ والدنا الفاضل النحوي اللغوي المحدث المفسر الأديب الفقيه الجامع بين المعقول والمنقول الولي الصالح والبرهان الواضح ذو الأحوال الفاخرة شيخ شيوخنا المغرب المغربي سيدي محمد العربي المتوطن في جبل سيدي الموهوب ، وقد أسعد الله باستقراره كل الأماكن من وطننا ، وتأنسوا به أي تأنيس في زماننا ، وكان إذا حلَّ بقوم نزلت عليهم الرحمة والسكينة ، وكيف لا وهو بحر الله في عمالتنا ، وغيث بلدنا ورحمة لمن كان عندنا ، وعلمه مبذول عند من سبقت له السعادة ، والحمد لله وقد تلقيت الألفية على تلميذه العلامة الفاضل

سيدي علي بن أحمد ، وطريقة ناصرية شاذلية .

وكان رضي الله عنه يفجىء الغم على من وقع عليه في العلم وغيره رضي الله عنه ، وكذا سيدي عبد الملك وإن لم يكن مثله في العلم غير أنه ذو فضل قوي . وأما سيدي الموهوب فإنه من القرن الحادي عشر ، وسيدي أحمد بن عبد العظيم بعد الشيخ سيدي الموهوب ، وقرية أصوله جامعة لأهل الخير والفضل [٣١]
والعلم ، نفعنا الله بهم آمين اهـ . ورتيلاني .

وقال بعده :

الولي الصالح سيدي عمر القمرني ، وأهل محله يعظمونه ويعتقدونه غاية التعظيم ، ولا أدري تاريخه ، نفعنا الله به آمين .

محمدُ العربيُّ القسطنطيني

الشيخ العلامة أبي عبد الله محمد العربي بن عيسى القسطنطيني كان من أجلة العلماء وأفاضل البلد .

أخذ عن العباسي ، والطلحي ، ولي النظر على الأوقاف والقضاء والتدريس بمسجد سيدي الجليس ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٤ .

محمدُ بنُ عفيفِ الدينِ الظريفِ التلمساني

محمد بن عفيف الدين الظريف التلمساني .

في « فوات الوفيات » للعلامة ابن شاكر المتوفى سنة ٧٦٤ في ترجمة محمد بن سليمان بن علي شمس الدين ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني ما نصه : قال

القاضي شهاب الدين بن فضل الله في حقه : نسيم سرى ونعيم جرى ، وطيف
لا بل أخف منه موقعاً في الكرى ، لم يأت إلا بما خف على القلوب وبريء من
العيوب ، رق شعره فكاد أن يُشرب ، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص وللحمام
أن يطرب ، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان ، وولج القلوب ولم يقرع باب
الآذان ، وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتاحاً بشعره وخاصة أهل
دمشق ، فإنه بين غمائم حياضهم رُبي ، وفي كمائم رياضهم حُبي حتى تدفق
نهره وأينع زهره ، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يرون عليه تفضيل شاعر ،
ولا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالشاعر ، لا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت ،
ومرت له ولهم بالحمى أوقات ، ولم يبق من زمنها إلا تذكره ولا من
إحسانها إلا تشكره ، وأكثر شعره لا بل كله رشيق الألفاظ سهل على الحفاظ ،
لا يخلو من الألفاظ العامية ، وما تحلو به المذاهب الكلامية ، فلهذا علق بكل
خاطر وولع بكل ذاكر ، وعاجله أجله فاخترم ، وخرم أحباءه لذة الحياة
وحرماً . وذكر له أشعاراً كثيرة منها قوله :

يَا مَنْ أَطَالَ التَّجْنِي * وَقِيدَ أَسَا فِي التَّوْحِي
أَسْرَفَتَ تَيْهَاءَ وَعَجْبَاءَ * وَكَثْرَةَ الشُّدِّ تُرْخِي

وكانت وفاة شمس الدين المذكور في شهر سنة ٦٨٨ بدمشق ، وكان
مولده بالقاهرة في عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٦١ ، ورثاه والده الشيخ عفيف
الدين وذكر أخاه أيضاً :

مَا لِي بِفَقْدِ الْمُحَمَّدِينَ يَدُ * مَضَى أَخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الْوَلَدُ
يَا نَارَ قَلْبِي وَأَيْنَ قَلْبِي أَوْ * يَا كَبِدِي لَوْ يَكُونُ لِي كَبِدُ

[٣٢] إلى أن قال :

بِي كَبِيرٌ مَسْنِي وَأُمُّكَ قَسِدُ * شَاخَتْ فَمَنْ أَيْسَ لِي يُرَى وَلَدُ

وهبهُ قد كان لي فمثلُك لا . يُرجى وأينَ الزمانُ والأمدُ
يا ليتني لم أكنُ أبألكَ أو . يا ليتَ ما كنتَ لي ولـدُ
اهـ. وأطالَ المقرئُ ترجمته في « نفع الطيب » وساقَ له أشعاراً في المديح
النبوي من الطبقة العالِية ، رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين .

محمدُ بنُ عطية التلمساني

الشرِيف الأجلُ المسنُ البركةَ الأفضلُ الخاملُ المتقشفُ الصابرُ المتواضعُ
الناسكُ الذاكرُ أبو عبد الله سيدي محمد المدعو ابن عطية التلمساني .

كان رحمه الله سنياً خاملَ الذكرِ مواظباً على قراءة « دلائل الخيرات » ،
ولا تجده ثلثَ الأخير من الليل نائماً قط صيفاً ولا شتاءً ، بل يخرج لضريح
مولانا إدريس رضي الله ويشغل بقراءة الدليل هناك ، وكان زواراً للأحياء
والأموات ملازماً لكراسي العلم والوعظ ، وكانت له حانوت بالرصيف يبيع
فيها الخضِر ، ويسكن بجزاء ابن برقوقة ، وكان من أصحاب الشيخ سيدي محمد
ابن يوسف الحسناوي ملازماً له لا يفارقه قط ، وبلغ به رحمه الله عام الخمسين
الجهد الجهد من الجوع حتى ظهر به أثره ، ولم يسأل من أحد شيئاً لكثرة
صبره وشكره .

توفي عن سن عالية ، ودفن بزواية شيخه سيدي محمد بن يوسف المذكور ،
وكانت له جنازة عظيمة حفيلة حضرها أهل الخير والصلاح والأشراف والعلماء
وجميع المنتسبين ، ورأى بعض أهل الخير رؤيا تدل على حضور النبي صلى الله
عليه وسلم لموته .

ترجمه في « سلوك الطريق الوارية » وتعرض فيها لذكر سنة وفاته ، إلا
أنه وقع فيها في النسخة التي وقفتُ عليها منها تحريف قركته ، ورأيت بالزواية

المذكورة قبراً يُعظم ويُزار ببلاط سيدي أحمد الأغصاوي بالركن الذي عن
يمين المستقبل منه ، ورأيت مكتوباً في زليج عند رأسه ما نصه : الحمد لله ،
هذا قبر المرحوم بكرم الله سيدي محمد بن الخير الأجل سيدي محمد السليماني ،
[٣٣] توفي رحمه الله أواخر رجب سنة ثلاثة وستين ومئة وألف (١١٦٣) هـ .
ولم أدر هل هو صاحب الترجمة أو غيره ، والله أعلم .

سيدي محمد بن علي ابهلول المجاجي

قال العلامة الشهير الشريف سيدي العربي المشرفي الحسني الإدريسي في
كتابه « يا قوتة النسب الوهاجه في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة » :
قال أحمد بن محمد المفاوي في تمييز الأنساب : أما نسبه الطيني رضي الله عنه
فن شرفاء الأندلس بني حمود الحسني ، وقال الجعفري : هو من شرفاء غرناطة
بني عدي بن عبد الرحمن بن داود بن عمرو بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد
الرحيم بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن أبي زيد الشريف بن عبد
الرحمن بن داود بن إدريس بن إدريس الحسني . الأول أنهى نسبه إلى عمر
ابن إدريس بن إدريس الحسني ، إذ حمود هو بن ميمون بن أحمد بن علي بن
عبد الله بن محمد (فتحاً) بن عبد الرحمن بن القاسم بن إبراهيم بن يحيى
ابن عمر بن إدريس بن إدريس الحسني ، ولعله جاءه الغلط من كونه رآه
منسوباً إلى شرفاء الأندلس ، وهم جموع كثيرة كما ذكرناه آنفاً ، والثاني
قيده من شرفاء غرناطة ، وكانوا ملوكاً بها ، ومن قيد أولى ممن أطلق ، فهو
موافق لصاحب « سمط اللآل في معرفة الآل » حيث عرف بسيدي محمد
ابن علي المجاجي ، وقال : كان أسلافه تُشم فيهم رائحة الملك ، فهو رضي الله

عنه من بيوت الملك اهـ. ولا زالت ذريته تمتد لها الأعناق في النجدة والسماحة والجود ، ويحتفي الجاني بساحتهم ، ولهم حرمة وتعظيم عند الملوك .

قال العلامة المشرفي : وأرجع لنسب الشيخ سيدي محمد بن علي كان إماماً هماماً عالماً علاماً زاهداً عابداً تفرد بهذه الأوصاف الشريفة على سائر علماء وقته ، واشتهر بالصلاح والتقوى ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، وكانت كراماته أوضح من شمس الضحى ، وهي دليل استقامته ، وكانت له بركة عظيمة ودعاء مستجاب ، تُشد إليه الرِّحال في المسائل العلمية ، هذب النقول ونقحها ، وكسا علم التصوف طلاوة وبهجة ، إلى أن قال : وله الباع الطويل العريض في الشعر والقريض ، وقفت له على قصيدة طنانة سالمة من عيوب الشعر ، توسل فيها للمولى جل وعلا مفوضاً أمره إليه في المبغضين له والحاسدين من أهل زمانه ، أولها : أفوض أمري لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَا . احتوت على أمثال وحكم ، وكان رضي الله عنه يطعم الطعام ويفشي السلام اهـ.

وقال في «إكمال البغية» : كانت زاوية سيدي محمد بن علي معدة لإقراء الأضياف .

وقال الشيخ أبو الحسن الشريف : خرجنا إلى ثغر تنس ، فلقينا سيدي محمد بن علي وأنزلنا بزايوته مجاجة ، وكنا في جوع ونحن نحو ١٣٠٠ نفس ، وقصدناه للزيارة فأكرمنا خارج الزاوية لكثرتنا ، وكانت خيولنا ذكوراً وإناثاً ، فقال لنا : اتركوها من ألف بين قلوبكم يؤلف بينها ، وأمرنا بالجلوس

[٣٤] على ٢٤ جلسة ، وأفاض علينا الثريد واللحم والعسل والسمن ، قال : وبعد ذلك توفي الشيخ قدس الله سره ، وقبره مشهور مزار لقضاء الحوائج ، ومات رحمه الله تعالى قتيلاً سنة ١٠٠٢ هجرية ، وولد عام ٩٤٥ ، ورثاه تلميذه علامة الجزائر سيدي سعيد قدورة رضي الله عنهما بقوله :

مصائبٌ جسيمٌ كادَ يُصمِّي مقاتلي * ورزءٌ عظيمٌ قاطعٌ للمفاصلِ
ألمتُ دواهي أذهلتُ كلَّ ذي حجبٍ * وأيُّ أمرىءٍ من مُذهلٍ غيرُ ذاهلِ
فلم أرَ خطباً كافتقادِ أحبِّه * ثووا في الثرى ما بين صمِّ الجنادلِ
ونحنُ نيامٌ غافلونَ عن الذي * يرادُ بنا فويحُ نومانَ غافلِ
فهنا بدنيا قد حلتْ وهي جيفةٌ * وكلُّ امرىءٍ يلهو بها غيرُ عاقلِ
فكم ذا أنا لم أتخذ زادَ رحلة * كأنِّي من دنياي لستُ براحلِ
ومالي لم أعمل بما قد علمتُه * فيا أسفاً من عالمٍ غيرِ عاملِ
أضيقُ فيما لا يدومُ سروره * حياتي كأنَّ العيشَ ليسَ بزائلِ
فما زهرةُ الدنيا وزخرفها الذي * له هادمُ اللذاتِ أسرعُ نازلِ
وأيُّ سرورٍ للذي ضاعَ عمره * وأنفقه في كلِّ لهوٍ وباطلِ
أنوحُ على نفسي وفقدِ أحبِّي * فقد هاجَ قلبي ذكرُ فقد الأفاضلِ
ولم لا وأهلُ العلمِ بانوا وأقفرتُ * ديارهمُ بعدَ اعتمارِ المنازلِ
كأنَّ قد نأى عنا قتيلاً فأصبحتُ * عليه عيونٌ دمعها مثلُ وابلِ
لقد فُتتُ عينُ المكارمِ فأنزعج * لإطفاءِ نورٍ وقتَ فقدِ القنادلِ
تبددَ شملُ الدينِ وانهدرَ كُنُسه * لبدريه فقدنا في الخلاقِ كاملِ
فقدنا إماماً ماله في خصالِسه * نظيرٌ ولا في عصره من مُعادلِ
على علمِ الأعلامِ غرَّةَ عصره * حزنتُ وما حُزني عليه بزائلِ
يحقُّ لو قدِ العلمِ أن يُشهرُوا الأسي * لنجمٍ هوى من أنجمِ الأرضِ آفلِ
خليلاً ما أولى الأحبةَ بعدَه * بفيضِ نفوسٍ من بكاءِ ثواكلِ
فأين الذي قد كانَ ركناً لشدة * وأين الذي قد صارَ قصداً لنائلِ
فأفٌ لدمرٍ جارٍ فيه تطاولتُ * على العلما الجهالِ أيَّ تطاولِ
أرى الغربَ يقضي أمره بعده أسي * تأمرُ أو باشٍ ونهبٍ أراذلِ
وتخفقُ في ناديه رايةُ فتنة * تلمُّ بمفضولٍ وترري بفاضلِ

فأعني به شيخ الشيوخ محمداً * أبهلولاً الباهي أجل البهالـ
 توفي شهيداً في تحنثه الذي * ينال به في الخلد أفضل نائلـ
 إمام إذا ما جتته تجدته * لدى الدرس بحر العلم من غير سائلـ
 فما جتته في الدرس إلا وجدته * من العلماء العالمين الأوائـ
 له طيب أخلاق وحسن سياسة * وهو المداري كل قاس وجاهلـ
 فمن للأسارى والأرامل في الظما * ومن للبرايا يوم صولة صائلـ
 ومن لفنون العلم نحواً ومنطقاً * وفقهاً وتوحيداً وفتوى لسائلـ
 لمتزله كانت تشد رحالنا * فمن راكب يسعى إليه وراجلـ
 ومن قاصد يبغي انكشاف ملته * ومن وافد يرجو التماس نوافلـ
 ففي طاعة الرحمان أنفق عمره * فله من شيخ زكي الشمائـ
 فما خاف في الرحمان لومة لائم * ولم يختش في الحق قتلة قائلـ
 أمستجلب الخسران والطردي * وأقوى البلايا عاجلاً غير آفلـ
 ومن قد تعدى طوره سفهاً ومن * له زين الشيطان قبح الفعائـ
 أحقاً قتلت الألمي تعمداً * على قول حق لا على قول باطلـ
 أحقاً دم الشيخ المصون سفكته * إلى أن سقيت الأرض منه بهاطلـ
 أحقاً عدو الله أنت تركته * على الأرض ملقياً قتيلاً بناصلـ
 أحقاً رفعت السيف حتى ضربته * بقاطعة ضرب العدو المخاتـ
 أحقاً صدور المؤمنين جرحتها * وفي فرح خلفت أهل الأباطلـ
 جنيت على الإسلام أي جنابية * وما الله عما قد فعلت بغافلـ
 قتلت امرأ من شأنه العلم والتقى * فيا خير مقتول ويا شر قاتلـ
 ستقتل كالحجاج سبعين قلعة * لأنك لم تترك له من مائـ
 عدوت على الضرغام يا كلب خدعة * ولم يك كلب قط كفواً لناصلـ
 عذابك في الدنيا لقتل وروعية * وهيهات تنجو لا نجاه لقاتلـ

وراءك كم من نائرٍ عن دمٍ الذي • على ثاره تسمى جميع القبائل
فمالك يوم العرض إلا جهنم • تُقاد إليها صاغراً بالسلاسل
وإن عشت في الدنيا حقيراً ففي غدٍ • تُخلد في التيران أسفل سافل
أعزى بنيه والسريّ أبا علي • على قدر ماضٍ من الله نازل
فيا أوليائي سلّموا الأمر واصبروا • عليه وكفّوا من دموعٍ هواطل
وأبقاك للإسلام كهفياً أبا علي • مصوناً عن الأعدا وجمع العواذل
وقد صار روح الشيخ في جنة العلا • وأسكنه في الخلد أعلى المنازل
عليه من الرحمان أوسع رحمة • وأزكى سلام في الضحى والأصائل
وأسلافه الكرام رضي الله عنهم لهم درجة عالية في العلم ، وقد توسل

[٣٦]

بهم صالح زمنه العلامة أديب الدين والدنيا سيدي عبد الله بن حواء الرفيق
(بالتصغير والقاف المعقودة) ، كما توسل بغيرهم من علماء القرن التاسع فقال :
وبذوي العلوم والعناية • والرقي في معارج الولاية
سيدنا عليّ البهلـول • ووارثه الجليلة الفحول
يعني بوارثه سيدي محمد بن علي المجاجي وأخاه سيدي أبي علي ، وله
أحفاد من أولاده على قدمه في الجود والكرم وحسن الخلق والمروءة والتواضع
لخلق الله ، ولا تخلو زاويتهم من علم ، وقد ساقنا إليها الأقدار سنة ١٢٤٩
فلقينا بها عالمين جليلين وثالثاً جزائرياً هاجر إليها يسمى بالقاسم البزاغتي ،
وبين أهل مجاجة والمشاركة أخوة سالحة في القديم لعلها كانت بمصاهرة ،
ومن نظم سيدي محمد بن علي رضي الله عنه قوله :

لقد فاز أهل الجدّ بالصدق والوفاء • فحول رجال الله في حضرة القدس
أجل دأبهم حسب الإله وطوعه • وقد أعرضوا زهداً عن الجن والأنس
وأنفسهم تسموا على كل رتبة • وغابت عن الأكوان والعرش والكرسي

فليس لهم في غير ذي العرش مطلبٌ * وما عندهم سوى التلذذ بالأنسِ
 من الملك الحق المين مقامهم * مكين علي قد تجلى عن الدوسِ
 أنالهم المولى الكريم كرامة * فكنهم فضلاً من المنح والحبسِ
 يحق لمن ولاهم جر ذليله * وفي حلال يزهو فلن يخشى من بأسِ
 فلا فرق في أحكامها بين سالك * مُرب ومجذوب وحي وذي رمسِ
 وذي الزهد والتقوى فالكل كاملٌ * ولكنما البدور ليست كما الشمسِ
 فبعض يُسمى بالنقيب وبعضهم * يُسمى النجيب فادر كلاً بلا نفسِ
 وبعض بأعمدٍ وقطب جميعهم * هو الغوث في القول الأصح لذي الحسِ
 مراتبهم تفاوتت بمواهب * فصلاً وإنما الولاية كالجنسِ
 أسادتنا عبيدكم جاء قاصداً * إليكم يريد العون منكم على النفسِ
 بأذيالكم أهل الوداد تعلقني * وفي حبكم طيبي وفي ذكركم أنسي
 أبا ليتني أفوز منكم بنظرة * فأغنى عن الأكوان طراً بلا خنسِ
 بكم يغتني المرید عن كل كائن * ويصبح في المعنى وفي الحس في جفسِ
 فكم سالك دللتم طرق سلكه * وأنزلتموه منزل القرب والأنسِ
 وكم من وضيع قد رفعتم وفاجرٍ * وضعتم وجاهل بكم عالماً يمسي
 وكم من لهيف قد أغثتم وكربةٍ * كشفتكم كمثلي الظل في الأرض بالشمسِ
 وكم خائف أمنتم من مهالك * وقايتكم تُغني عن الدرع والترسِ
 وكم من حزين قد تبدل حزنه * سُوراً بكم في الحين يفخر ذا عرسِ
 وكم من عليل قد تآذى بسقميه * بجاهكم يُشفى من الداء والبأسِ (١)
 وكم من فقير جاءكم يشكو فقره * فجُدتم أسادتي بما هو كالطيسِ
 لقد خاب من لم يتعلق بذيلكم * فيا ويح من تعرض لكم بالكرسِ
 فكم قادح سلبتم من إيمانه * وكم ظالم قصمتموه على الحسِ

(١) لعل الأبيات الأخيرة منسوبة إليه فقط رضي الله عنه للفرق الظاهر بينها وبين ما قبلها .

فطوبى لمن قد فاز منكم بلحظةٍ * وشيّد من لاحظتموه على الأوسِ
 بجاهِ النبيِّ الهاشميِّ محمدٍ * وأصحابِهِ أهلِ الصفاءِ بلا دنسِ
 إلهي بجاهِ هؤلاءِ وجاهِهِم * وقدرِهِم لديكِ والعرشِ والكرسيِ
 توسّلتُ ارحمَ والديّ اعمفُ عنهما * وأسكنهُما الجنانَ فضلاً بلا بخرِ
 ونِلني توفيقاً عليهِ توفّقني * ورزقاً بهِ أغني على كلِّ ذي نفسِ
 كفايةِ أشرارِ الخلائقِ كلِّها * وستراً على الدوامِ من أجملِ اللبسِ
 وثمَّ صلاةُ اللهِ ثمَّ سلامُهُ * على خيرِ خلقِ اللهِ في الغدِ والأمسِ

اهـ. وقد سأله العلامة مفتي الجزائر سيدي الحاج محمد المطماطي عن حكم

الله في العبيد من المسلمين بقوله :

الحمدُ لله حمداً بالآلاءِ حوى * على الرسولِ صلاةٌ ما بدا البلجُ
 يا سادتي فقهاؤنا اكشفوا كرباً * ثوى سوادَ الفؤادِ ماله فـرجُ
 عمّ الأقاليمَ أمره وليسَ له * من الأدلّةِ ما تصفى له المهجُ
 بأيِّ وجهٍ نرى استخدامَ عبْدِنَا * والخيرُ فيهمِ بدا منهم لنا سُرجُ
 كيفَ التملكُ والرسولُ أخبرنا * بعدَ الشهادةِ لا ملكٌ ولا حرجُ
 [٣٨] إذ قد بدا فيهمُ الإسلامُ قبلُ فما * لملكهم من سبيلٍ لا ولا نهجُ
 يأتون قد عرفوا الدينَ معالمه * على النَّاسِ بنهجِ الشَّرعِ قد عرجوا
 وإنما لسمعِ جلبِ بعضهم * بعضاً عداوةً بينهم لها لججُ
 إن كانَ شأنكم العلمَ فدونكم * نظماً سوّالاً لكم يهدي لنا حججُ
 فيكم شفاءُ الغليلِ إن شكوتُ لكم * فمرهمُ النَّصْرُ يبري من بهِ سفجُ^(١)
 وليسَ من شرطهِ ردُّ مجانسِهِ * فالنظمُ والنثرُ يُشفى بهما الفلجُ

(١) هكذا بالأصل .

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا غَرَبَتْ * شَمْسٌ بِأَبْرَاجِهَا وَصَالَتْ الْحَجِجُ

فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ابْهَلُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَا بِهِ آمِينَ بِقَوْلِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَبْدِي الْحَكْمِ لِلْحَكْمِ * وَمَظْهَرِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ لَهُ حَجِجُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى مَنْ بِشَرِيعَتِهِ * يَلُوحُ نُورُ الْهُدَى لِيَبْطُلَ الْهَرَجُ
وَبَعْدُ فَالْمَنْعُ لِلْمَلِكِ مُحَجَّتُهُ * بِسَمَطِ نَثْرِكَ مِثْلَ الدَّرِّ يَبْتَهَجُ
فَسَبَقُ إِسْلَامِهِمْ لِلْمَلِكِ يَمْنَعُهُ * وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ تَبْتَغِي الْمَهْجُ
إِذَا لَا يَسُوعُ لَنَا بِالرَّقِّ مَلَكُهُمْ * وَالْقَلْبُ مِنْهُمْ بِالْإِيمَانِ مَمْتَزَجُ
قَدْ نَصَرَ مَنْ عَلِمْتَ بِالْحَلْمِ رُبْتُهُ * عَلَيْهِ فَالْقَلْبُ بِالصَّوَابِ مَبْتَهَجُ
وَمَنْ يَجِيبُ بَأَنَّ الْأَصْلَ كَفَرَهُمْ * فَلَيْسَ فِي مَلِكٍ مُسْلِمِيهِمْ حَرَجُ
فَلْتَرُدُّ دَنَّهُ بَأَنَّ الْأَصْلَ حُجَّتُهُ * قَدْ بَطَلَتْ بِانْتِهَاجِ نَهْجٍ مَا لَهْجُوا
إِذْ حَيْثُ مَا ثَبَتَ النُّقْلُ عَلَيْهِ فَسَلَا * يِعْبَأُ بِهِ وَبِذَا أَهْلٌ (١) الْعِلْمِ قَدْ لَهْجُوا
وَمَنْ يَرَى حَدَثَ التَّقْلِيدِ تَكْذِيبُهُ * حَلِيَّةُ الْمَلِكِ إِذْ لِلْكَفْرِ قَدْ خَرَجُوا
فَقَوْلُ ذَا غَيْرٍ مَقْبُولٍ وَحُجَّتُهُ * لَيْسَتْ بِمَرْضِيَّةٍ وَمَا لَهَا أَرْجُ
فَكَيْفَ يُقْبَلُ قَوْلٌ أَوْ يَبْسَاحُ بِهِ * مَلِكٌ جَمِيعِ عَوَامِ النَّاسِ ذَا سَمْعُ
فَرُدُّ ذَا الْقَوْلِ يَكْفِي فِيهِ مَا شَرَحُوا * أَهْلُ الْكَلَامِ فَهُمْ لَجْمَعْنَا سُرْجُ
أَمَّنْ يَرِيدُ الْهُدَى وَالرُّشْدَ يَطْلُبُهُ * وَمَنْ يَرِيدُ النِّجَاةَ مَا بَدَتْ لَجْجُ
فَالْمَنْعُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا النِّجَاةُ وَقَدْ * دَلَّتْ دَلَائِلُهُ وَشَهِدَتْ حَجِجُ
وَلَوْ وَجَدْتُ نَصِيرًا أَوْ يَسَاعِدَنِي * قَمْتُ بِنَصْرَتِهِمْ وَإِنْ بَدَا الْهَرَجُ
أَسْعَى سَرِيعًا بِسَيْفِ النِّصْرِ مَجْتَهِدًا * فِي فَكُّهُمْ مِنْ رِبَاقِ الرَّقِّ يَنْزَعُجُ
فَلَيْتَ سَاعٍ عَلَى ذِي الْقَصْدِ يُسَعْفَنِي * وَلَيْتَ سَاعٍ لَعَلَّ الْكَرْبَ يَنْفَرُجُ

(١) بهزة الوصل لضرورة الوزن .

إليه أشكو إله العرش من كُربٍ • إذ ليس يُدركني من غيره فرجٌ
ثم الصلاة على المختار سيدنا • خير الخلائق ما قد انتهى الفلجُ

[٣٩] وله أيضاً في ألقاب الإعراب والبناء :

من يتغ العز يرفعن همتَهُ • بالضم عن كل مخلوق يرى عجباً
وبين عينيه ينصبن منيته • بفتح باب الليث الموت قد نصباً
ويخفض النفس لا يبغى لها شرفاً • بكسر شهورتها ينال ما طلباً
بذا يجر لها النفع مجاهدتها • فإن عصته رمى بسهمه عطباً
واجزم على اللهو نفسك إذا اضطربت • وبالسكون يكون الجزم خذ أدباً
إعراب هذا الذي قدرت خذ يا فتى • لم يُعربته كذا من نحوه صعباً
أعرب به كل فعل قد بدا فتري • منه قول إله العرش قد قرّباً
نظم الحقير الذليل عند مالِكِهِ • مُحَمَّد بنِ عليٍّ ملجأ الغرباً
رب العباد توصلت بأحمد أن • تغفر ذنوبي وذنبا الوالدين حبا
صلى عليه إله العرش ما برزت • دنيا وأخرى لقلب بالحبيب صبا

اهـ من خط الأخ في الله الشيخ محمد الوانوغلي مفتي الأصباب ملتماً مني

إدراجه في ترجمة سيدي محمد بن علي ، وهذه رسالة الالتماس :

العلامة الشيخ الحفناوي بن الشيخ ومن شملته حضرتكم الشريفة السلام
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد : فإن محب الجميع السيد الحاج
بوطية يطلب من فضلكم أن تصححوا^(١) له منظومات لجده الولي
الصالح العلامة سيدي محمد بن علي وتلميذه سيدي سعيد قدورة الجزائري
وغيرهما ، وبعد أن تحرروها يرجوا منكم إثبات بعضها في ترجمة جده

(١) التصحيح بدون إذن من الشيخ غير صحيح ، وكثيراً ما نجد إهمال الوزن والكلمات من شأن بعض
أكابر العلماء الأشاهر مثل سيدي أحمد بن بابا التنبكي العلامة المعروف وغيره ، فإن أشعارهم
تذكر للتبرك بها .

المذكور إن تمكن لكم ، وها هي في هذه الأوراق كما وجدت في الأصل المنقول منه ، ولكم الأجر التام أعانكم الله على مقاصدكم الخيرية والسلام من مُحبِّكم الوانوغني بن أحمد أبي مزراق المقراني والآغا السيد الحاج أبي طيبة .
أقول : من ذرية سيدي محمد بن علي معاصرنا الفاضل الوجيه والأديب النبيه الآغا السيد ابن آمنة الحاج أبو طيبة ، رجل تقلب في المناصب الدولية وترقى فيها إلى رتبة الأغوية ، ونال بصدقه في الوظيفة وسامات الفخر والتشريف من أولها إلى رتبة التطويق ، وله أدب فائق ، وتواضع مطلوب ، وسياسة نافذة عند الحكومة والرعية ، وأولاد صالحون مثله تمتعه الله بحياتهم ، وأدام وجوده لهم آمين .

وله ابن عم عالم محبوب في الناحية ، كريم الطبع بشوش عليه رونق العلم والمعرفة ، وهو الشيخ محمد بن عشيظ ، صاحب محاضرة حسنة وفقه ظاهر ، يستحضر نص خليل بسرعة ، وله مشاركة في الفنون المعهودة ببر الجزائر ، واجتمعنا به مراراً فكنا نستأنس منه بما كان عليه فقهاؤنا من الهيئة الممتازة عن العوام ، ويذكرنا الأوائل بأقواله وأحواله ، كما يذكرنا الآغا السيد الحاج أبو طيبة بزیه المستظرف تواضع الأشراف وترفع الكرام ، أحياناً الله وإياهم في عافية وصحة وافية ، وأعاذنا من شر الحساد آمين .

[٤٠] شيخنا سيدي مُحَمَّدُ الطيبُ

ابنُ أبي داود الزواوي

قال ولده سيدي محمد امزيان قيم زاوية النور والبركة الآن خلفاً للشيخ سيدي محمد العربي بن القطب سيدي أحمد بن أبي داود : إن نسب والدي رحمه الله هو محمد الطيب بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن السعيد بن عبد

الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان ابن أبي داود ،
وكان مولده عام ١٢٤٨ ، ووفاته بعد مغرب يوم الأحد لإحدى عشرة بقية
من جمادى الأولى عام ١٣٠٩ ، الموافق لثامن ديسمبر سنة ١٨٩١ ميلادية .
وأخذ عنه خلق كثير ، وفتح الله على ٧٢ منهم ، وهو أخذ عن عمه أبي
البركات الذي سار صيته واشتهر علمه في الآفاق الشيخ سيدي أحمد بن أبي
القاسم المعروف بسيدي أحمد بن بوداود رضي الله عنه (مولده عام ١٢٣٥ ،
ووفاته يوم ٦ جمادى الأولى عام ١٢٨٠) ، وتخرج عنه كثيرون فتح الله على
٣٥٣ منهم ، ودرس ٢٥ سنة وتولى التدريس وهو ابن ٢٠ سنة .

ومن تلامذته القطب الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي ، وكفاه
فخراً رضي الله عنهم ، وهو عن أبيه سيدي أبي القاسم المتوفى يوم الجمعة
١٥ جمادى الأولى عام ١٢٥٥ بعد أن أخذ عنه عدد كثير ، وفتح الله في العلم
الشريف على ٥٩ منهم ، أشهرهم القطب الشيخ سيدي الشيخ ابن أبي القاسم
الديسي ، ودرس ٩ سنوات أكثرها في حياة أبيه ، وهو عن أبيه سيدي السعيد
ابن أبي داود قطب زمانه المتوفى يوم السبت لعشر بقية من محرم الحرام
عام ١٢٥٦ ، وأخذ عنه خلق كثيرون فتح الله على نحو ٦٠٠ منهم ، وبقي في
التدريس خمسين سنة ، وكانت وفاته على ما قيل سنة ١٢٤٦ ، وهي سنة ١٨٣٠
الميلادية .

ومن أشهر تلامذته الشيخ سيدي محمد المازري الديسي جدي أبو
أمي السيدة خديجة رحمها الله تعالى أمين ، وهو عن أبيه سيدي عبد الرحمن
ذي الكرامات الباهرة والمكرمات الزاهرة ، ولم يحضرني الآن تاريخ وفاته ،
ولا عدد من أخذ عنه ، ولا من فتح عليه على يده في العلم وغيره ، وسيدي
السعيد بن أبي داود هو الذي أخذ مختصر الشيخ خليل عن الشيخ ابن أعراب

في نحو ثمانية أيام ، فأجازه في تدريسه وأعطاه نسخة من متنه ونسخة من شرحه للعلامة سيدي محمد الخرشي رضي الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم فشرع

[٤١] في تدريسه ببركة شيخه .

أما أبوه سيدي عبد الرحمن بن أبي داود فكان يدرس رسالة ابن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه ، أخذها عن أبيه سيدي محمد ، عن أبيه سيدي أحمد ، عن أبيه ، عن أبيه إلى مؤلفها ، لأن أسلافنا كلهم كانوا أهل قدم راسخ في العلم ، وقد دعا صاحب الرسالة لمن يتعاطاها ببسطة العلم والجسم والمال ، فكانت وبقيت دارهم دار علم مشهورة بالنعف ، أدام الله عمارتها ببركاتهم . ولم يحضرني الآن سندهم ، أما الشيخ سيدي محمد بن أعراب فأخذ المختصر عن سيدي محمد الخرشي ، وسيدي الخرشي أخذه بسنده المعلوم .

قال الشيخ سيدي محمد امزيان : ولنرجع إلى الكلام على السيد السعيد ابن أبي داود ، فإنه تركه أبوه سيدي عبد الرحمن صغيراً يتيماً فقيراً ، وبقي يتفقد تلامذة أبيه لعمارة المسجد ، ولم يزالوا يحثونه على التدريس ويرفعون همته إلى أن جذبتة عناية خاتمة المرين ، وواسطة عقد العارفين أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الخلوتي الزواوي الأزهرري ، فقدم إليه ، ولما رآه عطف عليه ، ورضي عنه ومنحه أسراراً ربانية ، وأمره بالعمارة ، وضمن له أموراً كثيرة ، ومن يومئذ جعل يعمر القلوب بالعلوم ، وقصده خلق الله من كل جانب ، وحببه الله للعباد وشاع ذكره وفاح عطره ، وظهرت بركة الأستاذ فيه فتورونور ، وتهذب وهذب ببركة شيخه ودعائه ، وله قصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أكثرها بلغتنا الزواوية ، ونظم الآجرومية ، وشرح النظم إلى باب الجزم وتوفي رحمه الله (وأتمه شيخنا العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي) واختصر الجزء الأول من كتاب « حياة الحيوان » .

قال : ومن مشايخ الزاوية عمنا الشيخ المدرس سيدي أبو القاسم بن أحمد ابن أبي داود ، ولد ليلة الاثنين ٢٣ شوال عام ١٢٥٨ . درس في حياة أخيه المنعم سيدي محمد الطيب المترجم ، وأخذ عن عمه المرحوم سيدي محمد امزيان بن أبي القاسم ، المولود ليلة السبت ٢٥ ربيع الأنور عام ١٢٤٧ ، المتوفى ليلة الخميس لثلاث بقيت من شهر الله المعظم رمضان المبارك عام ١٢٨٣ (ومن تلامذته الفقيه الصالح سيدي دحمان بن الفضيل الديسي حي الآن) ، وهو درس بعد شقيقه سيدي أحمد بن أبي داود ، وفتح الله على ٣٢ من تلامذته ، جعلنا الله من المقتدين بمآثرهم ، ولا حرماناً من بركاتهم أجمعين ، وورزقنا الرضى والهداية إلى أقوم طريق آمين اهـ. عبد ربه محمد امزيان .

أقول كنتُ : أقرأ القرآن في الزاوية صاعداً مبتدئاً وأنا صغير ، وذلك سنة وفاة سيدي محمد امزيان الأول ، وهي سنة ١٢٨٣ هجرية الموافقة لسنة ١٨٦٦ ميلادية ، وكانت وفاته تلك السنة ليلة الخميس لثلاث بقيت من شهر رمضان ، ومولده ليلة السبت ٢٥ ربيع الأنور عام ١٢٤٧ ، وقد درس وأفاد بعد وفاة شقيقه سيدي أحمد بن أبي داود ، وفتح الله على ٣٤ من تلامذته ، ومن أولاد

[٤٢] سيدي أحمد بن أبي داود الشيخ سيدي أبي القاسم وخلفه مع سيدي محمد الطيب أخوه سيدي العربي ، وكان ذا فهم عميق ونظر دقيق ، وتحصيل كثير في الفنون النقلية والعقلية ، رحمه الله تعالى مولده ليلة الأحد ذي الحجة الحرام سنة ١٢٧٥ ، ووفاته صباح يوم الأحد لست بقيت من ذي القعدة عام ١٣٢٠ ، وخلفه سيدي محمد امزيان الثاني بن سيدي محمد الطيب المترجم هنا ، وأخوه سيدي عبد الرحمن ، وبهما بقيت الزاوية عامرة كعادتها وفوق عاداتها ، نسأل الله لهما ولعائلتهما الشريفة عمراً طويلاً وخيراً جزيلاً اللهم آمين .

محمد بن عبد الكريم المجاوي التلمساني

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي الجليلي الحسني .
ولد بتلمسان سنة ١٢٠٨ ، وحفظ القرآن على والده ، وعنه وعن أخيه
العلامة الحاج أحمد أخذ مبادئ العلوم ، ثم توجه إلى فاس طلباً للعلم ، وأخذ
فيها عن مشايخ جلة ، منهم حمدون بن الحاج السلمي ، وسليمان الحوتي ،
والحافظ الحجة الحاج الطيب ابن كيران وعن غيرهم ، ولما تفضل في علوم
شتى رجع إلى تلمسان مسقط رأسه ، وتولى قضاءها ما يقرب من خمس وعشرين
سنة ، وله مآثر حسنة يشهد له بها أهل بلده ، ولم يمنعه القضاء عن التدريس
في مدته كلها ، وتخرج عليه كثير من العلماء الأجلة ، ثم رجع إلى فاس وتولى
فيها خطة التدريس بجامع القرويين المعمور .

وأخذ عنه علماء عارفون كالشيخ فنون الشهير ، والشيخ الحاج صالح
الشاوي ، والشيخ الحاج محمد بن عبد الواحد بن سودة ، والشيخ محمد
العلوي قاضي فاس ، والشيخ جعفر الكتاني وغيرهم ، ثم ولي قضاء طنجة .
وترجم له أحد تلامذته الفقيه العلامة السيد أحمد بن حسون قاضي وازان
في تأليف له ، ذكر فيه جملة من مشايخه رحمهم الله بما نصه : ومنهم الشيخ
العلامة الحافظ المدقق الفهامة أبو عبد الله سيدي بن محمد المشاوي الحسني ،
التلمساني ، أسكنه الله دار التهاني ، له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ،
ويعرف رسم المشكل وإن كان قد عفا ، أبصر الخفيات بفهمه ، وقصر فكره
على خاطره ووهمه فجاء بالنادر الذي أعجز ، وتلون في حلال الكلام الطويل
والموجز مع جمعه لأوصاف المكارم التي لم ينادمه في تعاطيها منادم ، ولم يوازه

[٤٣] فيها بحر زاخر ولا قمر زاهر ، وهي التي جمعها قول الشاعر :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مَطَهَّرَةٌ * فَالدينُ أَوْلَاهَا والعقلُ ثانيهما
والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها * والجودُ خامسُها والعُرفُ سادسُها
والبرُّ سابعُها والصبرُ ثامنُها * والشكرُ تاسعُها والدينُ عاشيها

كانت له اليد الطولى في جميع العلوم ، ومهما أخذ في تدريس فن حسبته
لا يعرف سواه ، وأنه أفنى عمره فيه ، وما ذلك إلا لتضلعه واطلاعه ، يأتيه
الأشياخ في ما يستشكلونه من الغوامض فيزيل ما خالج قلوبهم من العوارض ،
فيذهبون ولسان حالهم ينشد قول أبي الطيب :

فإن تَفَقَّ الأنامَ وأنتَ منهم * فإن المسكَ بعضُ دمِ الفزالِ

قرأت عليه مختصر خليل من باب الزكاة إلى خيار البيوع ، وكان يطالع
له الكتب المتداولة كالخرشي ، وعبد الباقي في حواشي البناني ، والسنهوري ،
والشبرخيتي ، ذا اعتناء بالجميع ، وقرأت عليه مختصر السعد بتمامه ، وبعضاً
من ختمة أخرى ، وكان يعتمد في ذلك على المطول ، وحواشي الفناري ،
وحواشي ياسين على المختصر ، وعروس الأفراح لابن السبكي ، وشرح الولايلي
على القزويني ، وبعض الشفا للقاضي عياض ، بالشهاب أفندي ، وحاشية ابن
التمساني ، وجمع الجوامع ، بالمحلي من الحروف إلى النسخ ، وابن أبي شريف
عليه ، وحواشي العبادي ، وحواشي البناني المصري ، وهو أول من أظهرها بفاس
فاشتهر أمرها ، ونحو الربع من الخلاصة بالتصريح ، وحواشي ياسين عليه ،
وحواشي الصبان ، وحواشي شيخه ابن كيران ، وكان يعترض عليه كثيراً
قراءة تحقيق وتدقيق في الجميع ، فلقد كان في المطالعة والحفظ فريد عصره
وأعجوبة دهره ، سمع منه الثقة أنه لما ولي خطة القضاء بمدينة تلمسان ، حفظ
المعيار في خمس ليال في كل ليلة سफراً ، وهذا غاية العجب ، ومن نظمه

متوسلاً عدا البيت الأول والأخير :

بمحمدٍ وبيتهِ وبيعليها * وابنيهما السبطينِ أعلامِ الهدى
وبأهلِ بدرٍ والصحابَةِ كلِّهم * والتابعينَ لهم دواماً سرمداً
وبعدك النعمانِ ثمَّ بمالكِ * والشافعي قطبِ الوجودِ وأحمداً
وبغوثننا وبشيخه وابنِ حرزِهِم * وبجده عبدِ السلامِ الزاهداً
وبصاحبِ التوحيدِ والعلمِ والتقوى * ذاك السنوسي بالمكانم قد بدا
وبجاهِ أحمدِ الحبيبِ وشيخه * وبسرِّهم يا ربُّ خذْ جملةَ العدا
وبجاهِ اسمِكَ العظيمِ ومَن بهِ * متخلِّقٌ يا ربُّ يا سامعَ النِّدا
فرجِ كروبِ المسلمينِ وحزبِهِم * يا خيرَ مَنْ مدَّ العصاةُ له اليداً

ولما ختم السعد قال فيه بعض رفقاتنا وأحبابنا من تلامذته بعد أبيات :

لقد عمت دواعي وداد سعدا * وعمومَ علومِ مَنْ قد حاز مجداً
أبي الفتحِ المجاوي من أضواءتِ * شمسُ علومه فازداد حمداً
إمامٌ ماجدٌ شيخٌ جليلاً * همامٌ بارعٌ فخرٌ معيداً
بليغٌ مصقعٌ علمٌ شهيرٌ [٤٤] * وكعبةٌ من يرومُ الرشداً قصداً
سموٌ باسمه سما سماء * بفجرِ محمدٍ شكراً وحمداً
ويدعى نجلَ عبدِ الله فاعجبُ * بمن جادتُ تلمسانُ عنا جوداً
أصيلٌ لو ذعبي بحرٌ علمٍ * جوادٌ جلٌّ ما أعطى وأسدى
منزهٌ مبجلٌ نزيهٌ القسديرُ برُّ * حلِيمٌ ضمُّ حكمةً وزهداً
لقد أرجت سجاياها وطابت * وفاقَ ماثراً عمراً وزيداً
فليسَ له شريكٌ في المعالي * ولم يُرَ في المعاني سواه جليداً
لقد ورثَ المفاخرَ عن آباء * كرامٍ قد قفوا في ذلك جاداً
هو الفذُّ الإمامُ بكلِّ فنٍّ * ولم تخلف له الأزمانُ نِسداً

وهي طويلة قرأ على الشيخ سيدي عبد السلام اليازمي مختصر خليل ،
 وقرأ هذا الشيخ عليه الجمل والسلم كما أخبرنا هو بذلك ، وقرأ المعقول
 والمنقول على العلامة الشيخ الطيب بن كيران ، وعلى الشيخ الزروالي ، وعلى
 سيدي حمدون بن الحاج وعلى غيرهم . ولي خطة القضاء بثمر طنجة ، وخرج
 لها من فاس في الربيع النبوي عام ١٢٦٢ ، وبقي بها قاضياً ومدرساً وخطيباً إلى
 أن هجم عليه المنون في ثالث وعشري رجب عام ١٢٦٧ هـ. من خط تلميذه
 المذكور.

وبالجملة فإن الشيخ المذكور كان آية وعليه الفتح الكثير ، يدل لذلك من
 نبغ عليه من الطلبة ، وكان يميل إلى التصوف كثيراً رحمه الله رحمة واسعة ،
 وترك ولده الصالح الشيخ عبد القادر ، فسار على قدمه في طلب العلم حتى بلغ
 شأوه ، وزاد عليه فنوناً ، ورجع إلى أصله ومسقط رأس أبيه ، واستقر في
 قسنطينة عالماً مفيداً وأخيراً في الجزائر ، وهو الآن فيها .

ولد الشيخ عبد القادر سنة ١٢٦٧ ، وقرأ على الشيخ فنون ، وسيدي الحاج
 صالح الشاوي ، وسيدي الحاج أحمد ابن سودة ، وسيدي جعفر الكتاني وغيرهم .

وألف « إرشاد المتعلمين » في مبادئ العلوم ، و« نصيحة الإخوان »
 شرح قصيدة سيدي محمد المترلي التونسي في التصوف ، و« الفريدة السنية
 في الأعمال الجيية » و« الدرر النحوية شرح الشراوية » و« تحفة الأخيار في
 الجبر والاختيار » و« شرح المجراية في الجمل » وغير ذلك ، وتولى تدريس
 جامع سيدي الكتاني في قسنطينة سنة ١٢٩٢ ، وتولى في المدرسة الكتانية سنة
 [٤٥] ١٢٩٥ ، وتولى خطة التدريس في القسم العالي من المدرسة الثعالبية في الجزائر
 سنة ١٣١٥ .

وتخرج عليه كثيرون منهم السادة : حمدان الويسي ، وأحمد الحبياتي ،

والمولود ابن الموهوب المدرس الآن في الكتانية ، والحاج أحمد البوعني ، ومحمد بوشريط بن عامر ، والسيد عبد الكريم باش تارزي مفتي حنفية قسنطينة ، وحمو ابن الدراجي قاضي حنفية الجزائر ، والشيخ السعيد ابن زكري المدرس في الثعالبية .

سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري

سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن طلحة بن جعفر بن محمد العسكري بن عيسى الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق عبد الله بن حمزة بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن ابن فاطمة بنت رسول الله عليه وسلم (هكذا مكتوب في لوح معلق في محراب ضريحه المقدس قرب حامة الجزائر) .

هو الغوث الأكبر والمربي الأشهر ، جامع الناس على كلمتي الشهادة وداعيتهم إلى مقام الإحسان في العبادة ، ولد قدس الله سره وولد في السنة الصدق ذكره ما بين سنتي ١١٢٦ و ١١٣٣ في وطن بني إسماعيل ، وساقته المقادير إلى مجاورة الأزهر الشريف صغيراً ، وتزوج في القاهرة ، وبعد زمن طويل ذهب إليه أخوه الأكبر سيدي محمد بالضم ومن غرائب الاتفاق أن أول رجل صادفه في أزقة القاهرة وسأله عن أخيه كان هو المسؤول عنه ، ولطول الغيبة لم يعرفه ، فقال له : ادخل الجامع واسأل عنه الإمام فإنه من خواصه ، وكن في الصف الثاني ، وبعد الصلاة تقدم واطلب منه ما تريد ، ثم إن سيدي محمد أخبر شيخه الآتي ذكره بقدم أخيه وسؤاله عنه ، فقال له الشيخ : سننظر أمره ولما صلى وسلم وانصرف الناس أشار إليه فدنا منه وتبرك به ، وقال له : هذا أخوك فقام سيدي محمد وقبل يد أخيه ، وسأله عن أهله وأحوالهم وعند

الانصراف قال له الشيخ : أقم عند أخيك ضيفاً ، وعلي مؤونتك ما دمت هنا .
وبعد مدة أمر الشيخ سيدي محمد بالرجوع إلى وطنه لبث العلم وتربية الخلق ،
ودعا له دعوات ظهرت فيه أسرارها وسطعت عليه أنوارها ، فكان هو الشيخ
الإمام والأستاذ الهمام واسطة عقد العارفين وكَمَل المتصوقين ، الجامع بين الشريعة
وطريقتها والولاية وحقيقتها ببركة شيخه علامة الزمان وفريد العصر والأوان .
صاحب التصانيف المنيفة والتقارير الشريفة ، سيدي محمد بن سالم الحفناوي
المصري المتوفى يوم السبت ١٧ ربيع الأول سنة ١١٨١ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته
وكان وجهه إلى السودان لنشر الأوراد ونفع العباد ، ثم أمره بالرجوع
إلى مصر ، فرجع وألبسه الخرقة وصرفه إلى وطنه كما تقدم ، ولما استقر به جدد
غرس الإيمان والإحسان في القلوب ، وبدد غياهب النفوس بذكر علام الغيوب ،
[٤٦] وكان الشيخ أذن له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به ، فأخذ عنه
الجم الغفير وسلك على يده الكثير ، وذلك سنة ١١٨٣ فاشتهر أمره وأشرف
نوره ، وفاضت مواهبه اللدنية بعلوم الدين ومعارف القوم ، وصار كثر
الوراد وبغية الرواد ، يطهر البواطن بالتهذيب الخلوتي ، ويطيب النفوس
بالشريعة السمحاء ، ولا يخاطب الناس إلا بما يفقهون مراعاة للحال والمقام ،
فانتفع بإرشاده الخواص فضلاً عن العوام ، وسارت بذكره الركبان في سائر
الأوطان ، وانجذب إليه أهل التل والصحراء ، وطلبه عمال المدن الكبرى
وبالأخص صاحب الجزائر ، فدخلها واحتفل به علماءؤها ، وكانوا قد امتلأت
أسماعهم من أخباره وأدهشهم ما بلغهم من أسرارهم ، ولما اجتمعوا حوله وفي
نفوسهم مسائل يريدون بها اختبارهم سكتوا طويلاً ، وكل منهم يشير بخائنة عينه
إلى صاحبه أن ألق سؤالك ، والشيخ مطرق مشغل بسبحة ، ولم يتجاسر منهم
أحد عليه ، فرفع رأسه قائلاً : أيها السادة ما لي أراكم صامتين ، وهل الجامع
إلا للذكر فهلّموا إليه أو لطلب العلم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ،

وما عداهما لهو ولفو ، فأجابه أحدهم بأدب واحتشام يا سيدي إنما أردنا التبرك بكم ، واقتباس بعض الحقائق منكم ، وكان صاحب الجزائر رئيس هذه الحفلة في المسجد الأعظم من أهل الدين المتين والاعتقاد المكين ، فنطق الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به وحدثهم بما كانت تحوم حوله أرواحهم وتطوف به عقولهم ، ولكن لا تناله إلا بالمشافهة من أضرابه الذين تعلقوا بمن عنده مفاتيح الغيب ، وتخلقوا بأخلاق رسوله المحبوب صلى الله عليه وسلم .

وكان الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه يأتي في كلامه بجواب كل مسألة أضمرها له ، ويلتفت إلى صاحبها منهم متبسماً إشارة إلى أن ضميره عند القوم من قبيل الظاهر ، وأن كاتم سره عنهم كأنه مجاهر ، وإذا ذلك بادروا إلى الأخذ عنه وفي مقدمتهم كبيرهم ، فلقنهم ونصبوا الحضرة بذكر كلمة الشهادة عددها المعلوم في الورد الخلوتي ، ودعاها الباشا لمنزله وبقي عنده أياماً لقن فيها أهله وبنته وأقاربه ، وعند انصرافه أتاه بحصة من الدنانير فأظهر له البرهان على أنه في غنى عن الدنيا ، ولما أكثر من محاولته على قبولها قال : لا إله إلا الله مرة فسقط من السقف عدد من الذهب ، وثانية فسقط عدد آخر ، فاستسمحه [٤٧] الباشا واعتذر ، فقبل عذره وانصرف إلى محله .

واشتهر أمره في القطر الجزائري ، وأتاه رجال كثيرون ، قدم منهم من قدم ، وانتشر ورده بين الناس ، ولم يزل يعمر قلوبهم بالله إلى أن لقي الله تعالى في آيت إسماعيل ، فأقبر بها ونقله أهل الجزائر ذات ليلة خفية إلى ضريحه بقرب الحامة ، ففطن أهله لنقله وعزموا على رده وآل الأمر إلى النزاع ، وانفصلت النازلة بوجوده في قبره عندهم أيضاً ، فسمي من يومئذ بأبي قبرين ، الأول في جرجرة ، والثاني في الجزائر ، وكلاهما مزار متبرك به ، وفي كل سنة تقصده الركبان من العروش عند الحصاد وعند الحرث ، وحوله روضة

كبرى لأهل الجزائر ، محاطة بسور محكم له بابان ، وفي القبة ثريات وبسط ،
وبداخلها خلواته بابها عند تابوته ، وبئر طيبة الماء جداً وفيها قيم وإمام .

توفي قدس الله سره ورحمه الله سنة ١٢٠٨ (٩٣ - ١٧٩٤) ، ولم
يترك ولداً من صلبه وإنما أولاده مشايخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوتية ،
وكلهم أباً عن جد أقطاب كبار ، أكرمهم الله تعالى بما يدل على علو مراتبهم
عنده ، ويذل له مریدهم لغير الله ، وهم كثيرون في الجزائر وتونس والسودان
وغيرها ، منهم سيدي علي بن عيسى ، وتلامذته ، وتلامذتهم الكبار كسيدي
محمد امزيان بن الحداد ، وسيدي محمد ابن أبي القاسم البوجليلي ، والشيخ
علي وغيرهم نحو الأربعة والعشرين ولياً ، ومنهم سيدي عبد الرحمن باش
تارزي شيخ سيدي محمد بن عزوز جد الشيخ المكي بن الشيخ سيدي مصطفى بن
عزوز ، وتلامذته القطب سيدي علي بن عمر ، وسيدي عبد الحفيظ ، وسيدي
مبارك بن قويدر ، والشيخ المختار ، وسيدي الصادق ، وتلامذة سيدي علي
ابن عمر سيدي خليفة أستاذ سيدي علي بن الحملاوي ، وسيدي مصطفى
ابن عزوز ، وتلميذه سيدي علي بن عثمان ، وتلميذ الشيخ المختار سيدي
الشريف بن الأحرش ، والقطب شيخنا سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف
الهاملي ، وتلامذته سيدي المكي بن عزوز ، وتلميذ الشيخ الصادق سيدي الحاج
السعيد بن باش تارزي ، وأخيرهم الشيخ الحاج المختار ، وغيرهم من المشايخ
الرحمانين معروفون في الأقطار عند أهلها نفعنا الله ببركات الجميع .

وللشيخ رضي الله عنه رسائل كثيرة في تعليم الخلق وإرشادهم إلى طريق
الخير اعتنى بجمعها أكابر رجال طريقته ، ولم تطبع ولو طبعت لكانت مجلداً
كبير الحجم كثير العلم ، ولنقتصر منها على ما يأتي : قال الشيخ سيدي محمد بن
عبد الرحمن الزواوي رضي الله عنه وعنا بن أمين :

وقد أجزت العارف بالله تعالى حبر الوجود ومُحيي ما اندرس من كل علم

مفقود ، أعني القطب المهدي سيدي يحيى نجل سيدي عيسى ، نفعنا الله بالجميع
بجاه النبي الشفيح ، أن يعطي أورادنا أي أوراد طريقتنا البركة الخلوتية لسائر
المسلمين ، كما أذن لشيخه أن يعطيها أي شيخه الذي هو الكاتب لهذه الإجازة
بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهرى مجاورة أوله لا إله إلا الله ، ثم الله ،
[٤٨] ثم هو ، ثم حق ، ثم حي ، ثم قيوم ، ثم قهار ، يخدمها تلميذه بالتدرج
والترقي حتى يصل إلى العلامات ، ولا ينفع إلا الإكثار من ذكره آناء الليل
وأطراف النهار في كل زمان ومكان ، على أية حالة طاهراً أو غير طاهر ،
طهارة كبرى أو صغرى أم لا ، مطلقاً يذكر أولاً لا إله إلا الله خاصة أولاً
من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس ، ثم يترك لا إله إلا الله ويبدله
بالصلاة الشاذلية وهي : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم من عصر يوم الخميس إلى غد ، وهو عصر يوم الجمعة ، ثم يترك صلاة
الشاذلية ويبدلها بصلاة الأُمِّي وهي : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي
الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلم ثمانين مرة ، تكفر له ذنب ثمانين سنة وتغفره
له ، ثم يترك صلاة الأُمِّي أيضاً ويبدلها بلا إله إلا الله من عصر يوم الجمعة
إلى عصر يوم الخميس ، وهكذا دائماً طول العمر اهـ. ونسأل الله أن ينفعنا
وإياه بما علمنا ، وأن يعيننا على ما كلفنا ، وأن ينظر إلينا بعين العناية والهداية ،
وأن ينظمننا في سلك أهل الولاية والحماية ، وأن يُسبِلَ علينا وعلى مشايخنا وجميع
أئمتنا وعلى والدينا سجال الغفران ، وأن يجمعنا جميعاً بنينا محمد صلى الله
عليه وسلم في غرفات الجنان ، والمطلوب من الأخ المذكور أن لا ينساني من
صالح دعواته في خلواته وجلواته .

وطلب مني الأخ المذكور أن أضع له سلسلة الطريق تبركاً ، وليقف عليها
المرید الذي لم يرها ، فنقول : لقن ربُّ العزة جبريلَ عليه السلام ، وهو لقن

النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لقن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو
 لقن ابنه الحسن والحسين والحسن البصري وكميل بن زياد ، والحسن البصري
 لقن حبيباً العجمي ، وهو لقن داود بن نصير الطائي ، وهو لقن معروف بن
 فيروز الكرخي ، وهو لقن السري بن المغلس السقطي ، وهو لقن الجنيدي
 ابن محمد سيد الطائفة البغدادية ، وهو لقن مشاهد الدينوري ، وهو لقن
 محمد البكري ، وهو لقن وجيه الدين القاضي ، وهو لقن عمر البكري ،
 وهو لقن أبا النجيب السهروردي ، وهو لقن قطب الدين الأبهري ، وهو لقن
 ركن الدين محمد النجاشي ، وهو لقن شهاب الدين محمد الشيرازي ، وهو
 لقن سيدي جمال الدين التبريزي ، وهو لقن إبراهيم الزاهدي الكيلاني ، وهو
 لقن محمد الخلوئي وهو لقن عمر الخلوئي ، وهو لقن محمد امبرام الخلوئي ،
 وهو لقن الحاج عز الدين ، وهو لقن صدر الدين الجيلاني ، وهو لقن سيدي
 يحيى الفاكوي ، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشيرازي ، ويقال له :
 الارنجاتي ، وهو لقن حليبي سلطان الأقدس أي الشهير بجمال الخلوئي ،
 وهو لقن خير الدين التوقادتي ، وهو لقن الشيخ شعبان القسطنوني ، وهو لقن
 محيي الدين القسطنوني ، وهو لقن وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي المدفون
 بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي بديار الشام ، وهو لقن وأرشد الشيخ
 أفندي قارا باشا ، وتخلف عن ولده الشيخ مصطفى أي هو الذي أجازته بالإرشاد ،
 وهو لقن وأرشد الشيخ عبد اللطيف الخلوئي الحلبي ، وهو لقن وأرشد الشيخ
 شيخنا العلامة قطب الوجود سيدي مصطفى بن كمال الدين الصديقي ، وهو
 لقن وأرشد الشيخ العلامة قطب زمانه وفريد عصره وأوانه شيخنا وقدوتنا
 إلى الله تعالى الشيخ الحضاوي ، وهو سيدي محمد الحضاوي نفع الله به الأنام
 بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وهو لقن وأرشد خميل
 المكان والأوان عز الأقران محب الإخوان محمد بن عبد الرحمن الأزهرى

مجاورة ، السماعلي عرشاً ، القجطولي قبيلة ، الزواوي إقليماً (أولئك آبائي) ،
 وهو لحن وأرشد العلامة النوراني سراج الهدى سيدي يحيى نجل سيدي عيسى
 نفعنا الله بالجميع آمين . انتهت السلسلة المباركة على الطريقة ، وستأتي سلسلة
 الشريعة قريباً هنا ، ثم نذكر كيفية تلقين وردنا لكل من طلبه أو طلب هو غيره :

أن يتعوذ بالله من الشيطان أولاً ، ويقبض الإبهام الأيمن من المرید الذي
 هو تلميذه ، وكلاهما غاض بصره ويأمره بذلك ، ويقول له : اسمع مني لا إله
 إلا الله ، والمرید ساكت حتى يفرغ الشيخ منها ، ويسكت ثم يذكرها المرید
 ثلاثاً أيضاً ، والشيخ ساكت ، ثم يقرأ الفاتحة لإصلاح حاله ، ثم يقرأ الفاتحة
 الثانية لروح النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرأ الفاتحة الثالثة لروح شيخه
 وأهل السلسلة ، ويأمره بالتوبة وإكثار الذكر دائماً ، ولا ينفع إلا الإكثار آناً
 الليل وأطراف النهار .

وقال بعضهم : من ذكر الله حفظه الله من كل شيء ، ومن خصائص
 الذكر أنه غير موقت بوقت فما من وقت إلا والعبد مطلوب بالذكر إما وجوباً
 أو ندباً ، بخلاف غيره من الطاعات ، وأنشد بعضهم قوله :

وذكر الله يحسن كل وقت * فحصل حاجة وارجع اليه
 ومن ينفع اخاه بغير خير * مع الأذكار لم ينكر عليه
 فينبغي للعبد أن يكثُر منه في كل حالة ، ويستغرق فيه جميع أوقاته ،
 وليس له أن يتركه لوجود غفلة فيه ، فعليه أن يذكر ولو كان غافلاً ، فلعل
 ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة ، وهو نعت العقلاء
 ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور مع المذكور ،
 وهذه صفة العلماء ، ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع
 وجود الغيبة ، كما سوى المذكور وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء ،

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (١) غير الله ، اذكر الله على حد ،
 [٥٠] ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ (٢) أي من غير موسى حتى كادت أن تبدي
 به ، وأشار بعضهم إلى هذا المعنى :

بذكر الله تتهيج القلوب . وتضخ السرائر والغيوب
 وترك الذكر أفضل كل شيء . فشمس الذات ليس لها غيوب
 فترك ذكر الغير أساس كل خير ، فإن نسيت ما سواه به كنت ذاكرة
 لله حقاً ، وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العيان .

وقال الواسطي مشيراً إلى هذا المقام : الذاكرون الله في ذكره أشد غفلة
 من الناسين ذكره ، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقد
 وصف الله تعالى قلب أم موسى بمعنى ذلك في قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى
 فَارِغًا ﴾ (٢) من كل شيء إلا من ذكر موسى ، فكادت أن تبدي به من غير
 قصد منها لذكره ولا تدبر ، بل كان تركها للتصريح بذكره صبراً بما ربط الله
 على قلبها لتكون من المؤمنين .

تنبيه : إذا ذكر الشخص بلسانه ونظر بقلبه إلى الله تعالى ، ودام على هذا
 الوجه يحدث في أعضائه ومفاصله نوع وجع ، ويأخذ قلبه في الوجع مع قليل
 حرقة ، اللهم لا تحرم طالبك من هذا الوجع ، ووفقهم أن يشكروك عليه ،
 وهذه الأوجاع منشأها أن الذكر يقطع اللذات والحفظ التي تمكنت في قلبه
 وأعضائه وجوارحه أيام الغفلة ، فتكون هذه بداية نفوذ الذكر في قلبه ،
 فإذا زادت مواظبته على الذكر يصل أثر ذلك إلى الروح ، فيذكر الروح
 ويجلس على سرير القلب بالخلافة ، ويحكم على الحواس الظاهرة والباطنة ،

(١) سورة الكهف : الآية ٢٤ .

(٢) سورة القصص : الآية ١٠ .

فتنزل النفس وتكون من دعايا الروح . انتهت .

هذه الإجازة والسلسلة على الطريقة معاً ، خاصة وهي الإجازة الكبرى ،

ثم نشرع الآن أيضاً في الإجازة والسلسلة على الشريعة معاً ، خاصة وهي الإجازة الكبرى أيضاً ونقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والرضى على سائر الأئمة المجتهدين ، وعلى تابعهم بإحسان إلى يوم الدين ، قد التمس مني السيد العلامة ، ومعدن الشريعة والحقيقة ، سيد السادات ومصباح الظلمات ، سيدي يحيى بن سيدي عيسى نفعنا الله ببركة الجميع بجاه النبي الشفيح آمين ، بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إجازة فيما صح لي روايته ، أو ثبتت لي درايته ، فأجبت له لذلك لأنه أهل وحقيق بذلك .

قد أخذت الفقه وغيره عن شيخنا العلامة صاحب التصانيف النافعة الشيخ علي بن أحمد الصعبي العدوي ، وهو عن جماعة منهم السيد محمد السلموني والشيخ عبد الله المغربي ، كلاهما عن سيدي محمد الخرشي ، وسيدي عبد الباقي الزرقاني ، وهما عن نور الدين سيدي علي الأجهوري ، وبرهان الدين سيدي إبراهيم اللقاني ، وهما عن شيخ المالكية الشيخ سالم السنهوري ، عن الشيخ علي السنهوري شيخ التتائي ، وأبي الحسن الشاذلي شارح الرسالة ، وهو عن العلامة الباسطي ، وهو عن تاج الدين بهرام الدمري ، وهو عن شيخه العلامة خليل بن إسحاق ، وهو عن شيخه قطب الزمان سيدي عبد الله المنوفي بسنده المشهور ، وقد أخذ الشيخ علي السنهوري المذكور أيضاً عن الشيخ طاهر ابن علي بن علي بن محمد النوري ، وهو عن الشيخ حسين بن حلي ، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن هلال الربيعي ، وهو عن قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة ، وهو عن أبي حفص عمر بن فراج السكندري ، وهو عن

أبي محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري ، وهو عن أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي ، وهو عن أبي الوليد سليمان خلف الباجي ، وهو عن الإمام مكّي القيسي الأندلسي ، وهو عن الإمام أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني ، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن اللباد الإفريقي ، وهو عن الإمام يحيى الكتاني صاحب اختلاف ابن القاسم وأشهب ، وهو عن الإمام سحنون ، والإمام عبد الملك الأندلسي ، وهو عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري ، والإمام أشهب بن عبد العزيز العامري القيسي ، وهما عن إمام الأئمة وحرر الأمة الإمام مالك بن أنس ، وهو عن ربيعة ونافع مولى ابن عمر ، وتفقه ربيعة عن أنس بن مالك خادم نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفقه نافع عن مولاة عبد الله بن عمر ، كلاهما أي أنس وابن عمر عن سيد أهل الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ، وهو قد جاءه الوحي عن رب العالمين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام .

قال ذلك وكتبه الفقير الحقير الراجي عفو مولاة ، خميل الزمان والمكان ، أحقر الأقران محب الإخوان في الشأن ، محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن أحمد بن يوسف الأزهرى مجاورة في مصر القاهرة الزواوي إقليمياً ، القجطولي قبيلة ، السماعيلي عرشاً ، البوعلاوي قرية ، المالكي مذهباً ، وأما شيخه في الطريقة الذي هو الشيخ الحفناوي فهو شافعي مذهباً ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم أولاً وآخرأً ظاهراً وباطناً والسلام .

[٥٢] تمت الإجازة والسلسلة على الشريعة وحسن عونه ، ثم نشرع في الوصية أيضاً فنقول لك :

اسمع مني وصيتي إليك واعمل بها كما ألزمت نفسك عهد الله وميثاقه

أن تتقي الله في سائر أحوالك ، وتخلص في جميع أعمالك ، ولا تلتفت
لنظر الخلق لك بل غِبْ عنهم بنظر الله تعالى لك ، واطلاعه عليك وعلى
سرك وعلانيتك ، وعليك باتباع السنة والكتاب ، فإنهما الطريق الموصل إلى
الله تعالى ، واعمل متجرداً عن حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة ، ولا
تعمل لملاحظة الكرامات وخوارق العادات ، ولا خوفاً من عقاب الله ولا طمعاً
في ثوابه بل لقصد رضي الله عنك ومحبه إليك والقيام لحقوق العبودية لنصرة
الدين وعز الإسلام خاصة ، والثواب لا شك حاصل ، وتحصيل الحاصل عبث ،
وعليك بالإحسان إلى الخلق بتوقير الكبير والرحمة للصغير ، وعليك بالزهد في
الدنيا إلا ما ستر العورة أو الجثّة وسد الجوعة ، فإن زدت على ذلك فإياك والغرور ،
وعليك بالورع عن كل ما فيه شبهة ، وعليك بكف الأذى وإن أوذيت ،
وعليك بالصبر فإنه رأس العبادة ، وعليك بالرضى عن الله في كل شيء ورد
عليك منه ، وعليك بكف لسانك عما لا يعينك ، وعليك بالثقة بالله على كل
حال وفي كل حال ، والتوكل على الله والشكر له ، وعليك بذكر الموت فإنه
أساس الزهد ، وإياك والمخاصمة والممارة وإن كنت محققاً ، والبغي وحب
الشهرة بالخير والميل إلى المدح ، والتزم الأدب مع كل مخلوق ، ولا تيأس
من رحمة الله وفرجه وإن ضاقت عليك الأمور ، فإن الله يقول : ﴿ فَإِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(١) ولن يغلب عسر يُسرين ، ولا تشكو الله
إلى أحد من خلقه ، فإنه المعافي والمبتلي والقابض والباسط والمضر والنافع ،
وتكون في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وتنبذ ما في يلك من مكاسب
الحرام ، وتترك ما يقطعك ويلهيك عن عبادة الله عز وجل ، وتلزم قلبك
التفكير وتعود عينيك السهر ، وتجعل الذكر أنيسك والحزن جليساك ، والزهد

(١) سورة الانشراح : الآية ٥-٦ .

شعارك والورد دثارك ، والصمت قرينك ، واقطع نهارك بالجوع والظماً ،
 وليلك بالسهر في البكاء والتفكر في ذنوبك السالفة ، ومثل الجنة عن يمينك
 والنار عن يسارك ، والصراط تحت قدميك والميزان بين يديك ، والرب مطلع
 عليك ، ويقول لك : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (١) واستعمل
 [٥٣] ما هو نافع لك وهي الطاعة ودع ما هو مضر لك وهي المعصية ، واعلم أن الله
 سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٢) وترك المعصية أولى لك من التوبة من الذنوب ، قال بعضهم :

فرضٌ على الناس أن يتوبوا * لكن ترك الذنوب أوجب
 والدهرُ تصريفُهُ عجيبٌ * وغفلةُ الناسِ عنه أعجبُ
 والصبرُ في النائبِ صعبٌ * لكن فوت الثوابِ أصعبُ
 وكلُّ ما يرتجى قريبٌ * والموتُ من كلِّ ذلك أقربُ

ويأمر تلميذه أن يفدي نفسه من النار ، وكيفية الفدوة أن يذكر لا إله إلا
 الله خاصة سبعين ألف مرة ، ثم يقول : اللهم إن هذه السبعين ألفاً نويت بها فداء
 نفسي من النار ، كما صرح بها سيدي محمد السنوسي في شرح صفراء اهـ .
 وكذلك ورد أن فيه بين الناس والجن بغضاً كبيراً ، ومن قرأ المسببات
 يذكرها صباحاً ومساءً أو صباحاً خاصة انقلب ذلك البغض الكائن بينهما حباً
 بقدرة الله تعالى ، وهي آية الكرسي إلى (العظيم) ثلاثاً ، و (آمن الرسول)
 إلى (الكافرين) ثلاثاً ، و (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ) إلى (بغير حساب) ثلاثاً
 و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثلاثاً أيضاً .

تمت الإجازة المباركة بحمد الله وحسن عونه ، قال بهذا وعمل به كاتبه
 بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهرى مجاورة ، السماعيلي عرشاً ، القجطولي

(١) سورة الإسراء : الآية ١٤ .

(٢) سورة الزلزال : الآية ٧-٨ .

قبيلة ، الزواوي إقليمياً ، ونسأل الله تعالى أن يفتح أبواب فضله ، وينشر خزائن رحمته على الجميع بجاه النبي الشفيح ، وعلى من انتمى إليه آمين اهـ. كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى الله دنيا وأخرى محمد بن الزروق ، أدام الله حياته موقفاً مرزوقاً ، غفر الله له ولوالديه ولأشياخه آمين .

أما الإجازة العامة والخاصة أي مثالها فإني سألت أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام حسن وقلت له : هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك ، وكتبتها لي بينانك المباركة ما كفيئتها يا أستاذي هل هي مقيدة في بعض العلوم دون بعض ، أو عامة في سائر العلوم والأوراد والحركات والسكنات والأقوال والأفعال وسائر الفوائد والدعوات والرياضات في الجلوات والعزلات والخلوات لنفسي ولغيري من سائر تلاميذي وإخواني وغيرهم ؟ فقال لي : أذنتك إذناً عاماً دائماً لك ولغيرك ممن انتمى إليك لا ينفكك إلا الإطلاق طول عمرك في كل زمان ومكان ، الباب مفتوح لك ولمن أصدفك ، وقال لي : خذ كتابي هذا في الأسانيد فانسخه لنفسك لتحمله معك أين ما توجهت ، ثم أخذته منه وحصلته بالنسخ بأجرة من يوثق ويتبرك به ، ثم أعطيته له .

وكتب لي على ظهره إجازة بخط يده المباركة ، وصفتها وكيفتها هي هذه : الحمد لله السند ، والصلاة والسلام على أقوى سند ، وعلى آله المهتدين وصحبه النجوم الهادين ، أما بعد : فقد أجزت الحسيب النسيب الناسك السالك

[٥٤] الأريب ولدنا الفهامة السيد محمد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الباعليوي الحسيني بما تضمنه هذا الثبت ، وبما يجوز لي روايته من معقول نفعه الله ونفع به منظوماً في سلك أهل قربه أفضل صلاة وسلام على أكمل السلام ، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ، كتبه محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام حسن ٢٧ محرم الحرام .

وكتب لي قبل أن يكتب لي هذه الإجازة السابقة بكثير من الزمان الإجازة الآتية وهي قوله : قد أجزتُ المولى الفاضل الحبيب النسيب السيد محمد بن عبد الرحمن الزواوي بأوراد طريقتنا طريق السادات الخلوتية ، وأن يجيزها من طلب منه ، وأن يستعمل أسماء الطريق التي بها السلوك وهي سبعة : لا إله إلا الله . الله ، هو حق ، حي ، قيوم ، قهار ، نفعه الله ونفع به ، وهذا التأليف المنسوب لولدنا العلامة الشيخ محمد بن المنير نافع جداً لمن أراد التخلق بأخلاق الصوفية عاملاً به ، أدام الله النفع به ، كتبه محمد بن سالم الحفني الشافعي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين في غرة صفر الخير من شهر سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومئة وألف ، ونزلت مثل خاتم أستاذي هنا الذي يطبع به الإجازات وغيرها من البطائق والكتب التي ينسخها تبركاً وتفاؤلاً بأن يختم الله ولمن انتمى إلينا بصدق بالخير ، إنه قريب مجيب .

ثم نختم هذين السنين السابقين المنسوبين لأستاذي الحفناوي بسنده لي أيضاً بسند المصافحة وهو وضع اليد على اليد وضمها بشدة قليلاً ، يختم لنا بالخير والصفح والمسامحة ، فأقول : قد صافحني شيخ الشيوخ العارف بالله تعالى مسلكي ومنقذي من العدم إلى الوجود أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي قال : قد صافحني العارف بالله تعالى سيدي محمد بن محمد البدير ، قال : قد صافحني العارف الرباني النقشبندي شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بابن عبد الغني البنا ، قال وقد وصل إلى اليمن : صافحني الشيخ الكبير الفاضل الفقيه أحمد بن عجيل اليمني في منزله ، كما صافحه الكامل المكمل الشيخ تاج الدين النقشبندي السندي ، كما صافحه الإمام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن المشتهر بتاج زمرتي ، كما صافحه مولانا الأستاذ الشيخ محمود استقرآزي ، كما صافحه أبو سعيد الحبشي الصحابي رضي الله عنه ، كما صافحه سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين سيدنا محمد

[٥٥] ابن عبد الله بن عبد المطلب عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين .

قال أستاذي الحفناوي : وقد تلقينا صورة سلسلة المصافحة اليدوية بما صورته هكذا . ومن فوائد المصافحة حصول البركة ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صَافَحَنِي أَوْ صَافَحَ مَنْ صَافَحَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » اهـ . وهذه ثلاثة أسانيد من أسانيد أستاذي الحفناوي ، والرابع منه أيضا هو سند التلقين للأسماء المتقدم المسلسل أيضا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع خمسة أسانيد أخرى وإجازات أخر للمشايخ الخمسة ، والمجموع تسعة أسانيد وإجازات خرجت بها من مصر وعاشرها أي عشر الأسانيد والإجازات حصل لي هنا في بلادنا ، والحمد لله على ذلك ، وهي إجازة الشيخ أحمد الدرديري الصعيدي العدوي المالكي ، كتبها لي بيده المباركة ككتابة أستاذي ، وأستاذه الحفناوي أي هو أستاذنا جميعاً ، وهي الخامسة ، ثم كتب لي أخرى أي السادسة ، كتبها الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي ، ثم السابعة كتبها لي أيضا الشيخ علي بن خضر بن أحمد العمرسي ، ثم الثامنة كتبها لي الشيخ حسن بن غالي الجداوي المالكي ، ثم التاسعة كتبها لي أيضا الشيخ سيدي محمد بن عبد الله ابن أيوب الملقب بالمنير وبالمونور التلمساني مدينة ، المغربي إقليمياً ، الإذن العاشر للسيد الحسين بن اعراب صاحب جدي الزواوي ، نفعنا الله بالجميع بجاه النبي الشفيح ، إنما اقتصرت على إجازة خط أستاذي الحفناوي ونزلتها هنا دون إجازات الأشياخ الآخرين للاختصار الذي هو مطلوب هنا .

أقول: وللناس في مدحه والتوسل به إلى الحضرة الإلهية رسائل وقصائد لا تعد ولا تحصى ، منها القصيدة الآتية جاءني بها السائح الصالح الحاج المبروك ابن بوعكاز البوزياني الطولقي في أوبته من الديار التونسية ، فأثبتها هنا أخفاً

بخاطر ما لأنها أتني طالبة مني محلها من هذا المجموع ، وهي :

ثِقُ بِالْمَجِيدِ الْوَاحِدِ الْمُتَعَالِي ۞ رَبُّ الْوَرَى ذِي الطُّوْلِ وَالْإِجْلَالِ
وَأَنْخِ بِسَاحَةِ جُودِهِ سُبْحَانَهُ ۞ عَمَّ الْأَنْسَامَ بِيَرِّهِ الْمَسْوَإِ
وَاسْلُكْ مَنَاهَجَ رُشْدِهِ مَسْتَمِطِراً ۞ تَوْفِيقَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ
وَاضْرَعْ لَهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ لَائِئِلاً ۞ لَا تَخْتَشِي مِنْ سَائِرِ الْأَهْوَالِ
وَائْبُذْ زَخَارِفَ دَارِ غِيٍّ وَاحْتَرِسْ ۞ مِنْ سِحْرِهَا وَارْمُقْ بَعَيْنَ الْقَالِي
كَمْ قَدْ دَعَيْتَكَ إِلَى مَخْسَادِ زَلَّةٍ ۞ تَصْبُو لِرَائِقِ حُسْنِ ذَاتِ الْخَسَالِ
تَرْهُو بِمَنْتَزِهِ الرِّيَاضِ مَسَامِراً ۞ لَنْدِيمِ كَأْسِ اللَّهْوِ وَالْإِضْلَالِ
أَوْ مَا زَهَتْ بِالْأَقْدِمِينَ غَوَايِسَةٌ ۞ مِنْ عَهْدِ عَادٍ فِي الزَّمَانِ الْخَالِي
أَطَفَتْ جَابِرَةَ الْمُلُوكِ تَنْعُمًا ۞ ثُمَّ انْتَشَتْ تَرْمِيهِمْ بِنِبَالِ
فَاقْبِظْ لِحَاظَ النَّفْسِ عَنْ نَوْمِ الْهَوَى ۞ وَارْحَلْ عَنْ الْإِغْوَاءِ وَالْإِهْمَالِ
فَمَتَى تَغَالَطَ بِالْأَمْوَالِ جِهَالَةٌ ۞ وَعَنْ اقْتِرَاسِ يَدِ الْمَنِيَةِ سَالِي
تُبْ وَانْكَفِ عَنْ كُلِّ غِيٍّ وَامْتَسِلْ ۞ مَتَوَسِّلاً بِالسَّيِّدِ الْمَفْضَالِ
هُوَ ذَاكَ مَشْهُورُ الْكِرَامَاتِ الْعُلَا ۞ مِنْ عَصِيئَتِهَا قَدْ شَاعَ كَالْأَمْثَالِ
تَاجُ الْمَعَارِفِ قَطْبُ دَائِرَةِ السُّورَى ۞ ذُو الْمَكْرَمَاتِ الْخَلُوتِي الْحَالِ
بَدْرُ الْكِمَالِ الْأَزْهَرِيُّ مُحَمَّدٌ ۞ غَوْتُ الْوَرَى فِي شِدَّةِ الْأَوْجَالِ
مِنْ دَوْحَةِ الزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ أَصُولُهُ ۞ تَاهَتْ بَذَا مَجْدًا عَنْ الْأَقْيَالِ
بَدْرٌ تَسَامَى فِي الْعُلَا حَتَّى ارْتَقَى ۞ شَاوَأً عَزِيزًا ذَا مَقَامٍ عَالِي
فِي حَضْرَةِ الْحَضْرَاتِ يَسْقِي الْأَصْفِيَا ۞ مِنْ رَاحِ سِرِّ الْحَقِّ بِالْإِكْمَالِ
فَتَفَجَّرَتْ أَنْوَارُ هَدْيِهِ جَهْرَةً ۞ وَغَدَى مَبْلَغَ غَايَةِ الْأَمْوَالِ
بِطَرِيقَةِ سَمْحَا يَرُوقُ شَرَابُهَُا ۞ أَشْهَى وَأَصْفَى مِنْ لَذِيذِ زَلَالِ
نَاهِيكَ أَنَّ الْمَرْتَوِي مَسْنُورُهُ ۞ نَالَ السَّعَادَةَ وَاكْتَسَى بِجَمَالِ
فَامدُّ يَدَيْكَ إِلَى مَوَائِقِ عَهْمِيدِهِ ۞ وَاخْلَعْ وَسَاوِسَ حَيْرَةِ الْإِجْمَالِ

وايقنُ بأنك قد وثقت بضيفهم * حامي الدمارِ بقاطعِ الأوصالِ
 هيهات لا تخشى الخطوبَ وإن علت * إذ قد حلت عرينَ ذي أشبالِ
 يحمي من أهوالِ الحسابِ شفاعتُه * في الاختصارِ مثبتاً وسؤالِ
 في حيِّ جرجرةٍ مطالعُ شمسِه * أكرمُ بهِ قد فاقَ عن أمثالِ
 وبها مقدسُ رسمه وبحماسة * قد صح نقلاً عن سراةِ رجسَالِ
 تلك المنازلُ منبعُ الفضلِ التي * من جاءها قد فازَ بالإقبَالِ
 تعنو لها زمرُ الوفودِ ليمنيه * تسعى على الأقدامِ والأحمالِ
 أعلامهم تيهاً يميلُ بها الهوى * كتمايلِ النشوانِ والمختسَالِ
 في كلِّ ثغرٍ أثلَ التقوى على * ركنِ متينِ دافعِ بنسوالِ
 أحيا غروسَ الدينِ حتى أينعت * بالذكرِ في الأبيكارِ والآصالِ
 وكذا معالمُه بنشرِ علومِه * بين الأنامِ في سائرِ الأعمالِ
 ربِّي أذقني من عتيقِ علومِه * كأساً يُخلصُ رؤيةَ الأفعالِ
 وامنُ علينا بالرّضى واختم لنا * بسعادةٍ عند احتلالِ أجالِ
 وأتخ لنا والمسلمينَ جميعهم * عفواً يؤمّنا من الأوجسَالِ
 وأدمِ صلاتك للنبيِّ محمدٍ * خيرِ البريةِ كلّهم والآلِ

هذه القصيدة من إنشاء العالم الجليل الإمام الأصيل العفيف المتنور الشيخ
 إدريس بن محفوظ الشريف الحسيني الدلسي أصلاً . كان هاجر آباؤه لمدينة
 بنزرت التونسية للاستيطان فولد بها ، ولما تم حفظ القرآن توجه لتونس
 لجامع الزيتونة الأعظم ، فمكث فيه نحو العشرين عاماً بين تعلم وتعليم ، حتى
 أجز في التدريس بعد الامتحان الرسمي ، وصارت له اليد الطولى في الفنون
 المتداولة بالجامع الأعظم ، وكان مصححاً في دار الطباعة الرسمية بتونس ،
 ثم استعفى ورجع إلى بنزرت ، ولا زال يشتغل بالعلم ، وقد انتفع بعلمه خلق
 كثيرون ، لأن تعليمه سائر فيه على طريقة علماء السلف في نصح المتعلم وقبول

السؤال منه بوجه طلق بلا مكابرة ، وتبجيل الطالب وإظهار الشفقة له
والمحبة الخالصة كالأبن الفريد ، جزاه الله خيراً .

وله عدة رسائل ، من ذلك : رسالة في الحساب ، ورسالة في التصوف ،
ورسالة في أحوال الفعل المضارع ، وله شعر رقيق وقصائد بديعة مختلفة
المقاصد ، أغلبها في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وآل البيت وبعض
المتسبين لله ، لأن الشيخ مبال إلى علوم القوم والمتصوفة . وله تفران في حب
الطريقة الرحمانية ورجالها ، وقد أخذ العهد عن العارف بالله الرحماني الشيخ
سيدي علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف بعمالة تونس ، المتوفى في ذي
الحجة عام ١٣١٨ .

وأشهر مشايخه في العلم حضرة الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي ،
والشيخ المكي بن عزوز الشهير ، والشيخ النجار المفتي المالكي ، والشيخ السمائي
نزيل طرابلس ، والشيخ سالم بو حاجب المفتي المالكي بآرك الله في حياة الجميع
آمين اهـ . من خط الشيخ الكامل بن عزوز ، ، أطال الله بقاءه .

محمد بن رجب الجزائري

أطلعني صاحبنا الصديق السيد علي بن الحداد الجزائري على رسالة بخط
المرحوم الشيخ محمود بن الشيخ علي بن الأمين ، جعل لها من عنده مقدمة
فيها سبعة فصول وذيلها بخاتمة ، وأول المقدمة : الحمد لله رب الأرباب
مسبب الأسباب ، إلى أن قال : أما بعد : فلما وقعت بيدي مبيضة رسالة في
تدبير أمر الوباء والطاعون جمعها السيد محمد بن رجب الجزائري سنة ١٢٠٠
من كتب عديدة في الطب وغيره ، جزاه الله خيراً أردت استخراجها وأن
أجعل لها مقدمة قبل الشروع فيها تديلاً بعد تمامها ، ليتمكن النفع بها وأبين
بعض ألفاظها قدر الوسع والطاقة اهـ .

وأول الرسالة : الحمد لله وحده ، وبعد : فلما وقع الطاعون في شعبان سنة ١٢٠٠ ببلدنا الجزائر صانها الله تعالى من الأكدار ، اشتغلت بمطالعة كتب عديدة في الطب ، منها « القانون » للرئيس ابن سينا ، ومنها « التذكرة » للشيخ داود الأنطاكي وغيرهما من الكتب المعبرة ، ثم استعنت بالله تعالى في جمع ما لخصته منها في تقييد لطيف ، ووددت أني وجدت من كفاني هذه المؤونة ، وإن كان الحكماء قد أتوا في كتبهم بما لا مزيد لغيرهم عليه ، لكن مجموعها قل أن يتفق لمثلي اجتماعه ، وليس لي في هذا التقييد كبير مزية سوى [٥٨] الجمع ، إلى أن قال : وسميته بـ « الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون » اهـ . ما به الحاجة . والشيخ محمود بن الشيخ علي الجزائري كان رحمه الله مدرساً في الجامع الكبير بالجزائر وإمامها في الليسي ، وتوفي يوم ١٧ من شهر فيفري عام ١٨٩٧ ، وكان كتباً ونسأخاً عجبياً ، وله مشاركة في الفنون وأفكار غريبة ونية حسنة ومخالطة أنيسة ، ويرجع نسبه إلى العلامة المحقق والدراكة المدقق الشيخ الحاج علي بن الأمين مفتي مالكية الجزائر في وقته وبعد رجوعه إليها من الأزهر الشريف ، ومن نسله أخونا المرحوم السيد محمد بن الشيخ علي ، كانت له معنا مذاكرات مفيدة ومباحثات عميقة ، لا سيما في المقولات العشر بحاشية العطار على أبيات السجاعي رضي الله عنهما ، وقد ترك ولداً صغيراً يشبهه خلقاً وأخلاقاً ومن يشابه أبه فما ظلم ، أحياء الله خياة طيبة ، وأطال عمره في أحسن عمل آمين .

سيدي محمد الشريف الزهار الجزائري

وهو محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود ابن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن

محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن رزقي بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن علي بن محمد بن عبد الله بن داود بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولي كبير وقطب شهير ، له كرامات معروفة وزيارات مألوفة ، ونفحات تشتاق إليها قلوب الصادقين ، وروضة في وسط الجزائر ترتاح لعبادة الله فيها نفوس الصالحين ، كيف لا وهو الراوي من بحر الغوث الراشدي سيدي أحمد ابن يوسف دفين مليانة قدس الله سرهما ونفعنا ببركاتهما آمين .

توفي الشيخ سيدي محمد الشريف سنة ٩٤٨ ، ودفن في ضريحه المبارك ، وله ذرية ينتسب إليها في الجزائر عائلة زاويته الآن ، ومنها الأخوان الشريفان السيد قدور والسيد علي ، ولهما أولاد وأحفاد ومصاهرات ، وقد ذكره العلامة الصباغ في كتابه الذي ألفه في مناقب سيدي أحمد بن يوسف ، وأكثر من تحليله بما هو أهل له رضي الله عنه ، وذكر له مناقب كلها براهين قاطعة [٥٩] على أنه من الأولياء الكبار ، وكرامات عجيبة لا غرابة فيها عند أصحاب المعرفة العالية والعقول المطلقة في فضاء الإمكان ، الذي لا مستحيل فيه ولا مخرج للفكر منه .

هذا ولما كان في الجزائر أولياء وعلماء كثيرون يضيق هذا الكتاب عن ذكر تراجمهم ، أردت ذكر أسمائهم ووفياتهم باختصار من رسالة ألفها فاضل أو رباوي في الجزائر ، كما أفادنيه العلامة شيخ الجماعة وبقية السلف الصالح سيدي علي بن الحاج موسى قيم الروضة الثعالبية رضي الله عن ثاوبها ، فنقول وبالله التوفيق إلى أقوم طريق :

العلامة سيدي أبو جمعة كان معاصراً للقطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي

رحمهما الله تعالى سيدي هلال من أكابر الصالحين ، وقبره بحومة باب الوادي ،
 وبه تسمى الآن ، كان حياً أيام قدوم الأتراك إلى الجزائر . الولي الصالح سيدي
 إبراهيم البحري ، دفين رصيف مرسى الجزائر ، أحد الأولياء الكبار ، كان
 رضي الله تعالى عنه حياً في عهد المرحوم خير الدين . سيدي محمد الشريف
 الزهار ، من أكابر الأولياء والعلماء ، توفي سنة ٩٤٨ . وقبره مزار يُتبرك
 به . أبو حفص سيدي عمرو التنسي ، كان في قيد الحياة سنة ٩٩٠ تقريباً ،
 ودفن بحفير باب الوادي . سيدي محمد بن علي ، توفي سنة ١٠٠٩ . الشيخ
 سيدي ولي دادة ، قدم رضي الله تعالى عنه إلى الجزائر من بلدة أزميز أيام
 قدوم الأتراك إليها ، واشتهر فضله وصلاحه عند الخاس والعام . سيدي محمد
 ابن قاره مان مفتي الحنفية ، توفي سنة ١٠٣٦ . سيدي عبد الرحمن بن سالم ،
 من أشهر رجال الجزائر ، توفي سنة ١٠٣٩ . سيدي علي بن مبارك ، توفي سنة
 ١٠٤٠ ، ودفن بالقلعة ، وقبره مشهور يُزار . سيدي محمد التواتي توفي سنة
 ١٠٤١ . سيدي يوسف الكواش ، توفي سنة ١٠٥٠ . سيدي منصور توفي
 سنة ١٠٥٤ . سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك ، توفي سنة ١٠٥٨ .
 العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم ، توفي سنة ١٠٥٨ . سيدي
 محمد أفندي مفتي الحنفية ، توفي سنة ١٠٦٦ . سيدي محمد المهدي ، توفي
 سنة ١٠٧٢ . سيدي الطيب بن الحصار ، توفي سنة ١٠٧٦ . سيدي علي بن
 حسون ، توفي سنة ١٠٧٦ . سيدي محمد بن افوجل ، توفي سنة ١٠٧٨ .
 سيدي علي بن عبد الرحمن ، قاضي المالكية ، توفي سنة ١٠٨١ . سيدي خير ،
 توفي سنة ١٠٨٥ . سيدي محمد المغربي ، توفي سنة ١٠٨٨ . سيدي حسين
 أفندي مفتي الحنفية توفي سنة ١٠٨٨ . سيدي محمد بن عبد الله بن يطو
 الجرومي ، من أكابر العلماء ، توفي سنة ١٠٩٢ . سيدي محمد بن قاراباش ،
 توفي سنة ١٠٩٢ . الشيخ سيدي جلبي بن سعيد بن غانم ، توفي سنة ١٠٩٢ .

العلامة سيدي محمد بن محمد المهدي ، ويعرف بابن علي ، ممن جمع بين العلم والصلاح ، له رحلة إلى المشرق ، وأجازه أكابر علمائها ، ورجع إلى الجزائر ، وبها توفي في حدود سنة ١٠٩٣ . سيدي محمد الفراسدي ، توفي سنة ١٠٩٥ . العلامة سيدي محمد بن عبد المؤمن قاضي المالكية ، توفي سنة ١٠٠١ [٦٠] . سيدي عمر بن المانجلاتي قاضي المالكية ، توفي سنة ١١٠٤ . سيدي يحيى بن العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم المتقدم ذكره ، من مشاهير العلماء ، توفي سنة ١١٠٦ . سيدي عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش ، ولد في رجب سنة ١١٠٧ ، وله تأليف منها القاموس المشهور في حل أسماء الأعشاب ، وكفاه به فخراً . سيدي محمد بن الهادي قاضي المالكية ، توفي سنة ١١٠٨ . سيدي محمد الشريف ابن سيدي محمد المهدي ، توفي سنة ١١٠٩ . سيدي محمد الرحتي قاضي المالكية ، توفي سنة ١١١٢ . سيدي السعدي بن محمد ، صاحب كرامات ، وكان في قيد الحياة نحو سنة ١١١٩ ، ولم أقف على تاريخ وفاته . سيدي أبو زيد بن سيدي محمد بن عبد الرحمن البوسعيدي المتقدم ذكره ، من أكابر العلماء ، توفي ليلة الاثنين ٢٦ محرم سنة ١١٢٦ . العلامة سيدي محمد المصطفى ، من العلماء المشهورين ، توفي يوم الخميس ١٤ من المحرم سنة ١١٣٦ . سيدي محمد بن القاضي ، من العلماء المحققين ، توفي بالمدرسة الحسينية ليلة السبت ٢٧ من ذي الحجة سنة ١١٤٢ ، ودفن خارج باب الوادي بمقبرة الطلبة ، وقبره معروف بزار . سيدي محمد بن جعدون مفتي المالكية ، دفن مقبرة سيدي أبي النور بجبل أبي زريعة ، كان في قيد الحياة عام ١١٥٩ ، ولم أقف على تاريخ وفاته . سيدي محمد بن مالك ، كان معاصراً لمن قبله . المفتي المالكي سيدي الحاج علي بن عبد القادر ابن الأمين ، من مشاهير العلماء ، وله معاصرة لمن قبله . سيدي أحمد بن عمار من أكابر العلماء ومشاهير الفقهاء ، وكان معاصراً لمن قبله . الشيخ سيدي الحاج

محمد بن الشاهد الفقيه ، صاحب القضايد المولدية رحمه الله تعالى . من مشاهير العلماء ، وله معاصرة مع من قبله . سيدي محمد بن الحفاف رحمه الله تعالى . من الفقهاء الأجلاء وأكابر العلماء . وله معاصرة مع من قبله . سيدي محمد بن عبد الرحمن أبو قبرين رضي الله تعالى عنه ، مشهور بالولاية وعلو المقام لدى الخاص والعام ، توفي سنة ١٢٠٩ . سيدي أحمد الحنفي الخطيب . له تأليف سماه « السلوك » اعتنى بجمعه سنة ١٢٢٠ ، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

أما

[٦١]

مفاتي مدينة الجزائر

فهم

من الحنفية

محمد بن يوسف عام ١٠٢٢ ، محمد بن حسين عام ١٠٢٩ ، مصطفى ابن محمد عام ١٠٣٧ ، محمد بن رمضان عام ١٠٤٥ ، حسين بن مصطفى ابن رمضان عام ١٠٦٩ ، مسلم بن علي عام ١٠٩٠ ، محمد بن مسلم عام ١٠٩٠ ، محمد بن حسين عام ١١٠١ ، محمد بن مسلم عام ١١٠١ ، حسين ابن رجب عام ١١٠٢ ، محمد بن مصطفى المدعو ابن المتسي عام ١١١٠ ، حسين بن محمد عام ١١١٨ ، محمد بن مصطفى عام ١١٢٢ أيضاً ، حسين ابن محمد عام ١١٢٢ أيضاً ، محمد بن مصطفى عام ١١٢٢ أيضاً ، حسين ابن محمد عام ١١٢٥ أيضاً ، محمد بن مصطفى عام ١١٢٨ أيضاً ، الحاج علي بن مسلمي عام ١١٣٦ ، حسين بن محمد بن العنابي عام ١١٤٨ ، محمد ابن محمد بن سيدي بن علي عام ١١٥٠ ، حسين بن مصطفى عام ١١٦٩ ،

أيضاً ، حسن بن فضلي عام ١١٧٠ ، محمد بن مصطفى الوائي عام ١١٧١ .
 حسن بن أحمد التفاحي عام ١١٧٧ ، مصطفى بن عبد الله عام ١١٨٠ ، محمد
 ابن مصطفى عام ١١٨٠ ، حسن بن أحمد عام ١١٩١ ، محمد بن إسماعيل
 عام ١٢٠٠ ، محمد بن عبد الرحمن عام ١٢٠٤ ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد
 عام ١٢٢٤ ، محمد بن عبد الرحمن بن حسين عام ١٢٢٤ ، أحمد بن إبراهيم
 البابوجي عام ١٢٢٦ ، محمد بن عبد الرحمن بن راسيل عام ١٢٣٢ ، أحمد
 ابن حسين عام ١٢٣٣ ، محمد بن محمود بن محمد بن حسين العنابي عام
 ١٢٣٤ ، أحمد بن إبراهيم عام ١٢٣٥ ، محمد بن عبد الرحمن عام ١٢٤٤ ،
 الحاج أحمد بن الحاج عمر بن مصطفى عام ١٢٤٤ ، الحاج محمد بن محمود ،
 الحاج مصطفى أفندي ، محمد بن شعبان عام ١٢٥١ ، أحمد بن محمد بن
 رجب عام ١٢٦٠ ، الحاج محمد بن مصطفى غرناوط عام ١٢٦٣ ، الحاج
 أحمد بن الحاج مصطفى عام ١٢٦٥ ، أحمد بوقندورة عام ١٢٩٥ .

من المالكية

محمد بن بلقاسم بن إسماعيل عام ١٠١٢ ، سيدي عمار عام ١٠٢٢ ،
 سيدي سعيد قدورة بن الحاج إبراهيم عام ١٠٣٠ ، محمد بن سيدي سعيد
 قدورة بن الحاج إبراهيم عام ١٠٦٦ ، أحمد بن سيدي سعيد قدورة بن الحاج
 إبراهيم عام ١١٠٧ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١١٨ ، الحاج سعيد
 ابن أحمد بن سعيد عام ١١٢٢ ، عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد عام ١١٢٤ ،
 الحاج سعيد بن أحمد بن سعيد عام ١١٢٥ ، المهدي بن صالح عام ١١٢٧ ، عبد
 الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٢٨ ، عمرو بن عبد الرحمن عام ١١٣٥ ،
 عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٣٥ ، عمرو بن عبد الرحمن عام ١١٣٥ ،

[٦٢] محمد بن مبارك عام ١١٤٧ ، محمد بن إبراهيم عام ١١٥١ ، الحاج أحمد الزروق بن محيي الدين بن عبد اللطيف عام ١١٥٣ . عبد القادر بن محمد البراملي عام ١١٦٩ ، مصطفى بن أحمد المسيبي عام ١١٧٠ ، الطاهر بن محمد عام ١١٧٥ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٧٦ ، مصطفى ابن محمد المسيبي عام ١١٧٢ ، أحمد بن محمد عام ١١٧٩ ، الحاج أحمد ابن عمرو عام ١١٨٠ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٨٠ ، الحاج أحمد بن عمرو عام ١١٨٠ ، الحاج محمد بن أحمد بن جعدون عام ١١٨٥ . محمد بن الشاهد عام ١١٩٢ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٦٠٦ . محمد بن الشاهد عام ١٢٠٦ ، محمد بن محمد الخوجة عام ١٢٠٧ ، محمد ابن الشاهد عام ١٢٠٧ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٠٧ . محمد بن محمد بن علي عام ١٢٠٨ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٠٨ ، الحاج محمد بن أحمد بن مالك عام ١٢١٠ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢١٤ ، محمد بن محمد بن علي عام ١٢٢٦ ، الحاج علي ابن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٣٠ ، أحمد بن علي بن جعدون عام ١٢٣٣ . الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٣٣ ، محمد بن الحاج إبراهيم ابن موسى عام ١٢٣٥ ، علي بن محمد المانجلاتي عام ١٢٣٩ ، علي بن المانجلاتي ، مصطفى بن الكبابطي ، مصطفى القاديري عام ١٢٥٩ ، حميدة العمالي عام ١٢٧٣ ، الحاج علي بن الحفاف عام ١٢٩٠ ، محمد بن مصطفى بن زاكور عام ١٣٠٧ .

مُحمَّدُ بنُ عزوزِ البرجي

الولي الأكبر والقطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز ، ولد رضي الله عنه بالبرج من صحراء بسكرة في حدود سنة ١١٧٠ ، وتوفي سنة ١٢٣٣ ، ربي في حجر والده الوالي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم ، فأخذ منه بغيته حتى تضلع في المعقول .

وألف تأليف مفيدة ، منها رسالة عالية في قواطع المرید ، وشرح على التلخيص وغيرهما ، ثم اشتاقت نفسه لعلم الباطن فرحل لزيارة الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهری ، وأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة ، وفي تلك المدة خفيت عن والدته أخباره حيث لا بوسطه ولا تلفراف ، واشتد شوقها إليه وقلقها عليه ، فصعدت سطح دارها ونادته بثلاثة أصوات فسمع نداءها في الخلوة ، وأخبر شيخه بما سمع فأمره بالرجوع إلى والدته ، وقال له : إن أدركتني المنية من بعدك فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمن باش تارزي تلميذه دفين قسنطينة ، فكان الأمر كما ذكره ، ولازم خدمة الشيخ باش تارزي إلى وفاته ، فكان تمام سلوكه على يده . [٦٣]

وفي سنة ١٢٣٢ سافر صاحب الترجمة لحج بيت الله الحرام مع تلامذته الكاملين سيدي علي بن عمر الطولقي ، وسيدي عبد الحفيظ الخنقي ، وسيدي مبارك بن خويدم ، وكان الركب الذي سافر معه فيه سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن قبل استيلائه على عرش الملك ، فتعرف بالشيخ لما رآه من كماله ولازمه إلى أن أصبح ذات يوم متألماً وتعطل سير الركب ، ولما بلغ خبره مسامع السلطان تحير وعاده حيناً وعالجه فشفاه الله ، وقال له سيدي علي بن

عمر على لسان الشيخ : لما شفاني الله على يدك فادع الله بما تريد يستجيب لك .
فقال : لا أريد الآن إلا ولاية الملك ، وهي بعيدة عني إذ بيني وبينها سبعة
رجال ، فقال : ندعو الله أن تكون لك ، وإذا بالمملكة المغربية نزل بها وباء
مات فيه السبعة ، ولما آب السلطان من الحج وجد رجال دولته في انتظاره ،
فبايعوه وبقيت المكاتبات الودادية جارية بينهما ، ثم إن الشيخ رجع من حجه
ووجد الوباء ضارباً أطنابه في الزيبان ، فكان هو آخر من استشهد به رضي
الله عنه ، وذلك سنة ١٢٣٢ ودفن بقرية البرج ، وبها الآن ضريحه المقدس ،
يأتيه الزوار من كل فج عميق ، وترك ستة أولاد كلهم مرشدون علماء
صالحون ، منهم سيدي مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نفطة .

كان الشيخ رضي الله عنه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر محباً للسلم والأمن ،
ولذلك كان الناس يدعونه للصلح بينهم في مشكلاتهم ، ويطلب منه أمراء وطنه
إخماد الثائرين ، فيسعى في تليينهم بعظيم جاهه ولطف قوله ، وكان حليماً ذا أخلاق
مسكية مع ما ألبسه الله من الهيبة والوقار ، وتخرج على يده فحول منهم الشيخ
سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة ، والشيخ سيدي عبد الحفيظ صاحب
زاوية خنقة سيدي ناجي ، والشيخ سيدي المدني التواتي ، وسيدي مبارك بن
خويدم وغيرهم ، ولهؤلاء أتباع ومريدون لا يحصون ، حتى إنه قلما يوجد
في القطر الجزائري الشرقي والتونسي وطرابلس الغرب وبنغازي من ليس
منتسباً لطريقته بواسطة أو وسائط ، بل كادت أن تسمى الرحمانية بالجزوزية ،
ونولا الالتزام بالاختصار لأتينا في سيرته ومناقبه بما يكون وحده جزءاً كبيراً .
ولكن شهرته تغني عن التعريف به ، وناهيك أن ولده سيدي مصطفى وحفيده
سيدي المكي بن عزوز قاطن الأستانة الآن اهـ . من خط الشيخ الكامل بن
الشيخ المكي بن عزوز ، نفعنا الله بركاتهم آمين .

أقول : وللشيخ سيدي محمد بن عزوز أرجوزة سماها « رسالة المرید

[٦٤] في قواطع الطريق وسوابه وأصوله وأمهاته « وشرحها شرحاً عجيباً مفيداً للغاية ، وهي وشرحها كافيان في الدلالة على عظم مقامه العلمي والعملية ، وسند كرها بتمامها حرصاً على الإفادة والاستفادة ، ولأنها في الحقيقة قانون التمدن الكامل ، لأنه عبارة عن تهذيب النفس وقتل حيوانيتها الطبيعية ، لكن قتلها عند الأخرويين في سبيل الله ، وعند الدنيويين في سبيل الإنسانية ، وهذه تختلف باختلاف المعارف والعقائد والأقطار والعوائد ، والحق أنها ما به إدراك الخير وطلبه والشر واجتنابه ، وقد أحببت أن أذكر نبذة من كلام الشيخ في شرح أرجوزته للتبرك به ، قال قدس الله تعالى روحه ، ونور ضريحه ، ونفعنا ببركاته :

واختلف أيضاً هل الحمد والمدح بمعنى واحد أو متغايران ، والذي يقول بالتغاير يُفرّق بينهما بأن الحمد مخصوص بالحي ، والمدح يعم الحي وغيره ، ولذلك يقال : مدحت اللؤلؤة على صفائها ولا يقال : حمدتها ، واختلف في الألف واللام من الحمد لله فقيل : إنها للاستغراق استغراق جميع أفراد الحمد ، إذ في الحقيقة ما حمد الله إلا الله ، لأنه تارة حمد نفسه بنفسه كقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(١) و﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾^(٢) وتارة حمد نفسه بفعله كحمد العبيد له تعالى ، وتارة حمد فعله بنفسه كقوله ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ وتارة يحمد فعله بفعله كحمد العبيد بعضهم بعضاً ، فالحمد منه بدا وإليه يعود ، وقيل : إنها للجنس ، وهو يستلزم الاستغراق ، وقيل : إنها للعهد ، والمعهود حمد الله لنفسه في الأزل ، كما أجاب به سيدي الشيخ أبو العباس المرسي ابن النحاس النحوي حين سأله عن ذلك اهـ .

وأما الأرجوزة المشار إليها أعلاه ، وهي « رسالة المرید في قواطع الطريق وسوابه وأصوله وأمهاته » للقطب الشهير الشيخ محمد بن عزوز البرجي

(١) سورة الفاتحة : الآية ١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٤ .

نفعنا الله به آمين فهذا نصها :

- الحمدُ لله الذي ألهمنا * نظمَ أصولٍ وقواطعٍ لنا
ثم صلواته على سرِّ الوجوه * محمدٍ أكرمٍ وافٍ بالعهدِ
وآله والصَّحْبِ والأَتْبَاعِ * وكلِّ قَطْبٍ للرَّشَادِ داعٍ
وبعدُ إنَّ المرءَ ليسَ يشرفُ * إلا بإحكامِ الذي سيوصفُ
من التجنبِ لكلِّ قاطعٍ * والارتدادِ بكلِّ أصلٍ جامعٍ
وقد نظمتُ ما أفادَ شيخُنَا * من أمهاتٍ وسوالبِ المنسى
إذ طالَ ما بالغَ في تفصيلها * فعندَ ذا شرعتُ في تحصيلها
[٦٥] سميتها رسالة المريد * فيها له من كلِّ ما مفيدٍ
فقلتُ طالباً من الرحمانِ * عوناً وتبليغاً إلى الإحسانِ
قواطعُ المريدِ فاعلمْ شريرةً * رؤيته أعماله معتبرةً
كذا امتدادُ أملٍ تحادثُ * نفسه أنه وليُّ وارثٍ
قناعةٌ بواردِ الأحلامِ مع * ركونه إلى قبولِ الخلقِ دعٍ
تأنسُ بالوردِ مع تلذذٍ * بواردِ سكونه الوعدِ خذٍ
والاكتفا بزعمه والغرة * بالله تمت هذه العشرة
وضيف لها خمسا سوالبا أتت * إرساله جوارحاً قد أودعتُ
لدى معاصي الله والتصنعِ * بطاعة الله لخلقٍ يمنعِ
مثلهما طمعه في الخلقِ * وقيةً في عرضِ أهلِ الحقِ
وعدمُ احترامه للمسلمين * على الذي أمر ربُّ العالمين
وأمهاتُ العشرِ قد تقررتُ * إن حليت نفسٌ بها تطهرتُ
لزومك التقوى بفعولٍ ما أمر * به وترك كلِّ ما عنه زجرُ
وهكذا العملُ بالأسبابِ * اللاتي يكملُ لذي الألبابِ
بها التقى ويستدامُ واعددا * تيقظاً لها لما قد وردا

ومثلُ ذا صحبةٍ مَنْ يَدُّكَ ۞ على الإلهِ ويُرِيكَ عِيَّكَ
 وجانبِ الأضدادِ أهْلَ الغفلةِ ۞ والاعتذارِ هم أشْرُ فتنَةٍ
 كذا التزمُ أدبٌ بحسبِ ۞ صاحبِ ذي التجريدِ والتسببِ
 آدابُ ذي التجريدِ قالوا أربعاً ۞ أنصافه من نفسه لمن معاه
 وعدمِ انتصافه لها وضيفُ ۞ لذا احترام أكبر منه عُرفُ
 ورحمة الأصغر منه ثم زدُ ۞ أربعة للمتسببِ تُفسدُ
 وهي اجتنابه من أهلِ الظلمِ ۞ إثارة لعاملٍ بالعلمِ
 كذا مواساة ذوي المجاعة ۞ لزومه للخمس في الجماعه
 وسوُّ بالتراب لا تعباً بمن ۞ عن هذه خلا وللصدِّ ضغائنُ
 وأعطِ للأوقاتِ حقاً قد وردُ ۞ واتركُ تكلفاً وراقبِ الصمَّادُ
 وعمرِ القلبِ بأربعِ خصالِ ۞ بذكرِ غُربتِكَ في دارِ الزوالِ
 وذكرِ مصرعِكَ حالِ موتِكَ ۞ ووحشةٍ ووحدةٍ بحُفرتِكَ
 وذكرِ الوقوفِ باديِ الوجَلِ ۞ بين يدي ربِّ خيرٍ بالزلزلِ
 وخمسة هي الأصولُ الواقية ۞ وهي التقى في السرِّ والعلانية
 كذا اتباعُ سنةِ الرسولِ ۞ في القولِ والفعلِ بلا عدولِ
 اعرضُ عن الخلقِ سواءً أدبروا ۞ أو أقبلوا فاللهُ نعمَ الناصرُ
 وارضَ بقسمةِ إلهيكِ الخيرِ ۞ في كلِّ ما أعطي قليلاً أو كثيراً
 وارجعْ له في كلِّ حالٍ قد أتتْ ۞ سراءٌ أو ضراءٌ كيفَ ما وفقتْ
 فذي ثلاثونَ فنصفها دُررُ ۞ حلُّ بها النفسِ يُجانِبُ الضَّررُ
 ونصفها الأولُ كالأفاعي ۞ ففِرَّ منها لا تُجِبْ لداعي
 كذا أفادها لنا الأستاذُ ۞ نعمَ المقيدُ وهو المِسلادُ
 والحمدُ لله على التمامِ ۞ ونعمةِ الإيمانِ والإسلامِ

محمد بن علي الصنهاجي الحمزي

أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي الشيخ الأجل ، الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأوحد أبو عبد الله . أصله من قرية تعرف بحمزة من حوز قلعة حماد ، من أهل قلعة بني حماد ، من أجل الأئمة وفضلائهم . قرأ ببلده بالقلعة ، وكانت حاضرة علم ، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضي الله عنه .

قال في برنامجه : إنه سمع عليه كتاب « المقصد الأسنى على شرح أسماء الله الحسنى » من فاتحته إلى خاتمته قراءة تفقه ، قال : فأول مجلس حضرته عليه أردت أن أقيد ما يقوله على الكتاب ، قال : فمشيت إلى داري وقيدت ما علق بخاطري من كلامه ، فلما كان من الغد ووقع الحضور للدرس كان أول ما افتتح به الشيخ كلامه أن قال : أنا لا أريد أن يُقيد عليّ شيء مما أقوله على هذا الكتاب أو كلاماً هذا معناه ، فكانت تلك إحدى كراماته رضي الله عنه التي شاهدها منه ، فأمسكت عن التقييد . قال : وكان ذلك بداره ببجاية سنة إحدى وثمانين وخمس مئة .

محمد بن علي العلاوي

الولي الصالح سيدي محمد بن علي ، إذ كان هو المتصرف في الأوطان بإذن من له الحكم من بجاية ، وهو الذي أمسك جدي في هذه البلدة وزوج ابنته له ، وهو الذي أمر الناس بأن بنوا له وهم بنو يعلى .

لطيفة : فإن قلت : كل ما ذكرته من الأولاد على خير وفضل وعلم

وحال وحلم مع أن في ذلك أموراً لا تليق ، وأكثرهم على المخالفة والبدعة ، وربما زادوا على ذلك قتل النفس بغير حق ، فما وجه صنيعك ؟ قلت : الأمر كما ذكرت ، غير أنني قصدت أمرين : أحدهما الستر على سبيل الجملة ، [٦٧] لأنك إذا سئلت عن قوم فيما بينهم وبين الله فقل : هم بخير خصوصاً أولاد الصالحين ، أردت زيارتهم بالثناء عليهم ، فهم أحياء في قبورهم ، ومن ذم ولدك وأنت تسمع تغيرت عنه ، وإذا تغيرت لا ينتفع منك من تغيرت عليه أيضاً ، مرادي من كان على طريق الجد المذكور والابن الخارج عن نمط الاب ليس بابن قلب ، لأن ولد القلب يرث الباقي وولد الصلب يرث الفاني ، وإذا كان ولدك على طريقك فإنه يرثهما معاً ، وإن كان ولد الصلب فإنه يرث الفاني فقط اهـ. ورتيلاني .

محمد بن علي الطلحي القسطنطيني

العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطلحي ، كان فقيهاً نحويّاً أصولياً لغويّاً .

أخذ عن الراشدي وأبيه ، وتولى الإمامة بمسجد سيدي مسلم الحراري ، وكان ولوعاً بالتقرير على هوامش الكتب ، وتقاريره لا تخلو عن فائدة ، مات رحمه الله سنة ١٢٣٢ .

محمد بن علي العبدلي

ذو العلم والمهابة والحلم والإنابة والسطوة والاستجابة والتحقيق والإصابة ، ذو العلوم الفاخرة والأحوال الصادقة والظاهرة ، والأنوار الباهرة والأسرار

الحاضرة . الزاهد بالتحقيق بعد التمكن من الدنيا كما يليق ، قد نبذها وراء ظهره جلباً لنفعه ودفعا لضره . وهو عند جميع الأفاضل مرغوب ، الولي الكامل سيدي الموهوب نجل الشيخ القدوة والدرة الثمينة سيدي محمد بن علي العيللي كراماته ظاهرة ودعوته قاهرة ، وأسراره ليست مستترة ، مكَّنه الله فتمكن . وبذكرة قد اطمأن .

وبالجملة فقد يشرف مقام الشيخ سيدي الموهوب بإشراف حضرة الولي سيدي أحمد عبد العظيم إشرافاً تاماً ، وطلع نجم السعود فيه طلوعاً عاماً وكذا أولاده سيما ذو المجد الأنيف والفاضل الشريف ، وهو من النوادر سيدي عبد القادر ، وأولاد الشيخ سيدي الموهوب فيهم الخير والعلم والأدب خصوصاً سيدي عبد الله بن محيي الدين ، وتلميذنا سيدي عبد القادر بن أحمد ، وكذا غيرهم اهـ . ورتيلاني .

الإمام أبو عبد الله محمد الخروي

من « الاستقصاء »

الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الخروي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفن بها تعين للوفادة على مراکش سنة ٩٦١ .

وفي « المرآة » : أن أبا عبد الله الخروي قدم المغرب الأوسط والمغرب الأقصى مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأقصى ، وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله ، وفي قَدَمَةِ الخروي هذه إلى مراکش أنكر على [٦٨] الشيخ أبي عمرو القسطلي دفن رياض العروس من مراکش حلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم ، وقال : إنه بدعة فقالوا له : إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله ياذن ، والإذن له لا يعمكم ، فإن الإذن

للنبي يعم أتباعه ، والإذن للولي لا يعم أتباعه ، وأنكر عليه مسائل كثيرة ،
وبعث إليه رسالة أقذع له فيها ، وقد وقفت عليها رحم الله الجميع بمنه ، وتوفي
الخروبي هذا سنة ٩٦٣ ، ودفن خارج الجزائر ، والله أعلم .

وفي « الجذوة » : أنه من أهل الحديث والفقہ والتصوف واقف على
أغراضهم ، جمع في فن التصوف والأذكار والأوراد كتباً منها « شرح الحكم »
لابن عطاء الله ، ورسالة رد فيها على أبي عمر القسطلي المراكشي ، وحدثني
بعض الجزائريين أنه رأى تفسيراً له على القرآن العظيم بجزائر مزغنه وغير
ذلك ، وكان جماعاً للكتب ، وكان خطيباً بالجزائر ، وكان له وجاهة عند
أمرأء بني عثمان ، استعملوه في السفارة بينهم وبين أبي عبد الله المهدي الشريف
الحسني ، فورد المغرب ودخل مدينة فاس ، عاينت إجازته لشيخنا أبي عبد
الله الحضري الوزروالي لما دخلها مؤرخاً لها سنة تسع وخمسين وتسع مئة (٩٥٩)
وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم .

أخذ عن أبي عبد الله بن عبد الله الزيتوني ، وعن أبي العباس أحمد بن
أحمد زروق ، وعن أبي حفص عمر العطأوي الراشدي ، عن عبد الجليل بن
محمد الراشدي ، وأبي عبد الله بن مرزوق ، وابن زكرياء المغراوي ، وأبي
زيد عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهم ، وأخذ أيضاً الخروبي عن عمر بن
زيان المديوني ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ، عن أبي إسحاق
إبراهيم التازي صاحب وهران ، عن محمد بن واضح الشبي أجازني عنه
شيخنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغي ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد
الحضري ، وعاينت إجازته الشيخين معاً .

توفي بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين وتسع مئة لأن الوباء كان في
مدينة فاس عام خمس وستين ، وانظر هل سبق من الجزائر أو من مدينة فاس .

محمد بن علي الميلي

[٦٩] العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن سيدي عيسى المعروف بالميلي .
كان من التحقيق في آخر طبقة و غزارة الحافظة وسرعة الفهم في أعلى رتبة .
أخذ عن الحفصي . والونيسي وغيرهما . وليس له مؤلفات . توفي
رحمه الله سنة ١٢٥٢ .

محمد بن عمر المليكي

محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم ، عرف بابن عمر المليكي
البجائي ثم التونسي الجزائري ، كذا بخطه نسبة إلى جزائر افريقية لا إلى بلد
جزيرة ، لأن النسبة إليها جزيري .

قال الحضرمي في « مشيخته » : كان صدرأً في الطلبة والكتاب ، فقيهاً
كاتباً أديباً حاجاً راويةً متصوفاً فاضلاً صاحب خطة الإنشاء بتونس ، شهيراً
ذا تواضع وإيثار وقبول حسن ، رحل وحج وروى عن جماعة بالحجاز ومصر
والاسكندرية كالرّضي الطبري ، سمع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن
طراد قاضي المدينة وخطيبها ، وأبي محمد الدلاصي ، والنجم الطبري وغيرهم ،
وله شعر رائق وكتابة بليغة وتآليف مستظرفة ، توفي بتونس غرة المحرم فاتح
أربعين وسبع مئة (٧٤٠) هـ . ملخصاً ، وقد ذكره خالد في رحلته فأثنى عليه
فانظره هـ . « نيل الابتهاج » .

محمد بن عمر القلمي

أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان الشيخ الفقيه القاضي المحدث المحصل من قلعة حماد ، بها ولد وتوفي أبوه وخلفه صغيراً ، ولما أخذ في سن البلوغ تعلق بالجنديّة واتخذها حرفة ، فرأى في منامه رؤيا قال له : يا محمد ليس الجنديّة من شأنك فاشتغل بالقراءة ، فترك الجنديّة واشتغل بقراءة العلم ، فاجتهد وحصل ، ثم رحل إلى بجاية مستوطناً ، وأخذ عن أبي محمد بن عبد الحق الإشبيلي وغيره .

وكان له علم بالحديث والفقه والوثيقة ، وأكثر تخاطبته إنما هو التحدث وقضاء بعض البلاد المغربية ، وكان نائباً عن القاضي أبي عبد الله الأصولي في الأنكحة في مدة ولايته ببجاية ، وكان يقرأ عليه السيد أبو الحسن بن عبد المؤمن « الموطأ » قراءة تفهم ، وكان له مجلس دراسة بعلو بسقيف داره ، فيجتمع إليه خواص الطلبة ، وكان له جلال وفضل وعلم وعمل ، وهو أحد المشهورين الذين لا يحتاجون أن يُستكثر من خيرهم لاشتهار أمرهم اهـ « العنوان »

سيدي محمد بن عمرو الفجيجي

الولي الصالح الشريف البركة الناصح أبو عبد الله سيدي محمد فتحاً - ابن عمرو بن الشريف البركة مولاي الشيخ بن عبد القادر الفجيجي الإدريسي . كان رحمه الله من الراسخين في العرفان ، وممن له في الطريقة الشأن ، اجتمع بالشيخ سيدي أبي القاسم الوزير ، وأخذ عنه وانتفع به وصاهره بابتته السيدة

زينب ، وعقبه منها من ولده سيدي هاشم الذي كان قاطناً بدارجده للأُم ، وهو صاحب الترجمة بحومة العيون بالدرب المقوس منها .
توفي رحمه الله بالطاعون عام وفاة شيخه المذكور في شهر واحد (ذي الحجة سنة ١٢١٣) ، ودفن بقبته ليس بينه وبينه إلا قبر واحد ، ترجمه صاحب « الدرّة الفائقة » وغيره اهـ « سلوة الأنفاس » .

محمدُ الويسي القسطيني

العلامة الإمام أبو عبد الله محمدَ فتحاً ابن الشيخ أبي الحسن الويسي ، نادرة زمانه وخليل أوانه ، ولد عام ثلاثة وثلاثين من القرن الثالث عشر ، ومات وعمره سبع وعشرون سنة .

رأيت له من المؤلفات حاشية على إيساغوجي ، وحاشيته على صفري الإمام السنوسي ، ومؤلف في أحكام الخنثى ، وشرحاً على البسمة ونظماً في التوحيد ، وشرحه شرحين صغيراً وكبيراً ، ونظماً في التصريف ، وحاشية على مختصر السعد ، ورسائل في مسائل متفرقة ، وتقارير كثيرة على خطب في غالب الكتب المتداولة .

محمدُ بنُ الفتوح التلمساني

الفقيه الصالح هو أول من أدخل مدينة فاس مختصر خليل بن إسحاق المالكي ، أخذ بفاس عن أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي ، وتوفي بمكناسة الزيتون سنة ٨١٨ .

قال ابن خلكان في « وفيات الأعيان » : أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين وقيل : جمال الدين ، أحد الفضلاء الظرفاء ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى .

وفنه الذي يمت به صناعة الإنشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل ، وعماد الدين الأصبهاني الكاتب ، وتلك الحلبة ، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ، ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجحد وسلك طريق الهزل ، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه ، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة ، ولولا طوله لذكرته ، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمناً ، وتولى الخطابة بداريا ، وهي قرية على باب دمشق في الغوطة .

توفي سنة ٥٧٥ بداريا رحمه الله تعالى ، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني ، نقلت من خط القاضي الفاضل : وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني ، والوهراني : بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الراء وبعد الألف نون نسبة إلى وهران ، وهي مدينة كبيرة في أرض القيروان ، بينها وبين تلمسان مسافة يومين ، وهي على ساحل البحر الشامي ، وذكر الرشاطي أنها أسست سنة ٢٩٠ على يدي محمد بن أبي عون ومحمد ابن عبدوس وجماعة ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، وداريا : بالبدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة .

محمدُ الملقب بالمرابطِ المِغراوي التلمساني

الفقيه الخطيب العلامة الأريب أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالمرابط
المِغراوي التلمساني .

[٧١] كان رحمه الله فقيهاً مشاركاً ، أخذ عن أبيه ، وعن أبي القاسم محمد بن
إبراهيم الدكالي المشترك وغيرهما ، وولي بعد أبيه الخطابة والإمامة بالقرويين ،
وبقي بها نحواً من ستة أشهر ، ثم نقل إلى جامع الأندلس وهو الذي صلى بها
على الشيخ سيدي رضوان الجنوي بعد وفاته .

توفي رحمه الله ليلة الأحد عاشر المحرم سنة ثمان وألف (١٠٠٨) .
قال في « المطمع » : ودفن بروضة أبيه اهـ . ترجمه فيه ، وكذا في « الصفوة »
و« النشر » و« التقاط الدرر » اهـ . من « سلوة الأنفاس » .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرِ القلمي

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن منصور القلمي الشيخ الفقيه
المجيد العدل المسنّ الموقر من قلعة بني حماد .

كان له علم بالفقه والفرائض عملاً وعلماً ، وكان له علم بالحساب سبق
فيه الأوائل ، لو لقيه الحصار أو ابن وهب وغيرهما ما أمكنهم إلا الأخذ عنه
والاستماع منه ، وكانت له طرق في الفرائض ملخصة في « نهاية القرب » ، ولم
يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه ، وكان يقصد
من البلاد لقراءة هذا العلم عليه ، وكان أحد العدول المرضيين ، وكان له

مجلس يقرأ عليه فيه التهذيب أحياناً ، وكان عالماً بأحكام الوثائق والشروط
 وكان من موثقي الوقت ، وكان له في مدة ولاية حجاج القضاء ببجاية ظهور ،
 وكان له به اعتناء ، وكان كاتبهم والمشهور عندهم ، وكانت وثيقته محكمة
 مطولة لا يقصد فيها الإيجاز بل يقصد فيها الإتيان والإحكام ، وكان لا يلتفت
 إلى قول المكتوب له بحيث يبني الشيء على غير أصله بل لا يبني وثيقة إلا على
 الأصول التي ترتب الإفادة عليها ، ولو رضي المكتوب لهما بالمكتب من غير
 إحضار ما يبني عليه صحة الأمر ، فإنه يصرفهما عن نفسه ويقول لهما : سيرا
 لغيري يكتب لكما .

توفي ببجاية في عشر الستين وست مئة (٦٧٠) هـ . « عنوان الدراية » .

محمد بن محمد الخشني

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشني الشيخ الفقيه الجليل المشاور
 المجيد المحصل ، من أهل بجاية .

كان فقيهاً مدركاً مقدماً ، وكان مشاركاً مشاوراً ، وعليه كان اعتماد الفقيه
 القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي ، وكان في صناعة التوثيق إماماً ،
 وعليه كان أكثر الاعتماد ببجاية في وقته ، وله خط بارع ، وله روايات مقروءات .

واستجاز الفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني فأجازه ، وكتب
 إليه بما نصه : بعد البسملة والتصلية يرغب إلي فلان الشيخ الأجل الفقيه الزكي
 العالم الحافظ المفيد المتفنن العلامة الأكمل بقية الجلة الفضلاء الأكابر أهل العلم

[٧٢] أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه الزكي الزاهد المرحوم أبي محمد عبد الحق بن
 سليمان ، أكرمهم الله برضوانه وحرس مجدهم ، ونولاه فعظم مقدارهم

وألزم برهم وتوقيرهم وإيثارهم العارف بحقهم العليم بتقديمهم وسبقهم محمد
ابن محمد بن الحسين الخشني في الإنعام عليه بالإجازة هذا البرنامج الذي تضمن
ذكر أشياخه الجلة الفضلاء ، رضوان الله عليهم وعليكم أجمعين ، بحيث
يحمل ذلك عنكم ويتشرف بأخذه منكم ، وفضلكم بذلك كله كفيل وثوابكم
عليه عند الله جزيل ، والله يبقي بركاتكم الانتفاع بمنه ، وأفضل سلام الله
عز وجل وأوفى تحياته وأزكاها وأعطرها عرفاً وأذكاها يخص مكانكم الأعلى ،
ورحمة الله وبركاته .

فأجابه بما نصه أجبتك بأحسن تحية ، وامثالاً لما جاء به خير البرية ، نعم
وأجبتك إلى ما سألته وطلبتته إجابة من يعلم أنك أهل له ، وأذن من تحقق
أنك قائم به لشواهد طلبك وبوارع أدبك إجابة عامة بشرطها ، فتلقاها تلقي
أمثالك واعمل بحسابها عمل نظرائك ، والعمل جمال العلم وخادم له ومرتب به
لمن أراد السعادة وسعى لها ، قال الله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١) مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها ، جعلنا
الله وإياكم ممن استمع القول واتبع أحسنه ، ومن ختم بالحسنى عمله آمين .
قاله وكتبه حامداً لله مصلياً على نبيه ، محمد بن عبد الحق بن سليمان في ذي
الحجة عام ثلاثة وست مئة ، وكتب السائل عندي أبرع من جواب المجيب .
ولقي القاضي الأزدي ، والقاضي المسيلي ، والشيخ أبا مدين وغير هؤلاء
من أهل العلم ، نفع الله بهم اه . « عنوان الدراية » .

(١) سورة ناظر : الآية ١٩ .

محمدُ بنُ محمدِ النُرومي

محمد بن محمد بن عبد النور النُرومي أبو عبد الله الفقيه القاضي بمدينة فاس ، وقاضي عسكر أبي الحسن المريني . أخذ عن ابني الإمام ، وتولى أيضاً لأبي الحسن قضاء تلمسان ، وتوفي بتونس بالوفاء الجارف سنة ٧٤٩ ، ودفن بالزلاج .

محمدُ بنُ محمدِ التلمساني [٧٣]

محمد بن محمد بن هبة الله الوجديجي ، الملقب شقرون التلمساني الفقيه المفتي المشارك المتفنن .

له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض ، وكان فقيهاً نوازلياً يقوم على ابن الحاجب أتم قيام ، وكان عارفاً بالأصلين والبيان والمنطق ، وكان سكناه بمدينة فاس ومراكش ، وكان مفتي الناس بالبلدين ، توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة (٩٨٣) .

محمدُ بنُ محمدِ ابن الجنان

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان الشيخ الفقيه الجليل الخطيب الكاتب البارع الحافل الأديب ، من أهل الرواية والدراية والحفظ والإتقان ، وجودة الخط وحسن الضبط ، هو في الكتابة من نظراء أبي المطرف المخزومي ، وكثيراً ما كانا يتراسلان بما يُعجز علمه الكثير من

الفصحاء ، ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء ، ونثره ونظمه كله حسن . أي نوع انتقلت إليه من فرعي أدبه قلت : إنه أحسن ، ونظمه غزير وأدبه كثير ، وهو مشهور بين أيدي الناس ، ومن مستحسن نظمه هذه القصيدة الدالية وهي :

يا حادي الركب قف بالله يا حادي * وارحم صباية ذي نأي وإبعاد
 ما ينبغي منك إلا أن تصيخ لـه * سمعاً ليسأل عن من حل بالسواد
 فهل لديك عن الأحباب من خبر * وهل نزلت بذلك الربع والنادي
 حيث اللوى يرتقي سامي اللواء به * ويلتقي عنده الحاضر والسادي
 وحيث تلك القباب البيض قد رفعت * يلتاح من فوقها ذاك السن البادي
 بالله إن كنت قد خيمت عندهم * بالمنحنى بين أنجاد وأجواد
 هات الحديث عن المغني وساكنه * وارفع إلى سنة العلياء إسناد
 وروني من حديث القوم أعذبـه * فإنه اللذ^(١) يشفي غلة الصادي
 بين الجوانح نار للجوى اتقدت * فإن قدرت فأحمد بعض إخماد
 هيات تطيع إخماداً وذكرهم * يزيد بين ضلوعي نار إيقاد
 وجدني بهم وجد ذات الظما حاد بها * عن وردها ضرب رواد ووراد
 أشتاقهم فإذا رمت الوصول بهم * ألقى القواطع عن إلفي بمرصاد
 من لي بهم والنوى تبدي مناقضتي * وتبذل الوعد لي منهم بإيعاد
 هم علتي ودوائي كيف لي بهم * أنا العليل ولكن أين عواد
 من بعد بعدهم والاسم جد لي به * فهل أرى نشره من بعد الحاد
 لله عهدهم ما كان لي كـرم * كم أكرموني بأسعاف وإسعاد
 وكم معاهد أنس لي بأربعم * وفي مها الحسن والحسنى بميعاد
 رقت وراقت معانيها فعن قـمـر * حيا بغرته أو شادن شادي
 باطيب عيشي بهم لو أن ساعتـه * تفدى لكان لها عمري هو الفادي

(١) بمعنى اللذيذ .

تلك الحياة وهم أرواحنا فإذا
 يا ويح نفسي لما حملت من مضر
 البين يقتلني والصبر يخذلني
 من يطلب النار من دهر فأسهمه
 فانظر إلى أدمي تنبيك حمرتها
 واعجب لحالي واعجب من تسامره
 واذهب وأب في ضمان الله مكتفياً
 وإن مررت بدار القوم ثانيه
 واقرا سلامي على تلك الخيام كما
 وقل : غريبكم في القرب ثوب في
 وله أيضاً :

ترك النزاهة عندنا
 ما ذاك إلا أنهم
 وإذا امرؤ نبذ الوقا
 أدنى إلى وصف النزاهة
 تدعو الوقور إلى الفكاهة
 رفق تلبس بالسفاهة

محمد بن محمد بن أحمد التلمساني

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني ، شهر بالمقري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة ، كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه « العلوم الفاخرة » ، وكذا الونشريسي وزاد أنها قرية من قرى بلاد الزاب من افريقية ، سكنها سلفه ثم تحولوا لتلمسان ، وبها ولد ونشأ وأقرأ وقرا ، وضبطه ابن الأحمر في « فهرسته » والشيخ زروق

بفتح الميم وسكون القاف ، الإمام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل ،
أحد مجتهدي المذهب ، وأكابر فحولہ المتأخرين الأثبات ، قاضي الجماعة
بفاس ، ذكره ابن فرحون في الأصل وأثنى عليه ، ونزید هنا ما تيسر .

قال ابن الخطيب في « الإحاطة » : كان مشاراً إليه اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً
وعناية واطلاعاً ونقلاً ونزاهة ، يقوم أتم قيام على الفقه والتفسير والعربية ،
ويحفظ الأخبار والحديث والتاريخ ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين
والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً غرض الإجابة ، ويتكلم في طريق
الصوفية ، ويعتني بالتدوين فيها ، شرّق وحج ولقي أجلاء كأبي حيان والشمس
الأصبهاني وابن عدلان ، وبمكة الرضي إمام المقام ، وبدمشق ابن قيم الجوزية ،
وصنف في الفقه والتصوف اهـ . [٧٥]

قال الخطيب ابن مرزوق الجدي : كان قاضياً صاحبنا المقرئ معلوم القدر
مشهور الذكر ، ممن وصل إلى الاجتهاد المذهبي ودرجة التخيير والتزييف بين
الأقوال ، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به
يوم اللقاء ، وعوارفه معروفة عند الفقهاء مشهورة بين الدهماء اهـ .

وقال ابن خلدون في « تاريخه الكبير » : أخذ المقرئ العلم بتلمسان عن أبي
عبد الله البلوي ، ثم لازم بعده شيخنا الإبلي وابني الإمام ، واستبحر في العلوم
وتفنن ، ولما نقض السلطان أبو عنان بيعة أبيه ندبه لكتابة البيعة ، فكتبها وقرأها
على الناس في يوم مشهود ، وارتحل معه لفاس ، فعزل قاضياً الشيخ المعمر
ابن عبد الرزاق وولاه . فلم يزل قاضياً بها حتى سخطه لبعض النزعة الملوكية
فعزله ، وولى الفقيه أبا عبد الله الفشتالي آخر ست وخمسين ، ثم بعثه سفيراً
للأندلس فامتنع من رجوع ، فأنكر السلطان على صاحب الأندلس ابن الأحمر
تمسكه به ، وبعث إليه يستقدمه منه فلاذ منه ابن الأحمر بالشفاعة ، واقتضى

كتب أمان له بخط السلطان أبي عنان فأوفده مع الجماعة من شيوخ العلم بقرنطة ، ومنهم القاضي بقرنطة شيخنا شيخ الدنيا جلالة وعلماً ووقاراً ورياسة أبو القاسم الشريف السبتي ، وشيخنا شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء سيد أهل العلم بإطلاق أبو البركات ابن الحاج البلفيقي ، فوفدوا به على السلطان شافعين على عظيم تشوفه للقائهما ، فقبلت الشفاعة وأنجحت الوسيلة ، وحضرت يوم قدومهما مجلس السلطان سنة سبع وخمسين ، وكان يوماً مشهوداً فاستقر القاضي المقرئ في مكانه بباب السلطان عطلاً من الولاية والجراية ، وامتحنه السلطان بعد ذلك بسبب خصومة وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من حضوره معهم عند القاضي الفشتالي ، فتقدم السلطان لبعض أكابر الوزعة ببابه بأن يسحبه لمجلس القاضي حتى أنفذ فيه حكمه ، فكان الناس يعدونها محنة ، ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر في دولته عند ارتحاله إلى قسنطينة ، فلما فتحها وعاد إلى ملكه بفاس آخر ثمان وخمسين اعتل القاضي المقرئ في طريقه ومات عند قدومه لفاس اهـ.

قال الونشريسي : لما تولى قضاء فاس قام بأعبائه علماً وعملاً ، وحُمدت سيرته ولم تأخذه في الله لومة لائم ، ولما توفي نقل إلى بلدة تلمسان اهـ.

وأما شيوخه فذكر هو ما ملخصه : ممن أخذت عنه بتلمسان علماها الشامخان وعالماها الراسخان ابنا الإمام وحافظها ومفتيها عمران المشدالي ، ومشكاه الأنوار الأستاذ إبراهيم بن حكم السلوي ، وعالم الصلحاء وصالح العلماء أبو محمد المجاصي ، والقاضي الشريف الرحلة أبو علي حسين السبتي ، وقاضي الجماعة الكاتب أبو عبد الله بن هدية ومحمد بن حسن الزهري التونسي ، وإمام الحديث والعربية عبد المهيم الحضرمي ، والفقير المحقق السطحي ، والقاضي أبو إسحاق بن أبي يحيى ، والشقيقان أبو عبد الله محمد وأبو العباس أحمد ابني ولي الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي في جماعة آخرين .

قلت : وأبو العباس بن مرزوق هذا والد الخطيب ابن مرزوق الجد ،
وأبو عبد الله المذكور عمه فاعلمه ، ثم قال : ونسيج وحده أبو عبد الله الإبلي ،
وابن المسفر ، وقاضي بجاية محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي فقيه
ابن فقيه ، وإمام المعقولات أبو علي حسن بن حسن ، والخطيب أحمد بن
عمران اليانوسي ، وبتونس ابن عبد السلام ، والاجمي ، وابن هارون ، وابن
الحياب ، وابن سلامة ، وأبو الحسن المنتصر ، بمصر فذكر من تقدم وكالشيخ
الصالح عبد الله المنوفي ، والتاج التبريزي ، وخليل المكي ، وابن تامتيت ،
والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه ابن عثمان وغيرهم اه ملخصاً .

وقد أطلت في « الإحاطة » في ترجمته ، فلنذكر هنا بعض فوائده ، فمنها
قال : تكلم العلامة أبو زيد ابن الإمام في الجلوس على الحرير فقال له الأستاذ
ابن حكيم : مقتضى حديث أنس المنع ، لقوله : « فقمْتُ إلى حصير لنا قد
اسودَّ من طول ما لبس » فقال أبو زيد : لا نسلم أن مراده الجلوس لاحتتمال
كون ذلك الحصير يغطي ، وذكر حديثاً فيه تغطية الحصير ، وكان الرجل واعية ،
قلت : وللاستاذ أن يقول الغالب خلاف ذلك ، فيجب العمل عليه حتى ينص
على غيره بالدليل على أنه روى نصاً في صحيح البخاري وغيره^(١) عن الجلوس
عليه ومنها شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وكانت الجمعة ، فذكر
الخطيب بالمسجد الحرام للناس أن الجمعة وقفهم هذه خاتمة مئة الجمعة ووقف
بها من الجمعة التي وقف بها النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فشاع
في الناس وكان علم ذلك مما تواتر عندهم ، والله أعلم ، وهم يزعمون أن
الجمعة تدور على خمس سنين ، وهذا مناف لذلك لكن كثير منهم ينكر اطراد هذا
ويقول : إنها قد تنقل إلى أكثر من ذلك .

ومنها قال : كنت عند الإبلي بتلمسان إذ دخل عليه أبو عبد الله المالقي

(١) بياض في الأصل ، وفي هامشه « بياض في نسختين وما وجد سواهما » .

المتطبيب ، فكان فيما تكلم به أن قال : استجدي أديب كريماً بهذا الشطر « ثم حبيب فلم ينصف » قال لنا ما أراد ، فجعلنا ندبر الحيلة فيه ، والشيخ ينظر في الهواء ، فسبقنا بفضل ذهنه فقال : تقولون أو نقول ؟ فسألناه التربص علينا ، ثم كنت أول من عثر عليه ، فقلت : قطيت ملف شحمي . [٧٦]

ومنها قال لي أبو القاسم بن محمد اليماني أحد مدرسي دمشق ونحن يومئذ بها قال : لي شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام : نزل بي مغربي فمرض مرضاً طويلاً ، فدعوت الله أن يفرج عني وعنه بموت أو صحة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أطعمه الكسكسون ، قال : يقوله هكذا بالنون فصنعت له فكأنما جعلت له فيه الشفاء ، فكان أبو القاسم يقوله بالنون ، يخالف الناس في حذفه من هذا الاسم ، ويقول : لا أعدل عن لفظه عليه السلام ، قال المقرئ : قلت وجه هذا من الطب أن هذا الطعام معتاد المغاربة ، ويشتهونه على كثرة استعمالهم له ، فربما نبه شهوة أو وردّه إلى عادة ، والله ورسوله أعلم .

ومنها قال : حدثني القاضي الظريف أبو عبد الله ابن الرزاق الجزولي عن الشيخ النخبة ابن قطرال أنه سمعه يقول : سمع يهودي بحديث « نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ » فأنكر ذلك حتى كاد يُصرِّح بالقدح ، فبلغ بعض العلماء فأشار على الملك بقطع الخَلِّ وأسبابه عن اليهود سنة قال : فما تمت سنة حتى ظهر فيهم الجُذام .

ومنها قال : قال صاحبنا عبد الله بن عبد الحق : قال لي أبو عبد الله بن قطرال : كنت بالمدينة إذ أقبل رافضي بفحمة في يده ، فكتب بها في جدار هناك : مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ « فلا يُحسبَ أباً بكرٍ ولا عُمرًا فانصرف فألقي عليّ من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي

قبل ، فجعلت مكان يُحِبُّ يَسُبُّ ، ورجعت لموضعي ، فجاء الرافضي فوجده
كما أصلحته ، فالتفت يميناً وشمالاً كأنه يطلب مَنْ صنعه ، ولم يتهمني فأعياه
ذلك وانصرف .

ومنها قال : سمعت الإيلي يقول : سمعت أبا عبد الله بن رشيد يقول :
إن خطيباً بتلمسان كان يقول في خطبته : من يطع الله ورسوله فقد رَشِدَ .
بالكسر ، وكان الطلبة ينكرون عليه فلا يرجع ، فلما قفلت من رحلتي تلك
دخلت على الأستاذ ابن أبي الربيع بسبته فهنأني بالقدوم ، وقال لي فيما قال :
رَشِدْتَ يا ابن رشيد ورَشِدْتَ لغتان صحيحتان ، حكاهما يعقوب في الإصلاح
قال المقرئ : وهذه كرامة للرجلين أو ثلاثة .

ومنها قال من عجائب تفسير الرؤيا أن أبا عبد الله القرقوني كان في سجن
السلطان يوسف بن عبد الحق مع غيره من التلمسانيين أيام حصره . فرأى أبا
جمعة على الجرائحي منهم ، كأنه قائم على سانية دائرة ، وجميع أقداحها
وأقواسها تُصب في وسطها ، فجاء يشرب فاغترف الماء ، فإذا فيه فرث ودم
فأرسله واغترف ، فإذا هو كذلك ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل إلى خُصَّة ماء فجاءها
وشرب منها ، ثم استيقظ وهو في النهار فأخبره فقال : إن صدقت الرؤيا فنحن
على قليل خارجون من هذا السجن ، قال : كيف ؟ قال : الساقية الزقاق ، والتغير

[٧٧] السلطان ، وأنت الجرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا
الانجاح معه ، فلم يكن إلا ضحوة الغد فإذا النداء عليه ، فخرج فوجد السلطان
مطعوناً بخنجر ، فأدخل يده في جوفه فناله الفرث والدم ، فخيظ جراحته وخرج
فرأى خُصَّة ماء فغسل يده وشرب ، فلم يلبث السلطان أن توفي وسُرح المسجونون
ومنها قال : شهدت الشمس ابن قِيمٍ مقيم الحنابلة بدمشق . وهو أكبر
أصحاب ابن تيمية ، وقد سئل عن حديث « مَنْ ماتَ لَهُ ثلاثٌ مِنَ الولدِ كانوا

لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ» (١) كيف إن أتى بعدها بكبيرة؟ فقال: موت الولد حجاب، والكبيرة خرق لذلك الحجاب، وإنما يحجب الحجاب إذا لم يخرق، فإذا خرق لم يكن حجاباً بدليل حديث «الصومُ جنة» (٢) ما لم يخرقها.

ومنها: قال: سألتني السلطان عن لزمته يمين على نفي العلم، فحلف جهلاً على البت هل يعيد أم لا؟ فأجبت بإعادتها، وقد أفتاه من حضر من الفقهاء بأن لا تعاد لأنه أتى بأكثر مما أمر به على وجه يتضمنه، فقلت له: اليمين على وجه الشك غموس، قال ابن يونس: والغموس الحلف على تعدد الكذب أو على يقين، ولا شك أن الغموس محرمة منهي عنها، والنهي يدل على الفساد، ومعناه في العقود عدم ترتب أثره، فلا أثر لهذه اليمين، فوجب أن تعاد، وقد يكون من هذا خلافهم فيمن إذنها السكوت فتكلمت، هل يُجتزأ بذلك؟ والإجزاء هنا أقرب، لأنه الأصل، والصمات رخصة لغلبة الحياء، فإن قلت: البت أصل، وإنما يعتبر نفي العلم إذا تعذر، قلت: ليس من رخصة الصمات.

ومنها قال: سألتني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم إذ لم يل أمرهم من سلك بهم الجادة، وحملهم على الواضحة، بل يغتر في صلاح دنياه غافلاً عن عقابه، فلا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يراعي عهداً ولا حرمة، فأجبت بأن ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا بل كان شرع من

(١) أخرجه البخاري ١٩٤/٢ في الجنائز: باب ما قيل في أولاد المسلمين، ومسلم (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد قسمه النار إلا تحلة القسم» وأخرجه الترمذي (١٠٦٠). (ش).

(٢) أخرجه البخاري ٨٧/٤ في الصوم: باب فضل الصوم، من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل...» الحديث، وأخرجه مسلم (١١٥١) (١٦٢) في الصوم: باب فضل الصيام، وأبو داود (٢٣٦٣) في الصوم: باب الغيبة للصائم (ش).

قبلنا قال تعالى ممتناً على بني إسرائيل ﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾^(١) ولم يقله في هذه الأمة بل جعل لهم خلافة ، قال تعالى ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾^(٢) الآية . وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾^(٣) وقال سليمان ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾^(٤) فجعلهم ملوكاً . ولم يجعل لنا إلا الخلفاء . فأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما فهمه الناس فهماً وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف عمر فخرج بها عن سنن الملك الذي يرثه الولد عن والده إلى سنن الخلافة الذي هو النظر والاختيار . ونص في ذلك على عهده . ثم اتفق أهل الشورى على عثمان فأخرجها عمر عن بنيه إلى الشورى دليلاً على أنها ليست ملكاً ، ثم تعين علي بعد إذ لم يبق مثله فبايعه من أثر الحق على الهوى والآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حولها ملكاً والخشونة لينا ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثاً . فلما أخرجت عن موضعها لم يستقم ملك فيها ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز كان خليفة لا ملكاً ، لأن سليمان رغب عن بني أبيه إثارةً لحق المسلمين ولئلا يتقلدها حياً وميتاً ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه فلم يسلك طريقة الاستقامة بالناس قط إلا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت إلا من قلَّ غالب أحواله غير مرضية اهـ .

ومنها ما ذكره عنه أنه يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم . وكان مزوار الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان قام له السلطان وجميع من في مجلسه إجلالاً له إلا الشيخ المقرئ فلا يقوم معهم . فأحس المزوار من ذلك وشكاه للسلطان ، فقال له السلطان : هذا رجل وارد علينا تركه على حاله حتى ينصرف ، فدخل المزوار يوماً فقام له السلطان وغيره على العادة .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٤٧ .

(٤) سورة ص : الآية ٣٥ .

(١) سورة المائدة : الآية ٢٠ .

(٢) سورة النور : الآية ٥٥ .

فنظر المزوار إلى المقرئ فقال له : أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل نصره
الله وأهل مجلسه إكراماً لجدي وشرفي ، ومن أنت حتى لا تقوم لي ، فنظر
إليه المقرئ فقال له : أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته ولا يرتاب فيه أحد .
وأما شرفك فمظنون ، ومن لنا بصحبته منذ أزيد من سبع مئة عام ، ولو قطعنا
بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار للسلطان أبي عنان وأجلسناك مجلسه ، فسكت
المزوار اهـ .

قال العلامة أبو عبد الله بن الأزرق : وعلى اعتذاره ذلك يكون الشرف
الآن مظنوناً ، فمن معنى ذلك أيضاً ما يُحكى عنه أنه كان يقرأ بين يدي السلطان
أبي عنان « صحيح مسلم » بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم ، فلما وصل
إلى أحاديث الأئمة من قريش قال الناس : إن أفصح بذلك استوغر قلب
السلطان ، وإن ورى وقع في محذور فجعلوا يوقعون ذلك ، فلما وصل إلى
الأحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور : إن الأئمة من قريش ثلاثاً ، ويقول
بعد كل كلمة : وغيرهم مُتغلب ، ثم نظر وقال : لا عليك فإن القرشي اليوم
مظنون ، أنت أهل للخلافة إذ توفرت فيك بعض الشروط والحمد لله ، فلما
انصرف لمنزله بعث له السلطان ألف دينار اهـ .

قال القاضي ابن الأزرق : يلزم من اعتذاره أن قيام السلطان لذي الشرف
المحقق بالعلم أولى في المحافظة على حرمة الله ، وقد روي أن بعض الأمراء
[٧٩] تكبر عن ذلك ، واستخف بمنزلة من عظم به غيره ، فسلب ملكه وملك
بنيه بعده اهـ .

قلت : وفوائده ولطائفه وتُحَفُه وظرفه لا تحصى ، فلنكتف بما ذكرنا .
وله تأليف : ككتاب « القواعد » اشتمل على ألف قاعدة ومئين قاعدة ، قال
الونشريسي : وهو كتاب غزير العلم كثير الفوائد ، لم يُسبق بمثله بيد أنه يفتقر

إلى عالم فتاح ، وكتاب « الحقائق والرقائق » في التصوف ، لطيف الإشارة بديع المتزع ، موجود بأيدي الناس ، شرحه الشيخ زروق ، وكتاب « التحف والظرف » غاية في الحسن والظرف ، قاله الونشريسي ، و« اختصار المحصل » لم يتم و« شرح الخونجي » لم يتم ، وكتاب « عمل من طب لمن حب » مشتمل على فنون فيه أحاديث حكمية كالشهاب ، وعلى كليات فقهية على أبواب الفقه في غاية الإفادة ، وعلى قواعد وأصول ، وعلى اصطلاحات وألفاظ ، قال الونشريسي : رأيت عند الفقيه عبد الله بن عبد الخالق ، فتلظفت في استنساخه فلم يسمح به ، وكتاب « المحاضرات » مشتمل على حكايات وإشارات وفوائد ، وقال الونشريسي : ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله بن مرزوق ترجمته في كتاب سماه « النور البدرى في التعريف بالفقيه المقرئ اهـ .
وممن أخذ عنه من العلماء الإمام الشاطبي ، وابن الخطيب السلماني ، وابن خلدون ، والكاتب ابن زمرك ، وأبو محمد ابن جزري ، والأستاذ القيحاوي ، والحافظ ابن علاق في خلق .

محمد بن محمد التنبكي

محمد بن محمد بن محمود بن أبي بكر الوطري التنبكي المالكي ، عرف ببيغ بيا مفتوحة فغين ساكنة فياء مضمومة فعين مهملة مضمومة .

قال تلميذه العلامة أحمد بابا في كتاب « كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج » مختصر كتاب « الذيل » ذيل به كتاب « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب » للإمام برهان الدين بن فرحون المسمى « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » : شيخنا وبركتنا الفقيه العالم المتفنن الصالح العابد الناسك ، كان من صالحى خيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ، مطبوعاً على الخير وحسن

[٨٠] النية وسلامة الطوية والانطباع على الخير ، واعتقاده في الناس حتى كان الناس يتساوون عنده في حسن ظنه بهم ، وعدم معرفته الشر ، يسعى في حوائجهم ويضر نفسه في نفعهم ، ويتوجع في مكروهمهم ، ويصلح بينهم وينصحهم إلى محبة العلم ، وملازمة تعليمه وصرف أوقاته فيه ، ومحبة أهله والتواضع التام ، وبذل نفائس الكتب العزيزة الغريبة لهم ، ولا يفتش بعد ذلك عنها كائناً ما كان من جميع الفنون ، فضاع له بذلك جملة من كتبه نفعه الله تعالى بذلك ، وربما يأتي لبابه طالب يطلب كتاباً فيعطيه له من غير معرفة ، فكان العجب العجيب في ذلك إثارة لوجهه تعالى ، مع محبته للكتب وتحصيلها شراءً ونسخاً ، وقد جئته يوماً أطلب منه شيئاً من كتب النحو ففتش في خزانته فأعطاني كل ما ظفر به منها ، مع صبر عظيم على التعليم وإيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر ، حتى يمل حاضروه وهو لا يبالي ، حتى سمعت بعض أصحابنا يقول : أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لثلاث يمل من الإقراء تعجباً من ملازمة العبادة ، والتجافي عن رديء الأخلاق ، وإضمار الخير لكل البرية حتى الظلمة ، مقبلاً على ما يعنيه متجنباً الخوض في الفضول ، ارتدى عن العفة والمسكنة أزين رداء ، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء ، مع سكينته ووقار وحسن أخلاق وحياء سهل الورود والإصدار ، فأحبتة القلوب كافة ، وأثنوا عليه بلسان واحد ، فلا ترى إلا محباً مادحاً ومثنياً بالخير صادقاً ، مع تشبيهه بجوامع العامة وأمور القضاء ، لم يصيبوا عنه بديلاً ولا نالوا له مثيلاً ، طلبه السلطان لتولية القضاء بمحله فأنفَ وامتنع ، وأعرض عنه واستشفع ، فخلصه الله تعالى لازم الإقراء سيما بعد موت سيدي أحمد بن سعيد ، فأدركته أنا يقريء من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى الكبيرة دولاً مختلفة ، ثم يقوم إلى بيته ويصلي الظهر بالناس ، ويدرس إلى العصر ثم يصليها ، ويخرج لموضع آخر يدرس فيه للاصفرار أو قربه .

وكان غواصاً على الدقائق ، حاضر الجواب ، سريع الفهم ، منور البصيرة ، ساكناً صامتاً وقوراً ، وربما انبسط مع الناس ويمازحهم ، وكان آية الله في جودة الفهم وسرعة الإدراك ، معروفاً بذلك .

ولد عام ثلاثين وتسع مئة (٩٣٠) على ما سمعت منه ، وأخذ العربية عن الشيخين الصالحين والده وخاله ، ثم قطن مع أخيه الفقيه سيدي أحمد شقيقه بتبكت فلازما الفقيه أحمد بن سعيد في مختصر خليل ، ثم رحل للحج فلقيا بمصر اللقاني ، والتاجوري ، والشريف يوسف الريميوني ، والبرهمتوشي الحنفي ، والإمام محمد البكري وغيرهم ، فاستفادا ثمة . ثم رجعا بعد حجهما وموت خالهما فنزلا بتبكت ، فأخذوا عن ابن سعيد الفقه والحديث ولازموا ، وعن سيدي ووالدي الأصول والبيان والمنطق ، قرأ عليه أصول السبكي ، وتلخيص المفتاح ، وحضر على شيخنا حمل الخونجي ، ولازم مع ذلك الإقراء حتى صار خير شيخ في وقته في الفنون لا نظير له ، ولازمته أكثر من عشر سنين ، وذكر مقرو أنه عليه ، ثم قال : وكانت وفاته يوم الجمعة في شوال سنة اثنتين بعد الألف ، وله تعاليق وحواش ، نبه فيها على ما وقع لشرح خليل وغيره ، وتتبع ما في الشرح الكبير للتنائي من السهو نقلاً وتقريراً في غاية الإفادة ، جمعها في آخر تاليفاته ، والله تعالى أعلم .

الشيخ محمد بن محمد التنبكتي

قال في « تكميل الديباج » عُرِفَ بِبَغِيْعِ بِيَاءٍ يَعْنِي مَوْحِدَةً مَفْتُوحَةً فَعَيْنٌ مَعْجَمَةٌ سَاكِنَةٌ فَيَاءٌ يَعْنِي مِثْلًا تَحْتَ مَضْمُومَةٍ فَعَيْنٌ مَهْمَلَةٌ ، شَيْخُنَا وَبَرَكْتُنَا الْفَقِيْهَ الْعَالِمَ الْمُتَفَنِّ الصَّالِحَ الْعَابِدَ النَّاسِكَ ، مِنْ صَالِحِي عِبَادِ اللَّهِ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، لَا يَبْعُدُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الْعَالِمُ الْمَبْعُوثُ عَلَى رَأْسِ هَذَا الْقَرْنِ ، ثُمَّ أُطَالَ فِيهِ ، وَحَاصِلُ

ما قال : إنه كان مجبولاً على الخير والسخاء وحسن الطوية ، ونفع العباد وإيثارهم بنفسه وما له ، وشرب ماء زمزم لثلا يمل من الإقراء ، فكان لا يمل حتى يمل حاضره ، طولب بتولية القضاء فامتنع واستشفع حتى خلصه الله منه ، رحل للحج فلقى الناصر اللقاني ، والتاجوري ، ومحمد البكري وغيرهم ، وأخذ عن ابن سعيد الفقه والحديث ، وعن والدي الأصول ، وتوفي يوم الجمعة في شوال سنة اثنتين وألف (١٠٠٢) هـ . مختصراً وبعضه بالمعني .
 وليس هو الذي قيد عنه التقايد الموجودة في سفرين على مختصر خليل ، بل هو محمود بن عمر اقيت .

عرف به في « كفاية المحتاج » وقال ، فيه : هائم التكرور صالحها ومدرسها وفقهها وإمامها بلا مدافع ، لا يخاف في الله لومة لائم ، هابه السلطان فمن دونه ، ولد سنة ثمان وستين وثمان مئة ، وتوفي ليلة الجمعة سادس عشر رمضان سنة خمس وخمسين يعني وتسع مئة ، انظر تمامه ، ويأتي في عام أربعة وأربعين التعريف بالسوداني شارح الآجرومية ، والعلماء في أهل السودان كثيرون هـ .

محمد بن غريون البجائي

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن غريون الأنصاري البجائي عالمها وخطيبها قال الحضرمي : شيخنا الخطيب الصالح هـ .

محمد بن محمود الوانفوي [٨٢]

أبو عبد الله محمد بن محمود الوانفوي بالكاف المعقودة الشهر بيئغ بفتح الباء الموحدة وغين معجمة ساكنة ثم ياء مضمومة بعدها عين مهملة السوداني .

كان رحمه الله من أهل العلم والصلاح مشاركاً في الفنون إماماً محققاً غواصاً على الدقائق ، حاضر الجواب سريع الفهم ، لا يكل من التعليم حتى كان بعض أصحابه يقول : أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لئلا يمل في الإقراء لما رأى من صبره على ذلك ، وكان مُحباً في طلبه العلم حتى إنه إذا جاءه طالب يستعير منه كتاباً يعيره له ، وإن كان لا يعرفه ثم لا يطلبه منه بعد ، قال الشيخ سيدي أحمد بابا : ولا يبعد عندي أن يكون هذا المبعوث على رأس هذا القرن العاشر لما اشتمل عليه من العلم والدين ، وفي ذلك قلت مديلاً لأبيات السيوطي الشهيرة في المجددين :

وعاشرُ القرونِ فيهِ قد أتى * محمدٌ إمامنا وهو الفتى
أخذ عن أبيه ، وحج ولقي الناصر اللقاني ، ويوسف الشهر البرهمتشي
وغيرهم ، وله حواشٍ على التتائي الكبير ، توفي في تنبكتو سنة ١٠٠٢ .

محمد بن مزي القلمي

الشيخ العارف بالله تعالى الزاهد في الدنيا راساً المتخلي عنها نفساً سيدي محمد بن مزي .

وقد اعتزل بأهله وسكن القلعة في غيضة عظيمة لا يسكنها إلا الوحوش لعدم الماء فيها ، ومع هذا إنه بني دوره في الأوعار من الجبل مع بعدها من الوادي إلى رأس الجبل ، وبني فيها مساجد بفضل الله سيما الجامع الكبير ، فقد بناه بناء معتبراً إلا إذا كان مثله في تونس ، وأشار رحمه الله إلى أنها تصير مدينة قاهرة آخر الزمان ، وقد احتمل المشاق العظيمة في مجاهدة نفسه وأهله وأولاده وأصحابه ، وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، طريقه صعب لا يسلكه إلا من نبذ نفسه وراء ظهره ، وقد أدركته صغيراً ، وسمعت من بعض الناس

أنه قرأ على شمهورش الطيار من الجن ، وهو قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أحياء الله أحد عشر قرناً ، وكذا قرأ عليه الشيخ سيدي أحمد الحبيب صاحب السر العظيم والصراط المستقيم الفلالي ، وكذا الشيخ البقال المصري ، وقد سمعت أنه يصلي كل جمعة في جامع الزيتونة في تونس ، فلما مات قال مجاوره : أظن أن الشيخ قد توفي لما لم يعمر محله ، وكان الأمر كذلك والله أعلم .

وأولاده ذكور وإناث ظهر عليهم آثار الأسرار وشوارق الأنوار سيما الولي كآبيه ذو الصدق والوفاء والحلم والنصيحة والصفاء ، المتواضع لكل الخلق ، وقد حاز في كل خير سبق سيدي بركات ، وقد شهدنا منه ما لا يمكن التعبير عنه ، نفعنا الله به وجعل البركة في أولاده ، وظهر عليهم آثار الفضل بمنه وكرمه ، [٨٣] وقد نجح من لا نظير له أصلاً في زماننا سيدي عبد الرحمن ولده ، وأما سيدي محمد السعيد ففضله على أهل وطننا وكذا علمه وصدقه لا يخفى ، وقد زوجني سيدي بركات بنته ، كما زوج أبو بكر رضي الله عنه بنته النبي صلى الله عليه وسلم عائشة من غير كلفة ولا مشقة ، وقبر الشيخ معلوم في القلعة ، وأما ضريح ابنه سيدي بركات فهو مع ضريح سيدي محمد بن يحيى السابق ، وكذا قبور الفضلاء والصلحاء أولاد مزي اهـ. ورتيلاني .

سيدي محمد المسعود بن سيدي محمد الحاج

الشيخ الفاضل الكامل سيدي محمد المسعود نجل الشيخ البركة سيدي الموهوب نجل الشيخ البركة الولي الصالح والبدر الواضح سيدي محمد الحاج .

قال سيدي حسن الورتيلاني : وكنا تواعدنا معه من قبل على السفر جميعاً وقد ضرب طنبة في المدينة المحروسة الجزائر عام مشينا لزيارة النبي سيدي خالد

عليه السلام على القول بنبوءته . وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرص الملقب الآن أوراس . وكانت معجزته ناراً ، وكانت رسالته قبل رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة قريبة إلا أن رسالته صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الرسائل والشرائع إلا ما لم ينسخ . والذي شهر رسالته صاحب التأليف المشهورة والتصانيف المذكورة المنتفع بها غرباً وشرقاً جوفاً وقبلاً سيما بمحروسة مصر في الجامع الأزهر إذا أقبلوا على تلك التأليف إقبالاً كلياً تدريساً وبحثاً وشرحاً وتعليقاً بالحواشي وتطريزاً سيدي عبد الرحمن الأخصري ، نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا من بحر أنواره ، رضي الله تعالى عنه . وسمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التريبع . وهو مقام عظيم والوفود تأتيه من المشرق والمغرب للزيارة ، وأما على القول بولايته فواضح لأن قبور الأولياء لا تكاد أن تخفى ، وكذا نص على رسالته الخفاجي على الشفا ، فما أحسنها من زيارة وقد اجتمع فيها أكابر الفضلاء وأعظم الصلحاء ، وتلاقينا في تلك الزيارة مع أفاضل الزاب ونجبائه ، ولا شك أن أكثرهم مجاب الدعوة كالشيخ الفاضل الفقيه المدرس في مسائل المختصر للشيخ خليل بشرح القدوة صاحب الأنوار الشيخ التتائي مع حاشية الشيخ مصطفى سيدي محمد الشريف من أولاد جلال . وأهله من الأشراف والسيد عبد الباقي والفضلاء من الطلبة . والفقيه الأديب سيدي عبد الباري ، واجتمعنا أيضاً بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأساً سيدي المبروك . وسيدي المبروك هذا تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد بن إياس ونجليه سيدي المحفوظ وسيدي الطيب . وسيدي المحفوظ كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم . ويرى الله تعالى أيضاً حسبما تراه في مرآته . وكان خالنا نفعنا الله ببركاته آمين .

وقد كان سيدي المبروك رضي الله عنه متبتلاً منقطعاً للعبادة . وقد رأته رضي الله عنه كأنه خارج من القبر تعلوه صفرة ، وقد ظهر أثر النزف على

وجهه ، فبتنا عنده في قرية وتكرم علينا غاية ، ودعا لنا ولإخواننا ومن تعلق بنا ، فلما أردنا الانفصال صبيحة تلك الليلة ذهب عائداً لزيارته سيدي أحمد الطيب وكثير من الناس ، فلم أذهب أنا معهم قصداً مني أن لا أمنعه من العبادة في تلك العودة ، وما حصل لنا قبل كاف ، وذلك شأني مع كل مشتغل بالله تعالى ، فإن كنتُ بطالاً فلا أعوِّق الغير عما يعنيه ، وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا فيها أيضاً مع أهل الفضل والعلم .

وزرنا أيضاً الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخصري في قرية المشهورة ، فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره ، وذقت منه أمراً عظيماً يكاد الجاهل أن يُحيله ، وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالد مرة أخرى قبلها مع الجرم الغفير والجمع الكثير نحو الألف ، وفيه من الفضلاء ما ما لا يحصى كالسيد الفاضل الشيخ سيدي علي بن المبارك نجل سيدي علي الطيار ، وفي ذلك السفر زرت الشيخ الغوث أبا جملين في المسيلة ، أفاض الله علينا من بركاتهم وأعاد علينا من أنوارهم ، ولما سمع الناس من عمالة الجزائر بحج هؤلاء الفضلاء ونخبة العلماء حركهم ذلك إلى شد الرحال إلى بيت الله الحرام من كل بلد ، ووقع الضجيج من عامة المسلمين وخاصتهم ، وذلك من الحاضرة والبادية حتى ذهب جميعهم بنسائهم وأولادهم ، نعم زاد عزمي وقويت نيتي للمشي ، غير أنه عارضني أمر أوجب السفر مع الأخ في الله سيدي أحمد الطيب إلى ناحية زواوة وقرية دلس لزيارة سيدي أحمد بن عمر فيها اهـ .

سيدي محمد بن أحمد الموسوم

الشيخ الرباني والقطب الصمداني الأستاذ سيدي محمد الموسوم دفين قصر البخاري ، مات في آخر القرن الثالث عشر ، وقبره مشهور بقصر البخاري يُزار .

له تأليف أكثرها في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وله شرح على عقيدة السنوسي الصغرى ، وله رحلة ذكر فيها جميع من أخذ عليه ، ونشأ في قبيلة يقال لها : غريب ، من نواحي مليانة . وهو في الأصل من أولاد سيدي

[٨٥] عبد العزيز الحاج .

وكانت وفاته عشية يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول عام ١٣٠٠ الموافق ليوم ٢ فيفري سنة ١٨٨٣ . وعمره ٦٣ سنة ، وكنت زرتة في شهر رجب عام ١٣٢١ مع أخي الشقيق الفقيه النبيه سيدي المدني بن الشيخ بن أبي القاسم بعد أن بتنا ليلة عند ولده الأكبر المرحوم سيدي أحمد الموسوم ، وعمره إذ ذاك ٣٩ سنة ، وأكرمنا إكراماً مدنياً لم نر مثله من يوم خروجنا من الجزائر إلا عند المحبين السيد أحمد بن الشريف بن الأحرش ، والسيد محمد بن أبي القاسم بن الأحرش . الأول في عين معبد ، والثاني في المعلبة ، وكلاهما بقرب مدينة الجلفة حين مررنا بهما ونحن ذاهبون إلى مدينة أبي سعادة ، وكانت ليلتنا عند سيدي أحمد الموسوم رحمه الله ليلة مذاكرة في مسائل شتى ، وذكر لنا أن إخوته أربعة .

وتأليف أبيه نحو العشرين منها « التحفة المختارة في ثواب الزيارة » والأنوار المضيئة في الصلاة على خير البرية » و « الرسالة في اسم الجلالة » و « كشف الغمة في الصلاة على خير الأمة و » تفريج الهموم في الصلاة على النبي كل يوم لعبيد الله محمد المرسوم » و « العقد الثمين في الصلاة على النبي يوم الاثنين » و « المكيال الأوفى في الصلاة على المصطفى » و « حزب الأنوار الجامع لسائر الأدعية والأذكار » وطالعت شرحه على السنوسية فوجدته عجيباً عجائباً ، ومن تأليفه أيضاً « النور الوقاد في تغزية الأولاد » ألفه لما مات ولد له آخر اسمه سيدي محمد ليلة السبت سنة ١٢٩٧ ، وهو في خمس كراريس ، وله « ترجمان الأشواق إلى رؤية سيد الخلق على الإطلاق » صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما دام ملك الله باق في ٢٨ ورقة بالربيعي و « عصا موسى في الرد على من أنكر وأسا »

و« الدرر البوعبدلية في الصلاة على خير البرية » وعلى ظهر كتابه « حزب الأنوار » قصيدة سيدي أبي مدين الغوث ، وهي :

[٨٦]
يا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا • اِرْحَمْ عَيْبِدًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَطُوا
وَاسْتَنْزَلُوا جُودَكَ الْمَعْهُودَ فَاسْقِهِمْ • رِيًّا يَرِيهِمْ رَضِي لَمْ يُثْنِهِ سَخَطُ
وَعَامِلِ الْكُلِّ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَلْفَسُوا • يَا عَادِلًا لَا يُرَى فِي حَكْمِهِ شَطَطُ
إِنَّ الْبَهَائِمَ أَضْحَى التُّرْبَ مَرْتَعُهَا • وَالطَّيْرُ تَغْدُو مِنَ الْحَصْبَاءِ تَلْتَقِطُ
وَالْأَرْضُ مِنْ حُلَّةِ الْأَزْهَارِ عَارِيَةٌ • كَانَتْهَا مَا تَحَلَّتْ بِالنبَاتِ قَطُ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَفْضَالٍ تُمَدُّ لَهُ • أَيْدِي الْعِصَاةِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ غَلَطُوا
نَاجُوكَ وَاللَّيْلُ جَلَاءُ الظُّلَامِ سِنًا • كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ اللَّمَّةِ الشَّمْسُ
فَشَارِبٌ بِذُنُوبِ الذَّنْبِ غَصَّ بِهِ • وَآخَرُونَ كَمَا أَخْبَرْتَنَا خَلَطُوا
وَمِنْهُمْ فِي لَفِيفِ الْعَيْشِ وَهُوَ يُرَى • فِي سَلَكِ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْعَرْشِ يَنْخَرُطُ
وَمُلْحَدٌ يَدْعِي رَبًّا سِوَاكَ لَسَهُ • حَيْرَانٌ فِي شَرَكِ الْأَشْرَاكِ يَخْتَبِطُ
كُلُّ يَنَالٍ مِنَ الْمَقْدُورِ قَسَمْتَهُ • قَوْمٌ تَرَقَّوْا وَقَوْمٌ فِي الْهَوَى سَقَطُوا
حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ عَدْلٌ فِي بَرِّيَّتِهِ • فَرَضَ عَلَيْنَا لَهُ التَّسْلِيمَ مَشْتَرَطُ
وَمَا ذُنُوبُ الْوَرَى فِي جَنْبِ رَحْمَتِهِ • وَهَلْ يُقَاسُ بِفَيْضِ الْأَبْحَرِ النُّقْطُ
فَمَا لَنَا شَافِعٌ غَيْرُ الْكَرِيمِ وَمَنْ • يُلْفَى عَلَى الْحَوْضِ وَهُوَ السَّابِقُ الْفَرَطُ
هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي كُلُّ الْأَنْبَاءِ بِهِ • يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْرُورٌ وَمَغْتَبِطُ
صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً لَانْفَادَ لَهَا • مَنْ اسْمُهُ بِاسْمِهِ فِي الذِّكْرِ مَرْتَبِطُ

وحكى لنا رحمه الله أن أباه سيدي محمد الموسوم له شيخان ، ففي الطريق سيدي عدة ، وفي العلم سيدي الحاج الشفيع من حذيفه بكسر الحاء وتشديد الدال . وسيدي عدة أخذ الطريق عن مولاي العربي الطويل . وهو عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي صاحب كتاب « شور الطوية في مذهب

الصوفية « ونزىل قبيلة الزروالية ، ألفه لما عرف في مدينة فاس سيدي أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الحسيني العمراني عام ١١٨٢ ، وهو سيدي علي الجمل المتوفى سنة ١١٩٣ . وضريرحه بحومة الرملية وأصله من بني عمران شرفاء قبيلة بني حسان ، وكان والده أو جده قد انتقل منها إلى فاس ، رحمهم الله ونفعنا ببركاتهم . وفي هذه السنة توفي سيدي محمد بن أحمد الموسوم ، رضي الله عنه وقدس روحه آمين .

محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري

قال الشيخ أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني في كتابه « حديقة الأفرح لإزالة الأتراح » ما نصه : الحكيم محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري الشيرازي أديب ماهر سيف ذهنه باتر ، حكيم حاذق ثاقب ، فهمه كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق ، حاز حظاً وافراً من الكمالات ، وحيير الأفكار بما أبداه في صناعة السرقات ، مجاميعه كنوز الفوائد ، ومضامين رسائله فرائد ، فمن جيد شعره ما قاله مادحاً أمير المؤمنين علي بن ابن أبي طالب سلام الله عليه :

دَعِ الْأُوطَانَ يَنْدُبُهَا الْغَرِيبُ * وَخَلِّ الدَّمْعَ يَسْكُبُهُ الْكَنْيَبُ
وَلَا تَحْزَنْ لِأَطْلَالٍ وَرَسْمٍ * يَهَبُ بِهَا شِمَالٌ أَوْ جَنُوبُ
وَلَا تَطْرَبْ إِذَا نَاحَتْ حَمَائِمٌ * وَلاَحَتْ ظِيَّةٌ وَبَدَا كَثِيبُ
وَلَا تَصْبُو بِرَنَاتِ الْمَثَانِسِيِّ * وَالْحَانَ فَقَدْ حَانَ الْمَشِيبُ
وَلَا تَعشَقْ عِذَارِي غَانِيَاتٍ * يَزِينُ بِنَانِهَا كَفُّ خَضِيبُ
وَلَا تَلْهُو بِحَبِّ صَيِّحِ وَجْهِ * شَبِيهُ قَوَامِهِ غَصْنُ رَطِيبُ
وَلَا تَشْرَبْ مِنَ الصَّهْبَاءِ كَأْسَاءً * يَكُونُ مَدِيرُهَا سَاقُ أَدِيبُ
وَلَا تَصْحَبْ حَمِيماً أَوْ صَدِيقاً * وَذَرَّهُمْ إِنَّهُمْ ضَبْعٌ وَذِيبُ

[٨٧]

ولا تفرح ولا تحزن بشيء ۞ فلا فرح يدوم ولا خطوب
 ولا تجزع إذا ما ناب هـم ۞ فكم يتلو الأسي فرج قريـسب
 وسكن لوعة القلب المعنى ۞ وأنشده إذا غلب الوجيب
 عسى الهم الذي أمست فيه ۞ يكون وراءه فرج قريـسب
 ولا تياس فإن الليالي حلسي ۞ فعل ليومها شأن عجيب
 جواد قبل أن يرجى يواسي ۞ غياث قبل أن يدعى يجيب
 تكلمت الظبا معه وشمس ۞ وثعبان وحيتان وذيب
 ورذت بعد ما غربت وغابت ۞ له شمس السماء ولا عجيب
 كريم يستحي من مؤمل قد (۱) ۞ رجاء أن يماطل أو يخيب
 أمير المؤمنين أبو تراب ۞ علي المرتضى البر الحيب
 عليه تحيتي ما جن ليـل ۞ وجن من النوى دنف غريب

وله في رثاء الحسين سلام الله عليه قصيدة مخمسة ، وهي من غرر قصائده ،
 أذكر شذمة منها . وهي هذه :

جاء شهر البكاء فلتبك عيني ۞ بحيني على مصاب الحسين
 وإمام الأنام من غير ميين ۞ وابن بنت الرسول قره عيني

آه واحسرتا لرزء الحسين

آه فلتبك من دم قد أراقوا ۞ وبدور قد اعترام محساق
 وسقوا طعم علقم لا يـذاق ۞ خير رهط على البرية فاقوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

خصنتهم بروق بيض المنايا ۞ وأصابتهم سهام البلايا

(۱) كذا الأصل .

عَنْ قَسِي الْقِضَا فِدَعْنِي أَلَا يَا * لَائِمِي فِي الْبُكَاءِ لِعَظْمِ الرِّزَايَا
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

هم بدورٌ وغربُهم كربلاء * هالهم كربُ أرضِها والبلاءُ
خسفوا إذ لهم سناً واعتلاء * ما لهذي البدورِ منها انجلاءُ
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

كم بها صادتِ البُغاثُ نُسُورا * كم بها صارتِ السُّروجُ قُبُورا
كم بها استوسدَ الكرامُ صخُورا * كم بها رَضَّتِ الخُيولُ صدورا
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

[٨٨] وردتُه الخطوطُ منهم وقالوا * ملُّ إلينا بسرعةٍ ثمَّ ما أَلُوا
عنه إذ حلَّ في فناههم فحالوا * بينه والفراتِ ثم استطالوا
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

وعدوا النصرَ ثمَّ خانُوا عهدا * أوثقوا عقدها وصادوا أسودا
بدلوا دونه النفوسَ سعُودا * حيثما شاهدوا الجنانَ شهُودا
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

غابَ فتیانُ أهلهِ والكهـولُ * فغدا السبطُ يشتكي ويقسولُ
وله مدمعٌ عليهم همـولُ * هل بقي من يعينُ يا قومُ قولوا
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

لستُ أنسى الحسينَ فرداً وحيداً * ورضيعاً له سعيلاً مجيداً
قصدوا بالنضالِ منه وريداً * وسقوه الردى فأضحى شهيداً
آه واحسرتا لرزء الحسينِ

وما أَلطف قوله :

معاشرَ إخواني سلامٌ عليكم « لقد دمعتُ عيناَيَ شوقاً إليكم
ولا غرو إن جسي ثوى أرضَ غربَةٍ « فروحي وقلبي ثاويانَ لديكم
ومن مقاطيعه البديعة قوله :

علا هلا لي على تلال « فضاء منه فضاء مهمته
فقيل : نورٌ فقلت : نورٌ « وقيل : نجمٌ فقلت : مه مه

هـ

محمدُ بنُ أحمد بنِ قاسم بن محمدٍ ساسي البوني

التميمي المسمي من علماء بونه وصلاحاتها وأحد فضلائها الأعيان .

أخذ عن أبيه علامة وقته سيدي أحمد بن قاسم البوني ، ولكن لم نقف
له على أثر من المؤلفات ، وسيدي قاسم جده قد سارت بعلومه الركبان ،
وضربت إليه أكباد إبل الطلب .

ولولده أحمد مؤلفات حافلة جليظة ، أخذ عن الإمام الشاوي ،
والعلامة الخرخشي ، والشيخ الأجهوري ، والإمام عبد الباقي الزرقاني وغيرهم ،
وتخرج عليه كثير من العلماء الأعيان منهم العلامة الشيخ عبد القادر الراشدي
القسنطيني صاحب المعقول والمنقول ، وكان إليه المرجع في الفتوى ، وعليه
المعول في حل المسائل العويصة . وتوفي بعد عام ١١١٦ من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقد عنَّ لنا أن تأتي على مؤلفات سيدي أحمد البوني تبركاً بآثاره ، واعتمدنا
في أخذها على رسالة « التعريف بما للفقير من التأليف » منها :

شرح المختصر الخليلي ، جمع فيه زبدة الخرشي ، والأجهوري ، والتتائي ،
وبهرام . والمواق ، والحطاب ، والزرقاني ، وغيرهم وانتهى فيه إلى الأذان
وسماه : فتح الأغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل ابن إسحاق : وشرح
آخر أخصر من التتائي الصغير ، يصاحب الفقيه حضراً وسفراً .

[٨٩] ونظم قواعد الإسلام .

وعقيدة صغيرة .

ونظم عقيدة السنوسي السادسة ، وهي عقيدة مجهولة عند الكثير من الناس ،
وشرحها صاحبها العلامة سيدي عبد الرحمن الجامعي ، قيل : إن الشيخ السنوسي
وضعها للنسوان والصبيان .

ونظم عقائد النسفي .

ونظم الخصائص الكبرى للسيوطي في نحو ثمان مئة بيت .

ونظم أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها صاحب الدلائل .

ونظم أسمائه أيضاً صلى الله عليه وسلم التي شرحها الرصاع .

ونظم السيرة المحمدية .

ونظم شعب الإيمان .

ونظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي .

ونظم كتب البخاري .

ونظم مشتمل على سنده في الفقه .

ونظم أخلاق الصوفية التي حواها كتاب « تنبيه المغترين » للشعراني .

ونظم الأجرومية في تسعين بيتاً . وشرح عليه لم يكمل ، وصل فيه للنائب

عن الفاعل .

وتحفة الأريب بأشرف غريب ، اختصر فيه غريب العزيزي للقرآن العظيم .
وتعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة . وآخر قريب منه لم يكمل .

ونظم فصول مختصر خليل مما ثلاثاً به نظم الأجهوري .
ونظمان في الوقت .

وإعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة في الطب .
ومختصر في الطب أيضاً لتذكرة داود .

وآخر مثله سماه : إتحاف الألبا بأدوية الأطباء .
وإتحاف النجباء بمواعظ الخطباء .

وتنوير الحجا بأسرار الحجا ، جمع فيه أزيد من مئة لغز ، جرى به شيخه

[٩٠] سيدي بركات بن باديس القسنطيني شارح الألفية وغيرها .

ونظم جامع لآداب الدعاء وشروطه وأركانه وأوقاته وغير ذلك .

ورسالة مسماة بقطع النخاع من أهل الابتداع ، لم تكمل .
وإعلام الأحبار بغرائب الأخبار .

ورسالة مسماة : إظهار القوة بأحكام الباب والكوه .

ورسالة مسماة الغوثية بأحكام بعض المسائل اللوثية .

ورسالة رفع الجلباب عن آيتي الأرجاب والاختياب .

ونظم اشتمل على واقع مراد باي التونسي مع عسكر الجزائر ، وما جرى

بينهما من الحروب .

ونظم عقيدة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني .

ونظم آخر في فرائضها .

ونظم فرائض المختصر ، لم يكمل .

ونظم القطر لابن هشام لم يكمل .

والفتح المولوي بشرح ألفاظ حزب النووي ، نظمه في حياة والده ، وبسببه مدحه بقصيدة شيخه العلامة الولي سيدي يوسف بن محمد فكيهات الأندلسي صاحب نظم الشذور .

وكتاب اللمحة البارقة السنية بذكر السيرة المحمدية ، على نمط تنبيه الأنام .

وفتح المعين بذكر مشاهير النحاة واللغويين .

وكتاب روضة الأزهار ونفحة الأسحار في الصلاة على النبي المختار على نمط تنبيه الأنام ، وفيه مقدمة وخاتمة .

وزاد المسير إلى دار المصير .

وأنس النفوس بفوائد القاموس ، فيه أكثر من ألف فائدة في فنون شتى .

وإظهار بعض نفائس ادخاري المهيآت لختم البخاري .

وإكرام من أحبني أو قلاني .

والتحقيق في أصل التعليق ، أي الكائن في البخاري .

وفتح الباري بشرح غريب الإمام البخاري .

والإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه ، أي الكائنين في البخاري .

والثمار المهتصرة في مناقب العشرة .

وفتح الشيبك عن مسألة لبيك .

والإعانة على بعض مسائل الحضانة .

ورفع العنا عن طالب الغنا ، لم يكمل .

وشرح لامية ابن مالك ، لم يكمل .

والرحلة الحجازية ، لم تكمل أيضاً .

واختصار شرح الشهاب الخفاجي على الشفا ، لم يكمل .

وديون الموارد والمشاهد التي من الله تعالى بها على السيد الوالد لم يكمل .

[٩١] ومجموع في السماع ، لم يكمل .

وشرح عقيدة الوالد ، لم يكمل .

وديون شعر ، لم يكمل .

واختصار العلوم الفاخرة للثعالبي ، لم يكمل .

وفتح القادر في بيان الطريق للمريد .

وتشنيف الأذان بفضائل الأذان .

ورفع الشأن لأهل الأذان . .

وتأييد أهل الاستقامة بمعنى غريب كتاب الأذان والإقامة .

وإرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى : ﴿ لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القمرَ ﴾ .

والظل الوريث في الحث على العلم الشريف .

وغبار نعال أهل الله تعالى .

وإلهام السعد لما يبلغ لمراتب الشهداء .

واتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن .

وحث الورد على حب الأوراد ، مشتملاً على ثمانية كتب .

- أولها : تلقيح الفكر بفضائل الذكر .
- وثانيها : ابتهاج الأفكار بمسائل الأذكار .
- وثالثها : اليواقيت المنشورة في أسانيد الكتب الماثورة .
- ورابعها : رفع الاشتباه عن حديث الانتباه .
- وخامساً ملء المعى بأحكام الدعا .
- وسادسها : أنفع العطر بذكر الخضر .
- وسابعها : مورد الصفا في فضائل الصلاة على المصطفى .
- وثامنها : الكنز المختبى في الصلاة على النبي المختبى .
- وكتاب الترياق الفاروق لقراء وظيفه الشيخ زروق ، لم يكمل .
- وتنوير السريرة بذكر أعظم سيرة .
- وطرز الخمائل في الشمائل .
- ونور الشمعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة في بعض مسائل الحجر والشفعة .
- وله نظم يسمى : فتح القريب بأشرف غريب .
- [٩٢] وحاشية على كتابه روضة الأزهار سماها : التحرير لمعاني الأحاديث المأخوذة من الجامع الصغير .
- وكتاب الجود بجواب أسئلة الوجود .
- والدرة المكنونة في علماء بونه .
- والياقوتة المصونة في صلحاء بونه ، نحو ألفي بيت ، والاولى ألفية فقط .
- ونظم صغرى السنوسي .
- وكنز النفوس الشائقات لنظم الورقات .

والياقوتتان الكبرى والصغرى في التوحيد ، ضاهى بهما جوهرة اللقاني .
والدجنة للمقري .

ونظم تحفة الفكر لابن حجر في المصطلح .

ونظم الذخر الأسنى بذكر أسماء الله الحسنى .

وشذا الروانيد بذكر بعض من لهم الأسانيد .

وفتح الكريم الأكرم بذكر الأقوال في اسم الله الأعظم .

ونظم فتح رب البرية بذكر رجال الرسالة القشيرية .

والتيجان المكلمة بدرر فصول التعوذ والبسملة .

ورفع الذيل عن بعض فضائل قيام الليل .

والفتح القدسي بتفسير آية الكرسي ، لم يكمل .

وفتح الرقيب بمدح آثار الصالحين وبعض آداب النقيب .

والسحر الحلال بما استدرك من خصوصيات الجمعة وليلتها عن ابن القيم

والجلال .

والكواكب النيرات المعلقة على دلائل الخيرات .

والنكت الزاهرة المجتلية من تاريخ مصر والقاهرة ، لم يكمل .

ونعم الحركة في اختصار كتاب البركة .

ونهاية الآمال في فضائل الأعمال .

ونظم عقيدة ابن الحاجب .

وفتح القوي المعين بإرشاد المطالعين لشرح الأربعين .

وإعلام القوم بفضائل الصوم .

والفتوحات الكونية بشرح الأربعين البونية ، وهو الشرح الكبير .
والصغير هو الذي سماه : فتح القوي المعين .
وفتح رب السما بذكر فضائل العلماء .
ونظم في التوسل بسور القرآن .
وتخميس على القصيدة المسماة : قرّة العينين في مدح الصحيحين للقطب
الغوث جده .

[٩٣]
ونظم عقيدة الطحاوي يسمى بالنور الضاوي .
والنفحة المسكية في نظم العقيدة السبكية .
وفتح المعيد بنظم عقيدة ابن دقيق العيد .
والمعارف الأنسية بنظم العقيدة القدسية للخمّي ،
والفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي .
والنفحات الصنبرية في نظم السيرة الطبرية .
والسراج بذكر بعض البعض من فضائل صاحب المعراج صلى الله عليه وسلم .
والنعم الكبرى بشرح شرح الصغرى ، لم يكمل .
وتلحين القاسي من نظم الإمام القاسي .
وإنارة الدجا بحسن الظن وأسباب الرجا .
والغرر في شرح الدرر .
وخلاصة العقائد للقائي والتواتي .
والمنهج المصنوع المبلغ للموضوع .
وطل السحابة في الصحابة .

ونظم رفع القدر بالتوسل بأهل بدر .
وإعلام الأقران بفضائل رمضان .
ونظم الجمان في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمن .
ونظم عقيدة الإمام محيي الدين بن عربي
وتلقيح الأفكار بتنقيح الأذكار .
واختصار اليواقيت والجواهر للشيخ الشعراي .
ورفع الهوان عن بعض الإخوان المتوسلين بالقطب سيدي أبي مروان ،
دفين بونه .

ونظم عقيدة سيدي أبي مدين ، دفين تلمسان .
ونظم صغرى صغرى السنوسي .
والجواهر المنظمة في عقد المقدمة .
واليواقيت المنضدة بنظم المرشد .
وإعانة المعاني بما للفظ العجز من المعاني .
والدر الأسما في التضرع لخالق أهل الأرض والسما .
وإعلام الأعلام بشفاء الآلام في مدح المصطفى عليه السلام .
[٩٤] وإرشاد المغرى لاختصار الصغرى .
ولباب اللباب في ذكر رب الأرباب .
وبدر الدجا في أحاديث الحرجا .
وتبشير القلوب بتكفير بعض الأعمال الصالحة كبار الذنوب .
والزهرات الوردية المنتشقة من القصيدة المولدية .

وتنوير قلوب أولي الصفا بذكر بعض شمائل الحبيب المصطفى .
وفتح المنان بذكر الخصال الموصلة إلى الجنان .
والمواهب القدسية بنظم الوغليسية .
وخير القرى بالياقوتة الكبرى .
وفتح الكريم الحي بنظم عقيدة الإمام ابن جزى .
والمنهج المبسوط في نظم عقيدة السيوطي ، فرغ منه انسلاخ شوال عام
١١٢٨ .

وتخميس أبيات الفرج وهي : يا مَنْ يرى ما في الضمير ويسمع الخ .
وكشف الران عن قلب قارىء قصيدة سور القرآن .
والجوهرة المضية في نظم الرسالة القدسية ، أبياتها نحو ٧٧٥ .
ونظم المقاصد الدينية للإمام التفتزاني ، في نحو ألفي بيت إلا قليلاً .
وقصيدة أخرى رائية في مدح خير البرية .
ونظم عقيدة أبي منصور الماتريدي .
ونظم العقيدة الوسطى للسوسى .
ونظم عقيدة سيدي عبد القادر الجيلاني .
ونظم عقيدة صاحب المستطرف المذكورة بأول كتابه .
ونظم عقيدة الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني .
ونظم عقيدة الإمام الراعي الأندلسي .
وكراسة التعريف بما للمؤلف من التأليف .
ورسالة قمع المراثي بنفع المراثي .

ونظم عقيدة سيدي أبي الحسن الشاذلي ، شارح الرسالة .

ونظم كتب الإمام مسلم ، صاحب الصحيح .

وعقيدة الإمام عز الدين ابن عبد السلام .

ونظم في منافع الثوم .

ونظم مختصر الشيخ خليل ، في نحو عشرة آلاف بيت .

ونظم كتاب الجامع للشيخ خليل في نحو ألف بيت .

ونظم التوسل بالقطب الجيلاني .

ونظم ترجمة الشيخ خليل .

ونظم عقيدة العقد .

ونظم يتعلق بالطعام والشراب والضيافة وغير ذلك ، في أكثر من ٢٠٠٠

[٩٥] بيت سماها : تبين المسارب في ما يتعلق بالأكل والطب والمشارب .

ونظم غريب العزيزي في القرآن العظيم ، في نحو أربعة آلاف بيت .

ونظم عقيدة الإمام أبي عمران الحراني في نحو مئتي بيت .

ونظم عقيدة القطب الشعراني .

والتعريف ببلد سيدي أبي مروان الشريف .

وكتاب في فضائل الرباط سماه : التيسير في فضل الأجر الكثير بالعمل

اليسير .

وآخر نظماً ونثراً سماه : إعلام الزهدا بعدد الشُّهدا ، ونظم في اسناده

لخمسة وعشرين تفسيراً .

ونظم في الاختلاف في البسمة وأنها آية من كل سورة أم لا .

ونظم لغريب القرآن للإمام الجليل ابن عباس .

ونظم غريب القرآن للإمام ابن جزى .

ونظم عقيدتين .

وله غير ذلك من الطرر في علم الكلام والحديث والفقہ تناهز الآلاف
رحمه الله تعالى ونفعنا بركاته آمين .

ومن أشهر علماء بونه (عنابة) الشيخ أحمد بن علي البوني صاحب « شمس
المعارف ولطائف العوارف » المتوفى سنة ٦٢٢ كما في « كشف الظنون » .

محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي

العلامة الأستاذ محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي
القاسم الطالب الرحموني نسبة إلى أولاد رحمون ، من شرفاء العش في بلد
امشدالة .

وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس ، ولما رجع منها اشتغل
بالتدريس في جبل بني عيسى ، واستدعاه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن
الأزهري ، وقدم إليه واشتغل عنده في جبل جرجرة بالتدريس ، ونفع الخلق
بالعلوم إلى أن توفي سنة ١٢٤٢ عن نحو ٩٠ سنة ، ودفن بداخل الروضة
الأزهرية الرحمانية إزاء الشيخ محمد بن عبد الرحمن .

وتأليفه كثيرة منها : « ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب » و« الدليل

[٩٦] على الأجرومية» ، وشرح على الأزهرية ، وحاشية على شرح الصغرى لمؤلفها

سماها « المحتاج في شرح معاني السراج » للأخضري . و« رياض السعود في

ماله من العجائب والحدود » وشرح البردة للبوصيري ، وشرح السلم .

ومن تلامذته ولده الشيخ أحمد الطيب بن محمد الصالح أجازته إجازة عامة مطلقة ، وتآليفه كثيرة أيضاً منها : نظم في عقائد التوحيد سماه « بالذرة المكنونة » كما أشار إليه بقوله :

هذا وإنني لما نظمتها « بدرّة مكنسونة لقتبها

وله شرح على أم البراهين سماه « تكملة الفوائد في تحرير العقائد » ومنظومة في أحكام الفتوى ، تقرب أبياتها من الألفين سماها « مفتاح الأحكام » وشرحها « بتذكرة الحكام » ومنظومة أخرى سماها « نصرّة الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان » ونظم في علم الفرائض قال فيه :

سميته بمنهج الوصول « إلى ما في الارث من الأصول
وشرح الأجرومية سماه « مفيد الطلبة » وله تأليف في أحكام الفتوى أيضاً سماه « القرّة العصرية » .

وتوفي رحمه الله زوال الثلاثاء سابع شوال سنة ١٢٥١ .

شيخنا سيدي محمد الصديق الديسي

محمد الصديق بن أحمد بن سليمان بن أبي العدل ابن رحمون
ابن بالقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول ، الديسي منشأ وداراً ووفاة .

أخذ رحمه الله الفقه على القطب سيدي أحمد بن أبي داود شيخ زاوية تاسلنت في يلولة زواوة بدائرة اقبو ، ولازم الشيخ المازري بن بطو بن أبي القاسم جدي لأم ، وأخذ عنه النحو بألفية ابن مالك ، والأصول بمحلي « جمع الجوامع » لابن السبكي ، والحديث بالقسطلاني على البخاري ، والفقه بالشبرخيتي على مختصر خليل ، والتفسير بالبيضاوي وكان الشيخ المازري إمام

جامع قرية الدير . ولما عجز لكبر سنه تولى الشيخ محمد الصديق إمامته إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٠٦ عن ثلاث وستين سنة قضاها في عبادة الله تعالى . وقراءة دلائل الخيرات . ومطالعة البيضاوي والقسطلاني . وأخيراً لازم « الإبريز » في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه للقبط سيدي أحمد بن المبارك إمام المعقول والمنقول ، نفعنا الله ببركاتهم . حكى لي سيدي محمد الصديق أنه سمع أباه يقول وقد سأله أحد بعد الصلاة : ما يُضحكك يا سيدي ؟ فأجابه بقوله : إنه لما توفي محمد الصديق الأكبر أتاني آت وقال لي : لا تموت حتى تصلي وراء محمد الصديق ، والان قد صليت وراءه وقرب أجلي ، فلم يزد إلا قليلاً وتوفي رحمه الله .

وحكى لي أنه بقي في الإمامة أربعين سنة ، لأن سيدي عبد الله بن مرزوق الولي المعروف في الدير أصبح ذات يوم عند الباب متكئاً على عكازه ، وهو شيخ هرم وخاطب والدي بقوله : يا أحمد بن سليمان البارحة اجتمع أهل الديوان [٩٧] لنصب إمام في الجامع ، فاتفقوا على ولدك المرسي (هو حي الآن) ، وإذا بأكبرهم منزلة قال لهم : ارفعوا أيديكم وأمنوا على ولاية محمد الصديق إمامة جامع أبي القاسم بن محمد بن إبراهيم فأمنوا وقضى الأمر اهـ .

وكان يقول لي : إنني متوسد للموت من منذ عامين ، ولعلني لا أزيد الثالث ، وكان الأمر كذلك .

وكان ذات يوم بخارج الدير مع جماعة فيها المرحوم إبراهيم بن المسعود وأبوه المسعود بن الفضيل في بيت المغوفل بن ابن عمر لحضور وليمة العقيقة ، وبعد تناول الطعام خرجنا وذهب بي الشيخ ناحية ، ومشينا بعيداً غربي الجبانة الظهر اوية ، وصلينا المغرب في بقعة بازائها طيبة ، وبعد السلام والدعاء قال لي : ما أحسن هذا المحل للإقبار ، فسكت ، ولما توفي وكنْتُ في الجزائر دفنوه في ذلك المحل نفسه ، برد الله ضريحه وقدس روحه .

مات عن زوجة هي أختي فاطمة وبناتها وولدها منه محمد بن الصديق المتوفى في صيف السنة الماضية سنة ١٣٢٥ في عنفوان شبابه ، وقد حرر العلوم العربية على الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي ، وكان له ذهن وقاد وقريحة في طلب العلم لم تكن لأبناء عصره في بلده ، وله أخ من أبيه هو الموجود اليوم إماماً في جامع الديس اسمه عبد الله بن الصديق ، وهو رجل صالح ذوقه كاف ومعرفة صالحة ، أطال الله بقاءه آمين .

محمد بن عبد الباقي

أبو محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي

هو الأخ الصالح الألمي الفقيه الجامع بين حسن الخلق والخلق ، كان فهامة نبيلاً صموتاً مجانياً لأقرانه ، متزهاً عن الرذائل ، شغوفاً باكتساب الفضائل ، حتى إنه حمله طلب العلم مع ابن عمه محمد الشلالي بن أحمد بن بالقاسم ، قرينه المماثل له في السيرة وطيب السريرة وحفظ الكتاب العزيز على الرحيل إلى زاوية نفضة للتعلم على علمائها عند صهرهما سيدي مصطفى ابن عزوز زوج أختيهما ، وبعد سنوات جاء إلى والديهما خبر وفاتهما معاً رحمهما الله تعالى . وللأخ نثر مستحسن ، ونظم جيد منه أبيات جمع فيها شروط الحضانة ،

[٩٨] وجدتها بخطه أولها :

الحمد لله العزيز العالِم . * سبحانه عز وجل الدائم
 ثم الصلاة بعدهم خيراً سلام . * على النبي الهاشمي بدر التمام
 والآل والصحب ذوي المناقب . * ما طلعت شمس مع الكواكب
 وبعد هالك ضابطاً يا مبتدي . * فاعلمه يا أخي وكن بي مقتدي

أول ما أتانا في المسوغ * حضنة الذكران للبلوغ
شروطها تسع على الصحيح * لا غيرها وقع في الترجيح
وآخرها :

هذا الذي نظمناه محمد * المرتجي من ربه ما يحمده
نسبه الديسي في البلاد * من نسل إبراهيم ذي الرشاد
ثم الصلاة والسلام كل حين * على نبي الله تاج المرسلين
وآله وصحبه ذوي الوفا * الأولياء الأكرمين الخلفاء
ولد رحمه الله في حدود سنة ١٢٥٥ هجرية ، وتوفي في حدود سنة ١٢٨٥ .

محمد بن عبد الرحمن الإمام الجزائري

العالم العامل التقي السني العابد الزاهد الورع محمد بن عبد الرحمن بن
أحمد الأمين .

كان رضي الله عنه ونفعنا ببركته إماماً في الجامع الكبير بالجزائر ، وانتقل
من الإمامة إلى ضريح القطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، قدس الله سره ونور
ضريحه ، وبقي فيه قيماً صالحاً إلى أن توفي وعمره ٧٣ سنة عام وفاة العلامة
المفتي ابن الحفاف ، وهو عام ١٣٠٧ ، وكانت وفاة أبيه سيدي عبد الرحمن
الإمام عام ١٢٩٣ بعد وفاة العلامة المفتي حميدة العمالي بثلاث سنوات إمام
الجامع الكبير في الوقت الحاضر هو الشيخ قدور ، ولد صاحب الترجمة ،
خلفاً لشيخنا البركة سيدي محمد القزادري رحمه الله ، وكان الشيخ القزادري
من يضرب به المثل في الجزائر بالرزانة والعقل واتباع السلف الصالح ، ولما
توفي أسف عليه الغريب والقريب لمكارم أخلاقه ولا سيما تلامذته في المدرسة

الثعالبية قبل تسميتها بهذا الاسم وتجديدها ، ومن تلامذته فيها العبد الفقير .
قرأت عليه فيها فقهاً نقياً مأخوذاً عن أطواره في مدينة الجزائر ، كما سمعت
فيها من المرحوم سيدي علي العمالي نصيباً من نحو الآجرومية وأوائل الألفية ،
لأن مدتي فيها لم تزد على شهرين أو ثلاثة ، وكان يوثني في ما يحكيه لي عن
المتقدمين والمتأخرين من علماء الجزائر ، ومن جملة ما حكاه لي أن والده كان
إماماً بجامع ركروك الذي كان في البازار الموجود الآن ، عند اتصال زقاق
شارتر باخير نهج باب عزون ، ولما ختم فيه السنوسية دراية ، كان ممن حضر ختمه
شيخاه بالكبابطي ومحمد بن الشاهد الصغير ، وبعد الفراغ من الختم قال له
بالكبابطي : إني لفي سرور اليوم بأكلي ثمرة غرسي ودعاه بخير اه .

[٩٩] وحكى لي أن والده اجتمع في المدينة بالشيخ محمد بن عبد القادر المدني ،
وسمعه يقول : مدحت شريف مكة سيدي محمد بن عون بقولي :

طب ابن عونٍ فلا تبرحَ معيناً لمنْ * يرجو الندى منك يا ذا الجودِ والكرمِ
محمدٌ خاتمٌ للرسلِ قاطبةً * وأنتَ جئتَ لختمِ الجودِ والكرمِ
هكذا يرويه سيدي علي العمالي ولا يبالي بما فيه ، ويقول قال المادح ، ولما
سمعها مني الشيخ العطار المصري قال : الله أكبر إن الشعر أعذبهُ أكذبهُ ،
وأنشد الراوي للشيخ العطار :

ولما رشفتُ الرِّيقَ منها تمنَّعتُ * وقالتُ أما تخشى وأنتَ إمامُ
أترعُمُ أنَّ الرِّيقَ مني محلٌّ * وريقي مُدامٌ والمُدَامُ حرامُ

وحكى لي سيدي علي العمالي أن والده كان في الجامع الكبير يدرس مختصر
السعد ، ولما كان في باب الفصل والوصل حضر الدرس أجنبي وراء القائمة
المقابلة للشيخ ، وجعل يتقدم شيئاً فشيئاً إلى أن قرب منه منصتاً إليه باصغاء
تام ، وبعد الدرس دخل مقصورة الشيخ إذ ذاك وسأله أن يذكر له المحل

الذي أخذ منه الجمع بين عبد الحكيم وغيره في مسألة من مسائل الباب ، فقال له الشيخ العمالي : هو المذكور قبل المسألة بثلاث أو أربع ورقات ، ولما طالع الرجل بين يديه وجد الجمع سهلاً ، وكان من أصعب ما يكون عليه فقال له : كنت مع شيخي بسمرقند نحاول هذا الجمع ولم نجد له مسلكاً ، وإني أكتبه اليوم لأخبره بأني وجدته في الجزائر ، وهذا الرجل هو العلامة سيدي عبد الرحمن النابلسي اهـ.

وحكى لي أن والده قرأ القرآن على سيدي عمر تلميذ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، وبوصية منه دفنه في عتبة الضريح قائلاً له : لأكون كذلك بين يدي شيخي بن عبد الرحمن بعد موتي .

ومن تلامذة العمالي العظام سيدي محمد بن عيسى مؤلف رسالة « الألباس » وغيرها ، وأحد كتاب الوزارة التونسية في حياته وذكر الثقات أن سيدي محمد ابن عيسى هذا كان ملازماً لثلاثة كتب : المصحف ، و « الإبريز » في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ ، و « دلائل الخيرات » والحق أن رسائله تدل على أنه في طبقة عليا من الفهم والعلم .

ومن تلامذة العمالي سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران المتوفى سنة [١٠٠] ١٣٢٥ الماضية ، وهو من أصحاب « الفتوحات المكية » وجواهر المعاني . حضرنا مجلسه مراراً فسمعنا منه ما رقى وراق . مما خلت منه الأوراق وتشتاقه الأذواق . والفضل في ذلك كله للمحب المحبوب سيدي علي بن الحداد . متعه الله بطيب الحياة وطولها وقر عينه بولده العزيز .

ومن تلامذة العمالي سيدي علي بن الفخار مفتي المدينة ، وسيدي محمد القزادري ، وسيدي حسن بريهمات ، وسيدي محمد بن العطار إمام سيدي رمضان في حياته ، وسيدي محمد بن عبد المؤمن . وسيدي محمد بن زاكور

قال : وللشيخ العمالي فتاوى مجموعة ومحاورات فقهية تزيد مسائلها على
الثلاث مئة ، وقعت بينه وبين سيدي محمد بن سيدي علي مبارك الولي المشهور ،
دفن القليعة ، وله رسالة في ترتيب محاكم القضاء وأخرى في أحكام مياه البادية ،
وكان بجري على لسانه قبل وفاته بأيام قول القائل :

سيفقدني قومي إذا جنَّ ليلُهُم « وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ
كان الشيخ العمالي خلوتي الطريقة رحمانيا ، أخذها عن أبيه عن سيدي
محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، ودفن قرب الخروبة التي كان تحتها مجلس
سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، والتقى عندها بصاحب الصغرى سيدي محمد بن
يوسف السنوسي ، وأخيه سيدي علي التالوتي ، رضي الله عنهم وجمعنا بهم في
دار السلام ، بفضل الله الملك العلام آمين .

ولد الشيخ العمالي سنة ١٢٢٧ ، وتولى الفتوى سنة ١٢٧٣ ، وتوفي سنة
١٢٩٠ ، ولما كانت الترجمة للشيخ محمد بن عبد الرحمن المشهور بالإمام
فالأنسب أن نختمها بأبيات له ، نقلتها من خطه مادحاً بها محكمة القضاء
المالكي الملاصقة للجامع الكبير في الجزائر ، لما تمَّ بناؤها في ربيع الثاني عام
١٢٦٦ ، وتولى قضاءها الشيخ العمالي ، وهي قوله :

أحسنُ بمحكمةٍ قد راقَ منظرُها « أبدتُ محاسنها شكراً لباريها
يحقُّ حسنُ الثنا للآمرينَ بها « معَ الذينَ سعوا كذاكَ بانيها
للحكيمِ قد نصبتُ أركانها رفعتُ « لشرعةِ المصطفى اللهُ يُبقيها
لا تعجبنَّ أما يكفيكَ نسبتُها « لمالكٍ شيدتُ له نواحيها
وحالها نطقتُ في الحينِ مُفصحةً « بالبشرِ ضاحكةً تزهو لرائيها
يا قاصداً ربَّعها لا تخشَ مضيعتُها « اللهُ للحقِّ يهدي كلَّ منَ فيها

محمد بن علي الشريف الجعدي

الرضي الأرضي العالم العامل الحبيب سيدي محمد بن علي ، بهذا حلاه القطب سيدي محمد بن عبدالله بن مؤمن الرماصي (بضم الميم) في إجازته إياه في ما قرأه عليه ، وهو الألفية بالمرادي ، وجمل المجرادي ، والصغرى السنوسية بشرح مؤلفها قراءة بحث وتدقيق ، وحاشية الرماصي عليها ، وبعض من صحيح البخاري .

[١٠١] وقال فيها : أجزته في جميع مروياتي وفي ما أجازني فيه أشياخي . منهم باللسان ومنهم بالبنان ، من توحيد وفقه وحديث ونحو ولغة وبيان ومعان ومنطق وقرارات ، قال : وأكثر قراءتي في العقائد السنوسية على الشيخ المحقق الولي الصالح سيدي محمد بن علي بن الخروبي القلعي ، وأما البخاري فأخذته عن سيدي محمد بن الشارف المازوني ، وبعضه عن سيدي عبد الرحمن أبي زيد الراشدي الخ .

وفي كتابة أخرى ما نصه : وبعد فيقول عبيد الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله بن مؤمن الرماصي قد طلب مني ولدي سيدي محمد بن علي الدخول في سلسلتنا في العبادة وأخذ الخرقة ، فأسعفته لذلك وإن كنت لست أهلاً هنالك إسعافاً لرغبته ، وباب الله مفتوح لجميع خلقه ، وإن كان لا يقرع بابه إلا من كان أهلاً له ، فمن يرجى سواه وحاشاه أن يحرم راجيه أو يخيب وافته . وقد أخذت هذه الطريقة عن الشيخ القطب الرباني سيدي محمد الصحرراوي ، نزبل قلعة مأمون ببلاد منداس ، وقد قال لي : أخفيت القطبانية عشرين سنة إلى أن أذن لي في إظهارها ، وقال لي أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم أنت قطب الأقطاب ، وأنت في درجة عبد القادر الجيلاني ، إلا أن عبد القادر فوقك

بنفسين . هكذا سمعت منه مشافهة رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ، فعلى ولدنا المذكور إدمان قرع باب مولاه ، ويستعين على ذلك به ويواظب على ذكره باللسان والجنان . ويقول دبر كل صلاة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه مئة مرة ، ثم يقول : القادر الفتح الغني الكافي هكذا مئة مرة ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم خمس مئة مرة بأن يقول : اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، وإن كان في شغل يقضي ورده ، ويواظب على صوم الخميس والاثنين ، ويصلي الضحى أربع ركعات ، ويجعل ورده من الليل ستة أحزاب ، والله المعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقال في موضع آخر : ومما أخذه محمد بن علي الشريف عن الولي الرباني العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم أبي طلبت منه التلقين فقال لي : اشتغل بالعلم في هذه الساعة ، فاشتكيت له بكثرة الخواطر فقال لي : آذن لك في ما يرفع عنك ذلك وهو : اللهم إني أستغفرك يا سيدي مولاي [١٠٢] وأتوب إليك من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر . من غير حدٍّ بعدد ومن غير تقييد بوقت ، سمعته من فيه ، ومما سمعته منه قوله صلى الله عليه وسلم : « لو سَلَكَ المؤمنُ جُحْرَ ضَبٍّ لَقَبِضَ لَهُ مِنْ يُؤْذِيهِ فِيهِ » ومما سمعته هذه الصفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله عدد أنعم الله الكريم وأفضاله ، الواحدة بعشرة الآف ، ومما أخذته عنه لرفع الوسواس . سبحان الملك الخلاق الفعال (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) وقال لي : كذا أخذته عن والدي سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم ، نفعنا الله بالجميع آمين ، وذلك عام ١١١٦ هـ .

وفي مواضع أخر يقول كاتبه محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن ، الشريف نسباً ، الجعدي وطناً ، من عمالة الجزائر حرسها الله : لما ارتحلت إلى فاس بقصد القراءة تفضل الله علي بالاجتماع بالبركة الشاملة العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، فطلبت منه الأخذ عنه فأجابني إلى ذلك ، وناولني فهرسته التي سماها « المنح البادية » فقرأتها كلها وحدي ، ثم طلبت منه الإجازة بجميع ما فيها فأجازني بجميع ما فيها ، وأجازني أن أجزى بجميع ما فيها ، ثم تفضل علي بأن سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية بقراءته هو ، وأنا أسمع وسمعت منه حديث الضيافة ، وأضافني علي الأسودين ، ولقني وشابكني وناولني السبحة ، وصافحني وألبسني الخرقة ، ثم ناولني أوائل الكتب الستة ، فقرأتها عليه وهو يسمع ، ثم أول « الموطأ » ، والجل من « جامع الترمذي » والكثير من « سنن ابن ماجه » و « مسند الدارمي » و « مفتاح الشفا » لوالده حاذى به « الشفا » للقاضي عياض ، وهو كتاب جليل احتوى على علم غزير وفوائد كثيرة من تاريخ وحديث وتصوف وفقه وأدب ومن نحو وبيان وأصول ومنطق ، وكذا قرأت عليه أيضا المقالة المنسوبة لسيدي عبد الرحمن الثعالبي إلى أن قال : وكتب عند ضريحي الشيخين العارفين بالله سيدي يوسف وأخيه سيدي عبد الرحمن الفاسيين ، وذلك يوم الأربعاء ١٢ من شوال عام ١١٣٣ ، عرفنا الله خيره ووقانا ضيره آمين ، والحمد لله رب العالمين اه. من خطه رحمه الله ونفعنا به آمين اه. من أوراق قديمة بعثها لي الشيخ المختار ابن محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي .

ومن جملة المذكورين فيها بالخط المذكور الفقيه أبو عبد الله محمد العيد ابن محمد الفجالي منشأ ، القسنطيني وطناً ، المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً ، القادري خرقة ، الشاذلي طريقة ، أبقاه الله ، ورد على الجزائر أواخر شوال من عام ١١٤٣ برسم زيارة علمائها وصلحائها وقضاء بعض مآربه الدنيوية ،

وقد اجتمعت به فالفيتها أخذ من الفقه طرفاً ، وتبوأ من التوحيد غرفاً ، وحاز في مكنون طباعه نباهة وظرفاً ، ونال بعلو همته وصيانتته شرقاً ، حلو [١٠٣] المحادثة والسمر ، طرفه الجماعات والزمير ، مصفى السريرة ، موصوف بالانبساط والعين القريرة ، أخبرني أنه لم يقرأ غير ذينك العلمين ، وحاله يشهد بذلك من غير شك ولا مئین ، رحل برسوم الحج إلى مصر ، فاجتمع فيها مع بعض من أهل الإغاثة والنصر ، فأجازوه في الفقه المالكي وفي الأحزاب الشاذلية ودلائل الخيرات ، ومن أجازوه في بعض ذلك شيخ بعض شيوخنا القطب الرباني سيدي محمد العربي التلمساني نزيل مصر لهذا العهد ، أبقاه الله وأفاض علينا من شوارق أنواره آمين اهـ .

وبعدها إجازته لسيدي محمد العيد المذكور قال فيها حاكياً عن نفسه : وقد تلقى العبد الفقير المعترف بغاية العجز والتقصير محمد العربي التلمساني دلائل الخيرات عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهذه نعمة عظيمة من أكبر النعم ، فوجب لله علينا الحمد والشكر ، ونسأله سبحانه أن يتمم اهـ . وفي آخرها وكتب عن إذن الشيخ المجيز بتاريخ أوائل ربيع الأول من سنة ١١٣٢ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وعلى آله وصحبه أفضل البرية .

محمد بن علي الشريف الزواوي صاحب شلاطة

الفاضل المحترم الظريف السيد محمد السعيد بن علي الشريف .

ولد رحمه الله عام ١٢٣٨ (سنة ١٨٢٠ مسيحية) في بلولة من بلاد زواوة ، وهو من نسل الصالحين الذين جاءوا من المغرب واستوطنوا بلاد القبائل ما بين

القرن السادس والقرن الثاني عشر، وجده الأعلى الشريف سيدي موسى (أو علي) ، وينتهي نسبه إلى سيدي أبي محمد عبد السلام بن مشيش بن منصور ابن إبراهيم الحسني .

وكان الشريف سيدي موسى فارق مسقط رأسه في صغره ، وأقام في يلوله وتزوج فيها بصالحة ابنة صالح هناك ، وبعد مدة أحدث زاوية شلاطة المعروفة حتى الآن بهذا الاسم ، وهي زاوية مقصودة لقراء كتاب الله عز وجل ، يأتونها من كل فج عميق ، كما أن طلاب الفقه يقصدون زاوية ابن أبي داود

[١٠٤] في تاسلنت ، والذي في علمي أن من لم يقرأ القرآن في شلاطة . ولم يتعلم الفقه في تاسلنت ، ولو قرأ وتعلم في غيرهما يُعتبر عند المحبين ناقصَ السر . والدليل على هذا أن الناس إذا أرادوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى إحدى الزاويتين ، أما زاوية تاسلنت فقد تقدم الكلام عليها . وأما زاوية شلاطة فيكفي من الكلام عليها أنها زاوية ابن علي الشريف الذي ورثه في الظاهر والباطن ولده سيدي محمد السعيد رحمه الله ، المتوفى يوم ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣١٤ .

وكانت له محبة في الوالد رضي الله عنه ، وبينهما مخالطات ومكاتبات . يلتصقان فيها من بعضهما الدعاء الصالح ، وكان الشيخ سيدي محمد السعيد من أصحاب النفوذ البليغ والجاه العظيم في قبائل زواوة وما يليها ، ومن أهل الاحترام والاعتبار عند الدولة الفرنسية . وله محبة في العلماء والطلبة وخلف ولداً مشتغلاً وخصوصاً بعمارة زاوية آبائه ، وهو السيد الشريف بن علي الشريف . أطال الله عمره في ما يرضيه آمين . هذا ما تيسر لي العلم به بعد أن تمسكت بكثير من ذوي المعرفة بالزاوية وأصهارها . فلم أستفد منهم إلا الوعد ولم أجد بدأ من الرجوع إلى ما أعلم .

سيدي محمد العمالي

العمالي نسبة إلى جبل عمال من قرية فيه ، بينها وبين الجزائر مسافة قليلة . وكان من الصالحين وله محبة شديدة في الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، رضي الله عنه ، وكان من النفر الذين حملوه خفية في ليلة واحدة من زاويته إلى مقامه في الجزائر بعد أن دفن فيها . قدس الله سره . وكفى أنه من خواص هذا القطب الأعظم . ومن مقاديمه المحبوبين الذين عمتهم بركته . فكان من أولاده الشيخ حميدة العمالي . وولد ولده سيدي علي العمالي رحمهم الله . وقد ترجمتهما معاً جريدة « كوكب افريقية » الغراء التي مديرها الشيخ فونتانة صاحب المطبعة الكبرى في افريقية . ومحلها الجزائر . ومحررها العلامة محمود كحول القسنطيني . أدام الله وجوده بقولها :

هو الباقي ء

فالموت نَقَادٌ على كَفِّهِ . جواهرٌ يَخْتَارُ منها الحسان

استأثرت رحمة الله منذ أسبوع بالشيخ الفقيه المشارك أبي الحسن السيد علي العمالي المدرس بالمدرسة الثعالبية في الجزائر . والإمام بالجامع الأعظم بعد أن أمضى معظم عمره في الانكباب على العلوم والإقراء والإفادة والاستفادة .

كان رحمه الله لطيف المسامرة حلو المحاضرة ، عاكفاً علي تدريس التصريف بشرح الزنجي . وعلم الكلام بمتن الجوهرة ، والعقائد السنوسية ، ولد كما

وجد بخط والده عليه رحمة الله ضحوة يوم الاثنين بالساعة الحادية عشر من شهر رجب . وهو اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور من سنة ١٢٦٦ . وفي [١٠٥]

يوم الأربعاء الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٢٧٤ ختم البقرة ، وفي محرم سنة
اثنين وثمانين حفظ القرآن واشتغل بقراءة العلم . وتوفي صيف هذه السنة
(١٣٢٦) .

أسف لنعيه سكان الجزائر عموماً ، فهرعوا لتشيع جنازته زرافات
ووحداً ، وكان مشهده مهيباً جداً مشى فيه أهل العلم ورجال الفضل والمجد ،
وأعيان الجزائر ، وأساتذة المدرسة الثعالبية ، وحضره مديرها من منزله بحسين
داي إلى مقبرة ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، فدفن بمقبرة
أسلافه الأكرمين ، ورجع المشيعون يذكرون مآثره ويثنون على غرِّ شمائله ،
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ، ورزق أولاده وآله عظيم الصبر والأجر .

وله ولد طيب السيرة والسريرة ، جميل الخلق والخلق ، ملازم للجامع
الأعظم في الجزائر اسمه محمد ، ولولده هذا أولاد أحيا الله ذكر والديهم ،
وحفظهم من صروف الزمان وظروفه آمين .

وإفادة للعموم نأتي على ترجمة والده بتصرف نقلاً عن الرحلة المسماة
« ذخيرة الأواخر والأول » تأليف الشيخ أبي محمد سيدي العربي بن علي
المشرفي الحسيني في حال مروره بالجزائر سنة ١٢٩٤ فنقول : السيد الجليل العالم
النبيل ، فريد العصر ووحيد المصر في علم المعقول والمنقول ، الشيخ حميدة
ابن محمد العمالي ، جمع أشات العلوم وأجاز وأجيز . ونال ذلك بدعوة والده
أيضاً ، لشهرة صلاحه وكونه من خاصة قطب الصلاح والفلاح ، سيدي محمد
ابن عبد الرحمن الجرجري الأزهرى .

ومن شيوخه العلامة مفتي الجزائر وشيخ جماعتها الشيخ سيدي محمد بن
الشاهد ، والفقير المحدث إمام الجامع الأعظم الشيخ سيدي العربي ، والشيخ

سيدي محمد بن الكاهية والشيخ سيدي مصطفى ابن الكبابطي ، والشيخ سيدي واعزيز القاضي .

ومن تلامذته العلامة الشيخ المدرس بمدرسة التعليم الرسمية السيد محمد [١٠٦] القزادري ، وسيدي أحمد حفيد سيدي سعيد قدورة ، والسيد حسن ابريهمات شيخ المدرسة النظامية ، وسيدي محمد بن حمدان بن العطار ، وسيدي محمد ابن عيسى كاتب دار الإمارة بتونس ، وحصل له اجتماع في رحلته بحجة الإسلام سيدي عبد القادر بن يوسف القادري ، وله القلم البارع الذي يعرف الدرر ، ويواقيت الكلام والرسوخ في الفتاوى والأحكام ، واشتهر بالفتوى فكان إليه المفرع فيها .

ولديه إجازات من شيوخه في عدة علوم ولا سيما في علم الحديث ، وصحاح الكتب الستة ، و« موطأ » الإمام مالك ، وإجازة الصحاح الستة و« موطأ » مالك بسند مسلسل وقراءة بحث وتحقيق ، كل ذلك السند سماع ، وكل رجاله مالكيون وفقهاء مشهورون مصنفون قرطبيون ، أخذ هذه الإجازة من العلامة الشيخ القطب الواضح سيدي محمد صالح البخاري في وفوده للجزائر من مدينة فاس ، وله إجازة في الحديث عن شيخه العلامة الإمام القدوة سيدي مصطفى بن محمد عرف بالكبابطي ، عن الشيخ علي بن عبد القادر بن الأمين مفتي الجزائر المتوفى سنة ١٢٣٦ ، رواية في البعض وإجازة في الباقي ، بالإجازة الخاصة والعامة ، والمطلقة والمقيدة ، وله إجازة أخرى في علم الحديث عن خاتمة الحفاظ المحققين الشيخ الحاج حمودة بن محمد المقايسي ، عن الشيخ الصعيدي ، وإجازة في قراءة الرواية عن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن الكاهية الجزائري .

وكان المذكور من العلماء العاملين ، استفاد منه خلق كثير ، وانتفع ونفع

وأجاز وأجيز ، وألف وصنف ، ومن أهم تأليفه مؤلفه في القضاء ، وتتبع
فصوله وأنواعه ، وحلية القاضي وشروط القضاء .

محمد المازري الديسي

العالم العامل الأصولي النحوي الفقيه البياني المنطقي المحدث المفسر المحقق
المدقق المفتي الإمام الشيخ سيدي محمد المازري بن « محمد بن يطو » بن بالقاسم
ابن محمد بن بالقاسم بن « محمد بن مرزوق » بن محمد بن إبراهيم الغول .
هكذا وجدت نسبه بخط أبيه سيدي محمد بن يطوفي أخير ورقة من وصية لم
أجد أولها ، ونصها :

يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما
أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تُصعِّرْ خدك للناس ولا تمش في الأرض
مرحاً ، إن الله لا يُحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من
صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ، وإني أوصيكما ، واعلما أني لن
أغني عنكما من الله شيئاً ، إن الحكم إلا لله ، وعليه فليتوكل المتوكلون ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل ، كملت الوصية والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً لتاريخ سنة ١٢٠٨ على يد أحوج
عبيده إليه محمد بن يطو الخ . [١٠٧]

وللشيخ ابن يطو تقارير ونقول جيدة في الفقه كتبها رضي الله عنه في هوامش
كبه ، ولولده الشيخ المازري كتابات على محل « جمع الجوامع » لابن السبكي ،
وقصائد في رثاء ومدح السادة مشايخ زاوية ابن أبي داود لشغفه بهم ، وتمسكه
بأذيالهم واعتقاده أن الخير مقرون برضاهم ، لأنه تلميذهم والتلميذ ابن الروح ،

فهو أقرب إليها من ابن الصلب غير أنه لو نثر قصائده لكان نشرها أحسن من نظمها بكثير ، لاشتمالها على عبارات عالية وأفكار نبيلة ، ولكثرة ولوعه بمختصر الشيخ خليل انحصرت همته النظمية في ترتيب الأبيات على ترتيب أبوابه مشيراً إليها بألفاظها ، جازاه الله خيراً على نيته .

وقد رأيت في أخير قصيدة منها ما نصه : وكاتبها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق من إملاء قائلها سنة ١٢٨١ وعمره أي القائل ٨٥ سنة ، وزاد من إملائه أيضاً : فهذه هدية سقتها أمامي ، وسأقدم إليكم بعدها لزيارتكم إن يسر الله والتمتع بمقامكم ، والتفكر في رسوم من مضى من مشايخي ، رحم الله الجميع والسلام من السيد المازري اهـ .

أقول : وتوفي عام ١٢٨٦ وعمره نحو ٩٠ سنة عن أخوالي الثلاثة وخالتي الذهبية وأمي خديجة ، فالأخوال محمد بن عبد القادر ، وعبد القادر الجيلاني ، وأحمد ، والثلاثة من حاملي كتاب الله العزيز ، أما الأول فمات عن غير عقب ، وأما الاثنان بعده فتوفيا عن بنين وبنات ، مات بعضهم وبقي بعضهم ، رحم الله أمواتهم وأصلح أحياءهم بمنه وكرمه آمين .

أبو عبد الله محمد بن محمد الجزائري

الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر العطار الجزائري ، من جزائر مزغنة ، وهي المشهورة الآن بالجزائر . صاحب كتاب « نظم الدرر في مدح سيد البشر » و« الورد العذب المعين في مولد سيد الخلق أجمعين » .

قال المقرئ في « نفع الطيب » : وليس هو بابن العطار المشرقي الذي كان [١٠٨] معاصراً لابن حجة الحموي ، فإن ذلك متأخر عن هذا ، وهذا مغربي وذلك

مشرقي ، فلم يتخفا لا في زمان ولا في مكان ، غير أنهما اشتركا في الشهرة بابن العطار ، ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته : مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضي العدل الأديب البارع أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف العطار ، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن الأمين الأقسهري .

قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها على ناظمها القاضي المذكور ، قراءة ضبط وتصحيح ، ورواية مقابلة بأصله ، بموضع الحكم في مدينة الجزائر من أقصى افريقية حرس في دول متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذي القعدة وأواخر عام سبع وسبع مئة ، ونص ما كتب على نص قراءتي عليه صحيح ، ذلك وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد ابن العطار والحمد لله رب العالمين انتهى .

ورأيت أثر ما تقدم بخط الأقسهري ما صورته : سمع من لفظي جميع « نظم الدرر في نسب سيد البشر » لجامعه القاضي المذكور أعلاه القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبني ، وولده أبو محمد عبد الدائم ، وابن أخيه أبو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص بن أبي بكر البوري وغيرهم نحو سماعي قراءة مني على مؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر العطار سنة سبع وسبع مئة ، قاله راسمه الاقسهري انتهى .

وثبت في آخر هذا الكتاب ما صورته : قال محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم : كان الفراغ من إكمال هذا الفضل وإتمامه حسب نثره ونظامه ضحوة يوم الجمعة الثاني من شعبان المكرم سنة ست وتسعين وست مئة ، ما عدا أربع قصائد اشتمل عليها ، فإنها تقدمت على إنشائه أودعتها فيه ، والله سبحانه المستعان ، وذلك بمدينة الجزائر

جزائر بني مزغنة من أقصى افريقية من أرض متيجة ، صانها الله تعالى انتهى .
 وثبت في آخره بخط بعض الأكابر ما نصه : تأليف الفقيه العالم الأديب
 البارع أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري انتهى .

وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر ، فالله تعالى يجزي صاحبه
 أفضل الجزاء بمنه وكرمه ، ومن نظمه في كتابه هذا التسديس (على حروف
 الهجاء) :

أنوارُ أحمدَ حسنُها يتلألاً * المصطفى مجلى الكمال يجلاً
 الشمسُ تخجلُ وهو منها أضوا * النورُ منه مُقسَّمٌ ومجزأً
 قد زانَ ذاكَ النورَ إبراهيمُ * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

صلُّوا على المسكِ الفتيقِ الأطيبِ * صلُّوا على الوردِ المعينِ الأعذبِ
 صلُّوا على نورِ ثوى في يثربِ * صلُّوا عليه بمشرقٍ وبمغربِ
 ما زالَ في الرسلِ الكرامِ كريمًا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا [١٠٩]

صلُّوا على زهرِ الكمالِ النابتِ * صلُّوا على طودِ البهاءِ الثابتِ
 صلُّوا على من فاقَ نعتَ الناعتِ * خيرِ الورى من ناطقِ أوصامتِ
 وأعزَّهم نفساً وأطهرَ خيماً * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

صلُّوا على طيبِ يفوحٍ ويمكُّثُ * صلُّوا على من عهدُهُ لا يُنكَّثُ
 صلُّوا على من بالهدى يتحدَّثُ * عنه المعارفُ والحقائقُ تُورثُ
 أضحى يُعلِّمنا الهدى تعليماً * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

صلُّوا على من نورهُ يتبلَّجُ * صلُّوا على من عرفهُ يتأرَّجُ

- للحضرة العلياء ليلاً يعرجُ * صلُّوا على مَنْ حازَ مجداً يبهجُ
وبها على العرشِ المجيدِ مُقيماً * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً
- * * *
- صلُّوا على البدرِ المنيرِ اللاتِّحِ * صلُّوا على صُبحِ الرِّشادِ الواضِحِ
صلُّوا على المسكِ الذكيِّ الفائِحِ * صلُّوا على الهاديِّ النبيِّ النَّاصِحِ
الرُّشدَ فهمَ والهُدى تفهيماً * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً
- صلُّوا على مَنْ شرُّه لا يُنْسَخُ * صلُّوا على مَنْ عهدُه لا يُفْسَخُ
صلُّوا على مَنْ بالثناءِ يُضْمَخُ * علياؤهُ عليا الكمالِ تُورِخُ
نالَ المفاخرَ والكمالَ قديمياً * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً
- * * *
- صلُّوا على الهادي لأعذبِ موردِ * صلُّوا على خيرِ الأنامِ الأوحِدِ
صلُّوا على بدرِ التمامِ الأَسْعَدِ * بمحمدٍ فزنا ومن كَمَحْمَدِ
اللهُ عَظَمَ قدرَهُ تعظيمياً * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً
- * * *
- صلُّوا على مَنْ بالنبوةِ ينفذُ * صلُّوا عليهِ فللسعادةِ يجبذُ
صلُّوا على مَنْ حبه لا يُنبذُ * أبصارُنا طراً بأحمدِ لُؤذُ
في موقفِ ينشي الحميمَ حميمياً * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً
- * * *
- صلُّوا على البدرِ المنيرِ الزاهِرِ * صلُّوا على الروضِ البهيِّ النَّاصِرِ
صلُّوا على مزنِ العلومِ الماطرِ * صلُّوا على المسكِ الفتيقِ العاطرِ
وتنعموا بصلاتِكُم تنعيمياً * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً

صَلُّوا عَلَى نَوْرِ يَلُوحُ وَيَبْرُزُ * صَلُّوا عَلَى مَسْكِ يَفُوحُ وَيَحْرِرُ
بِمُحَمَّدٍ حَلَّلَ الْكَمَالَ تَطَرَّرُ * وَلِمَجْدِهِ دُرَّرُ السِّيَادَةِ تُفَرَّرُ
قَدْ نَظَّمْتَ لِكَمَالِهِ تَنْظِيمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

* * *

[١١٠] صَلُّوا عَلَى الدَّرِّ النَّفِيسِ الْأَنْفَسِ * صَلُّوا عَلَيْهِ فَهُوَ رَوْضُ الْأَنْفَسِ
صَلُّوا عَلَيْهِ فَهُوَ زَيْنُ الْمَجْلِسِ * وَمُنَى الْجَلِيسِ وَنُزْهَةُ الْمُتَأَنِّسِ
رَاقَ النَّفُوسَ شَدًّا وَطَابَ شَمِيمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

* * *

صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ أَفْضَلُ مَنْ مَشَى * صَلُّوا عَلَى النُّورِ الَّذِي قَدْ أَدْهَشَا
بِمُحَمَّدٍ عَرَفَ الْقَرْنَفَلَ قَدْ فَشَا * وَرَدُّ لَظْمَانَ إِلَيْهِ تَعْطُشَا
يَبْرِي الضُّنَى أَبَدًا وَيَبْرِي الْهَيْمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

* * *

صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْكَمَالِ يُخَصَّصُ * صَلُّوا عَلَى مَنْ نُوْرُهُ لَا يَنْقُصُ
صَلُّوا عَلَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ وَأَخْلِصُوا * ظِلُّ ضِفَا بِالْأَمْنِ لَا يَتَقَلَّبُ
شَمَلَ الْوَرَى طُرًّا وَطَابَ عَمِيمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

* * *

صَلُّوا عَلَى صَبْحٍ تَبَلَّجَ بِالرُّضَا * وَقَضَى عَلَى لَيْلِ الضَّلَالَةِ فَاَنْقَضَى
صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالنَّجَاةِ تَعْرَضَا * صَبْحٌ تَذْهَبُ نُورُهُ وَتَفْضُضَا
وَعَلَا وَخِيَمَ ضَوْؤُهُ تَخِيْمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

* * *

صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْبَهَاءِ يُخَطِّطُ * صَلُّوا عَلَى وَرْدٍ بِمَسْكِ يُخَلِّطُ
لِلْمُصْطَفَى بُسْطُ الْكِرَامَةِ تُبَسِّطُ * وَلَهُ يَوَاقِيتُ السَّنَاءِ تَقْسِّطُ
وَبُنُورِهِ أَضْحَى الزَّمَانَ وَسِيمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْمُهَابَةِ يُلْحَسُّظُ * صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالنُّبُوَّةِ يُلْحَسُّظُ
وَرِضَاهُ هَبٌّ لَنَا وَطَابَ نَسِيمَا * لِعُصَاتِهِ نَارُ الْجَحِيمِ تَغْيَسُّظُ
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ السَّاطِعِ * صَلُّوا عَلَى الرَّوْضِ الْأَنْبِقِ الْيَانِعِ
صَلُّوا عَلَى الصُّبْحِ الْمُنِيرِ اللَّامِعِ * صَلُّوا عَلَى الْمَسْكِ الْفَتِيقِ الذَّائِعِ
وَوَقَاهُ فِي وَهْجِ الْهَجِيرِ مَغِيمَا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى النُّورِ الْأَعْمِّ السَّابِغِ * صَلُّوا عَلَى الْبَدْرِ الْأَتَمِّ الْبَازِغِ
صَلُّوا عَلَى الْمَسْكِ الذَّكِيِّ الْبَالِغِ * صَلُّوا عَلَى الْوَرْدِ الْمَعِينِ السَّائِغِ
لِلْوَارِدِينَ بِهِ غَدَاً تَتِيمَا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالتَّقْرُبِ يُوصَفُ * صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالمَحَبَّةِ يُعْرَفُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْعُلَا يَتَشْرَفُ * صَلُّوا عَلَيْهِ بِهِ الْكَمَالُ يَزْخَرَفُ
المَجْدُ فَخْمٌ ذِكْرُهُ تَفْخِيمَا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَسْكِ يَطِيبُ لِنَاشِقِ * صَلُّوا عَلَى الرَّوْضِ الْأَنْبِقِ الرَّائِقِ
إِشْرَاقُهُ بِمَغَارِبِ وَمَشَارِقِ * صَلُّوا عَلَى الْبَدْرِ الْأَتَمِّ الْفَائِقِ
بَدْرٌ تَنْسَمُ حُسْنُهُ تَنْسِيمَا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْرُهُ لَا يُدْرِكُ * صَلُّوا عَلَى مَنْ بِاسْمِهِ يُتَبَرِّكُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ لِلهُدَى يَتَحَرِّكُ * صَلُّوا عَلَى مَنْ بِاسْمِهِ يُتَبَرِّكُ
وَبِهِ تَحَلَّى ظَاغِنَا وَمَقِيمَا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ نَالَ مَجْدًا عَالِيًا * وَسَمَا وَحَازَ مَفَاخِرًا وَمَعَالِيًا
 صَلُّوا عَلَى نَوْرِ تَبَدَّى حَالِيًا * وَبِمَدْحِهِ الرَّحْمَنُ زَيْنَ حَالِيًا
 وَإِذَا سَمَا الْمَخْدُومُ زَانَ خَدِيمًا * صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

* * *

أقول وقد ذكر الكتاب وصاحبه وقصيدته ولي الله تعالى في هذا العصر
 البعيد الإمام الهمام العلامة على التحقيق سيدي يوسف النبهاني رئيس محكمة
 الحقوق بيروت في كتابه « سعادة الدارين » فالله تعالى يجازيه بخير الدارين ،
 ويجعلنا من الباقيين على محبته ، ويجمعنا وإياه ببركته في دار النعيم المقيم آمين
 آمين آمين .

محمدُ بنُ المشري السائح الأوغاوي

في رسالة بخط الشيخ أحمد بن طالب مفتي مدينة الأوغاوط في التاريخ ما
 [١١٢] نصه : مشاهير فقهاء الأوغاوط هم محمد بن المشري من عرش أولاد السائح .
 له ثلاثة تآليف هي « الجامع » و « مواهب المنان » و « نصرة الشرفاء » وكانت وفاته
 سنة ١٢٢٤ في عين ماضي محل إقامته ، وسحنون ابن الحاج أحمد توفي سنة
 ١٢٣٣ ، وعبد الرحمن ابن محمد المتوفى سنة ١١٨٣ ، وإسماعيل بن الحاج
 عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٢١ ، وبالقاسم بن أحمد المتوفى سنة ١٢٣٦ .
 والحاج محمد بن التومي المتوفى سنة ١٢٣٧ ، وأحمد بن سحنون المتوفى سنة
 ١٢٥٣ ، والنوى بن قرين المتوفى سنة ١٢٦١ ، والحاج عبد القادر بن الحاج
 محمد المتوفى سنة ١٢٦٨ ، وسليمان بن سعد المتوفى سنة ١٢٦٨ . ومحمد
 ابن إسماعيل المتوفى سنة ١٢٦٩ ، وبالخير بن المبروك المتوفى سنة ١٢٦٩ .
 والشيخ زين الدين المتوفى سنة ١٣١٤ ، قال : وهؤلاء كلهم ليس منهم من له

تأليف كبير أو صغير في فن من الفنون رحمهم الله أجمعين اهـ.

أقول وفي « الرحلة الناصرية » : أن من فقهاء الأغواط في تاريخها محمد ابن كسيمة أو كسمية . وأحمد بن إدريس . ومحمد بن خليفة وعبد الرحمن الفجيجي . وإسماعيل العينماضي . وإن كبير عين ماضي في تاريخ الرحلة هو سيدي أحمد الدهماء . وأولاده عبد الرحمن . ومحمد . والزرروق . وفقبها أبو حفص . ومحمد بن عيسى صنو أبي القاسم . وعبد الرحمن بن دلس . وعيسى بن يحيى . وعيسى أبو عكاز مؤدب الأطفال . وفي تاجموت أحمد ابن بركة ، وكذلك كان في الأغواط محمد بن أحمد بن يحيى . ومحمد . وأحمد ابنا بوزيان .

(فائدة) : كنت طالعت الرحلة المذكورة . وأخذت منها طريق مؤلفها في برّ الجزائر ذهاباً وإياباً ، فرأيت أن أدرج ذلك هنا معتقداً أنه لا يخلو من فائدة فنقول :

كان الشيخ أبا العباس أحمد بن القطب محمد بن ناصر الدرعي قد مرّ في سفره إلى الحج بفجيج ، واجتمع فيه بأحمد بن أبي القاسم البولجدوري . وعلي بن محمد بن أحمد الراشدي ، وبعبد الجبار في مقام الولي الصالح بوسمغون ومرّ بوادي الرمل وبورزق ووادي القصب ، واجتمع في أم القرار بمحمد ابن أبي نوة من أولاد سيدي منصور ، وفي أهل تيت بسيدي بودخيل في العين الصفراء ، وبالْحاج الشيخ بن المرابط ، وفي عين مصباح بأولاد سيدي محمد ابن عيسى ، ومرّ بعين لاحق ووادي العرباوات والكراكرة والغاسول ، وفيه سيدي عبد الكريم التواتي ، وعبد الله بن سحنون الغريسي ، وابنه الهاشمي ، وبأولاد سيدي الشيخ والأغواط ، والغاسلون ، ومخيلف ، وعين ماضي . وتاجموت ، والعسافة ، ودمت (إمامها محمد بن المفرد) ، والبرج ، وأولاد

ابن حرز الله (منهم محمد بن عيسى بن يحيى بن حرز الله وأخوه الطيب)
والغيران ، وعبد المجيد ، وقرية أهل عمورة قريبة من عبد المجيد ، ووادي
[١١٣] التوميات ، والعيك ، وسيدي خالد ، وأولاد جلال (منهم سيدي محمد بن
الحاج ، وسيدي عبد الباقي ، وسيدي محمد بن عيسى ، وسيدي محمد السعيد)
والعرق ، وخلوة سيدي عبد الرحمن الأخضرى ، ومليلة ، وبسكرة (منها
سيدي بوطيب نصير) ، ومدينة عقبة (منها سيدي محمد الصالح ، وسيدي
عبد الواحد الرماني ، وابنه سيدي محمد) .

قال صاحب الرحلة : وزرنا مسجد سيدي أبي الفضل ، وسيدي محمد بن
علي ، وأولاد سيدي محمد الصالح ، وأخرج ولده سيدي علي لنا تمراً ، وزرنا
سيدي قاسم ، وسيدي عبد الرحمن ، وسيدي أبا الفضل ، وسيدي محمد
الموفق ، والصحابي ، وسيدي محمد بن علي ، وسيدي علي الأرداشي ، ومررنا
بالزرايب ، والحقف ، وزيبة الوادي (منها سيدي حسن الكوفي) وأولاد
سيدي ناجي (منهم سيدي أبو القاسم بن محمد بن المبارك ، وسيدي محمد
ابن الهاني ، وسيدي الهاني بن الحفيان ، وسيدي عبد الحفيظ بن الطيب ،
وشقيقه سيدي ناجي ، وسيدي محمد بن الطيب ، وسيدي المبروك ، وسيدي
مسعود ، وإمامهم ومدرسهم سيدي أحمد بن عمر ، والأخ سيدي رمضان) ،
ومررنا بالمنصف ، ووادي الرتم ، وغسران ، والشبيكة ، والحاملة ، وتوزر .
اه. هذه طريق الذهاب .

وأما طريق الإياب فننوزر إلى الرجم ، الطرفا ، الشبيكة ، وادي غسران ،
قرغان ، المفيضة ، زريبة حامد ، أولاد نابت ، أولاد سيدي ناجي منهم :
سيدي هاني بن الحفيان ، وسيدي عبد الحفيظ (كان حياً وزارهم) ، واجتمع
بهم في الطريق أبو الضياف رأس أولاد صولة وشكره كثيراً ، ثم زريبة الوادي ،

وادي الحطف . وادي المنصف . وفيه توفي سيدي أحمد الهنضيفي ليلة الثلاثاء
 ١٤ رجب (٢٩ غشت) . ودفن بعد الصبح . وردم لعدم اللوح والحجر .
 واجتمع به سيدي محمد بن منصور المقلدي الزواوي ، وسيدي ابن القاسم
 البشكي البسكري مفتي بسكرة (كان منفيًا في سيدي عقبة) . وودعهم في
 بسكرة سيدي عبد الحفيظ بن الخطيب (وتقدم أنه ابن الطيب) ، ثم بساقية
 أرماس . ومليلة (فقيها إذ ذاك سيدي عبد المعطي) ، ومقران (صحراء ممتدة
 إلى وادي ريغ) ، أولاد سلام . أولاد جلال (منهم سيدي عبد الباقي) ،
 [١١٤] ومرابطهم سيدي محمد الحاج وهو عالمهم ، ثم بلاد سيدي خالد ، نجع
 السلمية ، مقسم أولاد سيدي عيسى ، أولاد رحمة ، وادي الشنوف وفيه
 استظلوا بظل سرحات من البطم ، العيطف ، الصدود ، وادي شرق التوميات ،
 وادي عبد المجيد ، عمورة ، الغيران ، أولاد جابر ، أولاد حرز الله (زاوية
 في تلك الناحية ، وحج منهم مع الركب سيدي الطيب بن عيسى ، وشكره
 المؤلف ، وبإزاء الزاوية بناء يسمى البرج على هيئة مسجد) ثم دمت ، وادي
 بشور ، تاجموت ، وادي الفج ، وادي البلية ، الأغواط ، عرب أولاد يعقوب ،
 المتسعة ، دخلة الأغواط ، حمرة ، وادي تيمليلي ، وادي بوريم ، وادي
 مانساح ، عين ماضي ، وادي شبور ، وادي الرداء ، وادي العنصيرية ، مقسم
 أولاد زيارة ، أبو رفاعة ، وادي المويلح ووادي الطويلة قصران متقابلان على
 الوادي ، وادي الحميضا ، أولاد سيدي طيفور بن عيسى ، وادي قرب ،
 المخيلف ، الغاسول ، الهزة قرب مقام سيدي عطاء الله ، أولاد سيدي عبد
 الكريم التواتي ، وادي الشعير ، وادي مط ، ولحق بنا في المقسم سيدي محمد
 ابن عبد الله ، وسيدي يعزى ، عرب حميان ، سيدي بوسمغون ، تفرور ،
 وادي سيدي عثمان ، وادي الجراوين ، وادي الأحجار الطوال ، أنف الغنجاية ،
 وادي رؤس والحمرة ، وادي الصم (هو وادي القصب) ، وادي الحجاج ،

أولاد سيدي محمد الكبير ، أولاد بني دخيل . أولاد سيدي أحمد ، قبور أولاد الحاج ، سيدي محمد الشريف عين يلياطة ، أولاد الفرار ، الوتد ، وادي زاغ ، الأحجار الحمر قرب قارة ، وادي غير ، جنان بوزرف ، وادي الحاج ميمون ، وادي ريم ، إقليم فجيج اه. هذه طريق رجوعه في بر الجزائر من الحج إلى المغرب ، رحمه الله ورضي عنه ، ونفعنا بركات الجميع آمين .

محمد بن المقدم الخوان التلمساني

كان رحمه الله يدرس بمسجد القرويين مختصر الشيخ خليل وغيره ، وكان لين الجانب حسن الخلق مائلاً إلى التواضع .

قرأ على الفقيه سيدي الحاج محمد فنون وغيره ، وتوفي في العشرة الثانية من هذا القرن الرابع عشر ، ودفن خارج باب الفتوح بفدان الغرباء قريباً من ضريح سيدي علي بن حرزهم اه. « سلوة » .

محمد بن منصور بن علي القريشي

أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القريشي .

ترجمه في « بغية الرواد » بقوله : الفقيه الخطيب العالم أبو عبد الله محمد ابن منصور ، قال : وهو من ولد عقبة بن نافع الفهري ، عالم خير من أئمة اللسان والأدب ، ذو بصر بالوثائق ، مشهور بالفضل والدين ، وله تأليف جمة في فنون شتى ، وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان ، [١١٥] وولي قضاء بلده فأحسن السيرة ، وبها مات رحمه الله ، ومن نظمه الدال على فضله :

إلهي مضت للعمر سبعون حجّة ۞ جنيتُ بها مما جنيتُ الدواهيَا
 وعبدك قد أمسى رهينَ ذنوبِيهِ ۞ فجدُّ لي برحمةِ نعمِ الدواهيَا
 وفيه يقول ابن حماد من شعراء تلمسان :

لما رأوك هديّةً من ربِّهم ۞ سمّوك بابتِ هديّةٍ فأجادوا
 وتولى القضاء بعده ولده أبو علي منصور فقام به خير قيام ، وخطب
 بالجامع الأعظم من أفادير ، وكان من أهل العلم والدين رحمه الله ، ولولده
 هذا أخ هو الفقيه أبو الحسن علي خطيب الجامع الأعظم الآن على هدي سلفه
 الصالح من الدين والعلم والفضل ونزاهة الهمة ، صدر من صدور الدراية
 والتدريس والخلق العظيم ، حفظه الله اه. بتغيير قليل .

محمدُ بنُ الناصر المنصوري

كتب لي أخونا الفاضل الفقيه الأديب محمد أرزقي بن ناصر المنصوري ،
 ترجمة جده بخط يده ، ونصها : محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن محمد
 ابن رابع بن أبي زيد بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان بن أحمد بن مالك
 ابن عبدالعزيز بن عبد الحق بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يحيى
 ابن محمد بن إسماعيل بن سعد الدين بن سليمان بن يلمان بن محمد
 ابن يوسف بن علي بن الحسن بن عبد العزيز بن خالد بن أحمد بن أبي عنان بن
 علي بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن محمد بن محمد بن علي بن
 إدريس بن أحمد بن أبي القاسم بن عبد الحق بن عمر بن جعفر بن إدريس بن
 عبد الله بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن السبط بن
 فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه
 أجمعين اه.

وبعث لي ورقة قديمة كتبها عام ١١٨٩ محمد بن أحمد بن سيدي علي الطيار قال في آخرها : وأنا وجدت السلسلة قد بلي رقها وخشيت ضياعها فنقلتها هنا ، وأشهدت على النقل الولي الصالح محمد بن أحمد بن سيدي علي الطيار ، وابنه محمد الصغير ، وأحمد بن أبي عبيدة ، ومحمد بن جبل الله ، وعبد العزيز بن امغار ، والواضح ، وأحمد بن عبد القادر ، ومحمد المبارك الملقب المصيتي ، وأحمد بن يوسف ، وأبو القاسم بن عبد الرحمن كلهم أولاد سيدي علي الطيار ، وأبو التقى بن الولي الصالح سيدي أحمد بن خليف ، وعلي بن يونس القصورى ، وأحمد بن سلامة ، والمرابط جمعة الخلوفا ، ومحمد بن جريب المسيلي ، وجماعة أخرى سماها في نقله .

وذكر لي الأخ المذكور أن سيدي محمد بن الناصر جاء من بسكرة عام ١٠٦٠ ، ومر على قرية مدوكال إلى وطن أولاد دراج في الحضنة إلى قلعة بني حماد إلى تبحمامين ، ونزل في قرية وارسن على مسافة ١٢ ميلاً من برج أبي عريريج ، وفيها توفي ، وقبره هناك مزار ، وسكن ولده محمد في قرية ودرض من قصور أولاد سيدي علي الطيار على مسافة ٣ أميال من وارسن ، وكان عالماً يدرس الفقه بالرسالة والتوحيد والنحو ، وأفتى ، وتوفي عن ولد عالم اسمه الناصر ، وكان يعلم تلك الفنون أيضاً ، وتوفي عن ولد اسمه محمد ، ولد سنة ١٠٧٣ بعد أن زوجه بالسيدة عائشة بنت السعيد ، وتوفي عن أربعة أولاد أحمد والناصر ومحمد وتوفيت أمهم عام ١١١٠ ، كان الشيخ محمد بن الناصر الدرعي الشريف الحسيني عالماً صالحاً مدرساً مفيداً ، وانتهت إليه الفتوى في وقته .

وكانت المنصورة مدينة قاهرة ، ولكن قامت فيها بين أهلها فتنة طحتهم رحاها طحناً لعدم العالم بينهم ، ولما تفتنوا ذهبوا إلى سيدي محمد بن الناصر وتضرعوا له طالبين منه السكنى عندهم ، ليرتفع بوجوده البلاء عنهم ، فأخذ

بخاطرهم وبنوا له داراً للسكنى بموضع يسمى الآن ازذع ثابت ناصر، وزاوية لطلبته تسمى اليوم رصفة الطلبة، وبنى لهم عام ١١١٤ جامعاً وهو المسمى جامع سيدي ناصر، ومن يوم حلوله بينهم اصطلمحوا وفارقتهم الفتنة وصاروا مقبلين على الدنيا والآخرة في تلك الناحية، ولم يزل أولاده على قدمه في الصلاح وطلب العلم، وزاويتهم التي يفتح الله عليهم فيها هي زاوية الشيخ ابن أبي داود، ومثلهم فيها أولاد سيدي إبراهيم حتى إن شيخنا سيدي محمد الطيب كان يقول: عمدة زاويتنا على الديس والمنصورة من حيث عمارتها بالمتعلمين المعتقدين. ولم يبق من أولاد سيدي محمد بن الناصر إلا سيدي الناصر، وكان أولاد مقران لا يصبرون على وجود واحد من أولاد سيدي الناصر عندهم للكتابة والتعليم والإمامة والقضاء بقصد التبرك بنسله، وكان سيدي السعيد بن أبي داود دعا لهم بالخير كما دعا لهم به أبوه سيدي عبد الرحمن ابن أبي داود.

(فائدة) : نسخ سيدي محمد بن الناصر كتباً كثيرة في فنون مختلفة ويقول في آخرها : تم على يد ناسخه لنفسه ثم لمن شاء الله بعده محمد بن الناصر بن محمد بن اليلمان البوعناني ، القصوري وطناً ، الدراجي نسباً ، وكتب في آخر الصفري السنوسية : تم عام ١١١٣ ، وولد الفقير محمد بن الناصر عام ١٠٧٣ ، وبعده ولد ابنا أحمد عام ١١٠٥ ، والناصر ١١٠٤ ، ومحمد عام ١١٠٧ ، ومحمد عام ١١١٠ هـ . ما كتبه الشيخ محمد أرزقي كاتب دائرة البيان من عمالة قسنطينة ، جازاه الله خيراً على عنايته ، بتخليد ذكر جده . [١١٧]

محمد بن النجار التلمساني

شيخ التعاليم . أخذ عن أبي عبد الله الإبلي ، وارتحل إلى المغرب فلقى بمدينة فاس جماعة كإمام التعاليم أبي عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطي ،

وأخذ بمراكش عن أبي العباس بن البنا ، وكان إماماً في النجوم وأحكامها ،
واستاقه السلطان بن تاشفين لحضرته ، فلما ملك أبو الحسن نظمه في جملته ،
وحضر معه أفريقية ، وهلك في الطاعون سنة ٧٤٩ .

محمد بن يحيى البعلاوي

الزاهد الورع المتخلي عن الدنيا الذي ذكره كثير من سيدي محمد بن يحيى من
القرن الحادي عشر ، وقد قيل إنه التقط حب البلوط من كل شجرة في وطن
الخميس إلا أنه ذكر الله عند كل حبة ، وأنه أول أمره يواجر نفسه ويقف من
ذلك ، حتى منعه بعض الناس من أداء الصلاة فسلم في الأجرة وذهب ، ولم
يرجع ففهم أن الله لم يقمه في الأسباب وإنما أراد به التجريد ، وهو واجب
عند تعذر الأسباب الشرعية ، انظر ابن عباد عند قول ابن عطاء الله : إرادتك
التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب
مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية ، فرجع للتجريد .

وهو من أولاد الشيخ سيدي مالك ، وجده هذا كان صاحب حال عظيم فقيل
إنه صبغ تسعة وتسعين رجلاً من جملتهم سيدي موسى الوغليسي ، ولم يجد ما
يزيده فزاد شجرة الزان ، والله أعلم ، ومعنى صبغها محتمل يحتمل أن الله جعل
فيها إدراكاً كما جعله في الذي نطق للنبي صلى الله عليه وسلم حتى ذاق حلاوة
الإيمان ، وشهدت مشاهد الخير والبركة ثم تصير بركة للناس بعده ، ويحتمل
أنها محل بركة إلى قيام الساعة فتصير آثارها لغيرها من العقلاء رحمة لأهل
بلده ومن يمر عليها ، وسيدي محمد هذا مجاب الدعوة ، وهو في جبل بني
يعلى ضريحه مشهور بزار ، ومن أراد قضم عدوه الظالم فليسأل الله بجأه ،
وقد جربت ذلك مرارا فوجدته كذلك ، أحيا الله قلوبنا بجأه آمين اه ورتيلاني .

محمد بن يحيى الباهلي المسفر

[١١٨] الشيخ الإمام العالم المحقق المدرس المفتي الصالح الشهير قاضي الجماعة ببجاية أبو عبد الله كان مستعملاً في السفارة ، دخل مدينة فاس ولقي بها أبا الحسن الصغير المعروف عند أهل إفريقية بالمغربي ، صاحب التقييد على « المدونة » ، وتحدث معه في الفقه ورد عليه كلمة ملحونة ، أعني على أبي الحسن ، فلما فارقه أبو الحسن قال لأصحابه : وبم يدرك هذا ؟ فقالوا : بمعرفة كتاب الفصيح لثعلب ، فحفظه الشيخ أبو الحسن في ليلة واحدة .

أخذ صاحب الترجمة عن أبي علي ناصر الدين المشدالي ، وله إملاء عجيب على بعض مختصر ابن الحاجب ، وله قصيدة سماها « نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر » مطلعها :

تبدت فغابت واختفت فتجلت * فشاهدتها حالي حضوري وغيتسي
وله شرح على أسماء الله الحسنى ، وله كلام عجيب في التصوف ، وله تقييد في أنواع فنون العلم ، وله شعر فائق ، وكان فصيحاً ، وكان يتوجه في الرسائل السلطانية ، وكان كثير التواضع حسن الملاقاة ، وهو في الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه .

قال أبو إسحاق الشاطبي في إنشاداته : حدثنا شيخنا الأستاذ العالم النظار أبو عبد الله الزواوي أكرمه الله قال : قدم شيخنا الإمام الشهير أبو عبد الله المسفر على مدينة فاس في بعض المسائل ، فلما خرج بقصد الإياب شيعه جماعة من فقهاء وأدبائها ، وسألوا أن ينشدهم شيئاً من شعره ، فارتجل هذا البيت الفذ :

شَرِّقْ لَتَجْلُوَ عَن فَوَادِكِ ظَلْمَةً * فَالشمسُ يذهبُ نورُها بالمغربِ

توفي سنة ٧٤٤ .

وناصر الدين المشدّالي يروي عن ابن الحاجب ، روى عنه أنه قال : لما كنت مشتغلاً بوضع كتابي هذا كنت أجمع الأمهات ، ثم أجمع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز ، ثم أضعه في هذا الكتاب حتى كمل ، ثم إني بعد ربما أحتاج في فهم بعض ما وضعت فيه إلى فكر وتأمل . ويعني بالكتاب مختصره الفقهي ، نقل ، هذا أبو إسحاق الشاطبي ، عن شيخنا أبي عبد الله الزواوي ، عن أبي عبد الله محمد بن يحيى المسفر صاحب الترجمة ، عن ناصر الدين المشدّالي ، عن ابن الحاجب ، رحمة الله عليهم أجمعين .

محمد بن يحيى الشريف الأغرسي

هو محمد بن يحيى ، من أولاد يعقوب بن محمد المغراوي ، من أبناء سليمان بن عبد الله .

ذكره الشيخ العلامة سيدي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد في كتابه « عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس » قال : تفقه على الشيخ محمد السنوسي وغيره من علماء تلمسان ، وأخذ الطريقة عن الشيخ المذكور ، وألبسه الخرقة ، وشرح أرجوزة الرفعي ، وله عقب اهـ .

[١١٩] أقول : وقد بحثت عن هذا الكتاب فلم يفتني به أحد إلا شيخنا الفقيه البركة عالم تلمسان وقاضيها المتمكن الأعدل العلامة المشهور سيدي أبو مدين شعيب بن علي بن عبد الله ، أبقى الله وجوده وجمعنا وإياه في دار السلام والسعادة .

وكم له من أياد بيضاء في هذا الكتاب ، رضي الله عنه ، وإشارات علي وتنبهات في رسائل بعثها لي أثناء الطبع منها ما نصه : (بعد تحلية أعتبرها من

مثله دعاء صالحاً مرجو القبول ، وتحية سنية أشهى إلى الفقير مثلي من أخلاق المشمول) ، وبعد : فإني بعد صلاة المغرب ليلة يوم التاريخ ٢٠ شعبان (١٢٣٥) كنت بالمسجد أذكر ورددي ، فخطر ببالي خاطر خير ، وهو : هل سيدي الشيخ الحفناوي حلّي كتابه « تعريف الخلف برجال السلف » بذكر من قيل فيه : إنه أول من شرح « صحيح البخاري » وسماه النصيحة ، وهو الإمام أبو جعفر سيدي أحمد بن نصر الداودي دفين شرقي باب العقبة من تلمسان ، وبذكر الإمام الجليل الشريف الإدريسي أبو السعادات سيدي عبد الجليل الطيار صاحب « تنبيه الأنام » دفين تربة وزغت من أرض الراشدية ، حيث إنهما معاً من علماء القطر بل ومن علماء تلمسان ، والأول توفي سنة ٤٤٢ كما ذكره الشريف العلمي في نوازله بقوله : وأما السؤال الثاني فجوابه أن الداودي المذكور هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي ، كان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان ، وبها ألف كتباً كثيرة منها « النصيحة في شرح كتاب البخاري » .

كان إماماً متفناً ، توفي بتلمسان سنة ٤٤٢ ، وقبره معروف بتلمسان يُزار ، زرتة رضي الله عنه في ذهابي إلى المشرق وفي رجوعي منه .

وقد حكى الجزولي التلمساني في شرحه المسمى « بكعبة الطائفين » على أرجوزة مدح بها شيخه الشريف سيدي موسى بن علي دفين شرقي أنس الوحيد الإمام السنوسي صاحب التوحيد أن شيخ الشيوخ ولي نعمتنا وخفير بلدتنا سيدي أبا مدين ، رضي الله عنه ، مشى إلى قبره زائراً مرحلة تامة ، أعني من وادي بسر إلى قبره ، والمقول فيه أن تلمسان كثيرة الأحران ملطوف بها بضريح الوادي .

والثاني أعني سيدي عبد الجليل كان في المئة السابعة قاضي القيروان ، ولما توفي السلطان أبو دبوس آخر ملوك الموحديين أثناء عشرة السبعين (٦٦٧) وجد

[١٢٠] الفرصة إلى الفرار من القضاء ، كما نص على ذلك ابن جزى في « مختصر البيان » .
فسار مغرباً من القيروان مصحوباً بخادميه السيد قيس العفناوي والسيد عبد الله
البرطيبي إلى أن وصل تربة تاسالة من ضواحي تلمسان الشرقية ، فنزل بها
وبنى مدينة الشهدة الباقية آثارها إلى اليوم ، قرب مدفن أولاده الشهداء السبعة كما
ذكره الشيخ العشماوي في كتابه في الأنساب الشريفة ، ثم انتقل إلى الراشدية .
وبها توفي كما ذكره سيدي أبو راس في تأليف نشأته المسمى « بفتح الإله ومنه
في التحدث بفضل ربي ونعمه » ، وكونه هو صاحب تنبيه « الأنام نص عليه
سيدي عبد الرحمن الفاسي في « إثم الأبصار بذكر الشرفاء الأخيار » وصاحب
« كشف الظنون » أيضاً ، والله ولي المتقين ، وهو القوي المعين . عبد ربه شعيب
ابن علي بن محمد فضل الله بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الجليلي وفقه الله
اه .

ووجدت بخط الشيخ عبد القادر المجاوي الجليلي ما نصه : ذكر ابن جزى
أن أولاد سيدي عبد الجليل بتلمسان هم : أولاد يخلف ، وأولاد سعيد ، وأولاد
أبي بكر ، وأولاد عطية ، وأولاد سيدي عبد الله بن منصور بن محمد بن عبد
الجليل الحسني ، ومن نسله سيدي شعيب بن علي قاضي تلمسان في الوقت . اه .
وللشيخ شعيب تأليف ورسائل منها « رجة الكفيل بعقائد أهل الدليل »
أوله :

يقول راجي رحمة الجليل * عُيِّدُهُ شُعَيْبُ الْجَلِيلِي
وشرحها شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي شرحاً عزيزاً ،
وقرظه المرحوم مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده تقريباً دالاً على مقدار
الرجز ومرتلة الراجز في العلم النافع ، رضي الله عن الجميع .

(فائدة) « عقد الجمان النفيس » اسم لأربع ورقات كبار (من الجرم النصفي)

قال فيه مؤلفه : ولا نذكر إن شاء الله في هذا الديوان إلا من ثبت شرفه عند أهل القرن الحادي عشر ، فمن ثبت له في هذا الأمر نسبه ، وصفا له منه مشربه السيد الفاضل المولى الكامل أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق ، أخذ عن ابن غازي محشي المختصر وغيره ، من علماء فاس ، وأخذ عنه كثيرون ، وأجازهم ، وذكر له كرامات إلى أن قال :

ومنهم ذو المزايا الجميلة والمناقب الجليلة السيد أبو الحسن علي بن عبد الجبار الفجيجي ، من أبناء عبد الجبار بن عمرو بن سالم بن عبد الجبار بن فرج بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ورضي عنه .

ومنهم العالم الجليل الرئيس النبيل النحوي اللغوي الحيسوبي الفرضي الموحد المحدث الإمام السيد أبو محمد عبد القادر بن أحمد أي المعروف بابن خده بن محمد من أبناء عبد القوي ، وانظر هل هو عبد القوي بن علي بن أحمد بن

[١٢١] عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود ابن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس ، أو هو عبد القوي بن عبد الرحمن بن إدريس بن إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ، والذي يظهر الأول ولكليهما عقب ، وللأول تلامذة ، الكثير منهم ألف في التوحيد وغيره ، ويعتمدون على ما في حاشيته على الصغرى ، ويعبرون عنه بشيخنا أبو محمد عبد القادر بن خده الراشدي ، وقبره معروف رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل دار السلام مأواه اهـ .

أقول : وإليه ينتهي نسب الأمير عبد القادر وعائلته وأقاربه ، إذ هو عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن

أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد القوي ، كما مرَّ في ترجمته فاعرفه .
 ومنهم عبد الرحمن بن عيسى بن عثمان بن عيسى بن عقيل بن أحمد بن
 محمد بن أحمد من أبناء أحمد بن راشد بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون
 ابن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن
 الحسن بن الحسن ، تفقه على الشيخ عبد القادر بن خده ، والشيخ أبي علي ،
 والشيخ محمد بن علي ابهلول (المجاجي) ، وعنه أخذ الطريقة .

قال : وأخبرني أن يحيى أبا راشد هذا مات قتيلاً ، وترك الحسن وإدريس
 وعلياً ويوسف وعامراً ، وراشداً في بطن أمه ، فلما وضعت به بقرب موته وكبر ،
 قسم المال مع أخوته ، وانتقل هو وأخوه عامر إلى غريس ، فسكن عامر مع
 البرابرة في كرسوط ، وبه توفي عن أبناء يُسمون الآن أبناء عامر ، ونحاراشداً
 نحو هواره وتزوج منهم بامرأة ولدت له أحمد وإبراهيم ، وانتقل إبراهيم
 إلى طنجة ، وبها أولاده أولاد سيدي إبراهيم الراشدي وبقي أحمد في موضعه
 إلى أن مات عن اثني عشر ولداً ، هم أصول بني راشد ، وبهم سميت معسكر
 وضواحيها الراشدية ، وقد وقفت على النسب المذكور والخبر المتصل به بخط
 العالم الشهير الولي الكبير سيدي عثمان بن عيسى جد الشيخ عبد الرحمن ، وله
 رحمه الله تلامذة منهم السيد عبد الرحمن الدرعي ، والسيد محمد بن حسناء
 وقبره برأس الماء معروف ، ومعه تلميذه الدرعي وهو أول من دفن معه .

ومنهم صدر الأصفياء وزبدة الأولياء الولي الكبير شيخنا سيدي أبو الحسن
 [١٢٢] علي المشهور بالشريف ، سكن قرية معسكر ، وكان إماماً بمسجدها المعروف
 بمسجد سيدي علي الشريف ، جمع الله له بين الشريعة والحقيقة ، مجاب الدعوة ،
 وكان بينه وبين شيخنا عبد الرحمن بن زرقه مودة عظيمة ، وسمعتة يقول لابن
 زرقه : أنت شريف الأصلين ، وقرأت عليه ما وجدته بخط سيدي عثمان بن

عيسى جده ، وفيه نسبه والخبر المتصل به ، وقال لي : هو أعرف من غيره بنسبه ونسب غيره لكثرة اطلاعه ، وكنت أعتقد أنهم من أبناء محمد بن إدريس . انتهى . وأخبرني أنه وقف على ذلك في كتاب الشيخ محمد بن أحمد النفاوي اهـ . وله ذرية ، وقبره بناحية وادي الحمام من أحواز معسكر .

ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي من أبناء يوسف بن علي بن عامر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله ، هكذا في أصل صحيح يعتمد عليه .

تفقه فيما يكفيه على الشيخ محمد بن علي ابهلول ، وعنه أخذ الطريقة ، وكان فاضلاً عابداً ورعاً زاهداً كثير الصوم قليل النوم ، وكان بينه وبين السيد أحمد بن جلال المشرفي (من ذرية سيدي يوسف بن عيسى الشريف الحسيني على ما وقفت عليه من الوثائق للعلماء) ما يسوءه ثم أصلح بينهما .

ومنهم السيد أبو عمرو عثمان بن عمر من أبناء مسعود بن عبد الله بن سعيد ابن أبي القاسم بن عبد الجبار بن عثمان بن عمر بن سالم بن عبد الجبار بن فرج ، مشهور بالزهد والورع ، كان يرعى معزه بنفسه مخافة وقوعه في زرع الغير ، وعند موته بكى أمه فقال لها : أنفَعُك بعد موتي كما كنت أنفَعُك في حياتي ، تأتي إلى قبوري وتحديثني فأحدثك ، ففرحت وبعد مدة جاءته شاكية فكلمته فلم يجبها ، ورجعت إليه مراراً نحو الأحد عشر يوماً ، ثم كلمها يا أمي لا تقولي وعد وأخلف ، فإني لما أوقفني الله بين يديه ألهمني حسن الجواب ، ولم يكن عليّ ذنب لمخلوق بحفظه سبحانه سوى أنني كنت مجتازاً ذات يوم فتعلق بي شيء من الزرب ببحيرة فلان سماه لها ، فرمته ببحيرة فلان سماه أيضاً ، فشدد علي بعدله تشديد الملوك على وزراءهم ، ثم عفا عني بمحض

فضله . له عقب ، وقبره قريب من قرية أولاد علي بن صنّاج .

ومنهم أبو عمرو عثمان بن زيان المشهور بالصنهاجي ، ذكره سيدي عيسى ابن موسى بقوله :

وللشيخ عثمان بن زيان والـذي * يُلقَّبُ بفداراً لأعلى المراكب
أتحفه الله بنسل صالح مؤلفين في النحو والتوحيد والفقّه ، وقبره بقرية
أولاد علي بن صنّاج .

ومنهم السيد أبو موسى رضي الله عنه ، طود عظيم في الزهد والورع ،
بدأ بذكره السيد عيسى بن موسى في نظمه ، ولا عقب له ، قال : وعليه يكون
الاختصار روماً للاختصار ، وقد نظم من ذكرته من الأشياخ في هذا الديوان

[١٢٣] السيد محمد بن يوسف الوقماري نظماً بديعاً جمع فيه بين شيخنا عبد الرحمن
والسيد يوسف بن علي بن حمود ، وذكر فيه أن من توسل بهؤلاء الأشياخ
إلى ربه في حاجة تقضى له ، ولم أجده الآن ومن وجدته فليجعله بين النسب
وخاتمه الكتاب ، وله الأجر من المولى الوهاب اهـ . ما في «عقد الجمان النفيس»
باختصار وقد نظمهم الشيخ شعيب المذكور هنا وأول نظمه :

يقولُ عبد ربِّهِ شَعِيبُ * وَفَقَّهُ اللهُ العَظِيمُ الربُّ

رضي الله عن الجميع وعنا بهم آمين .

محمد بن النجار التلمساني

محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني نادرة الأعصار قال العلامة
الإبلي : ما قرأ علي أحد حتى قلت له : لم يبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار .

قال المقرئ : ذكرت يوماً ما حكاه ابن رشد في الخمر أنها إذا تخللت
بنفسها طهرت ، واعترضته بما في الإكمال عن ابن وضاح : لا تطهر ، فقال لي :

لا تغتر بقول ابن وضاح فإنه يلزم عليه تحريم الخل ، لأن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمراً .

وذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة : وهي أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل وإن علا ، فقال : إن تركب لفظ النسبة العرفية من الطرفين حلت وإلا حرمت ، فتأملته فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركيب من الطرفين كابن العم وابنة العم ، ومقابله كالأب والبنت ، والتركيب من قبل الرجل كابنة الأخ والعم ، ومقابله كابن الأخ والخالة اهـ. بنقل ابن الخطيب في « تاريخ غرناطة » ونقله الونشريسي في فوائد المقرئ أيضاً ، ولما أوقفت شيخنا الفهامة محمد بن محمود بفتح على هذه الفائدة أعني قوله : إن تركب الخ تأملها وعجب بها كثيراً وصار ينقلها في دروسه رحمه الله .

قال المقرئ : لم يكن ابن النجار بصيراً بالفقه وإنما عنده ذكاء زائد اهـ . قلت : وإنما ذكرته في هذا الذيل لهذه الفائدة اهـ . « نيل الابتهاج » .

سيدي محمد بن يعقوب الفجيجي

[١٢٤] الشريف الفاضل العارف الكامل أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج محمد ابن يعقوب بالقاف المعقودة بن القاسم الفجيجي السليمانى الفراري الدرقاوي طريقة .

كان رحمه الله من خاصة أصحاب الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وفضلاتهم ، وله تلامذة وأتباع ، وأخذ عن غير واحد من الشيوخ وانقطاع ، وكان يخبر بالاجتماع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً ، ويشير كثيراً

إلى ما أنعم الله به عليه من ذلك ويتحدث به ، ورأيت له تأليفاً سماه « مرتع القلوب من حضرة علام الغيوب » أخبر فيه بأشياء مما من الله به عليه .

منها قوله : شاهدته عليه السلام وهو يبكي ويمرغ وجهه في التراب ويقول : يا حسرتي على أمي ثلاث مرات ، جهلوا مولاهم وتركوا سنتي واتبعوا أهواءهم .

محمد بن يعقوب البجائي

محمد بن يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي البجائي أبو عبد الله ، يُعرف بالزواوي .

كان حافظاً فقيهاً مستبحراً في حفظ المسائل والفروع ، ولي قضاء بجاية ، ثم أخرج عنه ، وكان صديقاً للناصر المشدالي .

قال الحضرمي في « فهرسته » : أخبرنا ولده صاحبنا الفقيه الخير أبو يوسف يعقوب قال : لما صرف والدي عن قضاء بجاية لقيه شيخنا الإمام ناصر الدين المشدالي ، وكان صديقه ، وسأله عن حاله واعتذر له ، وأعلمه أن صرفه عن القضاء شق عليه ، وأنشد في الحال وحفظه والدي بين يده :

يعزُّ علينا أن نرى ربكم يئلى * وكانت به آيات حكمكم تُتلى
فشكره والدي وأثنى عليه خيراً .

ورد علينا أبو عبد الله المذكور المرية رسولاً وأقرأ فرائض مختصر بن الحاجب بحضرة جماعة من شيوخنا كأبي عثمان بن أيدن ، والقاضي أبي الحسن البلدي ، والكاتب المتفنن أبي عبد الله بن عمر وغيرهم ، وكان القاضي أبو عبد الله المذكور فقيهاً ابن فقيه ، مليح البحث حسن النظر حافظاً مستبحراً في علم المسائل والفروع ، مشاركاً في فنون العلم ، فاضلاً عنده حظ من الأدب .

أخذ عن والده وعن الشيخ المحدث أبي محمد عبد العزيز بن مخلوف بن كحيل
وغيرهما .

توفي يوم الجمعة ثاني شوال عام ثلاثين وسبع مئة (٧٣٠) ، والزواوي
نسبة لقبيلة كبيرة من البربر بفتح الزاء وكسرهما ، وولده صاحبنا أبو يوسف
المذكور ، كان فقيهاً معظماً خيراً فاضلاً اهـ . « فهرسة الحضرمي » .

[١٢٥] الشيخ المختار الجلابي

صاحب الفتح الطالع والكشف اللامع والبصيرة الخارقة والسريرة المشرقة
والكرامات الباهرة والأحوال الفاخرة والمقامات الجليلة والحقائق النفيسة والمعارف
السنية والمنازل الرفيعة من مراتب القرب والتصدر المتعالي في مجالس القدس ،
وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود ، وصرفه في أحكام الأحوال ،
وقلب له الأعيان ، وخرق له العادات ، وأظهر على يده العجائب ، اشتاقت
نفسه في حال بدايته إلى شيء من الأكل ، فعاقبها بصيام ثلاث عشرة سنة
بصيام نهارها وقيام ليلها ، وكان كثير الإنشاد في مدح شيخ شيخه سيدي محمد
ابن عزوز ، وله كلام في الحقائق والوعظ ، وكان يربى بالهمة والحال ، جماله
أكثر من جلاله ، ظريفاً لطيفاً نظيفاً طويل القامة قليل شعر اللحية ، وقد أرخ وفاته
سيدي محمد المكي بن عزوز أبقاه الله وأعزه آمين بقوله :

فقد الهداة من الوري ليل دجا • من صدمه الإسلام أصبح مزعجا
لا سيما شيخ جليلٌ بساذخ • بذر الرشاد ومنه شاد الأبرجا
كالسيد المختار منشور الهدي • كم من رجال في الطريقة درجا
سعدت بترته بنو جلال قد • أضحت مناراً في البلاد مبرجا
أمسى مجاور خالد بن سنان ال • عبي نبي الله مفتاح النجا

نعم الجوارُ اختارَ لكن ذاتُه * حُجبت كشمسٍ بعدها ليلٌ دجا
فجعتُ بذاك أواسطَ الغربِ التي * أحيا بذكرِ اللهِ فيها المنهجَ
لولا خليفَتُهُ محمدُ الذي * بعلمِهِ كربِ المصيبةِ فرجَها
لكنَّ حضرةَ ذا الشريفِ القاسمي * أطفأ حريقاً في القلوبِ توَهجَها
مُتعتَ يا مختارُ في دارِ البقا * بزيادةِ الحُسنِ ونلتَ المرتجى
يومَ الرحيلِ أنتَ ملائكةُ الرضى * تسعى ووجهُ البشرِ ثمَّ تبلَّجَها
زفوا بروحك كالعروسِ عزيزةً * لك رافعونَ على الأُكفِ متوجَّها
جناتِ عدنِ زُحرفتُ وبيابها * رضوانُ مأموراً بها مُستَهجَها
والحورُ رافلةٌ صفوفاً كالظُّبا * مقصورةٌ بخيامهنَّ على رَجَّها
ولو انهنَّ سُئِلنَ عن تلكَ الحُلا * لأجبنَ وهي تُورِّخُ : المختارُ جا

عام ١٢٧٦

[١٢٦] وخليفته الآن في زاويته بأولاد جلال الشيخ سيدي محمد الصغير ، الرجل الصالح ذو الفيض الطافح بالعوارف والمعارف ، أطال الله عمره ونفعنا ببركته آمين .

مروانُ بنُ عمَّارِ البجائي

أبو الحكم مروان بن عمار بن يحيى الشيخ الفقيه الأديب النحوي اللغوي .
من أهل بجاية سمع أبا محمد عبد الحق الاشبيلي ، ودخل الأندلس فسمع
أبا محمد عبد المنعم بن الفرس ، وأبا القاسم بن حبيش ، وأبا عبد الله بن حميد
فأخذ عنه بعض سيرته ، وكان من الأدباء النبهاء مشاركاً في أبواب من العلم .
حسن الخط جيد الضبط ، كتب للولاءة ، ثم ولي القضاء بالمرية ، ثم أحرَّ عن
ذلك رحمه الله .

سيدي مصطفى الرماصي

العلامة المتفنن المحقق والجهيد النقاد المدقق ، من أذعنت له في وقته الأقران ، ولم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان ، وتزاحم على بنات فكره وعرائس سره الداني من أهل العلم والقاصي ، الشيخ الإمام القدوة سيدي مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي ، نسبة إلى رماصة ، قرية صغيرة من قرى مستغانم ، هذا هو الأشهر في عنوانه ، وقد يدعى عند بعضهم بأبي عبد الله محمد بدل مصطفى ، لكنه خلاف الجاري على ألسن العلماء وعملهم في الرمز إليه كما في البناني وغيره .

كان رحمه الله تعالى ممن اشتهر بالتحقيق والتحرير والمثانة في الدين ، وسمع الكلمة عند السوقه والأمير ، مع لين جانب وتوعدة وتسليم وسريرة صافية وقلب سليم ، ومع ذلك ربما يقول في بعض فتاويه لمن يتخيل منه إباية أوتساهلاً فينا يلقي عليه : فإن امتثلت وإلاً فسهام الشريعة صائبة مسمومة ، وعادة الله بهتك من أعرض عنها واضحة معلومة ، ورحل رحمه الله إلى مصر في طلب العلم واكتساب الآداب ، واقتنى النفائس واجتلى العرائس عن أكابر أهلها من الأصحاب ، ورحل قبل إلى بلد مازونة ، وأخذ عن أكابر أهلها من أسلاف السادات الراسيين ، وموضع درسه من مسجدهم إلى الآن مشار إليه ومتبرك به ، ويتنافس الطلبة على الجلوس فيه .

ومما يناسب هنا ما حكاه لي العلامة سيدي محمد أبو راس مفتي الديار المازونية الآن أنه سمع من جده سيدي أحمد بن سيدي هني أن الشيخ مصطفى الرماصي ، وسيدي عمر بن دوبة ، وسيدي العربي بن الحطاب كانوا مسافرين بمازونة لقراءة الفقه على أحد الشيوخ من أسلافهم الأقدمين يعني أسلاف سيدي أحمد بن سيدي هني المذكور. فذات يوم أذن لهم الشيخ في الأنصراف ، وأمر كلا

بالرجوع إلى وطنه ، وقال للشيخ مصطفى : أنت المذهب ، وللشيخ عمر أنت [١٢٧] الولي ، وللشيخ العربي أنت البندير ، ففرح الأولان واهتم الثالث واغتاظ ، ووقع في قلبه شيء من مقالة البندير ، وحكى لوالديه ذلك ، فسألاه هل قال لك الشيخ ذلك في حالة رضى منه أم سخط ؟ فقال : بل في حالة رضى ، فقالا : إذا لا بأس عليك ، فلم يطمئن قلبه حتى انطلقا به إلى شيخه متضرعين طالبين العفو والرجوع عن كلمة البندير ، فأجابهما الشيخ بأن هذه قسمة وقعت من سيد الوجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن كرهتموها فقد كرهتم قاسمها ، ففرحوا حينئذ بذلك وكان من أمره أن صار يمدح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويذكر شمائله بحضرتة ، ومدحه يماثل مدح سيدي الأخضر مما هو محفوظ عند أولاده مقررا .

وتأليفه رضي الله عنه بديعة عزيزة المنال ، لا زال الأفاضل يقتنونها مستصغرين فيها نفائس الأموال ، منها شرحه على متن السنوسية ، ذكر أنه أشبع فيه الكلام على ما يتعلق بالبسملة والحمدلة ، ومنها وهو أشهرها حاشيته على شرح شمس الدين عامر بن ضرب العدواني التتائي على متن أبي الضياء سيدي خليل في فقه مذهب مالك بن أنس رضي الله عن الجميع ، قال في طالعتها بعد البسملة والصلاة وتعريفه بنفسه : لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله إذ به تُعرف الأحكام ، ويتميز الحلال من الحرام ، وقد صنف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى الخ . ولم نقف أيضاً على تعيين مولده ووفاته ، غير أنه كان في حدود أوائل القرن الثاني عشر بيقين بمسئدات لا شبهة فيها ولا مين ، هذا ما يسره الله تعالى من ذلك المطلوب ، وصلى الله على الحبيب المحبوب ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مصطفى بن الشاوش القسنطيني

العلامة الشيخ أبو الوفا مصطفى بن الشاوش أديب زمانه وفريد أوانه ،
ذو العلم الجليل والفضل الشهير ، كان متعلقاً بمذهب أبي حنيفة متبحراً في
العربية بفضونها .

أخذ عن الشيخ صالح بتونس ، ورجع لقسنطينة فدرس وأقرأ ، وخطب
بالجامع الأخضر وأفتى على المذهب النعماني ، وعرضت عليه الفتوى بعد موت
الشيخ مصطفى باش تارزي فرفض ، ومات سنة ١٢٥٢ .

[١٢٨] مصطفى العجمي القسنطيني

العلامة الشيخ مصطفى العجمي فريد الوقت والزمان كان يشار إليه في
الفقه المالكي وحله لمعضلاته ، أكمل شرح الشيخ سالم السنهوري على مختصر
خليل ، وتولى الإمامة بجامع سوق الغزل ، حتى مات في حدود سنة ١٢٤٠ .

مصطفى بن عبد الرحمن القسنطيني

الشيخ مصطفى بن الولي الشهير سيدي عبد الرحمن باش تارزي . كان
أعجوبة أوانه علماً وحفظاً وورعاً وديانة ، حاملاً لواء المذهب الحنفي ، ممثلاً
من علمي المعقول والمنقول ، عارفاً بالفلك لا يشاركه فيه غيره ، شاعراً مجيداً ،
ولي الفتوى الحنفية ، ثم القضاء ، ثم الخطابة بجامع سوق الغزل ، ثم بجامع
القصبة ، ثم سيدي للكتاني .

وله مؤلفات عزيزة منها : « تحرير المقال في جواز الانتقال » ورسالة في الوقف على مذهبه ، وشرح منظومة الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن في الحساب ، مقتصراً على العمل دون التبيين لكلامه .

توفي عام ثمانين وتسع مئة (٩٨٠) انتهى من « منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية » للشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفكون القسنطيني .

منصورُ بنُ عبدِ الحقِّ المشدَّالي البجائي

قال الغبريني :

أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدَّالي الشيخ الفقيه المحصل المتقن المجيد المتفنن من أصحابنا ومعاصرنا في الوقت ، رحل إلى المشرق ولقي أفاضل منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ صدر الدين سليمان الحفني ، وشرف الدين بن السبكي ، وشمس الدين الأصبهاني ، وأفاضل غير هؤلاء .

قرأ وحصل له علم بالفقه وأصول الفقه والدين ، وله مشاركة في علم المنطق وعلم العربية ، وكل هذه تقرأ عليه ودروسه حسنة منقحة ، وله عبارة جيدة ، وهو كثير البحث ، ومحفته في البحث أكثر من محفته في النقل ، ويتكلم على تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيد ، وهو من أهل الشورى وأهل الفتيا ، وله شرح على رسالة أبي محمد بن أبي زيد ، ولم يستكملها ، وهو لا بأس به ، وتحصيله لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين وعلى طريقة المتأخرين ، وهو ممن ينفع بالأخذ عنه والسمع منه .

أوحد زمانه وسراج أوانه ، حامل لواء كل فن ، وواصل ما ظهر من العلوم بما بطن ، المشار إليه عند الكل بالمقام السامي ، العلامة الناصح والولي الصالح سيدي معزوز البحري المستغامي ، لم يعرف عندنا بغير هذا من قديم ، غير أن ما أشهر الله من أمره وأظهر عليه من حلال فضله أغنى المعرف عن التعريف ، وطرزه بطراز التكريم والتشريف ، واشتهر بما ذكر لكون متعبده ومدفنه وما بني عليه كان على جبل بشاطيء البحر بمستغانم ، إلى أن أحدث بناء المرسى في البحر من ناحيته ، فاحتيج للجبل الذي هو فيه فأمر بنقله فنقل إلى مقبرة البلد ، ودفن بطرفها الموالي للبحر ، وكان نقله في يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة سبعة وثلاث مئة وألف (١٣٠٧) موافقاً ٦ ابريل سنة ١٨٩٠ ، واجتمع لنقله ودفنه خلائق لا تحصى ، وأظهر الله في ذلك المشهد مما يؤذن بجلالة قدره ، ويحق أن يُسطر في مناقبه ما لا يستقصى .

وله رحمه الله ورضي عنه تأليف مفيدة معتبرة بعبارات مبسطة محررة ، وله قوة في الاستظهار وعلى ما يستظهره لوائح القبول والاعتبار ، وقفت من تأليفه على شرحه على متن السنوسية ، قال في خطبته : الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله ، ويوافي ما تزايد علينا من نعمه وأفضاله ، لا أحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه الخ ، وله في هذا الشرح فوائد حسنة رائقة ، وتنبهات مفيدة فائقة ، منها قوله في مباحث الحمد :

نبيه : صيغة الحمد في الحديث يُحتمل أن تكون معينة ، ويُحتمل أن يكون المراد منها مادة الحمد ، وإن كانت بلفظ الفعل كأحمد ، وأن يكون المراد معنى الحمد ، وإن لم يكن بلفظه حتى لو بدأ بالبسملة ونحوها كفاء ، ولأجل هذه

الاحتمالات توسع الغالب في ذلك اهـ. ثم قال : وعدل المصنف عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية لفوائد الخ فذكر لذلك ستة فوائد ، تُعلم بالوقوف عليه .

ومنها نظمه لمتن السنوسية ، وهو في غاية البسط والبيان والتحرير والاتقان ، ومنها شرحه على متن السلم ، أخبرني به من أثق به ممن وقف عليه ، ونقل لي بعض عبارته فيه ، كقوله باللفظ أو بالمعنى في مبحث تقديم التصور على الحكم ، وذلك باعتبار الأصل والغالب ، وقد يعكس كما في قول المختصر : جاز الخلع وهو الطلاق بعوض اهـ . إلى نظائر من هذا القبيل يمثل فيها بالمختصر ، [١٣٠] ثم إننا لم نقف على تاريخ وفاته غير أنه كان في حدود أواسط القرن الثاني عشر بيقين ، أو ما في قوته أخذاً من القرائن الدالة على ذلك من كلامه وغيره ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً اهـ . من خط التحرير مفتي مستغانم الحالي .

موسى بن عيسى المازوني

أبو عمران موسى بن عيسى المازوني عالم جليل وعامل أصيل ، تمكن في السنة حتى لم يدع للبدعة مدخلاً إلا سده ولا لأهلها مقتلاً إلا قدّه ، فهو في الدين طود شامخ ذو مجد باذخ على أولياء الله مناضل ، وفي سبيل الذب عن حماهم مقاتل .

وقفت له على تأليف عظيم القدر كبير الفائدة ، لخصه من كتاب له في مناقبهم سماه « ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار » واقتصر في ملخصه على مناقب المشيخة المشتهرة بالصلاح في أوطان شلف (الوادي المعروف) ، وذكر فيه علماً كثيراً نافعاً يغسل أدران القلوب ، ويعذب اطلاعه لكل معتقد

أديب ، ولكنه لم يزد على مناقب سيدي واضح الشلبي ، وسيدي أبي يعقوب ،
وسيدي أبي عبد الله الهواري التنسي ، وسيدي فاتح بن يوسف ، وسيدي أبي
يحيى ، وسيدي يحيى بن امهبول .

أما المؤلف نفسه فلم أجده مترجماً إلا بما قل في « نيل الابتهاج » لسيدي
أحمد بن بابا التنبكتي ونصه : موسى بن يحيى^(١) بن عيسى المازوني المغيلي
قاضي مازونة .

وصفه بعضهم : بالفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل ، وهو
والد صاحب النوازل ، ولصاحب الترجمة تأليف في الوثائق سماه « الرائق في
تدريب الناشء من القضاة وأهل الوثائق » في مجلد ، وذكر فيه عن أبيه ، عن
شيخه القاضي أبي محمد عبد الحق الملياني ، وهو ممن يعول على قوله لمعرفة
ودينه : إن ملك اليتيم أمره وطلب محاسبة وليه ، أو طلبه الوصي بفور إطلاق
الوصي له يستحب تأخير المحاسبة بينهما سنة من وقت إطلاقه ، بخلاف محجور
ولي القاضي ، فإن له محاسبته إن أحب بفور إطلاقه ، إذ لا تهمة عنه لأنه
إنما يطلقه بظهور رشده . اهـ . ما تيسر من ترجمة هذا السيد ، رضي الله عنه
ونفعنا بركاته آمين .

سيدي ناجي

الشيخ سيدي ناجي له أولاد حازوا المعالي من قدم الزمان ، وقد وجدت
كثيراً من الفضلاء منهم في محلهم ، منهم سيدي محمد بن الطيب ، وسيدي
أحمد بن ناصر ، وفقهاء وقراء ، وفيها الولي الصالح تلميذ الشيخ سيدي أحمد
ابن ناصر ، وهو السيد عبد الحفيظ أعني أولاده ، وأما هو فقد وجدته ميتاً قبلي

(١) هذا زائد عليه في ترجمته أخيراً « نيل الابتهاج » ومخالف لما في كتابه الذي نقلت منه ما تقدم فتأمل .

[١٣١] بنحو شهرين ، ولم آخذ عنه مباشرة ، وإنما أدركت الذي أخذ طريقه وهو سيدي بركات ، وإخوانه ، وأولاده ، وسيدي السعيد ، ومدرس المسجد ، وغيرهم من طلبة العلم وفضلاء الوقت ، فإن النحو عندهم يعتني به الصغير والكبير حتى إنهم اشتهروا به اشتهاراً بيناً ، وبالجملة فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة غير أنهم يتحاسدون في تولية الرئاسة ، كانت بأمر رباني والآن صارت بالضد والعياذ بالله ، أصلح الله حالهم ووفق كلهم ، ونفعنا ببركة أسلافهم آمين .

وفي تلك الحجة وهي سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف (١١٥٣) ذهب معنا العلامة الفاضل والمنور الكامل سيدي أحمد التليلي تلميذ سيدي عبد الحفيظ المذكور ، كان كريماً فاضلاً بحيث لا صبر له عن إطعام الطعام في الطريق ، وكان يعرف السنن كثيراً على أي زرت معه في بدر ومكة والمدينة المشرفة ، فكأنه هو الذي وضعهم في التراب ، وله يد في العلوم كلها من غير تخصيص أي العلوم الظاهرة ، فقد كان واحد عصره وفريد زمانه ، وكذا علوم الحقائق ، ومثله علم الأوفاق بأنه لا نظير له فيما علمت ، ومع ذلك إنه موفق غاية التوفيق ، وأقبل على الله بكله بالتحقيق ، وقد طلبني لعلم الأوفاق لآخذه عنه فامتنعت لكون قلبي متعلقاً بالله ، بحيث لم يترك لي سواه غلبت علي سطوة الوارد .

وكان رضي الله عنه يكتب المعارف يسمعها مني حين يتعدى علي سلطان الوجد ، وكان بديع الخط سريع اليد فيه ، وكان ينسخ في برقة كراساً ، وأظنه من القالب الكبير من رحلة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر ونحن مسافرون ، وأما يوم الإقامة فكان ينسخ أكثر من ذلك ، وقد زبر في برقة رحلة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر ، وزاد كتاب الصباغ في كرامات الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف ، وقدر الجميع بما يقرب من ستين كراساً ، ورجعنا جميعاً إلى

أن نزلنا توزر ونقطة ، وزرنا جميعا الولي الصالح والقطب الواضح سيدي عبد الحق فيها ، ولم تكن له طريق وإنما طريقه من فاس إلى قفصة ، ثم إلى محله ، فرأيناه وهو بين قفصه وتبسة ، وقد زرت محله والحمد لله ، وانفصلنا عنه حين ارتحالنا من نقطة ، وعند الاقتراق أزال جبة صوف عن جسده فألبسها لي ، فعلمت أن الله تفضل علي بذلك اهـ. ورتيلاني .

[١٣٢] سيدي الهادي

كان رضي الله عنه مقبلاً على الله ، وله بسطة في الدنيا ، وأقبلت عليه الناس ، ثم بعد ذلك امتحن بأن تعدى عليه طلبة الشيخ سيدي أحمد بن إدريس ، فنجاه الله وسلم ، ثم إني رأيت له قصيدة كبيرة في شأن هؤلاء الطلبة المعتدين ، وإن خصها ببعض أوزان الشعر فإن مذهب المتقدمين لا يشترطون ذلك ، وإنما هو مذهب المتأخرين على أنه إن استقامت حالة الإنسان ، وكانت همته عالية متعلقة بالله تعالى لا يضره مخالفة القوانين الأدبية ولا غلبة العجمة ولا قلة العلم ، وقد ذكر فيها أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له : سيهلكهم الله وكان الأمر كما ذكر بأن شنت الله جموعهم ، وفرق أمرهم تفريق يد سبأ ، وإن بقيت منهم حثالة فقد رق حالهم وضعف أمرهم غير أنه إن بقي منهم ولد واحد لا يخلو من التعدي والظلم .

نعم بركة الشيخ سيدي أحمد بن إدريس تعميم فيتوبون ، ولعل الله يهديهم أو يهلكهم إن لم يعلم ذلك منهم ، وبركة الشيخ سيدي الهادي هذا ظاهرة على ذريته أرشدهم الله تعالى ، وزيارة هذا الشيخ بعد أن زرنا مقام الشرفاء في بو جليل ، فإنهم أهل فضل وبركة وعناية ، وقد اجتمعنا معهم في الجد الأعلى وفي الشرف على ما كنا نسمعه من أعالي أسلافنا اهـ. ورتيلاني .

سيدي واضح الشلبي

قال العلامة أبو عمران موسى المازوني في ملخص كتابه « ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار »: كان الشيخ سيدي أبو البيان واضح فيما حدث عنه الثقات ، قاهراً لأحواله مجتهداً في العبادة ، دائم التوجه إلى الله ، قامعاً لشهوته ، خرج في مبدأ نهايته عن أكل هذه المؤلفات لا سيما ما جرى منها على ملك احد ، كان رحمه الله كشيبة الراعي عاملاً صواماً قواماً إلى أن صار لا يفطر إلا على رأس أربعين يوماً بشيء من الخبز وحب الجودر ، ونبه على ذلك حفيده الشيخ المبارك عبد الله بن يوسف في قصيدته التي جمع فيها ما صح لديه من كراماته ، ثم انتهى حاله في أخير عمره إلى أن كان من الروحانيين إلى أن قال :

قد مات قومٌ وما مات فضائلهم * وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتٌ
واعجباً لأحياء تموت برؤيتهم القلوب ، وأموات تحيا بذكرهم القلوب .
كان إمام فريضة الشيخ الفقيه الصالح سيدي عزوز ، وكانت كهوف سيدي واضح في جبل وافرشان .

كان اشتهار أمر الشيخ سيدي واضح في أواسط القرن السابع . قال حفيده :
واشتهر حاله في أوائل الستين منه ، وخضع لأمره بعد الامتحان أبو يحيى يغمراسن ابن زيان لما نزل عليه بجيوشه ومحلاته بأعلى خنق رهيو بالموضع المعروف الآن بوزاني ، وكان أبو يحيى أحد حذاق وقته ، وهو إذ ذاك رئيس عبد الوادي وخليفته وذروة سنامها ، وكذلك قصده لذلك أمير تجين محمد عبد القوي ، وتوفي يغمراسن بعد الثمانين بعامين أو ثلاثة من القرن السابع هـ .

وذكر في هذا الكتاب القاضي عثمان وأبا مهدي عيسى بن فكرون الحاج الصالح فقال : كان أبو مهدي فاضلاً متخلقاً عابداً مجتهداً حج البيت خمساً

وعشرين مرة ، وقبره بمقبرة من جبل وانشريس مشهور معروف يُزار اه .
وقال بحثت على تاريخ مولد الشيخ سيدي واضح وعام وفاته فلم
أجد علم ذلك عند أحد ، وكذلك ذكر حفيده أبو محمد في قصيدته إلا أنه
توفي عن تحقيق في أواخر القرن السابع ، وزعموا أنه تلميذ الشيخ الصالح العابد
المتبرك به سيدي أبي يعقوب ابن السيد العالم القدوة أبي عبد الله محمد بن محيو
الهوري الشهير بالأبرش .

قال لي شيخنا أبو زكرياء : قرأ بالشرق طويلاً حتى تفقه ، وكان ابنه عبد الله
من الفضلاء الأخيار ، شهد له أبوه بالسبق في خدمة الحق ، مشى معه يوماً في
الخدق المعروف الآن بتيسكريون فقال لأبيه : انظر إلى بيت الله الحرام
فرآها ، وللشيخ أبي يعقوب خديم اسمه يوسف قال له : ما بال وجهه
معوجاً ! فقال له الخديم : بل رأيت وجهك في وجهي ، فسأل الشيخ فوجده
كذلك ، ولما بحث وجد نفسه أكل تيناً من غرس غرسه في بقعة والبقعة
مغصوبة اه .

وقال في موضع آخر : وقد ذكرنا جملة من صلحاء البوادي في مختتم
تأليفنا « حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه » وعقدنا فيه فصلاً
جيداً تضمن فوائده تنبسط لها خواطر طالبي هذه الطريقة إلى أن قال : ومناقب
الشيخ سيدي أبي يعقوب كثيرة ، لكننا لم نثبت منها هنا إلا ما صح عندي
على السنة الأخيار الفضلاء ، وقبره ببني حلوان بساحل مازونة مشهور متبرك
به ، فلا يرى من استند لحرمة سوءاً ببركته وبركة سلفه الصالح ، ويذكر
أهل هذا الجيل من عشرة السبعين من القرن الثامن أنه شريف وحفدته يذكرون
ذلك ، وتحقق ذلك عند شيخنا الأستاذ أبي زكرياء ، وفي قلب والدي من ذلك
شك ، لكن عقبه أخلاف لم يصونوا حرمة ولا اتبعوا طريقته ، ولم أعرف له

وقت مولد ولا وفاة ، والناس إلى اليوم يعظمون قدره ويلمون بقدره ، وزعموا أنه تلميذ الشيخ الصالح أبي زكرياء المغيلي ١ هـ .

وذكر بعد ذلك مناقب الشيخ أبي زكرياء المغيلي ، وحلاه بأوصاف عالية وقال : هكذا وصفه الشيخ الصالح الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي في كتاب « التشفوف إلى رجال التصوف » وأخبرني الأستاذ أبو زكرياء يحيى بن علي أن رجلاً من أهل تنس صدرت منه يمين بالطلاق ثلاثاً ليحجن هذه السنة ، فأبطأ حتى دخل شهر ذي الحجة فاقضى نظر القاضي إذ ذاك أبو علي حسين بن محمد بن إدريس المازوني عزل زوجته عنه ، فذهب الحالف للشيخ سيدي أبي يعقوب فأعلمه بقصته ، فأمر بطبخ ثلاث دجاجات ورغائف ، ولف الجميع في منديل وعمد إلى الرجل وشده على ظهره ، وجعل المنديل بينهما وقال له :

[١] أثبت ، فطاربه حتى بلغ مكة ، قال : فلا أدري أوصل به في ليلته أم بعدها ، وأمره بقضاء مناسك الحج ، وانه إذا فرغ كتب وثيقة عند قاضي مكة بحجه هذه السنة ، ففعل ولما انصرف للمدينة لزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم خاطب له أيضاً قاضيها ثم رجع لبلده ، فجعل لا يمر ببلد إلا ويخاطب له قاضيه على وثيقة ، حتى وصل تنس واستظهر بذلك عند أبي علي حسين ، وأثبتها لديه كما يجب ، فاستكشفه عن كيفية وصوله فقصر عليه نبأه فاعتبر ، وأطال الإعجاب وقال له : انصرف لأهلك هذا لا يستغرب في حق أولياء الله تعالى .

وكان والدي رحمه الله والأستاذ أبو زكرياء يقولان عنه أي عن أبي زكرياء المغيلي : إنه آية من آيات الله في العلوم ، فقيه حافظ محقق ، له قدم عالية في معرفة الحديث ، قالوا : حدث عنه من أدركنا من الفضلاء أنه يحفظ سبعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ، وغير ما مرة قال لي أبي : إذا حدث عنه كان أبي يحدثني عنه هو وغيره من أسلافنا أنه كان إماماً ثبتاً محققاً مشاركاً في فنون العلم ، يستحضر نحواً من أربعين ألف حديث بإسنادها ، وناظره مرة بهذا

المسجد يعني مسجد حومتنا عالم قدم من بلاد المصامدة في غير ما فن فوجده ثباتاً في كل ما ناظره فيه ، فلما أعياه أمره أخذ معه في طرق الحديث فتبسم ، وقال يا فقيه : الآن بلغت فني وبضاعتي فتعجب منه اه .

وذكر بعده سيدي أبي زكرياء يحيى بن محمد الجراري ووصفه بالورع ، وذكر حكاية تدل على ورعه ، وهي أن زوج أخته بعث إليه سمناً من ماشيته ليأكله الصالحون ، فرده واعتذر له بأنه لا احتياج إليه ، فلم يقبل عذره وظن أنه أساء الظن في مكسبه ، فقال له : أنت تترك ماشيتك ترعى في أراضي المسلمين وأنا أطعم سمنها للصالحين؟ اه ثم قال : قال لي الأستاذ أبو زكرياء إن الشيخ أبا زكرياء المغيلي ليس من مغيلة جبل وانشريس ، وإنما هو سفياني أو خلطي من عرب المغرب ومغيلة جماعة من تلك القبيلة ، وذكروا أنه تلميذ سيدنا الشيخ العالم العامل القدوة أبي عبد الله محمد بن محيو الهواري الشهير بالأبرش الذي ذكر أبو يعقوب التادلي في تأليفه أنه من أهل بلد تنس ، كبير الشأن من أهل العلم والعمل ، وسبب برشه أنه كان جميل الصورة فظن لنظر النسوة إليه ، فسأل الله تغيير صورته ، فانتفض عليه طائر ورشه بماء ، فبرش منه :

ذَرِ الدُّنْيَا وَإِنْ زَانَتْكَ حُسْنًا • وَلَا تَفْرُزْكَ رَبَّاتُ الْحِجَالِ
فَلَيْسَتْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ تُخْشَى • أَضْرَمِ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ

قال : أتيت في ابتداء أمري عبدالسلام التونسي فقلت له : دلني على أمر ، فقال لي : اذهب لسوق الكتب فأول كتاب تجده في يد الدلال فادفع إليه ثمنه ولا تفتحه حتى تأتيني به ، فجثته به فقال لي : هذا سفر من الإحياء وقد أرشدك مولاك لما تنظر فيه ، فنسخت كتاب الإحياء حتى حفظته اه .

قال وكراماته أي أبو زكرياء المغيلي أعاد الله علينا من بركاته مشهورة ، وما قيده منها هو الذي تحققته على السنة الفضلاء ، وقبره مشهور متبرك به في جبل

بيسة ، بينه وبين بلد تنس أميال ، ولا أعلم له عقباً ا ه .
 وذكر بعده سيدي فاتح بن يوسف قال : ومن الأولياء المعدودين بهذه
 البلاد الشيخ الصالح سيدي فاتح بن يوسف ، كان عابداً ناسكاً فاضلاً ذاكراً
 داعياً مبتهلاً ، حدثوا عن أخيه سيدي يعقوب عنه أنه كان جالساً بموضع
 يسمى بوحوي مختلياً بنفسه للدعاء والذكر ، فصار يكثر من الصلاة على الأمين
 جبريل عليه الصلاة والسلام ، فخطر به ومسح عليه بجناحيه ، ويحكى عنه أن
 خديمه فقد كبشاً من كبشين اشتراهما للعيد ، فقيل : إنه أكله أسد قرب العمارة .
 فذهب إليه وفتح فاه وقال : لم أجد في أسنانه أثراً من الكبش ، ظلمتم هذا
 المشوم ، وأمره بأن يتعشى بشاة من غنم بخيل من بني ميحة ، فذهب الأسد
 وفعل ما أمره به الشيخ ا ه .

وذكر بعد ذلك بورقات أن سيدي فاتح (أى فى منامه أن الشيخ سيدي واضح
 جعل فى عنقه حبلاً وجره إليه ، فلما استيقظ قال : وجبت على زيارته ، وذهب
 إليه ولما قرب منه قال سيدي واضح : قوموا بنا نتلقى الزائر ، فلما رآه تبسم وقال
 له : يا فاتح لم لا تجيء حتى جعل الحبل فى عنقك ا ه . قال وعلى اسم الشيخ
 سيدي فاتح تسمى والد الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد بن فاتح بن يعقوب ،
 لأنه ولد ليلة مات ، وهذا الفقيه بقيد الحياة الآن مشهور بالخير والدين ا ه .
 قال : ومن الرجال المشهورين بالصلاح ببلدنا سيدي أبو يحيى ، ذكروا أنه
 من أشرف ساحل تدلس ، ومن حفدته الشيخ سيدي علي بن عبوفاضل ، دين معه
 صلابة فى قول الحق ، دائم الذكر ، رأيت مراراً وتبركت به ودعا لى . والصالح
 الزكي الورع أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبى يحيى المذكور كان فى زمن
 السلطان أبى حمو موسى بن عثمان ا ه .

وذكر بعده الصالح سيدي يحيى الشهير بامهبول ، فقال : معروف فى
 ناحيتنا بالصلاح مرفوع الصيت ، وكذلك سيدي مسعود بن عريف ، ما وجدت

من ينقل لي آثاره ا ه .

وبه ختم كتابه الذي نقلنا منه هذه النبذة ، نفعنا الله ببركة الجميع بجاه
النبي الشفيح صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

يحيى بن زكرياء القريشي السطيفي

من « عنوان الدراية »

يحيى بن زكرياء بن محجوبة القريشي . شيخنا الشيخ الفقيه الصالح المبارك
أبوزكرياء السطيفي تلميذ شيخ شيونخا الشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه .
كان من المتعبدين الزهاد الأولياء رحل إلى المشرق ، ولقي مشايخ ، واقتصر
على أبي الحسن الحرالي ، واستفاد منه علم الظاهر والباطن ، وحصل من هديه
الجللي والكامن ، لقيه بالديار المصرية وصحبه هناك مدة طويلة ، وهناك ظهرت
له حقائق وانقطعت عنه عوارض العلائق ، وكان الشيخ رضي الله عنه وأصحابه
قد أدركوا المدارك ، وجاوزوا سبل المهالك ، وكانوا يريدون ترقى الشيخ أبي
زكرياء إلى بعض مداركهم والانتظام في سلكهم ، وما زالوا به إلى أن ظهر له
بعض التحقيق ، واعتد جادة الطريق ، فأنهوا ذلك إلى الشيخ أبي الحسن رحمه
الله فأنشده في معنى ما ظهر له :

[٢] جَلَّتْ لَكَ لَيْلِي مِنْ مِثْنِي نِقَابِهَا • طَرِيقاً وَأَبَدَتْ لَمْعَةً مِنْ جَمَالِهَا
فَطَبَّتْ بِهَا عَيْشاً وَتَهَتْ لِنِزَاةً • وَفِيَاكَ الْإِلْمَاعُ بَرْدَ ظِلَالِهَا
فَكَيْفَ تَرَى لَيْلِي إِذَا هِيَ أَسْفَرَتْ • ضَحَاءُ أَوْ أَبَدَتْ سَالِفاً مِنْ دَلَالِهَا
وَكَيْفَ بِهَا إِنْ لَمْ يَغِبْ عَنْكَ شَخْصُهَا • وَلَمْ تَخْلُ وَقْتاً مِنْ مَنَالِ وَصَالِهَا
وَكَنتَ بِكُونِ الْأَمْرِ إِنْ أَنْتَ كُنْتَهَا • وَكَانَتْكَ تَحْقِيقاً فَحَلَّتْ مَحَالِهَا

وكان رحمه الله ممن تخلى عن الدنيا وتركها ، وكان صاحب كرامات مستجاب الدعوة ، سمعت عن الشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه أنه عين أصحابه بعده ، فقيل : إنه قال أصحابي ثمانية وعشرون ، منهم أربعة تستجاب دعوتهم ، وعين من الأربعة الشيخ أبي زكرياء رضي الله عنه ، وربما زاد الناقلون في العدد أو نقصوا منه ، وروح المسألة أن الشيخ أبا زكرياء أحد الأربعة الذين تستجاب دعوتهم ، وسمعت أن منهم الشيخ أبا محمد بن عبد الطرابلسي رحمه الله . وكان في علم التصوف مقدماً ، وكانت له أخلاق حسنة ومن فضائله وزهده أنه عرض عليه في مدة الأمير أبي يحيى برد الله ضريحه أن يجعل له مرتباً من أعمار الديوان في كل شهر ، فامتنع من ذلك فقال : إن اسمي في ديوان الوجود المطلق ، فلا أجعله في الديوان المقيد لأن الإطلاق أوسع من التقييد ، وهو في ديوان الخلق ، ورأيت له تأليفاً حسناً في شرح أسماء الله الحسنى ، وله في التصوف تقايد كثيرة ، وله نظم حسن وقطع مستحسنة ، كلها في المعاني الصوفية ، وكنت في زمان الشباب نظمت القصيدة الصوفية الهمزية التي مطلعها :

واحيرة العشاق بالرقبــــــــــــــــاء • حرّموا الوصولَ لطيبةِ الوسعــــــــاء

وهي نحو أربعين بيتاً فحملتها إليه وأنشدتها بين يديه ، ففرح وجعل يدعو

[٣] ويقول : بصرك الله بمعانيها وأطلعك الله على ما فيها ، لأن الحال كان حال شبيهة ،

فاعتقد الشيخ رحمه الله أن ما أتيت به فيها إنما هو على سبيل الصناعة لا على سبيل الاطلاع والشهرة ، والله يؤتي فضله من يشاء .

توفي رحمه الله ببجاية في غرة ذي القعدة عام سبعة وسبعين وست مئة

(٨٧٧) ، ومن شعره رحمه الله :

أنت والليلُ ممدودُ الجناح • تعودُ مسهداً رطبَ الجراح
فقلتُ كيفَ أنتَ ولا جناحُ • فقلتُ : العودُ يذهبُ بالجناح

فوالهفي على الشكوى لسارٍ * وواجزعي لإعجال الصباح

يحيى بن أبي علي الزواوي

الشيخ الفقيه الصالح العابد على التحقيق ، المتوجه إلى الله بكل وجهة وطريق
أبو زكرياء يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي ، وهو عندما يكتب اسمه يكتب
الحسني منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية ، والناس ينسبون فيه الحسناوي .
ولد في بني عيسى من قبائل زواوة ، وقرأ رضي الله عنه أول أمره بقلعة
بني حماد على الشيخ الصالح أبي عبد الله بن الخراط وغيره ، ثم ارتحل إلى
المشرق ، ولقي الفضلاء والأخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة وأهل طريق
الحق ، وكان رحمه الله منذ ظهر بانياً على ترك الدنيا والانقطاع إلى الدار الآخرة ،
استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق ، وجلس بها لنشر العلم وبثه والدعاء إلى
الله تعالى ، فانتفع به الخلق الأعظم ومات صحيحاً سويماً دون مرض ولا ألم ،
قدس الله روحه وبرد ضريحه ونفع به وبصالح دعائه ، وفشا الخبر في الناس
فتسابقوا إليه وحشروا من كل ناحية عليه ، وارتفع صراخهم واشتبكت
أصواتهم ، ونما ذلك إلى من كان له الأمر ببجاية حينئذ ، فتوجهوا نقباً لصيانة
جثته الطاهرة الزكية عن ابتدال من يلي بها ، ويقتحم للتبرك بما بين ثوبها ، فلما
جن الليل أمروا بحمله إلى روضته ، وكلفوا أمناء بجهازه ، ثم بادروا بأنفسهم
وشهدوا الصلاة عليه على شفير قبره ضحى يوم السبت ، ووقفوا حتى واروه
وعزى الناس عن مصابهم بعضهم بعضاً رحمة الله عليه اه كلامه رحمه الله .

ومن أشياخه الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن مكّي ابن عوف الزهري روى
عنه « الموطأ » القاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره ، وروى عنه المصابيح وكتباً
عدة إجازة وسماعاً الإمام أبو طالب أحمد بن رجاء اللخمي ، قرأ عليه وأخذ عنه

الأصلين حفظاً واثقاً ، والحافظ أبو طاهر السلفي صحبه وأخذ عنه إعجاز
[٤] القرآن للخطابي ، ومن شعرا أبي طاهر :

مالي لدى ربي جزيلٌ وسيلةٌ * إلا أتباعَ دينِهِ يقينسي
والدينُ حصنٌ للفتى وعقيدتي * إن القليلَ من اليقينِ يقينسي

ومن أشياخه رضي الله عنه أيضاً الإمام أبو عبد الله بن بكرة الكركني ، قرأ
عليه المذهب رواية ودراية ، وأبو القاسم بن فيرة الشاطبي الضرير ، والفقهاء
أبو عبد الله وأبو العباس الحضرميان ، روى عنهما الشهاب القاضي ، والفقهاء أبو
زيد عبد الرحمن بن سلامة ، والزاهد أبو عبد الله المغاور ، والشيخ أبو عبد الله
السلوي .

سيدي يحيى العيدلي

الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح رحمة بلدنا وغيث وطننا سيدي
يحيى العيدلي ، نفعنا الله به آمين .

شهد بقطبانيته الشيخ الولي الصالح ذوالتصانيف المفيدة سيدي عبد الرحمن
الصباغ شارح الوغليسية ، وكذا البردة ، بأن اختصر شرح الإمام ابن مرزوق
التلمساني عليها بعلوم سبعة ، ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة ، وشهد له أيضاً
بالعلم الظاهر والباطن ، وإن له من الكرامات شيء عظيم ، وشهد له أيضاً بذلك
بجر الولاية والعلم سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، ومثله في العلم والولاية سيدي
التواتي البجائي وكان حكمه وفتواه لا يردان من بجاية إلى توزر .

أما سيدي عبد الرحمن الثعالبي فوردت رسالته للشيخ سيدي يحيى ،
وكان سألته ثلاثة أمور : أحدها من أزواج بنتي ؟ والثاني : من يكون وصياً علي
أولادي ؟ والثالث : تجعل تالياً لأصحابي ، فأجابه الشيخ الثعالبي عنها بأن

بنتك زوجها من تلميذك فلان ، وأما الوصية فأنت الوصي عليهم حياً وميتاً ، وأما التآليف فقد ألفت ما فيه كفاية ، والآن قد كبر سني ووهن عظمي فلا أقدر على التصنيف ، وهؤلاء كلهم في القرن التاسع رضي الله عنهم وأرضاهم .

وأما سيدي التواتي فقد عظمه غاية التعظيم بأن كتب للشيخ سيدي يحيى بعد السلام والرحمة والبركة : إنك ذكرت شيئاً من أحوالنا في الصلاة متقدماً أو قادحاً فيها ، فأجابه رضي الله عنه بأن قال له بعد تعظيمه بما يستحق من التعظيم : والله ما ذكرنا أحوالك إلا تبركاً بها فقط ، وكيف لا وإنك أحيت أموراً درست وطرقاً ذهبت ، وأنت المحقق الفاضل صاحب الوقت . أو كلاماً يقرب منه .
وأما الشيخ زروق فقد ذكر في كناشه أنه ألف بعض تآليفه في مسجده المعلوم في تمغزا رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

ذكره الشيخ زروق وعظمه غاية التعظيم بحيث أخذ عنه العلم الباطن ، وقال بعض العلماء : هو الذي ملك الشيخ زروق أقطاراً من البلدان ، وإلى ذلك أشار بقوله :

وملكنيها بعض من كان مالكا

وقد سمعت ممن يوثق به أيضاً أنهما اختلفا في لفظ الجبروت ، هل هو بهمز أو بغير همز؟ فقال الشيخ سيدي يحيى : إنما هو بهمز ، فلما أصاب الشيخ زروق الريب ، قال له الشيخ سيدي يحيى : انظر في اللوح المحفوظ بأن مسح وجه الشيخ زروق فأزال الله الحجاب فرآه كذلك .

ومن كرامات الشيخ سيدي يحيى أنه لما بنى مسجده المعلوم اختلفوا في القبلة ، فلما اختلفوا فيها قال الشيخ سيدي يحيى لجبل فوق قريته : انخفض ، فانخفض ، فتبينت الكعبة ورآها كل من كان هناك ، وهذا والله أعلم وإن لم يُرَّ

في الكتب فقد تواتر عنه ذلك ، ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه أن الشيخ سيدي [•] التواتي بعث بعض طلبته لسيدي يحيى ليرسل له شيئاً من الزيت لأن بلد الشيخ بلد الزيتون إلى الآن ، فبعث الشيخ سيدي يحيى للطلبة معزاً أي عدداً منه ، وقال لهم : سوقوا المعز من غير كلام لأحد حتى تصلوا للشيخ ، فلما وصلوا أثناء الطريق بأن وصلوا سوق الثلاثاء بيني هارون ، وجدوا بعض إخوانهم من الطلبة فسألوهم عن الخبر ، وقالوا بعث معنا عدداً من المعز ، وغفلوا عن وصية الشيخ رضي الله عنه فلما ذهبوا بذلك المعز وجدوها جلوداً من زيت ، فسقطت عليهم الكلفة وحملوها جلوداً كذلك إلى أن وصلوا إلى بجاية إلى الشيخ فأخبروه القصة ، وقال لهم : لو سكتم لوصلوا كذلك ثم يرجعون زيتاً ، فلما خالفتم وقع بكم ما وقع من الكلفة ، وبالجملة من كتم سر الأولياء وكذا سر الله انتفع به ودام له ذلك . وكراماته رضي الله عنه كثيرة ، وكتبنا منها نبذة في شرحنا الوظيفة عند ختمته ، ولم أذكر فيه كرامة عظيمة ، لم أرها مسطرة غير أنها تواتر أمرها واشتهر ، وهو أنه لما رجع من سياحته ، وقد مكث فيها مختفياً عن الناس نحواً من عشر سنين ، وأمه في حال حياتها وجد أهل قريته أخذوا ثوراً لحماً فقسموه ، ولم يجعلوا نصيباً لأمه من غير اكتراث بها ، فلما علم بذلك تغير من أمرهم حيث لم يسهموا لها شيئاً ، والحالة أن اللحم لم يبق منه شيء بل جعلوه في القدور ، ولم يجد شيئاً باقياً إلا الجلد والرأس ، فعند ذلك ورد حال عظيم بأن أمسك الجلد من الذيل وقال له : قم ياذن الله فقام الثور يمشي كما كان أول مرة ، فلما شاهدوا منه ذلك خضعوا له وتواضعوا وذلوا واستكانوا ، وظهر أمر الشيخ ظهوراً بيناً بحيث أن من تعدى عليه هلك بغتة ، وقد كان له زرع في إهمال ، وبات فيه جماعة من الناس بخيلهم من غير علم أن الزرع للشيخ ، فلما أصبح الله بخير الصباح مات جميع خيلهم ، وحملوا سر وجههم على أعناقهم ، ثم إن ذلك في آخر عمره ارتفع . وسئل الشيخ عن ذلك فقال : فعل الله ذلك ابتداءً ليعلم الخلق وليظهرني .

فلما حصل المقصود من الظهور والنفع للخلق ، وظهرت الخصوصية وثبتت ارتفع ذلك والله أعلم .

زرنا قبر الشيخ وسألنا الله بجأه أن يمنَّ بما فيه رضاه من السفر ، وأن يسر علينا أمره ، وأن يجعله مقبولاً مع الأخذ في الاستخارة الشرعية ، وذهبنا لبني عباس وبتنا عند الفضلاء الأشراف المحيين لنا جميعهم الصغير والكبير والذكر والأنثى ، وتكرموا وفرحوا بنا فرحاً شديداً ، ثم بعد ذلك لقريه المحب كل المحب ، من داره يد أهل الخير فيها يد واحدة ، الفقيه الفاضل الصالح الكامل سيدي محمد السعيد بن الطالب وفرح بنا أيضاً فرحاً شديداً اهـ ورتيلاني .

[٦] يحيى بن عبد المعطي الزواوي
(ابن معطي صاحب الألفية النحوية)

أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الملقب زين الدين النحوي الحنفي .

كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة ، وسكن دمشق زماناً طويلاً ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وصنف تصانيف مفيدة ، ثم إن الملك الكامل أرغبه ، في الانتقال إلى مصر ، فسافر إليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب ، وقرر له على ذلك جارياً ، ولم يزل إلى أن توفي في سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وست مئة (٦٢٨) بالقاهرة ، ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وقبره هناك ظاهر ، ومولده سنة أربع وستين وخمس مئة (٥٦٤) رحمه الله تعالى ، والزواوي بفتح الزاي وبين الواوين ألف هذه النسبة إلى زواوة ، وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال افريقية

ذات بطون وأفخاذ ، والله أعلم اه من « وفيات الأعيان » .

يحيى بن محمد التلمساني

قال في « نيل الابتهاج » : يحيى بن محمد التلمساني ، سمع من أبي الحسن البطرني ، وأبي عبد الله بن مرزوق ، وأبي القاسم الغبريني ، وشارك في الفقه ومهر في العربية ، مات سنة سبع وثمان مئة (٨٠٧) عن خمس وستين سنة ، وكان أضر قبل ذلك اه من « أنباء الغمر » اه .

سيدي يحيى بن موسى الزواوي

الولي الصالح والبدر الواضح سيدي يحيى بن موسى ، ظهر أمره ظهوراً فاشياً ، يُزار دائماً ، وسيفه ماض لمن يتعدى على أولاده ، وذلك مجرب صحيح لا يكاد يخفى على أوباش العامة فضلاً عن الخاصة ، وقد علمت من أهل بلدنا أن دعاء سيدي يحيى بن موسى هو سبب الشر الذي أصابهم حتى افتتنوا وهلكوا ، ومات من جميعهم نحو الثلاث مئة (٣٠٠) من غير حق ، وإنما هو أمر الشيخ جار عليهم .

وهو من تلامذة الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وسببه أنه ذهب للشيخ ليسرقه فدخل موضعاً مخفياً وأظنه موضع الدواب ظناً منه أن دار سيدي يحيى مملوءة بالأمانات ، ولعله يتصل بشيء منها ، وهو ممن سبقت له السعادة والعناية فلا تضره حينئذ الجناية ، فبعد العشاء اجتمع الأولياء عند الشيخ على واحد من الأولياء مات لينظروا من يرجع في محله ومقامه ، فلما استقربهم المجلس وقربهم الأنس سألوا الشيخ سيدي يحيى عن يصلح ، فقال : اثتوني بذلك الذي كان مخفياً

فأطلعوه ، وعقد له ذلك فوصل من حينه ، لأن الولي إذا أراد أغنى ، وقالوا
أيضاً : عزم الولي أقطع من السيف وقال الشاذلي : نعم الرجل أبو العباس المرسي
يأتيه البدوي يبول على ساقه فلا يمر عليه يومه حتى يبلغه الله ، فذلك عمل الشيخ
سيدي يحيى لهذا الشيخ .

قيل : إنه لما رجع صبيحة تلك الليلة كان كل من لقيه من الرعاة أو غيرهم
قبّل يده ، وطلب منه دعوة الخير بعد أن كانوا اليوم الذي قبل هذا يتحاذرون
منه ويتبادرون من أجله « بالك سي يحيى بن موسى » والله يفعل ما يشاء ، نفعنا
الله به آمين .

وهو من القرن التاسع وأولاده على القراءة وإطعام الضيف والطاعة والفضل
سيما العالم الفاضل الولي الكامل سيدي يحيى بن حمودي ، وقد قيل : إنه
يجتمع مع رجال الغيب ، وإنه يشتري لهم قدرأ معلوماً من الثياب ، وهو تلميذ
سيدي علي بن الطالب ، وسيدي علي بن الطالب طامة كبرى ، وكذا أولاد
سيدي يحيى بن حمودي ، منهم سيدي أبو القاسم وسيدي أحمد ، كلاهما على
العلم والفضل والكرم والنصيحة والأخلاق السنية ، نفعنا الله بهم اه ورتيلاني

يدير بن صالح الجمهوري

الولي الصالح الفاضل الناجح صاحب البركة قوي الحجة سيدي يدير بن
صالح الجمهوري أصلاً ، العيدلي مسكناً ، والتمغروي مدفناً ، تلميذ الشيخ
سيدي يحيى العيدلي ، وقد دفن معه في روضته ، نفعنا الله به ، فإنه معظّم غاية
التعظيم ، ووجه ظاهر .

وأولاده ذوو بركة قوية وخيرهم مشهور ، وصلاحتهم منشور وأمرهم مذكور ،
فإن الناس ينتفعون بهم ويعتقدونهم إلى الآن ، ولا يخلو البعض منهم عن الوجد

الصحيح والحب الصريح ، فتجده يتواجد حقاً ويحب صدقاً ، وإنهم أهل السماع دائماً على كل حال ، فمن طلبهم وافقوه وساعدوه على أي وجه فيه الرجال والنساء ، غير أن سماعهم في الغالب أولى من غيرهم ، والناس يأمنون شرهم ويعتقدونهم ، وإن دلائل الشر خالية منهم غالباً إلا من قلَّ منهم وندر ، وإنهم لا يفرون من العلم وأهله بخلاف غيرهم ، فهم أسعد حالاً ممن سواهم كما شاهدنا ذلك منهم ، وإن كان الكل مخالفاً للسنّة النبوية ، وإنه ليس بشروطه غير أن غيرهم يقصد البعض منهم التوصل إلى الأغراض الفاسدة ، وهم والله أعلم سالمون من تلك المفاسد ، وإن كان على غير الشروط ، نفعنا الله بهم ، حاصله جمعهم لا يخلو من أهل الخير والبركة تحقيقاً وبركة جدهم وشيخه القطب تنوب عنهم .

[٨] لطيفة : لو أنهم انسلخوا عن ذلك رأساً أولى بهم وأجدر وأنور وأستر وأفخر وأخصر وأشعر وأذكر وأكثر وأشهر وأقدر وأنصر وأعمر وأحذر ، ولو أنهم فعلوه بشروطه مع أهله ومن أهله غير حضور الشبان والنساء ، ومن لا بلاء له بذلك ، لوصلوا إلى الحضرة القدسية والأنوار الإلهية نور الله قلوب الجميع ، فما كدر القلب إلا مخالفة السنة ، وكون الشيء على غير شروطه وعلى غير بابيه ، والله يقول (وأتوا البيوت من أبوابها) اهـ ورتيلاني .

يعقوب بن يوسف الزواوي

أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوي المنقلاتي الشيخ الفقيه الصالح المتعبد الوجيه المبارك ، له معرفة بالفقه وأصوله ، وله مشاركة في علم العقائد . قرأ ببجاية ورحل إلى حاضرة افريقية ، ولقي بها المشايخ ، ولازم الشيخ الإمام أبا عبد الله بن شعيب رحمه الله ، وقرأ على الفقيه أبي العباس بن عجلان . وحضر مجلس الشيخ أبي محمد عبد العزيز رحمه الله قبل رحلته إلى تونس . ثم

رجع إلى بجاية وأقرأ بها . وظهر واشتهر . وكان مجلسه من المجالس المعتبرة ، وكانت تقرأ عليه الكتب المذهبية ، وكان يقوم عليها قياماً حسناً ، وكان نظره في التهذيب نظراً جيداً .

وكان أحد المفتين المشاورين في وقته ، وكان منقبضاً عن الناس منقطعاً عنهم ومشرفاً ومكرماً فيهم . وزاده بعض ملوك وقته في منزله ، وانقطع في آخر عمره انقطاعاً كلياً حقيقياً ، وانزوى عن الناس إلى أن توفي بمنفلات في الثلث الأخير من ليلة يوم السبت الحادي عشر من جمادى الأولى عام تسعين وست مئة (٦٩٠) ودفن بالموضع المذكور وقت الضحى من اليوم المذكور .

انتهى الكتاب

ونتم بفضل الله الملك الوهاب وحسن عونه . وأختمه بختم سيدي أبي عمران موسى بن عيسى المازوني تبركاً به وتوسلاً بدعائه المستجاب إن شاء الله فأقول : وهذا آخر ما قصدنا إليه يعني من الرجال نفعنا الله بجمعهم ، وأعاد علينا وعلى ذريتنا من بركتهم ، وألهمنا رشد أنفسنا بفضله وجوده وكرمه وحرمة أوليائه وخدام بابه آمين آمين يا رب العالمين ، ونسأله جل وعلا أن يسلك بنا مسلك أهل اليقين ، ولا يجعلنا من الغافلين ، اللهم علمنا ما جهلنا وأعنا إذا استقمنا ، وخذ بأيدينا إذا عثرنا ، واغفر اللهم بفضلك العظيم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولمشيختنا ولإخواننا ، وعامل الجميع بما أنت له أهل من الرحمة يا رب العالمين ، وانفعنا بما علمتنا ، واجعله يا رب لنا حجة ننجوبها ، ولا تجعله علينا حجة نهلك بها ، فمك نطلب الوصول إليك ، وبك نستدل عليك ، فاهدنا بنورك إليك ، واجعلنا من فقرائك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وارزقنا يا مولانا الصبر والقناعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، والصلاة والسلام الأكملان على سيدنا

ومولانا محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه
الطاهرات أمهات المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إليك استندنا
وعليك في كل الأمور اعتمدنا ، فأمدنا بالتوفيق ، واهدنا إلى سواء الطريق ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سنة ١٣٢٦ .

من هجرة مولانا محمد بن عبد الله رسول

الله صلى الله عليه وعلى آله

وأصحابه أفضل الصلاة

وأزكى السلام

انتهى كتاب تعريف الخلف

فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

الصفحة

١٣	إبراهيم بن أبي بكر التلمساني
١٥	أبو القاسم بن أبي عبدالله الفيحجي
١٦	أحمد بابا التنبكتي
٢٥	أحمد الغبريني
٣١	أحمد بن أحمد الندرومي
٣٢	أحمد بن حسين القسنطيني
٣٧	أحمد السوداني
٣٨	أحمد بن عبدالله الجزائري
٤١	أحمد بن عثمان
٤٦	أحمد بن محمد ... ابن زاغد
٤٨	أحمد بن محمد المقرئ
٦٢	أحمد بن يحيى الونشريسي
٦٣	حسن بن علي المسيلي
٦٦	سعيد بن إبراهيم قدورة
٦٧	عبد الحق بن علي

الصفحة

٦٧	عبد الرحمن الأخضرى
٦٨	عبد الرحمن بن محمد الثعالى
٧٢	عبد الرحمن الوغلىسى
٧٣	على الأنصارى
٧٧	على بن عثمان المنقلاى
٧٨	عمران بن موسى المشوالى
٨١	عمر بن محمد الكماء
٨٢	عيسى الثعالى
٩٠	قاسم بن سعيد التلمسانى
٩٢	قاسم بن عيسى بن ناجى
٩٣	محمد بن إبراهيم العبدرى
١٠٩	محمد بن أبى القاسم المشدالى
١١٠	الشرف التلمسانى
١٢٧	محمد الجلاب التلمسانى
١٢٨	محمد بن مرزوق الحفید
١٤١	ابن مرزوق الخطیب جدّ الحفید
١٤٩	ابن مرزوق حفید الحفید
١٤٩	ابن مرزوق الكفیف
١٥١	ابن سعد التلمسانى
١٥١	محمد بن أحمد ابن مریم المدیونى
١٦٤	محمد بن عبد الجلیل التنسى
١٦٦	محمد بن عبد الكرىم الفكون

الصفحة	
١٧٠ محمد بن عبد الكريم بن محمد المقبلي التلمساني التواني
١٧٤ محمد بن عمر الهواري
١٧٦ محمد بن المسبح القسنطيني
١٧٦ محمد بن عمر المليكشي
١٧٩ محمد السنوسي التوحيدي
١٨٩ يحيى المازوني
١٩٠ يحيى الشاوي
١٩٤ يحيى التدلسي
١٩٥ يوسف أبو الفضل بن النحوي
٢٠٠ إبراهيم ابن فرحون
٢٠١ أحمد ابن القاضي
٢٠٢ محمد أمين المحي
٢٠٢ محمد بن الطيب القادري

القِسمُ الثَّانِي

الصفحة

٧	إبراهيم بن أحمد الفجيجي
٩	إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني
٩	إبراهيم بن فائد القسنطيني
١٠	إبراهيم بن قاسم التلمساني
١١	إبراهيم بن محمد التازي
١٦	إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني
١٨	إبراهيم بن ميمون الزواوي
١٨	إبراهيم بن يخلف المطماطي التنسي
٢٠	إبراهيم بن يوسف الوهراني
٢١	إبراهيم الحنفي
٢٢	إبراهيم بن عمار
٢٢	إبراهيم الغول ابن سيدي إبراهيم السلامي
٢٧	ابن الأمين التواتي
٢٧	أبو اسحاق ابن العرافة البجائي
٢٨	أبو البركات التلمساني
٢٨	أبو بكر بن أحمد التنبكي
٢٩	أبو تمام الواعظ الوهراني
٢٩	أبو الحجاج الجزائري
٣٠	أبو العباس الجزائري
٣١	أبو عزي التلمساني
٣٢	أبو علي المجاجي ابن سيدي علي اهلول
٣٢	أبو القاسم بن محمد البجائي

الصفحة

٣٣ أبو القاسم الفجيجي
٣٣ أبو القاسم الكناشي البجائي
٣٣ أبو القاسم المجاجي
٣٤ أبو القاسم بن محمد بن عيسى
٣٤ أحمد بن أحمد التلمساني
٣٤ أحمد بن إدريس البجائي
٣٦ أحمد ابن الأستاذ الندرومي
٣٦ أحمد اقيت التنبكتي
٣٧ أحمد التارفي اللمتوني
٣٨ أحمد التجاني
٤٢ أحمد بن جيدة المديوني
٤٣ أحمد بن الحاج البيدري
٤٦ أحمد بن أبي حجلة التلمساني
٥٧ أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني
٥٧ أحمد بن الحسن الغماري التلمساني
٥٨ أحمد بن سعيد التنبكتي
٥٨ أحمد بن سعيد العفيفي
٦١ أحمد الشريف الورتيلاني
٦٣ أحمد العباسي أبو العباس
٦٤ أحمد بن عثمان التلمساني أبو العباس
٦٤ أحمد بن عبد الرحمن العباسي جد أولاد مقران
٦٥ أحمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني

الصفحة

٦٥ أحمد بن عبد السلام المسيلي
٦٦ أحمد بن عبد الصمد البجائي
٦٦ أحمد العلمي أبو العباس
٦٦ أحمد بن علي البسكري
٦٨ أحمد بن علي الملياني أبو العباس
٦٩ أحمد بن عمر الدلسي
٧١ أحمد بن عمر التنبكتي
٧٣ أحمد بن عيسى أركان الورنيدي
٧٣ أحمد بن عيسى البجائي
٧٤ أحمد بن عيسى البطوي
٧٤ أحمد بن عيسى الغماري البجائي
٧٦ أحمد الغبريني أبو القاسم
٧٦ أحمد الفجيجي
٧٧ أحمد بن أبي قاسم البجائي أبو العباس
٧٧ أحمد بن قاسم العقباني
٧٧ أحمد بن القاضي العسكري
٧٨ أحمد بن محمد بن ذافال الجزائري
٧٨ أحمد بن محمد المبارك القسنطيني
٧٨ أحمد بن محمد بن المسيلي
٧٩ أحمد بن محمد العبادي
٧٩ أحمد بن محمد العقباني
٨٠ أحمد بن محمد المعافري القلعي

الصفحة	
٨١	أحمد بن محمد الوهراني
٨١	أحمد بن البشير المختاري
٨٢	أحمد بن مزيان الورجي
٨٣	أحمد بن مسعود القسنطيني
٨٣	أحمد المسبح أبو العباس القسنطيني
٨٣	أحمد بن معمر البجائي
٨٩	أحمد بن عمار الجزائري
٩٣	أحمد بن محمد الاغريسي أبو طالب
٩٨	أحمد بن محيي الدين الاغريسي
١٠١	أحمد بن مقداش
١٠١	أحمد بن موسى الإدريسي
١٠١	أحمد بن نصر الداودي التلمساني
١٠٢	أحمد النقاوسي البجائي
١٠٢	أحمد بن يعقوب العباري
١٠٢	أحمد بن أبي يحيى التلمساني
١٠٣	أحمد بن يوسف الملياني
١٠٦	أحمد بن يونس القسنطيني
١٠٧	إسماعيل الفلاي
١٠٧	بركات الباروني الجزائري
١٠٨	بركات القسنطيني أبو محمد
١٠٩	الفقيه البغدادي المستفاغي
١١٠	بهلول بن عاصم

الصفحة

١١١ الجودي بن الحاج
١١٣ الجودي العلمي
١١٣ الحاج الداودي التلمساني
١١٤ الحاج عاشور الفجيجي
١١٥ الحاج قاسم التواتي
١١٥ الحاج قاسم التواتي
١١٥ الحاج محمد التواتي
١١٥ الحاج محمد التواتي أبو عبدالله
١١٦ الحاج محمد الرامي التواتي
١١٨ جيب التواتي
١١٨ الجيب الحمياني
١١٩ حسن بن إبراهيم التلمساني
١١٩ حسن بريهمات الجزائري
١٢٥ حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني ^٤
١٢٦ حسن بن أبي القاسم بن باديس أبو علي
١٢٦ الحسن بن حجاج الهواري البجائي
١٢٧ حسن بن حسين البجائي
١٢٧ حسن بن خلف الله القسنطيني
١٢٨ الحسن بن ست الآفاق البسكري
١٢٨ الحسن بن عثمان الوانشريسي
١٣٠ الحسن بن عطية التجاني الوانشريسي
١٣٠ حسن بن علي القسنطيني

الصفحة	
١٣٧ حسين بن عبدالله الجزائري
١٣٨ الحسن أبركان التلمساني
١٣٩ الحسين الورتيلاني
١٤٧ حمزة بن محمد المغربي
١٤٨ حمودة المقايصي الجزائري
١٥٤ حميدة العمالي
١٥٥ الفقيه الخبزاي
١٥٥ الفقيه الزقاي
١٥٦ سحنون بن عثمان الداوي
١٥٦ سعادة الرحماني
١٦٠ سعيد الصفراوي
١٦٠ سعيد العلمي
١٦١ سعيد بن محمد التلمساني
١٦٢ سعيد المقرّي
١٧٧ سليمان بن الحسن التلمساني
١٧٧ سليمان الحسناوي البجائي
١٧٨ سليمان بن عبد الرحمن التلمساني
١٧٩ سليمان الورنيدي
١٧٩ سليمان الوهراني
١٨٠ سيدي أبو مدين الفوثن التلمساني
١٨٧ الشيخ بن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس
١٩٧ سيدي الصادق

الصفحة

١٩٧	صالح بن محمد الزواوي
١٩٨	أبو طالب الاغريسي
١٩٨	الطاهر المختاري
١٩٩	الطاهر القسنطيني
١٩٩	العاقب بن عبدالله التنبكي
٢٠٠	العاقب بن محمد بن عمر التنبكي
٢٠١	عبد الحق الأنصاري البجائي
٢٠٥	عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني
٢٠٦	عبد الرحمن بن محمد الجزائري
٢٠٧	عبد الرحمن بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد
٢٠٨	عبد الرحمن بن محمد التلمساني أبو يحيى
٢٠٩	عبد الرحمن وعيسى ابنا الإمام الشريف التلمساني
٢٢١	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
٢٢٣	عبد الرحمن بن موسى البجائي
٢٢٤	عبد الرحمن المجاجي
٢٢٤	عبد السلام التواتي
٢٢٨	عبد العزيز بن مخلوف العيسي
٢٢٨	عبد القادر الراشدي
٢٣٠	عبد الكريم القلعي أبو محمد
٢٣١	عبد الكريم بن عبد الواحد الحسيني أبو محمد
٢٣٢	عبد اللطيف المسبح
٢٣٣	عبدالله أحمد بن عيسى البجائي

الصفحة	
٢٣٣	عبدالله الباجي القلشاني
٢٣٤	عبدالله البرناوي
٢٤٠	عبدالله البسكري أبو محمد
٢٤١	عبدالله التواتي
٢٤١	عبدالله بن حجّاج بن يوسف الجزائري
٢٤٣	عبدالله بن عمر السوفي
٢٤٣	عبدالله بن غانم الدراجي
٢٤٥	عبدالله بن محمد العباسي
٢٤٥	عبدالله بن محمد التلمساني
٢٤٩	عبدالله بن محمد التلمساني
٢٤٩	عبدالله بن محمد القلعي
٢٥٠	عبدالله بن محمد المسيلي
٢٥١	عبدالله بن محمد بن موسى البجائي
٢٥٢	عبدالله بن محمود بن عمر التنبكتي
٢٥٢	عبد الملك الراشدي أبو محمد
٢٥٢	عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي
٢٥٦	عبد المنعم الجزائري أبو محمد
٢٥٨	عبد الواحد بن أحمد التلمساني
٢٥٨	عبد الواحد الونشريسي
٢٥٩	عبد الوهاب بن يوسف البجائي
٢٦٠	عثمان السوداني
٢٦٠	عطية الله اليراتي أبو محمد

الصفحة

٢٦١	عفيف الدين التلمساني
٢٦٣	علي بن أبي القاسم التلمساني
٢٦٨	علي التواتي
٢٦٨	علي بن ثابت التلمساني
٢٦٩	علي بن الحفاف الجزائري
٢٧٠	علي بن ذي الوزارتين التلمساني
٢٧١	علي الزيات البجائي
٢٧١	علي بن سليمان البريني
٢٧٢	علي الصافي
٢٧٢	علي بن عبد الرحمن بن أحمد القبائلي
٢٧٣	علي بن عمران الملياني أبو الحسن
٢٧٤	علي بن عبد العزيز الدوسني
٢٧٥	علي القرباني
٢٧٥	علي بن عيسى الراشدي التلمساني
٢٧٥	علي الفجيجي
٢٧٦	علي بن محمد بن أحمد بن محمد التنسي
٢٧٦	علي بن قاسم الشهير بالحدّاد الوهراني
٢٧٦	علي بن محمد التالوتي الأنصاري التلمساني
٢٧٨	علي بن محمد الزواوي أبو الحسن
٢٧٩	علي بن محمد الجزائري
٢٨٠	علي بن محمد بن منصور الغماري التلمساني
٢٨٠	علي بن محمد بن منصور الصنهاجي التلمساني

الصفحة

٢٨٠ علي بن محمد الحلبي الجزائري
٢٨١ علي بن موسى
٢٨٢ علي بن موسى البجائي
٢٨٢ علي التماسيني
٢٨٦ العبدلاوي أحمد
٢٩٠ علي بن موسى بن علي بن هارون
٢٩١ علي بن مكّي الملياني
٢٩٢ علي بن أبي نصر
٢٩٤ علي الونيسي أبو الحسن
٢٩٥ عمار بن شريط القسنطيني أبو منصور
٢٩٥ عمار الغربي القسنطيني أبو راشد
٢٩٦ عمار الشريف القسنطيني أبو منصور
٢٩٦ عمارة الشريف أبو الطاهر
٢٩٩ عمر الأشهب
٢٩٩ علي الطيار
٣٠٠ عمر بن أحمد العمري البجائي أبو علي
٣٠٠ عمر الشريف
٣٠١ عمر بن عبد المحسن الوجّهاني الصواف
٣٠٢ عمر بن عثمان الوانشريسي
٣٠٣ عمر بن عزوز السلمي
٣٠٣ عمر بن محمد صالح الوفرتي
٣٠٤ عمر بن محمد المانفلاتي الجزائري

الصفحة

٣٠٨	عمر بن موسى
٣٠٩	عمر الواصلي
٣٠٩	عيسى بن أحمد الهنديسي ابن الشاط
٣١٠	عيسى بن محمد التلمساني
٣١٦	الأمير عبد القادر الجزائري
٣٢٢	الغزالي
٣٢٤	أحمد الغزال الجزائري
٣٢٩	فتح الله
٣٣٠	قاسم بن محمد القسنطيني
٣٣٠	قدور بن محمد بن سليمان المستغامي
٣٣٣	صالح بن محمد الزواوي
٣٣٣	الصادق
٣٣٤	الطاهر بن حسن المختاري
٣٣٤	محسن بن أبي بكر البجائي
٣٣٥	محمد بن إبراهيم البجائي
٣٣٥	محمد بن إبراهيم المشتهر بالأصولي
٣٣٨	محمد بن إبراهيم التلمساني
٣٣٨	محمد بن إبراهيم التلمساني المشهور بابن الإمام
٣٤١	محمد بن إبراهيم الفسّاني
٣٤١	محمد أبو راس
٣٤٢	محمد بن أبي زيد الخزرجي
٣٤٤	محمد بن أبي سيف البحيري

الصفحة

٣٤٥	محمد بن أبي القاسم الهاملي
٣٥٢	محمد بن أحمد الشريف الحسي أبو عبدالله
٣٥٢	محمد بن أحمد بوتشت
٣٥٣	محمد بن أحمد القسطنطيني
٣٥٦	محمد بن عبدالله الأريسي الجزائري
٣٥٩	محمد بن أحمد التلمساني
٣٦١	محمد بن أحمد بن محمد التلمساني
٣٦٢	محمد بن أحمد القرشي التلمساني
٣٦٢	محمد بن أحمد التلمساني
٣٦٣	محمد بن أحمد التلمساني
٣٦٤	محمد بن أحمد الوهراني الملياني
٣٦٤	محمد أمزيان
٣٦٥	محمد أمقران
٣٦٥	محمد ابن الأمير الجزائري
٣٦٥	محمد التواني
٣٦٦	محمد التواني
٣٦٧	محمد بن الجيب القسطنطيني
٣٦٧	محمد الحرشاوي الندرومي
٣٦٨	محمد بن حسن الجزائري
٣٦٩	محمد بن الحسن القلعي
٣٧٢	محمد بن حسن التلمساني
٣٧٣	محمد بن حواء المستغامي

الصفحة

٣٧٥	محمد الحفصي القسنطيني
٣٧٥	محمد بن الخضر الإغريسي
٣٧٥	محمد بن خميس التلمساني
٣٩٠	محمد بن سيدي سعيد قدورة
٣٩١	محمد بن خليفة الجزائري
٣٩٣	محمد الزادي
٣٩٣	محمد بن سالم المعروف بابن الطبال
٣٩٤	محمد بن سعيد المغربي
٣٩٤	محمد الشاذلي القسنطيني
٣٩٥	محمد الشريف التلمساني
٣٩٥	محمد صالح الورتيلاني
٣٩٩	محمد الصالح بن سالم الأعرج السوفي
٤٠٣	محمد بن الحق البطوي
٤٠٤	محمد بن عبد الرحمن الحوضي
٤٠٧	محمد بن عبد الرحمن
٤١٧	محمد ابن سيدي بن علي
٤٢١	محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني
٤٢٣	محمد بن عبد الرحمن البوني
٤٢٥	محمد بن عبد الرحمن الأنصاري
٤٢٦	محمد بن عبد الكريم التواتي
٤٢٧	أبو محمد المسبح القسنطيني
٤٢٨	محمد بن عبد الكريم الجزائري

الصفحة

٤٢٩	محمد القلعي أبو عبدالله
٤٣٢	محمد بن عبدالله التدرومي
٤٣٢	محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري
٤٣٦	محمد العربي
٤٣٧	محمد العربي القسنطيني
٤٣٧	محمد بن عفيف الدين الظريف التلمساني
٤٣٩	محمد بن عطية التلمساني
٤٤٠	محمد بن علي ابهلول المجاجي
٤٤٩	محمد الطيب ابن أبي داود الزواوي
٤٥٣	محمد بن عبد الكريم المجاوي التلمساني
٤٥٧	محمد بن عبد الرحمن الأزهرى
٤٧٤	محمد بن رجب الجزائري
٤٧٥	محمد الشريف الزهار الجزائري
٤٨٢	محمد بن عزوز البرجي
٤٨٧	محمد بن علي الصنهاجي الحمزي
٤٨٧	محمد بن علي اليعلاوي
٤٨٨	محمد بن علي الطلحي القسنطيني
٤٨٨	محمد بن علي العيدلي
٤٨٩	محمد الخروبي أبو عبد الله
٤٩١	محمد بن علي الميلي
٤٩١	محمد بن عمر المليكشي
٤٩٢	محمد بن عمر القلعي

الصفحة

٤٩٢	محمد بن عمرو الفجيجي
٤٩٣	محمد الونيسي القسنطيني
٤٩٣	محمد بن الفتوح التلمساني
٤٩٤	محمد بن محرز الوهراني
٤٩٥	محمد الملقب بالمرابط المفاوي التلمساني
٤٩٥	محمد بن محمد بن أبي بكر القلعي
٤٩٦	محمد بن محمد الخشني
٤٩٨	محمد بن محمد الندرومي
٤٩٨	محمد بن محمد التلمساني
٤٩٨	محمد بن محمد ابن الجنان
٥٠٠	محمد بن محمد بن أحمد التلمساني
٥٠٩	محمد بن محمد التنبكي
٥١١	محمد بن محمد التنبكي المعروف ببغنيغ
٥١٢	محمد بن غريون البجائي
٥١٢	محمد بن محمود الوانقوي
٥١٣	محمد بن مزي القلعي
٥١٤	محمد المسعود بن سيدي محمد الحاج
٥١٦	محمد بن أحمد الموسوم
٥١٩	محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري
٥٢٢	محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني
٥٣٣	محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي
٥٣٤	محمد الصديق الديسي

الصفحة

٥٣٦	محمد بن عبد الباقي أو محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي
٥٣٧	محمد بن عبد الرحمن الإمام الجزائري
٥٤١	محمد بن علي الشريف الجعدي
٥٤٤	محمد بن علي الشريف الزواوي صاحب شلاطة
٥٤٦	محمد العمالي
٥٤٩	محمد المازري الديسي
٥٥٠	محمد بن محمد الجزائري أبو عبدالله
٥٥٧	محمد بن المشري السائح الأوغاطي
٥٦١	محمد بن المقدم الخوان التلمساني
٥٦١	محمد بن منصور بن علي القرشي
٥٦٢	محمد بن الناصر المنصوري
٥٦٤	محمد بن النجار التلمساني
٥٦٥	محمد بن يحيى اليعلاوي
٥٦٦	محمد بن يحيى الباهلي المسفر
٥٦٧	محمد بن يحيى الشريف الأغرسي
٥٧٣	محمد بن النجار التلمساني
٥٧٤	محمد بن يعقوب الفجيجي
٥٧٥	محمد بن يعقوب البجائي
٥٧٦	المختار الجلاي
٥٧٧	مروان بن عمار البجائي
٥٧٨	مصطفى الرماحي
٥٨٠	مصطفى بن الشاوش القسنطيني

الصفحة

٥٨٠	مصطفى العجمي القسطنطيني
٥٨٠	مصطفى بن عبد الرحمن القسطنطيني
٥٨١	منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي
٥٨٢	مغروز البحري المستفانمي
٥٨٣	موسى بن عيسى المازوني
٥٨٤	ناجي
٥٨٦	الهادي
٥٨٧	واضح الشلبي
٥٩٢	يحيى بن زكرياء القريشي السطيني
٥٩٤	يحيى بن أبي علي الزواوي
٥٩٥	يحيى العبدلي
٥٩٨	يحيى بن عبد المعطي الزواوي
٥٩٩	يحيى بن محمد التلمساني
٥٩٩	يحيى بن موسى الزواوي
٦٠٠	يدير بن صالح الجمهوري
٦٠١	يعقوب بن يوسف الزواوي

